تاريخ

أبي يعلى حمزة ابن القلانسي

المعروف

بذيل تاريخ دمشق

تتلوهُ نُخب من تواريخ

ابن الأزرق الفارقي

وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي

طبع في بيروت

بمطبعة الآباء اليسوعيين

١٩٠٨

Marfat.com

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

Marfat.com

Marfat.com

تاريخ

أبي يعلى حمزة ابن القلانسي

المعروف

بذيل تاريخ دمشق

تتلوهُ نُخَب من تَوَاريخ

ابن الأَزْرق الفارقي

وسِبط ابن الجَوْزي والحَافظ الذَّهبي

طبع في بيروت

بمطبعة الآباء اليسوعيين

١٩٠٨

Marfat.com

131803

Marfat.com

ذكر اخذ القرامطة دمشق

من لمعزّ لدين الله صاحب مصر

وهذا في سنة ستين وثلثمائة

وقال الشيخ ابو المظفّر يوسف سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان في ترجمة السنة الحادية والستين بعد الثلثمائة ان من هاهنا نبتدي بشي مما ذكره ابو الحسين هلال بن المحسّن بن ابرهيم الصابي وانه قال: ان في جمادى الآخرة ورد الخبر بان ابا علي الحسن بن ابي منصور احمد القرمطي سار الى مصر ونزل بعين شمس وجرت بينهُ وبين جوهر القائد وقعة وكان الاستظهار فيها لجوهر وانهزم القرمطي . قال ابن الصابي: لما دخل جوهر مصر سنة ٣٥٨ ووطّأ الامور للمعز واقام لهُ الخطبة سيّر القائد جعفر بن فلاح الى الشام فاسر الحسن بن عبيد الله بن طغج وبعث بهِ الى مصر ولمّا نهب الرملة قصده النابلسي الزاهد واستكفّ جعفر عن النهب فكفّ . ثم استخلف ابنه على الرملة وسار الى طبرية وبلغه ان ابن ابي يعلي الشريف (وهو ابو القاسم اسماعيل) قد اقام الدعوة بدمشق للمطيع فسار الى دمشق فعصوا عليه وقاتلوه فظهر عليهم وهرب ابن ابي يعلي الى البرّ وجئ بهِ اليه فاحسن اليهِ وبعث بهِ الى مصر مع جماعة من الاحداث الذين قاموا معه . وعرف القرامطة استيلاء المغاربة على الشام واخذهم ابن طغج فانزعجوا من ذلك لما يفوتهم من المال الذي كان قرّره ابن طغج لهم وهو في كل سنة ثلثمائة الف دينار فبعثوا ابا طريف عدي بن محمد بن المعمر صاحبهم الى عزّ الدولة بختيار والوزير يومئذٍ ابو الفرج محمد بن العباس (ابن فسانجس) يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال والرجال فاستقرّ ان عزّ الدولة يعطيهم الف الف درهم والف جوشن والف سيف والف رمح والف قوس والف جعبة وقال: اذا وصل ابو علي الجنابي الى الكوفة حمل اليهِ جميع ذلك . ولما وصل الجنابي الى الكوفة وكان في عدد كثير من اصحابهِ ومن الاعراب فبعثوا اليهِ بالمال والسلاح وسار يريد الشام . وبلغ جعفر بن فلاح خبرهم فاستهان بامرهم ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق

Marfat.com

بمكان يقال لهُ الدكة (١ فقتلوه واحتووا على سواده واموالهِ وكراعه وملك ابو علي دمشق وامن اهلها واحسن السيرة فيها وغلب على الشام واجتمعت اليهِ العرب وسار الى الرملة وبها سعاد بن حبان فخرج الى يافا وتحصن بحصنها . ودخل ابو علي الرملة وقتل من وجد من المغاربة ثم رحل طالبًا مصر وخلّف بالرملة ابا محمد عبد الله بن عبيد الله الحسني ومعهُ دغفل بن الجرّاح الطائي وجماعة من الاخشيديّة والكافوريّة وجآء فنزل عين شمس على باب مصر واقتتلوا اياماً وظهر القرمطي على المغاربة وقتل منهم زُهاء خمسمائة رجل وغنم اموالهم واسلحتهم ودوابّهم . فلما كان يوم الاحد لثلث خلون من ربيع الاول وقف الهجري على الخندق والمغاربة من ورائه ونشبت الحرب واقتتلوا الى العصر فخرجت المغاربة من الخنادق وحملوا على الهجري فاندق عسكره لا يلوى على احد وجعل يردّهم وهم منهزمون فما وقفوا الى الرملة وظنّ جوهر ان هزيمة القرمطي مكيدة فلم يتعرّض لما كان في عسكره الى ثلثة ايّام حتى تحقّق الخبر فاستولى على الجميع . ونادى جوهر في الاخشيديّة فاجتمعوا فعمل لهم طعاماً وحلف لهم على المصافاة ثم قبضهم وقيّدهم وحبسهم وكانوا الفاً وثلثمائة مقاتل . وقال القرمطي في هذه الوقعة :

زعمت رجال العرب اني هبتُها فدمي اذًا ما بينهم مطلولُ
يا مصر ان لم اسقِ ارضك من دمٍ يروي ثراكِ فلا سقاني النيلُ

وقال :

زعموا انني قصير لعمري ما تُكالُ الرجالُ بالقفزان
انما المرء باللسان وبالقلـــب وهذا قلبي وهذا لساني

ثم عاد الهجري الى بلده وتفرقت الاعراب في البريّة

---

١) وفي حاشية : هي معروفة في زماننا هذا بالدوّاسة وهي من عجائب دمشق

Marfat.com

ذكر الحرب بين المعزّ لدين الله صاحب مصر والقرامطة

في سنة ثلث وستين وثلثمائة وهذا اول ما وُجد من تاريخ ابن القلانسي

. . . (7ᵖ) . . . وتحصنوا بالسور وعظم الامر على المعزّ وتحيّر في امره ولم ينفعهُ كتابُهُ اليه ولا ترهيبهُ عليهِ ولم يُقدم على الظهور بعسكره اليه . وكان حسّان بن جرّاح الطائي بعسكره مع القرمطي وكان قوّتهُ وشدّتهُ بهِ ونظر المعزّ في امره فاذا ليس لهُ بهِ طاقة فأعمل فكرتهُ ورويتهُ في امره وشاور اهل الراي من خاصّته وجنده في امره فقالوا . ليس فيه حيلة غير فلّ عسكره وليس يُقدَر على فلّه الّا بابن جرّاح . فبذلوا لهُ مائة الف دينار على ان يَفُلَّ لهم عسكره فاجابهم الى ذلك . ثم نظروا في كثرة المال فاستعظموه فضربوا دنانير من صفر وطلوها بالذهب وجعلوها في اكياس وجعلوا في راس كل كيس منها يسيرًا من دنانير الذهب الخلاص وحملوها الى ثقة ابن جرّاح وقد كانوا توثّقوا منه وعاهدوه على الوفاء وترك الغدر اذا وصل المال اليه . فلما عرف وصول المال اليهِ عمل في فلّ عسكر القرمطي وتقدّم الى اكثر اصحابهِ ان يتبعوه اذا تواقف العسكران ونشبت الحرب . فلما اشتدّ القتال ولّى ابن جرّاح منهزمًا وتبعهُ اصحابهُ فكان في جمع كثيف فلما نظر اليه القرمطي قد انهزم في عسكره بعد الاستظهار والقوّة تحيّر في امره ولزمه الثبات والمحاربة بعسكره واجهد نفسهُ في القتال حتى يتخلّص ولم يكنْ لهُ بهم طاقة وكانوا قد ارهقوه بالحملات من كل جانب وقد قويت نفوس المغاربة بانفلال ابن جرّاحٍ فخاف القرمطي على نفسهِ فانهزم فاتبعوا اثره وطلبوا معسكره فظفروا بمن فيه واسروا منهُ تقدير الف وخمسماية رجل وانتهبوا سواده وما فيهِ وضربوا اعناق من اسروه وذلك في شهر رمضان سنة ٣٦٣

ثم جرّدوا في طلب القرمطي القائد ابا محمود بن ابرهيم بن جعفر في عشرة الف رجل فاتبعهُ وتثاقل في سَيْرهِ خوفًا من رجوعهِ عليهِ وتمّ القرمطي على حالهِ في انهزامهِ حتى نزل على اذرعات وانفذ ابا المنجّا في طائفة من الجند الى دمشق وكان ابنهُ قبل ذلك واليًا عليها ورحل القرمطي في البرّية طالبًا بلده الاحسآء ونيتهُ العودُ ورحل ابو محمود مقدّم عسكر (7ᵛ) المغاربة عند معرفته ذاك ونزل باذرعات في منزلة القرمطي

ذكر ولاية ظالم بن موهوب العقيلي لدمشق

في سنة ٣٦٣ من قبل المعزّ لدين الله

وصل القائد ظالم بن موهوب العقيلي الى دمشق والياً عليها في يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٣ عقيب نوبة القرمطي فدخلها وتمكّن امره في ولايتها وتأثّلت حاله في إيالتها وتوفّرت عِدَّته وعُدّته واشتدّت شوكته لاسيما عند قبضه على ابي المنجاً وولده صاحبي القرمطي مع جماعة وافرة من اصحابهما وحَبْسهم وأَخْذ اموالهم واستغراق احوالهم. واتّفق ان ابا محمود مقدّم العسكر المصري المقدّم ذكره وصل الى دمشق في يوم الثلثا لثلث بقين من شهر رمضان من السنة ونزل بالشماسية فخرج ظالم متلقّياً له ومستبشراً به ومبتهجاً بنزوله ومستأنساً بحلوله لما كان مستشعره من الخوف من عود القرمطي الى دمشق ونزوله عليها ثم ان ظالماً انزل ابا محمود المقدّم الدكّة المعروفة وحمل اليه ابا المنجاً صاحب القرمطيّ المعتقل والمعروف بالنابُلسي الذي كان هرب من الرملة متقرّباً اليه والى المغاربة بذلك فجعل كلّ واحد منهما في قفص من خشب وحملهما الى مصر فلما وصلا الى المعزّ لدين الله امر بحبس ابي المنجاً وولده وقال للنابلسي: انت الذي قلت لو انّ معي عشرة اسهم لرميت تسعةً في المغاربة وواحداً في الروم. فاعترف بذلك فامر بسلخه فسلخ وحشي جلده تبناً وصُلب (١ ولما نزل القائد ابو محمود المقدّم على دمشق في عسكره اضطرب الناس وقلقوا وامتدّت ايدي المغاربة في العيث والفساد في نواحي البلد واخذ من يُصادف في الطرقات والمسالك وكان صاحب الشرطة بعد القبض على ابي المنجاً قد اخذ انساناً وقتله فظهر

---

١) قال الشيخ ابن الجوزي في المنتظم في ترجمة المعزّ انه كان بطّاشاً احضر يوماً ابا بكر النابلسي الزاهد وكان ينزل الاكواخ من ارض دمشق فقال له: بلغنا انك قلت اذا كان مع الرجل المسلم عشرة اسهم وجب ان يرمي في الروم منها واحداً وفينا تسعة. فقال: ما قلت هكذا. فظن انهُ رجع عن قولهِ فقال: كيف قلت؟ قال: قلتُ اذا كان معهُ عشرة وجب ان يرميكم تسعة ويرمي العاشر فيكم ايضاً فانكم غيّرتم الملّة وقتلتم الصالحين وادعيت نور الالهية. فامر حينئذٍ ان يُشهَر فشهر في اليوم الاول وضرب بالسياط في اليوم الثاني فأُخرج في اليوم الثالث فسُلخ سلخه رجل يهودي وكان يقرأ القران ولا يتاوّه قال اليهودي: فدخاني له رحمة فطعنتُ بالسكين في فؤاده حتى مات عاجلاً

Marfat.com

الغوغاء وحَمَلَة السلاح وقتلوا اصحـاب المسالح وكثر من يطلب الفتن من العوام وطمِعت المغاربة في نهب القُرى واخذ القوافل ظاهر البلد ولم يتمكن القـائد ابو محمود المقدّم من ضبط اصحـابه لانه لم يكن معه مال ينفقه فيهم ولم (٨ر) يقبلوا امره ولا امتثلوا زجره . وكان ظالم ياخذ مال السلطان الذي يستخرج من البلد وقد عرف ظالم ان الرعية تكره المغاربة في الفساد وقطع الطريق على الصُدّار والوُرّاد وامتنع السفار من المجي والذهاب وعدلوا في ذلك عن نهج الصواب وتزح اهل القُرى منها الى البلد وخلت من اهلهـا واستوحش ظاهر البلد وباطنه . فلما كان يوم الخميس النصف من شوال من السنة جاء قوم من العسكرية ينهب القصّـارين من ناحية الميدان فكثر الصائح في البلد وخرج الناس بالسلاح وثارت الاحداث وخرج اصحاب ظـالم ووقع القتال وظـالم يظهر انه يريد الصلاح والدفع عن البلد ولم يكاشف في الامر ووجد الناس حجةً للمقال والشكوى لما يجري عليهم فلما كان في بعض الأيام خرج قوم من المغاربة يطلبون الطرق فظفروا برفقةٍ قـافلةٍ في طريق الحرُجلَة قد اقبلت من حوران فاخذوهـا وقتلوا منها ثلثة نفرٍ فجاء اهل القتلى وحملوهم وطرحوهم في الجامع فكثر الناس عليهم وبالغوا في المقال والانكار لاجلهم وغُلقت الاسواق ومشى النـاس بعضهم الى بعض ونفرت قلوبهم واستوحشوا وخافوا . فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من ذي القعدة من السنة سُمع صبيّ يصيح على بعد : النفير النفير الى قينيـة الى اللُؤلؤة . فقال قائل : كان بالامس اخر النهـار قوم من المغاربة ومن البادية في جنينةٍ في القنوات فقتلت المغـاربة من البادية ابن عم لورد بن زياد وقد وقع بينهم حرب وقد ثارت الفتنة بباب الجابية فخرج رجل من العسكرية يقال له نفاق ابن عمٍ لابي محمود فظهر القوم من غدٍ في طلب الرجل وكان مسكنه في ناحية قينية فاقبلوا يريدون بيته وانتشرت خيلهم ورجالتهم في ارض قينية الى لؤلؤة والقنوات الى باب الجابية وباب الحديد فظفروا بالقصّـارين عند باب الحديد فاخذوا ما كان معهم من الثياب فصاح الناس « النفير » ولبسوا السلاح وخرج اصحاب ظالم مع الرعيّة وزحفت المغـاربة حتى بلغوا قريباً من سور البلد وليس في مقابلتهم من يذودهم ويدافعهم فنفر اليهم اهل البلد من (٨ظ) كل ناحية ونشب القتال ونكا الشباب في المغاربة اعظم نكايةٍ وقصدوا الباب الصغير وامتدّ الناس خلف المغاربة وصعدوا على طـاحون الاشعريين يرمونهم بالحجارة وطرحوا النار فيها فاحترقت وهي اول نار طرحت في البلد

Marfat.com

وزحفت الرعيَّة واصحاب ظالم الى المغاربة وضايقوهم مضايقةً ألجؤهم الى الصعود فوق مسجد ابرهيم وكان ذلك منهم جهلًا واغترارًا وكان في الطريق الاعلى نحو البيمارستان العتيق شرذمة قليلةٌ فحملوا على الاحداث واصحاب ظالم فانهزموا من المرج الى خلف المرمى وتبعتهم المغاربة فلما علم ظالم هزيمتهم خرج من دار الامارة حتى وقف عند الجسر المعقود على بَرَدَا وامر بغلق باب الحديد ورتّب قوماً من اصحابه على جسر باناس ليلا ينهزم الناس فلما شاهد انهزام الناس والمغـاربة في اثرهم ضرب بيده على فخذه ثم استدعى رمحه وعبر الجسر ومعه فرقة من اصحـابه وحمل على اوائل المغاربة فردّهم عن احداث البلد وصاح الناس في الميدان « النفير » فانهزم ظالم واصحـابه وجأت المغاربة نحو الفراديس ودخلوا الدروب وملكوا السطوح وطرحوا النـار في الفراديس وكان هناك من البنيان الرفيع الغاية في الحسن والبهاء ما لم يُرَ مثله وهو أحسن مكان كان بظاهر دمشق وامتدّت النـار مشرقةً حتى بلغت مسجد القاضي فأتت على دور لبني حذيفة واخذت النار كله (١ فاتلفت ما كان بين الفاخورة وحمام قاسم وكنيسة مريوحنا وحين انهزم الناس وتكامل العسكر في المرج والميدان وارتفع صياح المغاربة وانهزم من على السطح من الرُماة والنظـارة وامتدّوا الى القنوات ودخلوا باب الحديد وانتشروا فلماً عرفوا انهزام ظالم قصدت خيلهم ناحية الشمّاسية في طلبه فلماً حصلوا بها اقبلت الاحداث تجول فيها مع المغاربة فطرحوا النار في لؤلؤة الكبرى والصغرى والقنوات وقينية واقبل الليل وبات الناس على اسوء حال واشـدّ خوف عظيم واعظم وجلٍ . وتمكنت النـار في تلك الليلة (9r) فاحرقت درب الفحّامين ودرب القصّارين ثم اخذت مُغرِبةً الى مسجد مُعَوية واحرقت درب السُمّاقي وما حوله الى حمام العصمي ثم اخذت في زقاق المشّاطين والقنوات وقويت النـار في اللؤلؤة الكبرى والصغرى وبلغت الى ناحية المشرق واتت على الرصيف جميعه وكانوا في وقت يمكنهم من باب الحديد قد طرحوا النار في دار عمرو بن مالك ودار ابن طغج ابن جفّ فقويت النار في اخشاب وبطاين سقوفٍ منقوشةٍ وظهر لها في الليل ألسنةٌ عاليـة وشررٌ عظيم وكذلك النار التي أُلقيت في الفراديس كان لها شررٌ مرتفع والقوا النـار ايضًا في باب الحديد والمظلمة بازاء دار الحمامي الى الطريق الآخذ الى حجر

---

١) وفي الاصل : قله

الذهب ووصلوا الى رحبة السمّاكين مقابل دار ابن مقاتل ووجدوا بين ايديهم من الرعيَّة من منعهم من دخول الزقاق ودخل قوم من الرعيَّة المظلمة وادركوا واطفوها وقويت النار في دار ابن مالك فاحترقت وما يليها من الطاحون الى حدّ حمّام ضحاك ثم اخذت النار نحو القبلة فاتت على ما كان من الدُوَر حول دار ابن طغج وما يليها الى قصر عاتكة وسوق الجعفري والحوانيت والتقت على قصر حجّاج واشرق الصبح وقد خلا المكان واجتمع قوم في تلك الليلة من حجر الذهب والفسقار والنواحي المعروفة بباب الحديد وعملوا على المحاربة عن الدروب والازقّة وابواب الدور فما لاح الصباح بضيائه الّا وقد بنوا حائط باب الحديد وسدّوا الباب والّى الله بالفرج . وقد كانت المغاربة في تلك الليلة في لهوٍ ولعبٍ وزفن وفرح وسرور بأَخذ البلد من عدوهم ينظرون الى النار تعمل في جنباته وقد اتت عليهِ فلما اصبحوا انحدر العسكر من الدكة يريد البلد وكان الناس قد غدوا الى الميدان وصعدوا السطح ينظرون نزول العسكر وقد حارت عقول كثير من الناس من الخوف فلما نظرت الدبادبة ممن كان على السطح انحدر العسكر وقد علت الاصوات بالنفير فلما سمع الناس النفير بادروا الخروج بالسلاح التامّ وعُدد الحرب وآلاتها وخرج قوم بمثل حربةِ (٩٧) وعصاً وفاس وكساء ومقلاعٍ وحمر عليها حجارة واشتدّ الناس في القتال ونزل القائد ابو محمود في عسكره فضرب في الميدان خيمةً واصبح الناس في شدةٍ عظيمة وبلية هائلة وظهروا من البلد وقد تبعهم الخلق الكثير من الاخيار والمستورين يطلبون من الله تعالى الفرج فلما قربوا من عسكر المغاربة صاح نفرٍ منهم فنفرت من الصياح خيل هناك فقيل لهم : اشراف البلد يريدون الوصول الى القائد . فاذن لهم فلما حضروا لديه وسلموا عليه احسن الرد عليهم وبشَّ بهم وقال : ما حالكم وما الذي جاء بكم . فشكوا اليه احوالهم والاضرار بهم والمضايقة لهم وخضعوا وذلّوا له ولطفوا به فقال . ما نزلت في هذا المكان لقتالكم وانما نزلتُ لاردّ هولآء الكلاب المفسدين عنكم (يعني اصحابه) وما اوثر قتال رعيَّة . فشكروه ودعوا له واثنوا عليه وانصرفوا عنه مستبشرين بما سمعوه منه وجاءوا الى خيمته واختلطوا باصحابه وقد خفّ الخوف والوجل عنهم . ودخلت المغاربة البلد لقضاء حوائجهم وعاد القائد ابو محمود في عسكره الى الدكّة بمنزلهِ . وولّى الشرطة لرجلين يقال لاحدهما حمزة المغربي والاخر يقال له ابن كشمرد من الاخشيديَّة فدخل في جمع كثير من الخيل والرجالة فطافا في البلد بالملاهي والزفن وجلسا في مجلس

الشرطة وطـاف في الليل جماعة من الرجال بالعدد والسلاح ممن يريد الفساد واثارة الفتن ووجد الطائف الدروب قد ضيقت فشكا ذلك الى القائد ابى محمود فشقّ هذا الامر عليه وضاق له صدره. فلماً كان في بعض الليالي اجتاز الطائف في ناحية المحاملين على جسر المصلى يريد باب الصغير في جمع وافر ووصـل الى سوق الغنم فوجد درب سوق الغنم مسدودا فعظم ذلك عليه وغضب لاجله وعاد الى ورائه منكفئاً حتى دخل من ناحية البطّاطين فشكا الى ابي محمود فقـال : ان القوم على ما هم عليه من العصيان والخلاف. وكثرت الاقوال في مجلسه ولم يكن صاحب رأي سديد ولا تدبير حميد ولا حسن سيـاسةٍ واستدعى مشايخ البلد اليه (10) فدخلوا عليه فتواعدهم واغلظ القول لهم وقـال: ان لم يُفتح هذا الباب والّا وانتم مقيمون على الخلاف والعصيان. فقالوا : ايها القـائد لم يُسدّ هذا الباب لعصيان ولا خلاف وانما كان سدّه بحيث لا يدخل منه من لا يعلمه القـائد ولا يوثره من اهل الفساد ومن يوثره اثارة الفتنة والعناد. فقـال : قد امهلتكم ثلثة ايام وان لم يفتح هذا الباب لاركبنّ اليه ولأحرقنه ولأقتلن كل من اصادفه فيه . فقالوا : نحن نطيع امرك ولا نخـالفه اذا استصوبتَ ذلك . وخرجوا من عنده متحيّرين في امرهم ولا يعلمون كيف يسوسون جهلة الناس وامور السلطان . فصـاروا الى باب الصغير واجتمع اليهم اهل الشرة وغيرهم وفيهم المعروف بالمارود راس شُطّـار الاحداث واحاطوا بهم وسالوهم عن حالهم فاعادوا عليهم ما سمعوه من القائد ابي محمود بسبب سد الباب فقال بعضهم : يفتَح ولا يجري مثل ما جرى اولًا فنخرب البلد. وقال قوم من اصحاب السلاح بالضدّ فقـالت المشايخ : نحن نفتح هذا الباب وان جرى امر مكروه عند دخول المغاربة وغيرهم او ثارت منه فتنة كنتم انتم اصل ذلك وسببه. ثم انّهم فتحوه من وقتهم فلما شاهد المشايخ ذاك حاروا بين الفريقين وقال بعضهم لبعضٍ: ما قال ابو محمود وما قال اهل الشرة وقد فتح الباب بامركم ولسنا نامن امراً يكون من المغاربة فتكونوا انتم السبب فيه. ففكّروا في الخلاص من لائمة الفريقين واعملوا الراي فيما بينهم وقالوا: الصواب ان نامرهم بسده. وكان ذلك منهم راياً سديداً وتدبيراً. وجرى بين رجل من اكابر المغاربة ورجل من اهل الشرّة منـازعة بسبب صبيّ اراد المغربي ان يغلب عليه فرفع البلدي سيفه وضرب به المغربي فقتله في سوق البقل فغلُظ الامر واضطرب البلد وغلقت حوانيت الاسواق وثار العسكر بسبب المقتول فعند ذلك وجدت المشايخ الحجّة

Marfat.com

في سد الباب لهذا الحادث وانتهى الخبر الى القائد ابي محمود ففرّق السلاح في اصحابه وثار اهل البلد وتأهّبوا للمحاربة واصبح العسكر منحدراً يريد باب الصغير (10^v) وكان عندهم العلم بتفريق السلاح والاستعداد للحرب فتيقّظ النـاس فاحترزوا الى حين ارتفع النهار وفتح الناس حوانيتهم وكان المعروف بابن المارود راس الاحداث قد عرف هو واصحـابه ان قصد العسكر باب الصغير لاجلهم وصاح الناس « النفير » وارتفعت الاصوات وتقدّمت الرجالة وانتشروا في سوق الدوابّ وعبروا الجسر وطرحوا النار في الطاحون قبليّ الجسر وانتشروا في الطريق والمقابر يشاهدون النار في دُوَر عند مسجد الخضر وامتدت الاحداث والرعيّة في المقابر ووقع « النفير » في الاسواق وكانوا في غفلة فصاح فيهم صايح : اما يستيقظ من هو غافلٌ اما ينتبهُ من هو راقدٌ. فغلقت حوانيت الاسواق واضحى الناس من استشعار البلاء على ساق ونزل القايد ابو محمود في محراب المصلّى كانت رجالته منتشرةً في المقابر فاجتمعت مشايخ البلد الى القـائد ابي محمود من باب الجـابية والمحاربة على باب الصغير وكان فيهم الشريف ابو القاسم احمد بن ابي هشامٍ العقيقي العلويّ فقال له : الله الله ايها القائد في الحرَم والاطفال واتقياء الرجال. ولم يزل يخضع له ويلطف به الى ان امسك بعد سؤالٍ متردّدٍ وعاد منكفئاً بعسكره الى مخيّمهِ بالدكة في يوم الاربعـاء لست مضين من ذي الحجة سنة ٣٦٣ وكفّ عن القتال . ودخل صاحب النظر الى البلد وانتشر الفساد في سائر الضياع والجهـات وطرحت النار في الاماكن والحارات وثارت الفتنة واشتدت النار وعظم الخوف وفنِيَ العدد الكثير من الفريقين ولم تزل الحرب متصلةً مدة صفر وربيع الاول وبعض ربيع الاخر وتقرّرت المصالحة والموادعة الى ان وُلّي جيش بن الصمصامة البلد من قبل خاله القائد ابي محمود المقدّم ذكره في سنة ٣٦٣. وصُرف القائد ظالم بن موهوب العقيلي عن ولايته

شرح الامر في ذلك

لما استقر الصلح والموادعة بين اهـل دمشق والقائد ابي محمود مُقدّم العسكر المصري المعزّي على ما تقـدّم شرحه وخمدت نار الفتنة بعض الخمود وركدت ريحها بعض (11^r) الركود وسكنت نفوس اهل البلد واطمأنت القلوب بين الفريقين اعتمد القائد ابو محمود على ابن اخته جيش بن الصمصامة في ولاية دمشق وحمايتها ولمّ ما

Marfat.com

تشعّث منها بالفتنة المتصلة لما رجاه عنده من الكفاية والصرامة وقدّره فيه من النهضة والشهامة فدخلها والياً ونزل بقصر الثقفيّين في الدار المعروفة بالروذباري واقام بها اياماً . فلما كان يوم من الايام عبرت طائفة من عسكر المغاربة بالفراديس فعاثت فيه فثار الناس عليها وقتلوا من لحقوه منهم وصاروا الى قصر الثقفيّين فهرب منهم جيش بن الصمصامة الوالي في اصحابه فانتهبوا ما كان لهم فيه واصبح القائد جيش منحدراً من العسكر في جمع كثير وقصد جهة من البلد وكبس موضعاً كان قد سلم ووجد فيه اربعةً من اهله فاخذ رؤوسهم وطرح النار فيه فاحترق وقال القائد ابو محمود: ان اهل الشرّة في موضع يقال له سقيفة جناح قريب من باب كيسان قبلي البلد. فقصدهم من ناحية الخامس الصغير والمقابر فوقع «النفير» فقاتلتهم الاحداث والرعيّة اشدّ قتالٍ وقد غلظ الامر عليهم في اخذ رؤوس من يظفرون به ونشبت الفتنة والشر بينهم منذ اول جمادى الاولى ونشبت الحرب بينهم بياض ذلك اليوم الى ان اقبل الليل فاضطرب البلد واشتدّ خوف اهله ووجلهم وخربت المنازل وضعُفت النفوس وانقطعت الموادّ واستدّت بالخوف المسالك والطرقات وبطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد وعدم الناس القني والحمامات ومات ضعفآء الناس على الطرقات وهلك الخلق الكثير من الجوع والبرد في اكثر الجهات وانتهت الحال في ذلك الى ان تجدّدت ولاية القائد ريّان الخادم عقيب هذه الفتنة في بقية سنة ٣٦٣

شرح الحال في ذلك

قد كانت الاخبار تنتهي الى المعزّ لدين الله بما يجري على اهل دمشق من الحروب واحراق المنازل والنهب والقتل والسلب واخافة المسالك وقطع الطرقات وان القائد ابا محمود المقدّم على الجيش المصري لا يتمكّن من كفّ اهل الفساد والمنع (11[٢]) لمن يقصد الشر من اهل العيث والعناد ولذلك فقد خربت الاعمال واختلّت الجهات وترادفت الانباء بذلك اليه وتواترت الاخبار بجلية الحال عليه فانكر استمرار مثل ذلك واكبره واستبشعه وكتب الى القائد ريّان الخادم والي طرابلس يامره بالمسير الى دمشق لمشاهدة حالها وكشف امور اهلها والمطالعة بحقيقة الامر فيها وان يصرف القائد ابا محمود عنها فامتثل القائد ريّان الامر في ذلك وسار من طرابلس ووصل الى دمشق فشاهدها وكشف احوال اهلها وامور الرعيّة بها وتقدّم الى القائد ابي محمود

Marfat.com

بالانكفاء عنها فرحل عن دمشق الى الرملة في عدّةٍ خفيفةٍ من عسكره وبقي الاكثر مع القائد ريّان وكان ذلك بقضاء الله وتقديره ونفاذ حكمه. وتمادت الايام في ذلك الى ان تجددت ولاية ابي منصور الفتكين التركي المعزّي البويهي الواصل

ولاية الفتكين المعزّي لدمشق في بقية سنة ٣٦٣

وما بعدها وشرح السبب في ذلك

قد مضى ذكر ما جرى عليها امر القائد ريّان المعزّي الخادم في تولية امر دمشق وما شاهده من امر الفتن الحادثة فيها واتصال الحروب بها وما اعتمده من النظر في تسديد احوالها وتدارك اصلاح اختلالها بعد ذلك وتسكين نفوس من بها. ووافق هذه الحال ما تناصرت به الاخبار من بغداد من اشتداد الفتن والوقائع بين الديلم والاتراك وما كان من عصيان الحاجب سُبُكتكين المعزّي مقدّم الاتراك على عزّ الدولة بختيار بن مولاه معزّ الدولة ابي الحسين بن بويه الديلمي وما حدث من موت الحاجب سُبكتكين المذكور وردّ الامر في التقدم على الاتراك الى الحاجب ابي منصور الفتكين المعزي والرئاسة عليهم لسكونهم الى سداده وجميل فعله في الاعمال واقتصادهم واعتمادهم عليه في اخماد ثائرة الفتنة وسكنت نفوس الاجناد ببغداد

وفي ذي القعدة من سنة ٣٦٣ وردت الاخبار بخلع المطيع لله واستخلاف ولده الطائع لله عند اشتداد الفتنة بين الديلم والاتراك واقام على هذه (١٢ٌ) الحال برهةً خفيفةً ثم ثارت الفتنة واتّصلت الحوادث وزاد الامر في ذلك الى حدّ اوجب للحاجب الفتكين (١ الانفصال عن بغداد في فرقةٍ وافرةٍ من الاتراك تُناهز ثلثمائة فارس من طراخين الغلمان ووصل اولًا الى ناحية حمص للاسباب التي اوجبت ذلك ودعت فاقام بها اياماً قلائل وسار منها الى دمشق والاحداث بها على الحال المقدّم شرحهما في تملُّكها والغلبة عليها والتحكُّم فيها فنزل بظاهرها وخرج اليه شيوخها واشرافها وخدموه واظهروا السرور به وسألوه الاقامة عندهم والنظر في احوالهم وكفّ الاحداث الذين بينهم ودفع الاذيّة المتوجهة عليهم منهم فاجابهم الى ذلك بعد ان توثّق منهم وتوثّقوا منه بالأيمان المؤكّدة والمواثيق المشدّدة على الطاعة والمساعدة ودخل

---

١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي هو « هفتكين »

Marfat.com

البلد واحسن السيرة وقمع اهل الفساد واذلّ عصب ذوي العيث والعنـاد وقامت له هيبة في الصدور وصلح به ما كان فاسدًا من الامور . وكانت العرب قد استولت على سواد البلد ومـا يتّصل به فقصدهم واوقع بهم وقتل كثيرًا منهم وظهر لهم من شجاعته وشهامته وقوة نفس من في جهته وجملته ما دعاهم الى الاذعان بطـاعته والنزول على حُكمه والعمل باشارته وامر بتقرير امضاء الاقطاعات القديمة وارتجاع ما سوى ذلك واحسن التدبير والسياسة في ترتيب العمّال في الاعمـال وانعم النظر في ابواب المال ووجوه الاستغلال فاستقام له الامر وثبتت قَدَمه في الولاية وسكن اهل دمشق الى نظره . وكاتب المعزّ مكاتبةً على سبيل المداجاة والمغالطة والمداهجة والتمويه والانقياد له والطـاعة لاوامرهِ فاجابه بالاحماد له والارتضاء بمذهبه والاستدعـاء له الى حضرته ليشاهده ويصطفيه لنفسه ويعيد الى ولايته بعد ذلك مكرّمًا مولىً مشرّفًا فلم يثق الى ذلك ولا سكنت نفسه اليه وامتنع من الاجابة الى ما بعثه عليه . ووافق ان المعزّ لدين الله اعتلّ العلة التي قضى فيها محتوم نحبه وصار الى رحمة ربّه في سنة ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية وعمره خمس واربعون سنة ومولده سنة ٣١٩ (12^{7}) ومدّة ايامه في الخلافة ثلث وعشرون سنة وستّة اشهر وامّه امّ ولد ونقش خـاتمه « بنصر العزيز العليم ينتصر الامام ابو تميم » وكان عالمًا فاضلًا شجاعًا جاريًا على منهاج ابيه في حسن السيرة وانصاف الرعيّة ثم عدل عن ذلك وتظاهر بعلم البـاطن وردّ من كان باقيًا من الدُعـاة في ايام ابيه واذن لهم في الاعلان مذهبهم ولم يزل عن ذلك غير مُفرّط فيه الى ان خرج من الغرب . وقـام في منصبه من بعده ولده نزار ابو منصور العزيز بالله مولوده بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة ٣٤٤

ولما عرف حال الحاجب الفتكين جهز اليـه عسكرًا كثيرًا مع القائد جوهر المعزّي ويجري الامر بينهم على مـا هو مشروح في موضعه . واتفق خروج (ابن) الشمشقيق متملّك الروم في هذه السنة الى الثغور فاستولى على اكثرها ودعت ابا بكر ابن الزيّات الضرورة الى مصالحته والدخول في طاعته والمسير في عدة وافرةٍ من اهـل طرصوس والثغور في خدمته وفعلت عدّة من بطون العرب مثل ذلـك فلما نزل ابن الشمشقيق على حمص وافتتحها وانتقل عنها الى بعلبك وملكهـا واراد قصد دمشق وكتب ابن الزيّات الى الفتكين واهل دمشق يُعرفهم قوة متملّك الروم وانهم لا يقدرون على مقاومته ولا يتمكنون من محاربته ويشير عليهم بالدخول في طاعته والنزول

Marfat.com

على حكم اشارته واصغى الفتكين واهل البلد الى ذلك وعلموا ان فيه المصلحة وقرّروا ما يستكفونه به ليصحبوا في كنف السلامة ويامنوا شرّ العساكر الواصلة اليهم. وكتب اليه بقبول الاشارة وردّ الامر اليه فيما يدبره والعمل فيه بما يراه ويستصوبه. فدخل ابن الزيّات الى متملّك الروم وقال له: قد وردت كتب الفتكين واهل دمشق بالانقياد الملك الى ما يرومه منهم ويرسم حملَهُ اليهِ من الخراج عن بلدهم وسالوا امانه وحسن الرأفة بهم والمحاماة عنهم. فقال له: قد قبلت طاعتهم وامرتُ بايمانهم على نفوسهم واموالهم ورضيت منهم بالخراج. وانفذ اليهم صليباً بالامان فانفذه ابن الزيّات اليهم مع المعروف بالدمشقي صاحبه وكان من وجوه (13) الطرسوسين فتلقّوه بالمسرّة والاكرام والشكر الزائد عن حسن السفارة وجميل الوساطة. واشار ابن الزيّات على الفتكين بالخروج لتلقّي الملك فخرج في ثلثمائة غلامٍ في احسن زي وعُدّةٍ وافضل ترتيب وهيئة واستصحب اشراف البلد وشيوخه ولقيه فاقبل عليه واكرمه والدمستقيين فيما خاطبهم به من الجميل وعاملهم به من وكيد العناية ومرضيّ الرعاية وتوسّط ابن الزيّات ما بينه وبينهم على تقرير مائة الف درهم. وسار ابن الشمشقيق الى دمشق لمشاهدتها فلما وصل اليها ونزل بظاهرها استحسن ما رأه من سوادها وتقدّم الى اصحابه بكفّ الاذية عن اهلها وترك الاعتراض لشيء من عملها ودخل الفتكين والشيوخ الى البلد لتقسيط القطيعة وجمعها وتحصيل الملاطفات التي يُخدَم مثله بمثلها وحملوا اليه ما جاز حمله وحصل المال المقرّر له في بدرة. وخرج الفتكين اليه لمعاودة خدمته فوجده راكباً والطرسوسيون يتطاردون بالرماح بين يديهِ فلما شاهد ابن الشمشقيق موكبهُ تقدّم الى ابن الزيّات بتلقّيه وقد كانت الحال تاكّدت بين الفتكين وابن الزياد فتلقّاه ووصاه بالتذلل له والزيات في التعظم له والتقرب اليه واعلمه ان ذلك ينفق عليه ففعل الفتكين ما اشار بهِ وترجل له هو واصحابه وابن الزيات عند قربهم منه وقبلوا الارض مراراً فسُرّ الملك بذلك وامرهم بالركوب فركبوا واستد الى الفتكين وسأله عن حاله فاجابهُ جواباً استرجعهُ حجةً فيه. وكان الملك فارساً يُحبّ الفرسان فلعب الفتكين وابن الزيّات بين يديه لعباً استحسنه منه وشاهد من فروسية الفتكين ما اعجبه فتقدم اليه بالزيادة في اللعب والتفرُّد به ففعل والتفت الملك الى ابن الزيّات فاثنى على الفتكين وقال: هذا غلامٌ نجيبٌ وقد اعجبني ما شاهدتهُ منه في حسن افعاله وجميع احواله. فأعلم ابن الزيّات الفتكين فترجّل وقبل الارض وشكره

ودعا له فامره بالركوب فركب وقال لابن الزيّات : عرّفه ان ملكي قد وهب له الخراج وترك طلبه منه . فاعاد الفتكين الترجّل والشكر (13ᵛ) والدعاء وعاد الملك الى بلاطه والفتكين معه في اثناء مسيره يلعب ويرى بالزوبين والملك شديد التوفّر عليه حتى اذا نزل احضره وخلع عليه وحمله على شهري واستهداه الملك الفرس الذي كان تحته والسلاح الذي عليه الرمح فعاد واضاف اليه عشرين فرساً بتجافيفها وعدّة رماح وشيئاً كثيراً من اصناف الثياب والطيب والتحف التي يتحف بها مثله فشكره الملك على هذا الفعل وقبل الفرس والته وردّ ما سوى ذلك وكافاه على الهدّية باثواب ديباج كثيرة وصياغات وشهاري وبغلات وسار على طريق الساحل فنزل على صيدا. وخرج اليه ابو الفتح بن الشيخ وكان رجلاً جليل القدر ومعه شيوخ البلد ولقوه وقرّروا معه امرهم على مال اعطوه اياه وهدّية حملوها اليه وانصرف عنهم على سلم وموادعة وانتقل الى ثغر بيروت فامتنع اهله عليه فقاتلهم وافتتح الثغر عنوةً ونهبه وسبى السبي الكثير منه وتوجه الى جُبيل فاعتصم اهلها عليه وجرى امرها مجرى بيروت ونزل على طرابلس فاقام عليها تقدير اربعين يوماً يُقاتل اهلها ويقاتلونه فبينما هو على ذلك اذ دسّ اليه خال بسيل وقسطنطين سماً فاعتلّ منه ورحل الى انطاكية فطال اهلها بتسليمهما فلم يجيبوا الى ذلك وقطع ما كان في بساتينها من شجر التين وهو يجري هناك مجرى النخل في البصرة وحفزه المرض الذي لحقه واستخلف البرجي البطريق على منازلتها وتوجه الى القسطنطينية وتوفي بعد ان افتتح البرجي انطاكية في سنة ٣٦٥ وورد الخبر بوفاة ابي تميم معد المعزّ لدين الله صاحب مصر في يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الاخر سنة ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية على اربع ساعات واربعة اخماس ساعة من يوم الاثنين الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣١٩ وعمره خمس واربعون سنة وتقلّد الامر بعد ابيه في يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة ٣٤١ ومدة ايامه بمصر ثلث سنين وانتصب مكانه ولده نزار ابو المنصور العزيز بالله وقد تقدّم ذكر ذلك الا ان هذه الرواية اجلى من تلك الحكاية . وقيل ان المعزّ كان (14ᵛ) مغرى بعلم النجوم والنظر فيما يقتضيهُ احوال مولده واحكام طالعه فحكم له بقطع فيه واستشار منجّمه فيما يزيله عنه فاشار عليه ان يعمل له سرداباً تحت الارض ويتوارى فيه الى حين زوال الوقت وتقضّيه فعمل على ذلك واحضر قوّاده وكتابه وقال لهم : ان بيني وبين الله تعالى عهداً في وعدٍ وعدنيه وقد قرُب اوانه وجعلت ولدي نزاراً

Marfat.com

ولي العهد بعدي ولقّبته العزيز بالله واستخلفته عليكم وعلى تدبير اموركم مدّة غيبتي فالزموا الطاعة له والمناصحة واسلكوا الطريق الواضحة . فقالوا له : الامر امرك ونحن عبيدك وخدمك . ووصّى الى العزيز بما اراد وجعل جوهراً مدبّره والمشار اليه في الامور وتنفيذها بين يديه ونزل الى السرداب الذي اتخذه واقام فيه سنة فكانت المغاربة اذا راوا غلاماً سايراً ترجلوا الى الارض واوموا اليه بالسلام بقدر ذلك . ثم خرج بعد ذلك وجلس للناس فدخلوا اليه على طبقاتهم وخدموه بادعيتهم وما اقام على هذه الحال الا مديدةً واعتلّ علّته التي قضى فيها نحبه . وقام العزيز بالله في منصبه وقد كان الفتكين والقرامطة يكاتبونه بانهم قاصدون الشام الى ان وافوا الى دمشق في سنة ٣٦٥ وكان الذي وافى منهم اسحق وكسرى وجعفر فنزلوا على ظاهر دمشق نحو الشماسيّة ووافى معهم كثير من العجم واكرمهم الفتكين وحمل اليهم الميرة وخرج نحوهم واقاموا على دمشق اياماً ورحلوا متوجهين الى الرملة . وكان ابو محمود ابرهيم بن جعفر لما عرف خبرهم تحصّن بيافا فلما نزلوا الرملة شرعوا في القتال ولما امن الفتكين من ناحية مصر والرملة عمل على اخذ ثغور الساحل وسار فيمن اجتمع اليه ونزل صيدا فكان بها ابن الشيخ واليا ومعه رؤوس من المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي تقدم ذكره في دمشق فقاتلوه وكانوا في كثرةٍ وطمعوا في الفتكين وامتدّوا خلفه ونزل على نهر وطفت الرعيّة من صيدا وخرج منهم خلقٌ كثير وقال الفتكين لساقة العسكر : اطلبوا طريق بانياس وتبعوهم . فحملت عليهم الاتراك ورمتهم المغاربة بالحرب فلقوهم بالصدور (14) واقلبوا باللتوت عليهم وداسوهم بالخيل عليها التجافيف فانهزموا واخذهم السيف وكان ظالم بن موهوب معهم فانهزم الى صور وأحصي القتلى فكانوا اربعة الف وطمع في اخذ عكا وتوجه نحوها . وقد كان العزيز بالله كاتب الفتكين بمثل ما كاتبه به المعزّ لدين الله من الاستمالة ووعده بالاصطناع واخذت عليه البيعة وظهرت منه الطاعة فاجابه فيه جواباً فيه بعض الغلظة وقال : هذا بلدٌ اخذتُه بالسيف وما ادينُ فيه لاحدٍ بطاعةٍ ولا اقبل منه امراً . وغاظ العزيز هذا الجواب منه واحفظه واستشار ابا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس وزيره فيما يدبّر امر الفتكين به فاشار باخراج القايد جوهر اليه مع العساكر فامر بالشروع في ذلك وترتيب الامر فيه . وعرف الفتكين ذلك وما وقع العزم عليه فجمع وجوه اهل دمشق واشرافها وشيوخها وقال لهم : قد علمتم انني لم اتوسّطكم واتولّى تدبيركم الّا عن رايكم

Marfat.com

ومرادكم وقد طالبني من هذا السلطان ما لا طاقة لي به وانا منصرف عنكم وداخل الى بلاد الروم وعامل على طلب موضع اكون فيه واستمدُّ ما احتاج اليه منه لئلا يلحقكم بقصدكم من يقصدكم ما يثقل به الوطأة عليكم وتصل به المضرّة اليكم. وكان اهل دمشق يابون المغاربة لمخالفتهم لهم في الاعتقاد ولانهم أُمويّون ولقبح سيرة الناظرين الذين كانوا عليهم فقالوا: اما اخبرناك لرئاستنا وسياستنا على ان نمكنك من تركنا ومفارقتنا او نالوك جهداً من نفوسنا ومساعدتنا ! ونفوسنا دونك وبين يديك في المدافعة عنك. وجددوا له التوثقة على الطاعة والمناصحة . وفصل جوهر في العسكر الكثيف من مصر بعد ان استصحب امانًا من العزيز بالله لا لَفتكين وخاتمًا ودستًا من ثيابه وكتابًا اليه بالعفو عنه وعمّا فرط منه فلما حصل بالرملة كاتب الفتكين بالرفق واللاطفة وان يبلغ له ما يريده واعلمه ما قرّره له مع العزيز بالله وأَخذه امانه الموكد والتشريف الفاخر واشار عليه في اثناء ذلك بترك اثارة الفتنة وان يطلب صلاح الحال من جهته واقرب طُرقهِ. فلما وصل الكتاب اليه ووقف عليه اجابه عنه بالجميل من (15) الجواب والمرضيّ من الخطاب والشكر على ما بذله له من نفسه وغالطه في المقال واحتجّ عليه باهل دمشق فيما يصرف رايه وتدبيره عليه. وكان كاتب الفتكين المعروف بابن الخمّار وهو يرى غير راي المغاربة ويزري عنده على اعتقادهم ويقرّر في نفسه وجوب قتالهم ووقف جوهر على كتابهِ فعلم انه مُصرّ على الحرب فسار اليه حتى اذا قرب منه ووصل الى دمشق نزل في العسكر بالشماسيَّة وبرز اليه الفتكين في اصحابه ومن حشده من العرب وغيرهم ونشبت الحرب بين الفريقين واتّصلت مدّة شهرين وقُتل فيها عدَد كثير من الطائفتين وظهر من شجاعة الفتكين والغلمان الذين معهُ ما عظُموا به في النفوس وتحصّلت لهم الهيبة القوية في القلوب. واشار عليه اهل دمشق بمكاتبة ابي محمد الحسن بن احمد القرمطي واستدعائه للاجتماع معه على دفع المغاربة ففعل وسار الحسن متوجهًا اليه في عسكره وعرف جوهر خبره فعلم انه متى حصل بين عدوّين ربما تمّ عليه مكروه منهما فرجع الى طبرية. ووصل الحسن بن احمد الى الفتكين واجتمعا وتحالفا وتعاقدا وسارا في اثر جوهر فاندفع منهما الى الرملة واقام بها وانفذ رحله واثقاله الى عسقلان وكتب الى العزيز يعرّفه بصورة الحال ويستأذنه في قصد عسقلان ان دعته الى ذلك ضرورة ووافى الفتكين والحسن بن احمد القرمطي ونزلا على الرملة ونازلا جوهرًا وقاتلاه واجتمع اليهما من رجال الشام وعربها تقدير

خمسين الف فارس وراجل ونزلوا بنهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من البلد ولا مـاء لأَهله الّا منه فقطعاه عنهم واحتاج جوهر وعسكره والرعية الى الماء المجتمع من المطر في الصهاريج وغناء. . . .قليل ومادَّته الى نفادٍ ورأى جوهر انه لا قدرة له على المقام ومقـاومته القوم فرحل الى عسقلان في اول الليل ووصل اليها في اخره وتبعه الفتكين والقرمطي اليها ونزلا عليها وحاصراه فيها وضاقت الميرة به وغلت الاسعار عنده وكان الوقت شتاء لم يمكن حمل الاقواتِ اليه في البحر واشتدَّت الحال حتى اكلت المغـاربة واهل البلد الدوابّ الميتة وابتاعوا الخبز اذا وجدوه (15) حساب كل خمسة ارطالٍ بالشامي بدينار معزّي. وكان جوهر شجـاعاً مبارزًا وربَّما خرج وتقدَّم واذا وجد فرصةً من الفتكين دعاه الى الطاعة وبذل له البذول المرغّبة فيسترجعه الفتكين ويسترجله ويهم ان يقبل منه ويجيبه ثم يثنيه عنه الحسن بن احمد وابن الخمّار الكاتب ويمنعانه ويخوّفانه ويحذّرانه وزاد الضيق والشدَّة على المغاربة وتصوّر جوهر العطب ان لم يُعمل الحيلة في الخلاص فراسل الفتكين سرًّا وساله القرب منه والاجتماع معه ففعـل ذلك الفتكين ووقفا على فرسيهما فقال له جوهر: قد علمت ما يجمعني واياك من حرمة الاسلام وحرمة الدين وهذه فتنة قد طالت وأُريقت فيها الدماء ونحن المأخوذون بها عند الله تعالى وقد دعوتك الى الصلح والموادعة والدخول في السلم والطـاعة وبذلت لك كل اقتراحٍ وارادةٍ واحسانٍ وولايةٍ فابيت الّا القبول ممَّن يشبّ نار الفتنة ويستر عنك وجه النصيحة فراقِب الله تعـالى وراجع نفسك وغلِّب رايك على هوى غيرك. فقال له الفتكين: انا والله واثق به وبصحة الراي والمشورة منك لكنني غير متمكن ممـا تدعوني اليه ولا يرضى القرمطي بدخوله فيه معي. فقال له: اذا كان الراي والامر على ذلك فاني اصدقك على امري تعويلًا على الامانة وما اجده من الفتوة عندك فقد ضـاق الامر وامتنع الصبر واريد ان تمن عليَّ بنفسي وبهاولآء المسلمين الذين معي وعندي وتذمّ لي لامضي واعود الى صاحبي شاكرًا وتكون قد جمعت بين حقن الدماء واصطنـاع المعروف وعقدت عليَّ وعلى صاحبي مِنَّةً تحسن الاحدوثة عنك فيها وربَّما املتُ المقابلة لك عنها. فقـال له الفتكين: افعل وامن على ان أُعلِّق سيفي ورمح الحسن بن احمد على باب عسقلان وتخرج انت واصحابك من تحتها. فرضي جوهر بذلك وتعاهدا وتصافحا عليه واخذ ختم الفتكين رهنًا على الوفاء به وافترقا وعـاد الفتكين الى عسكره وجوهر الى البلد وأنفذ جوهر الى الفتكين الطافًا كثيرة ومالًا فقبل ذلك منه وكافاه عليه. وانفذ

Marfat.com

الفتكين الى القرمطي يعرفهُ ما جرى بينه وبين جوهر (16r) فركب الحسن اليه وقال له : لقد اخطأتَ فيما فعلته وبذلته وجوهر هذا ذو رأي وحزمٍ ودهاء ومكرٍ وقد استقلّك بما عقده معك وسيرجع الى صاحبه ويحمله على قصدنا ثم لا يكون لنا به طاقة فياخذنا ومن الصواب ان ترجع عن ذلك حتى يهلك هو واصحابه جوعاً وتاخذهم بالسيف. فقال له الفتكين: قد عاهدتهُ وحلفت له وما استجيز الغدر به. وعلقا السيف والرمح وخرج جوهر واصحابه تحتهما ووصل الى مصر ودخل على العزيز بالله وشرح له الحال واستفحال امره ومن معه فقال له: ما الراي. قال: ان كنت تريدهم فاخرج بنفسك اليهم والّا فانهم واردون على اثري. فامر العزيز باخراج الاموال ووضع العطاء في الرجال وبرّز بروزًا كليًا واستصحب الخزائن والذخائر وتوابيت ابائه على القوم في ذلك وسار جوهر على مقدّمته. ووردت الاخبار على الفتكين والحسن القرمطي بما جرى فعادا الى الرملة وجمعا العرب واتفقا واحتشدا وتأهبا واستعدّا وورد العزيز في العساكر ونزل في الموضع المعروف بقصر ابن السرح بظاهر الرملة والفتكين والقرمطي على قرب منه في الموضع المعروف ببركة الخيزران وبات العسكران على اعداد للحرب وباكراها وقد اصطفّ كل منهما ميمنةً وقلباً وميسرةً وحال الفتكين بين الصفّين يكرّ ويحمل ويطعن ويضرب فقال العزيز لجوهر: أرِني الفتكين. فاشار اليه وقيل انّه كان في ذلك اليوم على فرس ادهم بتجافيف من مرايا وعليه كذاغند اصفر وهو يطعن تارةً بالرمح ويضرب اخرى بالسيف والناس يتحامونه ويتّقونه فاعجب العزيز ما راى منه ومن هيئته وفروسيته وعلى راسه المظلّة ووقف وانفذ اليه ركابيًا يختصّ بخدمته يُقال له غُيرَة وقال له: قل: يا الفتكين انا العزيز وقد ازعجتني عن سرير ملكي واخرجتني لمباشرة الحرب بنفسي وانا مُسامحك بجميع ذلك وصافح لك عنه فاترك ما انت عليه ولُذ بالعفو (16v) مني فلك عهد الله وميثاقه اني اومنك واصطفيك وانوّه باسمك واجعلك اسفهسلار عسكري واهب لك الشام باسره واتركه في يدك. فمضي غيرة الركابي اليه واعاد الرسالة عليه فخرج بحيث يراه الناس وترجّل وقبّل الارض مرارًا ومرّغ خدّيه عليها معفرًا وقال له: قل لامير المؤمنين لو تقدّم هذا القول منك لسارعتُ اليه واطعتُ امرك فامّا الان فليس الّا ما ترى. وعاد غيرة وقال ذلك للعزيز فقال له: ارجع اليه وقل له يقرُبُ مني ويكون بحيث اراه ويراني فان استحققتُ ان يضرب في وجهي بالسيف فليفعل. فمضى غُيرة وقال له ذلك فقال: ما كنتُ

الذي اشـاهد طلعةَ امير المؤمنين وانابذُهُ بالحرب وقد خرج الامر عن يدي . ثم حمل على الميسرة فكسرها وهزمها وقتـل كثيرًا ممن كان فيها وشاهد العزيز ما جرى وكان في القلب فراسل الميمنة بالحملة وحمل هو والمظلّة على راسه فـانهزم الفتكين والقرمطي ووضع السيف في عسكريهما فقتل منه نحو عشرين الف رجل ومضى الحسن القرمطي هاربًا على وجهه . وعاد العزيز الى مُعسكره ونزل في مضاربه وجلس الاسرى بحضرتهِ والعرب تجيئه بمن يقع في ايديها من اصحاب الفتكين والخِلَع تخرج اليهم مقابلة عن ذلك وقد بذل لمن يجئه بالفتكين مائة الف دينـار وكان الفتكين يميل الى المفرج بن دغفل بن الجرّاح ويتمرّده لانه كان وضيء الوجه صبيحه وشاع ذلك عنه فيه واتفق ان انهزم فطلب ساحل البحر ومعه ثلثة من غلمانه رفقانه وبه جراح وقد كدَّه العطش فلقيته سريّة من الخيل فيها المفرّج فلما راه التمس ماء فاعطاه اياه وقال له : احملني الى هناك . ففعل حتى اذا وصل الى قرية تعرف بلبنا انزله فيها واحضره ماء وفاكهةً ووكّل به جماعةً من اصحابه وبادر الى العزيز فتوثّق منه في المال الذي بذله في الفتكين ثم عرّفه حصوله في يده واخذ جوهرًا ومضى فسلّمه اليه وورد المبشرون الى العزيز بحصوله فتقدّم بضرب نوبةٍ من مضاربه وفرشها واعداد ما يحتـاج الى اعدادهِ من الآلات (17r) للاستعمال فيها واحضـار كل من حصل في الاسر منسوبًا اليه فاحضر وأُومنوا وكسوا ورُتبوا في اشغـالهم المنسوبة اليهم في خدمته ووصل الفتكين وقد خرج العسكر لاستقباله وهو غير شاكٍّ في انه مقتولٌ فامر العزيز ان يعدل به الى النوبة المضروبة وكانت قريباً من مضاربه وبين يديه مختار الصقلبي صاحب القصر في جماعة من الخدم والصقالبة يمنعون النـاس منه ويحولون بينه وبينهم فلما راى القوّاد والصقالبة والمغاربة باب سُرادق العزيز ترجّلوا عن دوابّهم وقبلوا الارض ففعل الفتكين مثل ذلك ودخل المضارب المعدَّة له فشاهد اصحابه وحاشيته على ما كانوا عليه من الحال والعمل في خدمته وحُمل الى دست قد نُصب له ليجلس عليه فرمى نفسه الى الارض ورمى ما على راسه وعفر خدّيه على التراب وبكى بكاء شديدًا لم يسمع منه نشيجه وقال : ما استحققتُ الابتداء عليَّ فضلًا عن العفو الكريم والاحسان الجسيم ولكن مولانا ابي الّا مـا يقتضيه اعرافه الشريفة واخلاقهُ المنيفة . وامتنع من الجلوس في

---

١) وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : حكي القفطي في تاريخهِ هذا بعينهِ . والقفطي ابو الحسن علي بن يوسف مات في سنة ٦٤٦

Marfat.com

الدست وقعد بين يديه واتاه بعد ساعةٍ امين الدولة الحسن بن عمّار وهو اجلُّ كتّابه وجوهر ومعهما عدة من الخدم على ايديهم الثياب فسلّما عليه واعلماه رضى العزيز عنه وتجـاوزه عن الهفوة الواقعة منه والبسه جوهر دستاً من ملابس العزيز كان في جملة الثياب وقال له: امير المؤمنين يُقسم عليك بحقهِ الّا طرحت سوء الاستشعار وعدت الى حـال السكون والانبساط. فجدّد الدعاء وتقبيل الارض وشكر جوهراً على ما ظهر منه في امره وعـاد الحسن وجوهر الى العزيز فاخبراه ما كان منه. وواصله العزيز بعد ذلك بالمراعاة والملاطفة في الفواكه والمطاعم وتقدّم من غدٍ الى البازيارية واصحـاب الجوارح بالمصير الى باب مضربه وراسله بالركوب الى الصيد تانيساً له وقاد اليه عدّة من دوابّ بمراكبها فركب وهو يشاهد القتلى من اصحابه وعاد من متصيّده عشاء فاستقبله الفرّاشون بالشمع والنفاطون بالمشاعل ونزل في (17) مضاربه فلما كان في الليل ركب العزيز اليه ودخل عليه فبادر الى استقبالهِ وتقبيل الارض وتغبير خديه بالتراب فـاخذ العزيز بيده وامره بالجلوس فامتنع ثلث مرّات ثم جلس فسالهُ عن خبره وخـاطبه بما سكن نفسهُ وقال له: ما نقمت عليك الّا انني دعوتك الى مشاهدتي تقديراً ان تستحيي مني فابيت وقد عفوت الان عن ذلك وعدتُ الى افضل ما تحبّ ان تطيب نفسك به وساصطنع لك اصطناعاً يسير ذكره وافعل معك فعلًا ازيد على املك وامنيّتك فيهِ. فبكى الفتكين بين يديهِ وقال: قد تفضّلتَ يا امير المومنين عليّ تفضُّلًا ما استحققتهُ ولا قدّرتهُ وارجو ان يوفّقني الله بخدمتك ومقابلة نعمتك. وانس الفتكين بعد ذلك وخاطب فيمن بقي من اصحابه حتى اوجب لهم الارزاق الواسعة والتقريرات المتتـابعة ونزلوا على مقاديرهم ورتبهم في مواضعهِ واستحجبهُ العزيز وجعلهُ من اخصّ خـاصّتهِ واقرب صـاحب من خدمة حضرته. وكان العزيز قد انفذ النُّجب بالرسل والكتب تابعةً للحسن بن احمد القرمطي فلحقوه بطبرية واعـادوا عليهِ الرسائل بالصفح عمّا جرى منهُ والدعاء الى وطء البساط ليصطنعهُ ويصطفيهِ والتماس ما يريده ليبلغهُ لهُ ويرجع الى بلاده فـاقام على امره وترددّت المراسلات اليهِ ومنهُ والوسيط جوهر الى ان تقرّر الامر على ثلاثين الف دينار لهُ ولاصحابهِ تحمل اليهِ في كل سنة ويكونوا على الطاعة والموادعة وحُمل اليهِ مـال سنةٍ واضيف اليهِ ثياب كثيرة وخيل بمراكب وتوجّه اليهِ جوهر وقـاضي الرملة فاستحلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة واخذا له المواثيق المسدودة المؤكدة واعطياه المال والخِلَع والحملان وانصرف الى الاحساء. وعاد العزيز الى مصر

Marfat.com

والفتكين حاجبه ولم يزل المال المقرَّر للقرمطي يحمل اليه في كل سنة على يد ابي المنجَّا صاحبه الى ان مات. ووصل العزيز الى مصر والقاهرة فدخلها ونزل في قصره وانزل الفتكين في دارٍ حسنة بعد ان فُرشت بالفروش الكثير وركب وجوه سائر الدولة اليه حتى لم يتأخر احد منهم عنه ووافاه فيمن وافاه ابو الفرج (18r) يعقوب بن يوسف ابن كلّس الوزير بعد ان لاطفه وهاداه وزاد امر الفتكين بين يدي العزيز وتكبّر على ابن كلّس الوزير وامتنع من قصده والركوب اليه وامره العزيز فلم يفعل وتدرَّجت الوحشة بينهما حتى قويت واستحكمت واعمل الحيلة الوزير في الراحة منه ودسَّ اليه سمًّا فقتله به ولمَّا مضى لسبيله حزن العزيز حزنًا شديدًا عليه واتّهم ابن كلّس واعتقله نيفًا واربعين يومًا صحّ له منه خمسمائة الف دينار وواقفت الامور باعتزاله النظر فيها فاعاده العزيز وجدّد اصطناعه واستخدامه

ولاية قسَّام التراب لدمشق بعد الحاجب الفتكين المقدَّم ذكره

والسبب في غلبتهِ على الامر في سنة ٣٦٨ وما آل امره اليهِ

السبب في غلبة قسام على ولاية دمشق ان الفتكين المعزّي المذكور كان قد استخدمه وقدَّمه واعتمد عليه وسكن في كثير من امره اليه فصار له بذلك صيت يُخشى به ويرجا له. واتفق خلو البلد من اكابر الولاة بعد الفتكين وفراغه من شجعان الرجال وكان فيه المعروف بجميدان قد وليه وامر فيه ونهي واخذ واعطى ففسد الامر بين قسَّام وبين حميدان فصار حميدان من تحت حكم قسَّام لقهره له بكثرة من معه من الاحداث واستيلائه على البلد فطرده قسَّام عن الولاية ونهب اصحابه ما كان في داره وخرج هاربًا فتمكَّن قسَّام من البلد واستقامت حاله فيه واجتمعت اليه الرجال وكثر ما في يده وقويت شوكته وتضاعفت عِدّته وعُدّته وولي القائد ابو محمود البلد بعد حميدان في نفر يسيرٍ وهو ضميمة لقسَّام. واتفقت النوبة الحادثة ببغداد بين الديلم والعرب من بنى حمدان وهروب ابي تغلب الغضنفر بن حمدان في البرية والجبال الى ان خرج الى حوران فقصد دمشق ونزل عليها فمنع قسَّام من دخول احدٍ من رجاله اليها ووصل كتاب العزيز بالمنع له من البلد فسأل ابو تغلب عامل الخراج بدمشق ان يمكّن اصحابه من ابتياع ما يحتاجون اليه من الاسواق فكلّم العامل قسَّامًا في ذلك فاذن له فيه ودخل اصحابه (18v) البلد وقد كان طمع ان يوليه العزيز وكان قسَّام

Marfat.com

قد خـاف من ذلك وسعي قوم بينهما وكان ابو تغلب نازلاً بالمزّة فاقام بها شهوراً فشقّ قسّام مقامه وظن انه يلي البلد. فلما كان في بعض الايام وقف رجل من العجم من اصحاب ابن تغلب في باب الجابية وكان نشوانًا فجرّد سيفه وقال: الى كم يكون هذا العيّار. فعظم ذلك على قسّـام وتخوّف ان يكون لابي تغلب سلطنة فيملكه ومن معه ففسد الامر بينهما بهذا السبب وتقدم قسّام الى اصحابه باخذ كل من يدخل من اصحاب ابي تغلب فكمنوا في خراب قينية فاخذوا منهم نحو سبعين رجلًا وقتلوا منهم جماعة وعاد من افلت منهم الى ابي تغلب عراة قد اخذت ثيابهم ودوابّهم فلم يتمكّن ابو تغلب من شيء يفعله. وكتب الى مصر بذلك فلما وقف ابن كلّس الوزير على الكتاب انهاه الى العزيز فعلم العزيز ان هذا من تدبير الوزير وحيلهِ. وكتب قسّام الى مصر يذكر ان ابا تغلب قد حصر دمشق ومدّ يده في الغوطـة وخرج من مصر غلام لابن كلّس يقـال له الفضل بن ابي الفضل في عسكر كثيف لمحيلة على ابي تغلب واهلاكه ونزل الرملة واوصل الى ابن جرّاح سجلًا بولاية الرملة وقال: ان هذا ابا تغلب يريد ان يسير اليها لياخذها بسيفهِ وانا معين لك عليه وكان ابو تغلب قد رحل عن دمشق نحو الفوّار ونزل عليه وسار الفضل ونزل طبرية وراسل ابا تغلب في الاجتماع معه وكان الفضل يهوديًا اولاً وكان ابوه طبيبًا فكبرت نفس ابي تغلب ان يجلس معه على سرير من جهة اليهودية فأعلم ذلك فقال: كلّ منا على سرير. فاجتمعـا في طبرية وجلس كل منهما على سريره وجرت بينهما محاورات على ان الرملة ولاية لابي تغلب ويقلع ابن جرّاح منها « وانا معين لك عليه » وقرر ذلك في نفسه وسار الفضل الى دمشق يجبي الخراج ويفضه في الجند وزاد في العطـاء وزاد في جنده وعسكره وسار عن دمشق واخذ طريق الساحل. وشرع ابو تغلب في امره وتوجّه نحو الرملة وقد اجتمع اليه بنو عقيل مع شبل بن معروف العقيلي فهرب ابن جرّاح (19r) منها وجعل يحشد العرب ويحشد ثقةً بمعونة الفضل له وكذلك ابو تغلب مثله ايضًا فلما توجّه الفضل على الساحل ونزل على عسقلان وقصد ابن جرّاح ابا تغلب بعسكره وسـارت بنو عقيل مع شبل ابن معروف واصطلوا القتال للطاس (كذا) وابو تغلب واقف في مصافّه وعاد الفضل واجتمع مع ابن الجرّاح بعسكره وكان معه مغاربة كثيرة فقالوا لابي تغلب: قد اجتمع عسكر الفضـل مع عسكر ابن جرّاح. فقال: على هذا جرت الموافقة بيني وبينه. فلما نظر المغـاربة الذين كانوا مع ابي تغلب الى مغاربة الفضل قد اقبلوا مع عسكر ابن

131903

Marfat.com

جرّاح حملوا يريدون الدخول معهم فقالوا لابن تغلب: احمل في اثر هؤلاء من قبل ان يدهمك الامر. فبقي متحيّرًا وعلم ان الحيلة قد تمّت عليه فلما حمل المغاربة الذين كانوا معه وساروا مع اصحابهم واقبل العسكران على عسكر ابي تغلب فانهزم جميع من كان معه ثم انهزم هو فلم يدرِ في اي طريقٍ ياخذ وكانت عُدّته في الغابة جميعها وذكر انه لم يتقدّم اليه رجل الّا ضربه. ولم يزل على ذلك حتى تبعه رجل من اصحاب ابن جرّاح يقال له مَنيع فصاح اليه: يا انسان اسمع مني انا الحق بك. وظن ان كلامه حق فقال له: هذه الخيل التي امامك خيلنا فلو وقفتَ عليّ لنجوت بك. وكان يتكلّم معه وهو يقرب منه وبيده رمحٌ فطوّل الرمح وهو يكلمه وهو يظن الّا يقدر عليه فلم يمكنه في ابي تغلب شيء فطعن عرقوب فرسه فوقف به الفرس فاخذه وسار به الى ابن جرّاح فأركب جملًا وأشهر بالرملة وقتله واحرقه وذلك في صفر سنة ٣٦٩ وخلت الديار لابن جرّاح واتت بنو طيّ على الناس وشملهم البلاء منهم. وكان العزيز قد خاف من الملك عضد الدولة فناخسره بن بويه خوفًا شديدًا لانه كان عازمًا على انفاد العساكر الى مصر فعاقه عن ذلك الخلف الجاري بينه وبين اخيه واشتغاله به في سنة ٣٦٩

سنة تسع وستين وثلثمائة

فيها خرج العسكر المصري مع القايد سليمان بن جعفر بن فلاح في اربعة الف من المغاربة ووصل الى دمشق فصادف قسّامًا قد غلب عليها فنزل في بُستان الوزير (19[٧]) بزقاق الرمّان وعسكر حوله في دور هناك. فثقل امره على قسّام وطال مقامه في غير شيء وقلّت نفقته ورام ان يُظهر صرامة فيتمكّن من البلد فقال لقسّام: لا يحملنّ احدٌ سلاحًا. فابوا ذلك فبعث الى الغوطة من يتلوها ويمنع من خفارةٍ تُؤخذ منها وحمل السلاح فيها فأُعلم قسّام ذلك فقال: لا يُحفَل بهذا الامر بل كونوا على ما كنتم عليه. وثار قسّام ومن معه الى الجامع وصاروا الى البستان الذي فيه سليمان فاخرجوهم وخرج سليمان واصحابه الى الدكة ونزل على نهر يزيد وقسّام جالس في الجامع ولم يشهد الحرب مع اصحابه وقد احضر المشايخ وكتب بما جرى الى مصر وعمل محضرًا على نفسه انه «متى جاء للملك عضد الدولة عسكر اغلق الابواب وقاتله ليكون لك معونةً على ما يريده» فلما وقف عليه العزيز وافق غرضه وانفذ رسله وكتابه الى سليمان بن فلاح يأمره بالرحيل عن دمشق فرحل عنها وكان مقامه بها

Marfat.com

شهوراً من سنة ٣٦٩ ورجع القائد ابو محمود الى دمشق . ولما تمَّ للفضل ما دبَّره على ابي تغلب ووافق الاغراض عزموا على اعمال الحيلة على ابن جرَّاح لان امره كبر وشرّه ظهر وتوجّه الى قسَّام ليعمل ايضاً عليه واظهر انه يريد المسير الى حمص وحلب لياخذهما وجمع بني عقيل ونزل بظاهر دمشق وعلم ابن جرَّاح بمكاتبته لبني عقيل فاخذ حذره وامر اصحابه بالرحيل وركب اصحاب الفضل واخذوا من العرب تقدير خمسمائة فارس وسار ابن جرَّاح عن دمشق . وانضمت بنو عقيل الى الفضل مع شبل وظالم في صفر سنة ٣٧٠ وبطل كل ما اراد الفضل عمله من الحيلة على ابن جرَّاح وقسَّام ورحل عن دمشق في طلب ابن جرَّاح وجدّ في طلبه فبعُد عنه وكتب ابن جرَّاح الى مصر يتلطَّف امره فورد الامر على الفضل بالكفّ عنه وعاد الفضل الى مصر وعاد ابن جرَّاح الى فلسطين فاخربها واهلك من فيها . وكان الرجل يدخل الى الرملة يطلب فيها شيئاً ياكله فلا يجده ومات الناس بالجوع وخربت الاعمال

واماً دمشق فكان قد اشتدّ بها غلاء السعر . وكان بكجور قد ولي حمص من قبل سعد (20r) الدولة ابي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان فواصل اليها الغلة مع العرب بحيث اتصلت مع الايام وعمرت الطرقات وجعل فيها من يحفر سالكيها . وكانت العرب قد طمعت في عمل دمشق وافسدت الغوطة وكان بها القائد ابو محمود واليها في ضعفٍ وهو ضميمةٌ لقسَّام فملك في دمشق في سنة ٣٧٠ وكان بكجور قد ضمِن اعمال المغاربة قارا ويبرود ومعلولا والتينة وصيدنايا والمعرَّة وتلفيتا وغيرها من ضياع جبل سنير فحماها من العرب والحرامية وحسنت حال دمشق بذلك . وكاتب بكجور العزيز في ترغيبه في الاجناد حَمَلَة السلاح فاجتمع اليه حين فعل ذاك الخلق الكثير من سائر البلاد وكانوا حوله اذا ركب من داره فقهر بهم المغاربة واستظهر عليهم في سنة ٣٧٠

وفيها وردت الاخبار بوفاة الملك عضد الدولة فناخسره بن بويه في يوم الاثنين ثامن شوّال منها وكتم امره وكانت مدته بالعراق خمس سنين ونصفاً وانتهى ذلك الى الوزير بن كلّس فدخل على العزيز فاعلمه فسُرّ بذلك وخلع عليه وامنوا بعد وفاته وعملوا على الخروج الى الشام (١

---

١) واما المراسلة بين عضد الدولة والعزيز فقد قال سبط ابن الجوزي ان في شعبان سنة ٣٦٩ ورد رسول العزيز صاحب مصر الى عضد الدولة ويكنّى بابي الوليد وما زالت كتبه تتواتر حتى

Marfat.com

سنة احدى وسبعين وثلث مائة

فيها وقع الاهتمام بتجهيز العساكر المصرية الى ابن جرّاح وقد اشتهر امره بارتكاب العيث والفساد واخراب البلاد فلمّا سار العسكر من مصر مع القائد بلتكين التركي وكان فيها اعجام ومغاربة ومن كل الطوايف فنزل الرملة واجفل ابن جرّاح وكان قد قوي امره وصار معه جند يرمون بالنشّاب وخلق عظيم وسار معه بشارة والي طابرية واجتمع اليه من العرب من قيس وغيرها جمع كثير ونشبت الحرب بين الفريقين وكان بلتكين المقدم قد خرج على ابن جرّاح من ورائه بعد اشتداد الحرب فانهزموا واخذهم بالسيف واسر ابن جرّاح وافلت ونهب عسكره وقصد ارض حمص في البرية وقصد انطاكية واستجار بصاحبها فاجاره وامنه. وصادف خروج باردس من قسطنطينية في عسكر عظيم يريد ارض الاسلام فخاف ابن جرّاح وكاتب بكجور خوفًا على نفسه. وكان القائد بلتكين (20^٧) المقدّم قد نزل على دمشق في ذي الحجة سنة ٣٧٠ وكان على العسكر منشا بن الفرار اليهودي فتلطّف امر قسّام فلم يتمكّن من ذلك وكان بدمشق مع قسّام القائد جيش بن الصمصامة شبه والٍ وقد كان ولي البلد بعد مهلك خاله القائد ابي محمود في سنة ٧٠ (١) ولما نزل القائد بلتكين مقدّم العسكر المصري على المزّة وجده رجلًا احمق فلم يحفل به ودخل على منشا الكاتب فقال: اني قضيت حق هذا القائد ولم يجئ اليّ ولم يقض حقي وانا الوالي. فهزأ به منشا وقال له: نعم انت الوالي. وظن انما نزول العسكر على دمشق ليصلح البلد وقالوا: تخرج انت ومن معك الى ظاهر البلد. فخرج هو ومن معه فعسكر نحو مسجد ابرهيم عليه السلام وكان عسكر بشارة نازلًا في ذلك المكان وكانت المراسلة بينهم وبين قسّام ان يسلّم البلد ويكون هو امنًا على نفسه ومَن معه فعلم قسّام انهم ان بقوا في البلد اهلكوه ومن معه فقال: لا اسلّم البلد. وضبط اصحابه فلما كان يوم الثلثا التاسع عشر من المحرم سنة ٣٧٢ وقع بين قوم من اصحاب قسّام وقوم من اصحاب القائد بشارة الخادم عند باب الحديد فظهر

اجابه عضد الدولة بصدق الطوية واخلاص النية. وذكر ابن الصابي ما يدلّ على ان عضد الدولة ابتداه بالرسالة فقال: وقعت على هذا الكتاب وفيهِ: من عبد الله وليّه تزار ابي منصور الامام العزيز بالله امير المؤمنين الى عضد دولة الامام ونصير ملة الاسلام ابي شجاع بن ابي علي سلام عليك

(١) قال الذهبي انهُ عُزل بعد سنتين

Marfat.com

عليهم اصحاب بشارة واقبل في غدٍ اصحاب جيش بن الصمصامة فخرج اصحابه اليهم فطردوهم ثم نشبت الحرب واحرق ربض باب شرقي واطلقت النار في عدَّة مواضع وملكوا الشاغور ودخلت الاتراك على خيلهم في البطَّاطين واحرقوا سقيفة وعدَّة مواضع ومساجد وعمها الخراب بعد ما كانت عليه من حسن العمارة واشتدّ بالناس الخوف والمضرّة. فاجتمع الناس وكلَّموا قسَّاماً بان يخرجوا الى القائد بلتكين فيصلحوا الامر معهُ فلازمهم وذلّ بعد تحيّره وتبلّده وقال: افعلوا ما شئتم. وكان اجتماع الناس لطفاً من الله تعالى فخرجوا اليه وخاطبوه فصرف اصحابه عن القتال وعن الابواب وانصرف اصحاب قسَّام اليه فوجدوه خائفاً فاخذ كل لنفسه ورجع المشايخ الى قسَّام فقالوا له: قد اجاب القائد الى ما تحب وأمّنك على نفسك واصحابك. فخاطبوه بذلك وهو ساكت حائر وقد بان ذلك في وجههِ فلما راوه كذلك خافوا ان يعود عن تسليم البلد على «امانٍ لي ولاصحابي» (21) فعاد المشايخ الى بلتكين القائد واعلموه الخطاب والجواب فاجابهم الى ما طلب وقال لهم: نُريد ان ننزل على هذا البلد في هذا اليوم. فقالوا: افعل ما تحبّ وتُوثر. فولّي البلد حاجباً يقال له خطلخ في خيل ورجل فدخل المدينة من يومه. وكان مبدا الحرب في هذه النوبة يوم الخميس لعشر بقين من المحرم سنة ٣٧٣ والدخول الى البلد يوم الخميس لثلاث بقين منه ولم يعرض لقسَّام ولا لاحد من اصحابه وتفرّق اصحابه عنه واقام يومين واستتر وقيل هرب فصاروا الى دارهِ واخذوا ما فيها وحولها من دور اصحابه وطُلب فلم يوجد ونودي عليه وبُذل لمن يظهره خمسون الف درهم ولمن يدلّ على مكانه عشرون الفاً فقال لهم قائل: «هو في كنيسة اليهود بين البطَّاطين» فجاءوا الى الديَّان وقالوا: نريد ان نخرب هذه الكنيسة او نحرقها بالنار فان قسَّاماً فيها. فاصعدهم ودار بهم فيها فلم يروا اثراً ولا عرفوا له خبراً فلما اخذت امراته وولده قالت لمن سمع منها: ما تنتظروا يا مشوم. وكان عند رجل في الحائر ولم يفطن به احد فخرج في الليل الى العسكر فوقف على خيمة منشا الكاتب وقال: رجل يريد ان يدخل الى الرئيس. فقالوا: ومن هو. قال: قسام. فدخل عليه على غير امانٍ فبعث الى القائد بلتكين فاعلمه فاخذه اليه وادخله عليه وحملوه الى خيمةٍ وقالوا له: مدّ رجلك. فقال: ما افعل انا جئتكم بامانٍ. فاخرج الحاجب الدبوس فضربه به فمدّ رجله فقُيِّد وحُمل الى مصر فعفي عنه لما جاءهم في الامان. وكان قسَّام هذا اصله من قرية بجبل سنير يقال لها تلفيتا من قومٍ يقال لهم الحارثون بطن من العرب

Marfat.com

نشأَ بدمشق وكان يعمل في التراب ثم انه صحب رجلًا يقال له ابن الجسطار من مُقدّمي الاحداث وحملة السلاح وطالبي الشرّ فصار من حِزبهِ وتزايد امره الى ما انتهى اليه (١

ولاية بكجور لدمشق

والسبب في ذلك في سنة ٣٧٢

كان من ابتداء امر بكجور ما ذُكر انه كان غلاماً مماوكاً لفرغويه احد غلمان سيف الدولة (21[٧]) بن حمدان صاحب حلب وكان فرغويه قد غلب على امر حلب بعد وفاة سيف الدولة ومنع ولده سعد الدولة ابا المعالي منها ودفعه عنها فسار ابو المعالي الى حماة ورفنية وكان ينزل مهمًّا في عسكره. وكانت الروم قد خربت حمصاً واعمالها ونزل رقتاش التركي غلام سيف الدولة من حصن برزويه فلقي مولاه ابا المعالي وسار معه ونزل على حمص وشرع في عمارتها ولمّ شعثها لان الروم لما ملكتها افسدت اعمالها في النوبة الاولى عند خروجهم في سنة ٣٥٨ على غفلةٍ من اهلها وغرّة ممن بها واجتهد رقتاش في عمارتها وتحصينها وابو المعالي يقوي امره بها ويشدّ شوكته فيها. وكان فرغويه قد استناب بكجور في حلب فلما قوي امره قبض على مولاه وحبسه في قلعة حلب وملك البلد واقام تقدير ست سنين. وكوتب ابو المعالي من حلب وأُطمع في تملك البلد في رجال فرغويه وان يكونوا عوناً له على امره فجمع بني كلاب ومن

---

١) وذكر عين هذا ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة « تلفيتا ». وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام في ترجمة قسّام سنة ٣٧٦: قال القفطي: تغلب على دمشق رجل من العيارين يعرف بقسّام وتحصّن بها وخالف على صاحب مصر فسار لحربه الامير فضل من مصر فحاصر دمشق وضاق باهلها الحال فخرج قسّام متنكراً فاخذته الحرس فقال: انا رسول. فاحضروه الى فضل فقال: انا رسول قسّام اليك لتحلف له وتعوّضه عن دمشق بلداً يعيش فيه وقد يعني البلد سرًّا. فحلف الفضل له فلما توثّق منه قام فقبل يده وقال: انا قسّام. فأعجب به الفضل وزاد في اكرامه فرُدّ الى البلد وسلّمه اليه وقام له بكلّ ما ضمنه وعوّضه موضعاً عاش فيه واحسن العزيز صلته. ذكر القفطي ان ذلك كان في سنة ٦٩ ثمّ قال: وذكر بعضهم ان أخذ دمشق من قسّام كان في سنة ٧٢ قلتُ وهو الذي يتحدث الناس عنه انه ملك دمشق وانه قسيم الذيّال. وكان سليمان بن جعفر بن فلاح قد قدم دمشق في جيش فنزل بظاهرها ولم يمكنه وصولها فبعث اليه قسّام بخطه: انا مقيمٌ على الطاعة. فورد البريد الى سليمان ان يترحّل عن دمشق وولي دمشق ابو محمود المغربي ولم يكن له ايضاً مع قسّام امر ولا حلّ ولا عقد فهذا ما عندي من خبر قسّام

امكنه ونهض صوب حلب ونزل على معرَّة النعمان فملكها واخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال لهُ زهير فقتله وسار عنها فنزل حلب سنة ٣٦٦ فاقام عليها تقدير اربعة اشهر ثمَّ تسهَّل له فتحها بحيلةٍ عملها وتحصَّن بكجور في القلعة فراسله ابو المعالي فطلب منه الامان فامنه فقال بكجور: اريد يتوسَّط بيني وبينك وجوه البلد من بني كلاب. فاجابه الى ذلك فتوسَّطوا الامر بينهما واخذوا له العهد والميثاق والامـان على نفسه وولده وماله وانه لا يغدر به ويوليه حمصاً على انه ينحدر من القلعة ويسلَّمها ولا ياخذ منهـا شيئاً الَّا ما لا بدّ منه فاجـابه الى ذلك فولاه حمصاً لمَّا نزل من القلعة وسلَّمها ووفى له بكل ما عاهده عليه. وسار بكجور الى حمص في السنة المذكورة وصرف همهُ الى عمارتها وكان امره كل يوم فيها الى الزيادة بعد الدخول اليها في الضعف. واتَّفق له ان اعمال دمشق من حوران والبَثَنِيَّة قد اختلَّت وخربت على ما تقدم ذكره من قلَّة القوت بها وغلاء السعر فيها وجلا منها خلق كثير الى حمص فعمر البلد وكثر النـاس عنده. وكان في بكجور خور وكان مجتهداً في العمارة (22r) وامن السبل والطرق فلما انقطعت الغلات عن دمشق ومات بها كثير من النـاس جوعاً من اهل حوران والبثنية ورغب الناس الجالبون منها في حمل الغلَّة الى دمشق مكَّنهم من ذلك وحمى لهم الطرق في تردُّدهم بادين وعائدين فحسن حال حمص وكثر السفر اليها ومنها. وكانت العرب قد طمعت في اعمال دمشق وكان واليها القـائد ابو محمود بن جعفر في ضعفٍ وقسام غالب عليه واتفق وفاة ابي محمود ابراهيم بن جعفر المذكور بدمشق في صفر سنة ٣٧٠ وكان بكجور قد ضمن اعمال المغـاربة على ما تقدَّم ذكره وحماها من العرب وحسنت حال دمشق بحمل الغلَّات اليها في تلك الشدَّة. وكان بكجور يكاتب العزيز بالله بمصر وورد الجواب عليه بان « تصير الى بابنـا لنولّيك دمشق » وكان العزيز قد رغب في الجند الذين يعملون السلاح مثل النـاشب والرامح وجمع الجمع الكثير واخرجهم الى حرب الفتكين وجرى من امره ما ذكر في موضعه. فلما كان في سنة ٣٧٢ وقعت الوحشة بين سعد الدولة ابي المعـالي بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وبين بكجور وراسله بان يخرج من بلده فكتب بكجور الى العزيز يسأله انجاز الوعد بولاية دمشق ودعت الحاجة الى عود القائد بكجور مقدَّم العسكر المصري بحكم اعتزام المغاربة على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله وقادت الضرورة العزيز الى ان ولّي بكجور دمشق وكتب الى بلتكين ومنشا كاتب الجيش بان يسلِّم البلد الى بكجور ويرحل عنه.

وقد كان كتب ايضاً كتاباً الى العزيز ان « ان أَنفذ اليَّ عسكراً لآخذ لك حلب » واطمعه في ذلك فانفذ اليه بعض عسكر دمشق فسار بهم ونزل على حلب وحصرها مدة يسيرة. فظهر دمستق الروم باردیس ونزل على انطاكية وعزم على كبس بكجور على حلب فكتب اليه ابن جرّاح يحذّره فرحل عن حلب وتبعه عسكر الروم في اثره وتمّ بكجور ونزل على حمص وحمل مـا كان له الى بعلبك ونزل في جوسيّة في جمع عظيم ونزل ملك الروم ميماس حمص ولم يعرض للبلد ودخل المدينة وشاهد (22^٧) الكنيسة ورحل عنهـا متوجّهاً الى البقيعة يريد طرابلس . وانفذ الى اهل حمص رسولاً يقول لهم : نزيد مالاً يحمل الينا . فقالوا : هذا بلد خراب ليس فيه مـال فرجع ونزل عليها وقال لاهلها : مَن خرج مِن البلد فهو آمن . فخرج قوم واقام قوم فدخل عسكره فنهب وسبى واحرق الجامع ومواضع من البلد وتحصّن قوم بالمغاير فاوقد عليهم فاهلكهم الدخان ولم يعرض للعرب ولا لمن هرب اليها وكان دخول الروم الى حمص يوم الثلثاء التاسع عشر من جمادى الاول سنة ٣٧٣ وهي النوبة الثانية للروم وقيل ان ابا المعالي بن سيف الدولة خاف من اخذ بكجور حلب بالمغاربة فانفذ الى ملك الروم يسأله اخراب حمص . ورجع اكثر من كان مع بكجور من عسكر دمشق اصحاب القائد بلتكين وبقي بكجور واصحابه منتظراً ان يرحل بلتكين عن دمشق ويسير اليهـا . وكان السبب في تأخر ولاية دمشق ان الوزير ابن كلّس كتب الى بلتكين ان لا يسلّم دمشق الى بكجور وعرف العزيز ذاك وكتب يُذكّر بامره وانجاز وعده فسأل العزيز عن تأخر الامر في ذلك فقال له الوزير : الصواب ان لا يلي بكجور دمشق ويعصى فيهـا . قال : نحن استدعيناه لذلك ووعدناه به . فقال : قد كان ذاك والحزم ان لا يُولّى . فقال له : لا بدّ من ذلك . فكتب الوزير الى منشا بن القرار كاتب الجيش : واقِف بكجور على ما ياخذ من المال له ولرجاله وسلِّم ولاية دمشق اليه . فسلّم بلتكين البلد اليه وعاد متوجّهاً الى مصر في يوم الاحد مستهل رجب سنة ٣٧٢ وكانت ولاية بلتكين دمشق خمسة شهور ودخل بكجور البلد والياً في يوم السبت سابع رجب من السنة وقد عرف ان الذي اخر الولاية الوزير بن كلّس فحقد بكجور عليه . وكان لابن كلّس نائب في عمله وضيـاعه يقال له ابن ابي العُود يهودي وكان يكتب اليه باخبار البلد فقال بكجور : هذا عَيْنٌ عليَّ . وتقدّم بقتله فقُتِل فلما بلغ ذلـك الوزير عظم عليه واغتمّ له واعلم الوزير العزيز وقال : هذا مبدأ عصيان بكجور وقد تمكّن من البلد وجاء معه ابن جرّاح وهو عدوٌ .

فلما كان في سنة ٧٧ عزم الوزير على العمل على قتل بكجور (23r) فانفذ الى غلام نصراني عطّار يعرف بابن اخي الكويس من اهل دمشق ان « احتل على قتل بكجور » ولم يكن النصراني من اهل ذاك فقال : لا يتمّ هذا الامر الّا برجل من الجند من اصحابه يُعين على هذا الامر. فكتب رقعةً بما يريد الى بعض اصحاب بكجور. فلما وصلت الرقعة اليه ونظر ما فيها فظنّ ان بكجور دسّها اليه ليبلوه بها فاوصل الرقعة الى بكجور فوقف عليها وقال : اريد من جاءك بها. فقال : انما اوصلتُها اليك لابرأ من امرها ولا اكتمها عنك. فلم يقبل قوله ولجّ في طلبه وقال له : ان الذي اوصل الرقعة اجيرًا لابن اخي الكويس العطّار. فوجّه قبض عليه وعلى الأجير ووضع العقوبة على العطّار وقال : اريد الصبيّ. وقبض على قوم كانوا يعاشرون العطّار فكحّلهم ونفاهم وكان فيهم ثلثة من اهل العلم والفضل يقال لاحدهم ابن الخطّابي والاخر الخلّادي والثالث المستولي واخرج ابن الكويس بعد ما صُفّي ومعه رجلان من المتّهمين فصُلبوا اقبح صلبٍ وماتوا في غد ذلك اليوم في رمضان سنة ٧٧ وبلغ الخبر الوزير ابن كلّس فعظم عليه وازداد حنقًا واعلم العزيز ذاك واتفق ان يخرج اليه عسكر ومعه جرّاح وشرع بكجور في اذيّة الناس من اصحاب الوزير في ضياعه وجار في البلد جورًا عظيمًا ولم يخلُ من القتل والصلب والفتك. فجرّد اليه في سنة ٧٨ القائد مُنير الخادم في عسكر كثيف واصدرت الكتب الى وُلاة الاعمال بالمسير معه ولمّا عرف بكجور ذلك انفذ الى العرب وجمع وحشد واستقبل العسكر فالتقيا وصدقوا القتال وكثر في بني كلاب الطعن والجراح وبشارةُ ومُنير المقدّمان قائمان في اصحابهما عليهما الحديد فحملوا جميعًا على الكلبيين فهزموهم والجؤهم الى حيطان داريّا فرجعوا ومن معهم من اصحاب بكجور خاسرين مفلولين . فخاف بكجور على نفسه ان يؤخذ فراسلهم بانه يسلّم البلد ويرحل عنه وقد كان كوتب القائد تزال والي طرابلس بالمسير والنزول على دمشق وكان عسكره ستة الف فسار فلما (23v) عرف بكجور انفصاله قلق وخاف وذلّ وراسل منشا بن الفرار الكاتب « باني عازم على المسير من هذا البلد واريد ان اكون على عهدٍ وامانٍ ولا اتبعُ بمضرة » فأجيب الى ما التمس وجمع ماله وسلاحه وخاف من الرجعة والحيلة ان يقع عليه من البلد واخفى امره وستر مسيره فلما كان في يوم الثلثاء نصف رجب سنة ٣٨٨ سار خائفًا وجلًا نحو الشرق واخذ مع الجبل وسار معه ابن الجرّاح الى حصن حوّارين فاخذ ما كان له واخفى امره. فلما عرف خبره نهض في

اثره القايد مُنير من غدٍ ونزل على البلد ففرح الناس به وتوجه بكجور الى الرقة وتخلف بدمشق من اصحابه تقدير ثلث مائة رجل فصاحوا « عزيز يا منصور » فأمّنوا. ولما نزل مُنير القـائد على دمشق اصبح القائد نزال نازلًا معه في يوم الخميس فلامه الناس على ما اعتمده من التثاقُل ونفذت المطالعات الى مصر بشرح الحـال فانكر الوزير ابن كلّس فعل منشا واهماله بكجور حتى نجا واشخصه الى مصر مع المستأمنة من اصحاب بكجور وقال له: خليت بكجور خوفًا على نفسك اما كان معه عسكر فيه كفـاية. فقال: لم يكن غير ما فعلتهُ لان نزالاً تاخر عنّا وتثاقل وكان بكجور في قوةٍ وكثرةٍ من العرب وغيرهم وهم اصحـاب دروع وجواشن وخيل سُبَّقٍ. فلم يقبل عُذره وعزله عن تدبير العسكر. وكان ابن كلّس يخاف من بكجور ان تكون له عودة الى ولاية دمشق فيتمكن من دمشق فانفذ رسولاً اليه يقول له: ما اردنا رحيلك عن البلد وانما انفاذنا العسكر لابعاد ابن الجرّاح لفساده وعناده وما كان من ضياعٍ وغلاّتٍ فلك افعل فيها ما احببت فما لنا فيه حاجة. فحمل بكجور ما كان له بدمشق واقام بالرقة منقطعًا ليس له سلطان يستند اليه وكان بالرقة يراسل كُرديًا يقال له باد قد غلب على ميّافـارقين ويراسل ابا المعالي بن سيف الدولة بحلب ان يرُدّه الى العمل الذي كان في يده من حمص. فلما كان في سنة ٣٧٩ خرج عسكر صـاحب بغداد (١ الى باد الكردي المقدّم ذكره لغلبته على الموصل وديار ربيعة فكُسر وانهزم عسكره واصحـابه وعرف بكجور ذلك فخاف من عسكر بغداد فراسل سعد الدولة ابا المعـالي يسئله تولية حمص فاجابه الى ذلك. وكان ابن كلّس يسأل (24' عن اخبـاره بالرقّة خوفًا منه فلما عرف الوزير ذلك قال: يجاورنا بكجور في حمص فطمع في الديار. فارسل الى غلام له يقـال له ناصِحُ الطبّـاخِ بان يسير الى حمص فياخذ مَن بها من اصحاب بكجور فسرى في البرية فلم يشعر به حتى اتاهم فكان ابو المعالي صاحب حلب قد علم بالسريّة فانفذ اليهم من حذّرهم واتفق لهم انهم حملوا وخرجوا من حمص هاربين فلما حصلوا باحمالهم بظاهر البلد ادركتهم السريّة فاخذتهم ورجعت الى دمشق. وفسد امر بكجور مع المغاربة ومع ابي المعالي فراسل صاحب بغداد فلم يَرَ له عنده ما يُحبُّ وكان الوزير ابن كلّس مُضَرِّب بينهما ويطمع كل واحد منهما في صـاحبه. وكان الوزير ابن

---

١) وهو بهاء الدولة بن بويه

Marfat.com

كلّس يهوديًا من اهل بغداد خبيثًا ذا مكرٍ وحيلةٍ ودهاء وذكاء وفطنةٍ وكان في قديم امره خرج الى الشام فنزل بالرملة فجلس وكيلًا للتجار فلما اجتمعت الاموال التي للتجار كسرها وهرب الى مصر في ايام كافور الاخشيدي صاحب مصر فتاجره وحمل اليه متاعًا كثيرًا ويُحال بماله على ضياع مصر وكان اذا دخل ضيعةً عرف غلتها وارتفاعها وظاهر امرها وباطنها وكان ماهرًا في اشغاله لا يُسئل عن شيءٍ من امورها الا اخبر به عن صحّة فكبرت حاله وخُبّر كافور بخبره وما فيه من الفطنة والسياسة فقال: لو كان هذا مسلمًا لصلح ان يكون وزيرًا. فبلغه ما قال كافور فطمع في الوزارة فدخل جامع مصر في يوم الجمعة وقال: انا اسلم (على) يد كافور. فبلغ الوزير ابن حنزابة وزير كافور ما هو عليه وما طمع فيه فقصده وخاف منه فهرب الى المغرب وقصد يهودًا كانوا هناك مع ابي تميم المعزّ لدين الله اصحاب أمره فصارت له عندهم حرمة فلم يزل معهم الى ان اخذ المعزّ مصر فسار معه اليها فلما توفي المعزّ واصحابه اليهود وولي العزيز بالله استوزره في سنة ٣٦٥ وكان هذا الوزير ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلّس كبير الهمّة قويّ النفس والمنة عظيم الهيبة فاستولى على امر العزيز وقام به واستصحبه فعوّل عليه وفوّض امره اليه وكانت اموره مستقيمةً بتدبيره فلما اعتلّ علّة الوفاة ركب اليه العزيز عائدًا فشاهده على حال اليأس فغمّه امره وقال له: وددتُ بانك تباع فابتاعك بملكي او تفتدى وافديك بولدي (24ᵛ) فهل من حاجةٍ توصي بها يا يعقوب فبكى وقبّل يده وتركها على عينه وقال: اما ما يخصني يا امير المومنين فلا لانك [illegible] بحقي من ان استرعيك اياه وأرأف على من اخلفه من ان اوصيك به لكني انصح لك فيما يتعلّق بدولتك. قال: قُل يا يعقوب فقولك مسموع ورأيك مقبول. قال: اسلم يا امير المومنين الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على المفرّج بن دغفل بن الجرّاح متى عرَضت لك فيه فرصة. وتوفي في ذي الحجة سنة ٣٨٠ فامر العزيز ان يدفن في داره بالقاهرة في قبّة كان بناها لنفسه وحضر جنازته وصلى عليه والحده بيده في قبره وانصرف عنه حزينًا بفقده واغلق الدواوين وعطّل الاعمال اياماً (١ (واستوزر ابا عبد الله الموصلي بعده مُدَيدَة ثم صرفه وقلّد

---

١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام في ترجمة الوزير ان هذه المنة له ما نالها وزير قط من مخدومه. وقيل انه حسن اسلامه فقرأ القران والنحو وكان يجمع عنده العلماء ويقرأ عليه مصنّفاته ليلة الجمعة وله اقبال زايد على العلوم على اختلافها وقد مدحه عدّة شعراء وكان كريمًا جوادًا

Marfat.com

عيسى بن نسطورس وكان نصرانيًا مِن اقباط مصر وفيه جلادة وكفاية فضبط الامور وجمع الاموال ووفّر كثيرًا من الخراج ومال الى النصارى فقلّدهم الاعمال والدواوين واطرح الكتّاب المتصرّفين من المسلمين واستناب في الشام رجلًا يهوديًا يعرف بمنشا بن ابرهيم بن الفرار فسلك مسلكهُ في التوفّر على اليهود وعيسى مع النصارى مثله واستولى اهل هاتين الملّتين على الدولة . فكتب رجل من اجلاد المسلمين رقعةً وسلّمها الى امراةٍ وبذل لها بذلًا على اعتراض العزيز ورفع الظُلامة اليه وتسليمها الى يده وكان مضمون الرقعة : « يا امير المؤمنين يا الذي عزّ النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار واذلّ المسلمين بك الّا نظرتَ في امري » وكان العزيز على بغلةٍ سريعةٍ في المشي واذا ركبها تدفّقت كالموج ولم تلحق فوقفت له المراة في ضيق فلما قاربها رمتها اليه فسارع الركابي الى اخذ الرقعة على العادة وغاصت المراة في الناس ووقف العزيز عليها وامر بطلب المرأة فلم توجَد وعاد الى قصره مُنعِمَ الفكر في امره فاستدعى قاضي قضاته ابا عبد الله محمد بن النعمان وكان متقدّمًا عنده في خواصه واهل أنسه فاعطاه الرقعة وقال له : قِف عليها . فلما قرأها قال له : ما عندك في هذا الامر . قال : مولانا أعرف بوجه الرأي والتدبير . فقال : صدقت كاتبتها تهيُّبًا على ما كنّا على غلطٍ فيهِ وغفلةٍ (25r) عنه . وتقدّم في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتّاب النصارى وانشاء الكتب الى الشام بالقبض على منشا بن الفرار والمتصرّفين من اليهود وان تردّ الاعمال في الدواوين الى الكتّاب المسلمين ويُعوّل في الاشراف عليهم على القضاة في البلاد . ثم ان عيسى طرح نفسه على ستّ الملك بنت العزيز وكان يحبُّها حبًّا شديدًا ولا يردّ لها قولًا واستشفع بها في الصفح عنه وتجديد الاصطناع لهُ وحمل الى الخزانة ثلثمائة الف دينار وكتب الى العزيز رقعةً يذكر فيها بخدمته وحُرمته ورضي عنه واعاده الى ما كان عليه وشرط عليهِ استخدام المسلمين في دواوينه واعماله

سنة احدى وثمانين وثلثمائة

كان بكجور قد خاف من عيسى بن نسطوروس الوزير المقدّم ذكره ان يعمل عليه لاسباب تقدّمت بينه وبينه اوجبت ذلك فكتب الى العزيز يذكر لهُ جلالة حلب وكثرة

ومن تصانيفه كتاب في الفقة مما سمعه من المعزّ والعزيز وجلس سنة ٦٩ مجلساً في رمضان فقرأ فيه الكتاب بنفسه وسمعه خلائق وجلس جماعة في الجامع العتيق يفتون من هذا الكتاب . قلت : هذا الكتاب يريد يكون على مذهب الرافضة فان القوم رافضة في الظاهر ملحدة في الباطن

Marfat.com

ارتفاعها وانها دهليز العراق واذا حصلت لهُ كان ما بعدها في يده وان العسكر الذي بها قد كاتبه وبذل الطاعة لهُ والمساعدة ويستدعي منهُ الانجاز والمعونة فاجابهُ بكل ما اراد وكتب الى نزّال والي طرابلس بالمسير اليهِ متى استدعاه من غير استئذانٍ ولا معاودة استيمارٍ وكان نزّال هذا من وجوه قوّادهِ وصنائع عيسى الوزير وخواصه فكتب اليهِ عيسى سرًّا بان يتقاعد ببكجور وتظهر لهُ المساعدة والمسارعة ويستعمل معهُ التعليل والمدافعة فاذا تورّط مع مولاه وقاربهُ تأخر عنهُ واسلمهُ فلم يشكّ بكجور في مسير نزّال اليهِ وسار عن الرقة وكتب الى نزّال بان يسير من طرابلس ليكون وصولها الى ظاهر حلب في وقت واحد فاجابه نزّال ووعده. ونزل بكجور على بالس وفيها غلمان سعد الدولة ابي المعالي صاحب حلب وعدّة من الديلم فقاتلهم وقاتلوه ورحل بكجور وتباطأ نزّال في مسيره وواصل مكاتبة بكجور في منزلٍ بعد منزلٍ وقرب الامر عليهِ في وصوله اليهِ واقام بكجور على بالس خمسة ايّام فلما لم يجد فيها مغمزًا فارقها وطلب حلب. وكان ابو المعالي كاتب بسيل عظيم الروم واعلمه عصيان بكجور (25ᵛ) عليهِ وسألهُ مكاتبة البرجي صاحبه بانطاكية بالمسير اليهِ متى دعته حاجة الى انجاده ومعونته فكاتب عظيم الروم بذاك واكّد القول عليهِ فلمّا وافى بكجور كاتب سعد الدولة البرجيّ فرحل ونزل مرج دابق وهو على فرسخين من حلب ووصل بكجور الى النقرة ونزل في ناحيةٍ تعرف بالناعورة وامتدّ عسكره الى تلّ اعرُن ومنها الى حلب اربعة فراسخ وبرز سعد الدولة في غلمانه واصحابه فكانوا ستة الاف رجل من الروم والارمن والديلم والاتراك ولم يكن معهُ من عسكر العرب الّا عمرو بن كلاب وعِدّتهم خمسمائة رجل الّا انهم أُولوا باسٍ وقوّةٍ ومن سواهم من بطون العرب بني كلاب مع بكجور بعد ان حصّل حُرمه واولاده في القلعة بحلب. ولمّا برز وسار عسكره (وكان لؤلؤ الجراحي الكبير يحجبه) اعجبه ما رأى من عِدّته وعُدّته فنزل الى الارض وصلى وعفّر ودعا الله بنصرهِ وادالته من بكجور وغدره وفعل اصحابه مثل فعله واجتمعوا اليه وقالوا له: نفوسنا بين يديك والله لنبذُلنّها في طاعتك والمدافعة عنك. فشكرهم وقال لهم: انتم الاولاد والعدّة وهذه الدولة لكم وانا فيها واحد منكم. واستدعى كاتبه المعروف بالمصيصي وامره ان يكتب الى بكجور يستعطفه ويذكره الله ويخوّفه ويبذل له ان يُقطعه من باب حمص الى الرقة ويدعوه الى الكفّ والموادعة ورعاية حقّ الرِقّ والعبوديّة ويعلِمه انه متوقّف عن حربه ولقائه الى ان يعود اليه من جوابه ما

Marfat.com

يعوّل عليهِ . وسار فنزل بالموضع المعروف بالنيرب على ميل من حلب وعسكر الروم بازائهِ ووافى رسول سعد الدولة الى بكجور فاوصل اليهِ الكتاب فلما وقف عليه قال له : قل له الجواب ما تراه عياناً لا ما ارسل اليك كتاباً . فعـاد الرسول واعاد على سعد الدولة قوله واعلمه انهُ ساير على اثره . فتقدّم سعد الدولة الى الموضع المعروف بدير الزبيب وقدم على مقدّمتهِ شجعان غلمانهِ وانجادهم من عمرو بن كلاب الذين قدّمنـا ذكرهم وقد جعل بكجور على مقدّمتهِ بارخ ورشيقاً (26r) غلاميه في مائة غلامٍ ووقع التطارد وكان الفارس من اصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وطعن وجرح خلع عليه واحسن اليه وكان بكجور بضدّ ذلـك بُخلاً واذا عاد اليهِ رجل على هذه الحال امر بان يكتب اسمه لينظر مستأنفاً في امره . وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وامنهم وارغبهم ووعدهم الاقطاعات الكثيرة والعطايا الفاضلة الفائضة والّا يؤاخذهم بالانحياز الى بكجور والحصول معه فلما حصلَتْ اماناتهُ وتوقيعاتهُ في ايديهم عطفوا على سواد بكجور فنهبوه وانصرفوا عنهُ واستـامنوا الى سعد الدولة ونزلوا عليهِ وراى بكجور ما تمّ عليهِ من تقـاعُد نزّال وغدر العرب وتأخر غلمان سعد الدولة الذين كانوا كاتبوه ووعدوه الانحياز اليهِ اذا عاينوه فاستدعى ابا الحسن كاتبهُ المعروف بابن المغربي وقـال لهُ : غرّرتني واوهمتني ان العزيز يجتني ويعـاونني وان العرب تخلص لي وتناصحني وان العرب توافيني ويستامنوا اليّ وما كان لشيءٍ من ذلك حقيقة فما الراي الآن فان بازائنا عسكرًا عظيماً لا طاقة لنا بهِ . قال : صدقتَ ايها الامير فيما قلتهُ ووالله ما اردتُ غشّك ولا فارقتُ نصحك والصواب مع هذه الاسباب العارضة ان ترجع الى الرقة وتكاتب العزيز بما عاملك بهِ نزّال وتعاود استنجـاده فانهُ ينجدك ويستظهر في امرك . وكان في عسكر بكجور قائد من قواده يجري مجراه في التقدم يُعرف بابن الخفّاني فقال لهُ وقد سمع ما جرى بينهُ وبين ابن المغربي فقال : ما عندك فيما قالهُ واشار بهِ ؟ فقـال لهُ : هذا كاتبك يقول اذا جلس في دسته الاقلام تنكّس الأعلام فاذا حقّتِ الحقائق اشار علينا بالهرب واذا هربنا فايُّ وجهٍ يبقى لنا عند الملوك وزوجة من يهرب اليوم طالق ليس الّا السيف فاماً لنا وامّا علينا . وسمع ابن المغربي ما قالهُ ابن الخفّاني فخاف بكجور وقد كان واقف بدوياً من شيوخ بني كلاب يُعرف بسلامة بن بُرَيك على ان يحملهُ الى الرقة متى كانت هزيمةٌ وبذل لهُ الف دينـار على ذلك فلماً استشعر من بكجور ملابسة تشعره سامَهُ (26v) تسييرَهُ قبل الوقت الذي اعدّهُ لهُ فاوصلهُ الى الرقة .

Marfat.com

وعمل بكجور على ما فيه من قوّة النفس وفضل الشجـاعة على ان يعمد الى الموضع الذي فيهِ سعد الدولة من مصـافّه ويهجم عليهِ بنفسهِ ومن يقتحمهُ معهُ من صناديد غلمانه ويوقع بهِ واعتقد انه اذا فعل ذلك وكبس الموضع وانهزم الناس وملك فاختار من غلمانهِ من ارتضاه ووثق به بحسن البلاء منهُ وقـال لهم : قد تورّطنا من هذه الحرب ما عرفتموه وحصلنـا على شرف الهزيمة وذهاب النفوس وقد عزمتُ على كذا وكذا فان ساعدتموني رجوتُ ان يكون الفتح على ايديكم والاثر لكم . فقالوا : نحن طوعك وما نرغب بنفوسنـا عن نفسك . وبادر واحدٌ ممن سمع الكلام منه الى لؤلؤ الجراحي فاستـأمن اليه واعلمهُ بالصورة فاسرع لؤلؤ الى سعد الدولة واخذ الراية من يدهِ ووقف في موضعهِ وقال : تهبُ لي يا مولاي هـذا المكان اليوم وتنتقل الى مكاني عنهُ فان بكجور أَيس من نفسهِ وقد حدّثهـا بان يقصدك ويقع عليك ويُوقع بك ويجعـل ذلك طريقًا الى فلّ عسكرك وقد عرفتُ ذلك من جهةٍ لا اشكّ فيه وسيفعل ولئن افديك بنفسي واكون وقايةً لك ولدولتك اولى من التعريض بك . فانتقل سعد الدولة والعمّاريّة في ظهرهِ والراية في يدهِ وجـال بكجور في اربعمائة فارس من الغلمان عليهم الكذاغندات والخُوَذ وبايديهم السيوف واللتوت وعلى خيلهم التجافيف وحمل في عقب جولتهِ حملةً افرجت له بها العسـاكر ولم يزل يضرب بالسيف حتى وافى الى لؤلؤ فضربهُ على الخوذة في راسه ووقع لؤلؤ الى الارض وحمل العساكر على بكجور وبادر سعـد الدولة الى مكانه مُظهرًا نفسه لغلمانهِ فلما رأوه قويت نفوسهم وثبتت اقدامهم واشتدّوا في القتال حتى استفرغ بكجور جُهده ووسعه ولم يبق له قدرة ولا حيلة انهزم في سبعة نفر من غلمانه صوب حلب واستولى القتل والاسر على اصحابهِ وتمّ الهزيمة . وقد رمى عن نفسه جوشنه وعن فرسهِ تجافيفه وقد فعل من كان معهُ مثل فعلهِ وكان الفرس الذي تحته من الخيول التي اعدّها لمثل (27r) مـا حصل فيه وثمنهُ عليهِ الف دينار واوفى الى رحًا تعرف بالقيرمي على فرسخٍ من حلب مقابلي قنسرين ولهـا ساقية تحمل اليها سَعَتُها قدر ذراعين في سمك ذراع فحمل الفرس على ان يعبرها خوضًا ووثبًا فلم يكن فيه واجهده ووقف به وناداه غلمـانه « ان الخيل قد ادركتنا » ولحقهم عشرة فوارس من العرب فـارجلوهم عن دوابّهم وسلبوهم ثيابهم ولم يعرفوا بكجور وعادوا عنهم وبقي بكجور وغلمانه عراةً فلجؤا الى الرحا واستجاروا بصاحبها فادخلهم اليها . وجاءت سريّة اخرى من العرب تطلب النهب فظنّوا انّ مع الغلمان الذين في الرحا

Marfat.com

ما يغنمونه منهم فطالبوا صاحبها بتسليمهم فاعلمهم انهم عُراة فقالوا: ان شاهدناهم على ما ذكرتَ تركناهم والّا احرقنا الرحا. ففتح الباب واخرجهم اليهم فلما رأوا حالهم خلوا عنهم. ومضى بكجور وغلمان معه من غلمانه الى براحٍ فيه زرع حنطةٍ فطرح نفسه فيه ومرّ قوم من العرب فظنّوا ان معهم ما يفوزون به فعدلوا اليهم وكان فيهم رجل من قطن يعرفه بكجور فقال له: اتعرفني ؟ قال: لا. قال: اذمم لي حتى أُعرّفك نفسي. فأذمّ له. قال له: انا بكجور فاصطنعني واحملني الى الرقّة فانني اوقِرُ بعيرك ذهباً وأُعطيك كل ما تقترحه. قال: افعل. فاردفه وحمله الى بيته وكساه قميصاً وفروًا وعمامةً. وكان سعد الدولة قد بثّ الخيل في طلب بكجور ونادى « من احضر بكجور فله مطلبه » فلما حصل بكجور في بيت البدويّ ساطنه به وطمع فيما كان سعد الدولة بذله فيه واستشار ابن عمٍ له في امره فقال له: هو رجل بخيلٌ فربّما غدر ولم يَفِ بوعده والصواب ان تقصد سعد الدولة وتاخذ منه عاجلًا ما يُعطيك. فركب البدويّ الى عسكر سعد الدولة وصاح « نصيحة » فأُحضر الى حضرتهِ فقال له: ما نصيحتك ؟ قال: ما جزاء من يسلّم بكجوراً ؟ قال: حُكمه. قال: فهو عندي وأُريد عنه مائتي فدّان زراعةً ومائة الف درهم ومائة راحلة تحمل حنطةً وخمسين قطعة ثيابًا. قال سعد الدولة: وكل ذلك لك. قال: وثِق لي منه. وعرف لؤلؤ الجراحي خبر البدوي فتحامل وهو مثخن بالضربة التي اصابته ومشى متوكّئاً على غلمانه حتى حضر بين يدي (27) سعد الدولة فقال: يا مولاي ما يقول هذا ؟ قال: يقول ان بكجور عنده وقد طلب ما اجبناه اليه وهو ماضٍ لاحضارهِ. فقبض لؤلؤ على يد البدويّ وقال له: اين اهلك ؟ قال: في المرج على فرسخ. فاستدعى جماعةً من الغلمان وقدّم عليهم اقبالًا الشفيعي وامرهم ان يرتقوا رؤوس الجبال حتى يوافوا الحلّة ويقبضوا على بكجور ويحملوه وهو قابض على يده والبدوي يستغيث بسعد الدولة ثم تقدّم الى سعد الدولة وقال: يا مولانا لا تُنكر عليّ فعلي فانه كان مني عن استظهار في خدمتك ولو عاد هذا البدوي الى اهلهِ واحسّ بكجور بما فيه لاعطاه الرغائب على تخليصه ولا تامن ان يقبل ذاك منه والذي طلبه هذا البدويّ مبذول له وما ضرّنا الاحتياط في التمسُّك به الى ان يوافينا فنعطيه حينئذٍ ونفي له بما وعدناه. فقال: احسنت يا ابا محمد لله درُّك. ولم يمضِ ساعات حتى عادت النجب مُبشرةً بحصول بكجور ووافى بعدها اقبال الشفيعي وهو معه فوقف به من وراء السرادق واستأذنه في ادخاله اليه وانفذ سعد الدولة الى

Marfat.com

لؤلؤ وقال له : ما رايك في بكجور ؟ قال : ضرب عنقه لوقته لو جاءت سناء الزينة ستّ الناس (يعني اخت سعد الدولة) واستوهبتهُ منك فوهبتهُ لها تكان لنا شغل محدّد. فامر سعد الدولة فَرَجًا العدلي فكان سيّافه فضرب عنقه وعنق ابن الخفاني وكان قد حصل في الاسر وحملهما الى الموضع المعروف بحصن الناعورة فصلبهما بارجلهما . وسار سعد الدولة الى الرقّة فنزل عليها وفيها سلامة الرشيقي وابو الحسن المغربي واولاد بكجور وحرمهُ واموالهِ وارسل سلامة بتسليم البلد فاجابه « فاني عبدك وعبد عبدك الّا ان لبكجور عليّ عهودًا فمواثيق لا مخلص لي عند الله منها الا باحد امرين امّا ان تُذمّ لاولاده على نفوسهم واموالهم وتقتصر فيما تاخذه على الآت الحرب والعُدد وتحلف لي ولهم على ذلك واما ان أُبلي عُذرًا عند الله عزّ وجلّ فيما عقدتهُ لبكجور » فاجابه سعد الدولة الى ما اشترطه وحلف له يمينًا عملها ابو الحسن ابن المغربي . وكان سعد الدولة قد اباح دمه فهرب الى الكوفة واقام بمشهد امير المؤمنين علي عليه السلام . ولما توثّق سلامة (28[r]) سلّم حصن الرافقة وخرج القوم ومعهم من المال والرحل الشيء الكثير وسعد الدولة يشاهدهم من وراء سُرادقه وبين (يديه) ابن ابي حُصين القاضي فقال له : ما ظننتُ ان حال بكجور انتهت الى ما اراه من هذه الاموال والاثقال . فقال له : ايّ شيء اعتقد الامير في ذاك ؟ قال له : وهل بقي في هذا الامر موضع اعتقاد ؟ قال له ابن ابي حصين : ان بكجور واولاده مماليك وكل ما ملكوه فهو لك ولا حرج عليك فيما تاخذه منه ولا حنث في الأيمان التي حلفت بها ومهما كان فيها من وزرٍ واثمٍ فعليّ دونك . فلما سمع هذا القول منه غدر بهم وتقدّم بردّهم والقبض عليهم وجميع ما معهم . وكتب اولاد بكجور الى العزيز بما تمّ عليهم وعلى والدهم وسألوه مكاتبة سعد الدولة بالكفّ عنهم والابقاء عليهم فكتب اليه كتابًا يتوعّده فيه ويامره بازالة الاعتراض عن المذكورين وتسييرهم الى مصر موفورين ويقول له في اخره : انك متى خالفتنا في ذلك واحتجبت فيه كنّا الخصوم لك وجهّزنا العساكر اليك . وانفذه مع فايق الصقلبي احد خواصه وسيّره على نجيب فوصل فايق اليه وقد عاد من الرقة وهو بظاهر حلب واوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه جمع وجوه قوّاده وغلمانه وقراه عليهم ثم قال لهم : ما الراي عندكم فيه ؟ قالوا نحن عبيدك وغلمانك ومهما امرتنا به وندبتنا له كانت عندنا الطاعة والمناصحة فيه . وتقدّم عند ذاك باحضار الرسول فلما مثل بين يديه امر باعطائه الكتاب ولطمه حتى ياكله فقال له : انا رسول وما عُرف من الملوك معاملة

الرسل بمثل ذلك وهذا الفعل ما لا يجوز. فقال له: لا بدّ ان تاكلهُ. فلمّا مضغه قال له: عُد الى صاحبك وقل له: لستُ ممن تخفى اخبارك عنه وتمويهاتك عليه وما بك حاجة الى تجهيز العساكر اليَّ فانني ساير اليك ليكون اللقاء قريباً منك وخبري ياتيك من الرملة. وقدم سعد الدولة قطعة من عساكره امامه الى حمص. وعاد فايق الى العزيز فعرّفه ما سمعه وشاهده فازعجه ذلك وبلغ منه واقام سعد الدولة بظاهر حلب ايامًا على ان يرتّب اموره ويتلو من تقدمه من عسكرهِ. فاتّفق ان عرض له قولنج اشفى منه وكان له طبيبان (28) عارفان احدهما يُعرف بالتفليسي والاخر يوانيس فاشارا عليه بدخول البلد وملازمة الحمّام فامتنع عليهما وقال لهما: انا بازآء وجهٍ اريد قصده واذا عدتُ وقع الارحاف بي وكان في العود طيرة عليَّ. ثم زاد ما يجده فدخل فعالجاه فابلّ واستقلّ وكتب الى اصحابه يذكر عافيته فاوصل الناس اليه حتى شاهدوا حاله وهنوه بالسلامة. وكان المستولي على امره والمقدَّم عنده في رايه لؤلؤ الكبير الذي تقدَّم ذكره فلما كان في اليوم الثالث من اكله الفرُّوج زُين له البلد ليركب فيه من غدٍ ويعود الى العسكر فاتّفق ان حضرت عند فراشه ليلة اليوم الذي عمل على الركوب فيه جارية تُسمى انفراد وكان يتحظّاها ويقدّمها على سواها من سرّيّاتهِ وهُنّ اربعمائة جاريةٍ فتتبّعتها نفسه وواقعها فلما فرغ سقط عنها وقد جفّ نصفه وبادرت الجارية الى اخته فاعلمتها صورته فدخلت اليه وهو يجود نفسه واستدعت طبيبيه فحضرا وشاهداه وتعرّفا المسبّب فيما لحقهُ فعرّفاه واشارا بشجر الند والعنبر حوله الى ان ينيف قليلًا وتثوب قوّته فلما كان ذلك عاد اليه وقال له التفليسي: اعطني ايها الامير يدك لاخذ بجستك. فاعطاه اليسرى فقال: يا مولانا اليمين. فقال: يا تفليسي ما تركت لي اليمينُ يمينًا. ومضت عليه ثلث ليالٍ قضى بعد ان قلّد عهده ابا الفضائل ولده ووصى الى لؤلؤ الكبير به وبابي الهيجاء ولده الاخر وستّ الناس اخته وحُمل تابوته الى الرقّة ودُفن في المشهد ظاهرها. ونصب لؤلؤ ولده ابا الفضائل في الامر واخذ له البيعة على الجند بعد ابيهِ في شهر رمضان سنة ٣٨١. وتراجعت العساكر عند ذلك الى حلب واستأمن منها الى العزيز بالله رُقي الصقلبي في ثلثمائة غلامٍ وبشارة الاخشيدي في اربعمائة غلامٍ وقوم اخرون فقبلهم واحسن اليهم وولي بشارة طبريّة ورُقي عكّا ورباحا قيسارية. وقد كان ابو الحسن بن المغربي بعد حصوله في المشهد في الكوفة كاتب العزيز وصار بعد المكاتبة الى حضرته فلما حدث لسعد الدولة حادث الوفاة عظم امر حلب عنده وكبر في نفسه احوالها وهوّن عليه حصولها

Marfat.com

(29r) ولاية القائد مُنير الخادم ومنجوتكين دمشق

والسبب في ذلك وما آلت اليه احوالها في سنة ٣٧٨ وما بعدها

قد تقدم من شرح السبب في ولاية القائد منير دمشق ما فيه كفاية عن اعادة القول فيه ومن دخوله في يوم الخميس السابع عشر من رجب سنة ٣٧٨ . ولما توفى الوزير ابو الفرج يعقوب بن كلّس كان قد بقي له من اصحابه على ماله ومال السلطان رجل يُعرف بابن ابي العُود الصغير وكان شديد المعاندة للقائد مُنير الوالي يرفع عليهِ الى مصر بانه عاصٍ يكاتب سلطان بغداد وصاحب حلب فلما كثرت سعايته الى العزيز اصطنع بعض غلمانه الاتراك رجلًا يقال له منجوتكين فقدَّمه واعطاه مالًا وابنةً وسلاحًا ورجالًا وولّاهُ الشام فلما صحَّ عند منير الخادم ذاك من ابن ابي العود انفذ اليه مَن قتله وكاشف بالعصيان والخلاف للضرورة القائدة له الى ذلك وكان لابن ابي العود عند العزيز رتبة متمكِّنة ومنزلة متمهِّدة فلما خرج العسكر مع منجوتكين من مصر ووصل الى الرملة ووصل اليه بشارة والي طبريَّة في عسكره ووصل الى دمشق وكان منير قد جمع رجالةً من احداث البلد من حمَّال السلاح وطُلاب الشر والفساد واستعدّ للحرب وتأهَّب للقاء . وبلغ منجوتكين وهو بالرملة ان اهل دمشق يريدون القتال مع مُنير الوالي فجمع النفَّاطين بالرملة على ان يسيروا معه الى دمشق لحرقها . فلما وصل نزّال الى دمشق من طرابلس اخذ في الجبال عرضًا فخرج من مرج عذراء وارسل الى منيز « اني لم اصِل الّا لاصلاح امرك » فعلم منير انه يريد الحيلة عليه والمكر به ليصل العسكر من الرملة ويحيط به وقد كان نفذ كتاب ابن ابي هشام من دمشق الى منشا بن الفرار كاتب الجيش يقول « جدّوا في السير لاخذ البلد » وكان مراده بذاك المداراة من خوف الشرّ فلما وصل الكتاب الى منشا انفذه الى العزيز منجوتكين وواقف عليه فوجد فيه خلاف ما ذكر عن اهل دمشق فنها عن احراقها . وسار منجوتكين من الرملة وقرب من طبريَّة وجمع مُنير (29v) عسكره وخرج يريد نزّالًا فالتقوا بمرج عذراء فانهزم مُنير واتت المغاربة على الرجالة الذين كانوا معه وذلك في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٨١ فلما انهزم مُنير اخذ في الجبال حتى اخرج الى ارض جوسية يريد قصد حلب فخرج عليه عرب من الاحلاف فاخذوه ووصلوا به الى دمشق فوجدوا منجوتكين قد نزل عليها فسلّموه اليه لطلب الجائزة فشهره على جمل

Marfat.com

وقرن به قردًا ومعه من اصحابه نحو من مائة رجل على الجمال وعليهم الطراطير لانهم انقطعوا فاخذهم والي بعلبك يقال له جلنار فارسلهم الى منجوتكين . واقام منجوتكين بدمشق بقية سنة ٨١ فقوي بها وصار عسكره ثلثة عشر الفًا فعمّ الناس البلاء في جميع الاحوال وصارت افعالهم وسيرتهم اباحة الاموال والانفس وسوء الاعمال . ثم انهم طمعوا في ملكة حلب بحكم موت ابي المعالي بن سيف الدولة صاحبها وقد كان العزيز لما انتدب منجوتكين اكرمه وعظمه وامر القواد وطبقات الناس بالترجل له وتوفيقه من الحقّ ما يوفّى عظماء الامراء والاسفهسلاريّة واستكتب له احمد بن محمد القشوري وولي الشام وضمّ اليه ابا الحسن علي بن الحسين بن المغربي ليقوم بالامر والتدبير . ولما وصل الى حلب وكان نزوله عليها في ثلثين الفًا من اصناف الرجال وتحصّن ابو الفضايل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد واغلقا ابوابه واستظهرا بكل ما امكنهما الاستظهار به . وقد كان لؤلؤ عند معرفته بتجهيز العساكر المصرية الى حلب كاتب بسيل عظيم الروم ومتّ اليهِ بما كان بينه وبين سعد الدولة من المساعدة والمعاقدة وبذل له عن ولده السمع والطاعة والجري على تلك العادة وحمل اليه هدايا والطافًا كثيرةً وساله المعونة والنصرة وانفذ بالكتاب والهدايا ملكويا السيرافي ووصل اليه وهو بازاء ملك البلغر وعلى قتاله فقبل ما ورد فيه وكتب الى البرجي صاحب انطاكية من قبله بان يجمع عساكر الروم ويقصد حلب ويدفع المغاربة عنها فسار البرجي اليه في خمسة الف رجل ونزل بالموضع المعروف بجسر الحديد بين انطاكية وحلب . فعرف منجوتكين (30[1]) وابن المغربي ذلك فجمعا القواد والمعرفين خبرَ الروم واستشارهم فيما يكون العمل به والاعتماد عليه فاشار ذو الراي والحصافة منهم بالانصراف عن حلب وقصد الروم والابتداء بهم ومناجزتهم ليلا يحصلوا بين عدوين . ووقع العمل على ذلك وساروا مع عدّةٍ اخرى كثيرةٍ انضافت اليهم من اهل الشام وبني كلاب ونزلوا تحت حصن اعزاز وقاربوا الروم وبينهم النهر المعروف بالمقلوب وهو نهر يجري مجرى الفرات في قرب من عرضه فلما بصر المسلمون بالروم رموهم بالنشاب وناوشوهم القتال وحصل الناس والروم على ارضٍ واحدة ومنجوتكين يردّهم ولا يرتدّون (١ وانزل الله النصر وولّت

---

١) وفيه قال سبط ابن الجوزي ان بينهم النهر ولم يكن لاحد الفريقين سبيل الى العبور لكثرة الماء وكان منجوتكين قد حفظ المواضع التي يقلّ الماء فيها واقام جماعة يمنعون اصحابه من عبور الى وقت يختاره المنجّم فخرج من الديلم الذين كانوا صحبة منجوتكين شيخ كبير بيده ترس

الروم واعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلاً واسراً وفلاً وقهراً وافات البرجي في نفرٍ قليلٍ وملك عسكرهم وسوادهم وغُنمت منهم الغنائم الوافرة من اموالهم وكراعهم وسوادهم وقد كان معهم الفراجل من رجّالة حاب جرّدهم لؤلؤ مع عِدّه وافرة من الغلمان فقُتل منهم تقدير ثلثمائة غلام وعاد فآلهم الى حاب وجمع من رؤوس قتلى الروم نحو عشرة الف راس أُنفذت الى مصر وشهرت بها وتبع منجوتكين الروم الى انطاكية واحرق ضياعها ونهب رُستاقاتها وانكفأ راجعاً الى حلب . وكان وقت استغلال الغلاّت فانفذ لؤلؤ من احرق ما قرُب من البلد منها المضرّة العسكر المصري وقطع مادّة الميرة عنهم والتضييق في الاقوات عليهم وراى لؤلؤ ان قد بطل عليه ما كان يرجوه من معونة الروم وقد اظلّه من عسكر مصر ما لا طاقة له به فكاتب ابا الحسن بن المغربي والقشوري وارغبهما بالمال وبذل لهما منه ما وسع لهما فيه وسالهما المشورة على منجوتكين بالانصراف الى دمشق والمعاودة الى حلب في العام المقبل وتصيّر السبب في هذا الراي ما عليه الامر من عدم الميرة وتعذُّر الاقوات والعلوفات فطاوعاه ووعداه وخاطبا منجوتكين في ذلك . فصادف قولهما منه تشوّقاً الى دمشق الى خفض العيش فيها وضجراً من طول السفر ومباشرةِ الحرب فكتب وكتبت الجماعة الى العزيز بالله ينهون اليه الحال في تعذُّر الاقوات وانه لا قدرة للعسكر (30ظ) على المقام مع هذه الصورة ويستأذنونه في الانكفاء الى دمشق فقبل ان يصل الكتاب ويعود الجواب رحل منجوتكين عائداً . وعرف العزيز ما كان منه فغاظه ذلك ووجد اعداء ابن المغربي طريقاً الى الطعن عليه والوقيعة فيه فصرفه وقلّد صالح بن علي الروذباري موضعه وانفذه واقسم العزيز انه يمدّ العسكر بالميرة من غلات مصر فحمل مائة الف تليس والتليس قنيزان بالمبدل في البحر الى طرابلس ومنها على الظهر الى افامية . وعاد منجوتكين في العسكر في السنة ٢ الى حلب ونزل عليها وصالح بن علي المقدم معهم وكان يوقّع الغلمان بجراياتهم وقضيم دوابّهم الى افامية ويمضون خمسة وعشرين فرسخاً ويعودون بها واقاموا ثلثة عشر شهراً وبنوا الحمّامات والاسواق والخانات وابو الفضائل ولولؤ قد تحصّنا بالبلد وقد اشتدّ الامر بها وفقدت الاقوات عندهما وكان لؤلؤ

وثلث زوبينات فوقف على جانب النهر وبازائهِ قوم من الروم فرموه بالنشاب وهو يسبح حتى قطع النهر وصار على الارض من ذلك الجانب والماء في النهر الى صدره فرمى المسلمون بانفسهم في الماء فرساناً ورجالة ومنجوتكين يمنعهم ولا يمتنعون فصاروا مع الروم في ارض واحدة وانزل الله الخ

Marfat.com

يبتاع القفيز من الحنطة ثلثة دنانير ويبيعه على الناس بدينار واحدٍ رفقًا لهم ويفتح الباب ويخرج من النـاس من اراد من الفقراء من الجوع وطول المقام . وقد كان أُشير على منجوتكين بتتبُّع من يخرج وقتله ليمتنع الناس من الخروج ويزيد ضيق الامر عليهم فلم يفعل . وعند ذلك اعـاد لؤلؤ ملكويا الذي كان ارسله اولًا الى بسيل ملك الروم اليه مجدّدًا له السؤال بالانجاد على ما دَهمه من عسكر مصر والاسعاد واعلمه انه لم يبق فيه رمق ان لم يبادر بمعونته ونصرته وانه متى أُخذت حلب وملكت فانطاكية لاحقة بها . وكان بسيل متوسّطًا بلد البلغر فقصـد ملكويا اليه واوصل اليه الكتاب واعاد عليه ما يحمله من الرسائل اليه وقـال له : متى قصدتَ ايها الملك هذا الخطب بنفسك لم يقف احد من عساكر المغـاربة بين يديك واستخلصتَ حلب وحفظتَ انطاكية وسائر اعمالها وان تأخرت مُلك جميع ذلك . فلمـا سمع ملك الروم ما قاله الرسول المذكور سار من وقته طالبًا حلب وبينه وبينها مسيرة ثلثمائة فرسخ فقطعهـا في ستة عشر يومًا في ثلثة الف فارس وراجل من الروم الروسية والبلغر والخزر وكان الزمان ربيعًا وقد سرَّح العسكر المصري كراعه في المروج لترتبع فيها فهجمت الروم على العسكر على غفلةٍ وغرَّة . فارسل (31r) لؤلؤ الى منجوتكين يقول له : ان عصمة الاسلام الجامعة بيني وبينك وبين عسـاكرك تبعثني على انذاركم وهذا عسكر الروم قد اظلَّكم في الجمع الكثير فخذوا لانفسكم وتيقَّظوا لامركم ولا تهملوا حذركم . ووردت جواسيس منجوتكين وعيونه من الجهـات والطلائع عليه بمثل ذلك فاخرق الخزائن والاسواق ورحل في الحال منهزمًا . واشار العرب عليه بان ينزل ارض قنسرين ويملك الماء ويستدعي كراعه من مروج افامية ويثبت للقاء العدُوّ ويحرّضه على بذل الجهد واستفراغ الوُسع في الجهـاد فلم يفعل وامتدَّت به الهزيمة الى دمشق . ووافى ملك الروم فنزل على باب حلب وشاهد من موضع منزل المغـاربة ما هاله وعظم في عينه وخرج اليه ابو الفضائل ولؤلؤ وخدماه ورحل في اليوم الثالث الى الشـام ونزل على شيزر وفيه منصور بن كراديس احد قوَّاد المغاربة فقاتله في الحصن يومًا واحدًا ولم يستطع الثبـات له لخلو الحصن من العُدَد وآلات الحرب واقوات المقام على الحصـار فراسله بسيل وبذل له الامان على نفسه ومن معه في الحصن وان يُعطيه مالًا وثيابًا على تسليمه فسكن الى ذلك وسلّمه ووفى له بسيل بجميع ما بذلهُ من المال والامان والعطاء فرتّب في الحصن نوّابه وثقاته وسار قاصدًا الى طرابلس الشام وافتتح في طريقه حمصًا وسبى منها ومن

رفنية واعمالها ما يزيد على ثغر طرابلس وهو برّي بحري متين القوة والحصـانة شديد الامتناع على مُنازله واقام عليه نيفاً واربعين يوماً يحاول افتتاحه او وجود فرصة في تملكه فلم يتمّ له فيه امر ولا مُراد فرحل عنه قافلاً الى بلاد الروم . وانتهت الاخبار بذلك الى العزيز بالله فعظم ذلك عليه وامر بالاستنفـار الى الجهاد والنداء في الغزاة وساير الاجنـاد فنفر الناس وخرج مستصحباً لجميع عساكره وما يحتاج اليه من عُدده واموالـه وذخائره ومعه توابيت ابائه واجداده على العادة في مثل هذه الحال وقيل ان كراعه كان يزيد على عشرين الف راس خيلاً وبغالاً وجمالاً وحميرًا وسار مسافة عشرة فراسخ في مدّة سنة حتى نزل بلبيس واقام بظاهرها . وعارضته عِلل مختلفة من نقرس وقولنج وحصى في المثانة واشتدّ به الامر وكان (31[٧]) الاطباء اذا عالجوا مرضاً من هذه الامراض بدوائها زاد في قوة الاخرى واستحكامها وكان محتـاجاً الى الحمّام لاجل القولنج ولم يكن في منزله الّا حمّام لرجل من اهلهـا فاشتدّ به فيه وبات للضرورة فيه واصبح والقوة تضعف والالم يشتدّ ويتضـايق الى ان قضى نحبه في الحمّام في اليوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦ وعمره اثنتان واربعون سنة ونقش خاتمه « بنصر العليم الغفور ينتصر الامام ابو المنصور » ومولده في القيروان سنة ٣٤١ ومدّة ايامه احدى وعشرون سنة وستة اشهر واربعة وعشرون يوماً وكان حسن السيرة مشتغلاً بلذّاته محباً للصيد متغافلاً عن النظر في كثير مما كان اسلافه ينظرون فيه من اظهار علم الباطن وحمل الناس عليه وتوفّي رحمه الله وهو مستمرّ على ذلك

ثم ولي الامر بعده ولده ابو علي المنصور الحاكم بالله وكان معه فعهد اليه في الامر وردّ تدبير امره الى برجوان الخادم مُربيه وحاضنه وكان عهد اليهِ امر الحرم والقصور لثقة العزيز به وسكونه اليه ووصّى اليه بما اعتمد فيه عليه . وحدّثت ستّ الملك ابنة العزيز نفسها بالوثوب على الامر واجلاس ابن عمّهـا عبد الله وكانت مشتهاةً عليه فاحسن برجوان بذلك فقبض عليها وحملها مع الف فارس الى قصرها بالقاهرة . ودعا الناس الى بيعة الحاكم واحلفهم على الطاعة واطلق الارزاق وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٦ وانكفأ الحاكم من المخيم الى قصره بالقاهرة وعمره عشر سنين وستة اشهر . وتقدّم ابو محمد الحسن بن عمّار وكان شيخ كُتامة وسيدها ولقب بامير الدولة وهو اول من لقب في دولة مصر واستولى على الامر وبسط يده في الاطلاق والعطاء والصِلات بالاموال والثياب والخباء تفرقة الكراع وكان في القصر عشرة الف جارية وخادم فبيع منهم

Marfat.com

من اختار البيع وأُعتق من سأل العتق ووهب من الجوار لمن احبّ واثر وانبسطت كتامة وتسلّطوا على العامّة ومدّوا ايديهم الى حُرَمهم واولادهم وغلب الحسن بن عمّار على الملك وكتامة على الامور وهمّ الحسن بقتل الحاكم (32r) وحمله على ذلك شيوخ اصحابه وقالوا : لا حاجة لنا الى امامٍ نقيمه ونتعبّد لهُ . فحمله صغر سنِّه والاستهانة بامره على اقلال الفكر فيه وان قال لمن اشار عليه بقتله : وما قدُر هذه الوزغة حتى يكون منها ما نخاف (١ . وبرجوان في اثنا ذلك يحرس الحاكم ويلازمه ويمنعه من الركوب ولا يفسح له في مفارقة الدور والقصور . وقد كان شكر العضدي اتّفق مع برجوان وعاضده في الرأي والفعل وصارا على كلمةٍ سواء في كل ما ساء وسرّ ونفع وضر وتظاهرا على حفظ الحاكم في وصاة والده العزيز به الى ان تمت السلامة لهما فيه . واما منجوتكين وما كان منه بعد نوبة الروم فانه اقام بدمشق على حاله في ولايتها . وزاد امر الحسن بن عمّار وكتامة وقلّت مُبالاتهم بالسلطان فكتب برجوان الى منجوتكين يعرّفه استيلاء المذكورَيْن على الامور وغلبتهم على الاموال وتعدّيهم الى الحُرم والفروج وقبيح الاعمال ورفعهم المراقبة للخالق والحشمة من المخلوقين وابطالهم رسوم السياسة واضاعة حقوق الخدمة وانهم قد حصروا الحاكم في قصره وحالوا بينه وبين تدبير امره ويدعوه الى مقابلة نعمة مولاه العزيز عنده بحفظ ولده والوصول الى مصر وقمع هذه الطائفة الباغية وقال : « ان الديلم والاتراك والعبيد الذين على الباب يُساعدونه على ما يُحاول فيهم ويكونون معه اعوانًا عليهم » فامتثل منجوتكين ما في الكتاب عند وقوفه عليه وسارع اليه وركب الى المسجد الجامع في السواد وجمع القوّاد والاجناد ومشايخ البلد واشرافه وفيهم موسى العلوي وله التقدُّم والميزة واذكرهم بحقوق العزيز وما كان منه من الاحسان الى الخاصّ والعامّ وحسن السيرة في الرعيّة واعتقاد الخير للكافّة وخرج من ذلك الى ذكر ما له عليه من حقوق الاصطناع والتقدُّم والاصطفاء والتعديد للتمويه باسمه وما يلزمه في خدمته حيًّا وميتًا ومناصحته معدومًا ومفقودًا وموجودًا وقال : واذ قبضه الله اليه ونقله الى ما اختاره له وارتضاه وحكم به وافضاه فان حقوقه قد انتقلت الى نجله وسليله الحاكم بامر الله امير المؤمنين وهو اليوم والي النعمة وكالقائم مقام العزيز بالله رحمه الله في استحقاق الطّاعة والمناصحة (32v)

---

١) وفي الخطط للمقريزي في حارة برجوان : قال ابن عبد الظاهر : ويسمّى (يعني برجوان) « الوزغ » سمّاه بهِ الحاكم

Marfat.com

والخدمة وقد تغلَّب على الملك الحسن بن عمَّار وكتامة وصار اخواُننا المشارقة بينهم كالذمَّة بين المسلمين وما يسعنا الصبر على هذه الصورة وتسليم الدولة الى هذه العصابة المتسلّطة . وخرَّق ثيابه السود وبكى البكاء الشديد فاقتدى الناس بهِ في تخريق الثياب والبكاء ثم قالوا : ما فينا الّا سامع لك مطيع لامرك وموٴثر ما توٴثر وباذلٌ مهجته في طاعة الحاكم وخدمته وخدمتك ومهما رسمت لنا من خدمةٍ وبذل نفس ومكنةٍ كنَّا اليه مسارعين ولامرك فيه طائعين الى ان تُبلَغ مناك وتُدرك مُبتغاك في نصرة مولانا . فشكرهم على هذا المقال وقوَّى عزائمهم وآراءهم على المتابعة له والعمل بما يوافقه وعاد الى داره ووضع العطاء في الرجال وبرَّز الى ظاهر دمشق . وقد اشتملت جريدة الاثبات على ستة الف من الاجناد السائرين معه خيلًا ورجلًا وكتب الى الحسن بن عمَّار على اجنحة الطيور ومع اصحاب البريد بشرح ذلك الحال . فلما وقف على الخبر عظُم عليه وقلق وجمع وجوه كتامة واعاذ عليهم ما ورد من خبر منجوتكين وما هو مجمعٌ عليه في بابهم وقال : ما الراي عندكم ؟ قالوا : نحن اهل طاعتك والمسارعون الى العمل باشارتك . واظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم وجرى مجرى الافتكين المعزّي البويهي وندب الناس لقتاله وتقدَّم الى الخزَّان في خزائن اموال العزيز باطلاق الاموال والى العرَّاض بتجريد الرجال والانفاق فيهم . واحضر البرجوان وشكر العَضُدي وقال لهما : انا رجل شيخ وقد كثر الكلام عليَّ والقول فيَّ وما لي عرض الّا حفظ الامر للحاكم ومقابلة اصطناع العزيز واحسانه اليّ وأُريد مساعدتكما ومعاضدتكما وان تحلفا لي على صفاء النيَّة وخلوص العقيدة والطويَّة . فدعتهما الضرورة الى الانقياد له والاجابة الى ما سأله منهما واستأنف معهما المفاوضة والمشاورة والاطلاع لهما على مجاري الامور ووجوه التدبير في الجمهور واستمالة المشارقة . وندب ابا تميم سليمن بن جعفر بن فلاح وقدَّمه وجعله اسفهسلَّار الجيش وامره بالمسير الى الشام واطلق له كل ما التمس من المال والعدَد والرجال والسلاح والكراع واسرف في ذلك الى حدّ لم يقف عنده وجرَّد (33) معه ستة عشر الف رجل من الخيل والرجال وبرَّز الى عين شمس . وكان عيسى بن نسطورس الوزير على حاله في الوزارة فبلغ ابن عمَّار عنه ما انكره فقبض عليه ونكبه وقتله وسار سليمان بن فلاح من مصر ورحل منجوتكين الى الرملة فملكها واخذ اموالها فتقوَّى بها وكان معه المفرج بن دغفل بن الجرَّاح وسنان بن عُليان ونزل سليمان عسقلان وسار منجوتكين حتى نزل بظاهرها وتقاتل الجيشان . فلما كان بعد

Marfat.com

ثلثة ايامٍ من تقاربهما وتقاتلهما ضرب كل واحد منهما مصاف عسكره وعمل على مناجزة صاحبه واستأمنت العرب من اصحاب ابن جرّاح وابن عليان الى سليمان فاستظهر وقتل من اصحاب منجوتكين اربعة قوّادٍ في وقتٍ واحدٍ وانهزم منجونكين وقتل من الديلم عدّة كثيرة لانهم لجأوا عند الهزيمة الى شجر الجمّيز واختفوا به فكان المغاربة ينزلونهم منها ويقتلونهم تحتها وأُحصيت القتلى فكانوا من اصحاب منجوتكين الفي رجل. وسار سليمان الى الرملة وقد امتلأت ايدي اصحابه من الغنائم والاموال والكراع وبذل لمن يحضر منجوتكين عشرة الف دينار ومائة ثوب فانبثّت العرب في طلبه وادركه عليّ بن جرّاح فاسره وحمله الى سليمان فاخذه منه واعطاه ما بذل له وحمله مع رووس القتلى من اصحابه الى مصر فشهرت الرووس وابقي على منجوتكين الحسن بن عمّار واصطنعه واستمال المشارقة به ونزل سليمان طبريّة . وكان اهل دمشق قد اثاروا الفتنة ونهبوا دار منجوتكين وخزائنه وما فيها من مال السلطان وعُدده فانفذ اخاه عليًا اليها في خمسة الف رجلٍ فلما وصلها ناوش اهلها وناوشوه واعتصموا بالبلد ومنعوا الدخول اليه وكتب الى سليمان اخيه يُعلمه مخالفتهم وعصيانه ويستأذنه في منازلتهم وقتالهم فاذن له في ذلك واعلمه مسيره اليه وكتب الى موسى العلوي والأشراف والشيوخ بالانكار عليهم بتسلُّط العامّة فيما ارتكبوا من النهب والافساد وتقاعدهم عن الاخذ على ايديهم والردع لهم والتوعّد بالمسير اليهم والمقابلة لهم بما يقتضيه الراي فلما وقفوا على ما ذكره خافوا وخرجوا الى اخيه علي ولقوه واعلموه انهم على الطاعة والانكار لما اجرى اليه (33) الجهالة فركب علي وحارب اهل دمشق وزحف الى باب الحديد والنفّاطون معه فانهزموا منه وملك البلد وطرح النار في الموضع المعروف بحجر الذهب وهو أجلُّ موضع في البلد وقتل خلقًا كثيرًا من رجاله وعاد بعد ذلك الى معسكره. ووافى من غدٍ اخاه سليمان في عسكره فانكر عليه احراق ما احرق وبلوغه في الافساد ما بلغ وتلقّاه الاشراف والشيوخ والناس وشكوا اليه ما لحقهم وتلف من دُورهم واملاكهم واموالهم فامنهم وكفّ المغاربة عنهم واظهر اعتقاده الجميل فيهم وكتب المناشير بالصفح عن الجناة وايمان الكبير والصغير منهم ورفع الكلف والمؤن عنهم وإفاضة العدل والانصاف فيهم وكوتبت في المسجد الجامع على رووس الاشهاد فسكنت الى ذلك النفوس واطمأنت به القلوب ورجعوا الى ما كانوا عليه . واختلط المغاربة بهم وركب القائد سليمان الى الجامع في يوم الجمعة بالطيلسان على البغل

Marfat.com

السندي وخرق في البلد بالسكينة والوقار وبين يديه القراء وقوم يفرّقون قراطيس دراهم الصدقات على اهل المسكنة والحاجة . وكان لهذا القـــائد سليمان نفس واسعة وصَدْر رحب وقدَم في الخير متقدِّمةٌ ورغبة في الفعـــل الجميل مشهورةٌ ومقاصدُ في الصلاح مشكورة بعد الحسن بن عمّار ولما صلى عاد الى القصر الذي بُني بظـــاهر البلد ونزل فيه وقد استمال قلوب الرعية والعامّة بما فعلهُ واظهره من حسن النظر في الظلامات المرفوعة اليه واطلاق جماعةٍ كانت في الحبوس من ارباب الجرائم المتقدِّمة والجنـــايات السالفة واستقام له الامر واستقرّت على الصلاح الحال وصلحت احوال البلد واهله بما نشر فيهِ من العدل وحكم بهِ من الانصاف واحسنه من النظر في امور السواحل بصرف مَن صرفه مِن ولاتها الجابرين واستبدل بهم من شيوخ كتامة وقوّادها وردّ الى عليّ اخيهِ ولاية طرابلس الشـــام وصرف عنها جيش بن الصمصامة فمضى جيش المذكور الى مصر من غير ان يقصد القائد سليمان ويجتمع معهُ . وكان جيش هذا من شيوخ كُتـــامة ايضاً الّا ان سليمان كان سيّ الراي فيهِ لعداوةٍ بينه وبينه فلما حصل جيش بمصر (34) قصد برجوان سرّاً وطرح نفسه عليهِ واعلمهُ بُغض اهـــل الشام للمغاربة واستيحاشهم منهم فاولاه برجوان الجميـــل قولًا ووعدًا وبذل له المعونة على امره وتأمّل برجوان ما يلي بهِ في الاحوال من الحسن بن عمّار وكتامة وما خافه على نفسهِ منهم وان مصر والقاهرة قد خلتـــا الّا من العدد الاقلّ منهم وامكنته الفُرصة فيما يريده منهم فراسل الاتراك والمشارقة وقال لهم : قد عرفتم صورتكم وصورة الحاكم مع هولآء القوم وانهم قد غلبوا على المال وغلبوكم ومتى لم ننتهز الفرصة في قلّة عددهم وضعف شوكتهم سبقوكم الى ما لا يمكنكم تلافيهِ بعد التفريط فيه واستدراك الغاية منـــهُ . واوثقهم على الطاعة والمساعدة فبذلوها له ووثقوا لهُ في كل ما يريده . واحسّ الحسن بن عمّار بما يريد برجوان وشرع فيه وفي الفتك بهِ وسبقهُ الى ما يحـــاوله فيهِ ورتّب لهُ جماعةً في دهليزه وواقفهم على الايقاع به وبشكرٍ اذا دخلا داره وكان لبرجوان عيون كثيرة على الحسن بن عمّار فصاروا اليه واعلموه ما قد عمل عليهِ واجتمع برجوان وشكر وتفاوضا الراي بينهما في التحرُّز مما بلغهما وقرّرا ان يركبا ويركب على اثرهما من الغلمان جماعة « فان احسّوا واحسّنا على باب الحسن ما يريبنا رجعنا وفي ظهورنا من يمنع منّا » فرتّبا هذا الامر وركبا الى دار الحسن وكانت في القاهرة مما يلي الجبل فلما قربا من الباب بانت لهما شواهد ما أُخبرا بهِ فحذرا وعادا مسرعين وجرّد الغلمان الذين كانوا معهمـــا سيوفهم

Marfat.com

ودخلا الى قصر الحاكم يبكيان لديه ويستصرخان بهِ وثارت الفتنـــة واجتمع الاتراك والديلم والمشارقة وعبيد الشرا بالسلاح على باب القصر وبرجوان يبكي ويقول لهم : يا عبيد مولانا احفظوا العزيز في ولده وارعوا فيه ما تقدَّم من حقّه . وهم يبكون لبكايه وركب الحسن بن عمّار في كُتامة ومن انضاف اليهم من القبـــايل وغيرهم وخرج الى الصحراء وتبعوه وتبعه وجوه البلد فصـــار في عَدَدٍ كثيرٍ وفتح برجوان خزائن السلاح وفرّقهُ على الغلمان والرجال واحدقوا ومن معهم بالقصر من المشـــارقة والعامّة (34) بقصر الحاكم وعلى اعلاه الخدم والجواري يصرخون وبرز منجوتكين وبارجـــكس وينال الطويل وخمسمائة فـــارس من الغلمان ووقعت الحرب بينهم وبين الحسن الى وقت الظُهر وحمل الغلمان عليهِ فانهزم وزحفت العامّة الى داره فانتهبوها وفتحوا خزائنه وتفرّقوا ما فيها والتجأ الحسن الى بعض العامّة فاستتر عنده وتفرّق جميع من كان معه وفتح برجوان باب القصر واجلس الحاكم واوصل اليه الناس واخذ له بيعةً مُجدَّدَةً على الجند فما اختلف عليه احدٌ وكتب الامانات لوجوه كتامة وقوّاد الدولة وراسلهم بما تطيبُ بهِ نفوسهم من اقامة عُذرهم فيما كان منهم فحضرت الجماعة واعطت أيمانها على السمع والطاعة . فاستقام الامر لبرجوان وكتب الكتب الى اشراف دمشق ووجوه اهلهـــا ويامرهم بتطييب نفوسهم ويبعثهم على القيـــام على القائد ابي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح والايقاع بهِ وكتب الى مشارقة الاجناد بالاجتماع معهم على المذكور والاعانة لهم عليه

شرح اسباب ولاية القائد سليمان بن فلاح

المقدَّم ذكره لدمشق وما آلت اليه حاله وحال اخيه في ذلك في سنة ٣٨٧

قد تقدَّم من شرح ولاية القائد المذكور لدمشق والسبب لذلك وما آلت الحال اليهِ ما في معرفتهِ الغنـــاء والكفاية . ولما وردت المكاتبات من مصر عقيب انجلاء فتنة القائد ابي محمد الحسن بن عمّار شيخ كتامة بتجديد البيعة للحـــاكم بامر الله بما يطيّب قلوب اهل البلد ويبعثهم على الوثوب على سليمان وكان هذا القـــائد المذكور مشهورًا بالكفاية والغناء وتوقُّد اليقظة في احواله والمضـــاء لكنه كان مستهترًا بشرب الراح واستماع الغناء والتوفُّر على اللذة ولما وردت المطالقات المصريَّة بما اشتملت عليهِ في حقهِ وهو مُنهمك في لهوه لم يشعر الا بزحف العامّة والمشارقة الى قصره وهجومهم عليهِ فخرج هاربًا على ظهر فرسه فنُهبت خزائنه واموالهُ وعُدَده واوقعوا من كان في البلد معهُ من

كُتامة وقتلوا منهم عِدَّةً وافرةً وعادت الفتنة ثائرةً واقتسم الرؤساء الاحداث حال البلد . وكان يكتب لبرجوان فهد بن ابرهيم النصراني فلماً صار الامر (35ب) اليهِ استوزره وكان ابناء القبط بريف مصر واستكتب ابا الفتح احمد بن افلح على ديوان الرسايل. ولم يزل برجوان يتلطّف للحسن بن عمّار الى ان اخرجه من استتارهِ واعاده الى داره واجراه على رسمهِ في راتبه واقطاعاتهِ بعد ان شرط عليهِ اغلاق بابهِ والّا يداخل نفسه فيما كان يداخلها فيه ولا يشرع في فساد على الحاكم ولا على برجوان واخذ العهد عليه بذلك واستحلفه باوكد الأيمان وبالغ في التوثق منه . وكان اهل صور في هذه السنة التي هي سنة ٨٧ قد عصوا وأمروا عليهم رجلًا ملّاحاً من البحرية يعرف بالعلّاقة وقتلوا اصحاب السلطان واتّفق ان المفرج بن دغفل قد نزل على الرملة ونهب ما كان في السواد واطلق يد العيث في البلاد وانضاف الى هاتين الحادثتين خروج الدُوقس عظيم الروم في عسكر كثير الى الشام ونزوله على حصن افامية فاصطنع برجوان القائد جيش بن الصمصامة وقدّمهُ وجهّز معه الف رجل وسيّره الى دمشق واعمالها وبسط يده في الاموال وردّ اليه تدبير الاعمال فسار جيش ونزل على الرملة والوالي عليها وُحيد الهلالي ومعهُ خمسة الف رجل ووافاه ولاة البلد وخدموه وصادف القائد ابا تميم سليمان بن فلاح في الرملة فقبض عليه قبضاً جميلًا وندب ابا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة وياقوت الخادم ومن معه من عبيد الشرا لقصد صور ومنازلتها وفتحها وكان قد ولّي جماعةً من الخدم السواحل وأُنفذوا اليها وانفذ في البحر تقدير عشرين مركباً من الحربيّة المشحونة بالرجال الى ثغر صور وكتب الى علي بن حيدرة والي طرابلس بالمسير اليهِ في اصطوله والى ابن شيخ والي صيدا بمثل ذلك والى جماعةٍ من الجهات بحيث اجتمع الخلق الكثير على باب صور ووقعت الحرب بينها وبين اهلها واستجار العلّاقة بملك الروم وكاتب يستنصرهُ ويستنجده وانفذ اليه عِدَّة مراكب في البحر مشحونةً بالرجال المقاتلة والتقت هذه المراكب مراكب المسلمين فاقتتلوا في البحر قتالًا شديداً فظفر المسلمون بالروم وملكوا مركباً من مراكبهم وقتلوا من فيه وكانت عِدَّتهم (35ج) مائة وخمسين رجلًا وانهزمت بقية المراكب فضعُفت نفوس اهل صور ولم يكن لهم طاقة بمن اجتمع عليهم من العساكر برّاً وبحراً ونادى المغاربة « من اراد الامان من اهل الستر والسلامة فليلزم منزله » فلزموا ذلك وفُتح البلد وأُسر العلّاقة وجماعة من اصحابهِ ووقع النهب وأُخِذ من الاموال والرجال الشيء الكثير وكان هذا الفتح اوّل

Marfat.com

فتح على يد برجوان الحاكمي وحُمل العلّاقة واصحابهُ الى مصر فسُلخَ حيًّا وصُلب بظاهر المنظر بعد ان حُشي جلده تبنًا وقُتل اصحابه . ووُلي ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة ابن حمدان صور واقام بها وسار جيش بن الصمصامة على مقدّمتهِ بدر بن ربيعة لقصد المفرّج بن دغفل بن الجرّاح وطلبهُ فهرب بين يديه حتى لحق بجبلي طيء وتبعه حتى كاد ياخذه ثم رماه ابن جرّاح بنفسه وعجائز نسائه وعاذ منه بالصفح وطلب الامان فامنهُ وشرط عليه ما التزمهُ وعفا عنهُ جيش وكفّ عنهُ واستحلفهُ على ما قرّره معه وعاد الى الرملة ورتّب فيها واليًا من قبلهِ وانكفأ الى دمشق طالبًا لعسكر الروم النازل على افامية . فلما وصل الى دمشق استقبلهُ اشرافها ورؤساء احداثها مُذعنين له بالطاعة فاقبل على رؤساء الاحداث واظهر لهم الجميل ونادى في البلد برفع الكُلَف واعتماد العدل والانصاف واباحة دم كل مغربي يتعرّض لفسادٍ فاجتمع اليه الرعيّة يشكرونهُ ويدعون له وسألوهُ دخول البلد والنزول فيهِ بينهم فاعلمهم انهُ قاصد الجهاد في الروم واقام ثلثة ايام وخلع على رؤساء الاحداث وحملهم ووصلهم ونزل حمص . ووصل اليه ابو الحسن عبد الواحد بن حيدرة في جند طرابلس والمتطوّعة من عامّتها وتوجّه الى الدوقس عظيم الروم النازل على حصن افامية فصارت اهله قد اشتدّ بهم الحصار وبلغ منهم عدم الاقوات وانتهى امرهم الى اكل الجيف والكلاب وابتاع واحدُ واحدًا بخمسة عشرين درهمًا . فنزل بازاء الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب والتقى الفريقان وتنازعا الحرب والمسلمون في عشرة الف رجل ومعهم الف فارس من (36") بني كلاب فحمل الروم على القلب وفيهِ بدر العطّار والديلم والسواد فكسروه ووضعوا السيف في من كان فيه وانهزمت الميسرة وفيها ميسور الصقلبي والي طرابلس ولحقتها الميمنة وفيها جيش بن محمد بن الصمصامة المقدّم ووحيد الهلالي وركب الروم المسلمين وقتلوا منهم الفي رجلٍ واستولوا على سوادهم وسلاحهم وكراعهم ومال بنو كلاب على اكثر من ذلك فانتهبوه وثبت بشارة الاخشيدي في خمسمائة غلامٍ وشاهد اهل افامية من المسلمين ما نزل بالناس فايقنوا بالهلاك والعطب وابتهلوا الى الله الكريم اللطيف بعباده وسألوا الرحمة والنصر . وكان ملك الروم قد وقف على رايته بين يديه ولدان له وعشرة نفرٍ من غلمانهِ ليشاهد ظفر عسكره واخذه ما ياخذه من الغنائم فقصده كردي يعرف بابي الحجر احمد بن الضحاك السليل على فرسٍ جوادٍ وعليهِ كذاغند وخوذة وبيدهِ اليُمنى خشتٌ وباليسرى العنان وخشت اخر فظنهُ الدوقس مُستأمنًا لهُ ومستجيرًا

Marfat.com

به فلم يحفل بهِ ولا تحرّز منهُ فلما دنا منه حمل عليهِ والدوقس مُتحصّن بلأمتهِ فرفع يده ليتقي ما يرميه به فرماه بالزوبين الذي في يمناه رميةً اصابت خللًا في الدرع فوصل الى جسده وتمكّن منه في اضلاعهِ فسقط الى الارض ميتًا وصاح الناس « ان عدُوّ الله قد قُتل » فانهزمت الروم وتراجع المسلمون وعادت العرب ونزل من كان في الحصن فاعانوهم واستولى المسلمون على الروم فقتلوهم واسروهم وكانت الوقعة في مرج افيح يُطيفُ به جبل يُعرف بالمضيق لا يسلكه الّا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرّم النهار وقد احتُزّ من رووس القتلى عشرة الف راس وبات المسلمون مبيت المنصورين الغانمين المسرورين بما منحهم الله ايّاهم من الكفاية ووهب لهم من الظفر . ووافى العرب من غدٍ بما نهبوه من دوابّ المسلمين عند الهزيمة ومنهم من ردّ ومنهم من باع بالثمن البخس لان جيش بن الصمصامة المقدّم نادى في معسكره بالّا يبتاع احد من العرب الّا ما عرفهُ وكان ماخوذًا منه فلم (36ᵛ) يجد الّا ما اخذه اصحابه . وحصل ولدا الدُوقس في اسر بعض المسلمين فابتاعهما جيش بن الصمصامة المقدَّم منه بستة الف دينار واخذهما اليه واقام على حصن افامية اسبوعًا وحمل الى مصر عشرة الف راس والفي رجلٍ من الاسرى الى باب انطاكية ونهب الرساتيق واحرق القرى وانصرف منكفيًا الى دمشق . وقد عظمت هيبته فاستقبلهُ اشرافها ورؤساوها واحداثها مُهنّئين وداعين له فتلقّاهم بالشماسية وزادهم من الكرامة وخلع عليهم (وعلى) وجوه الاحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجواري والغلمان وعسكر بظاهر البلد وخاطبوه في الدخول والجواز في الاسواق وقد كانوا زينوها اظهارًا للسرور به والتقرّب اليه فلم يفعل وقال : معي عسكرٌ وان دخلتُ دخلوا معي ولم امن ان يمدّوا ايديهم الى ما يثقل به الوطأة منهم . والتمس ان يخلوا له قريةً على باب دمشق تعرف ببيت لهيا ليكون نزوله بها فاجابوه الى ذلك

ولاية بشارة الاخشيدي القائد لدمشق

في سنة ٣٨٨ والسبب الداعي الى ذلك

وما آلت اليه الحال

لما تقرّر الحال بمصر مع برجوان الحاكمي على تجهيز جيش بن الصمصامة الى الشام لتلافي ما حدث فيه وتدبير الاعمال وتسديد الاحوال والرفع لشرّ الروم الواصلين الى

Marfat.com

اعماله اقتضت الحـال والسياسة ردَّ ولاية دمشق بعد اخراج القائد ابي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح منها على ما تقدّم الذكر له الى القائد بشارة الاخشيدي فسـار ووصل اليها ودخلها ونزل في قصر الوُلاة بها وشرع في البناء فيه على عادة الوُلاة في ذلك في يوم الاثنين النصف من شوّال سنة ٣٨٨ . وتوجّه القائد بشارة الوالي المذكور مع جيش ابن الصمصامة الى الجهاد في الروم فلما اظفر الله بهم ونصر عليهم وانكفأ المسلمون منصورين ظافرين مسرورين وعاد بشارة الوالي في الجملة صـادف الامر قد ورد من مصر بصرف القائد بشارة عن ولاية دمشق واقرارها على القائد جيش بن محمد (37) ابن الصمصامة

شرح السبب في ذلك وما انتهت اليه حاله وكان ماله

قد تقدَّم شرح السبب في اخراج القائد جيش في العسكر من مصر الى الشـام ما كفى واغنى وما كان منه في التدبير في افتتاح ثغر صور وكسر عسكر الروم والعود الى دمشق وصرف بشارة عن ولايتها . واتّفق ذاك وقد قوّض الصيف خيامهُ وطوى بعد النشر اعلامهُ والشتاء قد اقبل بصرّه وهريره وقرّة زمهريره فالتمس من اهل دمشق على ما تقدّم ذكره اخلاء بيت لهيا فأُجيب الى ما طلب فنزل فيها وشرع في التوفُّر على استعمال العدل ورفع الكُلَف واحسـان السيرة والمنع من الظلم واشخص رؤساء الاحداث وقدَّمهم واستحجب جماعةً منهم وجعل يعمل لهم السُمَط في كل يوم يحضرهم للاكل عنده ويبالغ في تأنيسهم واستمالتهم بكل حالٍ . فلما مضت على ذلك بُرهة من الزمان احضر قوّاده ووجوه اصحـابه وتقدَّم اليهم بالكون على اهبةٍ واستعدادٍ لما يُريد استخدامهم وتوقُّع لما يوصـل اليهم من رقاعه المختومة بخاتمه والعمل به . وقسم البلد وكتب الى كل قائد يذكر الموضع الذي يدخل فيه ويضع السيف في مُفسديه ثم رتب في حمام داره مائتي راجل من المغـاربة بالسيوف وتقدَّم الى المعروف بالناهري العلوي وكان من خواصّه وثقاته بان يُراعي حضور رؤساء الاحداث الطعـام فاذا اكلوا وقاموا الى المجلس الذي جرت عـادتهم بغسل ايديهم فيهِ اغلق عليهم بابه وامر من رتب في الحمام بوضع السيف في اصحـابهم . وكان كل رجل منهم يدخل ومعه جماعة من الاحداث معهم السلاح وحضر القوم على رسمهم فبـادر جيش بالرقاع الى قوّاده وجلس معهم للاكل فلمـا فرغوا نهض فدخل في حجرته ونهضوا الى المجلس واغلق الفرّاشون بابه وكانت عِدّتهم اثني عشر رجـلًا يقدمهم المعروف بالدُهَيقين وخرج من

بالحمام فوضعوا السيف في اصحابهم فقتلوهم باسرهم وكانوا تقدير مائتي رجل : وركب القوّاد ودخلوا البلد وقتلوا فيه (37) قتلًا ذريعًا وثلموا السور من كل جانب وفتحوا ابوابه ورموها وأنزل المغاربة دور الدمشقيين وجرّد الى الغوطة والمرج قائدًا يعرف بنصرون وامره بوضع السيف في من بها من الاحداث فيقال انه قتل الف رجل منهم لانهم كانوا كثيرين . ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسالوا العفو والابقاء فكف عنهم ورتب اصحاب المصالح في المحالّ والمواضع وعاد الى القصر في وقته فاستدعى الاشراف استدعاء حسُن معه ظنُّهم فيه فلما حضروا اخرج رؤساء الاحداث فضرب رقابهم بين ايديهم وامر بصلب كل واحد منهم في محلّته حتى اذا فرغ من ذلك قبض عليهم وحملهم الى مصر واخذ اموالهم ونعمهم ووظّف على اهل البلد خمسمائة الف دينار . وجاءهُ امر الله تعالى الذي لا يُدفع نازله ولا يُردّ واصله فهلك وكان سبب هلاكهِ ناسور خرج في سفلهِ ولم يزل يستغيث من الألم ويتمنى الموت ويطلب ان يقتل نفسه فلا يتمكّن ولا يُمكّن ويسئل في قتله فلا يُقتَل الى ان هلك على هذه الحال وكانت مدة هذه الولاية والفتنة تسعة شهورٍ وقيل ان عدّة من قتل من الاحداث ثلثة الف رجلٍ (١ وانتهى الخبر الى مصر بهلاكه فقُلّد ولده محمد بن جيش مكانه . وقد استقامت الامور بمصر والشام واستمالَ برجوان المشارقة واستدعاهم من البلاد فاجتمع عنده منهم تقدير ثلثة الف رجل وكان يواصل النظر في قصر الحاكم نهاره اجمع الى ان ينتصف الليل ويجاوز الإنتصاف ويوفي السياسة حقّها وبين يديه ابن ابي العلاء فهد بن ابرهيم مَن يمشّي الامور ويحسن تنفيذها . وراسل برجوان بسيل ملك الروم على لسان ابن ابي العلاء ودعاه الى المهادنة والموادعة وحمل اليهِ هدايا سلك فيها سبيل التألُّف والملاطفة فقابل بسيل ذلك منه باحسن قبولٍ وتقرّرت الموادعة عشر

---

١) وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : قال ابن عساكر : حدثني الامام ابو الحسن بن المسلم عن بعض شيوخه ان ابا بكر بن الحرمي الزاهد صادف احمالًا من الخمر لجيش فأراقها عند بيت لها فأحضر بين يدي جيش فسأله عن اشياء من القران والحديث والفقه فوجده عالمًا بما ساله فنظر الى شاربه واظفاره فوجدها مقصوصة وامر من ينظر الى عانته فوجدها محلوقة فقال : اذهب فقد نجوت مني لم اجد ما احتجّ بهِ عليك . فلما بلغ جيش في مرضهِ ما بلغ من الجذام والقى ما في بطنه حتّى كان يقول لاصحابه : اقتلوني اريحوني من الحياة . لشدّة ما كان يناله من الالم قال لاصحابه : رايتُ كانّ اهل دمشق كلهم رموني بالسهام فاخطأوني غير رجل اصابني سهمه ولو سمّيته لعبده اهل دمشق . فكانوا يرون انه ابن الحرمي اصابتهُ دعوتهُ . وعاش ابن الحرمي بعده ستًا واربعين سنة

Marfat.com

سنين وانفذ بسيل في مقابلة الهدية ما جرت به عادة مثله . وصلحت الحال مع العرب واحسن الى بني قرّة والزمهم شرائط الطـاعة وسيَّر عسكرًا الى برقة وطرابلس الغرب فاخذها وعوَّل في ولايتها على يانس الصقلبي . وكان لفرط اشفاقه على الحـاكم يمنعهُ من الركوب في غير وقت ركوبه والعطـاء لغير (38r) مستحقّه وفعل وذاك يفعلهُ من باب السياسة والحفظ لنفسهِ وهيبته وماله وهو يُسرّ ذلك في نفسه انهُ من الاسـاءة اليه والتضييق عليه . وكان مع الحاكم خادم يُعرف بزيدان (١ الصقلبي وقد خصَّ بهِ وانس اليه في شكوى ما يشكوه من برجوان اليه واطّلاعه على مـا يسرّه في نفسه له وزاد زيدان في الحمل عليه والاغراء به وقال له فيما قـال : ان برجوان يريد ان يجري نفسه مجرى كافور الاخشيدي ويجريك مجرى ولد الاخشيدي في الحجر عليك والاخذ على يدك والصواب ان تقتله وتُدبّر امرك منفردًا بهِ . فقال لهُ الحاكم : اذا كان هذا رأيك والصواب عندك فاريد منك المساعدة عليه . فبذلها له فلما كان في بعض ايَّام شهور سنة ٣٨٩ اشار زيدان على الحاكم بان ينفذ الى برجوان في وقت الظهر بعد انصرافه الى داره وتفرُّق الناس عنه للركوب الى الصيد وان يقف له في البستان الذي داخل القصر فاذا حضر امر بقتله فارسل اليه بالركوب وقال : اريد ان تُرتب الخدم في جانبي البستان فاني اقف على بابه وانت بين يدي فاذا حضر برجوان دخلت البستان وتبعني وكنتُ في اثره فاذا نظرتُ اليك فاضربه بالسكين في ظهره وواقِف الخدم ان يضعوا عليه . فبينما هما في الحديث اذ دخل برجوان فقـال للحاكم : يا امير المؤمنين الحرّ شديد والبزاة في مثلهِ لا تصيد . فقال : صدقت ولكننا ندخل البستان ونطوف فيه ساعةً ونخرج . وانفذ برجوان الى شكر وكان قد ركب بان يسير مع الموكب الى المقس والمقس ظاهر القاهرة ويقف عند القنطرة « فان مولانا يخرج من البستان ويتبعك » ففعل ودخـل الحاكم البستان وبرجوان خلفه وزيدان بعده وكان برجوان خادماً ابيض اللون تامّ الخلقة فبدره زيدان فضربه بين اكتافهِ بسكين اطلعها من صدره فقال : يا مولانا غدرتَ . فصاح الحاكم : يا عبيد خذوا راسه . وتكاثر الخدم عليه فقتلوه وخرج الخدم الكبـار مسرعين

---

١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي في ترجمة برجوان سنة ٣٩٠ هو ريدان ويقـال ان الحاكم قتلهُ في سنة ٣٩٣ وفي حاشية « كتب المصنّف « زيدان » بالزاي المنقوطة ولا شك انهُ بالراء المهملة واليهِ تنسب الريدانيَّة . وفي الخطط للمقريزي ان الريدانية هي بُستان لريدان الصقلبي الذي قتله الحاكم في السنة المذكورة وان صحراء الاهليلج هي من جملة بُستان ريدان

Marfat.com

على ظهور الخيل الى الجانب وبغال الموكب والجوارح فردّوا جميعها فقال لهم شكر : ما السبب في ذلك ! فلم يجيبوه فجاء الناس من هذا الحادث ما لم يكن في الحساب وعاد شكر بالموكب وشهر (38ظ) الجند سيوفهم وهم لا يعلمون ما الخبر غير انهم خائفون على الحاكم من حيلة تتمّ عليه من الحسن بن عمّار ورجع اكثرهم الى دورهم فلبسوا سلاحهم ووافوا الى باب القصر وتميّز المغاربة والمشارقة واحدق شكر ومن معه من الاتراك والمشارقة القصر وعلا على شرف القصر الخدم في ايديهم السيوف والتراس وعظُم الامر واجتمع القوّاد وشيوخ الدولة وابو العلاء الوزير على باب القصر الزمرّد. فلما راى الحاكم زيادة الاختلاط ظهر من منظرةٍ على الباب وسلّم على الناس فترجّلوا عن دوابّهم الى الارض وقبّلوها بين يديه وضُربت البوقات والطبول وفتح باب القصر واستدعى اصحاب الرسايل وسلّمت اليهم رقعة قد كتبها الحاكم بيدهِ الى شكر واكابر القوّاد يقول فيها : انني انكرتُ على برجوان امورًا اوجبت قتله فقتلته فالزموا الطاعة وحافظوا على ما فيها في رقابكم من البيعة الماخوذة. فلما قُرئت عليهم قبّلوا الارض وقالوا : الامر لمولانا . واستدعى الحسين بن جوهر وكان من شيوخ الدولة فامره بصرف الناس فصرفهم وعاد الحاكم الى قصره وكلّ من القوّاد الى دارهِ والنفوس خائفة من فتنةٍ تحدث بين المشارقة والمغاربة وشاع قتل برجوان وركب مسعود الحاكمي الى داره فقبض على جميع ما فيها من امواله . وجلس الحاكم وقت العشاء الاخير واستدعى الحسين بن جوهر وابا العلاء بن فهد بن ابرهيم الوزير وتقدّم اليه باحضار سائر كُتّاب الدواوين والاعمال ففعل وحضروا واوصلهم اليه وقال لهم : ان هذا فهدًا كان امسِ كاتب برجوان عبدي وهو اليوم وزيري فاسمعوا لهُ واطيعوا ووفّوه شروطهُ في التقدُّم عليكم وتوفّروا على مراعاة الاعمال وحراسة الاموال . وقبّل فهد الارض وقبّلوها وقالوا : السمع والطاعة لمولانا . وقال لفهدٍ : انا حامدٌ لك وراضٍ عنك وهولاء الكتاب خدمي فاعرف حقوقهم واجمل معاملتهم واحفظ حُرمتهم وزِد في واجب من يستحقّ الزيادة بكفايته وامانته . وتقدّم بان يكتب الى سائر وُلاة البلاد والاعمال بالسبب الواجب لقتل برجوان . فكتب بما نسخته بعد التصدير وما جرت العادة (39ظ) بمثله في الخطاب : اما بعد فان برجوان ارضى امير المؤمنين حينًا فاستعمله ثم اسخطه فقتله واعلمك امير المؤمنين ذالك لتعلمه وتجري على سنَنك الحميد في خدمتهِ ومذهبك الرشيد في طاعته ومُناصحته وتسديد ما قبلك من الامور وطالعهُ بما يتجدّد لديك من احوال الجمهور

Marfat.com

ان شاء الله . ونُفذت الكتُب بذاك واستقـامت الاحوال على سنن الصواب وزال ما خيف من الاختلال والاضراب

ولاية القايد تميم بن اسمعيل المغربي

الملقَّب بفحل لدمشق سنه ٣٩٠

لما هلك جيش بن محمد بن الصمصامة على ما تقدّم الشرح فيه عقيب اغراقه في الظلم وايغاله في سفك الدماء والجور وكان هلاكه في يوم الاحد لتسعٍ خلون من شهر ربيع الاخر سنة ٣٩٠ وكانت مدَّة ولايتهِ التي هلك فيهـا على ما صحّ في هذه الرواية دون ما تقدَّم ذكره ستة عشر شهرًا وستَّة عشر يومًا وانتهى الخبر الى مصر بذاك وقع الارتياد لمن يختار لولايتها بعد المذكور فوقع الاختيـار على القائد تميم بن اسمعيل المغربي الملقَّب بفحل فوصل اليها واقام بها وامر ونهى وبقي شهورًا من سنة ٣٩٠ وعرضت له علَّة هلك بها ومضى لحال سبيله فلمـا انتهى خبر وفاتهِ الى مصر وقع الاعتماد في ولايته على القائد علي بن جعفر بن فلاح وقد كان وليها دفعةً اولةً

شرح ذلك

وصل القائد علي ابن جعفر بن فلاح الى دمشق واليًا عليها دفعةً ثانية فنزل عليهـا في يوم السبت لليلتين بقيتا من شوّال سنة ٣٩٠ واقام مدَّةً يتولَّى امرها ويدبّر احوالها على عادة الوُلاة الَّا انهُ لم يبسط يده في مالٍ ولا تعرّض لشيْ من استغلالٍ ثم اقتضت الآراء بمصر ان يُصرف عنها ويُبدل بغيره في ولايتها

ولاية القائد ختكين الداعي

المعروف بالضيف في سنة ٣٩٢

وصل القائد ختكين الداعي المعروف بالضيف الى دمشق واليًا عليهـا من قبل الحاكم بامر الله في شهر رمضان من السنة فدبَّر امورها ونظر في احوال اجنادهـا . واقتضى رايه ان ينقّص واجبات الاجناد ويدافع باعطياتهم ويغالطهم ويظهر امرًا من التوفير فلم يتمكَّن (39[٧]) من بلوغ مرامٍ ولا نيل املٍ واتفق ان يكون القائد علي بن فلاح المقدَّم ذكره مقيمًا في عسكره في الشماسيَّة بظاهر دمشق فلما طلبت الاجنـاد ارزاقها منه قال لهم : ليس اليَّ من امر ارزاقكم شيْ . فكان على تدبير المال واطلاق

الارزاق رجل من الكُتَّاب نصراني يقال له ابن عبدون فشغب الجند في العسكر فثاروا يريدون ابن عبدون فلحقوا ختكين الوالي في الطريق فنهاهم من ابن عبدون وشتمهم وكان رجلًا جاهلًا احمق فرجع اليه قوم من الجند فسألوه فلم يجب الى ما يوافق اغراضهم ويسكن شغبهم فثارت الفرسان والرجالة الى دور الكُتَّاب فانتهبوا ما كان فيها ونهبوا ما كان في الكنائس واجتمع بعد ذلك جماعة من المشارقة والمغاربة فتحالفوا على ان يكونوا يدًا واحدةً في طلب الارزاق والمنع ممَّن عساه يطالبهم بما فعلوه وحلف لهم القائد علي بن فلاح على كونه منهم وشده معهم وانتهى الامر في ذلك الى الحاكم فقال: هذا قد عصى وخرج عن مشكور السياسة . وامر بصرفه عن الولاية والاستبدال به وكتب اليه بذلك فرحل عنها بنفرٍ يسيرٍ من اصحابه في شوَّال من السنة المذكورة وبقي العسكر في دمشق . فاقتضى الراي الحاكمي ردَّ ولاية دمشق الى رجل اسود بربري يقال له القائد طِزمِلت بن بكَّار

ولاية القائد طِزملة (١ بن بكَّار البربري لدمشق

في بقية سنة ٣٩٦

وصل القائد طزملت المذكور الى دمشق واليًا عليها من قبل الحاكم بامر الله في يوم الاحد لست بقين من ذي القعدة من السنة وكان هذا طزملت عبدًا لابن وفري والي القيروان فولاه طرابلس الغرب فجار على اهلها وظلمهم واخذ اموالهم فحصل لهُ منهم مالٌ عظيمٌ فلمَّا انتهى خبر ظلمه الى مولاه طلبه والتمس إشخاصه الى القيروان لكشف الامر فخافه وانهزم اشفاقًا على نفسه وماله ووصل الى مصر وحمل بعض ما كان معه الى الحاكم فتمكنت حاله عنده وتأثَّلت منزلته منه وولَّاه دمشق فاقام واليًا عليها الى المحرَّم سنة ٣٩٤ فصُرف عنها بخادم من خدم الحضرة يقال له القائد مفلح اللحياني وسنشرح حاله في غير هذا المكان . كان في سنة ٣٩٣ قد اجتمع في مصر ابو ظاهر محمود بن محمد النحوي (40) وكان من اهل بغداد وطرا الى مصر (واليه ديوان

---

١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام ان في ربيع الاخر من سنة ٣٩٣ امر نائب دمشق تصوات الاسود الحاكمي بمغربي فطيف به على حمار ونودي عليهِ: هذا جزاء من يحبُّ ابا بكر وعمر . ثم امر بهِ فأُخرج الى الرملة فضُرب عنقهُ هناك رضي الله عنهُ ولا رضي من قاتلهِ

Marfat.com

الحجاز) (و) المعروف بابن العدّاس المصري (واليه ديوان الخراج) على الرفع على ابي العلاء فهد بن ابرهيم الوزير والسعاية به الى الحاكم وعملا عملًا بما اقتطعه وارتفق به واشتمل ذلك على حملةٍ كبيرةٍ من المال ولقيا الحاكم بالعمل ووقفاه عليه وبذلا لهُ القيام بالامر وتوفير ستة الف دينار في كل سنة فكان فهد ياخذها لنفسه فقال لهما: انا اقبض عليه واقلّدكما النظر فيما كان ينظر فيه . فقالا : لا يتمّ امر ولا يمشي لنا عمل وفهد حيّ مامول الخروج من محبسه والعود الى امرهِ سيما وكل من بمصر والشام من الوُلاة والعمّال صنائع برجوان وقد جرى اصطناعه اياهم على يده . فامتنع عليهما من قبله وكره قتله وقال لهما : ما له اليَّ ذنب فاقتله به ! وراجعاه القول والحّا عليه فيه فقال : اذا فعلتُ ما اردتماه فما التوثقة فيما بذلتماه ؟ قالا : ان نكتب خطّنا لك باننا نكفيك امورك ونقوم بتمشيتها على مُرادك ونقيم لك وجه المال الذي ضمنًا استخراجه لك وتوفيره من الاعمال . قال : فأيُكما يخرج الى الشام ؟ قالا : عبدك ابن النحوي ويقيم ابن العدّاس بحضرتك . فقرّر ذلك معهما واخذ به خطّهما . وكان من عادة الحاكم ان يطوف ليلًا بمصر والقاهرة وقد منع التجار وارباب الدكاكين ان يغلقوا دكاكينهم او ينصرفوا عنها الى منازلهم حتى صار الليل نهارًا في معاملاتهم (و) من اشعال السرج والشمع واضاءة المحالّ والاسواق تقرُّبًا اليه ويطلق لهم المعونة الكثيرة على ذلك ويقف على دكاكينهم ويجتاز بينهم ولا يقدر احد ان يقوم له او يقبّل الارض بين يديه فلما عاد في تلك الليلة سحرًا من طوفهِ امر مسعودًا السيفي بان يمضي الى فهد بن ابرهيم الوزير يستدعيه فاذا دخل بحجره ضرب عنقه واحضر راسه وان يقبض على ابي غالب اخيه وكان شريرًا مُبغضًا واليه ديوان النفقات فمضى ووجد فهدًا في الحمّام فانتظره حتى خرج ثم استركبه واشعره انه يراد بخير واتزعج اولاده واهله وساءت ظنونهم فيه ووصل مسعود الى باب الرهومة وهو باب من ابواب القصر فعدل به الى محجّة العطب فلما راى فهدٌ ذلك احسّ (40ᵛ) بالهلاك فصاح واستغاث وبكى ولاذ بالعفو وبكى الناس لما شاهدوه من حاله وعرفوه من الامر الذي يُراد به وادخله مسعود الى الحجرة فاقسم عليه فهد ان يُراجع الحاكم في بابه وبذل له الف دينار وتوفير مثلها فقال لهُ مسعود : لا سبيل الى المراجعة بعد ما أُمرتُ به . وضرب عنقهُ واخذ راسه وحملهُ الى حضرة الحاكم فلما شاهده امره ان يُخرج راس كل من يقتلهُ من وجوه الدولة الى قائد القوّاد فلما رآه اسقط مغشيًا عليه وعاد مسعود

Marfat.com

ليقبض على ابي غالب اخيه فوجده قد هرب فأُعلم الحاكم ذلك فامر بطلبه حتى ظفر به بعد شهر وغيَّر حليتهُ وحلق لحيته فالحقه باخيه . واحضر اولاد فهد فخلع عليهم وكتب لهم سجلاً بصيانتهم وحماية دورهم وازالة الاعتراض عنهم وعن اسبابهم . ونظر ابن العدَّاس في الاعمال وشرع في تهذيب الامور وتوفير الاموال وتوجّه ابن النحوي الى الشام على القاعدة المقرّرة مع الحاكم وكان قد عدَّ ما يحتاج اليه من آلة السفر والتجمُّل واستكثر من ذلك وتناهى فيه وهابه الناس وتجنَّبوه ووصل اوّلاً الى الرملة فقبض على العمَّال والمتصرّفين فيها وعسفهم والزمهم بمائتي الف دينار ووضع السوط والعصا في المطالبة وبثّ اصحابهُ ونوّابهُ الى دمشق وطبريَّة والسواحل بعد ان واقفهم على اخذ العمَّال والمتصرّفين في الاعمال ومُصادرتهم وخبط الشام وعسف من فيه بطلب المال . وكان في جُملة العمَّال رجل نصراني يتعلَّق بخدمة ست الملك اخت الحاكم ولهُ منها رعاية مؤكّدة فكتب اليها يستصرخ بها ويشكو ما نزل بالناس من البلاء اليها وما شمل الشام واهله من ابن النحوي وما بسط فيه من الظلم والعسف والجور ممَّا لم يجر بمثلهِ عادة في قديم الازمان ولا حديثها فلما وصل الكتاب اليها ووقفت عليه دخلت على الحاكم وكان يُشاورها في الامور ويعمل برايها ولا يخالف مشورةً لها فعرضت عليه ما تضمَّنه الكتاب من الشكوى وقالت : يا امير المؤمنين قد ظهر كذب ابن النحوي وابن العدَّاس واعمالها الحيلة على فهدٍ وقتلهِ مساعدةً للحسين بن جوهرٍ وقد افسد البلاد عليك واوحش الناس منك فان كنتَ يا امير المؤمنين (41) تُريد اخذ اموال عبيدك فكل يبذلها لك طوعاً ويحملها الى خزانتك تبرُّعاً بعد ان يكونوا تحت ظلّ الصيانة وفي كنف الحياطة هذا ولم تجر عادات ابائك اطلاق المصادرات . فانكر الحاكم انه لم يسمح لاحدٍ منهما في ذلك وكتب الى وحيد والي الرملة سرًّا وكان الحاكم يكتم السرّ شديداً : بسم الله الرحمن الرحيم يا وُحَيد سلمك الله ساعةً وقوفك على هذا الكتاب اقبض على محمود بن محمد لا حمد الله امره وسيّره مع من يُوصله من ثقاتك الى الباب العزيز ان شاء الله . فلما وقفت اخته على التوقيع قالت : يا امير المؤمنين ومَن هذا الكلب حتى ترفع من شانه بحمله الى حضرتك وبطن الارض اولى به . فاخذ الكتاب وزاد فيه : بل تضرب عنقه وتنفذ راسه . وختم الكتاب ثلثة ختوم واحضر سعيد بن غياثٍ صاحب البريد ودفعه اليه فبادر به من وقته ومسافة ما بين القاهرة والرملة مائة فرسخٍ وكانت النوبة تُوافيها في الساعة الثالثة من اليوم الثالث ووصل الكتاب الى وُحَيد وكان عادته الى

ابن النحوي دائمًا وربَّما اوصله او حجبه فلما وقف على الكتاب قـال لدُرّي غلامه الناظر في المعونة وكان ارمنيًا فظًّا غليظًا : اركب الى محمود (وكان مخيَّمًا بظاهر الرملة) واستـأذن عليه فاذا اوصلك فابلغه سلامي واسئله الركوب اليّ لاقِفه على ما ورد من حضرة السلطان فان قال لك « لم تجرِ بذلك عادته » فقل : كذا أُمِرتُ فيما ورد . فمضى دُرّي اليه وبين يديه جماعة كثيرة من الرجال حتى وافى عسكر محمودٍ واستـاذن عليه ودخل اليه وقال له ما قاله وُحيد الوالي فقال له : لم تجرِ بذلك العادة فيما تسومُنيه وفي غدٍ نجتمع . فاجابه بما قال لهُ وحيد فلما سمعه ضعفت نفسه وسآء ظنّه ولم يمكنه مخالفته فركب في موكبه وتوجَّه الى دار وُحيد وصـار الى وُحيد من اعلمه ركوبه فتقدّم الى بعض حجَّابه وصاحب الخبر برملة بان يتلقّيـاه فاذا لقياه انزلاه عن دابَّته وضربا عنقه واخذا راسه ففعلا ما امرهما وحين وصل سوق البزّ صادفاه وانزلاه بعد تمنُّعه فاوقعـا به وقطعا راسه وحملاه الى وُحيد فاحضر القاضي والشهود وكتب محضرًا بان الراس راسُ محمودٍ وصيرّه وانفذه مع المحضر الى صاحب البريد فاسرع (41[٧]) به الى مصر وقبض على اصحابه واسبابه واملاكه وكراعه . وسرّ الناس بهلاكه وتباشروا بما كُفوه من شرّه ووصل الراس الى الحاكم فاحضر ست الملك فاراها اياه فدعت له وشكرته على ما كان منه وامر مسعود بان ياخذ ابن العدّاس من بين يدي قـائد القوّاد الحسين بن جوهر فتُضرب عنقه بحضرته وياخذ راسه ويضيفه الى الراس ففعل فلما اجتمع الراسان بين يديه امره ان يخرجهما الى قائد القوّاد فاخرجهما اليه فلما شاهدهما جزع جزعًا شديدًا ثم استدعـاه الحاكم وسكن منه وامرهُ ان يستنيب ابا الفتح احمد بن محمد بن افلح على النظر في الامور فاقـام في النظر سنة ونصفًا ثم قُتل وأُقيم مقامه يحيى بن الحسين بن سلامة النصراني . وكثر الكلام على قائد القُوّاد والوقائع فيه فشكر الحاكم عليه وتغيَّر له وهمَّ بالايقـاع به وصرفه عن الوزارة وعوَّل فيما كان اليه على علي بن صالح بن علي الروذباري ولقبه بثقة الثقات وردّ اليه السيف والقلم فنظر في الامور ودبّر الاعمـال وحفظ وجوه المال والاستغلال تقدير سنتين ثم تغيرَّ له وتأوّل عليه وقتله وقلّد مكانه المعروف بمنصور بن عبدون . وكان رجلًا نصرانيًا خبيثًا جلدًا وبينه وبين ابي القاسم الحسين ابن علي بن المغربي ووالده ابي الحسين عليّ عداوة قديمة ومساعاة ووقائع متّصلة لأن ابا القـاسم صُرف به عن ديوان السواد فواصل ابو القاسم الوقيعة فيه والكلام عليه وعلى الكتّاب النصارى الى ان قبض على جماعتهم فلما حصلوا في القبض امر الحاكم بان يضرب

كل واحد منهم خمسمائة سوطٍ فان مات رمي به الكلاب وان عاش أُعيد ضربه الى ان يموت فبذل منهم جماعة مالًا عظيماً على ان يستبقوا فلم يقبل منهم واستمرت الشحناء بينهم

ولاية القائد ابي صالحٍ مفلح اللحياني المقدَّم ذكره

وشرح الحال في ذلك لدمشق سنة ٣٩٤

وصل القائد ابو صالح مفلح الخادم المعروف باللحياني الى دمشق والياً عليها في المحرم سنة ٣٩٤ فتولى امرها وامر ونهى في اهلها وكان القائد طزملت المصروف عنها قد برز الى داريًا فلم يلبث الَّا قليلًا واعتلَّ فيها علَّةً قضى نحبه فيها في يوم الاثنين الثاني من صفر من السنة واقام القائد ابو صالح والياً عليها وسائساً لامورِ اهلها (42) والاحوال مستقيمةٌ على نهج الصواب والسداد وقضيّة المراد الى ان صُرف بالقائد حامد بن ملهم وسياتي شرح ذلك في موضعه. وقيل ان منصور بن عبدون الناظر في الدواوين بمصر لم يزل بنو المغربي المقدَّم ذكرهم مستمرين على الوقيعة فيه والتضريب بالسعاية عليه وافساد راي الحاكم فيه وهو يعتمد فيهم مثل ذلك ويغريهِ بهم ويحمله على قتلهم حتى تقدَّم الى جعفر الصقلبي وكان قد قام مقامَ مسعودٍ السيفي في القتل ان يحضر عليّاً ومحمَّدًا ابني المغربي ويدخلهما الحجرة ويضرب اعناقهما ففعل ذلك ثم امره ان يحضر ابا القاسم الحسين بن علي المغربي واخويه ويقتلهم فامَّا الاخوان فانهما أُخذا بعد ثلثة ايام وقُتلا وامَّا اخوهما ابو القاسم الحسين بن علي فاستتر واعمل الحيلة في النجاة وهرب مع بعض العرب وحصل بجلَّة حسَّان بن المفرج بن دغفل بن الجرّاح فاستجار فاجاره وانشده عند دخوله عليه وايمانه ممَّن يطلبه منه ما يستنهض عزيمته فيه من الاجارة له والذبّ عنهُ والمراماة دونه:

امَّا وَقَد خَيَّمتُ وَسطَ الغَابِ ... فليَقسُوَنَّ عَلى الزَمَانِ عِتَابِي
يترَنَّم الفُولَاذُ دُونَ مُخَيَّمي ... وتزعزَعَ الخِرصَانُ دُون قِبَابِي
وَاذَا بنيتُ عَلى الثنيَةِ خَيمةً ... شُدَّت الى كِسَرِ القَنَا اطنَابِي
وتقُومُ دُونِي فِتيَة مِن طَيِّ ... لَم تَلتَبِس اثوَابُهمْ بالعَابِ
يتناثَرُونَ على الصَّريخ كَأَنَّهم ... يُدعونَ نحو غَنائِمٍ وَنِهابِ
مِن كلِ اهوَجَ يَرتَمي حملاقه ... بالجمر يوم تَسَايفٍ وضِرَابِ

Marfat.com

يَهدِيهِم حَسَّانُ يحمل بَزَّهُ جَردَاء تُعليه جنـاح عُقَابِ
يجري الحياءُ على اسِرّةِ وَجهه جَرْيَ الفرندِ بصَارِمٍ قَضَّابِ
كرمٌ يشقُّ على التِلَادِ وعَزمَةٌ يغتَال بَادِرَها الهزبر الضَّابِي
وَلقد نَظرتُ اليك يابن مُفَرّج في منظر مِلءُ الزَمان عُجابِ
وَالموتُ مُلتَفُّ الذوَائب بالقَنَا والحربُ سافِرَةٌ بغير نِقَابِ
فَرَايتُ وَجْهَك مثلَ سَيفِك ضَاحكًا والذعرُ يلبس اوجُهًا بتُرَابِ
(42ᵛ) وَرَايتُ بيتَك للضيوفِ مُمهَّدًا فسحَ الظِلَالِ مُرفَّعَ الابوابِ
يا طيءُ الخيراتِ بين خلاِلكمُ امن الشريا وهمَّة الطلَّابِ
سَمكت خِيَامُكم باسنِمةِ الرُبَا مرفوعةً للطَّـارِق المنتَابِ
وتدُلُّ ضَيفكم عليكُم انورٌ شُبَّتْ باَجذالِ قُهِرنَ صِعابِ
متبرِجَـاتٌ باليفَاعِ وبعضُهم بالجزعِ يكفُرُ ضَوءَهُ بحجَابِ
كلأَتكمُ مِمن يُعَادي هَيْبَةٌ اغتَتكمُ عَن رقبةٍ وجَنَابِ
فَيَسيرُ جيشكم بغير طليعَةٍ وَيبيتُ حَيُّكُمُ بغير كلابِ
تتهيَّبونَ وليس فيكم هَائبٌ وتوَثّبونَ علىَ الرَدَي الوثّابِ
وَلكُم اذَا اختَصم الوشيجُ لباقةٌ بالطعن فوق لباقَةِ الكتابِ
فالرُمحُ مَا لَم تُرسلُوهُ اخطلٌ والسيفُ مَا لَم تُعملوُه نابِ
يا مَعنُ قَد اقررتم عينَ العلي بي مُذ وصاتُ بجبلكُم اسبابي
جاورتُكم فملأتُم عيني الكرى وجوانحي بغرائب الاطرابِ
من بعدِ ذُعرٍ كان احفزَ اضلعي حتى لضاقَ بهِ عليَّ اهابي
ووجدتُ جَارَ ابي الندى متحكِّمًا حُكم العزيز على الذليل الكابي
فليهنِهِ مِنن على مُتنزّهٍ لسوَى مَوَاهِب ذي المعارج آبِ
قَد كانَ من حكم الصنائع شامساً فاقتَادهُ بصنيعةٍ من عَابِ
فلأَنظمنَّ له عُقودَ محامدي تَبقَى جَواهرها على الاحقابِ
لا جَادَ غيرَكم الربيعُ ولا مَرَت غُزرُ اللقاحِ لغيرِكم بجلابِ
انا ذاكر الرجلِ المندد ذِكرهُ كالطودِ حُلِّي جيدُه بشهابِ
ولقد رَجوتُ ولليالي دولةٌ اني اجازيكُم بخير ثوابِ
فلمَّا سمع حسَّان بن الجرَّاح هذه الابيـات هشّ لها وجدَّد القول له بما سكن

Marfat.com

جاشه وازال استيحاشه . وهـذا ابو القاسم الحسين بن علي المغربي كان ذا علم وافرٍ وادبٍ ظاهرٍ وبلاغةٍ وذكاء وصناعةٍ مشهورةٍ في الكتابة ومضاء. فاقام عنده ما اقام محترمًا (43) مكرّمًا وجرى له مـا يذكر في موضعه ثم رحل الى ناحية العراق وتقدّم هناك في الايام القادريّة ووزر للامير قرواش امير بني عقيل ووزر لابن مروان صاحب ديار بكرٍ وكان مستقلًا بصناعتي الكتابة والانشائيّة والحسابية وحين مرض واشفى وصى بحمل تابوته الى الكوفة ودفنه في المشهد بها وفُعل به ذلك (١ . ثم تغيّر الحاكم لمنصور بن عبدون فنكبه وقتله وقلّد مكانه زُرعة بن نسطورس الوزير ولقبه بالشـافي وذلك في سنة ٣٩٧ ووردت الاخبار بالوقعة الكائنة بين الفضل صاحب الحاكم وبين ابي ركوة الخارج عليه وظفر الفضـل به واخذه وحمله الى القاهرة وشهره بها وقتله فيها . وقيل ان ابا ركوة لقب عليه بركوةٍ كانت معه في اسفاره على مذهب الصوفيّة واسمه الوليد أُمويّ من اولاد هشام بن عبد الملك بن مروان ولنوبته في ذلك شرح يطول الّا ان ابا ركوة هذا لما انهزم في الوقعة قصد صاحب النوبة وتردّد من الحاكم اليه بسبب مراسلات الى

---

١) قـال الذهبي في تاريخ الاسلام : في هذه الحدود (يعني سنة ٤٠٢) هرب من الديار المصرية ناظر ديوان الزمان بها وهو الوزير ابو القاسم الحسين بن علي المغربي حين قتل الحاكم اباه وعمهُ وبقي إلبًا على الحاكم يسعى في زوال دولتهِ بما استطاع فحصل عند المفرّج بن جرّاح الطائي امير عرب الشام وحسّن لهُ الخروج على الحاكم وقتل صاحب جيشهِ فقتلهُ كما ذكرنا سنة ٤٠١ ثم قال ابو قاسم لحسّان ولد المفرّج بن جرّاح : ان الحسن بن جعفر العلويّ صـاحب مكة لا مطعن في نسبهِ والصواب ان ننصبهُ اماماً . فاجابهُ ومضى ابو القاسم الى مكة واجتمع باميرها واطمعهُ في الامامة وسهل عليهِ الامور وبايعهُ وجوّز اخذ مال الكعبة وضربهُ دراهم واخذ اموالًا من رجل يُعرف بالمطوعي عنده ودائع كثيرة للناس واتفق موت المطوعي فاستولى على الاموال وتلقب بالراشد بالله واستخلف نائباً على مكة وسار الى الشام فتلقّاه المفرج وابنهُ وامراء العرب وسلموا عليهِ بـامرة المؤمنين وكان متقلّدًا سيفًا زعم انهُ ذو الفقار وكان في يده قضيب ذكر انهُ قضيب النبي صلعم وحولهُ جماعة العلويين وفي خدمتهِ الف عبد فنزل الرملة واقام العدل واستفحل امره فراسل الحاكم ابنَ الجرّاح وبعث اليه اموالًا استمالهُ بها واحسّ الراشد بالله بذلك فقـال لابن المغربي : غررتني واوقعتني في ايدي العرب وانا راضٍ من القيمة بالاياب والامان . وركب الى المفرّج بن جرّاح وقال : قد فارقت نعمتي وكشفت القناع في عداوة الحاكم سكونًا الى ذمامك وثقةً بقولك واعتمادًا على عهودك وارى ولدك حسّانًا قد اصلح امره مع الحاكم واريد العود الى مأمني . فسيّره المفرّج الى وادي القرى وسيّر ابا القاسم بن المغربي الى العراق فقصد ابو القـاسم فخر الملك ابا علي (ابا غالب) فتوهّموا فيه انه يفسد الدولة العباسيّة فتسحّب الى الموصل ونفق على قرواش ثم عاد الى بغداد

Marfat.com

ان انفذه اليهِ مع اصحابه وانفذ معه صاحباً لهُ بهـدايا الى الحاكم وتسلّم ابا ركوة اخو الفضل وحمله الى اخيهِ الفضل فسار وكان الفضل يقبّل يد ابي ركوة ويعظّمه تأنيساً لئلا يقتل نفسه قبل ايصاله واتزلهُ في مضاربه واخدمه نفسـه واصحابه وكتب الحاكم بخبر حصوله ووصوله . وكان الفضل يدخل عليهِ في غداة كل يوم الى خركاة قد ضُربت لهُ في خيمه ويصبحه ويقبّل يده ويقول لهُ : كيف مولاي ؟ فيقول : بخـير يا فضل احسن الله جزاك . ويحضره شراباً فيشرب بين يديهِ ثم يُناولهُ اياه ويفعل مثل ذلك في طعامه الى ان وصل الى الجيزة . فلما حصل بها راسلهُ الحاكم بان يعبر هو والعسكر الذي معهُ وينزل على راس الجسر ويصل هو الى القاهرة ففعل ذاك وكان لا يمشي خطوات الّا وقد تلقّتهُ الخدم بالتشريف والحملان وهو ينزل عن فرسه ويقبّل الارض ويعود الى ركوبه ولم يزل على هذه الحال الى ان وصـل الى القصر ودخل الى القصر على الحاكم فخدمه ودعا لهُ وشرح حاله الى ان ظفر بالعدوّ وخرج بعد ذلك الى داره . وتقدّم وجوه القوّاد وشيوخ الدولة بالمصير الى ابي ركوة ومشاهدته ويقـال (43[٧]) ان الحاكم قد مضى من غد ذلك اليوم وقد رسم ان يُشهر ويطاف بهِ في مصر . واتّفق دخول القـائد ختكين الداعي وكان قديماً صاحب دواة الملك عضد الدولة فسلّم عليـهِ وقال لهُ : ألك حاجة الى امير المؤمنين ؟ فقـال لهُ : من انت ؟ قال : فلان . قال : عرفتُ حالك وسدادك وأُريد ان توصل لي رقعة الى امير المؤمنين . فقال : اكتُبها وهاتهـا . فاستدعى ابو ركوة دواةً من اصحاب الفضل ودرجاً وكتب فيهِ : يا امير المؤمنين ان الذنوب عظيمة والدماء حرامٌ ما لم يحلّها سخطُك وقد احسنتَ واسأتُ وما ظلمتُ الا نفسي وسوء عملي أوبقني وانا اقول

فررت ولم يُغن الفرار ومن يكن ... مع الله لا يحجزه في الارض هاربُ
ووالله ما كان الفرار لحاجةٍ ... سوى جزع الموت الذي انا شاربُ
وقد قادني جُرمي اليـك برُمّتي ... كما اخرّ ميتاً في رَحا الموت سالبُ
واجمعَ كُلُّ الناس انك قاتلي ... ويا رُبَّ ظَنٍّ رَبُّهُ فيـهِ كاذبُ
وما هوَ الا الانتقـام تُريدُهُ ... فاخذُك منـهُ واجباً لك واجبُ

فمضى ختكين الى الحسين بن جوهر فعرّفهُ ما جرى واعطاه الرقعة فوقف عليهـا الحاكم . ثم رُكّبَ جملاً وعليهِ طرطور وخلفه قردٌ معلّمٌ يصفعـه بالدرّة وكان الحاكم قد جلس في منظرةٍ على باب من ابواب القصر يُعرف بباب الذهب فلما وقف بهِ استغاث وصاح بطلب العفو فتقدّم الى مسعود السيفي بان يخرجه الى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه

على تلّ بازاء مسجد زيدان فلماً حُمل هناك وأُنزل وُجد ميتاً فقطع رأسه وحمله الى الحاكم حتى شاهده وامر بصلب جثته . وكان الفضل قد قطع رؤوس من قُتل في الوقعة فقيل انها كانت ثلثين الف راس فلما شُهرت عُتِبت في السلال وسُيّرت مع خدم شهروها في الشام حتى انتهوا بها الى الرحبة ثم رُميت في الفرات . وقدّم الحاكم الفضلَ واقطعهُ وبالغ في اكرامه الى ان عاده في علّةٍ عرضت لهُ دفعتين فاستعظم الناس فعله معه فلما عُوفي عَمِلَ عليهِ وقتلهُ

ولاية القائد حامد بن ملهم

المذكور اولًا في سنة ٣٩٩

(44r) وصل القائد حامد بن ملهم الى دمشق والياً عليها لستّ بقين من رجب من السنة وقد كان القائد علي بن جعفر بن فلاح مستولياً على الجند نافذ الامر في البلد فورد كتاب عزله في يوم الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة وكانت مدّة مقامهِ في الولاية الى انصرافه ومسيره سنة واحدة واربعة اشهر ونصف شهر . ثم تولّى الامر بعده القائد ابو عبد الله ابن تزال فدخل الى دمشق وقُرئ سجلّه على منبر المسجد الجامع واقام المدّة اليسيرة ثم وافاه كتاب العزل في يوم الاحد رابع عشر شهر رمضان سنة ٤٠٠ فعُزل وولّى غلام القائد منير فاقام المدّة اليسيرة ثم اتاه كتاب العزل فعُزل وولّى القائد مظفر في يوم الاثنين اوّل شهر ربيع الاول سنة ٤٠١ فاقام في الولاية ستة اشهر وتسعة ايام ثم عُزل وولّى مكانه القائد بدر العطّار فاقام في الولاية شهرين وعشرة ايام وعُزل وولّى القائد لؤلؤ ولُقّب منتجب الدولة وتولّى الامر في يوم الاحد لسبع خلون من جمادى الاخرة سنة ٤٠١ ونزل في بيت لهيا وانتقل منها الى الدكّة ثم الى مرج الاشعريين فاقام فيهِ اياماً ودخل القصر في الليل فلما اصبح دخل البلد وقُرئ سجلّ ولايته على منبر الجامع ووافى كتاب عزله فعُزل وانصرف . وقيل في اخبار الحاكم بامر الله انهُ امر في سنة ٣٩٨ بهدم بيعة القُمامة في بيت المقدس وهي بيعة عند النصارى جليلة في نفوسهم يعظمونها والسبب في ذلك ما اتّصل بهِ من هدم الكنائس والبيع بمصر والشام والزم اهل الذمّة الغيار ما قيل ان العادة جارية جاريةً بخروج النصارى بمصر في كل سنة في الغيارات الى بيت المقدس بحضور فِصحهم في بيعة قمامة فخرجوا في سنة ٣٩٨ على رسمهم في ذلك متظاهرين بالتجمّل الكبير على مثل حال الحاجّ في خروجهم فسأل

Marfat.com

الحاكم ختكين العضدي الداعي وهو بين يديه عن امر النصارى في قصدهم هذه البيعة وما يعتقدونهُ فيها واستوصفهُ صفتها وما يدَّعونهُ لها وكان ختكين يعرف امرها بكثرة تردُّده الى الشام وتكرّره في الرسائل عن الحاكم الى (44ظ) ولاتها فقال: هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تُعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجّ اليها عند فصحهم من كل البلاد وربما صار اليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متنكّرين ويحملون اليها الاموال الجمّة والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والصلبان والاواني من الذهب والفضّة وقد اجتمع فيها من ذاك على قديم الزمان وحديثه الشيء العظيم قدر ما لمختافة اصنافه فاذا حضروا يوم الفصح فيها واظهروا مطرانهم ونصبوا صلبانهم واقاموا صلواتهم ونواميسهم فهذا الذي يدخل في عتولهم ويوقع الشبهة في قلوبهم ويعلّقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن البلسان والته ومن طبيعته حدوث النار فيهِ مع دهن الزنبق ولهُ ضياء ساطع وإزهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليه حديدًا ممدودًا كهيئة الخيط مُتّصلًا من واحد الى الاخر ويطلونهُ بدهن البلسان طليًا يخفونهُ من الابصار حتى يسري الخيط الى جميع القناديل فاذا صلّوا وحان وقت النزول فُتح باب المذبح وعندهم ان مهد عيسى عليهِ السلام فيهِ وانهُ عُرِج بهِ الى السماء منهُ ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من انفاس الخلق الكثير ما يحمي منهُ الموضع ويتوصّل بعض القوّام الى ان يُقرب النار من الخيط فيعلق بهِ وينتقل بين القناديل من واحد الى واحد ويشعل الكل ويقدّره من يشاهد ذلك ان النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل. فلما سمع الحاكم هذا الشرح استدعى بشر بن سور كاتب الانشاء وامره بان يكتب كتابًا الى والي الرملة والى احمد ابن يعقوب الداعي بقصد بيت المقدس واستصحاب الاشراف والقضاة والشهود ووجوه البلد وينزلا على بيت المقدس وقصد بيعة قمامة وفتحها ونهبها واخذ كل ما فيها ونقضها وتعفية اثرها فاذا نجز الامر في ذلك يعملانه محضرًا وفيهِ الخطوط وينفذانه الى حضرته. ووصل الكتاب اليهما فتوجّها للعمل بما مثل اليهما وقد كانت النصارى بمصر عرفوا ما تقدّم في هذا الباب فبادروا الى بطرك البيعة واعلموه الحال واندروه وحذّروه فاستظهر باخراج ما كان فيها من الفضة والذهب والجواهر والثياب ووصل بعد ذلك اصحاب الحاكم (45ظ) فاحاطوا بها وامروا بنهبها واخذوا من الباقي الموجود ما عظم قدره وهُدمت ابنيتها وقُلعت حجرًا حجرًا وكُتب بذلك المحضر وكُتبت الخطوط فيهِ كما

Marfat.com

رُسم وأُنفذ الى الحاكم (١ وشاع هذا الخبر بمصر فسُرّ المسلمون بهِ ودعوا للحاكم دعاء كبيرًا على ما فعله ورفع اصحاب الاخبار اليهِ ما الناس من هـذه الحال عليهِ ففرح بذلك وتقدّم بهدم ما يكون في الاعمال من البيـع والكنائس . ثم حدث من الامور والانكار لمثل هذه الاعمال والاشفاق على الجوامع والمساجد والمشاهد في سائر الجهات والاعمال من هدمها والقصد بمثل العمل لها فوقف الامر في هذا العزم

(١ وقال سبط ابن الجوزي : سكنتُ في البيت المقدس عشر سنين وكنتُ ادخل الى القمامة في يوم فصحهم وغيره وبحثتُ من اشمال القناديل في يوم الاحد عيد النور وفي وسط القمام قُبّة فيها قبر يعتقد النصارى ان المسيح عليه السلام لمّا صُلب دفن فيه ثم ارتفع الى السماء فاذا كان ليلة السبت في السحر دخلوا الى هذه القبة فغسلوا قناديلها ولهم فيها طاقات مدفونة في الرُخام وفي الطاقات قناديل قد اوقدوها من السحر وللقبّـة شبابيك فاذا كان وقت الظهر اجتمع اهل دين النصرانيّة وجاء الاقسّاء فدخلوا القبّة وطاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقّعون نزول النور فاذا قارب غروب الشمس تقول الاقسّاء « ان المسيح ساخط عليكم » فيضجّون ويبكون ويرمون على القبر الذهب والفضّة والثياب فتحصـل جملة كثيرة ويردّد القسيس هذا القول وهم يبكون ويضجّون ويرمون ما معهم فاذا غربت الشمس اظلم المكان فيغافلها بعض الاقسّاء ويفتح طاقة من زاوية القبّة بحيث لا يراه احد ويوقد شمعة من بعض القناديل ويصيح : قد نزل النور ورضي المسيح . وتخرج الشمعة من بعض الشبابيك فيضجّون ضجّة عظيمة ويوقدون الفوانيس ويحملون هذه النار الى عكا وصور وجميع بلد الافرنج حتّى رومية والجزائر وقسطنطينية وغيرها تعظيماً لها . وحدّثني جماعة من المجاورين بالقدس قالوا : لمّا فتح صلاح الدين رحمهُ الله القدس وجاء يوم الفصح جاء بنفسه فدخل القبّة وقال : اريد اشاهد نزول النور . فقال لهُ البطرك : تريد ان يضيع عليك وعلينا اموالًا عظيمة بقعودك عندنا فان ازدت المال فقُم ودعنا . فقام فما بلغ باب القبّة حتّى صاحوا : نزل النور . فقال بعض الحاضرين : لقـد زعم القسيس انّ إلهه ينزل نورًا بكرة اليوم او غد فان كان نورًا فهو نور ورحمة وان كان نارًا احرقت كل معبدي يقربها القسيس من شعر ذقنهِ فان لم يحرقها والّا اقطعوا يدي . وحدّثني جماعة من اصحاب صلاح الدين رحمه الله انهُ عزم لما اخذ الفرنج عكاء على ان يخرب قمامة ويمحي اثارها وقال : يحضر البطرك والاقسّاء والنصـارى ويحفر مكان القبر حتى يطلع الماء ويُرمى التراب في البحر ويقول « هذا تراب قبر الصنم » لتنقطع اطماعهم عن زيارته ويستريح منهم . فقال لهُ اعيان دولته : ان أطماعهم لا تنقطع بهذا وليس مرادهم مكان القبر انما هم يعتقـدون في نفس القدس وقمامة عندهم افضل من غيرها وربما اخربوا الجامع الذي بالقسطنطينية والمساجد التي في بلادهم وقتلوا من عندهم من المسلمين ثم انهم انما يصانعونك على القدس لاجل قمامة فاذا فعلت هذا زال ما يصالحونك لاجله ثم تبطل عليـك اموال عظيمة فتتضرّ وهم لا ينضرّون . فسكت عن خرابها

Marfat.com

ولاية الامير وجيه الدولة ابي المطاع

من حمدان لدمشق بالامر الحاكمي

وصل الامير وجيه الدولة ابو المطـاع بن حمدان المعروف بذي القرنين الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة عيد النحر من سنـة ٤٠١ فصلّى بالناس القائد لؤلؤ الوالي العيد وصلّى بهم الجمعة الامير وجيه الدولة وانصرف القائد لؤلؤ عن الولاية فكانت مدّة اقامته فيها ستّة اشهر وثلثة ايام وقُرئ سجلّ الولاية على المنـبر واقام المدّة التي اقامها ووصل القائد بدر العطّار الى دمشق والياً على الغوطتين والشرطة وجبل سير وعُزل عنها وجيه الدولة بن حمدان في يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى من السنـة فاقام فيها مُدَيدةً ووصل القـائد ابو عبد الله بن نزال عقيب وصوله الى دمشق والياً عليها ونزل في المزّة ودخل القصر في يوم الاحد لاحدى عشرة ليـلةً خلت من جمادى الاولى من السنة فدامت ولايته الى ان ورد كتاب عزله عنها وسار منها في يوم الثلثاء سلخ ذي الحجة سنة ٤٠٦ فكانت مدّة ولايته ثلث سنين وثمانيـة اشهر وعشرين يوماً.

ووصل الامير شهم الدولة شاتكين الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعـة لعشر خلون من صفر سنة ٤٠٧ واقام ما اقام في الولاية ووصـل القائد يوسف بن ياروخ وهو ابن زوجة الامير شاتكين الوالي الى دمشق والياً عليها وقُرئ (45v) سجلُّه بالولاية في ذي القعدة من السنـة وسار شهمُ الدولة شاتكين الوالي الى مصر لثمان خلون من جمادى الاخرة سنة٤٠٨ ووصل الامير سديد الدولة ابو منصور والي دمشق والياً عليها في يوم الاحد لخمس بقين من ذي القعدة سنة ٤٠٨ فنزل المزّة ودخل القصر في غد ذلك اليوم فما شعر الّا وكتاب العزل قد وافاه يوم الاحد لخمس خلون من ربيع الاخر من سنة ٤٠٩ فبرز من يومهِ الى المزّة وسار من غدِهِ ووصل كتاب ولي عهد المسلمين عبد الرحمن بن الياس اخي الحاكم الى القائد بدر العطّار في يوم السبت لليلة خلت من جمادى الاولى سنة٤١٠ يأمره بضبط البلد ووصل بعد ذلك ابو القاسم عبد الرحمن وقيل عبـد الرحيم ولي عهد المسلمين ابن الياس بن احمد بن العزيز بالله الى دمشق في يوم الثلثـاء لخمس بقين من جمادى الاولى سنة٤١٠ فنزل في المزّة فاحسن تلقّيـهِ وبولغ في اكرامه والاعظام لهُ والسرور بمقـدمه وكان ذلك لهُ يوماً مشهوداً موصوفاً ودخل القصر في يوم الاثنين مستهل رجب فاقام فيهِ الى يوم الاحد لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة ٤١١

Marfat.com

فلم يشعر الّا وقوم قد جُرّدوا اليهِ من مصر فهجموا عليهِ وقتلوا جماعةً من اصحابه وساروا بهِ في يوم الجمعة لثلث بقين من شهر ربيع الاول وعاد بعد ذلك الى دمشق في رجب سنة ٤١٢ ونزل في القصر. واكثر الناس في التعجُّب من اختلاف الاراء في تدبير هذه الولايات وتنقّل الاغراض والاهواء فيها ولم يشعروا وهم يتعجّبون من هذه الاحوال واستمرار الاختلال الّا وقد وصل من مصر المعروف بابن داود المغربي على نجيب مسرع ومعه جماعة من الخدم في يوم الاحد في يوم غَرَفة بسجلّ الى ولي عهد المسلمين المذكور ودخلوا عليهِ القصر وجرى بينهُ وبينهم كلامٌ طويلٌ الّا انّهم اخرجوه من القصر وضُرب وجهه واصبح الناس في يوم العيد لم يصلّوا صلاة العيد في المصلّى ولا في الجامع ولا خطب خطيبٌ وساروا بولي العهد في اليوم المذكور الى مصر (١ فزاد عجب الناس وحاروا فيما هم فيهِ وتشاكوا ما ينزل بهم من الاحوال المضطربة (46) والاعمال المختلفة. فوصل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان الى دمشق والياً عليها دفعةً ثانيةً بعد اولى وكان اديباً فاضلاً شاعراً سامياً مُدبّراً في يوم السبت لستّ خلون من جمادى الاخرة سنة ٤١٢ فاقام في الولاية مُدّة. ووصل الامير شهاب الدولة شحتكين الى دمشق والياً عليها في يوم الثلثاء لسبع خلون من رجب من ذي القعدة سنة ٤١٤ فكانت

---

١) قال الذهبي في ترجمته: انهُ رخّص الناس فيما كان الحاكم نهاهم عنه واظهر المنكر والاغاني والخمور فاحبّه احداث البلد ولكن ابغضهُ الاخيار لبخله وكاتبوا فيه الى الحاكم وحذّروا من خروجه ووقع الشرُّ بين الجند والاحداث بسببه وازداد البلاء ووقع الحرب بدمشق والنهب والحريق الى ان طُلب من مصر فسار على راس عشرة اشهر من ولايته. ثم رجع اليها بعد اربعة اشهر وقد غلب على دمشق محمد بن ابي طالب الجرّار والتفّ عليه الاحداث وحاربوا الجند فقهروهم فراسله ولي العهد ولاطفه فلم يطعه فتوثّب الجند ليلةً على محمد بن ابي طالب وقبضوا عليه وصلبوه ودخل ولي العهد وتمكّن فاخذ في مصادرة الرعيّة وبالغ فابغضوه. فجاءهم موت الحاكم فقام ابنه الظاهر ثم جاء كتاب الظاهر الى الامراء بالقبض على ولي العهد فقيّدوه وسُجن الى ان مات فقيل انه قتل نفسه بسكّين في الحبس. وقد جرت فتنة يوم القبض عليه وكان يوم عيد النحر فلم يصلّ صلاة العيد ولا خطب لاحد البتّة. وقال ايضاً: قد عمل شاعرٌ في مصادرته لاهل دمشق هذه القصيدة:

تقضّى اوان الحرب والطعن والضربِ ... وجاء اوان الوزن والصفع والضرب
اضحت دمشق في مصابٍ واهلها ... لهم خبرٌ قد سار في الشرق والغربِ
حريق وجوع دائمٌ وهذلةٌ ... وخوفٌ فقد حُقّ البكاء مع الندبِ
واضحت تلالاً قد تمحّت رسومها ... كبعض ديار الكفر بالخسف والقلبِ

Marfat.com

ولايته سنتين واربعة اشهر ويومين. ووصـــل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان الى دمشق والياً عليها دفعةً ثالثةً في يوم الاربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة ٤١٥ فاقام في الولاية ما اقام مع اختـــلاف الاحوال الى ان تقرّرت الولاية لامير الجيوش التربي في سنة ٤١٩

ولاية امير الجيوش التربي الجيلي

لدمشق في سنة ٤١٩ وشرح حاله

وابتداء امره والسبب في توليته وذكر شيء من اخباره الى انتهـــاء مدّته بحكم عجزه عن الولاة المذكورين بالشجاعة والشهامة وحسن السياسة واجمال السير والنَّصَفة في العسكرية والرعية وحماية الاعمال بهيبته المشهورة وبفطنته المشكورة وتشتيت شمـــل اولي الفساد من الاعراب واستقامة الامور بابالتـــه على قضيَّة الايثار والمراد. هو الامير المظفَّر امير الجيوش عُدّة الامام سيف الخلافة عضد الدولة شرف المعـــالي ابو منصور انوشتكين مولده ما وراء النهر في بلد الترك في البلد المعروف بختل وسُبي منهُ وحُمل الى كاشغر وهرب الى بخارا ومُلك بها وحُمل الى بغداد ثم الى دمشق وكان شتيم الوجه بيّن التركيَّة وكان وصوله سنة ٤٠٠ فاشتراه القائد تزبر بن اونيم الديلمي وكان ندبه لحماية املاكه وصونها من الاذى فكفاه ذلك بشهامته وصرامته فاشتهر بذاك امره وشـــاع ذكره وسُئل مولاه ان يهديه الامام الحاكم بامر الله وقيل بل وصله الامر بحمله فحمل في جملة غلمانٍ في سنة ٤٠٣ (46ᵛ) فاستُطرف من بينهم وجُعل في الحُجرة فقهر من بها من الغلمان وطال عليهم باليقظـــة والذكاء وجعل يلقِّب كل غُلامٍ بما يليق بهِ فشكوه الى المتولّي فضربه وتزايد امره فأُخرج منها في سنة ٤٠٥ ولزم الخدمة وجعل يتقرَّب الى الخاصّ والعامّ بكل ما يجد السبيل اليه من التودُّد والاكرام لما يريد الله تعالى من اسعاد جدّه واظهار سعده فارتضى الحاكم مذهبه في الخـــدمة وزاد في واجبه وقوّده وسيّره مع سديد الدولة ذي الكفايتين الضيف في العسكر الى الشام في سنـــة ٤٠٦ ودخل الى البلد دمشق ولقي مولاه القائد دزبر فترجَّل لهُ وقبَّل يده وصـــار يتودّد الى الكبير والصغير ونزل في دار حَيُّوس بحضرة زقاق عطَّـــاف ثم عاد الى مصر وجُرّد الى الريف في السيَّارة ثم عاد الى مصر ولزم الخدمة بالحضرة ولزم بعلبك والياً عليهـــا وحسُنت حاله فيها وانتشر ذكره بها وصادق ولاة الاطراف وكاتب عزيز الدولة فاتكًا

Marfat.com

والي حلب وهاداه ولُقِّب منتجب الدولة وورد الامر عليهِ بالمسير الى الحضرة فلما بلغ العريش وصله النجاب بالسجلّ بولاية قيسارية والامر بالعود اليها فشقّ ذلك عليهِ وقال: انقل من ولاية بعلبك الى ولاية قيسارية. وكان من حسن سياسته فيها وجميل عشرته لاهليها وحمايته لها ما ذاع بهِ ذكره وحسن بهِ صيته وكثر شكره. وورد الخبر بقتل فاتك والي حلب سنة ٤١٢ قتله غلام لهُ هنديٌّ قد ربّاه واصطفاه وتوثّق بهِ واجتباه (كذا) وهو نائم عقيب سكره بسيفه وعمل فيه شاعِرُهُ المعروف بمفضّل بن سعد قصيدةً رثاه بها وذكر فيها من بعض ابياتها

لحمامهِ المَقضيّ ربّي عبدهُ ولنحرهِ المفري حُدَّ حسامهُ (١

وكتب الى مجنتب الدولة بالمسير الى الحضرة فوصلها ووُلّي فلسطين ووصل اليها في يوم الثلثاء من المحرم سنة ٤١٤ وبلغ حسّان بن مفرج بن الجرّاح خبره فقلق لهُ وتخوّفه ثم علا ذكره وظهر امره وكثرت عِدّته وعُدّته وقويت شوكته وجرت لهُ وقائع مع العرب يستظهر فيها عليهم ويثخن فيهم فكبر بذلك شأنه ثم حُسد وسُعي فيه الى الحضرة وكوتب الوزير حسن بن صالح في بابه بامرٍ قرّره حسّان (47) بن مفرج بن

---

١) وقال هلال ابن الصابي: وكان على حلب عند هلاك الحاكم عزيز الدولة فاتك الوحيدي وقد استفحل امره وعظم شأنه وحدّث نفسه بالعصيان فلاطفته ستّ الملك وراسلته وآنسته وبعثت اليهِ بالخلع والخيل بمراكب الذهب وغيرها ولم تزل تعمل الحيلة حتّى افسدت غلاماً لهُ يقال لهُ بدر وكان مالك امره وغلمانه تحت يده وبذلت لهُ العطايا الجزيلة على الفتك بهِ ووعدته ان تولّيه مكانه. وكان لفاتك غلام هندي يهواه فاستغواه بدر وقال: قد عرفتُ من مولاك مللًا الك وتغيّرَ نيّة فيك وعزم على قتلك ودافعتُه دفعات وانا اخاف عليك. ثم تركه اياماً ووهب لهُ دنانير ثم اظهر لهُ المحبة وقال: ان علم بنا الامير قتلنا. فقال الهندي: فما افعل. فاستحلفه وتوثّق منهُ وقال: ان قبلت ما اقول اعطيتُك مالًا واعطيتُك وعشنا جميعاً في طيب عيش. قال: فما تريد. قال: تقتلهُ وتستريح منهُ. فاجابه فقال: الليلة يشرب وانا اسقيه واميل عليه فاذا سكر فاقتلهُ. وجلس فاتك على الشرب فلما قام الى مرقده حمل الهندي سيفه وكان ماضياً فلما دخل في اللحاف (وبدر على باب المجلس واقفٌ) فلما ثقل في نومهِ غمز بدر الهنديَّ فضربه بالسيف فقطع رأسه. فصاح بدر واستدعى الغلمان واقرّهم بقتل الهندي فقتلوه واستولى بدر على القلعة وما فيها. وكتب الى اخت الحاكم فاظهرت الوجد على فاتك وشكرت بدرًا على ما كان منهُ في حفظ الخزائن وبعثت لهُ بالخلع ووهبت لهُ جميع ما خلف مولاه وقلّدته موضعه. ونظرت في الامور بعد قتل الحاكم اربع سنين اعادت الملك فيها الى غضارته وعمرت الخزائن بالاموال واصطنعت الرجال ثم اعتلّت علّة لحقها فيها ذرب فتوفّيت

وقال الذهبي: ماتت ست الملك اخت الحاكم التي قتلت الحاكم سنه ٤١٥

Marfat.com

الجرّاح ونُسب اليه كل قبيح ومُحال فاستؤذن في القبض عليه فأُذن في ذلك فقُبض عليه بعسقلان بحيلةٍ دُبّرت لهُ في سنة ٤١٧ وسأَل فيه سعد السعداء فأُجيب سؤاله لجلالة مكانه وأُطلق من الاعتقال ووصل الى الحضرة وحسنت حالته وظهرت هيبته وظهرت هيئة اقطاعه وغلمانه ودوابّه وهو مع ذلك ينفذ رُسُله الى الشام وسائر الاعمال وتأتيه بالاخبار ويُطالع بها فكثر تعجّب الوزير من يقظته ومضاء همته وعزيمته . وكانت العرب بعده قد استولت على الاعمال وافسدت الشام وملك حسّان املاك المُلاّك واتّفق الخُلف الجاري بين ارباب الدولة عقيب وفاة الحاكم وترافع القوّاد والولاة الى ان تقرّرت الحال على صرف الوزير وتقليد الوزارة لنجيب الدولة علي بن احمد الجرجرائي (1 فنظر في الاعمال وهذّب ما كان مستولياً عليها من الاضاعة والاهمال . واقتضت الاراء وصواب التدبير تجريد العساكر المصرية الى الشام ووقع الاختيار في ذلك على الامير منتجب الدولة فاستدعاه الوزير علي بن احمد الجرجرائي وقال لهُ : ما تحتاج اليه لخروجك الى الشام ودمشق. فقال : فرسي البرذعيّة وخيمة استظلّ بها . فعجب الوزير من مقاله واستعاد فرسه المذكورة من سعيد السعداء وردّها اليه واطلق له خمسة الاف دينار واصحبه صدقة بن يوسف الفلاحي ناظرًا في الاموال ونفقة الرجال وجُرّدت العساكر معه ولُقّب بالامير مظفر منتجب الدولة وخُلع عليه وخرج الى مُخيَّمه وحَملة من جُرّد معه سبعة الف فارس وراجل سوى العرب وسار في ذي القعدة .... وودّعه الامام الظاهر لاعزاز دين الله وعيّد بالرملة عيد النحر وسار الى بيت المقدس وجمع العساكر وقصد صالح بن مرداس وحسّان بن مفرج وجموع العرب عند معرفته بتجميعهم ووقع اللقاء في القُحوانة والتقى الفريقان فهزمت جموع العرب واخذتهم السيوف وتحكمت فيهم . وكان صالح ابن مرداس على فرسه المشهور فوقف بهِ من كدّ الهزيمة ولم ينهض به فلحقه رجل من العرب يُعرف بطريف من فزارة فضربه بالسَيف في راسه وكان مكشوفًا (47ᵛ) فصاح ووقع ولم يعرفه وتمّ في طلب فرسه فمرّ به رجلٌ من البادية فعرفه فقطع راسه وعاد يرقص به فلقيه الامير عزّ الدولة رافع فاخذه منه وجاء به الى الامير المظفر فلمّا رآه نزل عن فرسه وسجد لله شكرًا على ما اولاه من الظفر وركب واخذه بيده وجعله على ركبته واطلق للزبيدي الذي جاء به الف دينار ولعز الدولة رافع خمسة الاف دينار واطلق لطريف الذي ضربه بالسيف فرسه وجوشنه والف دينار واخذ الغلمان الاتراك الذين

(1 قال الذهبي انهُ وُلّي الوزارة سنة ٤١٥ه

Marfat.com

لصالح لنفسه واحسن اليهم وتقدَّم بجمع الرؤوس وانفذ جثة صالح الى صيدا لتُصلب على بابها واوصل راسه الى الحضرة وخلع على الواصلين به واعيدوا ومعهم الخلع وزيادة الالقاب للامير المنتجب وقُرئ سجلّه عليه وصار يكاتَب ويخاطَب بالامير المظفَّر سيف الامام وعدة الخلافة مصطفى الملك منتجب الدولة. وقال فيه الامير ابو القينان محمد ابن سلطان بن محمد بن حيُّوش من قصيدة امتدحه بها:

فكم ليلةٍ نامَ عني الرقيب ونبَّهني القمرُ المرتقبْ
جمعت بها بين ماء الغمام وماء الرضاب وماء العنبْ
لجود المظفَّر سيف الامام وعُدتهِ المصطفى المنتجبْ

ولما توجَّه عتيب ذلك الى حلب ونزل عليها ظفر بشبل الدولة نصر بن صالح وكان قد انهزم ولحقه رجلٌ فرماه بخشت في كتفه فانفذه ووقع عن فرسه ومرّ به احد الاتراك فقطع راسه وسلَّمه الى رافع وانفذ من يسلّم جثَّته الى حماة فصُلبت على الحصن وامر امير الجيوش بعد ذلك بانفاذ ثياب وطيب وتكفين الجثة في تابوت ودفنها في المسجد وبقيت فيه الى سنة ٤٣٩ ونقلها مقلّد بن كامل لمَّا ملك حماة الى قلعة حلب. وانفذ الراس والتركي والبدوي مع الشريف الزيدي الى الحضرة في نصف شعبان سنة ٤٢٩ (١ وعاد امير الجيوش الى دمشق ونزل في القصر واقام فيها ما اقام وسار منها

---

١) وقال هلال بن الصابي: في هذه السنة يعني العشرين بعد الاربعمائة جهَّز صاحب مصر جيشاً مع القائد انوشتكين الدزبري التركي امير الجيوش لقتال صالح (وهو صالح بن مرداس اسد الدولة ويعرف بابن الروقلية) وحسان بن المفرج بن الجرَّاح وكانا قد جمعا واستوليا على الاعمال وانتهيا الى غزّة فلما بلغهما خبر الدزبري انصرفا من بين يديه وتبعهما الى الاقحوانة اسفل عقبة فبق واقتتلوا فانهزم حسان بن المفرّج وقُتل صالح وابنه الاصغر وبعث الدزبري برأس صالح الى مصر واقام نصر بن صالح الاكبر الى حلب. واستولى الدزبري على الشام ونزل دمشق وكتب الى صاحب مصر كتاباً مضمونه: الى سيدنا ومولانا ويوضح للعلوم الشريفة انهُ كان قد عُرف اصطناع الدولة لآل الجراح ومقابلتهم احسانها بسوء الاجتراح وكان اخلقهم بالشكر لما اوليه حسان واستهم بالكف عن الاساءة اذ لم يكن منهُ في الطاعة احسان ولكن أبى الآطمه اللئيم ومعتقده الذميم وكم لهُ من غدرة في الدين واضحة ورثة في اموال المستضعفين قارحة واما صالح بن مرداس زعيم بني كلاب فانه اتَّفق مع حسان مُدلاً بجده وحديده محلّنا على الدولة بعد احسانها اليه بعدّه وعديده فتوامرا على الفساد وتوازرا على العناد ونهب البلاد وكان صالح اشدّهما كفراً واعظمهما امراً ومكراً ووافى الملعونان الاقحوانة الصغرى عند شاطئ نهر الاردن ووقعت الحرب واشتدت

Marfat.com

الى حلب ونزل على السعدي وفُتحت لهُ ابواب البلد ودخله واحسن الى اهله وردّ ما كان صالح اغتصبه من الاملاك الى اربابها وامر بقتال القلعة فقوتلت وهو قائمٌ وراسله مُقلِّد بن كامل المقيم بها وسلَّمها اليه واقطعه (48r) عدَّة مواضع وسكن في دار عزيز الدولة وتزوَّج بنت الامير منصور بن زُغيب ووصله السجلّ من الحضرة باقطاعه حلب وعاد الى دمشق وشرع في عمارة الدار بالقصر . ثم بلغه عن الوزير علي بن احمد الجرجرائي وعن الظاهر ما اوجب الاستيحاش منه والنفور عنه فعزم على العود الى حلب فظهر له من اجنادهِ ما انكره فهمُّوا بالقيام عليه فسار من القصر بعد ان امر

بالطعن والضرب فانهزم حسان مفلولًا والعافية للمتقين ومَن أَصدَقُ مِنَ الله قيلًا (1 واما الخائن صالح فلم يزل يواصل الحملات حتى أَتعس الله جدّه واخذ سيف الله منه حدّه فخرّ صريعاً قد ارهق الله نفسه واخبث مغرسه وغنم المجاهدون سيفه وفرسه وقد نُفذ الى الحضرة راسه وقُتل عامة اصحابه ممَّن كفر النعمة وفجر ولم يُقتل من الاولياء التامين عليهِ غير ثلاثة نفر . والدزبري انوشتكين نقبه منتجب الدولة وقيل مصطفى الدولة مظفّر الدين . . . . . ولما انهزم شبل الدولة نصر بن صالح الى حلب طمع صاحب انطاكية في حلب فجمع الروم وسار اليها واحاط بها فكبسه نصر واهل البلد فقتلوا معظم اصحابه وانهزم هو الى انطاكية في نفر يسير وغنم اموالهم وعسكرهم وقيل كبسه علي اعزاز فغنم منه اموالًا عظيمة

وقال ايضاً مؤرّخ آخر وهو محمد بن مؤيد الملك : كان ابو صالح شبل الدولة صاحب حلب قد انفذ الى مصر رجلًا يقال لهُ الايسر بعد ما هزم الروم على اعزاز وبعث من غنائمهم شيئاً كثيراً من الصياغات والآلات والاواني والخيل والبغال فاعجب ذلك الجرجرائي الوزير واكرم رسوله وخلع عليه وبعث معه الخلع الجليلة لشبل الدولة . وكان انوشتكين الدزبري صاحب الشام مقيماً بدمشق فلم يزل رجل يقال لهُ ابن كليد يُغري بين الدزبري وشبل الدولة حتى اوقع بينهما وكان ابن كليد بحمص فبعث الدزبري رافع بن ابي الليل امير الكلبيين الى قتال نصر بن صالح الى حلب فخرج شبل الدولة نصر بن صالح لقتالهم فاقتتلوا فقُتل نصر في المعركة وذلك في شعبان . وسار الدزبري فنزل على جل جوشن ظاهر حلب واغلق اهل حلب ابوابها وقاتلوه فاستمالهم وامَّنهم ففتحوا لهُ الابواب فدخلها . وكان في القلعة المقلّد ابن كامل بن عم شبل الدولة فتراسلا واستقر الامر على ان المقلّد يأخذ من القلعة ثمانين الف دينار وثياباً واواني ذهب وفضة ويسلّمها الى الدزبري وكانت خديعة فاجاب الدزبري فاخذ جميع ما كان في القلعة من الاواني والذخائر والجواهر وما ترك الّا ما ثقل حمله ونزل ومضى الى حلّته وحصل جمهور ما كان في القلعة المقلد . وأُخذ عز الدولة ثمال بن صالح اخو نصر وكان قد انهزم الى القلعة يوم الوقعة واراد ان يعصي فلم يتوفَّق فاخذ خمسين الف دينار وانصرف . وبلغ الوزير بمصر فعزّ عليه قتل نصر وما جرى في اموال القلعة من التفريط وكان ذلك مُضاف الى سوء راي الدزبري. فكانت ولاية شبل الدولة نصر على حلب تسع سنين

---

1) Qur . IV . 121

الغلمان بنهب ما في القصر ووصل الى حلب ودخلها في يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الاخر ونزل في دار سعد الدولة واجتمع بزوجته وابنته الواصلين من مصر ولازم الشراب وصحّ عليه جسمه. وبلغه وصول سجلّ من مصر الى دمشق عن الحضرة قُرئَ على المنبر يقال فيه: اما بعد فانه قد عَلِم الحاضر والبادي والموالف والمعادي حال انوشتكين الدزبري الخائن وانه كان مملوكاً لدزبر بن اونيم الحاكمي واهداه الى امير المؤمنين الحاكم بامر الله فنقله الى المراتب الى إن انتهى امره الى ما انتهى اليه فلما تغيّرت نيّته سلبه الله تعالى نعمته لقوله تعالى ان الله لا يغيّر ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم(١ فشق هذا الامر عليه وضاق صدره لاسقاط نُعوته وقلق لذلك وايس من العود الى دمشق وقد كان عازماً على العود. ثم وصله السجلّ عن الحضرة صحبة بعض العرب نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ووليه الامام معدّ ابي تميم المستنصر بالله امير المؤمنين الى انوشتكين مولى دزبر بن اونيم الديلمي. اما بعد فان الله بقضيّته العادلة ومشيئته البالغة لم يكُ مغيراً ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله بقومٍ سُوءا فلا مرَدَّ له وما لهم من دونه من والٍ(١ مع ما اناك اجرمت على نفسك في يومك وامسك واستوجبت بذلك مقام الخلول من نحسك فلا تعجل بعذاب الله عندما اسرفت وويل عقابه عندما خالفت فان الله تعالى يقول مخاطباً لذوي العقول فمَهِّل الكافرين أمهلهم رُوَيداً (٢ وتالله لقد جددت بمسيرك الى حلب لبُعد املك وانقطاع اجلك وانما بقي لك الايام قلائل ويكثر لك الندم وتحل بك النقم ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها وان مثالك مثل شاةٍ عطشانة ولهانة ضائعة جائعة نزلت في مرج أفيح غزير ماؤه كثير عشبه (48[٧]) ومرعاه فشربت ماء واكلت عشباً فرويت بعد ظمائها وشبعت بعد جوعها واستحسنت بعد قبحها فلما تكامل حسنها ذُبحت ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وان امير المؤمنين يضرب لك مثلاً عن جدّه المصطفى (صلعم) لما انزل عليه « والضحى والليل اذا سجا ما ودّعك ربّك وما قالَ » الى قوله عزّ وجلّ: « ألم يجدك يتيماً فآوَى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى » (٣ فبدلت النعمة كفراً ووضعت موضع الخير شراً وقد انتهى الى حضرة امير المؤمنين افتخارك بجميع الاموال واكتنازك لها لامر يدهمك او ليوم ينفعك أفما قرأت القرآن العظيم اما تدبرت قول

---

١) Qur XIII, 12 ٢) Qur: LXXXVI, 17 ٣) QurXCIII, 1..8

Marfat.com

الملك الرحيم في قصة قارون لمّا بغى واعتدى وازداد في الطغيـان حيث يقول جلّ وعلا: « فخسفنـا به وبداره الارض » فما كان لهُ من فئةٍ ينصرونهُ من دون الله وما كان من المنتصرين (١ اما رأيت الامم الماضية الذين عادوا الدولة ونصبوا لها العداوة الشديدة انظر الى ديارهم كيف قلّ فيها الساكنون وكثر عليها الباكون قال الله تعالى: « فتلك بيوتهم خاويةً بما ظلموا » إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يعلمون (٢ فاشتغل عن اصلاح العين وعن خطرك في حسـاب الفرقدين وافتكر في ربّ المشرقين وربّ المغربين حيث يقول جلّ جلاله : « ألم نجعـل لهُ عينين ولسانًا وشفتين وهديناه النجدين» (٣ وقد عرف امير المؤمنين بكتاب الله الاعلى الذي نزل على خاتم الانبياء حيث يقول: « وسيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون » (٤ فلما سمع ما اشتمل عليه هذا السجل من الانكار والوعظ بالايات والتخويف عظم الامر عليـه وضاق صدره لتغيّر النيّـة فيه ورأى من الصواب اعادة الجواب بالتلطّف والتنصّل مما ظن به والاعتـذار والترفّق في المقال والاعتراف بما شمله قديمًا وحديثًا من الاحسان والافضال فكتب بعد البسملة : كتب عبد الدولة العلوية والامامية الفاطميـة والخلافة المهديّة عن سلامةٍ تحت ظلهـا ونعمة منوطةٍ بكفلهـا وهو متبرّئ اليها من ذنوبه الموبقـة واسائته المرهقة لا بُد بعفو امير المؤمنين متنصّـل ان يكون في جملـة المجرمين المذنبين عن غير اساءة اقترفها ولا جنـايةٍ احتقبها عائدٌ بكرمها صابرٌ لحكمها لقوله تعالى « وبشّر الصـابرين » (٥ وهو تحت خوفٍ ورجاء وتضرّع ودعاء قد ذلّت نفسه (49r) بعد عزّها وخافت بعد امنها ورسخت بعد رفعتهـا وَمَن يُضلل الله فما لهُ من هادٍ (٦ واي قُربٍ لمن أَبعَدَتهُ واي رفعةٍ لمن حَطَطْتَهُ والعبد يفخرها شمخ ويحدرها طال وبذخ فزلّت نصبته وطابت أَرُومَتـه وسمت فروعه وكان كقوله تعالى « وَضَرَبَ الله مثلًا كلمةً طيّبة كشجرةٍ طيّبةٍ أَصلها ثابتٌ وفرعها في السماء تُؤتي أُكُلها كل حينٍ باذن ربّها (٧ فلما انكرت الدولة حاله وقبحت افعاله وادرت عليه خذاه الانصار وقلّ بعد الاكثار فصار كقول الملك الجبّار مثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثّت من فوق الارض ما لها من قرار غير ان العبد يتوسّل بوكيد

---

١) Qur. XXVIII, 81. ٢) Qur. XXVII, 53. ٣) Qur. XC., 8.
٤) Qur XXVI, 228. ٥) Qur II., 150 ٦) Qur. XIII, 33.
٧) Qur XIV, 29-30

خدمته وقديم نصيحته ومجاهدته لاعداء الدولة مذكرًا قول الله تعالى « والذين قتاوا في سبيل الله فَلَن يُضلَّ أعمالهم سيهديهم ويصلح بالَهم » (١ وهو مع ذلك مُعترفٌ بذنوبِ ما جناها واساء ما اتاها ذاكرًا ما نزَّل الله في كتابه المبين على سيد المرسلين « واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملًا صالحا واخر سيئًا عسى الله ان يتوب عليهم إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ » (٢ عفا الله عن امير المؤمنين اهل بيت العفو والكرامة لجميع الامم وفيهم نزلت الآيات والحكم قال الله تعالى « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبُّون أنْ يغفِر الله لكم »(٣ وليس مسير العبد الى حلب ينجيه من سطوات مواليه لقوله تعالى قل « لو كنتم في بروج مشيَّدة » (٤ والذين كُتب عليهم القتل الى مضاجعتهم لكنه بعد توصله واعترافه بجرائره وذنوبه وتنصُّله يرجو قبول توبته وتمهيد عذره في انابته ولله الامر من قبل ومن بعد ولامير المؤمنين في كل قول وحد فقد وعد الله المسرفين على انفسهم فقال تعالى « قُل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسكم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعًا انَّهُ هُوَ الغفور الرحيم » (٥ واما ما رُقي الى الحضرة المطهَّرة عن العبد في كثرة الاموال وجمعها فذلك طباع ولد آدم في حب اللجين والعسجد وما عليه في الدنيا يعتمد نعوذ بالله ان يكون ذاك لمضادة او مقاومة او مكاثرة او مقابلة لكنها معدَّة للجهاد في اعداء امير المؤمنين ومبذولة في نصرة (49v) اوليائه المخلصين اذ يقول تعالى وله المثل الاعلى « وأَعدُّوا لهم ما استطعتم من قوَّة ومن رباط الخيل تُرهبون بهِ عدوَّ الله وعدوَّكم » (٦ ولقد قُرئ على العبد القرآن العظيم فوجده منوطًا بطاعة امام الزمان وهو ولي العفو والغفران عن اهل الاساءة والعدوان مكررًا لقول الملك الديَّان « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبُّ المحسنين » (٧ . وانفذ هو الجواب صحبة الرسول الواصل بعد اكرامه وطلع عقيب ذلك الى قلعة حلب في يوم الاربعاء لعشر خلون من جمادى الاولى وبات ليلة الجمعة واقشعرَّ جسمه وقت صلاة الظهر واشتدَّت به الحمَّى فاحضر طبيبًا من حلب وشرح لهُ حاله فوصف لهُ مُسهلًا فلمَّا حضر لم تطب نفسه لشربه ولحقه فالج في يده اليمنى ورجله اليمنى وزاد قلقه وقضى نحبه في الثلث الاخير من ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٤٣٦ . ولهُ اخبار

---

١) Qur. XLVII, 5-6 ٢ Qur. IX, 103 ٣) Qur. XXIV,22
٤ Qur. IV,80 ٥) Qur. XXXIX, 54 ٦) Qur. VIII, 62
٧) Qur. III,128

محمودة في حسن السيرة والعدل والنصفة والذكاء والمعرفة وذكر المال الذي خلفه بقلعة حلب بعد وفاته ستمائة الف دينار سوى الآلات والعروض وقيمة الغلّات مائة الف دينار وأُخذ لهُ من دمشق وفلسطين مائتا الف دينار وكان لهُ مع التجار خمسون الف دينار ونُهب لهُ من القصر بدمشق مائتا الف دينار. وخلف من الاولاد هبة الله من بنت وهب بن حسّان ماتت امه وعمره اربعون يوماً وابوه ولهُ شهران وسنة واربع بنات احداهنّ من بنت الامير حُسام الدولة البجناكي وابنة من بنت عزيز الدولة رافع بن ابي الليل وابنتان من جاريتين وهبهما في القصر فاماً هبة الله فانه حُمل الى الحضرة واكرم بها وكفله رضيُ الدولة غلامه وعاش ستّ سنين وسقط عن فرسه فمات والبنت من بنت حسام الدولة تزوّجها الامير صارم الدولة ذو الفضيلتين والبنت من بنت رافع نقلت الى حالّة اخوالها من بني كلاب. ثم رأت الحضرة في سنة ٤٤٨ نقل امير الجيوش من تربته بحلب الى تربته ببيت المقدس فامرت بنقله في تابوت على طريق الساحل وكان يُحطّ بخيمةٍ وما يمرّ ببلدٍ الّا كان وصوله يوماً مشهوداً واخرجت الحضرة ثياباً حسنةً وطيباً كثيراً وامرت الشريف (50r) اثير الدولة ابن الكوفي ان يتولّى تكفينه ودفنه وان يأمر من بالرملة من غلمانه بالتحفّي والمشي خلف جنازته وان ينادي بالقابه فنودي بها ودُفن في التربة التي لهُ في بيت المقدس مع اولاده فسبحان من لا يزول ملكه ولا يخيب من عمل بطاعته المجازى عن احسان السيرة بالاحسان وعن السيئات في العقبى والمآل ذو الجلال والكمال الغفور الرحيم

ولما زاد امر الحاكم بامر الله في عسف الناس وما ارتكبه من سفك الدماء وافاظة النفوس واخذ الاموال والفتك بالكبار والعمّال والفتك بالمقدّمين من الوزراء والقوّاد واكابر الاجناد وعدل عن حسن السياسة والسداد وزاد خوف خدمه وخواصه منه واستوحشوا من فعله وشكا المقدّمون والوجوه الى اخته ستّ الملك بنت العزيز بالله هذه الاحوال فانكرت ما انكروه واكبرت ما اكبروه واعترفت بصحة ما شكوه وحقيقة ما كرهوه ووعدتهم احسان التدبير في كفّ شرّه واجمال النظر في اموره وامره ولم تجد فيه حيلة يُحسم بها داؤه الّا العمل على اهلاكه وكفّ اذاه بعدمه واعملت الرأي في ذلك واسرّته في النفس الى ان وجدت الفرصة متسهّلةً فابتدرتها والعرّة باديةً فاهتبلتها ورتّبت له من اغتاله في بعض مقاصده واخفى مظانّه فاتى عليه واخفى امره الى ان ظهر في عيد النحر من سنة ٤١١. وقال المغالون في المذهب انهُ غائبٌ في سرّه ولا بد

ان يؤوب ومستترٌ في غيبه ولا بُدَّ ان يرجع الى منصبه ويثوب وكان مولده بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٣٧٥ وولّي الامر وعمره عشر سنين وستة اشهر وستة ايام وفُقد في العشر الاول من شوال سنة ٤١١ وعمره ستّ وثلثون سنة ومدّة ايامه خمس وعشرون سنة وشهران وايام ونقشُ خاتمهِ « بنصر الاله العلي ينتصر الامام ابو علي » وكان غليظ الطبع قاسي القلب سفّاكًا للدماء قبيح السيرة مذموم السياسة شديد التعجرف والاقدام على القتل غير محافظ على حرمة خادمٍ ناصح ولا صاحبِ مناصح. وقام في الامر بعده ولده ابو الحسن علي الظاهر لاعزاز الله وأُخذت لهُ البيعة (50[7]) بعد ابيه في يوم عيد النحر من سنة ٤١١ واستقامت الامور بعد ميلها وأمنت النفوس بعد وجلها وحسنت السيرة بعد قُبحها وارتضيت السياسة بعد النفور عنها وردّ تدبير الاعمال والنظر فيها وتسديد الاحوال ولمّ ما تشعّث منها الى الوزير صفي امير المؤمنين وخالصته ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي وكتب لهُ السجلّ بالتقليد من انشاء ولي الدولة ابي علي بن خيران متولّي الانشاء وقُرئ بالحضرة على القوّاد والمقدّمين في ذي الحجة سنة ٤١٨ ونسخته بعد البسملة : اما بعد فالحمد لله ، طلق الالسن بذكره ومجزل النعم بشكره ومصرف الامور على حكم ارادته وامره الذي استحمد بالطَّول والنعماء وتمجّد بالحكمة والسناء وملك ملكوت الارض والسماء واستغنى عن الظهراء والوزراء واكرم عباده بان جعل تذكرته لهم في صحفٍ مكرمةٍ مرفوعةٍ مظهرةٍ بايدي سفرةٍ كرامٍ بَرَرَةٍ فسبحان من نظر لخلقه فاحسن وانعم وعلم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم يحمده امير المؤمنين حَمْدَ مخلصٍ في الحمد والشكر متخصّصٍ بشرف الامانة ونفاذ النهى والامر ويرغب الله تعالى في الصلاة على نبيه محمد الذي نزل عليهِ الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا وعزّ به الايمان وجعل لهُ من لديه سلطانًا نصيرًا وانتخب ابانا عليًا امير المؤمنين اخًا ووزيرًا وصيّره على امر الدين والدنيا منجدًا لهُ وظهيرًا صلّى الله عليهما وسلم على العترة الزاكية من سلالتهما سلامًا دائمًا كثيرًا. وان احقّ من عوّل عليه في الوزارة واسند اليه امر السفارة ونصب لحفظ الاموال وتمييزها وسياسة الاعمال وتدبيرها وايالة طوالف الرجال كبيرها وصغيرها من كان حفيظًا لما يستحفظ من الامور قوومًا بمصالح الجمهور عليمًا بمجاري السياسة والتدبير ولذلك قال يوسف الصدّيق عليه السلام « أجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » (1

1) Qur. XX, 26-34

ولو استغنى احد من رُعاة العباد عن وزير وظهير يكاتبه على امره ويظاهره لكان كليم الله موسى صلى الله عليه وهو القوي الامين عنه مُستغنياً ولم يكن لهُ من الله جل جلاله طالباً مُستدعياً وقد قال «ربِّ اشرحْ لي صدري ويسّرْ لي أمري واحلُلْ عقدةً من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرًا من أهلي (51r) هرون اخي اشدُد بهِ أزري واشركهُ في امري كي نُسبّحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا» (١ ولما كنت بالامانة والكفاية علماً وعند اهل المعرفة والدراية مقدّماً وكان الكتاب على اختلاف طبقاتهم وتفاوُت درجاتهم يسلمون اليك في الكتابة ويقتدون بك في الاصابة ويشهدون الك بالتقدُّم في العناء ويهتدون بحلمك اهتداء السَّفْر بالنجم في الليلة الظلماء ولا يتناكرون الانحطاط عن درجتك في الفضل لتفاوتها في الارتفاع ولا يَرُدّ ذِلك رادٌّ من الناس اجمعين الّا خصمه وقوع الاجماع هذا مع المعروف من استقلالك بالسياسة واستكمالك لادوات الرئاسة وتدبيرك امور المملكة وما أُلِفَ برُشد وساطتك من سمو اليمن والبركة راي امير المؤمنين وبالله توفيقه ان يستكفيك امر وزارته وينزلك اعلى منازل الاصطفاء بخاص اثرته ويرفعك على جميع الاكفاء بتامّ تكرمته وينوّه باسمك تنويهاً لم يكن لاحد قبلك من الظُّهراء في دولته فسمّاك بالوزير لموازرتك لهُ على حمل الاعباء ووكّد هذا الاسم بالاجل لانك اجل الوزراء وعزّز ذلك بصفي امير المؤمنين وخالصتهِ اذ كنتَ اعزّ الخلصاء والاصفياء وشرّفك بالتكنية تسميقاً بك في العلياء ودعا لك بان يمتّعه الله بك ويُؤيدك ويعضدك دعاءً يجيبه فيك رب السماء فانت الوزير الاجلّ صفي امير المؤمنين وخالصتهُ المحبو بالمنّ الجسيم ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامر امير المؤمنين بان تُدعى بهذه الاسماء وتُخاطَب وتكتب بها عن نفسك وتكاتَب ورسم ذكر ذلك فيما يجري من المحاورات.واثباته في ضروب المكاتبات ليثبت ثبوت الاستقرار ويبقى وسمه على مرّ الليالي والنهار فاحمد الله تبارك وتعالى على تميز امير المؤمنين لك بتشريفه واختصاصه واجلاله اياك اعلى محالّ خواصه واجرِ على سننك الحميد في خدمته ومذهبك الرشيد في مناصحته اذ كان قد فوّض اليك امر وزارته وجعلك الوسيط بينه وبين اوليائه وانصار دعوته وولاة اعمال مملكته وكتّاب دواوينه وسائر عبيده ورعيّته شرقًا وغربًا وقربًا وبعدًا (٢ وامضى توقيع من تنصبُه للتوقيع عن امير المؤمنين في الإخراج والإنفاق والايجاب والاطلاق وناط بك ازمّة الحلّ والعقد والابرام (51v)

١) Qur. XX, 26–34 ٢) وفي الاصل: قُربًا وقُربًا

Marfat.com

والنقض والقبض والبسط والاثبات والحط والتصريف والصرف تفويضاً الى امانتك التي لا يقدح فيها معاب وسكوناً الى ثقتك التي لا يلمّ بها ارتياب وعلماً بانك تورد وتصدر عن علمٍ وحزمٍ تفوق فيهما كل مقاوم ولا تأخذك في المناصحة لامير المؤمنين والاحتياط لهُ لومة لائم وجميع ما يوصي بهِ غيرك ليكون لهُ تذكرةً وعليهِ حجة فهو مستغنًى عنهُ معك لانك تغني بفرط معرفتك عن التعريف ولا تحتاج مع وقوفك على الصواب وعلمك بهِ الى توقيف غير انَّ امير المؤمنين يؤكد عليك الامر بحسن النظر لرجال دولته دانيهم وقاصيهم بارك الله فيهم وان يتوفَّر على ما يعود بصلاح احوالهم وانفساح امالهم وانشراح صدورهم وانتظام امورهم اذ كانوا كتائب الاسلام ومعاقل الانام وانصار امير المؤمنين المحفوفين بالاحسان والانعام حتى تحسن احوالهم بجميل نظرك ويزول سوء الاثر فيهم بحسن اثرك وكذلك الرعايا بالحضرة واعمال الدولة فامرهم من المَنيّ بهِ والمسؤول عنهُ وامير المؤمنين يأمرك بان تستشفّ خيرة الولاية فيهم فمن الفيته من الرعية مظلوماً اوعَزْتَ بنصَفَتهِ ومن صادفتهُ من الولاة ظلوماً تقدَّمت بصرفه وحسم مضرّته ومعرّته. فاماً الناظرون في الاموال من ولاة الدواوين والعمال فقد اقام امير المؤمنين عليهم منك المنتقى الزكاء طبًّا بالادواء لا يصانع ولا تطيبه المطامع ولا ينفق عليه المنافق ولا يعتصم منهُ الخوّون السارق كما انهُ لا يخاف لديه الثقة الناصح ولا يخشى عادِيَته الامين في خدمته المجتهد الكادح والذي يدعو المتصرّف الى ان يحمل نفسه على الخطة النكراء في الاحتجار والارتشاء احد امرين اماَّ حاجة تضطرهُ الى ذلك او جهالة توردهُ المهالك فان كان محتاجاً سدَّ رزقُ الخدمة فاقتَهُ ورجا الراجون بُرءَهُ من مرض الاسفاف وافاقتهُ وان كان جاهلاً فالجاهل لا يبالي على ما اقدم عليهِ ولا يفكر في عاقبة ما يصير امره اليهِ ومن جمع هذين القسمين كانت نفسه ابدًا تسفُ ولا تعفُ ويده تَكِفُ ولا تكفّ ووطأته تثقل ولا تخفّ فلا تَربَ من تنزَّه وعفّ ولا اثرى من رضي لنفسه بدنيّ المكسب واسفّ. وما (52r) يستزيدك امير المؤمنين على ما عندك من حسن التأنّي والاجتهاد في اصلاح الفاسد واستصلاح المعاند واستفاءة الشارد بالمعصية الى طاعته واعطاء رجال الدولة ما توجب لها حقوق الخدمة من فضل نعمته. وامير المؤمنين يقول بعد ذلك قولاً يؤثر عنده في المشرق والمغرب ويصل الى الابعد والاقرب ان اكثر من وقع عليه اسم الوزارة قبلك انما تهيأ لهُ ذلك بالحظّ والاتفاق ولم يوقع اسمها عليك ويعذق بك امرها الاَّ باستيجاب واستحقاق لانها احتاجت اليك

حاجة الرمح الى عامله والعبْ الى حامله والمكفول الى كافله . وكم افرجتْ عن الطريق اليها لسواك واجتهدتْ ان يعدوك مقامها اكبارًا لهُ فما عداك والله يكتب بجميل راي امير المؤمنين حسَدتك وعداك ويتولَّاك بالمعونة على ما قلّدك وولّاك ويمتعه ببقائك كما امتعهُ بكفايتك وغنائك ويُخير لهُ في استيزارك كما خار لهُ من قبل في اصطناعك وايثارك بمنِه وكرمه والسلام عليك ورحمة الله وكُتب يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٤١٨

ولاية القائد ناصر الدولة

ابي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان لدمشق في سنة ٤٣٣

بعد امير الجيوش انوشتكين الدزبري وصل الامير المظفَّر ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين ابو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان الى دمشق والياً عليها في جمادى الاخرة سنة ٤٣٣ في يوم الاربعاء السادس عشر منه وقرئ سجلّه بالولاية بالقابه والدعاء لهُ فيه « سلّمه الله وحفظه » ووصل معه الشريف فخر الدولة نقيب الطالبيّين ابو يعلي حمزة بن الحسين بن العباس بن الحسن بن الحسين بن ابي الجنّ بن علي بن محمد بن علي بن اسمعيل بن جعفر الصادق عليه السلام فاقام في الولاية امرًا ناهياً الى ان وصل من مصر من قبض عليه بدمشق وسيَّره معه الى مصر في يوم الجمعة مستهلّ رجب سنة ٤٤٠ .

(52ᵛ) وفي سنة ٣٦ وردت الاخبار من ناحية العراق بظهور راية السلطان ركن الدنيا والدين طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجق وقوة شوكة الاتراك وابتداء دولتهم واستيلائهم على الاعمال وضعف اركان الدولة البويهية واضطراب احوال مقدّميها وامرائها. وفي سنة ٤٢٧ وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة الامام الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله بالاستسقاء في ليلة الاحد النصف من شعبان سنة ٤٢٧ وعمره اثنتان وثلثون سنة ومولده بالقاهرة في شهر رمضان سنة ٣٩٥ ومدّة ايامه خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة ايام ونقش خاتمه « بنصر ذي الجود والمتن ينتصر الامام ابو الحسن » وكان جميل السيرة حسن السياسة مُنصفًا للرعية الّا انهُ متشاغلٌ باللذة محبٌّ للدعة والراحة معتمد في اصلاح الاعمال وتدبير العمّال وحفظ الاموال وسياسة الاجناد وعمارة البلاد على الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي لسكونه الى كفايته وثقته بغنائه ونهضته . ثم تولّى الامر بعده ولده ابو تميم معد المستنصر بالله امير المؤمنين

وعمره سبع سنين وشهران واخذت البيعة لهُ بعد ابيهِ في شعبان سنة ٤٢٧ . وفي ايامه ثارت الفتن من بني حمدان واكابر القوّاد ووجوه العسكرية والاجناد وغليت الاسعار وقلّت الاقوات واضطربت الاحوال واختلّت الاعمال وحُصر في قصره وطُمح في خلعه لضعف امره ولم يزل الامر على هذه الحـال الى ان استدعى امير الجيوش بدر الجمالي من عكاء الى مصر في سنة ٤٦٥ فاستولى على الوزارة والتدبير بمصر وقتل من قتل من المقدّمين والاجناد وطالبي الفسـاد وتمهّدت الامور وسكنت الدهماء. والزم المستنصر بالله القصر ولم يبق لهُ نهيٌ ولا امر الّا الركوب في العيـدين ولم يزل كذلك الى ان توفّي امير الجيوش وانتصب مكانه ولده الافضل ابو القسم شاهنشاه

ولاية القائد طارق الصقلبي المستنصري لدمشق

في سنة ٤٤٠

(53) وصل الامير بهاء الدولة وصارُمها طارق المستنصري الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة مستهلّ رجب سنة ٤٤٠ وقُرئ سجلّ ولايتـه والدعاء لهُ « سلّمهُ الله وحفظه » وعند دخوله وقع القبض على الامير ناصر الدولة بن حمدان الوالي المقدّم ذكره وسُيّر الى مصر وتسلّم الامير طارق الولاية يأمر فيها . ووردت الاخبار من ناحية مصر في سنة ٤٣٦ بوفاة الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي وزير المستنصر بالله في داره اخر نهار الاربعاء السادس من شهر رمضان بعلّة الاستسقاء وصلّى عليه المستنصر بالله في القصر ودُفن في دار الوزارة وقُلّد مكانه الوزير ابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وخلع عليه في يوم الثلثاء الحادي عشر من شهر رمضان من السنة وقبض على ابي علي ابن الانباري صـاحب الوزير ابي القسم علي بن احمد وحمله الى خزانة البنود وسعى في قتله فيها ودفنـه وما مضى الّا القليل وقُبض على الوزير ابي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وحُمل الى خزانة البنود في يوم الاثنين الخـامس من المحرّم سنة ٤٤٠ وقُتل سُحرة يوم الاثنين في المكان الذي قتل فيهِ ابن الانباري وقيل انهُ دُفن معه في قبره ونظر في الوزارة ابو البركات ابن اخي الوزير علي بن احمد الجرجرائي وقُبض عليه بعد ذلك في ليلة يوم الاثنين النصف من شوال سنة ٤٤١ وقرّت الامور الى ان استقرّت الوزارة لقاضي القضاة ابي محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري . ووردت الاخبار من مصر بان المستنصر بالله خلع على وزيرهِ قاضي القضاة ابي محمد اليازوري في الرابع من

Marfat.com

ذي القعدة سنة ٤٤٣ خلعاً فاخرةً كانت غِلالة قصباً وطاقاً وقميصاً دبيقياً وطيلساناً وعمامةً قصباً وحمَّله على فرس رائع بمركب من ذهب وزنه الف مثقال وقاد بين يديه خمسة وعشرين فرساً وبغلاً بمراكب ذهب وفضة وحُمل معه خمسون سفطاً ثياباً اصنافاً وزاد في نعوته والقابه وخلع على اولاده خلعاً تليق بهم وكُتب لهُ سجلّ التقليد بانشاء ولي الدولة ابي علي بن خيران وبالغ في احسان وصفه وتقريضه واطرائه واحماد رأيه وما اقتضاه الرأي من (53) اصطفائه للوزارة واجتبانه وقرئ بحضرة المستنصِر بالله بين قوّاده وخدمه ووجوه اجناده وقيل ان هذا الاكرام مُقابلة على ما كان منهُ في التدبير على العرب المفسدين من بني قُرَّة في فلّهم والنكاية فيهم وحسم اسباب شرّهم وتشتيت شملهم ونسخة هذا السجلّ المذكور بعد البسملة: . . . . . .

ولاية رفق المستنصري لدمشق

في سنة ٤٤١

وصل الامير عدة الدولة امير الامراء رفق المستنصري الى دمشق واليا عليها في يوم الخميس الثاني عشر من المحرَّم سنة ٤٤١ في عدَّة وافرة من الرجال وثروةٍ وافرة من العدد والمال وقُرئ سجلُهُ بالولاية واقام بها مدَّة يأمر فيها وينهي ويحلّ ويعقد ويصدر في الامور ويورد ثم وصلهُ الامر من مصر بمسيره الى حلب لامر اقتضتهُ الاراء المستنصرية من صرفه عنها وتوليتها للامير المؤيّد فسار منها وتوجه الى حلب في يوم الخميس السادس من صفر من السنة

ولاية الامير المؤيّد عدَّة الامام

في سنة ٤٤١ بعد الامير رفق

وصل الامير المؤيد عدّة الامام مصطفى الملك معين الدولة ذو الرئاستين حيدرة بن الامير عضب الدولة بن حُسين بن مفلح الى دمشق واليًا عليها في مستهل رجب سنة ٤٤١ فحمل معه سديد الدولة ذو الكفايتين ابو محمد الحسين بن حسن الماشكي ناظرًا في الشام جميعة حربه وخراجه وقُرئ منشور الولاية والدعاء لهُ «سلّمه الله وحفظه» فتسلّم الولاية في سنة ٤٤٢ يأمر فيها وينهي على عادة الولاة واستقامت

لهُ امور الولاية على ما يؤثره ويهواه واحسن السيرة في العسكرية والرعية فحمدت طريقته وارتضيت ايالته واستمرت عليه الايام في الولاية الى سنة ٤٤٨ التي بُني هـذا المذيّل عليها وعادت سياقة الحوادث منها وايراد ما فيها وتجدّد بعدها

سنة ثمان واربعين واربعمائة

(54) فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بانعقاد امر الوصلة بين الامام القائم بامر الله وبين بنت الملك داود اخي السلطان ركن الدنيا والدين طغرلبك وكان العقد اولًا لولده ذخيرة الدين فلما قضى الله عليه بالوفاة نقل العقد الى الخليفة القائم بامر الله في يوم الاربعاء لسبع بقين من المحرَّم من السنة ووصلت البنت المذكورة من مدينة الرّي الى بغداد في الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة. وفي هذه السنة وُلد الامام المقتدي بالله عبد الله بن ذخيرة الدين ابن القائم بامر الله في ليلة الاربعاء الثاني من جمادى الاولى من السنة. وفيها وردت الاخبار من مصر بقلّة الاقوات وغلاء الاسعار واشتداد الامر في ذلك الى اوان زيادة النيل فظهر من القوت ووجودهِ ما طابت بهِ النفوس وصلحت معه الاحوال

سنة تسع واربعين واربعمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بتسلّم الامير مكين الدولة قلعة حلب من معزّ الدولة وحصل فيها في الخميس لثلث بقين من ذي القعدة منها واقام بها مدَّة اربع سنين يخطب فيها للمستنصر بالله صاحب مصر. وفيها توفّي القاضي ابو الحسين عبد الوهاب بن احمد ابن هرون

سنة خمسين واربعمائة

فيها وصل الامير ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين ابو محمد الحسين بن الحسن ابن حمدان الى دمشق والياً عليها دفعةً ثانيةً بعد اولى في يوم الاثنين النصف من رجب منها واقام يسوس احوالها ويستخرج اموالها الى ان ورد عليه الامر من الحضرة بمصر بالمسير في العسكر الى حلب فتوجّه اليها في العسكر في السادس عشر من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٢ واتفقت الوقعة المشهورة المعروفة بوقعة الفُنَيدق بظاهر حلب في يوم الاثنين مستهلّ شعبان من السنة بين ناصر الدولة المذكور وعسكره وبين جميع العرب الكلابيين ومن انضمّ اليهم فكسرت العرب عسكر (١ ناصر الدولة واستولوا عليهم

١) وفي الاصل : كسرة

ونكوا فيهم وافلت ناصر الدولة منهزماً مجروحاً مفلولاً وعاد الى مصر. ولم تزل الاخبار متواترة من ناحيــة العراق بظهور (54v) المظفر ابي الحرث ارسلان الفساسيري وقوّة شوكته وكثرة عدّتهِ وغلبة امره على الامام القــائم بامر الله امير المؤمنين وقهر نوّابه وامتهان خاصّته واصحابه وخوفهم من شرّه حتى امضى امره الى ان يأخذ الجاني من حَرَم الخلافة ويفعل ما يشاء ولا يمانع لهُ ولا يدافع عنه. وقد شرح الخطيب ابو بكر احمد ابن علي بن ثابت البغدادي رحمه الله في اخبار اهل بغداد ما قال فيه: ولم يزل امر القائم بامر الله امير المؤمنين مستقيماً الى ان قبض عليهِ ارسلان الفساسيري في سنة ٤٥٠ وهو واحد من الغلمان الاتراك عظم امرهُ واستفحل شأنهُ لعــدم نظرائه من الغلمان الاتراك والمقدّمين والاسفهسلارية الّا انه استولى على العباد والاعمال ومدّ يده في جباية الاموال وشاع بالهيبة امره وانتشر بالقهر ذكره وتهيّبتــهُ العرب والعجم ودُعي لهُ على كثير من منابر الاعمال العراقية وبالاهواز ونواحيها ولم يكن القائم بامر الله يقطع امراً دونهُ ولا يمضي رأياً الّا بعد اذنهِ ورأيه ثم صحّ عنده سوء عقيدته وخبث نيّته وانتهى ذلك اليــهِ من ثقاتٍ من الاتراك لا يشكّ في قولهم ولا يرتاب. وانتهى اليهِ انهُ بواسط قد عزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب السلطان طغرلبك محمــد بن ميكال (كذا) وهو بنواحي الريّ يعرّفه صورة حال الفساسيري ويبعثــه على العود الى العراق ويُدارك امر هذا الخارجي قبل تزايد طمعه وإعضال خطبه. وعاد الفساسيري من واسط وقصد دار الخلافة في بغداد وهي بالجانب الغربي في الموضع المعروف بدار اسحق فهجمها ونهبها واحرقها ونقض ابنيتها واستولى على كل ما فيها. ووصل السلطان طغرلبــك الى بغداد في شهر رمضان سنة ٤٤٧ وتوّجه الفساسيري الى الرحبــة حين عرف وصول طغرلبك على الفرات وكاتب المستنصر بامر الله صاحب مصر يذكر لهُ كونهُ في طاعتهِ واخلاصهُ في موالاته وعزمهُ على اقامة الدعوة لهُ في العراق وانهُ قادرٌ على ذلك وغــير عاجزٌ عنه فانجــده وساعده بالاموال وكتب لهُ بولاية الرحبة. واقام السلطان طغرلبك ببغداد سنةً كاملةً وسار منها الى ناحية الموصل واوقع باهــل سنجار وعاد منها (55r) الى بغداد فاقام برهةً ثم عاد الى الموصل وخرج منها متوجّهاً الى نصيبين ومعه اخوه ابرهيم ينال وذلك في سنة ٤٥٠. وحدث بين السلطان طغرلبك واخيه ابرهيم خُلف اوجب انفصالهُ عنه بجيش عظيم وقصد ناحية الري وقد كان الفساسيري كاتب ابرهيم ينال اخا السلطان طغرلبك يبعثه على العصيان لاخيه ويُطمعه في الملك والتفرد بهِ ويعــده

Marfat.com

المعاضدة عليه والموازرة والمرافدة والشدّ منــهُ وسار طغرلبك في اثر اخيه مُجدًّا وترك عساكره من ورائه فتفرّقت غير ان وزيره عميد الملك الكندري وربيبه انوشروان وزوجته خاتون وصلوا بغــداد في من بقي معهم من العسكر في شوال سنة ٤٥٠ . واتصلت الاخبار بلقاء طغرلبك واخيه ابرهيم بناحية همذان وورد الخبر بذلك على خاتون وولدها والوزير وان ابرهيم استظهر عليه وحصره في همذان فعنــد ذلك عزموا على المسير الى همذان لانجاد السلطان فحين شاع الخبر بذلك اضطرب امر بغــداد اضطراباً شديداً وخاف مَن بها وكثرت الاراجيف باقتراب ارسلان الفساسيري . وتوقّف الكندري الوزير عن المسير فانكرت خاتون ذلك عليه وهمّت بالايقــاع بهِ وتوقّف ابنها لتوقفهما عن المسير والانجاد للسلطان طغرلبك فنهضــا للجانب الغربي من بغداد وقطعا الجسور من ورائهما وانتهب دورهما واستولى من كان مع الخاتون من الغُزّ على ما فيها من الاموال والامتعة والاثاث والسلاح وتوجّهت خاتون في العسكر الى ناحية همذان وتوجّه الوزير الكندري على طريق الاهواز . فلما كان يوم الجمعة السادس من ذي القعدة ورد الخبر بان ارسلان الفساسيري بالانبار وسعى الناس الى صلاة الجمعة بجامع المنصور فلم يحضر الامام واذن المؤذّن في المنارة ونزل منها واعلم الناس انهُ رأى العسكر عسكر الفساسيري بازاء شارع دار الرقيق فبادروا الى ابواب الجامع وشاهدت قوماً من اصحاب الفساسيري يسكنون الناس بحيث صلّوا في هذا المكان اليوم في جامع المنصور الظهر اربعاً من غير خطبةٍ وفي يوم السبت تاليه وصل نفر من عسكر الفساسيري وفي غدوة يوم الاحد (55) دخل الفساسيري بغداد ومعه الرايات السود فضرب مضاربه على شاطئ دجلة واجتمع اهل الكرخ والعوام من اهل الجانب الغربي على مظافرة الفساسيري وكان قد جمع العيّار واهل الفساد واطمعهم في نهب دار الخلافة والناس اذ ذاك في ضُرٍّ وجهدٍ قد توالى عليهم الجدب وغلا السعر وعزّ الاقوات واقام الفساسيري بمكانه والقتــال في كل يوم متّصل بين الفريقين في السفن بدجلة . فلما كان يوم الجمعــة الثاني دُعي المستنصر بالله صاحب مصر على المنبر بجامع المنصور وزيد في الاذان « حي على خير العمل » . وشرع في بناء الجسر بعقد باب الطاق وكُفّ الناس عن المحاربة ايّاماً وحضر يوم الجمعة الثاني من الخطبة فدُعي لصاحب مصر في جامع الرصافة . وخندق الخليفة القائم بامر الله حول داره ورمّ ما تشعّث منها ومن اسوار المدينة فلمّا كان يوم الاحد لليلتين بقيتــا من ذي القعدة حشــد الفساسيري اهل الجانب الغربي والكرخ ونهض بهم الى محاربة الخليفة

ونشبت الحرب بين الفريقين يومين وقتل منهما الخلق الكثير. واهلّ هلال ذي الحجة فزحف الفساسيري الى ناحية دار القائم الخليفة فاضرم النار في الاسواق بنهر مُعلَّى وما يليه وعبر الناس لانتهاب دار الخليفة فنُهب منها ما لا يُحصى كثرةً وعظماً. ونفّذ الخليفة الى مونس بن بدر الصقلبي وكان قد ظاهر الفساسيري فاذمّ للخليفة في نفسه ولقيه قُريش امير بني عقيل فقبل الارض دفعات وخرج الخليفة من الدار راكباً وبين يديه راية سوداء وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة وعلى رأسه عمامة تحتها قلنسوة الاتراك عِراضه وبين يديه . . . . . وضرب لهُ قريش خيمةً في الجانب الغربي فدخلها واحدق بهِ خدمُهُ وماشى الوزير رئيس الرؤساء ابا القسم بن مسلمة الفساسيري ويدهُ قابضةٌ على يدهِ وكمِّهِ وقبض على قاضي القضاة الدامغاني وجماعة معه وحملوا الى الحريم الطاهري وقيَّد الوزير والقاضي. فلما كان يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة لم يُخطَب بجامع الخليفة وخُطب في سائر الجوامع للمستنصر صاحب مصر وفي هذا اليوم انقطعت الدعوة لبني العباس في بغداد

ولما كان (56r) اليوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم عرفة أُخرج الخليفة القائم بامر الله من الموضع الذي كان فيه وحُمل الى الانبار ومنها الى الحديثة في الفرات فجلس هناك وكان صاحب الحديثة الامير مُهارِش هو المتولّي لخدمة الخليفة فيها بنفسه وكان حسن الطريقة. ولمَّا كان يوم الاثنين من ذي الحجة شُهِر الوزير رئيس الرؤساء وزير الخليفة على جمل وطيف بهِ في محالّ الجانب الغربي ثم صُلب بباب الطاق وخراسان وجُعل على فكَّيه كُلَّابان من حديد على جدع فمات رحمه الله بعد صلاة العصر وأُطلق القاضي الدامغاني بمالٍ قُرّر عليه. قال ابو بكر الخطيب رحمه الله : ثم خرجت يوم النصف من صفر سنة ٤٥١ من بغداد ولم يزل الخليفة في محبسهِ بالحديثة الى ان عاد السلطان طغرلبك من ناحية الريّ الى بغداد بعد ان ظفر باخيه ابرهيم ينال وكسره وقتله ثم كاتب الامير قريشاً باطلاق الخليفة الى دارهْ الى ناحية العراق وجعل السفير بينهُ وبين طغرلبك في ذلك ابا منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف وشرط ان يضمن الخليفة للفساسيري صرف طغرلبك عن وجهته. وكاتب طغرلبك مُهارشاً في امر الخليفة وإخراجه من محبسه فاخرجه وعبر بهِ الفرات وقصد بهِ تكريت في نفرٍ من بني عمه وقد بلغه ان طغرلبك بشهرزور فلما قطع الطريق عرف ان طغرلبك قد حصل ببغداد فعاد راجعاً حتى وصل النهروان فاقام الخليفة هناك ووجَّه طغرلبك مضارب في الحال

Marfat.com

وفروشاً برسم الخليفة ثم خرج لتلقّيه بنفسه وحصل الخليفة في داره ونهض طغرلبك في عسكرٍ نحو الفساسيري وهو بسقي الفرات فحاربه الى ان اظفره الله بهِ وقتاله وحمل رأسه الى بغداد وطيف بهِ فيها وعُلّق بازاء دار الخلافة

سنة احدى وخمسين واربعمائة

في هذه السنة كان هلاك ارسلان الفساسيري وعود الخليفة القائم بامر الله امير المؤمنين الى داره على ما تقدّم شرحه من امره. وفيها ايضاً كان ظفر السلطان طغرلبك باخيه ابرهيم ينال على باب همذان

سنة اثنتين وخمسين واربعمائة

(56) فيها وصل الامير المقدّم تمام الدولة قوام الملك ذو الرئاستين سُبكتكين المستنصري الى دمشق وبقي فيها غير والٍ عليها الى ان وصل القائد موفق الدولة جوهر الصقلبي من مصر في يوم الاربعاء الثاني من ذي الحجة سنة ٤٥٢ ومعه الخلع وسجل الولاية لدمشق بالقابه والدعاء لهُ « سلمه الله ووفّقه » والناظر في الاعمال وحفظ الاموال سديد الدولة ابو عبد الله محمد بن حسن الماشكي على ما كان عليهِ سبكتكين والياً على دمشق الى ان توفّى بها في ليلة الاثنين للثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٣ فكانت ولايته ثلثة شهور وسبعة عشر يوماً

وفي هذه السنة نزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس على حلب، محاصراً لها ومضيّقاً عليها وطامعاً في تملّكها ومعه منيع بن سيف الدولة فاقام عليها مدّة فلم يتسهّل لهُ فيها اربٌ ولا تيسّر طلبٌ فرحل عنها ثم حشد بعد مدّةٍ وجمع وعاد نازلاً لها ومضايقاً لاهلها ومراسلاً لهم وتكرّرت المراسلات منهم الى ان تسهّل امرها وتيسّر خطبها فتسلّمها في يوم الاثنين من جمادى الاخرة وضايق القلعة الى ان عرف وصول الامير ناصر الدولة بن حمدان في العساكر المصرية لانجادها فخرج منها في رجب سنة ٢ ونهب حلب بعسكر ناصر الدولة واتّفقت وقعة الفُنَيدق المشهورة وانفلال ناصر الدولة وعوده الى مصر منهزماً مخذولاً فعاد محمود بجمعهِ الى حلب ونزل بها وقتل عمّه معزّ الدولة واستقام امره فيها. وفي هذه السنة قصد الامير [illegible] فيمن جمعه وحشده مدينة الرحبة ولم يزل نازلاً عليها ومضايقاً لاهلها ومراسلاً لهم الى ان تسهّل الامر فيها وسلّمت اليهِ وحصل بها في صفر من السنة

Marfat.com

سنة ثلث وخمسين واربعمائة

في هذه السنة وصل الامير حسام الدولة ابن البجناكي الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الاولى منها ونزل في المزّة واقام مدّة وورد الكتاب بعزله فانصرف عن الولاية وتوجّه نحو حلب في شهر رمضان من السنة ثم وصل بعد ذلك عُدّة الدين والدولة ابن ناصر الدولة (57) بن حمدان الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة الثامن عشر من رمضان من السنة وحصل بها وقُرئ سجلّ ولايته وامر فيها ونهى. وفي هذه السنة استقر الصلح والموادعة بين معزّ الدولة صاحب حلب وابن اخيه محمود بن شبل الدولة. وفيها نُدب ابو محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر للسير من حلب الى القسطنطينيّة رسولًا في المحرّم منها. وفيها توفّى الامير معز الدولة بحلب في يوم الجمعة لسبع بقين من ذي القعدة ودُفن في المسجد بالقلعة وملكها اخوه عطية. وفي هذه السنة وصل الامير المؤيد معتز الدولة حيدرة بن عضب الدولة الى دمشق والياً عليها دفعةً ثانيةً بعد اولى في يوم الاثنين الثامن عشر من ذي القعدة منها ونزل في ارض المزّة وفي هذا اليوم سار عدة الدولة بن حمدان عن الولاية منصرفًا الى مصر واقام المؤيد بها في الولاية ما اقام وانصرف عنها معزولًا في شهر ربيع الاخر سنة ٤٥٥

سنة اربع وخمسين واربعمائة

في المحرّم منها قُلّد الامير مكين الدولة طبرّية وثغر عكاء من قبل امام المستنصر بالله وامر على جماعة بني سُلَيم وبني فزارة. وفيها توفّي القاضي الشريف مستخصّ الدولة ابو الحسين ابرهيم بن العباس بن الحسن (١ الحسيني بدمشق يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله. وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان طغرلبك وقيام ولده (كذا) البارسلان في المملكة بعده في مدينة الري

سنة خمس وخمسين واربعمائة

وفيها ولاية امير الجيوش بدر لدمشق

وصل الامير تاج الامراء المظفّر مقدّم الجيوش شرف الملك عدة الامام ثقة الدولة بدر

---

١) ابن العباس بن الحسن بن ابي الجن: كذا في تاريخ الاسلام وانهُ قاضي دمشق وخطيبها نيابةً عن قاضي القضاة بمصر ابي محمد القاسم بن النعمان

Marfat.com

الى دمشق والياً عليها في يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الاخر من السنة ونزل بارض المزّة ومعه الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلالين ابو الحسن يحيي بن زيد الحسيني الزيدي ناظرًا في الاعمال ونفقات الاموال واقام بها مدّة مدبّرًا لها وآمرًا وناهيًا فيها ثم حدث من امره بها والخلف الجاري بينه وبين عسكريتها ورعيّتها ووقعت بينهما محاربات عرف معها عجزه عن المقام بينهم والثبات معهم (57) وخاف على نفسه منهم فسار عنها كالهارب منها في ليلة الثلثاء لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٥٦ . وفي هذه السنة نزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب وحصر عمّه عطية فيها في النصف من شعبان وقتل منيع بن كامل بحجر المنجنيق ولم يتمكّن من عرضه فيها ولا تسهّل لهُ ارب منها فرحل عنها

سنة ست وخمسين واربعمائة

وفيها ولاية الامير حيدرة بن منزو

لمّا انصرف امير الجيوش بدر عن ولاية دمشق هاربًا ندب لولايتها الامير حصن الدولة حيدرة بن منزو بن النعمان والياً عليها ووصل اليها في شهر رمضان من السنة واقام بها وامر ونهى على عادة امثالهِ من الوُلاة لها . ثم اقتضى الرأي المستنصري صرفهُ عنها لشهاب الدولة دُرِي المستنصري ووصل اليها وتولّى الولاية فيها . وفي هذه السنة عاد محمود بن شبل الدولة بن صالح الى حلب مُضايقًا لها ولعطية (١ عمّهِ فاستصرخ بالامير ابن خان التركي فانجده عليه فلمّا احسّ بوصوله رحل عنها منهزمًا ثم خاف عطيّة من الامير ابن خان فامر احداث حلب بنهب عسكره فنهبوه . ورحل ابن خان منهزمًا وانفذ الى الامير محمود يعتذر اليه من المساعدة عليه وتوجّه معه الى طرابلس وعاد معه الى حلب لحصرها في هذه السنة . وفيها وصل الامير شهاب الدولة دُري المستنصري الى دمشق والياً في العشر الاخير من ذي القعدة من السنة ثم تجدّد الرأي في صرفه فانصرف وتوجه الى الرملة لان سجلّ ولايته لها ورد عليه واقام بها آمرًا وناهيًا الى ان قُتل بها في شهر ربيع الاخر سنة ٤٦٠ واقامت دمشق خالية من الولاة الى ان وصل اليها امير الجيوش بدر والياً عليها دفعةً ثانيةً في سنة ٤٦٨

---

١) وفي الاصل : لابن عطية

Marfat.com

سنة سبع وخمسين واربع مائة

في هذه السنة نزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب ثالث دفعة ومعه الامير ابن خان التركي واقام عليها الى انتصاف شهر رمضان ولم يزل مضايقاً (58ر) لها الى ان تسهَّل امرها وملكها فلما حصل بها فارقه ابن خان بعسكره نحو العراق ولم يدخلها اشفاقاً من احداث حلب لما فعلوه في تلك النوبة من القيام عليه والنهب لاصحابه

سنة ثمان وخمسين واربعمائة

وفيها ولاية امير الجيوش بدر الثانية

وصل امير الجيوش سيف الاسلام بدر الى دمشق والياً عليهـا ثانيةً وعلى الشام باسره في يوم الاحد السادس من شعبان منها ونزل في مرج باب الحديد اياماً وبلغه قتل ولده بعسقلان فدخل القصر واقام فيه الى ان تحرّك الفتنـة الثائرة بينه وبين عسكرية دمشق واهلها واستيحاش كل منهم من صاحبه فخرج من القصر ونشبت الحرب بينهم في يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنـة ٤٦٠ وقد كان القصر أُخرب بعضه في تلك النوبة الحادثة الاولى ونُهب ما كان فيه فلما عاد بعد ذلك في هـذه النوبة ومعه العساكر الجمَّة من العرب وسائر الطوائف ونزل على مسجد القدم في رمضان سنة ٦٠ واتّفق رحيله عنهـا فخرج من في البلد من العسكرية والاحداث الى القصر فاحرقوا ما كان سالماً منه ونقضوا اخشابه بحيث شمله الخراب من كل جهاته . وفي هذه السنة فادى الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح نساء بني حمَّاد والنميريين من اسر الروم ولم يزل مبالغاً في ذلك ومجتهداً فيه الى ان حصلوا في حلب

سنة تسع وخمسين واربعمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية مصر باجتماع العبيـد في الصعيد وكبسهم عسكر الامير ناصر الدولة ابي علي الحسن بن حمدان وانفلال العرب المجتمعـة معه واستظهار العبيد على جانبٍ من عسكره نهبوه واستولوا عليه ثم عادوا عليهم واستعادوا ما اخذ لهم وزيادة عليه وقتل جماعةً منهم . وفيها سأل الامير ناصر الدولة المستنصر بالله في حُميد ابن محمود بن جرَّاح وحازم بن علي بن جرَّاح فاطلقهما من خزانة البنود وخلّى سبيلهما

(58[٧]) سنة ستين واربعمائة

وفيها ولاية الامير بارزطغان لدمشق

وصل الامير قطب الدولة بارزطغان الى دمشق والياً عليها في شعبان منها ووصل معه الشريف السيد ابو طاهر حيدرة بن مستخص الدولة ابي الحسين ونزل قطب الدولة في دار العقيقي واقام مُدَّة ثم خرج منها ومعه الشريف المذكور في شهر ربيع الاول سنة ٤٦١ . وورد الخبر بان امير الجيوش بدر ظفر بالشريف السيد المذكور وكان بينهما إحَنٌ بعثته على الاجتهاد في طلبه والارصاد لهُ الى ان اقتنصه فلما حصل في يده قتله سلخاً فعظم ذلك على كافَّة الناس واكثروا هذا الفعل واستبشعوه في حقّ مثله (١ . وفي يوم الثلثاء العاشر من جمادى الاولى من السنة جاءت زلزلة عظيمة بفلسطين هدمت اكثر دور الرملة وسورها وتضعضع جامعها ومات اكثر اهلهـا تحت الردم . وحُكي ان معلماً كان في مكتبه بهِ تقدير مائتي صبي وقع المكتب عليهم فما سأل احدٌ عنهم لهـلاك اهليهم وان الماء طلع من افواه الابار لعظم الزلزلة وهلك في بانياس تحت الردم نحو من مائة نفس وكذلك في بيت المقدس . وسُمع في أيار من هذه السنة رعدة هائلة ما سُمع باعظم منها ولا باهول من صوتها فغشي على جماعةٍ من الرجال والنسوان والصبيان وطلع في اثرها سحاب هائل ووقع منه برد شديد الوقع اهلك كثيراً من الشجر وجاء معهُ سيل عظيم في بلد الشام قلع ما مرَّ بهِ من الشجر والصخر . حُكي ان ارتفاعه بوادي بني عُليم

---

١) قال سبـط ابن الجوزي في ترجمة الشريف انهُ لمَّا دخل عسكر بدر الجمالي الى دمشق هرب منها الى عمان البلقـاء فغدر بهِ بدر بن حازم وكان الشريف قد اطلق اباه حازم من خزانة البنود . وقال محمد بن هلال الصابي : لما خرج الشريف وبارزطغان من دمشق يريدان مصر اشار عليه بارزطغان بان لا يظهر بعمان البلقاء لان بها بدر بن حازم وان يسير في الليل فلم يقبل وسار بارزطغان الى حلَّة بدر بن حازم وقال : جئناك لتذمّ لنا ولمن معنـا . فقال : ومن معك . قالوا : الشريف بن ابي الجن . فقال : قد ذمّ الله لكم الَّا الشريف فانهُ لا بدّ من حمله الى امير الجيوش . وسار اليهِ وقبض عليهِ ومضى بهِ الى عكاء وباعه بذهب وخِلَع وإقطاع . فاركبه امير الجيوش جملاً وقتله اقبح قتلة ثم سلخ جلده وقيل سلخه حياً وصلبه . ولعن اهـل الشام بدرَ بن حازم والعرب وقالوا : اما هذه عادتهم . ولقد كان الشريف من اهل الديانة والصيانة والعفَّة والامانة محباً لاهـل العلم واصطناع المعروف

Marfat.com

نحو من ثلثين ذراعاً وانه سحب صخرةً عظيمة لا يقلُّها خمسون رجلًا ذَهبَ بهـا فلم يُعرَف مستقرّها. وفيها ورد الخبر بقيام ناصر الدولة ابي علي الحسن بن حمدان في جماعة من قوّاد الاتراك وامراء مصر على المستنصر بالله بمصر وأخذهم شيئاً كثيرًا من المال اقتسموه وكان امير الجيوش بدر في مبدأ امره مقيماً بالشام مُظهرًا الطاعة المستنصر بالله والموالاة لهُ والميل اليه الّا انه لا يتمكّن من نُصرته ولا يجد سبيلًا الى موازرته ومعاضدته وزحف المذكورون الى دار وزيره المعروف بابن كدَينة فطالبوه بالمال فقال لهم: وايّ مالٍ بقي بعد نهبكم (59r) الاموال واقتسامكم الاعمال ؟ فالحّوا عليه وقالوا: لا بدّ من انفاذك الى المستنصر بالله وبعثك لهُ على اخراج المال وتعريفه في ذلك صورة الحال. فكتب اليه رقعةً بشرح القصة وخرج الجواب عنها بخطّه يقول فيه

اصبحتُ لا ارجو ولا اتّقي الّا الهي ولهُ الفضلُ
جدّي نبيّي وامامي ابي وقوليَ التوحيد والعدلُ

المال مال الله والعبيد عبيد الله والاعطاء خير من المنع وَسيَعلمُ الذينَ ظلموا أيَّ مُنقلبٍ ينقلبونَ (1. وفي هذه السنة خرج متملّك الروم مّن القسطنطينية الى الثغور

سنة احدى وستين واربعمائة

وفيها كانت ولاية معلى بن حيدرة بن منزو لدمشق

الامير حصن الدولة مُعَلى بن حيدرة بن منزو الكتامي ولى بدمشق قهرًا وغلبةً وقسرًا من غير تقليد في يوم الخميس الثامن من شوّال سنة ٤٦١ بجيَلٍ نمقها وخالاتٍ اختلقها ولفّقها وذُكِر ان التقليد بعد ذلك وافاه فبالغ في المصادرات حينئذٍ وارتكب من الظلم ومصادرة المستورين الاخيار ما هو مشهور من العيث والجور ما هو شائعٌ بين الانام مذكورٌ ولم يلقَ اهل البلد من التعجرف والظالم والعسف بعد جيش بن الصمصامة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله وقاسوه من اعتدائه ولؤم اصله ولم تزل هذه افعاله الى ان خربت اعمالها وخلا عنها اهلها وهان عليهم مفارقة املاكهم وسُلوّهم عن اوطانهم بما عانوه من ظلمه ولابسوه من تعدّيه وعشمه وخلت الاماكن من قاطنيها والغوطة من فلّاحيها وما برح لقاء الله على هذه القضية المنكرة والطريقة

1) Qur. XXVI, 228.

Marfat.com

المكروهة الى ان اجاب الله ولهُ الحمد والشكر دُعاء المظلومين و اَقَّاهُ عاقبة الظالمين وحقّق الامل فيه بالراحة منه واوقع بينه وبين العسكرية بدمشق الشحناء والبغضاء فخاف على نفسه الهلاك والبوار فاستشعر الوبال والدمار فلم يكن لهُ الّا الهرب منهم والنجاة من فتكهم لانهم عزموا على الايقاع بهِ والنكاية فيه وقصد ناحية بانياس (59) فحصل فيها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٦٧ فاقام بها وعمّر ما عمّره من الحمّام وغيره فيها ثم خرج منها في اوائل سنة ٤٧٢ خوفاً من العسكر المصري ان يدركه فيها فيأخذه منها وحصل بثغر صور عند ابن ابي عقيل القاضي المستولي عليها ثم صار من صور الى طرابلس واقام بها عند زوج اخته جلال الملك ابن عمّار مدّة وأطلع الى مصر فهلك في الاعتقال قتلاً بالنعال في سنة ٤٨١ وذلك جزاء الظالمين وما الله بغافل عمّا يعملون

وفي هذه السنة وقع الخُلف بدمشق بين العسكرية وبين اهلها وطُرحت النار في جانبٍ منها فاحترقت واتّصلت النار منه بالمسجد الجامع من غربيّه فاحترق في ليلة يوم الاثنين انتصاف شعبان من السنة فقلق الناس لهذا الحادث والمّ المؤلم الكارث وأسف القاصي والداني لاحتراق مثل هذا الجامع الجامع للمحاسن والغرائب المعدود من احدى العجائب حُسناً وبهاء ورونقاً وسناء وكيف اصابت مثله العيون الصوائب وعدت عليه عادية النوائب (١

---

١) ومن اخبار الشام ما قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان بدر الجمالي كان قد ورد دمشق والياً على الشام سنة ٥٨ ووصل عسقلان وغزا بني سبيش ونكا فيهم وعاد الى الاقحوانة وجاءه امبران اخوان من قيس فقتلهما لاجل غارات كانت لهم بالشام قبل وصوله اليه ثم سار يشقّ حلل العرب كلب وطي وغيرهما شقّاً وفعل فعلاً لم يسبقه احدٌ اليه حتى وصل الى دمشق فنزل قصر السلطنة بظاهرها واقام بسنة وكسر فامن الناس لهيبته. ثم قبض على ابن ابي الرضا خليفة الشريف القاضي الملكيني ابي الفضل اسماعيل بن ابي الجن العلوي وعلى جماعة واخذ منهم عشرة آلاف دينار ووهبها لحازم بن جراح المفرّج . . . . عنهُ من مصر وكان قد هرب اليه فاعطاه المال استكفافاً لهُ عن معاونة الشريف ابي طاهر بن ابي الجن المنفذ معه حازم لافساد امر بدر بالشام واثارة اهل دمشق عليه. ولمّا فعل بدر بالمذكورين ما فعل ثار اهل دمشق عليه واغلقوا ابوابها وحاربوه وساعدهم حصن الدولة (حيدرة) بن منزو وراسلهم مسمار بن سنان الكلبي وراسلوه وحالفوه وجاء عرب مسمار فاغارت على قصر السلطنة بدمشق بظاهرها وعاد بدر الجمالي وراوحوه فانفذ ثقله واهله الى صيدا ومضى خلفهم اليها. وجمع ابن منزو عسكره وعسكر دمشق لقصد بدر فلمّا عرف ذلك رحل الى صور وحاصرها ومتولّيها القاضي الناصح ثقة الثقات عين الدولة ابو

Marfat.com

وفيها وردت الاخبار من مصر بغلاء الاسعار فيها وقلّة الاقوات في اعمالها واشتداد

الحسن محمد بن عبد الله بن ابي عقيل فحاصرها اياماً وقرب منهُ ابن منزو فسار الى عكاء واقام اياماً دخل فيها بزوجته بنت رقطاش التركي ومضى الى عسقلان . وجاء الشريف ابن ابي الجن من مصر الى دمشق وكان اهلها هدموا قصر السلطنة ودرسوه وكان عظيماً يسع الوفاً من الناس واقام على دمشق سبعة وعشرين يوماً ومعه حازم وحميد ابنا جرّاح اللذان اتّفقا مع الشريف على الفتك ببدر وكان حميد قد طمع من بدر في مثل ما فعلهُ من حازم ولما عجز بدر عن دمشق عاد الى عكا لان الشريف والعساكر دفعوا عنها . ولما رحل عن دمشق اختلف العسكر واحداث البلد فنهب العسكر بعض البلد ونادوا بشعار بدر الجمالي واستدعوا منهُ صاحباً يكون عندهم فانفذ اليهم رجلاً يُعرف بالقطيان في جماعة من اصحابه فدخل دمشق وهرب الشريف ابن ابي الجن وولدا ابن منزو وكان ابوهما قد مات على صور في هذه السنة فنزل ابنا منزو على الكلبيين وسار الشريف طالباً مصر فاجتاز بعمان البلقاء وبها بدر بن حازم صاحبها فقبض على الشريف وباعه من بدر الجمالي باثني عشر الف دينار فقتله امير الجيوش بعكا خنقاً . وبعث بدر الجمالي الى دمشق علوياً يعرف بابن ابي شوية من اهل قيسارية وامر بمصادرة الشريف ابي الفضل بن ابي الجن اخي المقتول وجماعة من مقدّمي دمشق وعلم اهل دمشق فثاروا على ابن ابي شوية واخرجوه ولعنوا امير الجيوش ووافقهم العسكر وبعثوا الى مسمار بن سنان وحازم بن نبهان بن القرمطي امير بني كلب وبذلوا اليهما تسليم البلد فبعث اليهم مسمار يقول : لا يمكنني الدخول الى البلد وتمليكه والعسكر جميعه فيه والمغاربة والمشارقة ويجب ان يخالفوا بينهم ويُخرجوا المشارقة . ففعلوا وصاروا احزاباً وكان اقتتال في غربي الجامع ورمي المشارقة واهل البلد بالنشّاب من دار قريبة من الجامع فضربت الدار بالنار فاحترقت وثارت النار منها الى الجامع فاحرقتهُ ليلة نصف شعبان هذه السنة . ولما رأى العوامّ ذلك تركوا القتال وقصدوا الجامع طمعاً في تلافيه ليدركوا ما حدث فيه ففات الامر فرموا سلاحهم واطموا واستغاثوا الى الله تعالى وتضرعوا وقالوا : كم نحلف ونكذب ونغدر ونخبث (و) نعاهد وننكث . والنار تعمل الى الصباح فاصبح الجامع ولم يبق منه الّا حيطانه الاربعة وصاروا ايام الجماعات يصلون فيه على التلال وهم يبكون وانهزموا بعد ذلك ونُهبت دورهم واموالهم . وانفذ مسمار والياً على دمشق من قبله يُعرف بفيتان وراسل مسمار اهل البلد ثانياً بان ينهبوا ويثبتوا على المغاربة فيخرجوهم ويتّفق هو واهل البلد فثاروا عليهم وتأخر مسمار عنهم واقتتلوا فظهر عليهم المغاربة واحرقوا قطعة من البلد ونهبوا اكثر ونادوا بشعار بدر الجمالي . ووصل مسمار بعد ذلك الى باب البلد . وقد فات الامر الذي ورد لهُ فراسله المغاربة على ان يمكّنهم من المقام في البلد ويعطونه مائة الف دينار فرضي واقام اياماً في المكان وطالبهم بالمال فلم يعطوه شيئاً ولم يكن لهُ قدرة عليهم فسار الى السواد وكان ما نهب المغاربة من دمشق يساوي خمسمائة الف دينار . وتتبّعوا احداث دمشق فقتلوا منهم سبعين حدثاً . ومضى سنان الدولة ولد ابن منزو الى امير الجيوش وصالحه وصاهره على اخته وعاد الى دمشق والياً عليها من قِبَل امير الجيوش واطاعته المغاربة وسلّموها اليهِ فدخلها

وقال ايضاً ان فيها يعني سنة ٤٦٢ استولى القفيّ مختص بن ابي الجنّ اخو حيدرة المقتول على دمشق وطرد نوّاب امير الجيوش واستولى على صور ابن ابي عقيل وعلى طرابلس قاضيها ابن عمّار

Marfat.com

الحال في ذلك واضطرارهم الى اكل الميتة واكل الناس بعضهم بعضاً من شدّة الجوع وقتل من يُظفر بهِ واخذ ماله واستغراق حاله ومن سلِم هلك واحتاج الامير والوزير والكبير الى المسئلة. وفيها نزل الروم على حصن اسفونا وملكوه

سنة اثنتين وستين واربعمائة

فيها نزل امير الجيوش سيف الاسلام بدر المستنصري في العسكر المصري على ثغر صور محاصراً لعين الدولة بن ابي عقيل القاضي الغالب عليه فلما اقام على المضايقة لهُ والاضرار بهِ كاتب القاضي ابن ابي عقيل الامير قُرلو مقدّم الاتراك المقيمين بالشام مستصرخاً لهُ ومستنجداً بهِ فاجابه الى طلبه واسعفه بأربهِ وسار بعسكره مُنجداً لهُ ومساعداً ووصل الى ثغر صيدا ونزل عليه في ستة الف فارس فحصره وضيَّق عليه وعلى من فيه وكان في جملة ولاية امير الجيوش المذكور فحين عرف امير الجيوش صورة الحال ووصول الاتراك لانجاد من بصور واسعادهِ قادتهُ (60r) الضرورة الى الرحيل عن صور بعد ان استفسد كثيراً من اهلها والعسكريّة بها بحيث قويت بهم شوكته وزادت بهم عدته وتلوّم عنها قليلاً ثم عاود النزول عليها والمضايقة لها واقام عليها في البر والبحر مدّة سنة احتاج اهلها مع ذلك الى اكل الخبز الرطل بنصف دينار ولم يتمّ لهُ امر فيها لاختلاف الاتراك في الشام فرحل عنها. وفي هذه السنة مرض الامير محمود بن صالح في حلب مرضاً شديداً وخطب للامام القائم لامر الله على منبر حلب وقطع الدعوة المستنصريّة في تاسع عشر شوال. وفيها فتح ملك الروم ثغر منبج (١ واحرقه وعاد يقدم بعمارته ورحل عنه الى ناحية منازجرد فعاث في اطرافها الى اطراف خراسان وبقيت منبج في ملكة هذا الملك واسمه على ما ذُكر اليزدوخانس سبع سنين ودام في الملك على ماحكى ثلثين

سنة (٢ ثلث وستين واربعمائة

فيها جمع اتسز بن اوق مقدّم الاتراك الغزّ بالشام (٣ واحتشد وقصد ارض فلسطين

(ابو طالب) وعلى الرملة والساحل ابن حمدان ولم يبق لامير الجيوش غير عكا وصيدا

١) قال سبط ابن الجوزي وكان اكثر اهلها قد هربوا منها و بلغ كرى الراحلة منها الى حلب ثمانين ديناراً

٢) وقال ايضاً ان في الاثنين سابع صفر سنة ٤٦٨ فتحت قلعة منبج وارتجعت من يد الروم بعد حصار طويل سلّمها الحافظ لها بامان الى نصر بن محمود صاحب حلب واعطاه اقطاعاً وما لا وان كانت مدّة بقائها في يد الروم سبع سنين وشهراً فانها أُخذت في المحرم سنة ٤٦١

٣) هو ابن ابق في تاريخ الاسلام وفي مرآة الزمان انهُ مقدّم الناوكية

Marfat.com

فافتتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق وواصل الغارات عليهـا وعلى اعمالها وقطع الميرة عنها ورعى زرعها عدّة سنين في كل ربيع لمضايقتهـا والطمع في ملكتها ولم يزل متردّدًا الى ان اضطرب امرها وخربت المنازل بها وزاد غلاء الاسعار فيها وعُدم تواصل الاقوات اليها وجلا اكثر اهلها عنها واستحكم الخلف بين العسكرية والصـامدة والاحداث من اهلها وكون الوالي مُعلَى بن منزو لعنه الله قد هرب عنها ولم يبق فيها من المقدّمين على الاجناد غير الامير زين الدولة زمام الصـامدة بها. وفي هذه السنة نزل السلطان العادل البارسلان بن داود اخي السلطان طغرلبك بن سلجوق رحمه الله على حلب محاصرًا لها وبها محمود بن صالح في يوم الثلثاء سابع عشر جمـادى الاخرة وضايقها الى ان ملكها بالامان فخرج محمود اليه فأَمّنه وانعم عليه وولّاه البلد. ورحل عنـه ثالث وعشرين رجب قاصدًا الى بلاد الروم طالبًا ملكهم وقد توجّه الى منازجرد فلحقه واوقع بهِ وهزمه وكان عسكره على ما حكي تقدير ستمائة الف من الروم وما انضاف اليهم من سائر الطوائف وعسكر (60) الاسلام على ما ذكر تقـدير اربع مائة الف من الاتراك وجميع الطوائف وقُتل من عسكر الروم الخلق الكثير بحيث امتلأَ وادٍ هناك عند التقاء الصفَّين وحصل الملك في ايدي المسلمين اسيرًا وامتلأَت الايدي من سوادهم واموالهم وآلاتهم وكراعهم ولم تزل المراسلات متردّدةً بين السلطان البـارسلان وبين ملك الروم المأسور الى ان تقرر اطلاقه والمنُّ عليه بنفسه بعد اخذ العهود عليه والمواثيق بترك التعرّض لشيء من اعمال الاسلام واطلاق الاسارى وأُطلق وسيّر الى بلده واهل مملكته فيقال انهم اغتالوه وسلّموه واقاموا غيره في مكانه لاشياء انكروها عليـه ونسبوها اليه (١

---

١) وقال الفارقي وهو احمد بن يوسف بن علي بن الازرق في تاريخه يعني تاريخ ميافارقين وآمد: ثم ان السلطان سمع ان ملك الروم عاد فنزل الى الموصـل فنزل خلفه جماعة كثيرة من اهل اخلاط ومنازجرد يعلمونهُ ان ملك الروم قد عاد الى البلاد فرجع السلطان وصعد الى ارزن وبدليس وكان معهم قاضي منازجرد فوصل اخلاط وملكها واقام بهـا ايّامًا. ثم وصل ملك الروم الى ولاية منازجرد فخرج السلطان وسار ونزل على باب منازجرد وحصلت المراسلات تمضي بينهما وكان ملك الروم في خلق لا يحصى. ومضى ابن الحلبان من عند السلطان الى ملك الروم فسألهُ عن البلاد وحالها وقال: اخبرني ايّما أطيب اصفهان او همذان. فقال: اصفهان. فقال لهُ: قد بلغنا ان همذان شديدة البرد. فقال: هو كذلك. فقال الملك: نشتّي نحن في اصفهان والكراع في همذان. وقال لهُ ابن الحلبان: اما الكراع صحيح يشتّي في همذان واما انت فلا اعلم. ثم انتقل عنهُ والتقوا

Marfat.com

سنة اربع وستين واربعمائة

في المحرَّم منها قُتل الامير جعبر صاحب قلعة دوسر فيها بمكيدة نُصبت لهُ وحيلة

القتال فعبَّت الروم صفافها في ثلثمائة الف فارس والسلطان في نفر يسير فضيق الوقت للقتال وكان يوم الجمعة الى وقت ما علم السلطان ان الخطيب على المنبر وحان وقت نزوله فقال للناس: احملوا. فحملوا كلهم وكبَّروا وقال السلطان: هذا وقت الدعاء على جميع المذابر لجيوش المسلمين وباقي الناس يؤمنون على دعائهم فلعلَّ الله يستجيب من واحد منهم. ثم حملوا وكبَّروا فاعطاهم الله النصر فانهزم ملك الروم وقتل من اصحابه خلقاً عظيماً وغنموا اموالهم بحيث تقاسموا الذهب والفضة بالارطال. وغنم اهل اخلاط ومنازجرد من اموالهم ما استغنوا بهِ الى الان فانهم خرجوا واقاموا مع الجيش وقاتلوا ونهبوا اكثر النهب ومن تلك السنة استغنى اهل اخلاط وحصلوا ارباب مال. وعاد السلطان الى اذربيجان وولَّى في اخلاط ومنازجرد والياً وخرجت عن حكم بني مروان والى الان (يعني سنة ٥٧٢) هي بحكم السلطان يقطعهما

واماً هذه الوقعة العظيمة فروى عنها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان البارسلان قد سار من همذان في ذي القعدة سنة ٦٢ فلما قارب ارجيش ومنازجرد من بلد اخلاط فتحهما وقتل وسبى وبعث بين يديه الافشين في سريَّة وكان اريسيغي زوج اخت السلطان معه جماعة من الناوكية وكان السلطان يطلبهم فساروا من حازين الى بلاد الروم خائفين من السلطان ورحل السلطان الى بلد ميافارقين فخرج الى خدمته نصر بن مروان وهو خائف منهُ وكان الوزير نظام الملك قد مضى اليهِ وخرج بهِ الى السلطان فقرَّبه وخلع عليهِ وقسَّط عليهِ مائة الف دينار للجند واخرج للسلطان من الاقامات شيئاً كثيراً اخذه من الرَّعيَّة فردَّه عليه وقال: ما لنا الى اموال الفلَّاحين حاجة. فحمل الاقامات من خاصِّهِ. وفتح حصن السويدا وحصوناً كثيرة وكان الغزّ يبقرون بطون النساء ويقتلون من الاسارى مَن يضعف عن المشي معهم وتسرَّع جماعة من الغلمان الى حران ونواحيها فنهبوها وهرب الناس الى حصن الرافقة. ونزل السلطان الرُّها وقاتلهُ اهلها وطمَّ الخندق بالاشجار وغيرها وكانوا قد بذلوا اول ما نزل خمسين الف دينار وينصرف عنهم فرضي وفتر القتال عنهم فقالوا: لا نعطيك المال حتى تعدم آلات الحرب وتحرقها. فامر بكسرها وحريقها فلما فعل ذلك رجعوا. وكان عنده رسول من الملك وهو الواسطة بينهم فاغتاظ السلطان وتقدَّم بمسك الرسول وقتله فقال نظام الملك: هذا لم يجر بهِ عادة ولا احبُّ ان تسنَّ سنة لا يعرف باطنها ويقبح ظاهرها. ولطف بهِ حتى افرج عن الرسول واعطاه جواب كتبه وصرفه. ورحل في الحادي عشر من ربيع الاخر طالباً للفرات لحالين احدهما تأخُّر خبر الافشين والثاني تقاعُد من بقي معهُ من العراقيين عسكر طغرلبك عن القتال وخبث نفوسهم لتأخر ارزاقهم ولما انصرف عن الرُّها استخرج اهلها القتلى وقطعوا رؤوسهم ليحملوها الى ملك الروم واحرقوا جثثهم وصالح اهل حران على مال. ونزل السلطان على الفرات رابع عشر ربيع الاخر ولم يخرج اليه محمود صاحب حلب فغاظهُ ذلك وعبر الفرات واخربت العساكر بلد حلب ونهبوه ووصلوا الى القُريتين من اعمال حمص ونهبوا بني كلاب وعادوا بغنائم عظيمة وهربت العرب الى البرية. وراسل محمود وطلب منهُ الحضور فامتنع وحمل اليهِ الاموال التي قسَّطها على بلاده فقال: ما اعرف لامتناعك من قصد خدمتي مع

تمّت عليه وغفلةٍ استمرت بهِ . وفيها ملكت الرقة واستولى عليها . وفيها نهض محمود بن

اقامتك الخطبة لي واتّصال مكاتبتك وجهاً وقد علمتَ احساني الى كل من حضر عندي من ملوك الاطراف . فارسل محمود والدته وولده بخدمة قليلة فزاد غيظ السلطان . واتّفق ان الخليفة بعث لمحمود الخلع التي طلبها لما خطب للقائم مع نقيب النقباء منها الفرجيّة والعمامة وفرس بمركب ثقيل ولواء ولوالدته فرسين وثياباً ولبني عمه خيلًا وثياباً وخرج محمود والتقى النقيب فسلّم عليهِ عن الخليفة فنزل وقبّل الارض ولبس الخلع وركب الفرس ودخل الى حلب واقام النقيب يومين لم يرَ من محمود فيهما ما ظن فركب اليهِ (و) قال محمود : انا اطيعكم وهذا السلطان على بعد وطابت حراستي وحراسة بلادي فاماً البلاد فقد شاهدت خرابها ونهبها وانا مُطالب بالخروج اليهِ والاموال التي تفقدني ومهد بالحصار والبوار وهذا كتاب السلطان عندي بالاعفاء من دوس البساط . فقال النقيب : هات الكتاب لامضي اليهِ . فاعطاه اياه فخرج اليهِ وكان نازلًا على الفندق فلما وصل بعث السلطان اليهِ بفرس النوبة واكرمه واستدعاه وبلّغه عن الخليفة ما حمله اليهِ فقام وقبّل الارض وشكر ودعا وقال لهُ : ما الذي اخرجك ؟ فقال : جئت لاخرج محمود الى خدمتك فاخرج اليّ هذا الكتاب . فقال : صحيح انا كتبتهُ تطبيباً لقلبه مع بعدي عنهُ فاماً اذا قربتُ منهُ فما اقنع بهذا واي عذر لنا اذا كان منتمياً الينا وقد عصى علينا ونصب المجانيق ليستعدّ للحصار واي حرمة تبقى لنا عند الملوك ؟ ويجب ان ترجع اليهِ وتضمن لهُ عني كلما يريد . قال النقيب : فقلتُ : سمعاً وطاعةً . وثقل عليهِ ما بعث لهُ الخليفة فقال بعض الحجّاب : ما فعل هذا الّا بامرك فسكن . واجتمعتُ بنظام الملك وقلتُ : محمود يخدم بعشرين الف دينار للسلطان وخمسة الاف دينار لك ويدفع باللقاء الى حين عود السلطان من دمشق . وعدتُ الى حلب واخبرتُ محمودًا فقال : اماً المال فما عندي حبّة واما الخروج فلا سبيل اليهِ . ونزل السلطان على حلب يوم الاحد لليلة بقيت من جمادى الاخرة فقاتلهم فذلّوا فارسل محمود يطلب الموادعة وخرج اليهِ في الليل ومعه والدته فاخذت بيده ودفعتهُ الى السلطان وقالت : هذا ولدي قد سلّمتهُ اليك فاحكم فيهِ بما تراهُ فتلقّاه بما احبّ واكرمه . وقال : عُد الى قلعتك وترجع الينا في غد ليظهر من اكرامنا ما تستحقهُ . فرجع الى القلعة وعاد من الغد وتلقاه نظام الملك والحجّاب والخواصّ ولم يتخلّف غير السلطان ودخل على السلطان فخلع عليهِ الخلع الجليلة واعطاه الخيل بمراكب الذهب والفضّة والكوسات والاعلام وعتبه فقال محمود : والله ما كنتُ الا على نية تلقيك حتّى خُيّفت منك . فعلم السلطان من فعل ذلك فكابر . . . . .

وبينما هم على ذلك وردت رسل ملك الروم بردّ منبج وارجيش ومنازجرد اليهِ وتحمّل اليهِ الهدنة وجاءه خبر الافشين وعوده سالماً وضجر السلطان من المقام بحاب فكر راجعاً فقطع الفرات وهلك اكثر الدواب والجمال وكان عبوره شبه الهارب ولم يذهب من يلتفت الى ما ذهب من الارواح والدواب وعاد رسول الروم مستبشراً الى صاحبه فقوي ذلك عزم ملك الروم على اتباعه وحربه . واما حديث الافشين فان ابن اريسيغى هرب من السلطان ومعهُ طائفة من الناوكية يريد القسطنطينية وجاء الى دربند وعليه قملة فيها امرأة يقال لها مريم فسألها ان تمكّنهُ من العبور فلم تفعل ذلك وكان الملك لما بلغهُ خبر اريسيغي بعث ميخائيل لقتاله ظناً منهُ انهُ عدوّ فلما قرب منهُ ميخائيل ارسل اليهِ : ما جئتُ لاحاربكم وانما جئتُ ملتجئاً اليكم من السلطان . فقال : كذبتَ . فقال : لو كان هذا صحيحاً لمَا اخربتَ بلادنا ونهبت وقتلت . فحلف لهُ فلم

Marfat.com

يصدقهُ واقتتلوا فنصر اريسيفي على الروم فقتل منهم خلقاً عظيماً واسر ميخائيل وقطع عليهِ سبعين قنطاراً ذهباً . وقرب الافشين منهم فقال اريسيفي لميخائيل : القصَّة كذا وكذا وانا اطلقك ولا آخذ شيئاً وتجيروني من الافشين . وعلم سرّه فأمّنهُ وسارا جميعاً الى القسطنطينية وجاء الافشين الى خليجها فقام بهِ اياماً وراسل الملك وقال : بيننا وبينك هدنة ولما دخلتُ بلادك ما تعرَّضتُ لاحد وهؤلاء الناوكية اعداء السلطان وقد نهبوا بلادك واخربوها ويجب ان تسلّمهم الينا والّا اخربتُ بلادك ولا هدنة بيننا . فقال الملك : كلما ذكرتهُ صحيح ولكن عادتنا من لجأ الينا ان لا نسلّمهُ . فرجع الافشين فدرس الروم فلم يسلم منهُ الا حصن منيع وبلد كبير ووصل الى درب مرم ووقع الثلج فاقام حتى ارتفع وسار الى اخلاط ومعهُ من الغنائم ما لم يغنمهُ احد وكتب الى السلطان بذلك . وسار السلطان الى الوزير فجاءه خبر ملك الروم انهُ قد تجهَّز في العساكر الكثيرة وانهُ قاصد بلاد الاسلام وكان السلطان في قليل من العسكر لانهم عادوا جافلين من الشام وتلك الجفلة استهلكت اموالهم ودوابهم فطلبوا مراكزهم وبقي السلطان في اربعة الاف غلام ولم يرَ الرجوع لجمع العساكر فتكون هزيمة . فانفذ بخاتون الشقيرية مع نظام الملك والاثقال الى همذان وامره بجمع العساكر وانفاذها اليهِ وقال لوجوه عسكره الذين بقوا معهُ : انا صابر صبر المحتسبين وصائر في هذه الغزاة مصير المخاطرين فان نصرني الله فذاك ظني في الله تعالى وان تكن الاخرى فانا اعهدُ اليكم ان تسمعوا لولدي ملك شاه وتطيعوه وتقيموه مقامي . فقالوا : سمعاً وطاعةً . وبقي جريدة مع العسكر الذين ذكرنا ومع كل غلام فرس يركبه واخر يجنبه وصار قاصداً ملك الروم وارسل احد الحجّاب الذين كانوا معهُ في جماعة من الغلمان مقدّمة لهُ فصادف عند اخلاط صليباً يجيئهُ مقدّم الروم في عشرة الاف فحاربهم فنصر عليهم واسر المقدّم وكان من الرؤس واخذ الصليب

وبعث الى السلطان بذلك فاستبشر وقال : هذه امارة النصر . وارسل بالصليب الى همذان وجدع انف المقدّم ثم امر بان يُحمل الى الخليفة . ووصل ملك الروم الى منازجرد فاخذها بالامان وقصد ناحية السلطان في موضع يعرف بالرهو بين اخلاط ومنازجرد لخمس بقين من ذي القعدة فبعث اليهِ السلطان بان يرجع الى بلاده ويتمّم الصلح الذي توسّطهُ الخليفة فقال : لا ارجع حتّى افعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم وقد انفقتُ الاموال العظيمة وكيف ارجع ؟ وكان يوم الاربعاء واقام السلطان الى نهار الجمعة وجمع وقت الصلاة اصحابه وقال : الى متى نحن في نقص وهم في زيادة اريد ان اطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر فان نصرنا عليهم والّا مضينا شهداء الى الجنّة فمن احبَّ ان ينصرف فلينصرف مصاحباً فما هاهنا اليوم سلطان وانما انا واحد منكم وقد فتحنا على المسلمين ما كانوا عنهُ في غناء . فقالوا : ايها السلطان نحن عبيدك وحيثما فعلت تبعناك . وكان قد اجتمع اليهِ عشرة الاف من الاكراد وانما اعتماده بعد الله تعالى على الاربعة الاف الذين كانوا معهُ وملك الروم في مائة الف مقاتل ومائة الف نقاب ومائة الف جرجي ومائة الف صانع واربعمائة عجلة تجرّها ثماغاثة جاموس عليها نعال ومسامير والفا عجلة عليها السلاح والمجانيق وآلة الزحف وكان في عسكره خمسة الاف بطريق ومعهُ منجنيق يمدّه الف رجل ومائتا رجل ووزنُ حجرهِ عشرة قناطير وكل حلقة منهُ مائتا

من رجب للقاء الروم فاندفعت الروم بين ايدي العرب والعرب في عدَّةٍ قليلة تُناهز الف

رطل بالشامي وكان في خزانته الف الف دينـار ومائة الف ثوب ابريسم ومن السروج الذهب والمناطق والمصاغات بمثل ذلك . وكان قد اقطع البطارقة البـلاد مصر والشام وخراسان والريّ والعراق واستثنى بغداد وقال : لا تتعرَّضوا لذلك الشيخ الصالح فانهُ صديقنا (يعني الخليفة) . وكان عزمهُ يشتّي بالعراق ويصيّف بالعجم واستناب في القسطنطينية من يقوم مقامهُ وعزم على خراب بلاد الاسلام . فلمَّا كان يوم الجمعة وقت الصلاة قد شاور السلطـان اصحابه قام قائمًا ورمى القوس والنشّاب من يده وشدّ ذنب فرسه بيده واخذ الدبوس وفعل اصحابه كذلك وبغتوا الروم وصاحوا صيحة واحدة ارتجَّت لها الجبال وكبَّروا وصاروا في وسط الروم فقاتلوهم وما لحق الملك يركب فرسه وما ظنّ انهم يقدمون عليهِ فنصر الله المسلمين عليهم فانهزموا وتبعهم السلطان بقية نهار الجمعة وليلة السبت يقتل ويأسر فلم ينجُ منهم الَّا القليـل وغنموا جميع ما كان معهم ورجع السلطان الى مكانه . فدخل عليهِ الكوهراين فقال : ان احد غلماني قد اسر ملك الروم وكان هذا غلامي قد عُرض على نظام الملك فاحتقره واسقطهُ فكلَّمهُ فيهِ فقال مستهزئًا بهِ : لعلَّهُ يجيئنا بملك الروم اسيرًا . فأجرى الله تعالى اسر ملك الروم على يده . واستبعد السلطان لذلك وارسل خادمًا يقال لهُ شاذي كان قد ارسلهُ بهِ فلما رآهُ عرفهُ فرجع واخبر السلطـان فامر باتزاله في خيمة ووكل بهِ واستدعى الغلمان وسألهُ : كيف اسرتهُ . فقال : رأيتُ فارسًا وعلى رأسه صلبـان وحوله جماعة من الخدم الصقالبة فحملتُ عليهِ لاطعنهُ فقال لي واحد منهم : لا تفعل فهذا الملك . فاحسن السلطان اليهِ وخلع عليهِ وجعلهُ من خواصّه فقال : اريد بشارة غزنة . فاعطاهُ اياها . ثم ان السلطان احضر الملك واسمهُ ارمانوس وضربهُ ثلاث مقارع ورفسهُ برجلهِ ووبَّخهُ وقال : ألم ارسل اليك رسل الخليفة اطال الله بقاءه في امضاء الهدنة فابيتَ ألم ارسل اليك مع الافشين «اطلب اعدائي » فمنعتَ ألم تعذَّرتَ وقد حلفت لي . ألم ابعث اليك بالامس اسألك الرجوع فقلت « قد انفقت الاموال وجمعت العساكر الكثيرة حتى وصلت الى هاهُنا وظفرت بما طلبت فكيف ارجع ألا ان افعل ببلاد المسلمين مثل ما فعل ببلادي » وكيف رأيت اثر البغي ؟ وكان قد جعل في رجليهِ قيدين وفي عنقه غلًّا فقـال : ايها السلطان قد جمعت العساكر من سائر الاجنـاس وانفقت الاموال لاخذ بلادك ولم يكُ النصر وبلادي ووقوفي على هذه الحال بين يديك بعد هذا فدَعْني من التوبيخ والتعنيف وافعـل ما تريد . فقال لهُ السلطان : فلو كان الظفر لك ما كنت تفعل معي ؟ . قال : القبيح . فقال : آه صدق والله لو قال غير هذا لكذب هذا رجل عاقل جلد لا يجوز قتله . ثم قال لهُ . ما تظن الَّا ان افعل بك ؟ قال : احد ثلثة اقسام اما الاولى فقتلي والثاني اشهاري في بلادك التي تحدَّثتُ بقصدها واما الثالث فلا فائدة في ذكره لانك لا تفعلهُ . قال : وما هو ؟ قال : العفو عني وقبول الاموال والهدنة واصطناعي وردّي الى ملكي مملوكًا لك وبعض اسفهسلارّيتك ونائبك في الروم فان قتلك لي لا يفيدك وهم يقيمون غيري . فقال السلطان : ما نويت الَّا العفو عنك فاشتر نفسك . فقال : يقول السلطـان ما يشاء . فقال : عشرة الاف الف دينار . فقال : والله انك تستحق ملك الروم اذ وهبت لي نفسي ولكن قد انفقتُ اموال الروم واستملكتُها منذ وليتُ عليهم في تجريد العساكر والحروب وافقرت القوم . ولم يزل الخطاب يتردَّد الى ان استقرَّ الامر على الف الف وخمسمائة الف دينار وفي الهدنة على ثلثمـائة الف دينار وستين الف دينار في كل سنة وان ينفذ من عساكر الروم ما تدعو الحاجة اليهِ . وذكر اشياء

Marfat.com

فارس وقصدوا انطاكية واجتمعوا بها وعادت العرب الى حلب. وفيها ورد الخبر من

فقال : اذا منت على عجل سراحي قبل ان تنصب الروم ملكاً غيري فيفوت المقصود ولا اقدرُ على الوصول اليهم فلا يحصل شيء مما شرطتَهُ عليَّ ؟ فقال السلطان : اريد ان تُعيد انطاكية والرها ومنبج ومنازجرد فانها أُخذت من المسلمين عن قرب وتفرج عن اسارى المسلمين. فقال : اما البلاد فان وصلتُ سالماً الى بلادي انفذتُ اليها العساكر وحاصرتُها واخذتُها منهم وسلَّمتُها اليك واما القوم فلا يسمعون مني واما اسارى المسلمين فالسمع والطاعة اذا وصلتُ سرَّحتُهم وفعلتُ معهم الجميل. فامر السلطان بفكّ قيوده وغلّه ثم قال : اعطوهُ قدحاً ليسقيه. فظنَّ لهُ فاراد ان يشربهُ فمُنع وأُمر بان يخدم السلطان ويناولهُ القدح فاومأ الى تقبيل الارض وناول السلطان القدح فشربهُ وجزَّ شعره وجعل وجهه على الارض وقال : اذا خدمت الملوك فافعل كذا. وانما فعل السلطان ذلك لسبب اقتضاه وهو ان السلطان لمَّا كان بالري وعزم على غزو الروم قال لفرامرز ابن كاكويه : هوذا امضي الى قتال ملك الروم واخذه اسيراً واوقفهُ على رأسي ساقياً. فحقَّق الله قوله. واشترى جماعة من البطارقة واستوهب اخرين فلما كان من الغد احضره السلطان وقد نصب لهُ سريره ودسته الذي أُخذ منهُ فاجلسهُ عليهِ وخلع عليهِ قباءه وقلنسوية والبسهُ اياها بيده وقال : قد اصطنعتك وقنعتُ بامانتك وانا اسيّرك الى بلادك واردّك الى ملكك. فقبّل الارض. وكان لما بعث الخليفة ابن المحلبان اليه امر بكشف رأسه وشدّ وسطه وان يقبل الارض بين يديهِ فقال لهُ السلطان : ألست الفاعل بابن المحلبان رسول الخليفة كذا وكذا فقُم الان واكشف رأسك وشدّ وسطك. واومئ الى ناحية الخليفة وقبّل الارض. ففعل فقال السلطان: اذا كنتُ انا وانا اقلّ الملوك الذين في طاعته فعلتُ بك ما فعلتُ وانا في شرذمة من جندي وقد حشدت دين النصرانية فكيف لو كتب الخليفة الى ملوك الارض يأمرهم فيك بامرهم وعقد لهُ السلطان راية فيها مكتوب « لا اله الا الله محمد رسول الله » وانفذ معهُ حاجبين ومائة غلام فوصلوا بهِ الى القسطنطينية وركب معهُ وشيعهُ قدر فرسخ فاراد ان يترجَّل فمنعهُ السلطان وخفَّ عليهِ وضمهُ اليهِ وتعانقا وعاد السلطان عنهُ. حكى ملك الروم قال : العادة جارية ان الملك الخارج من القسطنطينية اذا اراد الخروج الى حرب دخل البيعة الكبرى واستشفع بصليب ذهب بها مرصَّع باليواقيت (قال) فدخلتُ البيعة لمَّا عزمت على هذه السفرة واستشفعتُ اليهِ واذا بالصليب قد زال عن موضعه الى القبلة الاسلامية فعجبتُ من ذلك وسويتُهُ الى المشرق واتيتُهُ من الغد واذا بهِ قد مال الى القبلة فامرتُ بشدّه بالسلاسل ثم دخلت اليهِ في اليوم الثالث واذا بهِ قد مال الى القبلة فتطيَّرت وعلمتُ اني مغلوبٌ ثم غلبني الهوى والطمع فسرت الى بلاد الاسلام فكان مني ما كان

وقال ابو يعلي بن القلانسي ان عسكر صاحب الروم كان ستمائة الف من الروم وسائر الطوائف والذي ذكر من انهُ كان مع السلطان اربعة الاف مملوك هو الاصحّ لما ذكرنا من ان العساكر تفرَّقت عنهُ

ثم كتب السلطان الى الخليفة بشرح ما جرى وبعث بعمامة ملك الروم والصليب وما اخذ من الروم وذلك في ثالث عشر من ذي الحجة فقُرئت الكتب في بيت النوبة وسرَّ الخليفة والمسلمون وزُينت بغداد تزييناً لم تُزيَّن مثلهُ وعملت القباب وكان فتحاً عظيماً لم يكن في الاسلام مثله. وعاد السلطان الى الريّ وهمذان

بغداد في شهر ربيع الاول منها بان الامام الحافظ ابا بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب رحمهُ الله توفّي يوم الاثنين السابع من ذي الحجة منها وحُمل الى الجانب الغربي من بغداد وصُلّي عليهِ ودُفن بالقرب من قبة احمد بن حنبل رحمه الله (١

واما ملك الروم ارمانوس فقال عنهُ السبط ايضاً : انهُ لما جرى عليهِ ما جرى سبق خبره الى القسطنطينية فوثب ميخائيل على المملكة وقبض على والدته زوجة ارمانوس ولها ابن و بنت فحلق رأسها والبسها الصوف وادخلها الدير . ووصل ارمانوس الى دوقية وحصل في قلعتها وعرف الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد في الملك وراسل ميخائيل يقول : قد فعلت في جمع العساكر وانفاق الاموال واعزاز دين النصرانية ما فعلت ولم آلُ جهداً ولا غلبت من قلّة ولا من ضعف الرأي وقد كان من قضاء الله تعالى وقدره في نصر الاسلام واهله ما لا قدرة لاحد فيهِ ولا في ردّه ودفعه ولمّا حصلت في هذا الرجل تكرّم الكرم الذي لم اظنّهُ وقرّر عليَّ مال الهدنة ومَنَّ عليَّ واطلقني وصمدت الى الحصن زاهداً في الملك ولبست الصوف وحمدت الله اذ حصلت في المكان الذي انت احقّ بهِ من غيرك ويجب عليَّ ان اعرّفك حال هذا السلطان وما فيهِ من الفضل والاحسان فان قبلت قولي كنتُ الواسطة بينكما في حفظ دين النصرانية وان خالفت فانت أعلم وتؤدي المال الذي قرّر عليَّ وتخلص زقبتي من امانة فيها . فاجابه باستصواب رأيه واعتذر بان الحروب انفذت الاموال وهو يحمل ما قرّر عليهِ مال فكاكه مع مال الهدنة اولًا اولًا الى ان يوفيه . فانفذ ارمانوس الى السلطان بذلك وانفذ اموالًا كانت في حصن دوقيّة نحو مائتي الف دينار من جملتها طشت وابريق وطبق من ذهب مرصّع بالجواهر تبلغ قيمتهُ سبعين الف دينار وحلف بالانجيل انهُ ما امكنهُ حمل اكثر من هذا ولا امتدّت الى غيره واعطى الحاجبين الذين سارا في خدمته والغلمان ما جازاهم بهِ واعتذر اليهِ ووصل ذلك الى السلطان واجابهُ بما سأل ورضي بتأخير المال مع مال الهدنة . ثم بعث ميخائيل بعد انفصال الغلمان عن ارمانوس بقولهِ : ان كنت قد تزهّدت حقيقةً فيجب ان تنتقل الى بعض البيع وتخلّي عن الحصن لارتّب فيهِ من يحفظهُ . فتنكّر ارمانوس وقال : كانّهُ ما قنع لي بنزول الملك وحصولي في الحصن حتى ينافسني فيهِ . فرمي بالصوف واقترض اموالًا من التجار الذين كانوا في الحصن وجمع اليهِ عسكر من الارمن وقصد سنخاريب ملك الارمن فبعث اليهِ يقول : ان كنت جئتني ضيفاً خدمتُك اما محاربة ميخائيل فلا قدرة لي عليها . فقال : ما جئتك الّا ضيفاً . فخرج اليهِ وتلقّاهُ وقبض عليهِ واخذ امواله وكان ثمانين قنطاراً وتقدّم بسمله وحبسه . وكان مع ارمانوس الوفٌ من الروم والارمن فاستخدمهم سنخاريب وسار الى قونية والبلاد فملكها واستولى على معظم الروم وسار الى ملطية وصادر اهلها واخذ اموالهم وراسل السلطان فوعده ان ينجده بنفسه

١) قال سبط ابن الجوزي في ترجمة الخطيب في السنة ٤٦٣ . قال محمد بن طاهر المقدسي : لمّا هرب الخطيب من بغداد عند دخول البساسيري اليها قدم دمشق فصحبه حدثٌ صبيح الوجه فكان يختلف اليهِ فتكلّم الناس فيهِ واكثروا وبلغ والي المدينة وكان من قبل المصريين شيعياً فامر صاحب الشرط بالقبض على الخطيب وقتلهِ وكان صاحب الشرطة سنياً فهجم عليهِ فرأى الصبي عنده وهما في خلوة فقال الخطيب : قد امر الوالي بقتالك وقد رحمتُك وما لي فيك حيلة الّا انني اذا

Marfat.com

سنة خمس وستين واربعمائة

فيها هرب الامير ابو الجيوش علي بن المقلد بن منقذ من حلب خوفاً من صاحبها الامير محمود بن صالح حين عرف عزمه على القبض عليهِ وقصد المعرَّة ثم قصد كفرطاب. وفيها ورد نعي الامير عطية عمّ الامير محمود بن صالح من القسطنطينية في ذي الحجة. وفيها ورد سأرُ الامير محمود بن صالح من حلب فيمن جمعه وحشده من عسكره الى الرحبة. وفي هذه السنة ورد الاخبار باستشهاد السلطان العادل البارسلان ابن داود (١ اخي السلطان طغرلبك ملك الترك على نهر جيحون عند حصن هناك بيد من اغتاله من الباطنية المتزيين بطريقة الزهّاد المتصوّفة على القضية المشهورة (61) والسجية المذكورة

سنة ست وستين واربعمائة

فيها فتح الامير محمود بن صالح قلعة السنّ في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر. وفيها وردت الاخبار من بغداد بزيادة مَدّ دجلة حتى غرق بها عدّة اماكن وهُدم عدّة مساكن. وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بانتصاب السلطان العادل ملك شاه ابي الفتح محمد بن السلطان البارسلان في المملكة بعد ابيه وجلوسه على سرير الملك بعد اخذ البيعة لهُ على امراء الاجناد وكافة ولاة الاعمال والبلاد فاستقامت لهُ الامور وانتظمت بهِ الاحوال على المراد والمأثور واستمر التدبير على نهج الصلاح وسنن النجاح وسلك في العدل والانصاف مسلك ابيه العادل عن طريقة الجور والاعتساف ورتب النواب في الاعمال والثقات في حفظ الاموال. وفيها توفي ابو علي الحسين بن سعيد بن محمد بن سعيد العطار بدمشق. في يوم الجمعة من صفر وكان من اعيان شهودها وحدّث عن جماعة

خرجتُ بك امرُّ على دار الشريف ابن ابي الجن العلوي فأدخل داره فاني لا اقدر على الدخول خلفك. وخرج بهِ مُرّ على دار الشريف فوثب الخطيب فصار في الدهليز وعلم الوالي فارسل الى الشريف يطلبهُ منهُ فقال الشريف : قد علمت اعتقادي فيهِ وفي امثاله وليس هو من اهل مذهبي وقد استجارني وما قَتْله مصلحة فان لهُ بالعراق صيتاً وذكرًا فان قتلتهُ قتلوا من اصحابنا عدّة واخربوا مشاهدنا. (قال) فخرج من البلد فاخرجوهُ فمضى الى صور

١) وفي الاصل: عبد د

Marfat.com

سنة سبع وستين واربعمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة القائم بامر الله ابي جعفر عبد الله بن الامام القادر بالله في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان وامه ام ولدٍ تسمَّى قطر الندى روميَّة وادركت خلافته وماتت في رجب سنة ٤٥٢ وكان مولده في الساعة الثالثة من نهار يوم الخميس وقيل الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٣٩١ وتولَّى الامر بعد ابيه وعمره احدى وثلثون سنة في يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٤٢٢ (ومات) وعمره ست وسبعون سنة وكانت ايامه اربعًا واربعين سنة وتسعة اشهر واياماً وكان جميلًا مليح الوجه ابيض اللون مُشربًا خمرةَ حسن الجسم ابيض الرأس واللحية ورعًا متديّنًا زاهدًا عالمًا وكان رحمه الله قد يلي من ارسلان الفساسيري بما يلي الى ان اهلكه الله واراحه بالعزائم السلطانية حسب ما تقدَّم بهِ شرح الحال. وروي عنه انهُ لمَّا اعتقل في الحديثة كتب رُقعةً وانفذها الى مكة حرسها الله تعالى مستعديًا (61) الى الله تعالى على الفساسيري وعلقت على الكعبة ولم تُحطَّ عنها الى ان ورد الخبر بخروجه من الاعتقال من الحديثة وعوده الى داره وهلاك عدوه الفساسيري وعنونها « الى الله العظيم من المسكين عبده ». ونسخة الاستغاثة:

« بسم الله الرحمن الرحيم اللهمَّ انك العالم بالسرائر والمطَّلع على مكنون الضمائر اللهم انك غني بعلمك واطلاعك على خلقك عن اعلامي هذا عبد من عبيدك قد كفر نعمتك وما شكرها والغى العواقب وما ذكرها اطغاهُ حلمك وتجبَّر باناتك حتى تعدَّى علينا بغيًا واساء الينا عُتوًّا وعدوًا اللهمَّ قِل الناصر واعتزَّ الظالم فانت المطَّلع العالم والمنصف الحاكم بك نعتزُّ عليهِ واليك نهرب من يديهِ فقد تعزَّز علينا بالمخلوقين ونحن نعتزُّ بك يا رب العالمين اللهمَّ انَّا حاكمناهُ اليك وتوكلنا في انصافنا منهُ عليك ورفعنا ظلامتنا هذه الى حرمك ووثقنا في كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين واظهر اللهمَّ قدرتك فيهِ وارنا ما نرتجيه فقد اخذته العزَّة بالاثم اللهمَّ فاسلبه عزَّه وملكنا بقدرتك ناصيتهُ يا ارحم الراحمين وصلِّ يا رب على محمد وسلم وكرم »

وتولَّى بعده الامر ولد ولده الامام ابو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين (بن) القائم بامر الله امير المؤمنين وكان ذخيرة الدين ولي العهد فتوفي في حياة ابيهِ القائم بامر الله فعقد الامر لابنه ابي القاسم عبد الله ولقبه المقتدي بالله وأُخذت لهُ البيعة في شعبان سنة ٤٧٧ وعمره تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر واياماً. وفي هذه السنة وردت

Marfat.com

الاخبار من ناحية حاب بوفاة صاحبها الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح بحلب في جمادى الاولى وقام في منصبه ولده الامير نصر بن محمود وهنّأَهُ بعد التعزية الامير ابو الفتيان ابن حيوس بالقصيدة الالفية المشهورة التي يقول فيها :

وقد جادَ محمودٌ بالفٍ تصرَّمت وانّي سارجو ان سيُخلفها نصرُ

فاطلق لهُ الف دينار وقال له: لو كنت قلتَ «سيضعفها نصرُ» لَفَعَلْتُ

سنة ثمان وستين واربعمائة وفيها :

وفيها ولاية الامير زين الدولة لدمشق

(62) لمَّا هرب مُعلّي بن حيدرة بن منزو (١ لعنه الله من ولاية دمشق على القضية ذكرتُها اجتمعت المصامدة الى الامير زين الدولة انتصار بن يحيي زمامهم والمقدّم واتفق رأيهم على تقديمه في ولاية دمشق وتقوية نفسه على الاستيلاء عليها ودفع من ينازعه فيها ووقع ذلك من اكثر الناس اجمل موقع واحسن موضع وارتضوا بهِ ومالوا اليه لسداد طريقته وحميد سيرته وكونه احسن فعلًا ممَّن تقدَّمه واجمل قصدًا ممن كان قبله فاستقر الامر على هذه القضية والسجية المرضية في يوم الاحد مستهلّ المحرَّم من السنة. وفي هذه السنة اشتدّ غلاء الاسعار في دمشق وعُدمت الاقوات ونفدت الغلّات منها واضطر الناس الى أكل الميتان واكل بعضهم بعضًا ووقع الخلف بين المصامدة واحداث البلد وعرف الملك اتسز بن اوق مقدّم الاتراك وما آلت اليهِ الحال وكان متوقّعًا لمثل ذلك فنزل عليها وبالغ في المضايقة لها الى ان اقتضت الصورة وقادت الضرورة الى تسليمها اليهِ بالامان وتوثّق منه بوكيد الايمان. فلما دخلها في ذي القعدة سنة ٤٦٨ وحصل بها نزل باهلها منه قوارع البلاء بعد ما عانوه من ابن منزو لعنه الله واشتداد البلاء من انزال دورهم واخراجهم منها واغتصاب املاكهم والقبض لها واستعمال سوء السيرة وخبث النية والسريرة وتواصلت الدعوات عليهِ من سائر الناس وعلى اصحابه واتباعه في جميع الاوقات واعقاب الصلوات والرغبة الى الله تعالى ذكره باهلاكه وتعفية اثاره (٢ . وفي هذه السنة وردت الاخبار من حلب بان

---

١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام: انهُ كان ظلوماً غشوماً للجند والرعيّة فثاروا عليهِ فهرب الى بانياس فأُخذ الى مصر وحُبس الى ان مات

٢) قال الفارقي في تاريخه: ان عادت الدعوة في دمشق لبني العباس وانها خرجت من حكم

Marfat.com

الامير نصر بن محمود بن صالح صاحبها قُتل بها في يوم الاحد عيد الفطر قتله قوم من اتراك الحاضر وذاك انهُ قبض على مقدّمهم المعروف بالامير احمد شاه وخرج اليهم لينهبهم فرماه احدهم بسهم فقتله وقام في منصبه من بعده اخوه سابق بن محمود بن صالح. وفي هذه السنة خُطب للامام المقتدي بالله ابي القسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله على منبر دمشق وقطعت الخطبة المستنصرية (٧62) ونظر الملك اتسز بن اوق في امور دمشق واحوالها بما يعود بصلاح اعمالها ووفور استغلالها (١ واطلق لفلّاحي المرج والغوطة الغلّات للزراعات والزمهم الاشتغال بالعمارات والفلاحات فصلحت الاحوال وتواصلت من سائر الجهات الغلّات ورخصت الاسعار وتضاعف الجذل بذلك والاستبشار وطابت نفوس الرعية وايقنوا بزوال البؤس والبلية. وبرز اتسز في عسكره الى نواحي الساحل عازماً على قصد مصر وطامعاً في تملّكها

سنة تسع وستين واربعمائة

فيها جمع الملك اتسز واحتشد وبرز من دمشق ونهض في جمع عظيم الى ناحية الساحل ثم منها الى ناحية مصر طامعاً في ملكتها ومجتهداً في الاستيلاء عليها والدعاء عليهِ من اهل دمشق متواصل واللعن لهُ متتابع متّصل فلمّا قرب من مصر واظلّت خيله عليها برز اليهِ امير الجيوش بدر في من حشده من العساكر ومن انضاف اليها من الطائف والعرب (وكان قد وصل اليها واستولى على الوزارة (٢) وعرف ما عزم عليهِ

مصر الى الان (يعني سنة ٥٧٢) وقال الذهبي : عُوّض انتصار ببانياس ويافا. وان اتسز ابطل الاذان بحيَّ على خير العمل

١) قال سبط ابن الجوزي انهُ نظر في عمارة البلد لا في عمارة دمشق

٢) قال سبط ابن الجوزي انهُ في سنة ٤٦٧ سار من عكا الى مصر باستدعاء المستنصر بعد قتل ابن حمدان وتغلّب الدكز التركي ودخل مصر بعد ان اتّفق مع الدكز ثم قبض عليهِ وقتلهُ وانفرد بالامر. واماً اتسز فقال السبط عنهُ ايضاً ان في رجب سنة ٤٦٩ عاد اتسز الخوارزمي الى دمشق منهزماً من القاهرة في خمسة عشر فارس وقد نُهبت امواله وقُتلت رجاله وكان لما تسلّم دمشق تصوّر في عزمه قصد مصر فجمع من التركمان والاكراد والعرب عشرين الفاً ووصل الى الريف واقام نيفاً وخمسين يوماً يجمع الاموال ويسبي الحريم ويذبح الاطفال وهو يراسل بدر الجمالي ويطلب المال وقد انزعج الناس. وكان عسكر مصر بالصعيد يحارب العبيد فضمن لهُ مائة وخمسين الف دينار واستدعى من كان بالصعيد من العساكر والسودان. وكان مع اتسز بدر بن حازم الكلبي في الفي فارس فاستمالهُ بدر فانتقل الى القاهرة وورد القاهرة ثالثة الاف رجل في المراكب لنية الحج فقال

اتسز فاستعدّ للقائهِ وتأهب لدفع قصده واعتدائه وجدّ في الايقاع بهِ وحصلت العرب

لهم بدر: دفع هذا العدوّ افضل من الحج . واعطاهم المال والسلاح وقالوا لوالد شكلي التركماني الهارب من اتسز: كاتب التركمان . فكانبهم فافسد منهم نحو من سبعمائة غلام وكانوا كارهين لاتسز من شحّه وعسفه واتّفقوا ان الحرب متى قامت استأمنوا الى بدر. وصار اتسز الى القاهرة في اواخر جمادى الاخرة فارسل بدر الفي فارس يصدمونهُ حتى يستأمن من افسدهم ابو شكلي فلم يستأمن احد فكسرهم اتسز فرجعوا مفلولين الى القاهرة . وكان التجأ اليها اهل الضياع والصقاع ومصر والتجار فوقفوا على باب القصر باكين صارخين فخرج من المستنصر خادم فقال: يقول لكم امير المؤمنين انما انا واحد منكم وعوض ما تتضرّعون على بابي وتبكون فارجعوا الى الله تعالى وتضرّعوا لهُ ولازموا المساجد والجوامع وصوموا وصلّوا وازيلوا الخمور والمنكرات فلعل الله يرحمني واياكم ويكشف عنّا ما قد نزل بنا. فعاد الناس الى المساجد والجوامع وخرج النساء كاشفات الوجوه منتشرات الشعور يبكين و يستغثنَ والرجال يقرأون القرآن . وكان بدر الجمالي قد هيّأ المراكب والسفن ان رأى غلبة نزل الى الاسكندرية وكذا صاحب مصر فضجّ الناس وقصدوا باب القصر وقالوا: تمضي انت وبدر في السفن ونهلك نحن. فخرج الجواب: اني معكم مقيمٌ فان مضى امير الجيوش الى حيث يطلب السلامة فهاهنا من السفن يعمكم مع انني واثقٌ من الله بالنصر وعندنا في الكتب السالفة ان هذه الارض لا تؤتى من الشرق ومَن قصدها هلك . فلمّا كان وقت السحر خرج بدر الى ظاهر القاهرة والعسكر معهُ واقبل اتسز في جحافله والدبادب والبوقات بين يديهِ فرأى بدر ما لم يظن لهُ بهِ طاقة . وكان بدر قد اقام بدر بن حازم من وراء اتسز كميناً في ألفي فارس فخرج من ورائهم فاخذ البغال المحملة وضربت النار في الخيم والخركاوات واستأمن الى والد شكلي السبعمائة غلام كانوا في الميسرة وحمل بدر على الميمنة فهزمها وحمل السودان على القلب وفيهِ اتسز فانهزم وقُتل من كان حوله وتبعهم السودان والعرب اسراً وقتلًا الى الرمل وغنموا منهم غنائم لم يغنمها احد قبل ذلك وكان فيما اخذ ثلثة الاف حصان وعشرة الاف صبي وجارية واماً من الاموال والثياب فما لا يحصى واقاموا مدّة شهر رجب يحوزون الاموال والخيل والامتعة والاسارى . وجاء العسكر واهل البلاد الى باب القصر فضجّوا بالادعية فخرج اليهم جواب المستنصر: قد علمتم ما اشرف عليكم من الامر العظيم والخطب الجسيم الذي لم يخطر في نفوسنا القدرة عليهِ وردّهُ حتى كشفهُ الله تعالى وما يجب ان يكون في مقابلته الّا الشكر لله تعالى على نعمتهِ ومتى وُجد انسان على فاحشة كان دمه وماله في مقابلة ذلك . ثم وجد بعد ذلك ستة سكارى فأُخذوا وخنقوا وزال ما كان بمصر من الفساد ولازموا الصلوات وقراءة القرآن . ومضى اتسز في نفر يسير فلمّا وصل غزّة ثار اهلها بهِ وقتلوا جماعة ممّن كان معهُ فهرب الى الرملة فخرج اليهِ اهلها فقاتلوهُ وقتلوا بعض من كان معهُ فهرب الى دمشق في بضع عشرة نفساً فخرج اليهِ ولده ومسمار احد امراء الكابيين وكان قد استخلفهما بدمشق في مائتي فارس من العرب وكان وصوله في عاشر رجب فنزل بظاهرها في مضارب ضربها لهُ مسمار وخرج اليهِ اهل البلد فخدموه وهنّأوه بالسلامة وشكوهُ وشكرهم واطلق لهم خراج تلك السنة واحسن اليهم ووعدهم بالجميل فقام واحد منهم من الاعيان فقال: ايها الملك العادل (وبهِ كان يخاطَب ويُخطَب لهُ) قد حلفت لنا وحلفنا لك وتوثّقت منّا وأنا والله اصدقك

Marfat.com

واكثر العساكر من ورائه وصدقوا الحملة عليهِ فكسروهُ وهزموهُ ووضعوا السيوف في عسكره قتلًا واسرًا ونهبًا وافلت هزيمًا بنفسه في نفر يسير من اصحابه ووصل الى الرملة وقد قُتل اخوه وقُطعت يد اخيه الاخر ووصل بعد الفلّ الى دمشق فسُرَّت نفوس الناس

وانصحك . قال : قُل . قال : قد عرفت انهُ لم يبقَ في هذا البلد عشر العشر من الجوع والفاقة والفقر والضعف ولم يبقَ لنا قوَّة ومتى غُلقت ابواب هذه البلد من عدوّ قصده ورمتَ منا منعة او حفظة فان كنت مقيمًا بيننا فنحن بين يديك مجتهدون ولك ناصحون وان بعدت عنَّا قلا طاقة لنا بالقتال مع الفقر والضعف فلا نجعل للعدوّ سببًا لهلاكنا ومواخذتنا . فقال : صدقت ونصحت وما ابعد عنكم ولا اخليكم من عسكر يكون عندكم . ثم قام بدمشق وجاءه التركمان من الروم ولم يستخدم غيرهم وعصى عليهِ الشام واعادوا خطبة صاحب مصر في جميع الشام وقام بذلك المصامدة والسودان . وكان اتسز واصحابهُ قد تركوا اموالهم بالقدس فوثب القاضي والشهود ومن بالقدس على اموالهم ونسائهم فنهبوها وقسموا التركيات واستعبدوا الاحرار من الاولاد واسترقّوهم فخرج من دمشق فيمن ضوى اليهِ من التركمان ووصل الى قريب القدس وراسلهم وبذل لهم الامان فاجابوه بالقبيح وتوعّدوهُ بالقتال فجاء بنفسه الى تحت السور وخاطبهم فسبّوه فقاتلهم يومًا وليلة وكان ماله وحرمه في برج داود ورام السودان والمصامدة الوصول اليهم فلم يقدروا وكان في البرج رتق الى ظاهر البلد فخرج اهله منهُ اليهِ ودلّوا عليهِ فدخل منهُ ومعهُ جماعة من العسكر وخرجوا من المحراب وفتحوا الباب ودخلوا العسكر فقتلوا ثلاثة الاف انسان واحتمى قوم بالصخرة والجامع . فقرَّر عليهم الاموال حيث لم يقتلهم لاجل المكان واخذ من الاموال شيئًا لا يبلغهُ الحصر بحيث بيعت الفضة بدمشق كل خمسين درهمًا بدينار مما كان يساوي ثلثة عشر درهمًا بدينار . وقتل القاضي والشهود صبرًا بين يديهِ وقرَّر امور البلد وسار الى الرملة فلم يرَ فيها من اهلها احدًا فجاء الى غزَّة وقتل كلَّ من فيها فلم يدع بها عينًا تطرف وجاء الى العريش فاقام فيهِ وبعث سريَّة فنهبت الريف وعادت ثم مضى الى يافا فحصرها وكان بها رزين الدولة فهرب هو ومن كان فيها الى صور فهدم اتسز سورها . وجاء كتابه الى بغداد بانهُ على نيَّة العود الى مصر وانهُ يجمع العساكر ثم عاد الى دمشق ولم يبق بها من اهلها سوى ثلثة الاف انسان بعد خمسمائة الف افناهم الفقر والغلاء والجلاء وكان بها مائتان واربعون خبَّازًا فصار بها خبَّازان والاسواق خالية والدار التي كانت تساوي ثلثة الاف دينار ينادَى عليها عشرة دنانير فلا يشتريها احد والدكان الذي كان يساوي الف دينار ما يُشترى بدينار . وكان الضعفاء يأتون للدار الجايلة ذات الاثمان الثقيلة فيضربون فيها النار فتحرق ويجعلون اخشابها فحمًا يصطلون بهِ وأكلت الكلاب والسنانير وكان الناس يقفون في الازقَّة الضيّقة فيأخذون المجتازين فيذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم . وكان لامرأة داران قد أُعطيت قديمًا في كل دار ثلثمائة دينار او اربعمائة ولما ارتفعت الشدَّة عن الناس ظهر الفأر فاحتاجت الى سنور فباعت احدى الدارين باربعة عشر قيراطًا واشترت بها سنورًا

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : قال هبة الله بن الاكفاني : كان كسرة اتسز بن اوق بمصر ثم رجع وجمع وطلع الى القدس وقتل فيها ذلك الخلق العظيم منهم حمزة بن علي العين زربي الشاعر

بعصابه وتحكُم السيوف في اتباعه واصحابه فاملوا مع هذه الحادثة سرعة هلاكه وذهابه. وفي هذه السنة توفّي ابو الحسن احمد بن عبد الواحد بن محمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان بن ابي الحديد السلمي رحمه الله

سنة سبعين واربعمائة

فيها وردت الاخبار بوصول السلطان تاج الدولة ابي سعيد تتش بن السلطان العادل البارسلان اخي السلطان ملك شاه ابي الفتح الى الشام واجتماع العرب من بني كلاب اليهِ ووصول شرف الدولة مسلم بن قُرَيش اليه من عند اخيه السلطان العادل ملك شاه لمعونته على افتتاح الشام بامره لهُ في ذلك. وفيها توفّي ابو نصر الحسين بن محمد (63[1]) بن احمد بن طلّاب الخطيب رحمه الله. وفي هذه السنة نزل عسكر مصر على دمشق مع نصر الدولة الجيوشي واقام عليها مدّةً يسيرةً ولم يتم لهُ فيها مراد فرحل عنها عائدًا الى مصر. وفيها نزل تاج الدولة السلطان على حلب ومعه وثاب وشبيب ابنا محمود بن صالح ومبارك بن شبل ورحل عنها في ذي القعدة ثم نزل عليها ثانيةً ولم يتمّ لهُ فيها مرادٌ فرحل عنها

سنة احدى وسبعين واربعمائة

في هذه السنة خرج من مصر عسكرٌ كبير مع نصر الدولة الجيوشي ونزل على دمشق محاصرًا لها ومضايقًا عليها واستولى على اعمالها وأعمال فلسطين واقام عليها مدّة مضايقًا لها وطامعًا في تملّكها واضرّ على منازلتها اضرارًا اضطر اتسز صاحبها الى مراسلة تاج الدولة يستنجدهُ ويستصرخ بهِ ويعدهُ بتسليم دمشق اليهِ ويكون في الخدمة بين يديه فتوجّه نحوه في عسكره فلما عرف نصر الدولة الخبر وصحّ عنده قربه منهُ رحل عنها مجفلًا وقصد ناحية الساحل وكان ثغرا صور وطرابلس في ايدي قضاتهما قد تغلّبا عليهما ولا طاعة عندهما لامير الجيوش بل يصانعان الاتراك بالهدايا والملاطفات ووصل السلطان تاج الدولة الى عذراء في عسكره لانجاد دمشق وخرج اتسز اليهِ وخدمه وبذل لهُ الطاعة والمناصحة وسلّم البلد اليهِ فدخلها واقام بها مُدَيدةً ثم حدّثته نفسه بالغدر باتسز ولاحت لهُ منهُ امارات استوحش بها منهُ متسهله (كذا) فقبض عليه في شهر ربيع الاول منها وقتل اخاهُ اولًا ثم امر بخنقه فخُنق بوتر في المكان المعتقل فيهِ وملك تاج الدولة دمشق واستقام لهُ الامر فيها واحسن السيرة في اهلها وفعل بالضدّ من فعل اتسز فيها وملك اعمال فلسطين. وفي هذه السنة قُتل احمد شاه مقدّم الاتراك في الشام.

وفيها برز تاج الدولة من دمشق وقصد حلب في عسكره ونزل عليها واقام عليها اياماً ورحل عنها في شهر ربيع الاول وعبر الفرات مشرقًا ثم عاد الى الشام بعد ان وصل الى ديار بكر في ذي الحجة وملك حصن بزاعة والبيرة واحرق ربض عزاز ورحل عنها عائدًا الى دمشق

سنة اثنتين وسبعين واربعمائة

(63v) فيها تسلّم شرف الدولة مسلم بن قريش حلب. وفيها رخصت الاسعار في الشام باسره. وفيها هلكت فرقة من الاتراك ببلاد الروم كانوا غزاة فلم يفلت منهم احد

سنة اربع وسبعين واربعمائة

فيها ملك الامير ابو الحسن علي بن المقلد بن منقذ حصن شيزر في يوم السبت السابع والعشرين من رجب من الاسقف الذي كان فيهِ بمالٍ بذله لهُ وارغبه فيهِ الى ان حصل في يده وشرع في عمارته وتحصينه والممانعة عنه الى ان تمكّنت حاله فيهِ وقويت نفسه في حمايته والمراعاة دونه (١

---

١) وقال سبط ابن الجوزي: قال محمد بن الصابي: وقفت على كتاب بخطه (يعني الامير) منهُ: كتابي هذا من حصن شيزر وقد رزقني الله تعالى من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأتّ لمخلوق ومن دون هذا الحصن بيض الانوق ومن وقف على حقيقة الحال علم اني هاروت. . . انني افرق بين المرء وزوجتهِ واستنزل القمر من محلّه واجمع بين الذئب والغنم . اني نظرت الى هذا الحصن ورأيت امرًا يذهل الالباب ويطيش العقول يشبع الف رجل ليس عليهِ حصار ولا فيهِ حيلة لمحتال فعمدت الى تلّ منهُ قريب يعرف بتل الحسن فعمرتُهُ حصنًا وجعلتُ فيهِ عشيرتي واهلي وكان بين التل وشيزر حصن يعرف بالخراص فوثبتُ عليهِ واخذتُهُ بالسيف وحين ملكتُهُ احسنتُ الى اهله ولم اكلّفهم الى ما يعجزون عنهُ وخلطتُ خنازيرهم بغنمي ونواقيسهم باصوات المؤذنين عندي وصرنا مثل الاهل مختلطين. فحين رأى اهل شيزر فعلي مع الروم آنسوا بي وصاروا يجيئوني من واحد واثنين الى ان حصل عندي نحو نصفهم فاجريتُ عليهم الجرايات ومزجتهم باهلي وحريمهم بحريمي واولادهم مع اولادي واي من قصد حصنهم اعنتُهم عليهِ. وحصرهم شرف الدولة مسلم بن قريش فاخذ منهم عشرين رجلًا فقتلهم فدسستُ اليهم عشرين عوضهم ولما انصرف عنهم جاءوا وقالوا: نسلّم اليك الحصن. فقلت: لا ما لهذا الموضع خيرًا منكم. وجرت بينهم وبين واليهم نبوة فنفروا منهُ وجاؤا اليّ وقالوا: لا بد اليكم. قسلّموه ونزلوا منهُ وحصلتُ فيهِ ومعي سبعمائة رجل من بني عمّي ورجالي وحصلوا في الربض ولم يؤخذ لواحد منهم درهم فردٌ واعطيتُهم مالًا لهُ قدر وخلعتُ على مقدّميهم واعطيتهم واجباتهم بستة اشهر وقمت باعيادهم ونواقيسهم وصلبانهم وخنازيرهم. وسمع بذلك اهل برزية وعين تاب وحصون الروم فجاءتني رسلهم ورغب كلهم في التسليم اليّ.

Marfat.com

سنة خمس وسبعين واربعمائة

فيها توجه السلطان تاج الدولة الى ناحية الشام من دمشق ومعه في خدمته الامير وثاب بن محمود بن صالح ومنصور بن كامل وقصد ناحية الروم واقام هناك مدةً واتصل بهِ خبر شرف الدولة مسلم بن قريش وما هو عليه من الجمع والاحتشاد والتأهب والاستعداد واجتماع العرب اليهِ من بني نمير وعقيل والاكراد والمولدة وبني شيبان للنزول على دمشق والمضايقة لها والطمع في تملُّكها فعاد تاج الدولة منكفئاً الى دمشق لمَّا عرف هذا العزم ووصل اليها في اوائل المحرّم سنة ٤٧٦ . وورد الخبر بوصول شرف الدولة في حشده الى بالس ايضاً في المحرم ووصله جماعة من بني كلاب ونهض بالعسكر مسرعاً في السير الى ان نزل على دمشق ووصل اليهِ جماعةٌ من عرب قيس واليمن وقاتل اهل دمشق في بعض الايام وخرج اليهِ عسكر تاج الدولة من دمشق وحمل على عسكره حملةً صادقةً فانكشف وتضعضع عسكره وعاد كل فريق الى مكانه وعاد عليهم بحملةٍ اخرى وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة مكانه واشرف على الاسر وتراجع اصحابه. وكان شرف الدولة قد اعتمد على معونة عسكر المصريين على دمشق ومعاضدته

فبينما انا على ذلك الحال اذ شنَّتْ عليَّ الغاراتِ وجيَّشت نحوي الجيوش من ناحية مسلم بن قريش غيظاً منهُ لِمَ تسلَّمت حصن شيزر بعد ان حلف لي قبل ذلك انني اذا اخذت حصن شيزر انهُ لا يقود اليَّ فرساً ولا يبعث جيشاً وبالله اقسم لئن لم ينتهِ عني لَأُعيدنه الى الروم ولا اسلّمهُ اليهِ ولا الى غيره ابدًا

وقال ايضاً في ترجمته انهُ مات بشيزر سنة ٤٧٩ وقيل في سنة ٤٧٥ وذكره ابن عساكر وقال: قال الامير ابو عبد الله محمد بن الامير ابي سلامة مرشد بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ: كان جدّي الملك ابو الحسن علي بن المقلد ممَّن يُنسب الى عمل الشعر وكان من ابلغ اهل الشام في معرفة اهل اللغة والنحو وكان بينهُ وبين ابن عمَّار صاحب طرابلس مودَّة وكيدة ومكاتبات وسببهُ انهُ كان لهُ مملوك يسمى رسلان وكان زعيم عسكره فبلغهُ عنهُ ما يكره فقال لهُ: اذهب عني وانت آمن على نفسك. فقصد ابن عمَّار الى طرابلس وسألهُ ان يسأل جدّي في ماله وحرمه فسألهُ فامر باطلاقهم وكان قد اقتنى مالًا كثيرًا فلما خرج الرسول بالمال والحريم لحقهُ جدي فظنَّ انهُ قد بدا لهُ فقال: غدرت بعبدك ورغبت في مالهِ. فقال لهُ: والله ولكن لكل امر حقيقة حطُّوا عن الجمال والبغال احمالها. فحطّوا فقال: ابصروا ما عليها. فنظروا فاذا في قدور النحاس خمسة وعشرون الف دينار ومن المتاع ما يساوي مثلها وزيادةً فقال جدي للرسول: أَبلغ ابن عمَّار سلامي وعرّفهُ بما ترى لئلَّا يقول رسلان انني اخذت ماله. ثم ان جدي زار ابن عمار واقام عنده مدّة. وكان بينهُ وبين صالح بن محمود صاحب حلب مودَّة وكانا اخوين من الرضاع

Marfat.com

بالعسكر المصري على اخذها فوقع التقاتل عليهِ بالانجاد والتقاعُد عنه بالاسعـاد اشفاقًا من ميل الناس اليهِ وعظِم شأنه بتواصلهم ووفودهم عليه فلمَّا وقع يأسهُ ممَّا أمله ورجاه وخاف ما تمنَّاه وورد عليهِ من اعماله ما شغل خاطره في تدبيره واعماله وتواترت الاخبار بما ازعجه (64r) وأقلقه رأى انَّ رحيله عن دمشق الى بلاده وعوده الى ولايته اتسديد احوالها واصلاح اختلالها اصوَب من مقامه على دمشق وأوفق من شأنه فاوهم انهُ سائرٌ مُقتبلًا لامرٍ مهمّ عليهِ وارب مطلوبٍ نهـد اليهِ فرحل عن دمشق ونزل مرج الصُفر وعَرف من بدمشق ذلك فقلقوا لذلك واضطربوا ثم رحل مشرّقًا في البرّية وجلًا وجدّ في سيره مُجفلًا واوصل السير ليلًا ونهارًا فهلك من المواشي والدوابّ للعرب ما لا يحصيه عددٌ ولا يُحصر كثرةً من العطش وتلف وانقطع من الناس خلقٌ كثير وخرجت بهِ الطريق الى وادي بني حصين قريبًا من سلمية فانفذ وزيره ابا العزّ (بن) صدقة الى خلف ابن مُلاعب المقيم بحمص ليجعله بين الشام وبين السلطان تاج الدولة لما يعلمه من نكايته في الاتراك وفتكه بمن يظفر بهِ من ابطالهم الفُتّاك. فاقام ابو العزّ الوزير بحمص الى حين عوده فخلع عليهِ شرف الدولة واكرمه وقرّر معه حفظ الشام وطيّب بنفسه. وسار بعد ذلك السلطان تاج الدولة الى ناحية طرابلس وافتتح انطرطوس وبعض الحصون وعاد الى دمشق. وورد الخبر بنزول السلطان العادل ملك شاه ابي الفتح بن البارسلان على حلب في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان من السنة وضايقها الى ان ملكها مع القلعة. وفي يوم الخميس الثاني من المحرّم توجّه شرف الدولة الى بلد انطاكية للقاء الفردوس ملك الروم (١ . وفيها وصل الامير شمس الدولة سالم بن مالك بالخلـع

---

١) وذكر سبط ابن الجوزي سبب صعوده الى الشام. طالب الفردوس والي انطاكية بمال الهدنة وهو ثلاثون الف دينار في كل سنة فلم يحمل اليه شيئًا وكاتبهُ اهل انطاكية وقرّروا معهُ فتحها وتسليمها اليهِ. وكان من سوء رأي مسلم وتخلّفهِ انهُ كان لهُ كاتب نصراني فكان يدع عنده مكاتباتهم ثقةً بهِ وتحقّق الكاتب فتح انطاكيـة فهرب اليها ومسلم بحلب ودفع تلك الكتب الى الفردوس فلمَّا وقف عليها احضرهم وكانوا ثلثمائة انسان فقتلهم بين يديهِ صبرًا وكاشف مسلم وكتب الى السلطان بانهُ يكاتب صاحب مصر وينفـذ لهُ بالخاتم والاموال واستقرّ ان الفردوس يحمل الى السلطان في كل سنة مال الهدنة. وبعث نظـام الملك فعاتب مسلم بن قريش فقال في الجواب: ان كانت الكتب مني الى صاحب مصر توجّه العتب عليَّ وان كانت منـهُ اليَّ فاحفظوا صاحبًا لكم يرغب فيهِ صاحب مصر لا تخرجوه عن ايديكم وارغبوا فيهِ كما رغب فيهِ غيركم. ثم سار

Marfat.com

السلطانيــة الى شرف الدولة الى حلب وقرّر الصلح بين شرف الدولة وابن ملاعب بحمص . وفيهــا وصل ابو العزّ بن صدقــة وزير شرف الدولة في عسكر كثيف لإنجاد حلب على تاج الدولة فلمّا وصل اليهــا رحل تاج الدولة في الحال عنها

سنة ست وسبعين واربعمائة

فيها عُمل على مدينة حرّان وأُخذت من ملكة شرف الدولة مسلم بن قريش في سابع صفر وعاد اليها حين عرف خبرها فنزل عليها في عسكره وضايقها وواظبها الى ان افتتحها وملكها ورتّب امرها واحتطّ عليها واعتمد على الثقات في حفظهــا (١ . وفي

مسلم الى شيزر وفيهِ ابن منقذ فحاصرهُ واستقرّ ان يعطيه عشرة الاف دينار ويرحل عنهُ . وسار الى حمص وهي في يد ابن ملاعب فتحصّن بالقلعة فاخذ البلد . وكتب ابن ملاعب الى تتش يستنجدهُ فكتب الى مسلم : انّ هذا صاحبي ومنتمٍ اليّ فارحل عنهُ . فبعث اليهِ : ان هذا رجل مفســد في اعمال السلطان قاطع سُبُلها فان كان صاحباً لك فخذه اليك . فرحل تاج الدولة تتش من دمشق يريد ابن قريش فخاف من عتب السلطان وانهُ حارب اخاه فسـار الى صور واظهر انهُ يريد حصــارها فرجع تتش الى دمشق . وعاد مسلم الى حمص فخرج نساء ابن ملاعب وحريمه فتعلّقنَ باذيال مسلم فاستحى منهنّ وذمّ لهُ وابقاه على حاله ولم يطالبهُ بما لا تقرّر عليهِ واستحلفهُ وحلف لهُ وعاد الى حلب . وكان في اعمالها نحو من ثلاثمائة فارس من التركمان بقايا من كان يخدم بني الروقلية فاستدعاهم مسلم من الاعمال واظهر انهُ يعرضهم فلما حضروا على بابه امر العرب فنكسوهم عن خيولهم وقيدوهم وفرقهم في القلاع وكان ذلك اخر العهد بهم . وقبض على حسن بن منيع بن وثاب النُميري الاعرج صاحب سروج واخذها منهُ وقيل انهُ وجد لهُ منطلقــات الى تتش فكان اخر العهد بهِ . وقبض على شبيب ووثاب ولدي محمود بن الروقلية وطالبهما بتسليم قلعتي اعزاز والاثارب فسلّمها فافرج عنهما وعوّضهما الخانوقة وقرقيسيا ودويرا من اعمال الرحبة

(١ قال سبط ابن الجوزي : ووصل الخبر الى مسلم بان اهل حرّان عصوا عليهِ فرجع كارّاً الى حمص وصالح في طريقه ابن ملاعب وحالفهُ واعطــاه مضافاً الى حمص رفنيّة وسلمية واقطع شبيب بن محمود بن الروقلية حماة واستحلفهُ في تلك الاعمال وعاجل حرّان فوصلها يوم الجمعــة ثامن ربيع الاول فوجد قاضيها ابن جهلة الحنبلي قد استغوى اهلها وادخل اليها جماعة من بني نمير مع ولد صغير لمنيع بن وثاب وانفذ ابن عطير احد وجوه بني نمير الى خنق امير التركمان فكان قريباً فاستدناهم اليهِ ليسلّم اليهم البلد وشرع القاضي يعلم مسلماً ويمنّيه خديعةً منهُ ليصل التركمان وعلم مسلم فحاربهم ورمى قطعة من السور . وبينما هو كذلك وصل التركمان فنزل اقوامٌ يقاتلون البلد وركب هو بمن معهُ فاشرف على التركمان واتّصل الطراد وقال للعرب : املكوا عليهم النهر المعروف بالجلاب واجعلوه وراءكم وحولوا بين التركمان وبينهُ . ففعلوا وعطشوا وخيلهم وهجرت

هذه السنة تنكّر شرف الدولة على وزيره ابي العزّ بن صدقة (64) لاسباب انكرها منه واحوالٍ بلغته عنهُ فقبض عليه واعتقله واقام اياماً وقرّر امره واطلقه وطيّب نفسه

سنة سبع وسبعين واربعمائة

في هذه السنة شرع سليمان بن قتلمش في العمل على مدينة انطاكية والتدبير لامرها والاجتهاد في اخذها والتملُّك لها ولم يزل على هذه القضية الى ان تمّ لهُ ما اراده فيها وملكها سَرِقةً في يوم الاحد العاشر من شعبان ورتّب امرها بمن اعتمد عليهِ في حفظها من ثقات ولاته. وفي شهر ربيع الاوّل من السنة كانت وقعة بين عسكر شرف الدولة وعسكر الاتراك بارض آمد من ديار بكر واستظهر الاتراك على عسكر شرف الدولة فهزموه. وفي رجب منها توجه شرف الدولة مسلم بن قريش الى دركاه السلطان العادل ملك شاه بن البارسلان ودخل عليهِ ووطئَ بساطه فاكرمه واحترمه وخلع عليهِ وقرّر امره على ما يهوى من اصلاح احواله والاقرار على اعماله وازالة ما كان يخشاهُ وعاد مسروراً بما لقي ومحبوراً بنيل مبتغاه

الشمس عليهم فمالوا بجمعهم طالبين رأس الماء على ان يشربوا ويسقوا خيلهم ويعودوا على العرب فلماً عطفوا خيولهم لم يشكّوا العرب انها هزيمة فالقوا نفوسهم عليهم فانهزموا فتبعوهم وغنموهم وقتلوا واسروا. واقام مسلم على حصار حرّان وكان لما رمى قطعة من السور نصب (ابن) جبلة بازاء الثلمة مناجيق وعرّادات منعت من يروم القرب منهما وراسلهُ: انك كلما رميتَ قطعة من السور جعلت مكانها مناجيق وعرّادات ورجالاً اشدّ منها. فتوقّف عن حربهم وتربّص. واتّفق انهُ استأمن الى مسلم من اهلها ثلثة اخوة فاخذ القاضي اباهم وكان شيخاً كبيراً فاصعده الى السور وقتله ورمى برأسه الى مسلم فلماً حضر الرأس بين يديهِ وعلم الحال قال: غداً افتح البلد ان شاء الله تعالى فهذا بغاء ارجو من الله النصر في جوابه. وانفذ الى العرب وامرهم بالبكور للقتال فجاءوا ولبسوا السلاح. وتقدّم مسلم وعليهِ السلاح وكان قد بعث رجلاً في الليل ينظّفُ الحجارة من الطريق لاجل الخيل فسئل ان يكاتب ابن جبلة ويعطيه الامان لئلّا يهلك الناس وينهب البلد فلماً كتب عاد جوابه على رأس الورقة: السيف اصدق انباء من الكتب. فتقدّم الى العرب بالدخول الى الفتحة فما منهم من اقدم فجمع عبيده وخواصّه وهجمها واتتهُ الحجارة فسلم منها ودخل واحرق المجانيق والعرّادات وقتل خلقاً كثيراً من اهل البلد عندها وتبعتهُ العرب حينئذٍ فدخل البلد وصعد ولد ايتكين السليماني ونزل من السور وفتح الباب فاقطعهُ قرقيسيا. ثم طاب القاضي فوجد في كندوج فيهِ قطن فأخذ وولداه فقبض على اعيان اهل حرّان ونهب البلد الى اخر النهار ثم رفع النهب وصلب القاضي وولديه واعيان الحرّانيين على السور وقتل خلقاً من العوام وعاد الى منازله بارض الموصل

سنة ثمان وسبعين واربعمائة

في هذه السنة كان مصافّ الحرب بين الملك سليمان بن قتلمش وبين الامير شرف الدولة مسلم بن قُريش في اليوم الرابع والعشرين من صفر على نهر سفين في موضع يقال لهُ قرزاحِل فكُسر عسكر شرف الدولة وقُتل ورحل سليمان بعد ذلك في جمعه ونزل على حلب محاصرًا لها ومضايقًا عليها في مستهلّ شهر ربيع الاوَّل واقام منازلًا لها مدَّة ولم يتهيَّأ لهُ ما اراده فيها فرحل عنها في الخامس من شهر ربيع الاخر منكفئًا الى بلاده. وفيها شرع في عمارة القلعة الشريف بحلب وترميم ما كان هدم منها واعادتها الى ما كانت عليهِ في حال عمارتها. وفيها وردت الاخبار من ناحية المغرب بان الافرنج استولوا على بلاد الاندلس وتملَّكوها وفتكوا باهلها وان صاحب طُليطلة استصرخ بالملثمين واستنجد بهم على الافرنج فاجابوه الى الإنجاد ونهضوا للاغاثة والاسعاد وطلب الجهاد ووصلوا اليهِ في خلق عظيم وجيش كثيف وصافّوا الافرنج وهم في الاعداد الدثرة والعُدد الغاية في الكثرة فكسروا عسكر الافرنج كسرةً عظيمةً اجلت عن قتل الاكثر منهم ولم يفلت الَّا من سبق جواده وأُخر في اجله بحيث أُحصي القتلى فكانوا (65) عشرين الفًا فجُمعت رؤوسهم وبُني بها اربع منابر للتأذين في غاية الارتفاع واذن المسلمون فيها وعاد عسكر الملثمين الى بلادهم سالمين ظافرين مسرورين مأجورين وامتنعوا من استخلاص ما كان مَلَكَه الافرنج من بلاد الاندلس وبقي في ايديهم على حاله

سنة تسع وسبعين واربعمائة

فيها تقدَّم السلطان العادل ملك شاه ابو الفتح بن السلطان البارسلان رحمه الله بابطال اخذ المكوس من سائر التجَّار عن جميع البضائع في العراق وخراسان وحظر تناول شيء منها في بلد من البلاد الجارية في مملكته فكثر الدعاء له من كافَّة الناس في سائر الاعمال وتضاعف الثناء عليهِ من الخاصّ والعام. وفيها وردت الاخبار من ناحية المغرب بوصول الانبرت ابن ملك الافرنج في عسكره الى مدينة المهدية وتزوله عليها ومضايقته لها الى ان ملكها بالسيف قهرًا وقتل رجالها وسبى كافة من كان بها من اهلها. وفيها جمع الملك سليمان بن قتلمش (١ وحشد وقصد بلد حلب ونزل عليها مُحاصرًا لها

---

١) وفي الاصل: شاه بن قتلمش

Marfat.com

ومضايقاً عليها وطامعاً في تملّكها فوردت عليهِ اخبـار السلطان تاج الدولة تتش بن البارسلان باحتشاده وتأهبه لقصدها واستعداده فرحل عنها والتقى عسكره وعسكر تاج الدولة في موضع يُعرف بعين سلم في يوم الاربعاء الثـامن عشر من صفر فكسر عسكرُ تاج الدولة عسكر سليمان فقُتل في الهزيمـة وملك تاج الدولة عسكره وسواده ونزل على حلب وضيَّق عليها الى ان تسلَّمها في شهر ربيع الاوَّل سلَّمهـا اليهِ المعروف بابن اليرعوني الحلبي . وفيها وصل السلطان العادل ملك شاه ابو الفتح الى الشام وانهزم تاج الدولة من حلب وملكها السلطان العادل ودخلها في شهر رمضان وخرج منهـا وقصد انطاكية وملكهـا وخيَّم على ساحل البحر أيّاماً وعاد الى حلب وعيّد بها عيد الفطر ورحل عنها وقصد الرُها ونزل عليها وضايقها وملكها

سنة ثمانين واربعمائة

في هذه السنة تقرَّرت ولاية حلب للامير قسيم الدولة اق سنقر من قبل السلطان ملك شاه ابي الفتح ووصل اليها واحسن السيرة فيها وبسط العدل في اهليهـا وحمى السابلة للمتردّدين فيها واقام (65[٧]) الهيبة وانصف الرعيَّـة وتتبّع المفسدين فابادهم وقصدَ اهل الشرّ فابعدهم وحصل لهُ بذلك من الصيت وحسن الذكر وتضاعف الثناء والشكر ما إخباره مذكور واجارُهُ فيهِ منشور فعمرت السابلة للمتردّدين من السفَّار وزاد ارتفاع بالبلد بالواردين بالبضائع من جميع الجهات والاقطار

سنة احدى وثمانين واربعمائة

في هذه السنة توجَّه السلطان العـادل ملك شاه ابو الفتح الى سمرقند طمعاً في ملكتها بعد فراغ قلبه من الشام وبلاد الروم والجزيرة والرُها وديار بكر وديار بني عقيل. وفيها خرج الامير قسيم الدولة اق سنقر من حلب لتوديع تابوت زوجتـه خاتون داية السلطان ملك شاه وقيل انها كانت جالسةً معه في داره بحلب وفي يده سكّين فاومى بها اليها على سبيل المداعبة والمزاح فوقعت في مقتلها للقضاء المكتوب عليها غير مُتعمّدٍ فماتت وحزن عليها حزناً شديداً وتأسَّف لفقدها على هـذه الحال وحملها الى الشرق لتدفن في مقابر لها هُناك في مستهلّ جمادى الاخرة. وفي يوم الثلثاء مستهلّ رجب نزل

Marfat.com

قسيم الدولة على شيزر وحصرها ونهب ربضها وضايقها الى ان تقرَّر امرها والموادعة بينهُ وبين صاحبها (١ ورحل عنها عائدًا الى حلب

سنة اثنتين وثمانين واربعمائة

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشرق بافتتاح السلطان ملك شاه مدينة سمرقند واسر ملكها (٢ وكانت اخته مع السلطان ملك شاه ولهُ منها ثلثــة اولاد فجعل الولاية بها لاحدهم وهو الملك احمد وامر بالخطبة لهُ على المنــابر وذكر ان الملك احمد المذكور توفي في سنة ٤٨٤ والابنة منهم زوجها للامام الخليفة المقتدي بامر الله. وفيها خرج عسكر مصر منها مع مُقدّميه وقصد الساحل وفتح ثغري صور وصيــدا وكان في صور اولاد القاضي عين الدولة (ابن) ابي عقيل بعــد موته ولم يكن قوَّةٌ لهم تدفَعُ ولا هيبةٌ تمنع فسلّموها وكذلك صيدا وقرّروا امرهما ثم رحل العسكر عنهمــا ونزل على ثغري جبيل وعكا فافتتحهما. وفيها عمرت منارة الجامع بحلب. وفيها نهض قسيم الدولة صاحب حلب في اثر الحراميَّة قُطاَّع الطريق ومُخيفي السبيــل فاوقع بهم واستأصل شأفتهم قتلًا واسرًا (66) فأَمِنَت السابلة واطمأَنَّت السافرة وكتب الى سائر الاطراف والاعمال بتتبُّع المفسدين وحماية المســافرين وبالغ في ذلك مبالغةً حَسُن ذكره بها وعظُمت هيبته بسببها وشاع لهُ الصيت باعتمادها واحترز كلُّ من كان في ضيعة او معقِل من ان يتمّ على احد من المجتازين بهِ امر يؤخذ بهِ ويهلك بسببه

سنة ثلث وثمانين واربعمائة

في هذه السنة نزل السلطان تاج الدولة على حمص في عسكره ومعــه الامير قسيم الدولة صاحب حلب في عسكره والامير بوزان صاحب انطاكية وفيها خلفُ ابن ملاعب فضايقوها وصابروها الى ان ملكوها بالامان وخرج ابن ملاعب منها وسلَّمها ووفوا لهُ بما قرَّروه معه واطلقوا سراحهُ فتوجَّه الى مصر فاقام بها مُدَّة وعاد الى الشام واعمل الحيلة والتدبير على حصن افامية الى ان ملكه وحصل بيده

سنة اربع وثمانين واربعمائة

في ليلة الثلثاء التاسع من شعبان من السنة حدث في الشام زلزلة عظيمة هائلة

---

١) وهو ابن منقذ ٢) وفي مرآة الزمان ان اسمه ابن طنغاج

Marfat.com

لم يُسمع بمثلها ووافق هذا اليوم كونه من تشرين الاول وخرج الناس من دُورهم خوفًا من عودها. وحُكي ان دُورًا كثيرة خربت بانطاكية واضطربت كنيسة السيدة فيها وهلك خلق كثير بالردم وانهدم بها تقدير سبعين بُرجًا من سورها وبقيت على حالها الى ان امر السلطان ملك شاه بعمارتها ولمَّ ما تشعَّث منها. وفيها نزل الامير قسيم الدولة صاحب حلب على حصن افامية فملكه وابعد خلف بن مُلاعب عنها ورتَّب نائبه في حفظها في ثالث رجب وعاد الى حلب. وفيها وردت الاخبار من المشرق بوفاة الملك احمد ابن (اخت) السلطان ملك شاه المرتب في مملكة جدّه في سمرقند وخُطب لهُ على المنابر حسب ما تقدَّم ذكره فعاجله القضاء الذي لا يُدافَع والمحتوم الذي لا يُمانَع

سنة خمس وثمانين واربعمائة

في هذه السنة اقترن المرّيخ وزُحل في برج السرَطان وقت الظهر من يوم الاثنين النصف من شهر ربيع الاوّل وهو السادس والعشرون من نيسان وذكر اهل المعرفة من اهل صناعة النجوم ان هذا القران لم يحدث مثله في هذا البرج منذ مبعث النبي (صلعم) والى هذه الغاية. وفيها توجَّه السلطان العادل (66[٢]) ملك شاه من اصفهان الى بغداد مُعوّلًا على قصد مصر لتملُّكها فلمَّا وصل الى همذان وثب رجل ديلمي من الباطنية على وزيره خواجه بزرك نظام الملك ابي علي الحسن بن اسحق الطوسي فقتله رحمه الله وهرب من ساعته فطُلب فلم يوجد ولا ظهر لهُ خبر ولا بان لهُ اثر فاسف الناس وتألموا لمصابهِ وتضاعف حزنهم لفقد مثله لما كان عليهِ من حسن الطريقة وآثار العدل والنصفة والاحسان الى اهل الدين والفقه والقُرآن والعلم وحبّ الخير وحميد السياسة وكان قد آثر الآثارات الحسنة في البلاد من المدارس والرباطات بالعراق وبلاد العجم بحيث كان رزقه يجري على اثني عشر الف انسان من فقيهٍ الى غيره. وحزن السلطان ملك شاه عليهِ واسف لفقده واسرع السير الى ان وصل الى بغداد في ايام قلائل من شوّال من السنة وقام مُدَيدةً وخرج الى المتصيّد وعاد منهُ وقد وجد فُتورًا في جسمه واشتدّ بهِ المرض الحادُّ فتوفّي رحمه الله في ليلة الاربعاء السادس من شوال من السنة وكان بين وفاته ومقتل خواجه بزرك ثلثة وثلثون يومًا واقام مقامه في المملكة ولده السلطان بركيارق وانتصب في منصبه وأُخذت لهُ البيعة ودُعي على المنابر باسمه واستقام امره

Marfat.com

وانتظمت الحال على مراده. وكان السلطان تاج الدولة تتش قد توجّه من دمشق الى بغداد لقاء اخيه السلطان ملك شاه والخدمة لهُ والتقرّب اليـه وورد الخبر عليه بوفاته فانكفأ راجعاً ونزل على الرحبة وضايقها وارسل المقيم بها يلتمس تسليمها اليه فلم يتمّ لهُ فيها امر ولا مراد فرحل عنها الى دمشق وجمع وحشد وعاد في العسكر الى الرحبة. وقد كان كاتب قسيم الدولة صاحب حلب ومؤيد الدولة ياغي سيـان (١ صاحب انطاكية يستدعي منهما المساعدة ويبعثهما على المؤازرة والمرافدة فسارا نحوه واجتمعا معه تقوي امره بها واستظهر بعسكرهما ونزل على الرحبة وضايقهـا الى ان ملكها بالامان واحسن الى اهلها واجمل السيرة فيها. وكان قد نذر على نفسه انهُ متى ملكهـا بالامان والقهر شهر فيها السيف فعند ذاك شهر سيفه عنـد دخوله اليها واغمده عند استقرار امرها ووفى بنذره ورحل عنها بعد ان قرّر امرها ورتّب المستحفظين من قبله فيها قاصداً ناحية (67) نصيبين. وقد كان بعد وفاة السلطان ملك شاه قد رجع ابرهيم بن قُرَيش الى بلاده وتسلّم الموصل واعمالها وجمع العرب والاكراد ونزل في بلاد بني عقيل الموصل منها والاها وعلب ولد اخيه شرف الدولة محمداً وابعـده عن الولاية. ولمّا وصل تاج الدولة الى نصيبين وصل اليهِ الامير بوزان صاحب الرُها وخرج اليهِ والي نصيبين يبذل الطاعة لهُ والمناصحة في الخدمة فامتنع اهل البلد من الجنـد الذين بها من اصحاب ابرهيم بن قريش فقاتلها وهدم بعض سورها وملكها بالسيف وقتل فيهـا تقدير الفي رجل وقتل كل من التجأ الى جامعها ومساجدها وأُخذت الحُرم وهُتكت البنات وعوقبوا بانواع العقوبات الى ان اظهرنَ كل مذخور وابرزنَ كل مستور وفعـل في امرهم ما لا يستحلّه مسلم ولا يستحسنهُ كافر واطلق بعـد ذلك من كان في الاسر من الرجال والنسوان الّا من بقي في ايدي الاتراك وذلك في صفر سنـة ٤٨٦ وحكى بعض من حضر هذه الكاينة القبيحة انهُ شاهد امرأة تحت الاتراك يطلب منها الفاحشـة وهي تصيح وتستغيث وتتمنّع اشدّ التمنّع « فجئتهُ وحاولتُ تخليصها منهُ فلم يفعل فجرحتهُ فتخلّى عنها واذا بها امرأة من وجوه الاشراف واخرجتهـا الى المخيّم الى ان سكنت الفتنة واعدتُها سالمةً الى دارها دونَ كل بنتٍ هُتكت واحرزتُ ثوابهـا وحسن الذكر بين اشراف نصيبين »

---

١) وفي الاصل في جميع المواضع : يغي سغان

سنة ست وثمانين واربعمائة

في هذه السنة عاد السلطان تاج الدولة عن نصيبين بعد ما جرى فيها طالبًا لابرهيم ابن قريش فلمَّا عرف خبره جمع وحشد واستنجد وحصل في خلق عظيم ونزل بهم في المنزل المعروف بشرقي الهرماس ونزل السلطان تاج الدولة على دارا . فلما كان يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الاوَّل من السنة التقى الجيشان على نهر الهرماس واختلط الفريقان واشتدّ القتال وانكشفت الوقعة عن قتل جماعةٍ من الاتراك والعرب وعاد كل فريق منهما الى مكانه فلما استقرّ بالعرب المنزل عاد عسكر تاج الدولة اليهم وهم غارّون وحمل عليهم وهم غافلون فانهزمت العرب واخذهم السيف فقُتل منهم (67ظ) العَدَدُ الكثير والاكثر من الرجالة المقيمين في المخيم وقُتل الامير ابرهيم بن قريش وجماعةٌ من الامراء والمقدّمين من بني عقيل وغيرهم وقيل ان تقدير القتلى من الفريقين عشرة الف رجل واستولى النهب والسلب والسبي على من وُجد في المخيّم وامتلأَت الايدي من الغنائم والسواد والمواشي والكُراع بحيث بيع الجمل بدينار واحد والمائة شاةٍ بدينارٍ واحد ولم يشاهد أَبشَع من هذه الوقعة ولا أَشنع منها في هذا الزمان وقتل بعض نسوان العرب انفسهُنَّ اشفاقًا من الهتيكة والسبي . ولما عادوا بالاسرى والسبي وحصلوا بشاطي الفرات القى جماعة من الاسرى انفسهم في الفرات فهلكوا

وقصد السلطان تاج الدولة ديار بكر ونزل على آمد وضايقها وملكها من ملكة ابن جهير (١ المقيم بها مع الجزيرة وولَّاه (ه) نصيبين عوضًا عن الجزيرة وملك آمد من ابن مروان وتسلَّم ميافارقين واعمالها وقرَّر امرها (٢ وانفذ وُلاته الى الموصل وسنجار وملك الاعمال وانهزم بنو عقيل من منازلهم وبلادهم وتوجَّهوا نحو السلطان بركيارق بن ملك شاه وكان علي بن شرف الدولة مُسلم بن قُرَيش ووالدته خاتون بنت السلطان محمد ابن داود (كذا) عمّة السلطان ملك شاه يشكون ما نزل بهِ من السلطان تاج الدولة

ولمَّا تهيَّأَ لتاج الدولة ما تهيَّأَ وما أَمله من ملكة البلاد وطاعة العباد قويت

---

١) هو ابو الحسن ابن الكافي ابي البركات جُهَير بن فخر الدولة بن جهير

٢) قال الفارقي في تاريخه : واستقرّ السلطان بميافارقين واحسن الى اهلها وعدل فيهم واسقط منهم المُؤَن والاعشار والاسقاط والكُلَف وجميع البوائق وحصل الناس معه في اهنإ عيش

شوكته وكثرت عُدّته وعِدّته وحدث نفسه بالسلطنة وتوجّه الى ناحية خراسان وليس يمرّ ببلدٍ ولا معقلٍ من المعاقل الّا خرج اليهِ اهله وبذلوا له الطاعة والمناصحة في الخدمة وامره يستفحل وشأنه يعظم. وفصل عنه قسيم الدولة صاحب حلب وعماد الدولة بوزان صاحب الرُها مغاضبين وقصدا ناحية السلطان بركيارق بن ملك شاه مخالفينّ لهُ وعاصيَيْن عليه واقتضت الحال عود تاج الدولة الى ديار بكر ونزل على مدينة سروج فملكها وولّى فيها وفي الجزيرة من ارتضاه من ثقات خواصّه. واتصل بهِ خبر وصول الامير قسيم الدولة اق سنقر صاحب حلب وموّيد الدولة صاحب الرُها الذين كانا فارقاه الى السلطان بركيارق ودخولها عليهِ واكرامه لهما وحسن موقع وصولها منه وسروره بقدمهما عليهِ وانهما شرعا في وقوع في ناحية تاج الدولة والتحذير من (68) الاهمال لامره والتحريض على مُعاجلته قبل اعضال خطبه وتمكُّنه من الغلبة على السلطنة والاستيلاء على اعمال المملكة واشارا عليهِ بالمسير في هذا الوقت وطلبا منهُ مَن يسير معهما لايصالهما الى بلديهما حلب والرُها فسار معهما لايصالهما الى الموصل وردّ بني عقيل اليهم وقدّم عليًا من شرف الدولة مسلم بن قريش عليهم ولقبه سعد الدولة. فوصل قسيم الدولة الى حاب في شوّال سنة ٤٨٦ ومعه جماعة من بني عقيل وبعض عسكر السلطان بركيارق بحيث وصل الى حلب وانتهى الخبر بذلك الى تاج الدولة فنهض في العسكر من ناحية الرحبة الى الفرات وقصد بلد انطاكية واقام بها وورد عليهِ الخبر بانكفاء السلطان من الرحبة الى بغداد وان عزمه ان يشتو بها واقام تاج الدولة بانطاكية مدّة فقلّت الاقوات وارتفعت الاسعار وخُوطِب في العود الى الشام فلم يفعل وعاد الى دمشق اخر ذي الحجة من السنة وفي جملته الامير وثاب بن محمود بن صالح وبنو كامل وجماعة من العرب لم يجسروا على الاقامة بالشام خوفًا من قسيم الدولة صاحب حلب. وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثير الى ثغر صور لمّا عصى واليها الامير مُنيرُ الدولة الجيوشي وقد كان اهل صور انكروا عصيانه وكرهوا خلفهُ لسلطانهِ لمير الجيوش بدر وعرف ذلك من نيّاتهم فحين اشتدّ القتال عليها نادوا بشعار المستنصر بالله وامير الجيوش فهجم العسكر المصري على البلد ولم يدافع عنه مدافعٌ ولا مانع دونه ولا مُمانع ونهب واسر منهُ الخلق الكثير وأُخذ في الجملة مُنير الدولة الوالي وخواصّه واجناده وحملوا الى مصر في يوم الرابع عشر من جمادى . . . . سنة ٤٨٦ وقُطع على اهل البلد ستون الف دينار اجحفت باحوالهم واستغرقت جُلّ اموالها ولمّا وصل الوالي منير الدولة ومن

Marfat.com

معه من اجناده واصحابه تقدَّم امير الجيوش بضرب اعنـاقهم ففُعل ذلك ولم يعف عن واحد منهم

وفي هذه السنة وردت الاخبار من العراق بابطال مسير الحاج لاسباب دعت الى ذاك والخوف عليهم في مسيرهم وسار الحاج من دمشق والشام في هذه السنة صُحبـة الامير الخاني احد مقدّمي اتراك السلطان (68[٧]) تاج الدولة بعد العقد لهُ بولايته وتأكيد خطابه بحمايتهم ووصيَّته . فلمَّا وصلوا وقصـدوا مناسكهم وفروض حجّهم تلوّموا عن الانكفاء اياماً خوفاً من امير الحرم ابن ابي سَيبَة(١ اذ لم يصل اليهِ من جهتهم ما يُرضيه فلما رحلوا من مكَّة تبعهم في رجاله ونهبهم قريباً من مكة فعـادوا الى مكة وشكوا اليهِ وتضوَّروا لديه ممَّا نزل بهم مع بُعد دارهم فردّ عليهم البعض من جمالهم وقُتـل في الوقعة اخو الامير الخاني المقدّم فلمَّا أيسوا من ردّ المأخوذ لهم ساروا من مكَّة عائدين على اقبح صفةٍ فحين بَعُدوا عنها ظهر عليهم قوم من العرب من عدَّة جهات فاحاطوا بهم فصانعوهم على ما دفعوه اليهم هذا بعد ان قُتل من الحجاج جماعةٌ وافرة وهلك قوم بالضعف والانقطاع وجرى عليهم من العرب المكروه وعاد السالم منهم على اقبـح حالٍ واكسف بال . وفيها توفّي الامام ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن الحنبلي رحمه الله في يوم الاحد الثامن والعشرين من ذي الحجة بدمشق وكان وافر العلم متين الدين حسن الوعظ محمود السمت

سنة سبع وثمانين واربعمائة

في هذه السنة ورد الخبر من العراق بوفاة الخليفة الامام المقتدي بامر الله ابي القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجأةً في ليـلة السبت انتصاف المحرَّم وعمره ثمان وثلثون سنة وتسعة اشهر وايام مولده ليلة الاربعاء الثاني ويقال الثامن من جمادى الاولى سنة ٤٤٨ وكانت مدَّة خلافته تسع عشرة سنة

---

١) هو الامير تاج المعالي محمـد بن جعفر من الامراء الهواشم من بني موسى الجون الحسني العلوي وُلّي مكَّة بعد حمزة بن وهاش كذا في عمدة الطالب في نسب آل ابي طالب لجمال الدين احمد المعروف بابن ابي عقبة وفي حاشية انهُ توفّي في سنة ٤٨٧ . وفي تاريخ الاسلام ان فيها مات محمد بن ابي هاشم العلوي صاحب مكَّة كان يخطب مرَّةً لبني عبيـد ومرَّةً لامير المؤمنين بحسب من يقوى منهما ويأخذ وجوائز هؤلاء

Marfat.com

وخمسة اشهر وكان حسن السيرة جميل السريرة وولّي الامرَ بعده وليُ عهده ولده ابو العبّاس احمد المستظهر بالله امير المؤمنين بن المقتـدي بالله امير المؤمنين وبويع لهُ بالخلافة بعد ابيهِ في يوم الثلثاء الثامن عشر من المحرم من السنة واستقـام لهُ الامر وانتظمت بتدبيره الاحوال على قضية السـداد وكُنه المراد وعند ذلك قبض على اخوته واعتقلهم عنده وكان السلطان بركيارق عند وفاة المقتدي بالله رحمه الله مقيماً ببغداد وبقي فيها مقيماً الى اخر السنة . وفي شهر ربيع الاخر منها برز السلطان تاج الدولة من دمشق في العسكر وتوجّه الى الشام وقطع العـاصي في شهر ربيع الاخر (69) وتقدّم الى العسكرية برعي الزراعات ونهب المواشي والعوامل ولما اتّصـل الخبر بذاك الى قسيم الدولة صاحب حلب شرع في الجمع والاحتشاد والتأهّب لدفعه والاستعداد واجمع على لقائه وانتهى الخبر الى تاج الدولة بذاك ووصول بوزان صاحب الرُها اليـهِ في عسكره لاسعاده عليه وانجاده ولذلك وصول كربُوقا صاحب الموصل ويوسف صاحب الرحبة في الفين وخمسمائة فارس وحصول الجميع في حلب لمعونته ومؤازرته فرحل من منزله بكفر حمار الى الخانوتة ثم منها الى الناعورة وغارت الخيل على المواشي بها واحرقوا بعض زرعها ورحل منهـا الى ناحية الوادي ورحل قسيم الدولة في جمعه من العسكر وتقديره نحو من عشرين الفاً وزيادة على ذلك عكنّهم في احسن زي وهيئـةٍ واتمّ آلةٍ وعُدّةٍ وقطع سواقي نهر سُفيـان قاصداً عسكر تاج الدولة وكان بروزه من حلب في يوم الجمعة الثامن من جمادى الاوّل من السنة والتقى الفريقان غداة يوم السبت تاليه عقيب اقتران المرّيخ وزُحل في برج الاسد المقدّم ذكره بخمسة ايام وكان عسكرا كربوقا وبوزان لم يتمكّنوا من قطع بعض السواقي فاقاموا على حالهم ولم يثق بمن كان معهُ من العرب فنقلهم في وقت المصاف من الميمنـة الى الميسرة ثم جعلهم في القلب فلم يغنوا شيئاً فنصر الله تعالى تاج الدولة وعسكره عليهم فانهزمت العرب وعسكر كربوقا وبوزان عند الحملة وعسكر يوسف وتحكّمت السيوف فيهم وأُسر قسيم الدولة اق سنقر صاحب حلب واكثر اصحابه وحين أُحضروا بين يدي السلطان تاج الدولة فامر بضرب عُنُق قسيم ومن اتّفق من اصحابه فقُتلوا وتوجّه اكثر الفلّ الى حلب واجتمعوا باهـل البلد والاحداث وتقرّر بينهم الاعتصام بحلب والاستنجـاد بالسلطان بركيارق . فوصل تاج الدولة في الحال الى حلب وقد اختلفت الاراء فيها بينهم وحاروا فيما يعمـلون عليهِ فوثب جماعةٌ منهم لم يُوبه لهم وكسروا باب البلد ونادوا بشعار تاج الدولة فدخل الامير

وثاب بن محمود بن صالح البلد في مقـدّميه وبادر الى المقيم بقلعة الشريف التي قبلي حلب بالظهور الى تاج الدولة ومن بابٍ منها دخل تاج الدولة ونزل اليهِ رسول الامير نوح صاحب (٧69) قلعة حاب وزوجته وتوثّقا منـهُ واخذا الامان لهُ من تاج الدولة وعادا اليهِ واعلماهُ بما كان من تقرير الحال وأَخذ الامان فسلّمها اليهِ وحصل بها في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الاولى وسلّمت جميع الحصون اليـهِ من الشام . وكان بوزان صاحب الرُها في جملة من أُسر في الوقعة فتقدّم تاج الدولة بقتله فضربت عنقـه صبرًا وكذلك الامير كربوقا صاحب الموصل كان قد أُسر في الوقعة فاعتقل بحلب الى ان تقرَّر امر حلب ورتّبت النواب والمستحفظون فيها وقرّر امره . ورحل السلطان تاج الدولة عن حلب في العسكر الى ناحية الفرات وقطعه وقصد حران فاستعادها وكذلك سروج والرُها وقصد ديار بكر وعدل عن طريق السلطان بركيارق لانهُ كان نازلًا بارض الموصل طالبًا لخـاتون زوج السلطان ملك شاه والدة اخيه محمود وكانت مستولية على اصفهان وجميع الاموال لمكاتبات ومراسلات تردّدت بينهما في معنى الوصلة بينها وبينه واستقرّ المُلك لهُ ولها وكانت قد منعت السلطـان بركيارق التصرُّف في تلك الاعمال والتقوّد فيها . وفي هذا الوقت حدثت زلازل في يوم وليلة دفعات لم يُسمَع بمثلها في كل زلزلة منها تُقيم وتطول بخلاف ما جرت بمثله العادة . ورحل تاج الدولة عقيب ذلك ولم يتمكّن من الاقام على سمته وعرفت خاتون الخبر فخرجت من اصفهان في عسكرها للقاء تاج الدولة فعرض لها في طريقها مرضٌ حادّ فتوفّيت وتفرّق عسكرها الى جهة السلطان بركيارق والى غيره وحين عرف بركيارق ذلك سار في الحال الى اصفهان فدخلها وملكها وقد كان اهلها اشرفوا على الهلاك لفرط الغلاء بها وعدم الاقوات فيها . ووصل من عسكر خاتون الى تاج الدولة خلقٌ كثيرٌ وكذلك من عسكر بركيارق فتضاعفت عدّته وقويت شوكته ودُعي لهُ على منابر بغداد ووصـل الى همذان وكاتب ولده فخر الملوك رضوان بدمشق يأمره بالمسير اليهِ في مَن بقي من الاجناد في الشـام فسار الى حلب ومن حلب الى العراق ومعه الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق والامير وثاب بن محمود بن صالح وجماعة من امراء العرب واتراك حلب القسيميّة وتوجّه صوب بغداد على الرحبة في اوّل سنة ٤٨٧

وفي هذه (٧70) السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بمرض امير الجيوش بدر المستولي على امرها وانه أُسكت في مرضه هذا ودام بهِ الى ان اشتـدّ في جمادى

Marfat.com

الاولى منها وتوفّي في العشر الاول منه وقد كان الامر تمهّد لولده الافضل واستقامت حاله مع المقدّمين وسائر الاجناد والعساكرية قبل وفاته واطاعوا امره وعملوا برأيه وقيل ان وفاة امير الجيوش كانت في جمادى الاولى. وفي هذه السنة ايضاً وردت الاخبار من ناحية مصر بمرض الامام المستنصر بالله امير المؤمنين في العشر الثاني من ذي الحجة وان المرض اشتدّ بهِ وتوفّي الى رحمة الله في ليلة عيد الغدير الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٧ وعمره سبع وستون سنة وستة اشهر ومولده سنة ٤٢٠ ونقش خاتمهِ « بنصر السميع العليم ينتصر الامام ابو تميم » ومدّة ايام دولته ستون سنة واربعة اشهر وكان حسن السيرة جميل السريرة محبًّا للعدل والانصاف ومُني في اكثر عمره من الاجناد بالعناد والاختلاف ووَلِيَ الامر بعده ولده ابو القاسم احمد بن المستنصر بالله ولُقِّب بالمستعلي بالله امير المؤمنين واخذ لهُ البيعة على الامراء والمقدّمين من الاجناد والعسكرية واعيان الرعية الافضلُ ابو القسم شاهنشاه بن امير الجيوش ونصبه في منصب ابيه المستنصر بالله واستقامت به الاحوال وانتظمت على غاية الايثار والآمال. وخرج اخواه من مصر خفيةً عبد الله ونزار ابنا المستنصر بالله فقصد نزار منهما الاسكندرية وحصل مع نصر الدولة واليها وكان من اكابر الغلمان الجيوشيَّة الذين عوَّل عليهم امير الجيوش على اقامته في الامر من بعده دون ولده فاستحكم الخلف بينه وبين الافضل وجرت بينهما حروب ووقايع اسفرت عن ظفر الافضل بهِ واستقام لهُ الامر من بعده وصلحت احوال مصر واعمالها واستقامت بعد اضطرابها واختلالها (١. واماً ما يتعلّق بمعرفة احوال السلطان تاج الدولة فانه تمّ في رحيله الى مدينة الريّ فنزل عليها وضايقها وملكها واستولى على البلاد والاعمال والمعاقل من الشام والى الريّ وكان قد انهض عسكرًا مع

---

١) وقال الفارقي في تاريخه : قيل انهُ كان في سنة ٤٨٩ مات الامام ابو تميم معدّ المستنصر بالله خليفة مصر ومن ذلك الوقت انفرقت الاسماعيليَّة والاسماعيليَّة تقول ان المستنصر نصّ على ولده ابي منصور نزار والامامة فيه وكان المستنصر تزوَّج بنت الامير بدر امير الجيوش ورُزق منها ابنًا سمَّاهُ احمد وكنَّاهُ بابي القاسم ومات امير الجيوش بدر في سنة ٤٨٨ وولِيَ موضعه ولده الافضل وولِيَ الافضل امارة الجيوش. فلمَّا مات المستنصر قوي امير الجيوش على نزار وولَّى ابن اخته ابا القاسم احمد ولقَّبهُ بالمستعلي وانفرق اهل مصر فرقتين فرقة مع المستعلي في السلطنة وفرقة مع نزار وهو مختفٍ بمصر. وجاء اليهِ الحسن بن الصباح من آلموت واقام بها عندهُ وتزوَّج الى بنت الحسن ابن الصباح واولد منها ولدًا وسمَّاه محمد ولقبهُ بالمصطفى وقيل لُقّب بالقائم

وقال المصنّف ايضاً في النسخة السابقة من هذا التاريخ (التي كتبها قبل هذه النسخة الحاضرة

Marfat.com

بني عقيل ونُمير الى اعمال بني عقيل فاستولوا عليها ما خلا الموصل وساءت سيرة الاتراك في الاعمال (70) وشملها منهم ما عاد عليها بالفساد وسوء الحال وانفدوا مواشي اهلها واموالهم واستغرقوا بالنهب وارتكاب الظلم احوالهم واجلوهم عن منـــازلهم في زمن الشتاء وشدَّة البرد وسقوط الثلج والجليد . وبرز السلطان بركيارق من اصفهان في العسكر وقصد جهة عمِّهِ السلطان تاج الدولة وخاف تاج الدولة من اهل الري ان يخامروا عليه ان اقام فرحل عنها ونزل في منزل على اربعة فراسخ منها (١ ووصل السلطان بركيارق في عساكره وخيَّم بازائه وحالت بينهما طوالع الفريقين وتأهب كل منهما للقاء صاحبه ورُتبت المصافَّات للحرب والتقى الفريقان في اليوم السابع عشر من صفر سنة ٤٨٨ فانفلّ عسكر السلطان تاج الدولة وتفرَّق ونُهب سواده واثقاله وأُسر اكثره وقُتل منه الخلق

في سنة ٥٦٠) ان قوماً منهم يقولون ان نزار الامام المنصّ عليهِ وانهُ بقي مدَّة ثم خرج وكان اولدَ فانصّ عليهِ يسمَّى محمد بن نزار ويلقَّب بالمصطفى وكان خرج نزار من مصر ومضى الى خراسان الى بيت الصباح في قلعة الموت واتصل اليهم واولد هذا الابن من بنت ابن الصباح ومات هناك وقد نصّ على هذا الابن وقيل يلقّب بالقائم ومات هناك ولهُ ابن نصّ عليهِ يسمى نزار بن محمد بن نزار وهو الان في هذا الزمان (امام) الاسماعيلية وهو على قولهم بخراسان وقوم قالوا بالمغرب وقوم قالوا بمصر ولم يخرج نزار من مصر والله اعلم . وهم يزعمون ان الامام منهم لا يموت الَّا وقد خلَّف ولدًا ذكرًا منصوصاً عليهِ بالخلافة واما المستعلي فانهُ بقي في الخلافة بسيف خاله الافضل الى سنة ٥٠٣ (كذا) ومات بمصر وولي الامر من بعده ولده ابو (علي) ويلقَّب بالآمر وبقي في الخلافة مدَّة وحصل لهُ قوم ودُعاة يدعون باسمه ثم مات وكان قبل موته نصّ على الحمل وهو في مذهبهم ان الامام منهم لا يموت الَّا وقد خلَّف ولدًا ذكرًا منصوصاً عليهِ فلما خلف الحمل وقد نص عليهِ باجماع النـــاس انتظرتهُ الى ان وضع ابني واختلف الناس وماجوا واتفقوا ان اخرجوا من اولاد المستنصر رجلًا يسمَّى عبد المجيد ويكنَّى بابي الميمون ويلقَّب بالحافظ وقيل انهُ كان ابن المستعلي وقيل بل ابن المستنصر واجمعوا عليهِ وولِيَ الخلافة في سنة ٥٢٦ (كذا) وقُتل في سنة ٥٤٦ (كذا) وانقطع النصّ من هؤلاء فاجمعوا اجماعاً من غير نصّ . والاسماعيلية تقول ان المستعلي ومن بعده ليس لهُ في الامامة مدخل وانما هؤلاء اخذوها بالسيف وانما الامامة في ولد نزار وبعده وهذا نص اعتقادهم . والطائفتان على الباطل وليس الامامة والخلافة الَّا لبني العبَّاس رضوان الله عليهم لقوله عليهِ السلام لعمّه العباس رضي الله عنهُ : انت ابو الاملاك من امّتي الى يوم القيامة . وانما اصحاب الاهواء والاعراض يقولون ان اولئك الخلفاء وهذا باطل ولا خلافة الَّا ببغداد

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : ان في سنة ٤٣٦ وُلد نزار بن المستنصر العبيـــدي المصري الذي قتلهُ الافضل بن امير الجيوش

١) وفي زبدة التواريخ وهي اخبار الدولة السلجوقية : ان المصاف كان على قرية يقال لها دُسيلوا على ١٣ فرسخًا من الري

الكثير واستشهد تاج الدولة رحمه الله في الجملة وقتله (١ بعض اصحاب قسيم الدولة اق سنقر صاحب حلب بعد اصطناعه اياه وتقريبه لهُ وحُمل رأسه وطيف بهِ في العسكر ثم حُمل الى بغداد وطيف بهِ فيها

سنة ثمان وثمانين واربعمائة

فيها ورد الخبر الى الملك فخر الملوك رضوان بن تاج الدولة باستشهاد ابيه تاج الدولة وانفلال عسكره وهو نازل في عانة على الفُرات في عسكره يريد الاتمام الى بغداد ثم المصير الى ابيه تاج الدولة حين استدعاه الى الوصول اليه فاضطرب لذاك وقاق وخاف من وصول من يطلبه فحطّ مضاربه في الحال وقوّضت خيام العسكر في الوقت ورحل مجدًّا في سيره في نفرٍ من سرعان خيله وغلمانه وترك باقي عسكره من ورائه ولم يزل مُغِذًّا في قصده الى ان دخل حلب وفتح الوزير ابو القاسم النائب في القلعة ابوابها واصعده اليها واخذوا الاهبة لمن يقصدها. ووصل اليه من الفلّ اخوه شمس الملوك دُقاق (٢ ابن السلطان تاج الدولة من ناحية ديار بكر وجماعة من خواصّ عسكره المفلول واقام بحلب مدّة يسيرة وراسله الامير ساوتكين الخادم المستناب في القلعة والبلد وقرّر لهُ ملكة دمشق سرًّا فخرج في الحال من حلب من غير ان يعلم بهِ احدٌ وجدّ في سيره ليله ونهاره فلما عرف الملك فخر الملوك خبره (71[1]) انهض عدّة من الخيل في اثره ففاتهم ولم يعرفوا لهُ خبرًا ولا وجدوا لهُ اثرًا ووصل الى دمشق وحصل بها واجلسه ساوتكين في منصب ابيه السلطان تاج الدولة واخذ لهُ العهد على الاجناد والعسكرية واستقام لهُ الامر واستمرّت على السداد الاحوالُ. وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الحجاز بان الامير اصفهبذ وصل الى مكة في اربعمائة فارس من التركمانية فقاتل اهلها فقهرهم وملكها وقتل خلقًا كثيرًا من حرابتها من اصحاب ابن ابي شيبة وانهزم ابن ابي شيبة وجمع الاشراف من مكة وحصل بها واقام بها مُدَيدةً يسيرةً ورحل عنها

وفي هذه السنة وردت الاخبار بخلاص الامير ظهير الدين طغتكين اتابك من اعتقاله عقيب الكسرة التاجيّة وتوجّه عائدًا الى دمشق وخرج صاحبه السلّار حصن

---

١) وفي الاصل : وقَتَلَ

٢) وفي حاشية : قلت دُقاق كنيته ابو نصر ويقال فيهِ تُقاق ايضاً بالتاء.

Marfat.com

الدولة بختيار شحنـــة دمشق نحوه لتلقّيه والعود في خدمته . وقد كان هذا الامير المذكور في حداثة سنِهِ ونضارة غُصنه قد حظي عند السلطان الشهيد تاج الدولة ورشحه بحجره وقدّمه على ابناء جنسه من خواصّه وبطانته وسكن الى شهامته وصراامته وسداد طريقته وردّ اليـــه بعد ذلك ما انس منهُ الرشد وحسن التدبير في الصـــدر والورد والاسفهلاريّة على عسكريته واستنابه في تدبير امر دمشق وحفظها ايام غيبته فاحسن السيرة فيها وانصف الرعية من اهلها وبسط المعـــدلة في كافة من بها فكثر الدعاء لهُ والثناء عليهِ فعلت منزلته وامتُثِلت اوامره وامثلتُهُ ولم يلبث ان شاع ذكره بنجابته واشفقت النفوس من هيبته فولّاه ميافارقين من ديار بكر وهي اول ولايته (١ وسلّم اليه ولده الملك شمس الملوك دُقاق واعتمد عليهِ في تربيته وكفالته فساس امرها بالهيبة والتدبير واصلح فاسدَها في اقرب اوانٍ ومدّةٍ ونكا في جماعةٍ من مُقدّميهـــا ووجوه اهلها حين عرف منهم خيانةً ومخامرةً نكايةً قامت بها الهيبـــة واستقامت معها امور الرعية . وتنقّلت بهِ الاحوال الى ان توجّه مع السلطان تاج الدولة الى ناحية الريّ وشهد الوقعة التي استُشهد فيها تاج الدولة وحصل في قبضـــة الاعتقال مع مَن أُسر مِن المقدّمين واقام مُدّة الى ان اذن الله في الخلاص (71) ووصل الى دمشق في سنة ٤٨٨ فتلقّاه الملك شمس الدولة دقاق وعسكره وارباب دولتـــه وبُولِغ في اكرامه واحترامه ورُدّ اليهِ النظر في الاسفهسلّاريّة واعتُمد عليهِ في تدبير المملكة وسياسة البيضـــة . واقتضت الحال فيها بينـــه وبين الملك وامراء الدولة العمل على الامير ساوتكين والايقاع بهِ وتُمم عليهِ الامر وقُتل وعُقدت الوصلة بينهُ وبين ظهير الدين اتابك وبين الخاتون صفوة الملك والدة الملك شمس الملوك دُقاق ودخل بها واستقامت لهُ الحال بدمشق واحسن السيرة فيها واجمل في تدبير اهليها وبالغ في الذبّ عنها والمراماة دونها وسكنت نفس الملك شمس الملوك اليه واعتمد في التـــدبير عليه . وقد كان الملك فخر الملوك رضوان بن تاج الدولة صاحب حلب مائلًا الى دمشق ومحبًّا لها ومؤثرًا للعود اليها ولا يختار عليها سواها

---

١) قال الفارقي في تاريخه ان السلطان تنش لما سلّم اليهِ ميافارقين في سنة ٤٨٦ رتّب في القصر مملوكًا لهُ يسمّى طغتكين وان في سنة ٤٨٨ كانت شوشة آمد على نائبه بها وهاشوا عليه وحضر طغتكين آمد وقتل جماعةً وصاب جماعةً وبقيت آمد بحكم تاج الدولة وانتقلت بعـــده الى الملك دقاق وانتقلت الى الامير ينال وانتقلت الى الامير فخر الدولة ابرهيم وبقيت في يده ويد اولاده الى الان (يعني سنة ٥٧٢)

Marfat.com

لمعرفته بمحاسنها وترعرعهِ فيها فجمع وحشد واستنجد بالامير سُكمان بن ارتق وبرز طالبًا لدمشق والنزول عليها وانتهاز الفرصة فيها . وقد كان الملك شمس الملوك دُقاق والعسكر مع الامير ياغي سيان والامير نجم الدين ايل غازي قد غابوا عن دمشق في هذا الوقت فوصل الملك فخر الملوك رضوان صاحب حاب في عسكره ونزل بظاهر البلد في سنة ٤٨٩ وزحف في العسكر لقتالها . وكان في البلد وزير الملك شمس الملوك زين الدولة محمد بن الوزير ابي القاسم ونفرٌ قليل من العسكرية وانضاف اليهم جماعة من الاجناد واهل البلد وأُغلقت الابواب وارتكبت الاسوار وصاحوا ورشقوهم بالسهام وكانوا قد بلغوا في الزحف الى سوق الغنم وقربوا من السور والباب الصغير وطلب جماعةٌ من العسكرية واحداث البلد الخروج اليهم والدفع لهم عن البلد فمنعهم السلار بختيار شحنة البلد والرئيس امين الدولة ابو محمد بن الصوفي رئيس البلد من الخروج وقاتلوهم على الاسوار ومنعوهم من الوصول اليها . واتّفق الامر المقتضى ان حجر المنجنيق وقع في رأس حاجب الملك رضوان وهو قائمٌ يُحرّض على الحرب فقتله فسكنت الحرب واشتغلوا بامره وعادوا الى مخيّمهم لاجله ولم يتمّ لهم امرٌ ولا تسهّل لهم عرضٌ وبلغهم ان الملك شمس الملوك عائدٌ (72ᵀ) في العسكر الى دمشق فرحل في العسكر عائدًا الى حلب خائبًا في الامر الذي طلب . وطلب في رحيله ناحية مرج الصُفَّر وطلب حوران فعاث العسكر في اطرافها وطلب التوجّه الى بيت المقدس . وعاد شمس الملوك دقاق لما انتهى اليهِ الخبر في العسكر ووصل الى دمشق وتبع عسكر الملك رضوان على اثره فوصل وتقارب المدى بين الفريقين وفصل الملك رضوان منكفئًا الى حلب فوصل اليها في اخر ذي الحجة من السنة

سنة تسع وثمانين واربعمائة

فيها وصل خلف بن ملاعب الذي كان السلطان ملك شاه ابو الفتح اخذه من حمص عند اخذها منه واعتقله باصفهان وأُطلق عند وفاة السلطان المذكور وتوجّه الى مصر . وفيها ورد الخبر بوفاة ابي مسلم وادع بن سليمان قاضي معرّة النعمان والمستولي عليها في اخر صفر منها وكان لهُ همّةٌ مشهورة وطريقةٌ في اليقظة مشكورة . وفيها انكفأ الامير ياغي سيان منفصلًا عن الملك شمس الملوك دقاق الى بلده انطاكية في المحرّم منها

Marfat.com

سنة تسعين واربعمائة

في مستهلّ شهر ربيع الاوَّل منها اجتمع ستَّة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشتري والزُهرة والمريخ وعطارد وذكر اهل صناعة النجوم انهم لم يعرفوا اجتماع هذه الكواكب في برج في قديم الزمان وحديثه ولا سمعوا ذاك. وفي شعبان منها ورد الخبر بان الامير جناح الدولة حُسين اتابك الملك فخر الملوك رضوان بحلب استوحش من الملك استيحاشاً خاف معه على نفسه وكان زوج والدته ففصل عن حلب مُنكِرًا لما تمّ في امره وكان امر التدبير اليه والمعتمد في الحلّ والعقد فيها عليه ووصل الى حمص في عسكره وخواصّه وكان قراجة نائبه فيها فسلَّمها اليه وحصل بها وشرع في تحصينها والاحكام لجهات قلعتها ونقل اهله اليها وامن على نفسه باستقراره بها. ووصل عقيب انفصاله الامير ياغي سيان من انطاكية الى حلب وشرع في التدبير والتقرير بها والامر والنهي في عسكريّتها واهليها وبرز الملك رضوان وياغي سيان من حلب في (72ظ) العسكر الى ناحية شيزر عازمًا على الاحتشاد والتأهُّب والاستعداد لمعاودة النزول على دمشق فاقاموا على شيزر تقدير شهر ووقع الخلف بين مقدّمي العسكر فتفرّقوا وعاد كل منهم الى مكانه وعاد الملك الى حلب. وفي هذه السنة ورد على فخر الملوك رضوان كتاب المستعلي بالله صاحب مصر مع رسوله يلتمس منه الدخول في طاعته واقامة الدعوة لدولته وكذلك كتاب الافضل يتضمَّن مثل هذه الحال فاجابهما الى ما التمساه وامر بان يُدعى للمستعلي على المنبر وللافضل بعده ولنفسه بعده واقامت الخطبة على هذه القضيَّة تقدير اربع جُمع وكان الملك رضوان قد بنى الامر في ذلك على الاجتماع مع العسكر المصري والنزول على دمشق لاخذها من اخيه الملك دقاق فوصل الامير سكمان(١ بن ارتق وياغي سيان صاحب انطاكية الى حلب وانكرا على الملك الدخول في هذا الامر واستبدعاه من فعله واشارا عليه بابطاله واطراح العمل بهِ فقبل ما أُشير بهِ اليه واعاد الخطب الى ما كانت عليه

وفي اوَّل شهر ربيع الاول من السنة وردت الاخبار بخروج العسكر المصري من مصر وتزوله على ثغر صور عند ظهور عصيان واليه المعروف بالكُتيلة وخروجه عن الطاعة والايثار للخُلف والعدول عن المخالصة في الخدمة والعود للمبايعة ولم يزل العسكر مُنازلها

---

١) وفي الاصل : شكماز في المواضع كلها

Marfat.com

ومُضايقًا عليها الى ان افتتحها بالسيف قهرًا وقتل فيها الخلق الكثير ونهب منها المال الجزيل وأخذ الوالي اسيرًا من غير امان ولا عهد وحُمل الى مصر فقُتل بها

وفي هذه السنة كان مبــدأ تواصل الاخبار بظهور عساكر الافرنج من بحر القسطنطينيَّة في عالم لا يُحصى عَدَده كثرةً وتتابعت الانباء بذلك فقلق الناس لسماعها واتزعجوا لاشتهارها. وصحَّت الاخبار بذاك عنــد الملك (داود بن) سليمان بن قتلمش وكان اقرب اليهم دارًا فشرع في الجمع والاحتشاد واقامة مفروض الجهاد واستدعى من امكنه من التركمان للاسعاد عليهم والانجاد فوافاه منهم مع عسكر اخيــه العَدَد الكثير وقويت بذاك نفسه واشتدَّت شوكته فزحف الى معــابرهم ومسالكهم وسُبُلهم (73r) فاوقع بكل من ظفر بهِ منهم بحيث قتــل خلقًا كثيرًا وعادوا اليه واستظهروا عليه وكسروا عسكره فقتلوا منهم واسروا ونهبوا وسبوا وانهزم التركمان بعد اخذ اكثر دوابّهم واشترى ملك الروم من السبي خلقًا كثيرًا وحملهم الى القسطنطينية وتواصلت الاخبار بهذه النوبة المستبشعــة في حق الاسلام فعظم القلق وزاد الخوف والفرق وكانت هذه الوقعة لعشر بقين من رجب. وفي النصف من شعبان توجَّه الامير ياغي سيان صاحب انطاكية والامير سكمان بن ارتق والامير كربوقا في العسكر الى انطاكية وقد وردت الاخبار بقرب الافرنج منها ونزولهم البلانة وخفَّ ياغي سيان الى انطاكية وسيّر ولده الى دمشق الى الملك دُقاق والى جنــاح الدولة بحمص والى سائر البلاد والاطراف بالاستصراخ والاستنجاد والبعث على الخفوف الى الجهاد وقصد تحصين انطاكية واخراج النصارى منها. وفي اليوم الثاني من شوَّال نزلت عساكر الافرنج على بغراس واعادوا على اعمال انطاكية فعنــد ذلك عصى من كان في الحصون والمعاقل المجاورة لانطاكية وقتلوا من كان فيها وهرب من هرب منها وفعل اهل ارتاح مثــل ذلك واستدعوا المدد من الافرنج. وفي شعبان ظهر الكوكب ذو الذوَّابة من الغرب واقام طلوعه تقدير عشرين يومًا ثم غاب فلم يظهر وكان قد نهض من عسكر الافرنج فريقٌ وافرٌ يناهز ثلاثين الفًا فعاثوا في الاطراف ووصلوا الى البارة وفتكوا فيها تقدير خمسين رجلًا وكان عسكر دمشق وصل الى ناحيــة شيزر لانجاد ياغي سيان فلما نزلت هذه الفرقة المذكورة على البارة نهضوا نحوهم وتطاردوا وقتل منهم جماعة وعاد الافرنج الى الروج وتوجَّهوا الى انطاكية. وغلا سعر الزيت والملح وغير ذلك وعُدم في انطاكيــة وتواصل ذلك اليها سرقةً فرخص فيها وجعل الافرنج بينهم وبين انطاكية خندقًا لكثرة

الغارات عليهم من عسكر انطاكية وقد كان الافرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بان يسلِّموا اليه اول بلد يفتحونه ففتحوا نيقية وهي اول مكان فتحوه فلم يفوا لهُ بذلك ولا سلَّموها اليه على الشرط وافتتحوا في طريقهم بعد الثغور والدروب. وفي هذه السنة وردت الاخبار من (73v) ناحية حلب بفساد حال رئيسها المعروف بالمجنّ لما كان عليه من التمكُّن والغلبة على الامر وارتكاب الظلم بحيث قُبض عليه ونُهبت داره وقُتل مع من قُتل من اولاده واستؤصلت شأفته وذلك مجازاة الساعي في قتل النفوس وسفك الدماء وما هي من الظالمين ببعيد وذلك في ذي القعدة. وفي هذه السنة استوزر الملك رضوان ابا الفضل بن الموصول ولُقب مشيّد الدين بحلب

سنة احدى وتسعين واربعمائة

في آخر جمادى الاولى منها ورد الخبر بان قوماً من اهل انطاكية من حملة الامير ياغي سيان من الزرَّادين عملوا على انطاكية وواطوا الافرنج على تسليمها اليهم لاساءة تقدَّمت منه في حقّهم ومُصادرتهم ووجدوا الفرصة في برج من ابراج البلد ممَّا يلي الجبل باعوه للافرنج واطلعوهم الى البلد منهُ في الليل وصاحوا عند الفجر فانهزم ياغي سيان وخرج في خلقٍ عظيم فلم يسلم منهم شخصٌ ولما حصل بالقرب من ارمناز ضيعة بقرب من معرّة مصرين سقط عن فرسه على الارض فحمله بعض اصحابه واركبه فلم يثبت على ظهر الفرس وعاود سَقَطَ فمات رحمه الله. واما انطاكية فقُتل منها وأُسر وسُبي من الرجال والنسوان والاطفال ما لا يُدرِكه حصرٌ وهرب الى القلعة تقدير ثلثة الاف تحصَّنوا بها وسلِم من كتب الله سلامته

وفي شعبان منها وردت الاخبار بخروج الافضل امير الجيوش من مصر في عسكر كثير الى ناحية الشام ونزل على بيت المقدس وفيه الاميران سكمان وايل غازي ابنا ارتق وجماعة من اقاربهما ورجالهما وخلق كثير من الاتراك فراسلهما يلتمس منهما تسليم بيت المقدس اليه من غير حرب ولا سفك دم فلم يجيباه الى ذلك فقاتل البلد ونصب عليه المناجيق فهدمت ثلمة من سوره وملكه وتسلَّم محراب داود من سكمان ولما حصل فيه احسن اليهما وانعم عليهما واطلقهما ومن معهما ووصلوا الى دمشق في العشر الاوَّل من شوَّال وعاد الافضل في عسكره الى مصر. وفيها توجّه الافرنج الى معرّة النعمان باسرهم ونزلوا عليها في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة وقاتلوها ونصبوا عليها

Marfat.com

البرج والسلالم. وبعد افتتاح الافرنج بلد (74٢) انطاكية بتدبير الزرّاد وهو رجل ارمني اسمه نيروز في ليلة الجمعة مستهلّ رجب وتواصلت الاخبار بصحّة ذلك تجمّعت عساكر الشام في العدد الذي لا يدركه حصرٌ ولا حزرٌ وقصدوا عمل انطاكية للايقاع بعساكر الافرنج فحصروهم حتى عُدم القوت عندهم حتى اكلوا الميتــة ثم زحفوا وهم في غاية من الضعف الى عساكر الاسلام وهم في الغــاية من القوّة والكثرة فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم وانهزم اصحــاب الجُرد السبق ووقع السيف في الرجال المتطوّعين والمجاهدين والمغالبين في الرغبة في الجهاد وحماية المسلمين في ذلك في يوم الثلثاء السادس من رجب في السنــة

واهاَت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة

في المحرَّم منها زحف الافرنج الى سور معرّة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية واسندوا البرج الى سورها وهو اعلى منه فكشفوا المسلمين عن السور ولم يزل الحرب عليه الى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محرَّم وصعدوا السور وانكشف اهــل البلد عنه وانهزموا بعد ان تردّدت اليهم رسل الافرنج في التماس التقرير والتسليم واعطاء الامان على نفوسهم واموالهم ودخول الشحنة اليهم فمنع من ذلك الخلف بين اهلها وما قضاهُ الله تعالى وحكم بهِ وملكوا البلد بعد صلاة المغرب وقُتــل فيه خلق كثير من الفريقين وانهزم الناس الى دور المعرّة للاحتماء بهــا فامنهم الافرنج وغدروا بهم ورفعوا الصلبان فوق البلد وقطعوا على اهل البلد القطــائع ولم يفوا بشيء ممّا قرروهُ ونهبوا ما وجدوهُ وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم بهِ ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر الى كفرطاب. ثم قصدوا بعد ذلك ناحية بيت المقدس اخر رجب من السنــة واجفل الناس منهم من اماكنهم ونزلوا اولًا على الرملة فملكوها عند ادراك الغلّة وانتقــلوا الى بيت المقدس فقاتلوا اهله وضيّقوا عليهم ونصبوا عليه البرج واسندوا الى السور (١. وانتهى اليهم خروج الافضل من مصر في العساكر الدثرة لجهادهم والايقــاع بهم وانجاد البلد عليهم وحمايته منهم فشدّوا في قتاله ولازموا حربه الى اخر نهــار ذلك اليوم وانصرفوا

---

١) وقال الفارقي في تاريخه: ان في سنة ٤٩١ ظهرت الافرنج فخرجت فملكت انطاكيــة وطراباس وفي سنــة ٤٩٢ ملكوا بيت المقدس وما حواله من صور وعكّة وفي ٤٩٨ ملكوا باقي الساحل وقوي امرهم وملكوا الرُها وما حولها من الحصون الفراتيّة

Marfat.com

عنه وواعدهم الزحف اليهم من الغـد ونزل الناس عن السور وقت المغرب (74v)
فعاود الافرنج الزحف اليه وطلعوا البرج وركبوا سور البلد فانهزم الناس عنه وهجموا على
البلد فملكوه وانهزم بعض اهله الى المحراب وقُتل خلق كثير وجمع اليهود في الكنيسة
واحرقوها عليهم وتسلَّموا المحراب بالامان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة
وهدموا المشاهد وقبر الخليل عم. ووصل الافضل في العساكر المصريّة وقد فات الامر
فانضاف اليه عساكر الساحل ونزل بظاهر عسقلان في رابع عشر شهر رمضان منتظرًا
لوصول الاسطول في البحر والعرب فنهض عسكر الافرنج اليـه وهجموا عليه في خلق
عظيم فانهزم العسكر المصري الى ناحية عسقلان ودخل الافضل اليها وتمكَّنت سيوف
الافرنج من المسلمين فاتى القتـل على الراجل والمطوّعة واهل البلد وكانوا زهاء عشرة
الاف نفس ونهب العسكر وتوجّه الافضل في خواصّه الى مصر وضايقوا عسقـلان الى
ان قرَّروا عليها بعده الافرنج عشرين الف دينار تُحمـل اليهم وشرعوا في جبايتها من
اهل البلد فاتّفق حدوث الخلف بين المقدّمين فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئًا وحُكي
ان الذين قُتلوا في هذه الوقعة من اهل عسقلان من شهودها وتُنَّائها وتجارها واحداثها
سوى اجنادها الفان وسبعمائة نفس

سنة ثلث وتسعين واربعمائة

في صفر منها ورد الخبر بوصول السلطان بركيارق الى بغداد بعد ان جرى بينه وبين
اخيه السلطان محمد تبر خُلف وحرب واستظهر فيها عليه وغلبه على مدينة اصفهـان
وحصل بها. وتوجّه الملك شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة من دمشق في عسكره الى
ديار بكر لتسلّمها من المستولي عليها ووصل الى الرحبة في البرّيّة ووصل الى ديار بكر
وتسلَّم ميافارقين ورتّب فيها من يحفظها ويذبّ عنها (١ . وفي رجب منها خرج بيمند

---

١) وقال الفارقي في تاريخه: قيل ومُلكت جميع ديار بكر بعد موت السلطان تاج الدولة ولم
تبقَ للملك دقاق غير ميافارقين والامير ابرهيم (بن) ينـال بيده آمد وبقي في يد اولاده الى
الان (يعني سنة ٥٧٢) وملك حسـام الدولة تمتكين بدليس وارزن وكان ملك ارزن الامير
شاروَخ واخذها حسام الدولة وملك الامير شاروَخ حاني وملك قزل ارسلان السبع الاحمر اسعرد
وطنزي وباهمود وكان ملك مدينة دُوَين من بلد ارزن وملك الامير سكمان بن ارتق حصن كيفا
سنة ٤٩٥ واخذها من الامير موسى وقتله وبقيت لهم الى الان ولمَّا مات الامير سكمان ملكها بعده
ولده الامير ابرهيم مدّة ومات وملكها بعـده ولده الامير داود بن سكمان وبقيت في يد اولاده

Marfat.com

ملك الافرنج صاحب انطاكية الى حصن افامية ونزل عليــه واقام اياماً واتلف زَرْعه ووصل الخبر بوصول الدَنشمند الى ملطية في عسكره من الاتراك في خلقٍ عظيم ومن عسكر (قلج ارسلان بن) سليمان بن قتلمش فعاد بيمند عند معرفة ذاك الى انطاكية وجمع وحشد وقصد عسكر المسلمين فنصر الله تعالى المسلمين عليــه وقتلوا من حزبه خلقاً كثيرًا (75r) وحصل في قبضة الاسر مع نفرٍ من اصحابه ونفذت الرُسل الى نوّابه بانطاكية يلتمسون تسليمها في العشر الثاني من شهر صفر سنة ٤٩٣ . وفيهــا وردت الاخبار بان الآبار غارت في عدَّة جهــات من اعمال الشمال والمنابع في اكثر المعاقل وقلَّت وتقلَّصت الاسعار فيها

سنة اربع وتسعين واربعمائة

فيها جمع الامير سكمان بن ارتق خلقاً كثيرًا من التركمان وزحف بهم الى افرنج الرُها وسروج في شهر ربيع الاوَّل وتسلّم سروج واجتمع اليه خلق كثير وحشــد الافرنج ايضاً والتقى الفريقان وقد كان المسلمون مشرفين على النصر عليهم والقهر لهم فاتفق هروب جماعةٍ من التركمان فضعفت نفسه وانهزم ووصــل الافرنج الى سروج فتسلَّموها وقتلوا اهلها وسبوهم الَّا من افلتَ منهم هزيمًا . (و) في هــذه السنة توفي القاضي الفقيه الامــام ابو اسحق ابرهيم بن محمد بن عقيــل بن زيد الشهرزوري الواعظ رحمه الله يوم الاثنين السابع من المحرَّم منها . وفي هذه السنة وصل كندفري صاحب بيت المقــدس الى ثغر عكا واغار عليه فاصابه سهم فقتلهُ وكان قد عمَّر يافا وسلَّمها الى طنكري فلما قُتل كندفري سار اخوه بغدوين القمص صاحب الرُها الى بيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فجمع شمس الملوك دقاق عند معرفة خبر عبوره ونهض اليه معه الامير جناح الدولة صاحب حمص فلقوه بالقرب من ثغر بيروت فسارع

الى الان وملك الباقون ماردين وحصَّلوا هؤلاء امراء البلاد وميافارقين بها الامير التاش من قبل الملك دقاق . قيل وفي سنة ٤٩١ عاد الملك دقاق الى ميافارقين وحضر الى خدمتــه جميع امراء لهُ بديار بكر وكان معهُ الوزير محمد العجمي من اهل دوين

واما آمد قال المصنف في النسخة السابقة من هذا التاريخ ان بعد قتل تاج الدولة ملك آمد الامير صادر مدَّة ثم مات وولاها الامير ينال اخوه مدَّة ومات وملكها فخر الدولة ابرهيم وبقيت بيده مدَّةً ومات وملكها ولده سعد الدولة ايكلدي الى سنة ٥٦ ومات وولّى بعــده ولده جمال الدين محمود الى يومنا هذا وهي بيده الى الان (يعني سنة ٥٦٠)

Marfat.com

نحوه جناح الدولة في عسكره فظفر بهِ وقتل بعض اصحابه. وفيها افتتح الافرنج حيفا على ساحل البحر بالسيف وارسوف بالامان واخرجوا اهلها منها. وفي اخر رجب منها فتحوا قيسارية بالسيف وقتلوا اهلها ونهبوا ما فيها واعانهم الجنويّون عليها

وفيها ورد الخبر بقرب السلطان بركيارق من بغداد في عسكره طالبًا للقاء اخيه محمد (١ فأُسر وقُتل وأَخذ وزيره (٢ وجماعة من مقدّميه وامر بقتلهم وتوجّه من وقته الى ناحية اصفهان فنزل عليها عند وصوله اليها وتقرَّر امرها بحيث ملكها وحصل فيها وهي دار السلطنة واستقام (75v) لهُ الامر بها. وفيها تقدَّم الخليفة المستظهر بالله امير المؤمنين ببغداد بالقبض على عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير وزيرهِ وعلى نوّابه واسبابه ومصادرتهم وقتلهم لاشياء نقمها عليه ومنكراتٍ عُزيت اليه. وفي شعبان منها ارسل القاضي ابن صُلَيحة المتغلّب على ثغر جبلة الى الامير ظهير الدين اتابك يلتمس منه انفاذ من يراه من ثقاته ليسلّم اليه ثغر جبلة ويصل الى دمشق بماله وحاله ويسيّره الى بغداد تحت الحوطة والامان والحماية وجميل الرعاية فاجابه الى ما اقترحه ووعده بتحقيق امله وندب لولاية الثغر المذكور ولده الامير تاج الملوك بُوري وكان الملك شمس الملوك دقاق غائبًا عن دمشق في ديار بكر فعاد منها ودخل الى دمشق في اوّل شوّال من السنة وتقرَّرت الحال على ما التمس ابن صُلَيحة وتوجّه تاج الملوك في اصحابه الى جبلة فتسلّمها وانفصل ابن صُليحة عنها ووصل الى دمشق باصحابه واسبابه وكراعه ودوابّه وكل ما تحويه يده من مالٍ واثاثٍ وحال فاكرم مثواه واحسن لُقياه واقام ما اقام بدمشق وسُيّر الى بغداد مع فرقةٍ وافرةٍ من الاجناد بجميع ما يملكه وحصل بها واتّفق لهُ من وشى بمالهِ وعظّم سعة حالهِ الى السلطان ببغداد فنُهب واشتمل على ما كان يملك. واما تاج الملوك فانهُ لما ملك ثغر جبلة وتمكّن هو واصحابه فيها اساءوا الى اهله وقبحوا السيرة فيهم وجَرَوا على غير العادة المرضية من العدل والانصاف فشكوا حالهم فيما نزل بهم الى القاضي فخر الملك ابي علي عمّار بن محمد بن عمّار المتغلّب على ثغر طرابلس لقُربها منهم فوعدهم المعونة على مرادهم واسعادهم بالانفاذ لهم وانهض اليهم عدّةً وافرةً من عسكره فدخلت الثغر واجتمعت مع اهله على الاتراك فقهروهم واخرجوهم منه وملكوه وقبضوا تاج الملوك وحملوه الى طرابلس فاكرمه فخر الملك

---

١) وفي الاصل: للقاء اخيه السلطان بركيارق بعسكر اخيه محمد

٢) وهو مؤيّد الملك ابو بكر عبد الله بن نظام الملك

Marfat.com

واحسن اليه وسيره الى دمشق وكتب الى والده اتابك يعرّفه صورة الحال ويعتذر اليه مما جرى. وفيها قبض الملك شمس الملوك دقاق على امين الدولة ابي محمد بن الصوفي رئيس دمشق وصالحهُ على جملةٍ من المال يحملها الى خزانته واطلقه من الاعتقال واقرّه على رئاسته

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف مع الامير سعد الدولة المعروف بالقوامسي ووصل الى (76[1]) عسقلان لجهاد الافرنج في اوّل شهر رمضان واقام بحيث هو الى ذي الحجة منها ورحل عن عسقلان ونهض اليهِ من الافرنج الف فارس وعشرة الاف راجل والتقى الفريقان فكُسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم وتبعوهم وبقي سعد الدولة المقدّم في نفر يسير من عسكره في القلب فحمل الافرنج عليهِ وطلب الشهادة فعاجله القضاء وكبا بهِ جواده وسقط عنهُ الى الارض فاستُشهد مكانه رحمهُ الله ومضى شهيداً مأجوراً. وعاد المسلمون على الافرنج وتذامروا عليهم وبذلوا النفوس في الكرّة اليهم فهزموهم الى يافا وقتلوا منهم واسروا وغنموا وكانت العُقبى الحسنة لهم ولم يُفقد الّا نفر يسير منهم. وفيها انكفأ الامير كربوقا صاحب الموصل والجزيرة عن السلطان بركيارق لمشاهدة احوال ولايته واستعادة المخالفين الى طاعته فلما وصل الى مراغة عرض لهُ مرض الموت واشتدّ بهِ وتوفّي هُناك وسار الى ربّه. وفي هذه السنة وصل السلطان بركيارق بن ملك شاه الى بغداد منهزماً من اخيه السلطان محمد في اخرها

سنة خمس وتسعين واربعمائة

وفي هذه السنة وردت الاخبار بما اهل خراسان والعراق والشام عليهِ من الخلاف المستمرّ والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الوُلاة عنهم وعن النظر في احوالهم بالخُلف والمحاربة. وفيها وصل قمص الرُها مقدّم الافرنج في عسكره المخذول الى ثغر بيروت فنزل عليه طامعاً في افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليهِ ولم يتهيّأ فيهِ مرادٌ فرحل عنهُ. ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس يلتمس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الافرنج على طرابلس ويستصرخ بالعسكر الدمشقي ويستغيث بهم فأُجيب الى ما التمس ونهض العسكر نحوه وقد استدعى الامير جناح الدولة صاحب حمص فوصل ايضاً في عسكره

Marfat.com

فاجتمعوا في عددٍ دثرٍ وقصدوا ناحية انطرطوس ونهد الافرنج اليهم في جمعهم وحشدهم وتقارب الجيشان والتقيا هُناك فانفلّ عسكر المسلمين من عسكر المشركين وقُتل منهم الخلق الكثير وقفل من سلم الى دمشق وحمص بعد فُقد من (76ٌ) فُقد منهم ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الاخرة

وفيها وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة المستعلي بالله امير المؤمنين ابن المستنصر بالله صاحب مصر في صفر منهـا وعمره سبع وعشرون سنة ومولده سنة ٤٦٨ وكانت مدَّة ايامه سبع سنين وشهرين ونقش خاتمه « الامام المستعلي بالله امير المؤمنين » وكان حسن الطريقة جميـل السيرة في كافّة الاجناد والعسكريّة وسائر الرعيّة لازماً قصره كعادة ابيه المستنصر بالله منكفئاً بالافضـل سيف الاسلام ابن امير الجيوش فيما يريده باصالة رأيه وصواب تقديره وامضائه وقام في الامر بعـده ولده ابو علي المنصور بن المستعلي بالله ابي القاسم احمد واخذ لهُ البيعة على الاجناد والامراء وكافة الرعايا والخدم والاولياء الافضل السيّد ابو القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش واجلسه في منصب ابيه عقيب وفاته ولُقِّب بالآمر باحكام الله واستقام لهُ الامر بحسن تدبير الافضل وانتظمت بهِ الاحوال على غاية المباغي والآمال

وفي هذه السنة خرجت العساكر المصرية من مصر (١ لانجاد ولاة الساحل في الثغور الباقية في ايديهم منها على منازليهم من احزاب الافرنج ووصلت الى عسقلان في رجب ولما عرف بغدوين قمص بيت المقدس وصولهم نهض نحوهم في جمعه من الافرنج في تقدير سبعمائة فارس وراجل اختارهم فهجم بهم على العسكر المصري فنصره الله على حزبه المفلول وقتلوا اكثر خيله ورجالته وانهزم الى الرملة في ثلثة نفر وتبعوهُ واحاطوا بهِ فتنكر وخرج على غفلةٍ منهم وقصد يافا وافلت منهم فكان قد اختفى في اجمة قصب حين تُبع وأُحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها وحصل بيافا فاوقع السيف في اصحابه وقتل وأُسر من ظُفر بهِ في الرملة من رجاله وابطـاله وحملوا الى مصر في اخر رجب من السنة . وفي هذا الوقت وصلت مراكب الافرنج في البحر تقدير اربعين مركبا ووردت الاخبار بان البحر هاج بها واختلفت اریاحه عليها فعطب اكثرها ولم يسلم منها الّا القليل وكانت مُشحَنةً بالرجال والمال

---

١) قال سبط ابن الجوزي : مع نصير الدولة يمن

Marfat.com

سنة ستّ وتسعين واربعمائة (77[٢])

فيها برز الملك شمس الملوك دقاق وظهير الدين اتابك من دمشق في العسكر وقصد الرحبة ونزل عليها وضايق من بها وقطع اسباب الميرة عنها واضرّ بالمضايقة الى ان اضطرّ المقيم بها الى طلب الامان لهُ ولاهل البلد فأُومنوا وسُلّمت اليهِ بعد القتال الشديد والحرب المتّصلة في جمادى الاخرة منها ورتّب امرها وندب من رآه من الثقات لحفظها وقرّر احوال من بها ورحل عنها في يوم الجمعة الثاني والعشرين منها منكفئاً الى دمشق

وفيها ورد الخبر من حمص بان صاحبها الامير جناح الدولة حسين اتابك نزل من القلعة الى الجامع لصلاة الجمعة وحوله خواصّ اصحابه بالسلاح التام فلما حصل بموضع مُصلّاهُ على رسمه وثب عليه ثلثة نفر عجم من الباطنيّة ومعهم شيخ يدعون لهُ ويسمعونه في زيّ الزُهاد فوعدهم فضربوه بسكاكينهم وقتلوه وقتلوا معه جماعة من اصحابه وكان في الجامع عشرة نفرٍ من مُتصوّفة العجم وغيرهم فاتّهموا وقُتلوا صبراً مظلومين في الوقت عن اخرهم. وانزعج اهل حمص لهذا الحديث واجفلوا في الحال وهربت اكثر سُكّانها من الاتراك الى دمشق واضطربت الاحوال بها وراسلوا الملك شمس الملوك بدمشق يلتمسون انفاذ من يتسلّم حمص ويُعتمَد عليه في حمايتها والذبّ عنها قبل انتهاء الخبر الى الافرنج وامتداد اطماعهم فيها فسار الملك شمس الملوك وظهير الدين اتابك في العسكر من دمشق ووصل الى حمص وتسلّمها وحصل في قلعتها ووافق ذلك وصول الافرنج اليها ونزولهم على الرستن لمضايقتها ومنازلتها فحين عرفوا ذلك احجموا عن القرب اليها والدنو منها ورحلوا عنها

وقد كان المعروف بالحكيم المنجّم الباطني صاحب الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب اوّل من اظهر مذهب الباطنيّة في حلب والشام وهو الذي ندب الثلثة النفر لقتل جناح الدولة بحمص وورد الخبر بهلاكه بعد الحادثة باربعة عشر يوماً. ولمّا رتّب شمس الملوك امر حمص وقرّر احوالها وانكفأ عائدًا الى دمشق في اوّل شهر رمضان خرجت العساكر المصريّة من مصر الى البرّ والاصطول في البحر مع شرف ولد الافضل شاهنشاه وكتب في استدعاء المعونة على (77[٣]) الجهاد ونُصرة العباد والبلاد بانفاذ العسكر الدمشقي فأُجيب الى ذلك وعاقت عن مسيره اسبابٌ حدثت وصوادف صدفت ووصل اصطول البحر ونزل على يافا اخر شوال واقام اياماً وتفرّق الاصطول والعساكر الى

Marfat.com

الساحل وكانت الاسعـــار بها قد ارتفعت والاقوات قد قلّت فصلحت بما وصل مع الاصطول من الغلّة ورخص الاسعار الّا ان غارات الافرنج متّصلة عليها

وفي ذي القعدة من السنـــة تواترت الاخبار بخروج قاج ارسلان بن سليمان بن قتلمش من بلاد الروم طالباً انطاكية ووصوله الى قريب من مرعش وجرى بينهُ وبين الامير الدانشمند صاحب ملطية خلفٌ ومنازعةٌ اوجبت عوده عليه وايقـــاعه بهِ وفلّ عسكرهِ والفتك برجاله ولمّا انكفأ بعد ذلك قيـــل انهُ وصل الى الشام وارسل رسوله الى حلب يلتمس الاذن للسفار بالوصول الى عسكره بالميَر والازواد وما يحتاج اليه سائر العسكريّة والاجناد فسُرّ الناس بذلك وتباشروا بهِ

سنة سبع وتسعين واربعمائة

في رجب منها وردت الاخبـــار بوصول الافرنج في البحر من بلادهم الى ظاهر اللاذقية مشحونة بالتجار والاجناد والحجاج وغير ذلك وان صنجيل المنـــازل لطرابلس استنجد بهم على طرابلس في مضايقتها والمعونة على ملكتها وانهم وصلوا اليه فاجتمعوا معه على منازلتها ومضايقتها فقاتلوها اياماً ورحلوا عنها. ونزلوا على ثغر جُبيـــل فقاتلوه وضايقوه وملكوه بالامان فلما حصـــل في ملكتهم غدروا باهله ولم يفوا بما بذلوه من الامان وصادروهم واستنفدوا احوالهم واموالهم بالعقوبات وانواع العذاب. وورد الخبر باجتماع الاميرين سُكمان بن ارتق وجكرمش صاحب الموصـــل في عسكرهما وتعاهدا وتعاقدا على المجاهدة في اعداء الله الافرنج وبذل الطاقة والاستطـــاعة في حربهم ونزلا في اوائل شعبان من السنـــة برأس العين. ونهض بيمند وطنكري في عسكريهما من ناحية انطاكية الى الرُها لانجاد صاحبها على الاميرين المذكورين فلما قربا من عسكر المسلمين النازلين على الرُها تأهّب كل من الفريقين للقاء صاحبه فالتقوا في تاسع شعبان فنصر الله المسلمين عليهم وهزموهم وقتلوا منهم (78[1]) مقتلة كثيرة وكانت عِدّتهم تزيد على عشرة الاف فارس وراجل سوى السواد والاتباع وانهزم بيمند وطنكري في نفرٍ يسيرٍ وكان نصراً حسناً للمسلين لم يتهيّأ مثلهُ وبهِ ضعفت نفوس الافرنج وقلّت عدّتهم وفلّت شوكتهم وشكّتهم وقويت نفوس المسلمين وارهنت وارهفت عزائمهم في نصرة الدين ومجاهدة الملحدين وتباشر النـــاس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم

وفي هذا الشهر ورد الخبر بنزول بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس في عسكره

Marfat.com

على ثغر عكا ومعه الجنويّون والمراكب في البحر والبرّ وهم الذين كانوا ملكوا ثغر جُبيل في نيف وتسعين مركباً فحصروه من جهاته وضايقوه من جوانبه ولازموه بالقتال الى ان عجز واليه ورجاله عن حربهم وضعف اهله عن المقاتلة لهم وملكوه بالسيف قهراً. وكان الوالي بهِ الامير زهر الدولة بنأ الجيوشي فد خرج منهُ لعجزه عن حمايته وضعفه عن المراماة دونه وانفذ يلتمس منهم الامان لهُ ولاهل الثغر لِيأسه من وصول نجدةٍ او معونةٍ فلمَّا ملك الثغر تمّ على حاله منهزماً الى دمشق فدخلها واكرمه ظهير الدين اتابك واحسن تلقّيهُ وكان وصوله الى دمشق في يوم الخميس لثلاثٍ بقين من شعبان وتقدَّم شمس الملوك دقاق وظهير الدين اتابك في حقّه بما طيّب نفسه واكّد أُنسه واقام بدمشق الى ان تسهّلت لهُ السبيل في العود الى مصر فتوجَّه اليها عائداً ووصل اليها سالماً واوضح عذره فيما تمّ عليه من الغلبة فقُبل عذره بعد الانكار عليه والغيظ من فعله

وفي هذه السنة عرض للملك شمس الملوك دقاق بن السلطان تاج الدولة صاحب دمشق مرض تطاول بهِ ووقع معه تخليط الغذاء اوجب انتقاله الى علّة الدقّ فلم يزل بهِ وهو كل يوم في ضعفٍ ونقصٍ فلما اشفى ووقع اليأس من بُرءه وانقطع الرجاء من عافيته تقدَّمت اليه والدته الخاتون صفوة الملك بان يوصي بما في نفسه ولم يترك امر الدولة وولده سُدًى فعند ذلك نصّ على الامير ظهيرِ الدين اتابك في الولاية بدمشق من بعده والحضانة لولده الصغير تتش بن دقاق بن تاج الدولة الى حين يكبر واحسان تربيته والقى اليه ما كان في نفسه وتوفّي الى رحمة الله في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان من السنة

وقد (78ظ) كان ظهير الدين اتابك قبل هذه الحال في عقابيل مرض اشفى منهُ وتداركه من الله تعالى العافية وابلّ من مرضه وشرع في احسان السيرة في العسكريّة والرعيَّة واحسن الى الامراء والمقدّمين من الدولة واطلق يده من الخزانة في الخلع والتشريفات والصلات والهبات وامر بالمعروف ونهى عن المنكر واقام الهيبة على المفسدين المسيئين وبالغ في الاحسان الى المطيعين والمحسنين وتألّف القلوب بالعطاء واستمال الجانح بالتردُّد والحباء واستقامت لهُ الامور واجمع على طاعته الجمهور. وقد كان الملك شمس الملوك قد حمل على الرئيس ابي محمد بن الصوفي رئيس دمشق الى ان قبض عليه في سنة ٤٩٦ وبقي معتقلاً الى ان قُرّرت عليه مصالحةٌ نهض فيها وقام بها وبعد ذلك عرض لهُ مرض قضى فيه محتوم نحبهِ وصار منه الى ربّه وقام بعده في منصبه ولده ابو المجالي

Marfat.com

سيفٌ واخوه ابو الذواد المفرج وكتب لهما المنشور في الاشتراك في الرئاسة واحضرهما ظهير الدين اتابك عقيب وفاة شمس الملوك وطيّب نفسيهما ووكّد الوصيّة عليهما في استعمال النهضة في سياسة الرعايا وإنهاء احوالهما فيما يستمرّ عليها من صلاحٍ وفسادٍ ليقابل المحسن اليها بالاحسان والجاني عليها بالتأديب والهوان فامتثلا اوامره وعملا باحكامه. فكان الملك شمس الملوك رحمه الله قبل وفاته قد سيَّر اخاه الملك ارتاش ابن السلطان تاج الدولة الى حصن بعلبك ليكون بهِ معتقلًا عند واليه فخر الدولة خادم ابيه كمشتكين التاجي فرأى ظهير الدين اتابك في حكم ما يلزمه لاولاد تاج الدولة ان ارسل الخادم المذكور في اطلاقه واحضاره الى دمشق فوصل اليها وتلقّاه واكرمه وبجّله وخدمه واقامه في منصب اخيه شمس الملوك وتقدَّم الى الامراء والمقدّمين والاجناد بالطاعة لأمره والمناصحة في خدمته واجلسه في دست المملكة في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٤٩٧ فاستقامت بذلك الامور وسكنت اليه نفوس الجمهور. واتّفق للامر المقضي الذي لا يُدافَع والمحتوم الذي لا يُمانَع من سعى في افساد هذا التدبير ونقض هذا التقرير فاوحش الملك محي الدين ارتاش من ظهير الدين اتابك (79r) ومن الخاتون صفوة الملك والدة شمس الملوك واوقعت امه في نفسه الخوف منهما واوهمته انهما ربّما عَمِلا عليهِ فقتلاه والامر بالضدّ ممَّا نقله الواشي اليهِ والقاه فخاف منهما وحُسّن لهُ الخروج من دمشق ومملكتها والعود الى بعلبك لتجتمع اليهِ الرجال والعسكرية فخرج منها سرًا في صفر سنة ٤٩٨ وخرج ايتكين الحلبي صاحب بُصرَى اليها هاربًا لتقرير كان بينهما في هذا الفساد فعاثا في ناحية حوران وراسلا بغدوين ملك الافرنج بالاستنجاد بهِ وتوجّها نحوه واقاما عنده مدَّةً بين الافرنج يُحرّضانه على المسير الى دمشق ويبعثانهِ على الافساد في اعمالها فلم يحصلا منهُ على حاصل ولا ظفرا بطائل فحين يئسا من المعونة وخاب املهما في الاجابة توجَّها الى ناحية الرحبة في البرّية (١ . واستقام الامر بعدهما لظهير الدين اتابك وتفرّد بالامر واستبدّ بالرأي وحسنت احوال دمشق واعمالها بايالته وعمرت بجميل سياسته. وقضى الله تعالى بوفاة تُتُش ولد الملك شمس الملوك دقاق المقدّم ذكره في هذه الايام. واتّفق ان الاسعار رخصت والغلات ظهرت وانبسطت الرعيّة في عمارة الاملاك في باطن دمشق وظاهرها لاحسان سيرته واجمال معاملته وبثّ العدل فيهم وكفّ اسباب الظلم عنهم

١) وفي تاريخ الاسلام انهُ هلك ارتاش في طريقه

Marfat.com

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية طرابلس بظهور فخر الملك ابن عمار صاحبها في عسكره واهل البلد وقصدهم الحصن الذي بناه صنجيل عليهم (١ وانهم هجموا عليهِ على غرّةٍ ممن فيهِ فقتل من بهِ ونهب ما فيهِ واحرق وأخرب وأخذ منهُ السلاح والمال والديباج والفضّة الشيء الكثير وعاد الى طرابلس سالماً غانماً في التاسع عشر من ذي الحجة. وقيل ان يسند صاحب انطاكية ركب في البحر ومضى الى الافرنج يستصرخها ويستنجد بهم على المسلمين في الشام واقام مدّة وعاد عنهم منكفئاً الى انطاكية

سنــة ثمان وتسعين واربعمائة

فيها عرض لظهير الدين اتابك مرضٌ اشتدّ بهِ ولازمه وخاف منهُ على نفسه واشفق على اهله وولده واصحابه ورعيّته ان تمّ عليهِ امرٌ وتواصلت مكاتبات فخر الملك بن عمّار (79ᵛ) ورسله من طرابلس بالاستصراخ والاستنجاد على الافرنج النازلين عليها والبعث على تعجيل اعانته بمن يصل اليهِ من العساكر لكشف غمّته وتفريجِ كربته وقد كان الامير سكمان بن ارتق والامير جكرمش صاحب الموصل قد اتفقــا على الجهاد في المشركين ونصرة المسلمين فنتج لظهير الدين فكرةٌ ورايةٌ فيما نزل بهِ من المرض المخوف ان يرسل الامير سكمان بن ارتق يستدعي وصوله الى دمشق في عسكره ليوصي اليهِ ويعتمد في حماية دمشق عليه. ونفذت اليه ايضاً مكاتبة ابن عمّار بتحريضه على المسارعة الى ذلك والقصد لنصرته وبذل لهُ مالاً جزيلاً على معونتــه ونصرته فحين واقف على مضمون المكاتبات اجاب الى المقترح عليهِ وسارع اليه وثنى عنانه الى دمشق مُغذّاً في سَيره مواصلاً لجدّة نجدهِ وتشميره وقطع الفرات الى ما حُضّ عليه والمغارات. فلمّا وصل الى القريتَين واتصل خبره الى اتابك لامه اصحابه وخواصه على ما فرط في تدبيره وعنّفوا رأيه فيما استــدعاه وخوّفوه عاقبة ما اتاه وقالوا لهُ: اذا وصلت الامير سكمان بن ارتق دمشق واخرجتها من يدك كيف يكون حالك واحوالنــا او ليس قد عرفت نوبة اتسز لمّا استدعى السلطان تاج الدولة بن البارسلان وسلّم اليهِ دمشق كيف بادر باهلاكه ولم يمهله ولا اهله. فعند ذلك افاق لتلطته وتنبّه لتغفلته وندم ندامة الكُسعيّ (٢ وزاده هذا الامر مرض الفؤاد مع مرض الجسم. وبينما هو واصحابه من التفكر فيما يُعتمد من

---

١) وفيهِ ايضاً انهُ على ميلٍ منها

2) *Freytag*, Arab. Prov., II, 776 et Tabari I, 3184. i).

Marfat.com

امره وتدبير بهِ حاله عند وصوله والخبر ورد من القَرْيتين بان الامير سكمان ساعة وصوله في عسكره الى القريتين ونزوله لحقه مرضٌ شديد وقضى منهُ محتوم نحبه وصار الى رحمة ربّه وحمله اصحابه في الحال ورحلوا عائدين بهِ فسُرَّ اتابك بهـذه الحال سروراً زائداً كان معهُ بدء سعادته وعود بُرئه الى جسمه وعافيته فسبحان مدبّر الخلق بحكمته ومُسبّب الاسباب بقدرته وقصدوا ناحية الجزيرة وذلك في اوّل صفر من السنة

وفي هذه السنة وردت الاخبار بهلاك صنجيل مقدّم الافرنج النازلين على ثغر طرابلس في رابع جمادى الاولى بعد ان كان الامر استقرّ بينه وبين فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس من المهادنة على ان يكون ظاهر طرابلس لصنجيل بحيث لا (80) يقطع الميرة عنها ولا يمنع المسافرين منها. وفي اوّل السنة ورد الخبر بوصول السلطان محمد تبر ابن ملك شاه الى الموصل ونزوله عليها وخروج الامير جكرمش صاحبها اليهِ باذلًا لهُ الطاعة وشروط الخدمة ورحل عنها. وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان بركيارق ابن السلطان ملك شاه رحمهُ الله بنهاوند بعد ان تقرّرت الحال بينهُ وبين اخيهِ بحيث تكون مملكة خراسان باسرها للسلطان ابي الحرث سنجر واصفهان واعمالها وبغداد وما والاها برسم السلطان بركيارق والسلطنة لهُ وارمينية واذربيجان وديار بكر والموصل والجزيرة والشام وما يليها للسلطان محمد تبر. وتوجّهت عساكر السلطان بركيارق بعد وفاته الى بغداد ومقدّمها الامير اياز ومعه الامير صدقة بن مزيد بن دُبيس(١ وتوجّه السلطان محمد الى بغداد ايضاً. فلمّا عرف الامير اياز خبره خاف منهُ على نفسه فهرب منهُ ومعهُ ولد السلطان بركيارق ودخل السلطان محمد بغداد ووصل اليهِ الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد الاسدي واستقرّ امره معهُ. وعرف اياز ان حاله لا تستقرّ الّا بالعود الى طاعة السلطان محمد والدخول في جملته والكون في خدمته فراسله والتمس الامان منهُ والتوثقة باستحلافه على الوفاء بما عاهده عليهِ فاجابهُ الى ما رامهُ منهُ ووصل اليهِ في العسكر مع ولد السلطان بركيارق وكان طفلًا صغيراً فانضاف في جملته مع عسكره. فلمّا كان بعد ايام غدر باياز ونكث عهده واخلف وعده وقبض عليهِ وهو آمنٌ مُطمئنٌ بما توثّق بهِ من إيمانه وقتله وجعل سبب هذا الفعل اموراً اسرّها في نفسه واوردها واحتج بامور اضمرها وعددها ليُعذَر في فعله وما هو بمعذور في فعله ولا بمشكور

---

١) وهو صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي

Marfat.com

وفي اوّل شعبـــان توجه ظهير الدين اتابك الى بعلبك في العسكر ونزل عليهـــا متنكّرًا على كمشتكين الخادم التاجي واليها لاسباب انتهت اليهِ عنهُ فانكرها منهُ . فلمّا نزل عليهِ وضايقهُ وعرف ما في نفسه انفذ اليهِ ببذل الطاعة والخدمة والانكار لما اقترى بهِ عليهِ والتنصّل ممّا نُسب اليهِ والحلف على البراءة مما اختلق من المحال عليهِ فصفح لهُ عن ذلك ورضي عنهُ وقرّر (80ᵛ) امره واوعز بكفّ الاذيّة عن ناحيته . ورحل عنهـــا متوجّهًا الى ناحية حمص وقصد رفنية ونزل عليها ووفد عليه خلقٌ كثير من جبل بهرا فهجموا رفنية على حين غفلةٍ من اهلها وعرّةٍ من مستحفظهـــا وقتلوا من بها وباعمالها والحصن المحدث عليهـــا من الافرنج واحرق ما امكن احراقه في الحصن وغيره وهُدم الحصن ومُلكت ابراج رفنية وقتل من كان فيها وعاد العسكر الى حمص

وفي رجب خرج الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب وجمـــع خلقًا كثيرًا وعزم على قصد طرابلس لمعونة فخر الملك ابن عمّار على الافرنج النـــازلين عليهِ وكان الارمن الذين في حصن ارتاح قد سلّموا اليـــهِ الحصن لمّا شملهم من جور الافرنج وتزايد ظلمهم فلمّا عرف طنكرى ذلك خرج من انطاكية لقصد ارتاح واستعادتها وجمع من في اعماله من الافرنج ونزل عليها وتوجّه نحو فخر الملك في عسكره لابعاده عنهـــا وقد جمع وحشد من امكنه من عمل حلب والاحداث الحلبيين لقصـد الجهاد . فلمّا تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين فثبت راجل المسلمين وانهزمت الخيل ووقع القتل في الرجالة ولم يسلم منهم الّا من كتب الله سلامته ووصل الفلّ الى حلب وأُحصي المفقود من الخيل والرجل فكان تقدير ثلثة الف نفس . وحين عرف ذلك من كان في ارتاح من المسلمين هربوا باسرهم منها وقصد الافرنج بلد حلب فاجفل اهله منـــهُ ونُهب من نُهب وسُبي من سُبي وذلك في الثالث من شعبـــان واضطربت احوال من بالشام بعد الامن والسكون

وفي هذه السنـــة خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشرة الاف فارس وراجل مع الامير شرف (١ المعالي ولد الافضل وكوتب ظهير الدين اتابك بالاستـــدعاء للمعونة والاعتضاد الى جهـــاد الكفرة الاضداد فلم يتمكّن من الاجابة الى المراد لاسباب عاقتـــه عن المعونة والاسعاد وتوجّه في العسكر الى بُصرى فنزل عليها عازمًا على مضايقتها وفيهـــا الملك ارتاش بن تاج الدولة وايتكين الحلبي لانهما كانا عنـــد

١) وفي الاصل : « شمس » وكذا في مرآة الزمان للسبط ابن الجوزي

Marfat.com

الافرنج على ما شرح من امرهما اوّلًا . ثم استدرك الرأي واستصوب المسير الى العسكر المصري للاعتضاد على الجهاد فسار اليهِ ووصل (81r) الى ظاهر عسقلان ونزل قريباً منهُ وعرف الافرنج الخبر فتجمّعوا وقصدوا عسقلان والتقى الفريقان في رابع عشر ذي الحجة من السنة فيما بين يافا وعسقلان فاستظهر الافرنج على المسلمين وقتلوا والي عسقلان واسروا بعض المقدّمين وانهزم عسكر مصر الى عسقلان وعسكر دمشق الى بُصرى وقيل ان الذين قتلوا من المسلمين بازاء الذين قتلوا من المشركين (كانوا متقاربين) ولمّا عاد ظهير الدين والعسكر الى بُصرى وجد الملك ارتاش وايتكين الحلبي لمّا يئسا من نصرة الافرنج لهما قد قصدا ناحية الرحبة واقاما بهـا مدّةً وتفرّقا وراسل المقيمان ببصرى نوشتكين وفلوا (كذا) من ظهير الدين يطلبان منهُ الامان والمهلة لهما بالتسليم مدّة اقتراحهما فاجاب الى ما التمساهُ منهُ ورحل عنهما ولمّا بلغ الاجل منتهاه والوعد مداه سلّما بصرى اليهِ وخرجا منها ووفى لهما بما وعدهما من الامان والاقطـاع وزاد على ذلك واقاما عليهِ مدّة ايّامه

سنة تسع وتسعين واربعمائة

فيهـا خرج الافرنج الى سواد طبريّة وشرعوا في عمارة حصن علعال (١ فيما بين السواد والبثنيّة وكان من الحصون الموصوفة بالمنعة والحصانة فلمّا عرف ظهير الدين اتابك هـذا العزم منهم اشفق من اتمام الامر فيهِ فيصعب تدارُك الامر وتلافيهِ فنهض في العسكر وقصدهم وهو على غفلةٍ ممّا دهمهم فاوقع بهم وقتلهم باسرهم وملك الحصن بما فيهِ من آلاتهم وكراعهم واثاثهم وعاد الى دمشق برؤوسهم وأُسرائهم وغنائمهم وهي على غاية الكثرة في يوم الاحد النصف من شهر ربيع الاخر. وفي هـذا الشهر ظهر في السماء من الغرب كوكب لهُ ذوَّابةٌ كقوس قُزَح اخذه من المغرب الى وسط السماء وقد كان رُؤي قريباً من الشمس نهارًا قبل ظهوره في الليل واقام عدّة ليـالٍ وغاب.

وفي السادس والعشرين من جمادى الاولى ورد الخبر بقتل خلف بن ملاعب صاحب افامية قتلهُ قوم من الباطنيّة نفّذهم اليهِ المعروف بابي طاهر الصائغ العجمي من حلب وهو الذي قام للباطنيّة مقام الحكيم المنجم الباطني بعد هلاكه بموافقة رجلٍ (81v) من دُعاتهم يُعرف بابي الفتح السرميني كان مقيماً بافامية وقد قرَّر ذلك مع اهلهـا

---

١) وفي تاريخ الاسلام يقال لهُ: « عال »

فنقبوا نقباً في السور حتى تمكنوا من الوصول اليـهِ فلما قربوا منهُ واحسّ بهم لقيهم فوثب اليهِ بعضهم فطعنهُ في جوفه فرمى بنفسه في القُلَّة يُريد بعض دور اهله دِهِ (كذا) فطعنه آخَر طعنةً ثانيةً فعاش ساعة ومات وصاح الصائح على القلَّة ونادوا بشعار الملك رضوان (١ فجاء اولاده وصاحبه من السور وملكوا عليهم الموضع وقتـلوا من قتلوا وسلم ولده مصبحُ بن خَلَف بن ملاعب وتوجّه الى شيزر واقام هناك مدَّة فاطلق منها. ووصل طنكري الى افامية عقيب هذه الكائنة طامعاً فيها ومعـهُ اخٌ كان لابي الفتح الداعي السرميني كانوا مأسورًا في يده فقرَّر لهُ شيئاً دفعـهُ اليه فرحل عنهُ

وفي هذه السنة وصل قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش في عسكر كثير وقصد الرُها ونزل قريباً منها فانفذ اصحاب جكرمش المقيمون بحرَّان يستدعونهُ لتسليمها اليهِ فوصل اليهم وتسلَّمها منهم واستبشر الناس بوصوله الى الجهاد واقام اياماً ومرض مرضاً اوجب لهُ العود الى ملطية واقام اصحابه بحرَّان. وورد الخبر بان مصبح بن ملاعب الذي افلت من نوبة افامية التجأ الى طنكرى صاحب انطاكية وحرَّضهُ على العود الى افامية واطمعهُ في اخذها لقلَّة القوت بها فنهض اليها ونزل عليها وضايقها الى ان تسلَّمها بالامان في الثالث عشر من المحرَّم سنة ٥٠٠ فلمَّا حصل ابو الفتح السرميني الباطني في يده قتلهُ بالعقوبة وحمل ابا طاهر الصائغ معه واصحابه اسرى ولم يفِ لهم بما بذل من الامان وكان القوت قد نفذ من افامية ولم تزل الاسرى في يده الى ان فدوا نفوسهم بمال بذلوهُ لهم فاطلقهم ووصلوا الى حلب

وفي هذه السنـة نهض ظهير الدين اتابك في العسكر الى بُصرى لمشاهدتها عند تسليمها من ايدي المقيمين بها عند انقضاء الاجل المضروب لها وكان قد خلع على كافة الامراء والمقدّمين واماثل العسكر الخِلع المكمَّلة من الثياب والخيول والمراكب بحيث تضاعف الثناء عليـهِ (82r) والاعتراف باياديه وشاع الخبر بذاك وتضاعفت رغبة الاجناد في خدمته والميل الى طاعته والحصول في جملتـه فلمَّا حصل على بصرى (٢ (اقطع نوشكتين وفلوا) اقطاعاً يكفيهما ورجالهما اجابهما الى ذلك ووفى لهما بما قرَّره معهما حسب ما تقدَّم بهِ الشرح

---

١) وقال سبط ابن الجوزي: وكان رضوان قد بنى لهم دار دعوة وهو اوَّل من عملها وبقي الحصن في ايديهم حتَّى اخذه الافرنج منهم سنة ٥٠٠

٢) وفي الاصل: فلمَّا حصل على بصرى اقطاعاً يكفيهما الخ

Marfat.com

سنة خمسمائة

فيها تزايد فساد الافرنج في اعمال السواد وحوران وجبل عوف وانتهت الاخبار بذلك وشكوا اهلها الى ظهير الدين اتابك فجمع العسكر ومن انضاف اليهِ من التركمان ونهض بهم وخيَّم في السواد. وكان الامير عزّ الملك الوالي بصور قد نهض منها في عسكره الى حصن تبنين من عمل الافرنج فهجم ربضة وقتل من كان فيه ونهب وغنم واتصل الخبر ببغدوين ملك الافرنج فنهض اليهِ من طبريَّة ونهض اتابك الى حصن بالقرب من طبريَّة فيهِ جماعة من فرسان الافرنجيَّة فقاتله وملكه وقتل من كان فيهِ وانكفأ الى المدان وعاد الافرنج اليهِ. فلمَّا قربوا منهُ اندفع العسكر الى ناحية زرا وتلاقت طلائع الفريقين وعزموا على المصافّ والالتقاء وقد قويت نفوس المسلمين فلمَّا كان من غد ذلك اليوم ركب العسكر وقد تأهب للقاء على تلك النيَّة وزحفوا الى موضع مُخيّمهم فصادفوهم وقد رحلوا عائدين الى طبريَّة ثم منها الى عكَّا فعاد ظهير الدين عند ذلك في العسكر الى دمشق

وكانت الاخبار متناصرةً في هذه السنة باهتمام السلطان غياث الدنيا والدين محمد ابن ملك شاه بحاصرة قلعة الباطنية المعروفة بشاهذر المجاورة لاصفهان والجدّ في افتتاحها وحسم اسباب الفساد المتوجه على البلاد من المقيمين بها وتوجّه عنها في عساكره الدثرة المتناهية في القوَّة والكثرة ولم يزل مُنازلها ومضايقها الى ان منحه الله تعالى افتتاحها والاظهار على من فيها وملكها بالسيف قهرًا وقتل من كان فيها من الباطنية قسرًا وهدمها وازاح العالم من الشرّ المتّصل منها والبلاء المبثوث من اهلها (١ . وأنشأ

---

١) وفي زبدة التواريخ انهُ قتل عبد الملك المعروف بقَطاس (كذا) الباطني صبرًا وكان شديد البأس لا يسمع بامير لهُ صولة ولا عالمًا لهُ منزلة الّا بعث اليهِ من يفتك بهِ. وكان السلطان غياث الدين محمد طبر شديد البغض للباطنيَّة مُفرطًا في عداوتهم وفتح ايضًا قلعة حان وهي بقرب اصفهان وولّى الامر الاسفهسلار شيركير محاصرة آلموت فاشرف على اخذها . . . . وان في سنة ٥٠١ سار ضياء الملك احمد بن الوزير نظام الملك وزير السلطان ومعه الامير جاولي الى آلموت فهزموا الباطنية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . . . . وان الامير شيركير اشرف على فتح آلموت لولا ما اتّفق من وفاة السلطان وولاية ولده محمود فاستدعى الامير شيركير فرحل عن آلموت ثم قبض عليهِ وقتلهُ وقتل ولده عمر بن شيركير وكان رحمه الله تعالى من ازهد الامراء واكثرهم ورعًا

وقال سبط ابن الجوزي: ان قلعة شاهذر هذه بناها السلطان ملك شاه وسببُ بنائها ان بعض رُسل الروم ورد عليهِ في رسالة واظهر الاسلام فخرج معهُ ذات يوم للصيد فهرب منهُ كلب صَيود فصعد

Marfat.com

كتاب الفتح يوصف الحال فيها الى سائر اعمال الملكة ليُقرأ على (82ᵛ) المنابر ويستنزل في معرفة كل بادٍ وحاضر امير الكتاب ابو نصر بن عُمر الاصفهاني كاتب السلطان وبلاغته في الكتابة معروفة مذكورة وقضاء حقّه في إنشائه موصوفة مشهورة وذكرتُ مضمونهُ في هذا الموضع ليعلم من يقف عليهِ شرح حال هذه القلعة وما منّ الله بهِ على اهل تلك البلاد من الراحة من شرّ اهلها واذيّة المقيمين بها ونسختها بعد العنوان والطغراء : بسم الله الرحمن الرحيم وهو الوزير الاجل مجد الدين شرف الاسلام ظهير الدولة زعيم الملّة بهاء الأمّة فخر الوزراء ابو المعالي هبة الله بن محمد بن المطّلب رضى امير المؤمنين. امّا بعد اطال الله بقاء الوزير والقابه وادام تأييده وتمهيده واحسن من عوائده مزيده فانّ الله تعالى يقول وقوله الحقّ : يا أيُّها الذين آمنوا مَنْ يرتدَّ منكم عن دينهِ فسَوْفَ يأتي اللهُ بقومٍ يُحبُّهم ويُحبُّونهُ أذِلّة على المؤمنينَ أعزّةٍ على الكافرينَ يُجاهدُونَ في سبيل اللهِ ولا يخافونَ لومةَ لائمٍ ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤتيهِ مَنْ يشاء واللهُ واسعٌ عليمٌ (١. ولقد اتانا الله ولهُ الحمد من هذا الفضل ما صرنا بهِ أطول الملوك في الاسلام باعاً واعزّهم في الذبّ عن حريمه اشياعاً واتباعاً واشدّهم عند الحفيظة لهُ بأساً واطهرهم من درن الشبهة فيهِ لباساً واقصدهم في اقتفار الحق المبين انحاء واثقلهم على اعداء الله واعداء الدين المنير وطاءةً وانحاء فلا تتّجه عزائمنا لمهمٍ في ذلك الّا حققنا الفيصل وطبّقنا المفصّل وفرينا الفريّ واقتدحنا من الزناد الوريّ واعدّنا الحق جدعاً

الجبل وصعد السلطان وراءهُ ومعهُ الرومي فقال لهُ : يا سلطان لو كان هذا الجبل عندنا لبنينا عليهِ قلعة ننتفع بها ويبقى ذكرها. فثبت هذا في قلب السلطان فبناها وانفق عليها الفي الف دينار ومائتي الف دينار. فاحتال عليها ابن عطاش حتّى ملكها فكان اهل اصبهان يقولون : انظروا الى هذه القلعة كان الدليل على بنائها كاب والمشير ببنائها كافرٌ وخاتمة امرها هذا الملحد. وكان الرومي لمّا عاد الى بلده (يقول) : اني نظرتُ الى اصبهان وهو بلد عظيم والاسلام بهِ ظاهرٌ فلم اجد شيئاً أفيت بهِ جموعهم وانفد بهِ اموالهم غير بناء هذه القلعة. ولمّا مات مالك شاه تحيّل عليها ابن عطاش وملكها واقام بها اثنتي عشر سنة ثم فتحها عنوةً وهدمها وقُتل ابن عطاش وولده فى ذي القعدة وسلخ ابن عطاش ومُثّل باصحابه والقت زوجته نفسها من اعلى القلعة ومعها جواهر نفيسة فهلكت وما معها. وكان ابو ابن عطاش في اوّل امره طبيباً فاخذه السلطان طغرل بك واراد قتله لاجل مذهبه فاظهر التوبة ومضى الى الريّ وصاحب ابا علي النيسابوري وكان متقدّمهم بالري وصاهره وجمع رسالة في الدعاء الى هذا المذهب سمّاها العقيقة ومات ببعض بلاد الريّ وجاء ابنهُ احمد فملك قلعة شاهذر

(1 Sur. V, 59.

Marfat.com

وانفَ الباطل مجدعاً نعمةً من الله تعالى اختصّنا بها من دون سائر الانام واجلّنا من التفرُّد بمزاياها في الذروة والسنام فالحمد لله على ذلك حمدًا يوازي قدر نعمهِ ويعتري المزيد من موادّ كرمهِ ثم الحمد لله على ما يسّرنا لهُ من اعزاز الدين ورفع عمادهِ وقمع اضدادهِ واستئصال شأفة الباطنية المناهضين لعنادة الذين استركُوا العقول الفاسدة فاستغووها باباطيلهم واستهووها باضاليلهم واتخذوا دين (83r) الله هُزُوًا ولعبًا بما لفقوه من زخارف اقاويلهم سيّما ما سنّى الله من فتح الفتوح وهيأ اسبابه من النصر الممنوح باخذ قلعة شاهذر التي شمخ بها الجبل وبذخ وكان الباطل باض فيها وفرّخ وكانت قذًى في عيون الممالك وسيما الى التورُّط بالمسلمين في المهاوي والمهالك ومرصدًا عليهم بالشرارة والنكارة حيثما ينحونه من المسالك. وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج الضلال وطاش وكان يُرى الناس نهج الهُدى مضلّةً ويتخذ السفر المشحون بالاكاذيب مجلّةً ويستبيح دماء المسلمين هدرًا ويستحلّ اموالهم غررًا فكم من دماء سفكت وحرم انتهكت واموالٍ استهلكت وتِرَاتٍ تجرعتها النفوس فما أُستدركت ولو لم يكن منهم الّا ما كان عند حدثان امرهم باصفهان من اقتناص الناس غيلةً واستدراجهم خديعة وقتلهم اياهم بانواع العقوبات قتلةً شنيعةً ثم فتكهم عَودًا على بدء باعيان الحشم وخيار العلماء واراقتهم ما لا يُعَدّ ولا يحصى من مُحرّمات الدماء الى غير ذلك من هنات يمتعض الاسلام لها اي امتعاض وما الله عن المسلم ان يتميّز لها براضٍ لكان حقًّا علينا ان نُناضل عن حمى الدين ونركب الصعب والذلول في مجاهدتها ولو الى الصين. وهذه القلعة كانت من امّهات القلاع التي انقطع اليها رؤوس الباطنيّة كل الانقطاع فكان تبثّ الحبائل منها في سائر الجهات والاقطار وترجع اليها نتائج الفساد رجوع الطير الى الاوكار وهي في العزّة والمنعة مثل مناط الثمس التي (تنال) منها حاسّة البصر دون حاسّة اللمس تردّ الطرف كليلًا وتعدّ العدد الدثر في محاصرتها كليلًا. وكانها وهي اعلى شاهق نزلت على الجبل من حالق فهي بهذه الصفة مقابلةٌ لبلدة اصفهان التي هي مقرّ الملك ودار الثواء واولى البلاد بتطهيرها من اهتياج الفتن واختلاف الاهواء. ونحن نقيم بها طول هذه المدّة المديدة وندبّر امرها الى ما يصونه الرأي من الحيلة والمكيدة واما منا من المستخدمين واصحاب (83v) الدواوين نفرٌ تُصغي اليهم أفئدتُهم فيما كانوا عليهِ من مخالفة الدين يتوصّلون بمكرهم الى نقض ما يبرم وتأخير ما تقدّم ويوهمون انها من النصائح التى تقبل وتلزم حتى تطاول دون ذلك الامد وبان من القوم المعتقد واتّضح

Marfat.com

لنا من صائب التدبير ما يعتمدُ وكنّا في خلال هذه الاحوال لم نُخـلِ هذه القلعة من طائفةٍ تَهُزُّهم حمية الدين من الجند ينتهون من التضييق عليها الى كل غايةٍ من الجدّ فيتوفّرون على محاصرتهم ومُصابرتهم ويتشمّرون لمزاولتهم ومصاولتهم ويقعدون لهم بكل مرصدٍ ويسدّون كل متنزّلٍ ومصعـدٍ حتى انقطعت عنهم الموادّ وخانتهم الميَر والازواد واضطرّوا الى ان نزل بعضهم على حكم الامان بعد الاستئمـار والاستئذان فامرنا بتخلية سَربهم وايمان سِربهم وسُلّم الشطر من القلعة لخلوهِ من الفئة النازلة واعتصم ابن عطاش بقلّة اخرى تسمّى دالان مع نخب اصحابه من المقـاتلة وهذه القُلّة هي امنع المواضع من القلعة واحصنها واوعرها مسلكًا واحزنها فقد نُقل اليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستَظهر بهِ من السلاح والذخيرة على ان يلبثوا بها اياماً معدودةً فينزلوا ويُبذل لهم الامان مثل ما بُذل للاوّلين فيتحوّلوا كل ذلك بوساطة من قدّمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين وفي باطن الامر خلاف ما يُتوهّم من الاعلان وذلك انهم قدّروا ان ما سُلّم من القلعة يُترَكُ على عمارتهِ ومكانتـهِ وما امتُنع بهِ من القُلّة لا يُقدر عليهِ لمنعته وحصانته فهم يتوصّلون بتمكّنهم من ذلك الحيل الى سرقة ما سأموهُ آنفًا ببعض الحيَل هذا وقد كُفوا مؤَن من نزل من الاكَلة وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة. ففطنّا لما عمدوا وعليهِ اعتمدوا وامرنا في الحال بالقلعـة المسلّمة فنُسفت نسفًا وخُسفت بها خسفًا وصُيّر سفلُهـا علوًا كما كان علوها خلوًا ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين حتى ساقهم الحين المتاح الى حين فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب ان الشقـاء على الاشقين مصبوب. ووافق ذلك حلول الموعد لنزول باقي القوم من دالان فابوا الّا المطل والليـان. فلمّا مضت ايام على ذلك اظهروا التمرُّد والعصيان فصاروا كما قال الله تعـالى «وَمَنْ (84) يُرِدِ اللهُ فتنتهُ فَلَنْ تَملكَ لهُ مِنَ اللهِ شيئًا أُولائكَ الذينَ لَمْ يُردِ اللهُ أنْ يُطهّرَ قلوبهم لَهم في الدُّنيا خِزْيٌ ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ (١)» فعند ذلك استخرنا بالله تعالى تجريد العزائم لهذا الجهاد الذي هو عندنا من انفس العزائم ولا نخاف فيه لومة لائم وأهبنـا بمن حضرنا من العساكر المنصورة الى الاحداق بالقلعة المذكورة يوم الثلثاء ثاني ذي الحجة فنزلوا لفنائها محتشدين ولصدق اللقاء متشمّرين متجرّدين وجرت منـاوشةٌ عشيّة هذا اليوم اثخنت عدّةً من اولئـك القوم وبات المسلمون ليلتهم تلك على اضم والملحدون

1) Sur. V, 45.

Marfat.com

لحماً على وضم. فلما تنفَّس الصبح وعردت الديوك الصُدح وطوى الليل رداءهُ ورفع الفجر لواءهُ نصر الله الحقّ وادال الدين وساء صباح المنـذرين وعدَت جيوش النصر يداً واحدةً وكلمةً على التظافُر والتظاهُر مساعدة تسطوا بالفئـة المتحصَنة بالقلعة سطوة الليث الهصور وكأنهم طاروا باجنحة الصقور على صمّ الصخور فلم يلبثوا قبـل ذرور الشمس بقرنها واخذها الناصح من لونها ان اخذوا القلعة عنوةً وقهراً واجروا من دماء الباطنيَّة الملحدة نهراً فلم يئل منهم وائل ولا اخطأهم من السيوف البواتر وائل وامرنا في الحال بهدمها والتعفية على ردمها فلم يبقَ بها نافخُ ضرَمه ولا اثر من نسمه ولا مدرٌ على أكمه وأسر ابن عطاش رأس الجالوت ووليُّ الطاغوت الذي كان ممن قال الله تعالى فيهِ: «وَجعَلْناهمْ أئمَّةً يَدْعونَ الى النَّارِ (١» فجعلناه وولده المقرون بهِ مثلةً للنظّار وعبرةً لاولي الابصار فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين هذا الفتح المبين والعزَّة التي تُتلى لانها من الدهر الحينُ والنعمة التي تمَّت وعمَّت واحنت بالنقمة على اعداء الله ورسوله وطمَّت وما ذاك الَّا من بركات عقـائدنا الناصعة في موالاة الدولة العبَّاسيَّة ظاهر الله مجدها وما يلتزمهُ في فرضها من فضل المنـاصحة والمشايعة فيها نحن نسطو بالاعادي ونكفي من اعتراض النوائب كل العوادي ونسوس الدهماء من الحواضر والبوادي. وهذه البُشرى التي يُهنَّأ بهـا الاسلام وتُرفع بها من الاشادة بذكرها في الخافقين الأعلام (84ᵛ) امرنا بنشرها في الاقصى والادنى لاسيَما الدارة العزيزة ظاهر الله مجدها فانها اولى من يبشَّر بمثلها ويهنَّأ وانهينا بالامير عزّ الدولة الى ايصال هذه البشارة الى الديوان العزيز النبوي اعلى الله جدَّه فنـدب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن نصدره من الاعتراف بقـدر هذه النعمة وهذا الامير كان من المندوبين اوَّلًا واخرًا لمحاصرة هذه القلعة فأبلى فيهـا بلاءً حسناً جميلًا واغنى غنائم نجد لهُ فيهِ عديلًا ولذلك ما اختصصناه بهذه المزيَّة واثرناهُ بابلاغ هـذه البُشرى الهنيَّة والمعوّل تامٌّ على الاهتمام الوزيري في القائها الى المقارّ المعظّمـة النبويّة ليعلم من صدق نهضتها بالخدمات وعندنا المسعاة في اعزاز الدين من اوجب المهمات ما يُزلفنا من شريف المراضي ويفرض لنا من المحامد والمآثر التـامّة على الأبد اكرم الاحاظي وان يتقدَّم في حقّ المبشَّر ما هو على الدولة ثبتهـا الله متعيّن حتى يعود ولما يستحسن من موقع هذه البشارة عليهِ اثرٌ بيّنٌ والوزير اولى من اغتنم هذه المكرمة فاعتنقهـا وتمكَّن

1) Sur. XXVIII, 41.

Marfat.com

من عصمة الرأي السديد فاعتلقها واستحمد الينا بما يتكلّفه من جميل مساعيه ويتكفّله بالاهتزاز والاهتمام فيهِ من سائر ما يلاحظه من الامور ويراعيه ان شاء الله تعالى وكُتب بالامر العالي شفاهاً في ذي القعدة سنة ٥٠٠

وفي هذه السنة تتابعت المكاتبات الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد ابن ملك شاه من ظهير الدين اتابك وفخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس بعظيم ما ارتكبه الافرنج من الفساد في البلاد وتملُّك المعاقل والحصون بالشام والساحل والفتك في المسلمين ومضايقة ثغر طرابلس والاستغاثة اليهِ والاستصراخ والحضّ على تدارُك الناس بالمعونة. فندب السلطان لمّا عرف هذه الحال الامير جاولى سقاوه واميرًا من مقدّمي عسكره كبيرًا في عسكرٍ كثيفٍ من الاتراك وكتب الى بغداد والى الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد والى جكرمش صاحب الموصل بتقويته بالمال والرجال على الجهاد والمبالغة في اسعاده وانجاده واقطعه الرحبة وما على الفرات فثقل امره على المكانين فدافعه ابن مزيد وسار نحو الموصل يلتمس من جكرمش ما وقّع بهِ عليه فتوقّف عنهُ فنزل (85) على قلعة السنّ ونهبها واجتمع اليهِ خلقٌ كثير وخرج جكرمش الى لقائه فظفر بهِ جاولى سقاوه واستباح عسكره وانهزم ولده الى الموصل فضبطها وتوجّه وراءه وقتل جكرمش اباه وانفذ رأسه الى الموصل. فلمّا عرف ولده ذاك كاتب قلج ارسلان بن قتلمش يستنجدهُ من ملطية ويبذل لهُ تسليم البلاد والاعمال التي في يده اليه وكان جكرمش قد جمع مالًا عظيماً من الجزيرة والموصل وكان جميل الصورة في الرعيّة عادلًا في ولايته مشهورًا بالانصاف في اعمال ايالته. فلما عرف قلج ارسلان بن سليمان ما كتب بهِ اليه ولد جكرمش اجابه الى ملتمسه وسار نحوه في عسكره ووصل الى نصيبين واستدعى ابن جكرمش من الموصل فسار اليهِ ودخل قلج ارسلان الى نصيبين لانهُ كان في بعض عسكره وباقيهِ في بلاد الروم لانجاد مالك القسطنطينيّة على الافرنج. ولمّا تقارب عسكر قلج من عسكر جاولى سقاوه والتقت طلائع الفريقين ظفر قومٌ من اصحاب قلج بقوم من اصحاب جاولى فقتلوا بعضاً واسروا بعضاً. فرحل جاولى يطلب عسكر قلج وقد عرف انهُ قد انفذ يستدعي بقيّة عسكره من بلاد الروم وانهُ في قلّ وطلب ناحية الخابور وتوجّه منها الى الرحبة ونزل عليها وضايقها وراسل محمدًا واليها من قبل الملك شمس الملوك دقاق صاحب دمشق (وعنده الملك ارتاش بن تاج الدولة الهارب من دمشق بعد

Marfat.com

وفاة الملك دقاق اخيه مقيماً) بالتسليم اليه فلم يحفل بمراسلته وآيسه من طلبتــه فاقام عليها مضايقاً لها مدَّة

ووصل اليهِ الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في جمــاعةٍ وافرة من عسكره التركمان واستنجد عليها بالملك فخر الملوك رضوان فوصل اليه في عسكره بعد ان هادن طنكرى صاحب انطاكية . فلمَّا فصل عن حلب وعرف جوسلين صاحب تلّ باشر بُعده عن حلب واصل الغارات على اعمالها من جميع جهاتها . ولم يزل جاولى مقيماً على الرحبة منذ اوَّل رجب والى الثاني والعشرين من شهر رمضــان وزاد الفرات زيادته المعروفة فركب اصحاب جاولى الزواريق وصعدوا (85ظ) طالبين سورَ البــلد بواطأة من بعض اهل البلد فلم يتهيَّأ لهم امرٌ مع من واطأهم بل هجموا السور وملكوا البلد ونهبوهُ وصادروا جماعة من اهله واستخرجوا ذخائرهم بالعقوبة ثم امر جاولى برفع النهب وأمَّن الناس وردّهم الى منازلهم وتسلَّم القلعة بعد خمسة أيَّام في الثـامن والعشرين من شهر رمضان . واقرّ اقطاع محمدٍ واليها عليه واستحلفه وقبض عليه بعد ايام لامرٍ بلغه عنــه فانكر منه واعتقله في القلعة وحصل الملك ارتاش في جملة سقاوه ولم يتمكَّن من التصرُّف في نفسه . وكان محمــد هذا الوالي قد ارسل قلج ارسلان بن سليمان اولا بالاستصراخ بهِ وطلب المعونة على دفع جاولى عن البلد فتوجَّه نحو الرحبة في عسكره وبلغــه خبر فتحها فعاد ونزل على الشمسانية (١ ولم يكن في نيَّته لقاء جاولى . ورحل جاولى ونزل ماكسين وعزم على التوجه الى ناحية الموصل ومعه فخر الملوك رضوان فاتَّفق انَّهم قصدوا عسكر قلج فالتقى الفريقان في يوم الخميس التــاسع من شوال وكان الزمان صيفاً واشتدَّت وقدة الحرّ وحميت الرمضاء فهلك اكثر خيل الفريقين وحمــل عسكر قلج ارسلان على عسكر جاولى وقصد جاولى قلج ارسلان في الجملة وضربه بالسيف عدَّة ضربات فلم تؤثر فيهِ وانهزم عسكر قلج ارسلان وفصل عنهُ صاحب آمد وقت الحرب مع صاحب ميافارقين وانهزم الباقون ووقع السيف في اصحاب قلج ارسلان وسقط قلج مع الهزيمة في الخابور فهلك في الماء ولم يظهر وبعد أيَّام وُجد هالكاً (٢

---

١) وفي الاصل : السمانية

٢) وقال الفارقي في تاريخه : ان في السنة ٤٩٨ نفذ الوزير ضياء الدين محمــد (الذي كان رتّبه الملك دقاق بميافارقين) الى ملطيَّة الى السلطان قلج ارسلان بن سليمان بن قطلمش يستدعيه الى ميافارقين وكان الملك سليمان بن قطلمش قد ورد من عند ملك شاه وفتح بلاد الروم ملطية

وعاد جاولى الى الموصل وعاد عنه الملك فخر الملوك رضوان الى حلب خوفًا منهُ واخذ جاولى نجم الدين ايل غازي بن ارتق وطالبه بالمال الذي انفقه في التركمان فصالحه على جملةٍ يدفعها اليهِ واخذ رهانه عليها الى ان يؤديها واقام لهُ بها فيما بَعدُ

وقد كان قلج ارسلان انفذ بعض مقدّمي اصحابه الى بلاد الروم في خلق كثير من التركمان لانجاد ملك القسطنطينيَّة على بيمند ومن معه من الافرنج الواصلين الى الشام فانصرفوا الى ملك الروم وما حشده من عساكر الروم فلما اجتمع للفريقين ما اجتمع رتّبوا (86r) المصافّ والتقوا فاستظهر الروم على الافرنج وكسروهم كسرةً شنيعةً اتت على اكثرهم بالقتل والاسر وتفرّق السالم الباقي منهم عائدين الى بلادهم وفصل اصحاب قلج ارسلان الاتراك الى اماكنهم بعد ان اكرمهم وخلع عليهم واحسن اليهم

ولمّا عاد جاولى سقاوه الى الرحبة ونزل على الموصل راسل اهلها والجند بها فلم يمكنهم المدافعة لهُ عنها ولا المراماة دونها فسلّموها اليهِ بعد اخذ الامان منهُ على من حوتهُ وكان ولد قلج قد دخلها فقبض عليه وسيّره الى السلطان محمد ولم يزل مقيماً عنده الى ان هرب من المعسكر في اوائل سنة ٥٠٣ وعاد الى مملكة ابيه ببلاد الروم ويقال انهُ لمّا وصل اليها عمل على ابن عمه وقتله واستقام لهُ امر المملكة بعده

وفي هذه السنة وصل الى دمشق الامير الاصفهبد التركماني من ناحية عملهِ فاكرمه ظهير الدين واحسن تلقّيه واقطعه وادي موسى ومآب والشراة والجبال والبلقاء وتوجّه اليها في عسكره وكان الافرنج قد نهضوا الى هذه الاعمال وقتلوا فيها وسبوا ونهبوا

وقيسارية واقصرا (والاصل اق سُرا اي مدينة بيضاء) وقونية وسيواس وجميع ولاية الروم وبقي فيها واستبدّ بها فلمّا مات وَلي ولده قلج ارسلان. فلمّا نفذ اليهِ الوزير محمد حضر ودخل ميافارقين في ١٧ جمادى الاولى سنة ٤٩٨ وملك ميافارقين وبقي مدّة واستوزر الوزير محمد. وحضر الى خدمته امراء جميع ديار بكر الامير ابرهيم صاحب آمد والسبع الاحمر من اسعرد وسكمان ابن ارتق والامير شاروَخ وحسام الدين (الدولة). وولّى ميافارقين مملوك ابيه خمرتاش السليماني وكان اتابكه وخرج من ميافارقين واخذ معهُ الوزير محمد واقطعه مدينة باستين. واقام بملطية وجمع العساكر وعاد نزل الى باب الموصل وصافّ جاولى سقاوه مملوك السلطان محمد فكسره سقاوه وعاد منهزماً وغرق في الخابور في سنة ٤٩٩ وحُمل تابوته الى ميافارقين وبنى عليه اتابك هذه القبّة المعروفة بقبّة السلطان وبقي مدفوناً بها الى سنة ٥٣٨ ونفذ سلطان مسعود ولده الامير السديد جماء الدين باكاليجار العلوي من قونية فاخرج تابوته وحمله الى آمد ليحمله الى قونية الى ولده السلطان مسعود واتفق ان الملك بَلْمان (اللّان) خرج في تلك السنة ورحل السلطان عن قونية فعاد الامير السديد جماء الدين فردّهُ الى ميافارقين فهو بها الى الان (يعني سنة ٥٧٢)

Marfat.com

ما قدروا عليه منها فلمَّا وصل اليهـا وجد اهلها على غاية من الخوف وسوء الحال عمَّا جرى عليهم من الافرنج فاقام بها . ونهض الافرنج اليهِ لما عرفوا خبره من ناحيـة البرّيّة ونزلوا بازاء المكان الذي هو نازل بهِ واهملوهُ الى ان وجدوا الفرصة فيهِ فكبسوه على غرَّةٍ فانهزم في اكثر عسكره وهلك باقيهِ واستولوا على سواده ووصل الى عين الكتيبة من ناحية حوران والعسكر الدمشقي نازلٌ عليها فتلقَّاهُ ظهير الدين متوجّعاً لهُ بما جرى عليهِ ومُسلّياً عمَّا ذهب منهُ وعوَّضه وطلق لهُ ما صلحت بهِ حاله

سنة احدى وخمسمائة

فيها جمع ملك الافرنج بغدوين حزبه المفلول وعسكره المخذول وقصد ثغر صور ونزل بازائه وشرع في عمارة حصن بظاهرها على تلّ المعشوقة واقام شهرًا وصانعه واليه على سبعة الاف دينار فقبضها منه ورحل عنهُ . وفيها وردت الاخبـار بوصول عسكر السلطان غياث الدنيا والدين محمد الى بغداد في اخر (86ظ) شهر ربيع الاخر منها واعلن الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد العصيان عليه خوفًا لما بلغهُ من افساد شحنة بغداد (وعمدها حاله معه ولم يزل السلطان مقيماً ببغـداد) الى العشرين من رجب فاجتمع اليهِ تقدير ثلثين الف فارس واجتمع مع صدقة تقـدير عشرين الفًا في الحلَّة وبينهما انهار وسواحل في الحلَّة فاثر السلطان مراسلته في تقرير امره والصفح وايقـاع مهادنةٍ وموادعةٍ تستقيم معهما الاحوال ويصلح بها الاعمال فأبى ذلك كافَّة الامراء والمقدّمين وامتنعوا من الاهمال لامره ونهضوا اليه . فلما عرف الحال قطع الانهار ووصل في جمعه حتى صار بازائهم وحمـل بعض الفريقين على بعض ونشبت الحرب بينهم وكان منزل صـدقة بن مزيد كثير الوحل عسر المجال فترجَّل الاتراك عن خيلهم وحثّوا عليهم واطلقوا السهام وشهروا الصفاح وشرعوا الرماح وفعل مثل ذلك اصحاب صدقة والتقى الجيشان ونظر صدقة الى اصحابه والسهـام قد شكّت خيولهم وقد اشرفوا على الهلاك وظنّ الاتراك انَّهم قد انهزموا فركبوا اكتافهم رشقًا بالسهـام وضربا بالسيوف وطعنًا بالرماح فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وقُتل الامير صدقة بن مزيد في الجملة ووجوه رجاله ولم يفلت منهم الَّا اليسير ممن حماه الاجل واستطار قلبه الخوف والوجل . وكان السلطان قد اعتمد في تدبير الجيش وترتيب الحرب على الامير مودود المستشهد بيد الباطنيّة في جامع

Marfat.com

دمشق ووصل السلطان غد يوم الوقعة ونزل الحلة. ولم يكن للعرب بعد صدقة مثله في البيت والتقدُّم واحسان السيرة فيهم والانصاف لهم والانعام عليهم وكرم النفس وجزيل العطاء وحسن الوفاء والصفح عن الجرائر والتجاوز عن الجرائم والكبائر والتعفُّف عن اموال الرعيَّة واحسان النيَّة للعسكريَّة غير انهُ كان مع هذه الخلال الجميلة والمآثر الحميدة مُطرحاً لفرائض الشريعة متغافلاً عن ارتكاب المحارم الشنيعة مستحسناً لسبّ الصحابة رضى الله عنهم فكان ما نزل بهِ عليه عاقبة هذه الافعال الذميمة وما ربّك بغافلٍ عمَّا تعملون

وتوجَّه السلطان بعد تقرير امر الحلّة عائداً الى اصفهان (87[٣]) في اوائل شهر من السنة وقد قرَّر مع الامير مودود والعسكر قصد الموصل ومنازلتها والتضييق عليها والتملُّك لها فرحل مودود والعسكر ونزل على الموصل وكان جاولى صاحبها قد اخرج اكثر اهلها منها وأساء اصحابه السيرة فيها وارتكبوا كل محرم منها ومضى الى الرحبة واستناب فيها من وثق بهِ من اصحابه في حفظها واقام العسكر السلطاني عليها مدَّةً وعمد سبعة نفرٍ من اهلها على المواطأة عليها وفتحوا باباً من ابوابها وسلّموها الى مودود ودخلها وقتل مقتلةً كبيرةً من اصحاب جاولى وأمَّن من كان في القلعة وحملهم وما كان معهم الى السلطان

وفي شعبان من هذه السنة اشتدّ الامر بفخر الملك بن عمَّار بطرابلس من حصار الافرنج وتطاول ايامه وتمادي الترقب لوصول الانجاد وتمادي تأخر الاسعاد فانفذ الى دمشق يستدعي وصول الامير ارتق بن عبد الرزَّاق احد امراء دمشق اليهِ ليتحدَّث معهُ بما في نفسه فاجابه الى ذلك واستأذن ظهير الدين في ذلك فاذن لهُ وتوجَّه نحوه وقد كان فخر الملك خرج من طرابلس في البرّ في تقدير خمسمائة فارس وراجل ومعه هدايا وتحف اعدَّها للسلطان عند مضيه اليهِ الى بغداد فلما وصل ارتق اليهِ واجتمع معه تقرَّرت الحال بينهما على وصوله الى دمشق في صحبته فوصل اليها وأنزل في مرج باب الحديد بظاهرها وبالغ ظهير الدين في اكرامه وتناهى في احترامه وحمل اليهِ امراء العسكريَّة ومقدّموهُ من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك ما امكنهم حمله واتحافه بهِ. وكان فخر الملك المذكور قد استناب عنه في حفظها ابا المناقب ابن عمّه ووجوه اصحابه وغلمانه واطلق لهم واجب ستة اشهر واستحلفهم وتوثق منهم. فاظهر عمّه الخلاف لهُ والعصيان عليه ونادى بشعار الافضل بن امير الجيوش بمصر فلما عرف فخر الملك ما بدا منه كتب الى

Marfat.com

اصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحُمل الى حصن الخوابي ففعل ذلك وتوجّه فخر الملك الى بغداد ومعه تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك. وقد كان اتابك عرف ان جماعةً ممن يحسدُهُ في باب (87ظ) السلطان ويقع فيهِ بالسعاية ويقصده بالاذية وافساد الحال عند السلطان فاصحب ولده المذكور من الهدايا والتحف من الخيول والثياب وغير ذلك مما يحسن انفاذ مثله واستوزر لهُ ابا النجم هبة الله بن محمد بن بديع الذي كان مستوفياً للسلطان الشهيد تاج الدولة وجعلهُ مدبّراً لامره وسفيراً بينهُ وبين من انفذ اليهِ وتوجّه في الثامن من شهر رمضان سنة ٥٠١ فلمّا وصلا الى بغداد لقي فخر الملك من السلطان من الاكرام والاحترام ما زاد على امله وتقدّم الى جماعةٍ من اكابر الامراء بالمسير معهُ لمعونته وانجاده على طرد محاصري بلده والايقاع بهم والابعاد لهم وقرّر مع العسكر المجرّد معهُ الالمام بالموصل وانتزاعها من يدي جاولى سقاوه ثم المصير بعد ذلك الى طرابلس فجرى ما تقدّم بهِ الشرح من ذلك وطال مقام فخر الملك طولًا ضجر معه وعاد الى دمشق في نصف المحرّم سنة ٥٠٢

فامّا تاج الملوك بن ظهير الدين فجرى امره فيما نفذ لاجله على غاية مُراده ونهاية محابّه وصادف من السلطان في حق ابيه وحقّه ما سرّه وعاد منكفئاً الى دمشق بعد ما شُرّف بهِ من الخلع السنية الامامية السلطانية ووصل الى دمشق آخر ذي الحجة من السنة. واقام فخر الملك بن عمّار في دمشق بعد وصوله اليها اياماً وتوجّه منها مع خيل من عسكر دمشق جُرّدت معهُ الى خيله فدخلها واطاعه اهلها. وانفذ اهل طرابلس الى الافضل بمصر يلتمسون منهُ انفاذ والٍ يصل اليهم في البحر ومعه الغلّة والميرة في المراكب لتسلّم اليهِ البلد فوصل اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب والياً من قبل الافضل ومعه الغلّة فلما وصل اليها وحصل فيها قبض على جماعة اهل فخر الملك بن عمّار واصحابه وذخائره والاته واثاثه وحمل الجميع الى مصر في البحر

وفي هذه السنة اسرى ظهير الدين اتابك في عسكره الى طبريّة وفرق عسكره فرقتين نفذ احداهما الى ارض فلسطين والاخرى غار بها على طبريّة فخرج اليهِ صاحبها في رجاله المعروف بجرفاس وهو من مقدّمي الافرنج المشهورين بالفروسيّة والشجاعة (88ظ) والبسالة وشدّة المراس يجري مجرى الملك بغدوين في التقدّم على الافرنج فالتقاه واحاطت خيل الاتراك بهِ وباصحابه فقُتل اكثرهم وأُسر هو وجماعة معه وحُملوا الى دمشق فانفذ بعضهم هديّة الى السلطان وقتل جرفاس ومن كان معه في الاسر من اصحابه بعد ان

Marfat.com

بذلوا في اطلاقهم جملةً من المال فلم يقبلها. وفيها تقدَّم السلطان غياث الدنيا والدين محمد عند وصوله الى بغداد برفع المكوس وابطال رسمها عن التجار والمسافرين في جميع بلاده وحظر تناوُل اليسير منها فلمَّا عاد الى اصفهان منها طمع في التجار واخذ منهم المكس على سبيل الخلاف لما امر فلما عاد الى بغداد وانتهى الامر اليهِ انكر ما جرى في مخالفة امره ووكَّد الامر في ابطال ذلك وحذر من المخالفة لهُ في سائر البلاد

وفيها وردت الاخبار من بغداد بوقوع النار في الجانب الشرقي منها فاحرقت ما يزيد على خمسمائة دارٍ وافتقر اهلها. وفيها تناصرت اخبار الباطنيَّة بقلعة آلَموت والحصون المجاورة لها في ايغالهم في الفساد وافاظة النفوس بالعدوان والالحاد فانهض السلطان وزيره احمد بن نظام الملك خواجه بزرك ومعه جاولى سقاوه في عسكر كثيف فاظفره الله بهم ونصرهُ عليهم وقتل منهم مقتلةً عظيمةً وخرَّب منازلهم وقلاعهم

وفي هذه السنة نهض بغدوين في عسكره المخذول من الافرنج نحو ثغر صيدا فنزل عليه في البحر والبرّ ونصب البرج الخشب عليه ووصل الاصطول المصريُّ للدفع عنهُ والحماية لهُ فظهروا على مراكب الجنويَّة وعسكر البرّ واتَّصل بهم نهوض العسكر الدمشقي لحماية صيدا والذبّ عنها فرحلوا عنها عائدين الى اماكنهم

سنة اثنتين وخمسمائة

فيها انفذ صاحب عرقة الى ظهير الدين اتابك رسوله يلتمس منهُ المعونة على دفع الافرنج عنها وانفاذ من يتسلَّمها فندب بعض ثقاته فتسلَّمها واقام واليًا بها منتظرًا وصول العسكر اليها والوفاء بما وَعد بهِ من الخلع عليهِ والاحسان اليهِ فحدث في (88ظ) الوقت من الثلوج والامطار ما عاق المسير اليها وقلّ القوت بها وانقطعت الميرة عنها فبادر الافرنج بالنزول عليها وتوجَّه ظهير الدين عند ذلك اليها فصادفهم قد احاطوا بها ولم يتمكَّن من دفعهم عنها. وعاد الى حصن الاكمة ونزل عليهِ وقاتله فلما عرف الافرنج ذلك نهضوا اليه في تقدير ثلثمائة فارس لانجاد مَن بالاكمة فوصلوا اليهم ليلًا فقويت نفوسهم واقتضى رأي اتابك الرحيل عنها بحكم من صار فيها منهم فرحل كالمنهزم وطمع فيه وتتبَّع العسكر فغنم من الخيل والكُراع غنيمة كبيرة وتفرَّق العسكر في الشجر والجبال ووصلوا الى حمص على اقبح صفة واشنع صورة من غير لقاء ولا محاربةٍ وعاد الافرنج الى عرقة وعُدم القوت فيها فملكوها بالامان

Marfat.com

وفيها استوزر ظهيرُ الدين ابا نجم هبة الله بن محمد بن بديع الاصفهاني الذي كان مستوفياً للسلطان تاج الدولة وكان قد وزر بعــده لولده الملك رضوان بحلب وبقي في الوزارة مدَّة في اوائل سنة ٥٠٢ وافسد قلب ظهير الدين اتابك عليه مع ما كان في قلبه في الايام التاجيَّة فامر بالقبض عليه واعتقاله في القلعة وحمل كل ما كان في داره وقبض املاكه واقام اَيَّاماً في الاعتقال ثم امر بخنقه فخُنِق ورُمي في جُبّ بالقلعــة ثم أُخرج ودُفن في المقابر

وفي شعبان من هذه السنة وصل ريمند بن صنجيــل الذي كان نازلًا على طرابلس من بلاد الافرنج في جمــلة ستّين مركبًا في البحر مشحونةً بالافرنج والجنويين فنزل على طرابلس ووقع بينه وبين السرداني ابن اخت صنجيل مشاجرة ووصل طنكري صاحب انطاكية اليه لمعونته للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب بيت المقــدس في عسكره فاصلح بينهم . وعاد السرداني الى عرقة ووجد بعض الافرنج في زرعهــا فاراد ضربه فضربه الافرنجي فقتله ولمَّا بلغ الخبر ريمند بن صنجيل وجّه من تسلّم عرقة من اصحابه . ونزل الافرنج بجموعهم وحشدهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها منــذ اوَّل شعبان الى الحادي عشر من ذي الحجة (89[1]) من السنة واسندوا ابرجهم الى السور فلما شاهد الجنــدَ والمقاتلةَ اهلُ البلد سُقِط في ايديهم وايقنوا بالهلاك وذلت نفوسهم لاشتمال اليأس من تأخر وصول الاصطول المصري في البحر والميرة والنجدة وقد كانت غلّة الاصطول أُزيحت وسيرُ الريح تَرُدُّهُ لما يريد الله تعالى من نفاذ الامر المقضي فشدّ الافرنج القتال عليها وهجموها من الابراج فملكوها بالسيف في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وحصل في ايديهم من امتعتها وذخائرها ودفاتر دار علمها وما كان منها في خزائن اربابها ما لا يُحدّ عدده ولا يُحصر فيذكر . وسلم الوالي بها وجماعة من جنده كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فلما مُلكت أُطلقوا ووصلوا الى دمشق بعد اَيام من فتحها وعوقب اهلها واستُصفيت اموالها واستُثيرت ذخائرهم من مكامنها ونزل بهم اشدّ البلاء ومُؤلم العذاب

وتقرَّر بين الافرنج والجنويين على ان يكون للجنويين الثلث من البــلد وما نُهب منهُ والثلثان لريمند بن صنجيل وافردوا للملك بغدوين من الوسط ما رضي بهِ . وكان طنكري لما لم ينل ما اراد من نصرة السرداني قد عاد ونزل بانياس وافتتحها وامن

Marfat.com

اهلها في شوال من السنة ونزل على ثغر جُبيل وفيهِ فخر الملك ابن عمّار والقوت فيهِ ترر قليل فلم يزل مضايقًا لهُ ولاهله الى يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة فراسلهم وبذل لهم الامان فاجابوه الى ذلك فتسلّمه بالامان وخرج منهُ فخر الملك ابن عمّار سالمًا وقد وعده باحسان النظر والاقطاع . ووصل عقيب ذلك الاصطول المصري ولم يكن خرج للمصريين فيما تقدّم مثله كثرةَ رجالٍ ومراكبَ وعُددٍ وغِلالٍ لحماية طرابلس وتقويتها بالغلّة الكثيرة والرجال والمال لمدّة سنةٍ مع تقوية ما في المملكة المصرية من ثغور الساحل واهله ووصل الى صور في يوم الثامن من فتح طرابلس وقد فات الامر فيها للقضاء النازل باهلها . واقام بالساحل مُدّة وفرّقت الغلّة في جهاتها وتمسّك بهِ اهل صور وصيدا (89v) وبيروت وشكوا احوالهم وضعفها عن محاربة الافرنج ولم يمكن الاصطول المقام فاقلع عائدًا عند استقامة الريح الى مصر

وفي شوال من هذه السنة وردت الاخبار بتملُّك الامير سكمان القطبي مدينة ميافارقين بالامان بعد الحصر لها والمضايقة لاهلها عدّة شهور بعد ان عُدم القوت بها واشتدّ الجوع باهلها (١ . وفيها وصل بيمند صاحب انطاكية من بلاد الافرنج عائدًا الى مملكته في خلقٍ كثير ونزل بالقرب من قسطنطينة وخرج ملكها اليهِ ومعه خلق كثير من التركمان المجاورين لهُ فاقتتلوا اياماً وطلبَ الروم تفسّخهم بكل نوعٍ الى ان تفرّقوا وتبدّدوا في البلاد واصلح بيمند امره مع الملك ودخل عليه ووطئ بساطه ومن معه وكفى الله ولهُ الحمدُ امرَهم وصرف عن الاسلام شرّهم

وفي هذه السنة توفّي الامير ابق بن عبد الرزّاق احد مقدّمي امراء دمشق بمرض طال بهِ وكثر المهُ بسببه الى ان قضى نحبه ليلة عيد النحر من سنة ٥٠٢

وفيها تردّدت رُسل الملك بغدوين الى ظهير الدين في التماس المهادنة والموادعة فاستقرّ الامر بينهما على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثًا للاتراك الثلث وللافرنج والفلّاحين الثلثان فانعقد الامر على هذه القضيّة وكُتب الشرط على هذه المبنيّة . وكان فخر الملك بن عمّار لمّا ملك الافرنج جُبيل خرج منها وتوجّه الى شيزر فاكرمه صاحبها سلطان

---

١) قال الفارقي في تاريخه : سلّمها اليهِ اتابك خُمَرتاش الذي كان استبدّ لهُ الامر بها بعد موت قلج ارسلان واجحف بالناس وصادرهم وهو وزوجته ولقي الناس منهُ شدّة شديدة . وقال ايضاً : ان في سنة ٥٠٤ نزل الامير سكمان الى ميافارقين وقصد الرها فمات هناك وحُمل تابوته الى اخلاط ودُفن بها

Marfat.com

ابن علي بن المقلّد بن منقذ الكناني واحترمه وجماعته وعرض عليهِ المقام عنده فلم يفعل وتوجّه الى دمشق عائدًا الى ظهير الدين اتابك فاكرمه وانزله في دارٍ واقطعــه الزبداني واعمالها في المحرَّم سنة ٥٠٣

سنة ثلث وخمسمائة

لمَّا فرغ الافرنج من طرابلس بعد افتتاحها وتدبير اعمالها وتقرير احوالها نهضوا الى رفنية وعرف ظهير الدين ذاك من قصــدهم فنهض في العسكر نحوها لحمايتها وخيّم بازائهم بحمص فلم يتمكَّن الافرنج من منازلتها ومضايقتها وتردّدت بينهُ وبينهم مراسلات ومخاطبات افضت الى ان اجاب كل واحد من الفريقين (90r) الى تقرير الموادعة على الاعمال والمسالمة واستقرّ الامر في ذلك على ان يكون للافرنج الثلث من استغــلال البقــاع ويسلّم اليهم حصن المنيطرة وحصن ابن عكار ويكفُّوا عن العيث والفساد في الاعمال والاطراف وان يكون حصن مصياث وحصن الطوفان وحصن الاكراد داخلًا في شرط الموادعة ويحمل اهلها عنها مالًا معيّنًا في كل سنــة الى الافرنج فاقاموا على ذلك مدَّةً يسيرةً فلم يلبثوا على ما تقرَّر وعادوا الى رسمهم في الفساد والعناد

وفيها توفّي الشريف القاضي المكين فخر الملك ابو الفضل اسمعيل بن ابرهيم بن العبــاس الحسيني ليلة الخميس الخامس والعشرين من صفر منها بدمشق رحمه الله

وفي جمادى الاولى من هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوصول السلطان ركن الدنيا والدين محمد بن ملك شاه الى بغداد وانفاذ كُتُبهِ الى سائر البــلاد مُعلمًا فيها بما هو عليهِ من قوَّة العزم على قصد الجهــاد والامر لظهير الدين اتابك بالمقام بحيث هو الى حين ترد العساكر الى الشام وينضاف اليها ويدبّر امرها لانهُ كان تابع كتبه بالاستصراخ والاستنجاد على الكفرة الاضداد فعرضت عوائق عن ذاك عاقت وموانع عن المراد صدَّت وطالت مدَّة الانتظار وتزايد طمع الكُفَّار بتأخُّر العساكر السلطانيــة فحملت ظهير الدين اتابك الحميَّة الاسلاميَّة والعزيمة التركيَّة على التأهُّب للمسير بنفسه الى بغداد لخدمة الدار العزيزة النبويَّة المستظهريّة والمواقف السلطانيَّــة الغياثية والمثول بها والشكوى لِما تزل بالمسلمين في الاعمال اليها من تملُّك البلاد وقتــل الرجال وسبي النساء والاطفال وحديثهم بينهم بالطمع في الامتداد الى تملّك الاعمال الجزرية والعراقية. وتأهَّب للمسير واستصحب معهُ فخر الملك بن عمَّار صاحب طرابلس وخواصّ اصحابه وما امكنه من الخيول العربية السُبَّق وطُرَف مصر من اجناس اللباس وما يصلح لتلك

Marfat.com

الجهـات من التُحَف والهدايا من كل فنّ لهُ قيمة وافرة وتوجّه في البرّيّة على طريق السماوة فاستنـاب في دمشق ولده تاج الملوك بُوري ووصّاهُ بمـا يجب عمله من استعمال اليقظة (90[v]) في الذبّ والحماية واحسان السيرة في الرعيّة والمغالطة للافرنج والثبات على الموادعة المستقرّة معهم الى حين العود. فلمّا سار وحصل في الوادي المعروف بوادي المياه من البريّة وافى الخبر بما شاع من المرجفين ببغداد من الحديث بتقليد السلطان بلاد الشام لامراء عيّن عليهم ووقعت الاشارة في ذلك اليهم فاحدث هذا الخـبر وحشةً اوجبت عوده من طريقه واعتمد على فخر الملك بن عمّار ومن عوّل عليـه من ثقاته في الاقام الى بغداد بما صحبه من التُحَف والهدايا والمناب عنهُ في انهاء ما دعاه الى العود من طريقه . فوصل فخر الملك الى بغداد بما صحبه فصادف من الابتهاج بُمقدمه والتأسّف على عود اتابك ولم يصل ويشاهد ما زاد على الامل وظهور بطلان تلك الاراجيف بالمحال الذي لا حقيقة لهُ وتواصلت الاجوبة عن ذلك بما سرّ النفوس وشرح الصدور والاعتذار من اشاعة المحال واكاذيب الاخبار. وقد كان ظهـير الدين اتابك في عوده من وادي المياه قد اتّصل بهِ ان كمشتكين الخادم التاجي الوالي ببعلبك قد ارسل الافرنج بالتماس المصافاة منهم وبعثهم على شنّ الغارات على الاطراف وانهُ قد سيّر اخاهُ بايتكين الخادم التاجي الى السلطان للتوصّل بالمحال الى افساد الحال فحين سمع ظهير الدين هذا الخبر ونفوذه ندب جماعةً من العسكر وقرّر معهم المصير الى المسالك والطرقات التي لا بدّ من عبوره فيها لمسلكهِ وحملهِ اليهِ فلم يقف لبايتكين المذكور على خبر. وسار ظهير الدين في العسكر من طريقه وكتب الى ولده تاج الملوك يأمرهُ بالخروج في العسكر الى بعلبـك والنزول عليها فسارع الى امتثال امره وسار اليها ونزل عليهـا على غفلةٍ من اهلها وغرّةٍ ممّن بها ثم ارسل الخادم المذكور يلتمس منهُ الدخول في الطاعة وتسليم الموضع اليـهِ ويُحذّره من الاستمرار على المخالفة والعصيـان ويخوّفه الاقامة على ما يُفضي الى سفك الدماء وبالغ في الاعذار لهُ والانذار فلم يجب الى المراد والايثـار واصرّ على الخلاف والانكار. ووافى عقيب ذلك ظهير الدين في العسكر ومن جمعه من الرجالة وزحف الى بعلبك مقابلًا لها ونصب عليها المناجيق وشرع في عمل آلة الحرب والنقوب لقصد الاماكن المستضعفة منها لانتهاز الفرصة فيها (91[r]) وترامى اليهِ من احداث اهلهـا واجنادها جماعةٌ احسن اليهم وخلع عليهم وزحف الى سورها وقاتل من عليهِ فقتل جماعةً منهم فحين شاهدوا الجدّ في القتال والصبر على النزال جنحوا الى الدخول في الطاعة والتمس

Marfat.com

الخادم الاقالة وبذل تسليم البلد والحصن على شرط اشترطهُ وقطاع عيَّنهُ وطلب بعض المقدّمين للحديث معه والتوفق لنفسه فنفَّذ اليه الامير بلتاش لحلّه من الدولة فتقرّرت الحال على ما اقترحهُ وسلَّم البلد والحصن الذي هو غايةٌ في المنعة والحصانة ومن العجائب والقلاع المشهورة وخرج اليه وجرى على عادته الجميلة في الصفح عمَّن اساء اليهِ واظهر العصيان عليه وعوّضه عن بعلبك حصن صرخد وهو مشهور بالحصانة والمنعة ايضاً(١ وعاد اليه ما كان قبض عنهُ من ملكٍ واقطاع (وعاد) الى دمشق. وسلَّم ظهير الدين اتابك بعلبك الى ولده تاج الملوك بُوري فرتَّب فيها من ثقات اصحابه من اعتمد عليهِ في حفظها وقرَّر احوالها وكانت مُدَّة المقام في منازلتها خمسة وثلثين يوماً وتُسلّمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٠٣ وامر ظهير الدين بازالة حوادث الظلم عن اهل بعلبك وتسويغ بعض خراج اهلها واعاد عليهم املاكاً كانت قد اغتُصبت في قديم الزمان وكثر لهُ الدُعاء. وتواصل عليهِ الثناء وعاد منكفياً الى دمشق. وورد عليه الخبر بعود السلطان من بغداد الى اصفهان في شوال من السنة

وورد الخبر بوفاة الامير ابرهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة فيها مذكوراً بالظلم في اهلها وكان جماعةٌ من اهلها قد خلوا عنها لاجلهِ المستمرّ عليهم واساءتهِ اليهم فسُرَّت النفوس بفقده وأمّل من بعده الصلاح وقام مقامه ولدهُ(٢ فكان اصلح منه سريرةً واحسن طريقةً

وفي هذه السنة خرج طنكري من انطاكية في حشده ولفيفه المخذول الى الثغور الشامية فملك طرسوس وما والاها واخرج صاحب ملك الروم منها وعاد الى انطاكية ثم خرج الى شيزر وقرَّر عليها عشرة الاف دينار مُقاطعةً تُحمَل اليهِ بعد ان عاث في عملها ونزل على حصن (91[٧]) الاكراد فتسلَّمهُ من اهله وتوجَّه الى عرقة وكان الملك بغدوين وابن صنجيل قد نزلا على ثغر بيروت براً وبحراً فعاد طنكري الى انطاكية وسار جوسلين صاحب تل باشر الى ثغر بيروت لمعاونة النازلين عليهِ من الافرنج ويستحثهم على عسكر الامير مودود (٣ النازلين على الرُها. وشرع الافرنج في عمل البرج ونصبه على

---

١) قال سبط ابن الجوزي. ان في سنة ٤٦٦ بنى حسان بن مسبار الكلبي قلعة صرخد وكتب على بابها: امر بعمارة هذا الحصن المبارك الامير الاجلّ مقدّم امراء العرب عز الدين فخر الدولة عدة امير المؤمنين. يعني المستنصر لانهُ كان في خدمته وذكر اسمه ونسبه ٢) وهو سعد الدولة ايكلدي قد تقدَّم ذكره ٣) قال سبط ابن الجوزي: انهُ كان قد طرد جاولى عن الموصل وملك الجزيرة بامر السلطان

Marfat.com

سور بيروت فحين نجز وزحفوا بهِ كُسر بحجارة المناجيق وأُفسد فشرعوا في عمل غيره وعمل ابن صنجيل برجاً اخر ووصل في الوقت من اصطول مصر في البحر تسعة عشر مركباً حربيَّة فظهروا على مراكب الافرنج وملكوا بعضها ودخلوا بالميرة الى بيروت فقويت بها نفوس من فيها من الرعيَّة. وانفذ الملك بغدوين الى السويديَّة يستنجد بمن فيها من الجنوية في مراكبهم فوصل منها الى بيروت اربعون مركباً مُشحَنةً بالمقاتلة فزحف الافرنج في البرّ والبحر اليها باسرهم في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوَّال ونصبوا على السور برجين اشتدّوا في القتال فقُتل مقدّم الاصطول المصري وخلقٌ كثير من المسلمين ولم يرَ الافرنج من ما تقدَّم وتأَخر اشدّ من حرب هذا. وانخذل الناس في البلد وايقنوا بالهلاك فهجم الافرنج على البلد اخر نهار هذا اليوم فملكوه بالسيف قهراً وغلبةً وهرب الوالي الذي كان فيهِ في جماعةٍ من اصحابه وحُمل الى الافرنج فقُتل ومن كان معهُ وغنموا ما كان استصحبه من المال ونُهب البلد وسُبي من كان فيه وأُسر واستُصفيت اموالهم وذخائرهم. ووصل عقيب ذلك من مصر ثلثمائة فارس نجدةً لبيروت فحين حصلوا بالاردُنّ خرجت عليهم فرقةٌ من الافرنج يسيرة العدد فانهزموا منهم الى الجبال فهلك منهم جماعة. فلمَّا تقرَّر امر بيروت رحل الملك بغدوين في الافرنج ونزل على ثغر صيدا وراسل اهله يلتمس منهم تسليمه فاستمهلوهُ مُدَّة عيَّنوها فاجابهم الى المهلة بعد ان قرَّر عليهم ستَّة الاف دينار تحمل اليهِ مقاطعةً وكانت قبل ذلك الفي دينار ورحل عنها الى بيت المقدس للحج

وفي هذه السنة وردت الاخبار بظهور الكُرج على بلاد كنجة (92ʳ) وما قاربها واكثروا العيث والفساد في نواحيها وانتهى الخبر بذلك الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه فانهض اليهم عسكراً وافر العدد فاوقع بهم وشرّدهم وعنّ الفساد والعيث ابعدهم بالفتك فيهم وطاردهم ودوَّخ بلادهم واخرب اعمالهم فامن اهل بلاد كنجة من شرّهم وقامت الهيبة باهلاكهم وعاد العسكر السلطاني ظافراً غانماً

وفي هذه السنة وردت الاخبار بظهور قومٍ كافر نزل على من صادفوهُ في الاعمال ووصلوا الى جيحون فافسدوا تلك الاعمال واعاثوا فيها واتّصل الخبر بالسلطان المعظم ابي الحرث سنجر بن ملك شاه سلطان خراسان فانهض اليهم اميراً كبيراً من مقدّمي عساكر خراسان في عددٍ دثر من الاتراك فظفر بهم وكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً عائدين خاسرين مفلولين

Marfat.com

وفي ثامن من ذي القعدة من السنـــة ظهر في السماء كوكب من الشرق لهُ ذُؤَابةٌ ممتدَّةٌ الى القبلة واقام الى اخر ذي الحجة ثم غاب. وفيها كاتب السلطان غياث الدنيـا والدين الامير سكمان القطبي صاحب ارمينية وميافارقين وشرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالمسير في العساكر الى جهاد الافرنج وحماية بلاد الموصل فجمعا واحتشدا ونهضا ونزلا بجزيرة بني نُمير الى ان تكامل وصول وُلاة الاطراف اليهما وخلقٌ كثير من المتطوّعة ووصل اليهمـا ايضاً الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في خلق كثير من التركمان واجتمع المسلمون في عددٍ لا يقوم بلقـائه جميع الافرنج. وا تفقت الاراء على افتتاح الجهاد بقصد الرُها ومضايقتها الى ان يُسهّل الله افتتاحها بحكم حصانتها ومنعتها. فرحلوا باسرهم ونزلوا عليها في العشر الثاني من شوال واحاطوا بها من جهاتها كالنطاق ومنعوا الداخل والخارج بالمسير اليها وكان القوت بها قليلاً فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر وطالت مُدَّة الحصر لها والتضييق عليهـا. وحين عرف الافرنج صورة هذه الحال شرعوا في الجمع والاحتشاد والتأهُّب للذبّ عنها والاستعداد واتَّفقت الكلمة بينهم على هذه الحال واجتمع (92ظ) طنكري صاحب انطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس والملك بغدوين مُقدّمو وُلاة الاعمال من الافرنج وتعاهدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب والمصابرة واللباث. فلمَّا استقرّت الاحوال بينهم على البيّنة رحلوا باسرهم الى ناحية الرُها. واتَّصلت الاخبار بظهير الدين اتابك وعرف صورة الحال فيما تقرَّر بينهم فسار من دمشق في العسكر وخيم على سلميَّة وعرف ان الافرنج قد قصدوا في طريقهم رفنية وفيها الامير شمس الخواصّ واليها وانهم لما نزلوا عليها ظهر اليهم في خيله وقتل منهم جماعة ووصل الى المخيّم بسلميَّة واجتمع اليه خلقٌ كثير من الشـام ووصل الخبر بحصول الافرنج على الفُرات عازمين على قطعه (قَصد) الرُها فرحل اتابك في الحال وتوجَّه الى ناحية الرقَّة وقلعة جعبر وقطع الفرات وتلوّم هناك الى ان عرف خبر الافرنج وانهم قد احجموا عن العبور لتفرُّق سرايا العساكر الاسلامية وطلائعهم في سائر الجهات والمسالك الى الفرات

ولمَّا عرف المسلمون قرب الافرنج منهم اتَّفقت الاراء فيما بينهم على الافراج لهم ليتمكَّنوا من لقائهم في الفضاء من شرقي الفرات ورحلوا عن الرُها في اخر ذي الحجـة منها ونزلوا ارض حرَّان على سبيـل الخديعة والمكر وكانت حرَّان قد حصلت للامير مودود وسلَّمها الى نجم الدين ايل غازي بن ارتق. وتوفَّق المسلمون عن لقاء الافرنج

Marfat.com

الى ان يقربوا منهم ويصل اليهم عسكر دمشق وفطن الافرنج لهذا التدبير والاتفاق عليه فخافوا واستشعروا الهلاك والخذلان واجفلوا ناكصين على الاعقاب الى شاطئ الفرات وبلغ المسلمين خبرهم فنهضوا في اثرهم وادركهم سرَعات الخيل وقد قطع الفرات بعضهم من مقدّميهم فغنم المسلمون سوادهم واثقالهم واتوا على العدد الدثر من اتباعهم قتلًا واسرًا وتغريقًا في الفرات وامتلأت الايدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدواب. ولم يتمكن المسلمون من قطع الفرات للّحاق بهم بحكم اشتغالهم بامر الرُها والعود اليها وكانوا قد اخرجوا منها كل ضعيف الحال ورتّبوا جماعةً من الارمن لحفظها وحملوا اليها ما صحب العسكر الواصل من الاقوات تقويةً لها وخرج بغدوين الرُوَيس (93[1]) صاحبها عنها وتوجّه صحبة الافرنج المنهزمين. واقام عسكر الاسلام على الفرات اَيامًا تازلًا بازائهم ورحل طالبًا للعود الى منازلة الرها وعرف ظهير الدين اتابك خبر عودهم على تلك الصفة فعاد منكفيًا الى عمله لحمايته منهم بعد ان نفّذ شطرًا وافرًا من معسكره الى النازلين على الرُها لمعونتهم ووصل الى دمشق واقام من كان انهضه من عسكره الى الرها الى ان خلت البلاد منها وأُذِن لهم في العود الى اماكنهم بعد اكرامهم والاحسان اليهم

وتردّدت بين اتابك ظهير الدين وبين الامير شرف الدين مودود مراسلات افضت الى استحكام المودّة بينهما واتّفاق الكلمة وتأكيد اسباب الألفة فطال مقام عسكر الاسلام على الرُها لامتناعها وحصانتها وقلّ تواصُل الميرة الى المخيّم وعدم وجودها فدعتهم الحاجة الى العود عنها فتفرّقوا بعد ان رتّبوا من يُقيم على حرّان لحصر الرُها. وحدث لنجم الدين ايل غازي ابن ارتق استيحاش من سكمان القطبي لامرٍ تجدّد بينهما فاجفل من حرّان الى ماردين فقبض سكمان على ابن اخيه بلك وحمله معه الى بلده مقيّدًا. وبعد تفرّق العساكر اسلامية عن الرُها عاد اليها بغدوين الرُوَيس صاحبها وحصل بها والغارات متواصلة على اطرافها. وقد كان الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب لمّا عرف هزيمة الافرنج خرج الى اعمال حلب واستعاد ما كان غلب الافرنج عليهِ منها وغار على عمل انطاكية وغنم منه غنيمةً وافرة ولمّا عرف خبر عودهم عاد الى حلب. ووصل الافرنج عقيب ذلك فافسدوا في عمل حلب وقتلوا واسروا خلقًا كثيرًا وعاد طنكرى ونزل على الاثارب وملكها بعد طول حصرها والمضايقة لها وذلك في جمادى الآخرة من السنة وأمن اهلها وخرج منها من اراد

Marfat.com

الخروج واقام من اثر المقام واستقرَّت الموادعة بعد ذلك بين الملك فخر الملوك رضوان وبين طنكرى على ان يحمل اليهِ الملك من مال حلب في كل سنة عشرين الف دينار مقاطعةً وعشرة أرؤس خيلًا وفكاك الاسرى واستقرَّت على هذه القضيَّة

وفيها وصل الملك بغدوين صاحب (93ᵛ) بيت المقدس الى ناحية بعلبك وعزم على العيث والافساد في ناحية البقاع وتردّدت المراسلة بينه وبين ظهير الدين اتابك في هذا المعنى الى ان تقرَّرت الموادعة بينهما على ان يكون الثلث من استغلالات البقاع للافرنج والثلثان للمسلمين والفلَّاخين وكتب بينهما المواصفة بهذا الشرح في صفر من السنة ورحل عائدًا الى عمله وقد فاز بما حصل في يده وايدي عسكره من غنائم بعلبك والبقاع

ووردت الاخبار فيها بوصول بعض ملوك الافرنج في البحر ومعه نيّف وستُّون مركبًا مشحونة بالرجال لقصد الحج والغزو في بلاد الاسلام فقصد بيت المقدس وتوجَّه اليهِ بغدوين واجتمع معه وتقرّر بينهما قصد البلاد الاسلامية. فلمَّا عادا من بيت المقدس نزلا على ثغر صيدا في ثالث شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٤ وضايقوهُ برًّا وبحرًا. وكان الاسطول المصري مقيمًا على ثغر صور ولم يتمكَّن من انجاد صيدا فعملوا البرج وزحفوا بهِ اليها وهو ملبسٌ بخطب الكرم والبسط وجلود البقر الطرية ليمنع من الحجارة والنفط وكانوا اذا احكموه على هذه الصورة نقلوه على بكَر تُركَّب تحته في عدَّة ايام متفرّقة فاذا كان يوم الحرب وقُرّب من السور زحفوا بهِ وفيهِ الماء والخلّ لطفي النار وآلة الحرب

فلمَّا عاين من بصيدا هذا الامر ضعفت نفوسهم واشفقوا من مثل نوبة بيروت فاخرج اليها قاضيها وجماعة من شيوخها وطلبوا من بغدوين الامان فاجابهم الى ذلك وامنهم العسكرية معهم على النفوس والاموال واطلاق من اراد الخروج منها الى دمشق واستحلفوه على ذلك وتوثّقوا منهُ وخرج الوالي والزمام وجميع الاجناد والعسكرية وخلق كثير من اهل البلد وتوجَّهوا الى دمشق لعشر بقين من جمادى... سنة ٥٠٤ وكانت مدَّة الحصار سبعةً واربعين يومًا. ورتّب بغدوين الاحوال بها والحافظين لها وعاد الى بيت المقدس ثم عاد بعد مدَّةٍ يسيرة الى صيدا فقرَّر على من اقام بها نيفًا وعشرين الف دينار فافقرهم واستغرق احوالهم وصادر من عَلِمَ انَّ لهُ بقيَّة (١ منهم (94ᵀ)

سنة اربع وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بان جماعة من التجار المسافرين خرجت من تنيس

---

١) وفي الاصل: سه

Marfat.com

ودمياط ومصر ببضائع واموالٍ جمة كانوا قد ضجروا وملّوا طول المقام وتعـذّر مسير الاصطول في البحر وحملوا نفوسهم على الخطر واقلعوا في البحر فصادفتهم مراكب الافرنج فاخذتهم وحصل في ايديهم من الامتعة والمال ما يزيد على مائة الف دينار واسروهم وعاقبوهم واشتروا انفسهم بما بقي لهم من الذخائر في دمشق وغيرها

واما بغدوين فانهُ لما عاد من صيدا قصد عسقلان وغار عليها وكان واليها المعروف بشمس الخلافة يُراسل بغدوين فاستقرَّت الحال بينهما على مالٍ يحملهُ اليـه ويرحل عنه ويكفّ الاذية عن عسقلان وكان شمس الخـلافة ارغب في التجارة من المحاربة ومال الى الموادعة والمسالمة وايمان السابلة وقرَّر على اهل صور سبعة الاف دينار تُحمل اليه في مدَّة سنة وثلثة شهور وانتهى الخبر بذلك الى الافضل صاحب مصر في شوال فانكر هذه الحال واسرّها في نفسه ولم يُبدِها لاحد من خاصّته وجهَّز عسكراً كثيفاً الى عسقلان مع والٍ يكون مكان شمس الخـلافة. فلما قرب من عسقلان وعرف شمس الخلافة ذلك اظهر الخلاف على الافضل وجاهر بالعصيان عليـه واخرج من كان عنده من العسكرية لخوفه من تدبيرهم عليه من الافضـل لما يَعلمُهُ من الامور التي انكرها عليه ونقمها منه ومُراسلته لبغدوين يلتمس منه المصافاة والمعونة بالرجال والغلال وان دَهمَهُ امرٌ وحزَبَهُ خطبٌ سلّم اليه عسقلان فطلب منه العوض عنها. فلمّا عرف الافضل ذلك اشفق من تمام هذا الامر فكاتبه بما يُطيّب نفسه وغالطه واقطعه عسقلان واقرّ اقطاعه بمصر عليه وازال الاعتراض لشيء من ماله في ديار مصر من خيلٍ وتجارة واثاث وخاف شمس الخلافة من اهل البلد فاستدعى جمـاعةً من الارمن فاثبتهم (١ في عسقلان ولم يزل على هذه الحال الى اخر سنة ٥٠٤ فانكر امره اهل البـلد ووثب عليهِ قوم من كُتـامة وهو راكبٌ فجرحوه وانهزم الى داره فتبعوه واجهزوا عليه ونهبوا داره وماله وتخطّفوا بعض دور (94[٢]) الشهود والعامّة وانتهى الخبر الى صاحب السيَّارة فبادر الى البلد فاطاع امره من بهِ وانفذوا رأسه الى الافضل الى مصر وانهوا جليَّة حاله فحسن موضع ذلك منه وموقعه واحسن الى الواردين بهذه البُشرى ثم تقدَّم بمطالبـة القوم القاتلين بما نهبوه من داره واستولوا عليه من ماله ومال اهل البلد واعتقالهم وقبض جماعةٍ من اهل البلد وحملهم الى مصر ولمّا وصلوا اعتُقلوا فيها

وفي هذه السنة هبَّت بمصر واعمالها ريحٌ سوداء وطلع سحابٌ اسود اخذ بالانفاس

---

١) وفي الاصل: فاسلهم

Marfat.com

واظلمت منهُ الدنيا حتى لم يبصر احدٌ يدهُ والريح تسقي الرمل في مُقَــل الناس ووجوههم حتى يئسوا من الحياة وايقنوا بالبوار بهول ما عاينوه والخوف مما تزل بهم ولما تجلّى ذلك السواد عاد الى الصُفرة والريح بجــالها ثم انجلت الصُفرة وظهرت للناس الكواكب وظنّ اهل تلك الاعمال بان القيامة قد قامت وخرج النــاس من منازلهم واسواقهم الى الصحراء وركدت الريح واقلع السحاب وعاد الناس الى منازلهم سالمين من الاذى وكانت مدَّة هذه الشدَّة منذ صلوة العصر الى صلاة المغرب

وفيها وصل السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه من همذان الى بغداد في جمادى الاولى منها ووردت الكتب والرسل اليه من الشام بانهــاء الحال وما جرى من الافرنج بعد عودهم عن الفرات ونوبة صيدا والاثارب واعمال حلب. ولمَّا كان اوّل جمعة من شعبان حضر رجل من الاشراف الهاشميين من اهل حلب وجماعة من الصوفيَّة والتجار والفقهاء الى جامع السلطان ببغداد فاستغاثوا وانزلوا الخطيب عن المنبر وكسَّروه وصاحوا وبكوا لِما لحق الاسلام من الافرنج وقتــل الرجال وسبي النساء والاطفال ومنعوا الناس من الصلاة والخدم والمقدّمون يعدونهم عن السلطان بما يُسكّنهم من انفاذ العساكر والانتصار للاسلام من الافرنج والكُفَّار وعادوا في الجمعة الثانيــة المصير الى جامع الخليفة وفعلوا مثل ذلك من كثرة البكاء والضجيج والاستغــاثة والنحيب. ووصلت عقيب ذلك الخاتون السيدة اخت السلطان زوجة الخليفة الى بغداد من اصفهان ومعها من التجمُّل والجواهر والاموال والآلات واصناف المراكب والدوابّ والاثاث (95r) وانواع الملابس الفــاخرة والخدم والغلمان والجوار والحواشي ما لا يدركهُ حزرٌ فيحصر ولا عدٌّ فيُذكر واتّفقت هذه الاستغاثة فتكدَّر ما كان صافياً من الحال والسرور بقدمها. وانكر الخليفة المستظهر بالله امير المؤمنين ما جرى وعزم على طلب من كان الاصل والسبب ليوقع به المكروه فمنعه السلطان من ذلك وعذر الناس فيما فعلوهُ واوعز الى الامراء والمقدّمين بالعود الى اعمالهم والتأهُّب للمسير الى جهاد اعداء الله الكفَّار.

وفي جمادى الاخرة منها وصــل رسول متملّك الروم بهدايا وتحف ومراسلات مضمونها البعث على قصد الافرنج والايقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الاعمال وترك التراخي في امرهم واستعمال الجدّ والاجتهاد في الفتك بهم قبل اعضال خطبهم واستفحــال شرّهم ويقول انَّهُ قد منعهم من العبور الى بلاد المسلمين وحاربهم فان طمعوا فيها بحيث تتواصل عساكرهم وامدادهم الى البلاد الاسلامية احتــاج الى

Marfat.com

مُداراتهم واطلاق عبورهم ومساعدتهم على مقاصدهم واغراضهم للضرورات القائدة الى ذلك ويبالغ في الحثّ والتحريض على الاجتماع على حربهم وقلعهم من هذه الديار بالاتّفاق عليهم

وفي هذه السنة نقض الملك بغدوين صاحب بيت المقدس الهدنة المستقرَّة بين اتابك وبينه وكتب الى ابن صنجيل صاحب طرابلس يلتمس منهُ الوصول اليه في عسكره ليجتمع معه في طبريَّة وجمع وحشد ورحل الى ناحية بيت المقدس لتقرير امرٍ كان في نفسه فحدث لهُ في طريقه مرض اقام بهِ اياماً ثم ابلّ منهُ ولم يبقَ في عينه منهم امرٌ يحفل به من جهتهم . فنهض ظهير الدين اتابك عند معرفته قصده في عسكره ونزل في المنزل المعروف برأس الماء ثم رحل عنه الى اللجاة ونهض الافرنج في اثره الى الصنمين ففرَّق اتابك العسكر عليهم من عدَّة جهات وبث في المعابر والمسالك خيلاً يمنع من حمل الميرة اليهم وضايقهم مضايقةً الجأتهم الى الدخول في حكم المسالمة والموادعة وتردَّدت المراسلات في ذلك (95[٢]) الى ان استقرَّت الحال بينهما على ان يكون لبغدوين النصف من ارتفاع جبل عوف والسواد والجبانية مضافاً الى ما في يده ومن هذه الاعمال التي يليها في ايدي العرب من آل جرَّاح وكتب بينهما هذا الشرط ورحل كل منهما منكفئاً الى عمله في اخر ذي الحجة منهما . وقد كان الامر تقرَّر مع السلطان غياث الدنيا والدين على انهاض العساكر عقيب تلك الاستغاثة المقدَّم شرحها ببغداد والتقدّم الى الامراء بالتأهب للمسير الى الجهاد فتأهبوا لذلك وكان اوَّل من نهض منهم الى اعمال الافرنج الامير الاسفهسلَّار شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره الى سنجتان فافتتح تلّ مُراد وعدَّة حصون هناك بالسيف والامان ووصل اليه الامير احمديل في عسكرٍ كثيف الجمع وكذلك تلاه الامير قطب الدين سكمان القطبي من بلاد ارمينية وديار بكر فاجتمعوا في ارض حرّان وكتب اليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يُعلمهم نزول طنكرى صاحب انطاكية ارض شيزر وشروعه في بناء تلّ ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل الغلال اليهِ ويستصرخهم ويبعثهم على الوصول الى جهته . فحين عرفوا ذاك رحلوا الى الشام وقطعوا الفرات في النصف من المحرَّم سنة ٥٠٥ ونزلوا على تلّ باشر في التاسع عشر من المحرم واقاموا عليه منتظرين وصول الامير بُرسق بن بُرسق صاحب همذان وكان قد أُمر من السلطان بالتقدُّم عليهم فوصل اليهم في بعض عسكره وبهِ مرضٌ من علَّة النقرس وسكمان القطبي ايضاً مريضٌ والاراء

بينهما مختلفة وقاتل المطوعة والسوقة هذا الحصن ونقبوه فانفـذ جوسلين صاحب تل باشر الى الامير احمديل الكُردي يلاطفه بمالٍ وهديةٍ ويبذل لهُ الكون معه والميل اليه وكان اكثر العسكر مع احمديل وسألهُ الرحيل عن الحصن وينزل اليه فاجابه الى ذلك على كراهية من باقي الامراء واشتدّ مرض سكمان القطبي وعزم احمديل على العود طمعاً منهُ في ان السلطان يُقطعه بلاد سكمان وكان قد عقد بينهمـا وصلة وصهر فعادوا عن تلّ باشر الى حلب ونزلوا عليها وعاثوا في اعمالها وفعلوا اقبح من فعل الافرنج في الفساد وتوقّعوا خروج (96 r) الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب اليهم او خدمه يُنفذها لهم فلم يلتفت الى احدٍ منهم واغلق ابواب حلب واخذ رهاين اهلها الى القلعة ورتّب الجند واحداث الباطنية والطائعين لحفظ الاسوار ومنع الحلبيين من الصعود الى السور واطلق الحراميّـة في اخذ من يظفرون بهِ من اطراف العسكر. وقد كان ظهير الدين اتابك عند اجتماع هؤلاء الامراء وعبورهم الفرات قد كاتبوه بالوصول اليهم وردّ التدبير فيما يعتمدون عليه اليه ووصل اليه كتاب السلطان بمثل هـذه الحال فاقتضت الصورة وصائب الرأي ان ينهض في العسكر نحوهم للاعتضاد على الجهاد وتقوية النفوس على حماية هذه البلاد من اهل الشرك والالحاد وجمع من امكنه من رجال حمص وحمـاة ورفنية وسائر المعاقل الشامية وسار اليهم ووصلهم على ظاهر حلب فتلقّوه بالاكرام والمزيد في الاحترام وقويت بوصوله النفوس واشتـدّت الظهور وسُرّوا بحصوله عندهم سروراً اظهر منهم وشاع عنهم فلم يرَ منهم عزيمةً صادقة في جهادٍ ولا حماية بلادٍ

واماً سكمان القطبي فان المرض اشتدّ بهِ واشفي منه ففصل عنهم وعاد الى بلده وورد الخبر بوفاته في طريقـه قبل وصوله الفرات (١ . واماً برسق بن برسق فانهُ كان

---

١) واماً الامير سكمان صاحب اخلاط. قال الفارقي في تاريخه: انهُ في الخميس العشرين من جمادى الاولى سنة ٥٠٢ نزل الى ميافارقين وحاصرها وكان تشرين الاول من السنـة وضايقها وكانت شتوة صعبة وبقي يحاصرها مدّة سبعة اشهر ثم سلّمها اليه اتابك خمرتاش بعد ذلك في شوال سنة ٥٠٢ ودخلها وكان معهُ جميع امراء ديار بكر وخلع عليهم وتفرّقوا عنهُ. ولقـد احسن الى اهل ميافارقين وازال عنهم الكلف واسقط عنهم الاعشار والمؤن والاقساط ودار الضرب وما كان جدّده المحتسب واتابك واتّخذوه من الرسوم وحطّ عن الناس اشياء كثيرة واطلق الحشرى للسور واجرى الناس على املاكهم وخفّف عنهم من الخراج وازال عنهم جميع اسباب الظلم. ونزل في القصر والياً مملوكه غزغلي وسلّم البلد الى خواجا اثير الدولة ابي الفتح وبقي الناس معهُ على كل خيرٍ

يحمل في المحفَّة ولا يتمكَّن من فعلٍ ولا قولٍ . اما احمـديل فان عزمه قوي على العود بسبب بلاد سكمان وطمعهِ في اقتطاعها من السلطـان فاستجرّهم ظهير الدين اتابك الى الشام فرحلوا في اخر صفر ونزلوا معرّة النعمان فاقاموا على ذلك المنهاج الاوّل وامتار

وقال ايضاً ان في سنة ٥٠٦ نزل الامير سكمان الى ميافارقين وقصد الرُها ومعهُ عساكر عظيمة فمات هناك ووصل تابوته الى ميافارقين وحُمل الى اخلاط ودُفن بها . وقال ايضاً ان في سنة ٥٠٦ وصلت الخاتون زوجة الامير سكمان وولده الامير ابرهيم الى ميافارقين وعُزل غزغلي عن الولاية وولّي السديد ابو سعد الحويلي الوزارة وولّي ميافارقين اخوه ابو منصور المُعين واستقرّ متولّياً . وفي سنة ٥٠٧ عصي المعين بميافارقين و بقي مدَّةً متحكماً في البلد . وفي اخر سنة ٥٠٨ وصل قراجا الساقي مملوك السلطان محمد الى باب ميافارقين ونزل على الروابي و بقي مدَّة والمعين متولّي البلد وهو لا يظهر الّا انهُ عابر وهو ينتظر من يلحقهُ من اصحابه ولا يراسل المعـين ولا يكلّمهُ واخرج لهُ المعين الاقامة والضيافة وكان كل يوم يركب الى الصيد ويعبر على باب البلد . فعبر ذات يوم كعادته على باب المدينة بباب الحوش وهجم على البـاب وقطع بسيف كان بيده السلسلة ودخل فوثب اليهِ بعض الخراسانية فجذب سيفه وصاح فيـهِ الامير . فدخل الى داخل البلد ومعهُ جماعة فوقف داخل البـاب . فوثب الى بين يديه رجل حدّاد ومشى بين يديه الى باب القصر فوقعت الصيحة وغُلق باب القصر واجتمع الناس و بقوا ساعةً ففتح المعين باب القصر ودخل عزّ الدين قراجا الى ميافارقين في اخر سنـة ٥٠٨ ونزل المعين الى دار العُجمية وملك قراجا البلد ودخل اصحابه ورحله وثقله وزوجتهِ وكانت جارية السلطان محمد وكان معها ابنة السلطان تسمّى فاطمة خاتون خيرة وهي التي تزوّجها الخليفة المقتفي في سنة ٥٣٦ ولقد حضرت لما دخلت اليهِ الى دار الخلافة في سنة ٥٣٦ ببغداد . و بقي قراجا ثلثة ايام واستوزر المعين وخلع عليهِ وردّ الامور كلها اليهِ

ثم ان السلطان نفذ طلبهُ فاستدعاه فمضى اليه واعطاه ولاية فارس وشيراز والمعين معه وزيره . فنفذ السلطان والياً اسمه الرُزبكي فدخل ميافارقين في سنة ٥٠٩ . وفي ولايتـه تطاولت الايدي على ميافارقين و بلدها واخذوا منهُ من كل جانب وخرب اكثره وكان قد اخذ منهُ في ولاية اتابك خمرتاش مواضعَ كثيرة فاخذ منهُ الامير سكمان بن ارتق بلد حزة لحصن كيفـا من قاطع شطّ ساتيدما الى باب الشعب الى شطّ ارزن مقدار مائة ضيعة واخذ لماردين نجم الدين ايلغـازي بلد الحناضلة من قاطع دجلة الى جبل الصور مقدار ثمانين ضيعـة واخذ الامير فخر الدولة ابرهيم صاحب آمد مقدار ثلثين ضيعة من شرقي نهر الحوّ واخذ الامير ستارُوَخ صاحب حاني رأس الحبر الاعلى واخذ الامير احمد صاحب ابن مروان (وهو ابن الامير نظام الدين) بلد الهتاخ واخذت السناسنة مقـدار ثلثين قرية من عاد الجوز (ذات الجوُز) وما حوله داخل رأس السلسلة واخذ حسام الدولة صاحب ارزن خمس وعشرين قرية من بين النهرين وكان ذلك لاختلاف الوُلاة وتغيّر الدُوَل . وقال ايضاً ان في سنة ٥١٢ نفذ السلطان الى الرزبيكي رسولاً يأمرهُ ان يسلّم ميافارقين الى نجم الدين ايلغازي فحضر وسلّمها اليهِ وملكها وخرج الرزبكي ونزل على الروابي واقام ثلثة ايام فلمّا كان اليوم الرابع وصلهُ رسول من السلطان يأمرهُ ان لا يُسلّم فوجد الامر قد فات واستقر نجم الدين بميافارقين واظهر العدل والانصاف والاحسان الى الناس

Marfat.com

العسكر من عملها ما كفاهم وقصروا عن حملة من العلوفات والاقوات وظهر اظهير الدين من سوء نيَّة المقدّمين فيه ما اوحشه منهم ونفَّر قلبه من المقام بينهم وذُكر لهُ ان الملك فخر الملوك رضوان راسل بعض الامراء في العمل عليه والايقاع بهِ فاتّفق مع الامير شرف الدين مودود وتاكّدت المصافاة والمعاهدة بينهما وحمل الى بقية الامراء ما كان صحبه من الهدايا لهم والتُحَف والحصُن العربية السُبَّق والاعلاق المصريَّة (96ظ) وقُوبل ذلك منهُ بالاستكثار لهُ والاستطراف والشكر والاعتراف ووفى لهُ مودود بما بذله وثبت على المودَّة وجعل اتابك يحرّضهم على قصد طرابلس ويعدهم حمل ما يحتاجون اليهِ من المير من دمشق وعملها وان ادركهم الشتاء انزلهم في بلاده فلم يفعلوا وتفرّقوا ايدي سبا وعاد بُرسق بن بُرسق واحمديل وتبعوا عسكر سكمان القطبي وتخلّف منهم الامير مودود مع اتابك فرحلا عن المعرّة ونزلا على العاصي

ولمّا عرف الافرنج رحيل العساكر وتفرّقهم اجتمعوا ونزلوا افامية باسرهم بغدوين وطنكري وابن صنجيل بعد التباُين والمنافرة والخلف وصاروا يدًا واحدة وكلمةً متّفقةً على الاسلام واهله وساروا لقصدهم فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه وجماعته واجتمع مع اتابك ومودود وحرَّضهما على الجهاد وهوَّن عليهما امر الافرنج فرحلوا وقطعوا العاصي ونزلوا في قبلي شيزر وصار سوق العسكر في سُوق شيزر ونزل عسكر مودود حول شيزر وبالغ ابن منقذ وجماعته في الخدمة والمواصلة بالميرة واصعد اتابك ومودود وخواصّهما الى حصن شيزر وباشر خدمتهما بنفسه واسرته ونزل الافرنج شمالي تلّ ابن معشر ودُبّر امر العسكر احسن تدبير وثبت الخيل من جميع جهاتهم تطرق حولهم وتجول عليهم وتمنع من الوصول اليهم وضيَّقوا عليها وجَلَوْهم عن الماء وذادوهم عن العاصي لكثرة الرماة على شطوطه وجوانبه من قبليهِ فما يدنو منه من الافرنج شخصٌ الّا وقد قُتل وطمع الاتراك فيهم وسهل امرهم عليهم وكانت خيل المسلمين مثل خيل الافرنج الّا ان راجلهم اكثر وزحف الاتراك اليهم فنزلوا للحرب عن تلّ كانوا عليه فهجمت الاتراك عليهم من غربيهم ونهبوا جانبًا من عسكرهم وملكوا عدَّة من خيامهم واثقالهم وجالوا حولهم فعادوا الى مكانهم الذي كانوا بهِ ورجعوا منه وذلك في شهر ربيع الاوّل. واشتدّ خوف الافرنج من الاتراك واقاموا ثلثة ايام لا يظهر احد منهم ولا يصل اليهم شخصٌ وعاد المسلمون لصلاة الجمعة في جامع شيزر فرحل الافرنج الى افامية ولم ينزلوا فيها بل تعدَّوْها وتبعهم المسلمون عند معرفة (97ظ) رحيلهم وتخطّفوا

اطرافهم ومن ظفروا بهِ سائرًا على اثارهم وعادوا الى شيزر ورحلوا الى حمـاة واستبشر الناس بعود الافرنج على هذه الحال

سنة خمس وخمسمائة

واستحكمت المودَّة بين ظهير الدين اتابك وبين الامير مودود. وفي هذه السنـة جمع بغدوين الملك مَن امكنهُ جمعهُ من الافرنج وقصـد ثغر صور فبادر عزّ الملك واليهِ واهل البلد بمراسلة ظهير الدين اتابك بدمشق يستصرخون به ويستنجدونه ويبـذلون تسليم البلد اليه ويسئلونه المبادرة والتعجيل بانفـاذ عدَّةٍ وافرة من الاتراك تصل اليهم سرعةً لمعونتهم وتقويتهم وان تأخرت المعونة عنهم قادتهم الضرورة الى تسليمـه الى الافرنج ليأسهم من نُصرة الافضل صاحب مصر فبادر اتابك بانفـاذ جماعة وافرة من الاتراك بالعُدَد الكاملة تزيد على المائتين فرسانًا رماة ابطالًا فوصلت اليهم واتت اهل صور رجالة كثيرة من صور وجبـل عاملة رغبوا في ذلك مع رجالةٍ من دمشق وصلوا اليهم وحصلوا عندهم وشرع اتابك في انفاذه عدَّة اخرى. فحين عرف بغدوين ما تقرَّر بين اتابك واهل صور بادر النزول عليها فيمن جمعه وحشده في اليوم الخامس وعشرين من جمادى الاولى سنة ٥٠٥ وتقدَّم بقطع الشجر والنخـل وبنى بيوت الاقامة عليها وزحف اليها فقاتلها عدَّة دفعات ويعود خاسرًا لم ينل منها غرضًا وقيل ان اهل صور رشقوا في بعض ايام مقاتلتها في يوم واحد بعشرين الف سهم

وخرج ظهـير الدين من دمشق حين عرف نزولهم على صور وخيَّم ببانياس وبث سراياه ورجالة الحرامية في اعمال الافرنج واطلق لهم النهب والقتل والسلب والاخراب والحرق طلبًا لازعاجهم وترحيلهم عنها فتدخل العدَّة الثـانية الى صور فلم يتمكَّن من الدخول. ونهض ظهـير الدين الى الحبيس الذي في السواد وهو حصنٌ منيعٌ لا يُرام فشدَّ القتال عليه وملكه بالسيف قهرًا وقتل من كان فيـه قسرًا وشرع الافرنج في عمل بُرَجٍ خشب للزحف بهما الى سور صور وزحف ظهير الدين اليهم عدَّة دفعـات ليشغلهم بحيث يخرج (97ظ) عسكر صور فيحرق البُرجين وعرف الافرنج قصـده في ذلك وخندقوا عليهم من جميع الجهـات ورتَّبوا على الخندق الرجال بالسلاح لحفظه وحفظ الابراج ولم يخفلوا بما يفعل وما يجري على اعمالهم من الغارات عليها والفتك بمن فيها. وهجم الشتاء فلم يضرّ بالافرنج لانهم كانوا نزولًا في ارض رملة صُلبَة والاتراك

Marfat.com

بالضدّ من ذلك قد كابدوا من مقامهم شدّةً عظيمة ومشقّةً موٴلمة الّا انهم لا يخلون من غارةٍ وفائدةٍ وقطع ميرة عن الافرنج ومادّةٍ وأخذ ما يحمل اليهم

وقطع الاتراك الجسر الذي كان يُعبر عليه الى صيدا ليقطع المادّة ايضاً عنها فعدلوا عند ذلك الى استدعاء الميرة في البحر من جميع الجهات فقطن ظهير الدين لذلك ونهض في فريق من العسكر الى ناحية صيدا وغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحريّة واحرق تقدير عشرين مركباً على الشطّ وهو مع ذلك لا يُهمل اصدار الكتب الى اهل صور بتقوية قلوبهم وتحريضهم على استعمال المصابرة للافرنج والجدّ في قتالهم

وتمّ عمل البرجين وكباشهما التي تكون فيهما في تقدير خمسة وسبعين يوماً وشرع في تقديمها والزحف بهما في عاشر شعبان وقُرّبا من سور البلد واشتدّ القتال عليهما وكان طول البرج الصغير منهما نيّفاً واربعين ذراعاً والكبير يزيد على الخمسين ذراعاً. ولمّا كان اول شهر رمضان خرج اهل صور من الابراج بالنفط والحطب والقطران وآلة الحرق فلم يتمكّنوا من الوصول الى شيءٍ منهما فالقوا النار قريباً من البرج الصغير بحيث لم يتمكّن الافرنج من دفعها فهبّت ريح والقت النار على البرج الصغير فاحترق بعد المحاربة الشديدة عليه والمكافحة العظيمة عنه وذهب منه زرَديات كثيرة وطوارق وغير ذلك واتّصلت النار بالبرج الكبير. واتّصل الخبر بالمسلمين بان الافرنج قد هجروا حربة البلد للاشتغال بحريق البرج وانثنوا عن المقاتلة على الابراج وشد الافرنج عليهم وكشفوهم عن البرج واطفأوا ما علق بهِ من النار ورتّبوا عدّة وافرة من ابطالهم لحفظ البرج والمنجنيقات من جميع الجهات (98ب) وواظبوا الزحف اليها الى اخر شهر رمضان وقربوا البرج الى بعض ابراج البلد وطمّوا الثلثة الخنادق التي امامه وعمد اهل البلد الى تعليق حائط البرج الذي بازاء برج الافرنج واطلقوا النار فيه فاحترق التعليق وسقط وجه الحائط في وجه البرج فمنع من تقديمه الى السور والزحف بهِ وصار الموضع الذي قصدوه قصيراً وابراج البلد تحكم عليه وبطل تقديمه من ذلك الوجه وكشف الافرنج الردم وجرّوه الى برج اخر من ابراج البلد ودفعوه اليه وقربوه من سور البلد وصدموا بالكباش التي فيه السور فزعزعوه ووقع منه شيءٌ من الحجارة واشرف اهل البلد على الهلاك. فعمد رجل من مقدّمي البحرية عارفٌ بالصنعة من اهل طرابلس لهُ فهمٌ ومعرفةٌ باحوال الحرب الى عمل كلاليب حديد لمسك الكبش اذا نطح بهِ السور من رأسه ومن جانبه بحبال يجذبها الرجال حتى يكاد البرج الخشب يميل من شدّة جذبهم

Marfat.com

بها فتارةً تكسره الافرنج خوفًا من البرج وتارةً يميلُ او يفسدُ وتارةً ينكسرُ بصخرتين تُلقيان عليه من البلد مشدودة احداهما الى الاخرى فعملوا عدَّة من الكباش وهي تُكسَر على هذه الصفة واحدًا بعد واحدٍ وكان طول كل واحد منها ستّين ذراعًا مُعلّقًا في البرج الخشب بحبال في رأس كل واحد من الكباش حديد يزيد وزنه على عشرين رطلًا. فلمَّا طال تجديد الكباش وقربوا البرج من السور عمد هذا الرجل البحري المقدّم ذكره الى خشبةٍ طويلة جافية قوية اقامها في برج البلد الذي بازاء برج الافرنج وفي رأسها خشبة على شكل الصليب طولها اربعون ذراعًا تدور على بَكرٍ بلولب كيف ما اراد مُتولّيها على مثال ما يكون في الصواري البحريَّة وفي طرف الخشبة التي تدور سهم حديد وفي طرفها الاخر حبالٌ مدارةٌ بها على ما يريد متولّيها وكان يرفع فيها جرار الكَدَرِ والنجاسة ليشغلهم بطرح ذلك عليهم في البرج عن الكباش. وضاق الامر بالناس وشغلهم ذلك عن امورهم واشغالهم وعمد البحري المذكور الى سلال العنب والقفاف فيجعل فيها الزيت والقِير (98ᵛ) والسراقة والقلفونية وقشر القصب ويطلق فيها النار فاذا علقت بذلك وقع ذلك في الآلة المذكورة حتى يوازي برج الافرنج فتقع النار في اعلى البرج فيبادروا باطفائها بالخلّ والماء فيبادر برفع اخرى ومع هذا يَرمي ايضًا بالزيت المغلي في قدورٍ صغار على البرج فيعظم الوقيد. فلمَّا كثرت النار وحمل بعضها بعضًا وقويت قهرت الرجلين المتولّين لرأس البرج وقتل احدهما وانهزم الاخر ونزل منه فتمكّنت النار من رأسه ونزلت الى الطبقة الثانية من رأسه ثم الى الوسطى وعملت في الخشب وقهرت من كان حوله في الطبقات وعجزوا عن اطفائها وهرب كل من فيه وحوله من الافرنج وخرج اهل صور اليه فنهبوا ما فيه وغنموا من السلاح والآلات والعدد ما لا يحدّه وصف

فعند ذلك وقع يأس الافرنج منهُ وشرعوا في الرحيل عنه واحرقوا البيوت التي كانوا قد عمَّروها في المنزل لسكناهم واحرقوا كثيرًا من المراكب التي كانت لهم على الساحل لانهم كانوا اخذوا صواريها وارجُلها وآلاتها للابراج وكانت عدّتهم تقدير مائتي مركب كبارًا وصغارًا منها تقدير ثلثين مركبًا حربيَّة وحملوا في بعضها ما خفّ من اثقالهم ورحلوا في العاشر من شوال من السنة وكانت مدَّة اقامتهم على محاصرة صور اربعة اشهر ونصف شهر وقصدوا عكا وتفرَّقوا الى اعمالهم. وخرج اهل صور وغنموا ما ظفروا بهِ منهم وعادت الاتراك المندوبون لاسعادهم الى دمشق وقد فقد منهم في

الحرب نحو عشرين رجلًا وكان لهم فيها الجراية والواجب في كل شهر . ولم يتمّ على برج من ابراج الافرنج في القديم والحديث مثل ما تمّ على هذا البرج من احراقه من رأسه الى اسفله والذي اعان على هذا هو تساوي البرجين في الارتفاع ولو طال احدهما على الاخر لهلك اقصرهما . وكان عدد المفقودين من اهل صور اربعمائة نفس ومن الافرنج في الحرب ايضًا على ما حكى الحاكي العارفُ تقديرَ الفي نفس . ولم يفِ اهل صور بما كانوا بذلوه لظهير الدين اتابك من تسليم البلد اليه ولم يظهر لهم في ذلك قولًا وقال : انما فعلتُ ما فعلتُ لله تعالى وللمسلمين لا لرغبةٍ (99[1]) في مالٍ ولا مملكةٍ . فكثر الدعاء لهُ والشكر بحسن فعله ووعدهم انه متى دهمهم خطبٌ مثل هذا سارع اليه وبالغ في المعونة عليه وعاد الى دمشق بعد مكابدة المشقَّة في مقابلة الافرنج الى ان فرج الله عن اهل صور . وشرع اهل صور في ترميم ما شعَّثه الافرنج من سورها واعادوا الخنادق الى حالها ورسمها بعد طمّها وحصَّنوا البلد وتفرَّق من كان فيه من الرجالة

وفي الثاني من شعبان ورد الخبر بهلاك بدران بن صنجيل صاحب طرابلس بعلَّة لحقته واقام ابنه في الامر من بعده وهو طفل صغير كفلهُ اصحابه ودبّروا امره مع طنكرى صاحب انطاكية وجعلوهُ من خيله واقطعه انطرطوس وصافيثا ومرقية وحصن الاكراد

وفي هذه السنة حدث بمصر الوباء المفرط بحيث هلك بهِ خلقٌ كثير يقال تقدير ستين الف نفس . وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بوصول السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن البي (كذا) الى بغداد في جمادى الاولى منها واقام بها مدَّةً ثقل فيها على اهلها وارتفع معها السعر الى ان رحل عنها فصلحت الحال ورخص السعر . وفيها وردت الاخبار بوصول الامير شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره ونزوله على الرها ورعيه لزرعها في ذي القعدة منها واقام عليها الى المحرَّم سنة ٥٠٦ ورحل عنها الى سروج ورعى زرعها وهو في غفلةٍ غير متحفّظ من عدوّ يطرق ومسلم يرهق ولم يشعر الّا وجوسلين صاحب تل باشر في خيلهِ من الافرنج ودوابّ العسكر منتشرة في المرعى هجم عليها من ناحية سروج على حين غفلةٍ من مودود واصحابه فقتلوا منهم جماعة فاستاقوا اكثر كراعهم وقتل بعض المقدّمين واستيقظ من كان من المسلمين غافلًا وتأهبوا للقائه فعاد الى حصن سروج

وفي هذه السنة انتقل تاج الملوك بوري بن اتابك الى دار الملك شمس الملوك دقاق

في قلعة دمشق في المحرَّم منها . وفيها ورد الخبر بوفاة قراجه الوالي بحمص بعلّةٍ طالت بهِ وكان فيها هلاكهُ وقد كان موثّرًا للظلم مُشاركًا للحراميَّة وقطّاع الطريق واقيم في مكانه (99v) ولده خيرخان بن قراجه تابعًا في الظلم لافعاله ناسجًا في العدوان والجور على منواله

سنة ستّ وخمسمائة

فيها اشتدّ خرف اهل صور من عود الافرنج الى منازلتهم فاجمعوا امرهم مع عزّ الملك انوشتكين الافضلي الوالي بها على تسليمها الى ظهير الدين اتابك بحكم ما سبق من نصرته لهم في تلك النوبة ومعاضدته اياهم في تلك الشدّة وندبوا رسولًا وثقوا بهِ وسكنوا اليهِ في الحديث مع ظهير الدين اتابك في هذا الباب ووصل الى بانياس ووالياها الامير سيف الدولة مسعود فتحدّث معه وسار الامير مسعود مع الرسول الى دمشق لتقرير الحال بمحضرٍ منه فصادف ظهير الدين اتابك قد توجّه الى ناحية حماة لتقرير الحال فيما بينه وبين فخر الملوك رضوان صاحب حلب فاشفق الامير مسعود ان يتأخر الامر الى حين عود ظهير الدين من حماة فيُبادر بغدوين بالنزول على صور ويفوت الغرض المطلوب فيها فقرّر مع ولده تاج الملوك بوري النائب عنه في دمشق المصير معه الى بانياس وانتهاز الفرصة في تسليم صور اليه فاجاب الى ذلك وتوجّهُ معه الى بانياس وتمّ مسعود الى صور ومعه من يعتمد عليه من العسكر ولم ينتظر وصول اتابك ووصل اليها وحصل بها . وانتهت الحال في ذلك الى اتابك فانهض فرقةً وافرة من الاتراك الى صور تقويةً لها فوصلت اليها وحصلت بها واستقرّ امر الاتراك فيها وحُمل اليهم من دمشق ما أُنفق فيهم وطُيّب نفوس اهل البلد وأُجروا على الرسم في اقامة الدعوة والسكّة على ما كانت عليه لصاحب مصر ولم يغيّر لهم رسم

وكتب ظهير الدين اتابك الى الافضل بمصر يُعلمه : « ان بغدوين قد جمع وحشد للنزول على صور وان اهلها استنجدوا بي عليهِ والتمسوا مني دفعه عنهم فبادرتُ بانهاض من اثق بشهامته لحمايتها والمراماة دونها اليه وحصلوا فيها ومتى وصل اليها من مصر من يتولّى امرها ويذبّ عنها ويحميها بادرتُ بتسليمها اليه وخروج نوّابي منها وانا ارجو ان لا يُهمل امرها وانفاذ الاسطول بالغلّة اليها والتقوية لها » . وحين عرف بغدوين هذا الخبر رحل في (100r) الحال من بيت المقدس الى عكّا فوجد الامر قد

Marfat.com

فات وحصل بها الاتراك فاقام بعكّا ووصل اليه من العرب الزُرَيقيّين من بلد عسقلان رجل يعلمهُ « ان القافلة الدمشقية قد رحلت من بُصرى الى ديار مصر وفيها المال العظيم وانا دليلك اليها وتُطلِق لي من أُسر من اهلي » فنهض بغدوين من وقته عن عكّا في طلب القافلة واتّفق ان بعض بني هوبر تخطّف بعضها وخلصت منهم ووصلت الى حلّة بني ربيعة فمسكوها اياماً واطلقوها بعد ذلك وخرجت من نقب عازب (١ وبينه وبين بيت المقدس مسافة يومين للفارس فلمّا حصلت بالوادي اشرفت الافرنج عليها فهرب من كان بها فالذي صعد منها الجبل سَلِمَ وأُخذ ماله واخذت العرب اكثر الناس فاشتمل الافرنج على ما فيها من الامتعة والبضائع وتتبّعت العرب من افلت منهم فاخذوهُ وحصل لبغدوين منها ما يزيد على خمسين الف دينار وثلثمائة اسير وعاد الى عكا ولم يبق بلدٌ من البلاد الّا وقد اصيب بعض تجّاره في هذه القافلة. وفيها توفي القاضي ابو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني التركيّ في يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الاخرة بدمشق رحمه الله وهو معزول عن قضائها ولازمٌ منزله

وفي هذه السنة وصل ابن الملك تكش ابن السلطان البارسلان اخي السلطان العادل ملك شاه الى حمص هاربًا من ابن عمه السلطان غياث الدنيا والدين محمد ولم يمكنه المقام بحمص ولا حماة فتوجّه الى حلب وكان ولد فخر الملوك رضوان صاحب حلب في الدركاه السلطانية فاشفق من المقام بحلب فتوجّه الى طنكرى صاحب انطاكية فاستجاره فاجاره واكرمه واحسن اليه واجتمع اليه جماعة من الاتراك الذين مع طنكرى فاقام عنده. وخرج طنكرى من انطاكية في اوّل جمادى الاخرة الى ناحية كُربسيل مُقدّم الارمن وكان قد هلك طمعاً في تملّك بلاده فعرض لهُ مرضٌ في طريقه اوجب عوده الى انطاكية فاشتدّ بهِ المرض فهلك في يوم الاربعاء الثامن من جمادى الاخرة وقام في الامر بعده ابن اخيه سرجال (٢ فتسلّم انطاكية واعمالها واستقام لهُ (100ٌ) الامر فيها بعد ان جرى بين الافرنج خلفٌ بسببه الى ان اصلح بينهم القسوس وطلب من الملك رضوان مقاطعة حلب المستقرّة فاجابه الى ذلك ومبلغها عشرون الف دينار والخيل وطلب مقاطعة شيزر فاجاب صاحبها اليها وهي عشرة الاف دينار. وتواترت غارات بغدوين على عمل البثنية من اعمال دمشق وانقطعت الطريق وقلّت الاقوات بها

---

١) وفي الاصل: غارب

٢) وفي الاصل: سيرَ رجال

Marfat.com

وغلا السعر فيها وتتـابعت كتب ظهير الدين اتابك الى الامير شرف الدين مودود صاحب الموصل بشرح هذه الاحوال في هذه الاعمال وبعثه على الوصول اليه للاعتضاد على دفع المَرَدَة الاضداد والفوز بفضيلة الجهاد وكان مودود قد شنع عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين بشناعات من المحال لفّقها الحسدة الاعداء اوحت استيحاشه منه وبُعده عنه قيل في جُملتها انهُ عازمٌ على الخلاف والعصيان وان يده ويد اتابك قد صارت يداً واحدة واراؤهما متوافقة واهواؤهما متطابقة. فلمّا عرف ذلك سيّر ولده وزوجتـه الى باب السلطان باصفهان للتنصّل والاعتذار وابطال ما رُمي اليهِ من المحال والتبرّئ ممّا افتُرِي عليهِ وعُزِيَ اليهِ والاستعطاف لهُ والاعلام بانهُ جارٍ على ما الفَ منهُ على اخلاص الطاعة والعبودية والمناصحة في الخدمة والاهتمام بالجهاد. ثم جمع عسكره من الاتراك والاكراد ومن امكنه وتوجّه الى الشام وقطع الفرات في ذي القعدة من السنة. فحين اتّصل خبره ببغـدوين الملك قلق لذلك واتزعج لخبره. وكان جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو وخاله بغـدوين الرويس صاحب الرُها وصار مع بغدوين صاحب بيت المقدس واقطعه طبريّة واتّفقا على ان راسل جوسلين لظهير الدين اتابك يبذل المصافاة والمودّة ويرغبه في الموادعة والمسالمة ويسلّم اليه حصن تمانين المجاور لحصن . . . . وجبل عاملة ويتعوّض عن ذلك بحصن الحبيس الذي في السواد ونصف السـواد ويضمن عن بغدوين الوفاء بذلك والثبات على المودّة والمصافاة وترك التعرّض لشيء من اعمال دمشق ولا يعرّض هو لشيء من اعمـال الافرنج. فلم يُجب الى ذلك ونهض من دمشق في العسكر للقاء الامير مودود والاجتماع بهِ على الجهاد فاجتمعا بمرج سَلَمِيَة واتّفق رأيهما على قصد بغدوين (101) وسارا وقد استصحب اتابك جميع العسكر ومن كان بحمص وحماة ورفنية ونزلا يوم عيد النحر بقَدَس ورحلا منها الى عين الجر بالبقاع ثم منها الى وادي التَيم ثم نزلا بانياس ونهضت فرقة من العسكر فقصدت ناحية تمانين فلم يظفر منها بمراد وعادت

ووصل اليها بغدوين وقد كان لمّا يئس من اجابة اتابك الى الموادعة واصل الغارات والفساد في الشام الى ان وصـل عسكر السلطان الى عمله. وبالغ اتابك فيما حملهُ الى الامير مودود واعظـامه واكرامه وما حماه اليـهِ والى مقدّمي عسكره وخواصّه من انواع الملبوس والمأكول والمركوب ثم نهضوا مُعلمين على النزول على القحوانة ووصل الى

Marfat.com

بغدوين سرخالة (١ صاحب انطاكية وصاحب طرابلس واجمعوا رأيهم على النزول غربي جسر الصنبرة ثم يقطعون الى القحوانة للقاء المسلمين وقد احتـاطوا على اثقالهم وراء الجسر والمسلمون لا يعلمون بذلك وانهم قد عارضوهم في المسير الى هذا المنزل. فسبق الاتراك الى نزولهم في القحوانة وقُطع بعد عسكر الاتراك الجسر لطلب العلوفات والزرع فصادفوا الافرنج قد ضربوا خيامهم وقد تقدَّم بغـدوين المسبق الى هذا المنزل ونزل صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وراءه يتبعونه اليهِ

ونشبت الحرب بين المتعلّفة وبين الافرنج وصاح الصائح ونفر الناس وقطعوا الجسر وهم يظنُّون انهُ جوسلين لانهُ صاحب طبريَّة فوقف اتابك على الجسر وتسرَّع خلقٌ كثيرٌ من العسكر الى قطع الجسر وقطع الامير تميراك بن ارسلانتاش في فريق وافر من العسكر ونشبت الحرب بين الفريقين من غير تأهُّب للقاء ولا ضرب خيام ولا استقرار في منزلٍ ولا مجال واختلط الفريقان فمنح الله الكريم ولهُ الحمد المسلمين النصر على المشركين بعد ثلاث كرَّات قُتل فيها من الافرنج تقدير الفي رجل من الاعيان ووجوه الابطال والشجعان وملكوا ما كان نُصب من خيامهم والكنيسة المشهورة وافلت بغدوين بعد ما قُبض وأُخذ سلاحه ومُلكت دوابّ الرجّالة وما كان لهم وغرق منهم خلق كثير في البُحَيرة واختلط الدم والماء وامتنع الناس من الشرب منها أيّاماً حتى صفت منهُ وراقت والتجأ من نجا من الافرنج (101ظ) الى طبريَّة واكثرهم جرحى وذلك في يوم السبت الحادي عشر من المحرَّم سنة ٥٠٧. وبعد انفصال الامر وصل باقي الافرنج اصحاب طنكرى وابن صنجيل فلاموه على التسرُّع وفنَّدوا رأيه ونصبـوا ما كان سلم من خيامهم على طبرية وفي غد يوم الوقعة نهض فريق من عسكر الاتراك الى ناحيـة طبرية واشرفوا على الافرنج بناحية طبرية وعزموا على النزول اليهم والايقاع بهم فخافهم الافرنج وايقنوا بالهلاك واقام الاتراك على الجبل عامّة نهـارهم وانكفُّوا الى معسكرهم وطلع الافرنج الى الجبل وتحصَّنوا بهِ لصعوبة مرتقاه وهو من غربي طبريَّة والماء ممتنعٌ على من يكون فيهِ فعزم المسلمون على الصعود اليهِ ومواقعتهم واستدعى اتابك العرب الطائيين والكلابيين والخفاجيين فوصلوا في خلقٍ كثيرٍ بالمزادات والروايا والابل لحمل الماء وصعدت الطلائع الى الجبل من شماله وعرفوا ان هذا الجبل لا يمكن الحرب فيـه لصعوبته على الفارس والراجل. وعلم المسلمون ان الظفر قد لاحت دلائله واماراته والعدو قد ذلّ وانخزل

---

١) وفي الاصل : سير رحال

Marfat.com

وفلّ وانخذل وسرايا الاسلام قد بلغت في النهيض الى ارض بيت المقدس ويافا واخربت اعمالهم ودوّختها واستاقت عواملها ومواشيها وغنمت ما وجدتهُ فيها فانثنى الرأي عن الصعود ودامت الحال على هذه القضيّـــة الى اخر صفر

وعقيب هذه النوبة وصل من حلب من عسكر الملك فخر الملوك رضوان مانة فارس على سبيـــل المعونة خلاف ما كان قرّره وبذله فانكر ظهير الدين اتابك وشرف الدين مودود ذلك منهُ وابطلا العمل بما كانا عزما عليهِ من الميل اليهِ واقامة الخطبة لهُ وذلك في اوّل شهر ربيع الاوّل سنـــة ٥٠٧ وسيّرا رسولًا الى السلطان غياث الدنيـا والدين الى مدينة اصفهان بالبشارة بهذا الفتح ومعه جماعة من اسارى الافرنج ورؤسهم وخيولهم وطوارقهم ومضاربهم وانواع سلاحهم

ثم ان العسكر رحل من المنزل الى وادي المقتـــول ونزل الافرنج عند ذلك عن الجبل الى منزلهم والتجأوا الى جبـــل في المنزل وتواصلت اليهم مِيَرهم وازوادهم وامدادهم من اعمالهم فعاد اليهم عسكر الاتراك من منزلهم جرائد في بضـــع عشرة كردوسًا ولزموا ذلك اَيامًا يرومون ان يخرجوا اليهم فلم يظهروا للحرب ولازم بعضهم (102) بعضًا الفارس والراجل في مكان واحدٍ لا يظهر منهم شخصٌ وجعل الاتراك يحملون عليهم فيصيبون منهم بالنشّاب ما يقربُ منهم ويمنعون الميرة والعـلوفة عنهم وقد احدقوا بهم كالنطاق وهالة بدر الافاقِ فاشتدّ الامر بهم فرحلوا عن منزلهم في ثلثـــة اَيام تقدير فرسخ عائدين. فلمّا كان الليل قصدوا الجبل الذي كانوا اوّلًا عليهِ مُلتجئين اليهِ ومحتمين بهِ وواظب المسلمون قصدهم والتلهُّف على ما يفوت منهم ومن غنـــائمهم بالاستمرار على الاحجام عن ظهورهم على ان مقدّمي العسكر يمنعونهم من التسرُّع اليهم والاقدام في منزلهم عليهم ويَعدونهم بفُرصةٍ تنتهز فيهم. فطال امدُ المقـــام وضاقت صدورُ اصحاب مودود لبعـــد ديارهم وتأخُّر عودهم وتعذُّر اوطارهم فتفرّق اكثرهم وعادوا الى بلادهم فاستأذن اخرون في العود فاذن لهم وعزم مودود على المقـــام بالشام والقرب من العدوّ ينتظر ما يصلهُ من الامر السلطـــاني والجواب عمّا انهاهُ وطالع بهِ فيعمـــل بحسبه. ولم يبقَ في بلاد الافرنج مسلم الّا وانفذ يلتمس الامان من اتابك وتقرير حاله ووصل اليهِ بعض ارتفاع نابلس ونُهبت بَيسان ولم يبقَ بين عكّا والقدس ضيعة عامرة والافرنج على حالهم في التضييق عليهم والحصر لهم على الجبـــل. واقتضى الرأي عود اتابك ومودود فعادا الى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الاوّل

Marfat.com

سنة ٥٠٧ ونزل مودود في حجرة الميـدان الاخضر وبالغ اتابك في اكرامه واحترامه واعظامه بما يجد اليهِ السبيل وتأكّدت المودّة بينهما والمصافاة وتولّى خدمته بنفسه وخاصّته وواصلا صلاة الجمعة جميعًا في مسجد الجامع بدمشق والتبرّك بنظر المصحف الكريم الذي كان حملهُ عثمان بن عفّان رضي الله عنه من المدينـة الى طبريّة وحملهُ اتابك من طبرية الى جامع دمشق (١

سنة سبع وخمسمائة

قد ذكرنا ما ذكرناهُ من الحوادث في سنة ٥٠٦ وسياقة الامر الى اوائل سنة ٥٠٧ رغبةً في صلة الحديث ورغبةً عن قطعهِ. ولمّا كان يوم الجمعة الاخيرة من شهر ربيع الاخر سنة ٥٠٧ دخل (102ᵛ) الامير مودود من مخيّمه بمرج باب الحديد الى الجامع على رسمه ومعه اتابك فلما قُضيت الصلاةُ وتنفّل بعضها مودود وعادا جميعًا واتابك امامه على سبيل الاكرام لهُ وحولهما من الديلم والاتراك والخراسانيّـة والاحداث والسلاحية بانواع السلاح من الصوارم المرهفة والصمصامات الماضية والنواحل المختلفة والخناجر المجرّدة ما شاكل الاجمة المشتبكة والغيضة الآشبة والناس حولهما لمشاهدة زيّهما وكبر شأنهما فلمّا حصلا في صحن الجامع وثب رجل من بين الناس لا يؤبهُ لهُ ولا يُحفل بهِ فقرب من الامير مودود كانهُ يدعو لهُ ويتصدّق منهُ فقبض بيده قبائه بسرعةٍ وضربهُ بخنجره أسفل سُرّتهِ ضربتين احداهما نفذت الى خاصرته والأُخرى الى فخذه هذا والسيوف تأخذهُ من كل جهةٍ وضُرب بكل سلاحٍ وقطع رأسه ليُعرف شخصه فما عُرف وأُضرمت لهُ نار فأُلقي فيها. وعدا اتابك خطوات وقت الكائنـة واحاط بهِ اصحابه ومودود متماسك يمشي الى ان قرب من الباب الشمالي من الجامع ووقع فحُمل الى الدار الاتابكية واتابك معهُ ماشٍ واضطرب الناس اضطرابًا شديدًا وماجوا واختلفوا ثم سكنوا بمشاهدتهم لهُ يمشي وظنّوا بهِ السلامة وأُحضر الجرّاحي فخاط البعض وتوفّي رحمه الله بعد ساعات يسيرة في اليوم المذكور فقلق اتابك لوفاته على هذه القضيّة وتزايد حزنه وأسفه وانزعاجه وكذلك سائر الاجناد والرعيّة وتألّموا لمصابهِ وزاد التأسّف والتلهّف عليهِ وكُفّن ودُفن وقت صـلاة العصر من اليوم في

---

١) وفي تاريخ الاسلام ان في سنة ٥٩٣ نقل الاتابك طغتكين من طبريّة المصحف العثماني خوفًا عليهِ الى دمشق وخرج الناس لتلقّيه فاقرّه في خزانة بمقصورة الجامع

Marfat.com

مشهد داخل باب الفراديس من دمشق وكل عين تُشاهده باكية والمدامع على الوجنات جارية. وشرع اصحابه في التأهب للعود الى اماكنهم من الموصل وغيرها من البلاد وتقدَّم اتابك باطلاق ما يستدعونهُ لسفرهم واستصحبوا معهم اثقاله وجواهره (١ وماله

وقد كانت سيرته في ولايته حائرةً وطريقته في رعية الموصل غير حميدة وهرب خلق كثير من ولايته لجوره فلماَّ بلغه تغيُّر نيَّة السلطان فيه عاد عن تلك الطريقة وحسُنت افعاله وظهر عدله وانصافه واستأنف ضدّ ما عُرف منهُ وسُمع (103) عنه ولزم التديُّن والصدقات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المكروه فشاعت بالجميل اخبارهُ وبحُسْن الارتضاء آثارهُ ثم توفّي سعيدًا مقتولًا شهيدًا ولم يزل مدفونًا في ذلك المشهد مخدوم القبر بالقوَمة والقراءة الى اخر شهر رمضان من السنة ووصل من عند ولده وزوجته من حمل تابوته اليهما

وفي هذه السنة ورد الخبر من بغداد بوفاة الفقيه الامام ابي بكر محمد بن احمد الشاشي رحمه الله ببغداد يوم السبت الخامس والعشرين من شوَّال منها وقد انتهت الرئاسة اليه على اصحاب الشافعي ودُفن في تربة شيخه ابي اسحق الشيرازي رحمه الله

قد تقدَّم من ذكر ما كان من نوبة صور وانتقال ولايتها الى ظهير الدين اتابك واستنابته مسعودًا في حفظها وحمايتها وتدبير امرها وانفاذ رسوله الى الافضل بشرح حالها ولم يزل الرسول المسيَّر الى مصر مقيمًا بها الى ذي الحجة من سنة ٥٠٦ وظهر للافضل صورة الحال فيها وجليَّةُ الامر بها واعاد الرسول بالجواب الجميل وان : « هذا امرٌ وقع منَّا اجمل موقع واحسن موضع » واستصواب رأي ظهير الدين فيما اعتمده وإحماد ما قصدهُ. وتقدَّم بتجهيز الاسطول اليها بالغلَّة والميرة ومال النفقة في الاجناد والعسكرية وما يُباع على الرعية من الغلَّات ووصل الاسطول بذلك الى صور (ومقدَّمه شرف الدولة بدر بن ابي الطيب الدمشقي الوالي كان بطرابلس عند تملُّك الافرنج لها) في اخر صفر سنة ٥٠٧ بكل ما يحتاج اليهِ فرخصت الاسعار بهـا وحسنت حالها واستقام امرها وزال طمع الافرنج فيها. ووصل في جملته خلع فاخرة من طرف مصر برسم ظهير الدين وولده تاج الملوك بوري وخواصه ولمسعود الوالي المستناب بها واقام الاسطول عليها الى ان استقام الريح لهُ فاقلع عنها في العشر الاخير من شهر ربيع الاوَّل منها. وارسل بغدوين الملك

١) وفي الاصل : جوازه

Marfat.com

الى الامير مسعود واليها يلتمس منهُ المهادنة والموادعة والمسالمة لتحسم اسباب الاذيَّة عن الجانبين فاجابه الى ذلك وانعقد الامر بينهما على السداد واستقامت الاحوال على المراد وأَمنت السابلة للمتردّدين والتجَّار والسفَّار الواردين من جميع (103ر) الاقطار وتوفّي رحمهُ الله في عاشر شوال سنة ٥٠٧ وقد كان صاحب انطاكية لما فصل عن الملك بغدوين بعسكره عائدًا الى انطاكية فسح عنهُ ولد الملك تكش بن السلطان البارسلان وقصد صور وانفذ الى ظهير الدين اتابك في الوصول الى دمشق فاجابهُ بالاعتذار الجميل والاحتجاج المقبول ودفعه احسن دفع فلمَّا ايسه توجَّه الى مصر ولقي من الافضل ما احبّ من الاكرام والمزيد من الاحترام والانعام واطلاق ما يعود اليهِ بصالح الحال وتحقيق الامال

وفي جمادى الاخرة وردت الاخبار من ناحية حلب بمرض عرض للملك فخر الملوك رضوان صاحبها وانهُ اقام بهِ واشتدّ عليهِ وتوفّي رحمهُ الله في الثامن والعشرين من الشهر فاضطرب امر حلب لوفاتهِ وتأَسف اصحابهُ لفقده وقيل انهُ خلف في خزانته من العين والعروض والآلات والاواني تقدير ستمائة الف دينار وتقرَّر الامر بعده لولده البارسلان وعمره ست عشرة سنة وفي كلامه حبسةٌ وتمتَمَةٌ وامه بنت الامير ياغي سيان صاحب انطاكية وقبض على جماعةٍ من خواصّ ابيهِ فقتل بعضاً واخذ مال بعض ودبَّر الامر معه خادم ابيه لؤلؤ فاساء كل واحدٍ منهما التدبير وقبض على اخويه ملك شاه من امّه وابيه ومبارك من ابيه وجاريةٍ وقتلهما. وقد كان ابوه الملك رضوان في مبدأ امره فعل مثل فعله بقتل اخويه من تاج الدولة ابي طالب وبهرام شاه وكانا على غاية من حسن الصورة فلمَّا توفّي كان ما فُعل بولديه مكافأَة عمَّا اعتمده في اخويه. وكان امر الباطنيَّة قد قوي بحلب واشتدَّت شوكتهم بها وخاف ابن بديع رئيس الاحداث بحلب واعيان البلد منهم لكثرتهم وشدّ بعضهم من بعض وحماية من يلجأ اليهم منهم لكثرتهم وكان الحكيم المنجّم وابو طاهر الصائغ اوَّل من اظهر هذا المذهب الخبيث بالشام في ايام الملك رضوان واستمالا اليهِ بالخدع والمحالات ومال اليهم خلقٌ كثيرٌ من الاسماعيلية بسرمين والجور وجبل السُّمَّاق وبني عُلَيم فشرع ابن بديع رئيس حلب في الحديث مع الملك البارسلان بن رضوان في امرهم وقرَّر الامر معه على الايقاع بهم والنكاية فيهم فقبض على أبي ظاهر (104ر) الصائغ وعلى كل من دخل في هذا المذهب وهو زُهاء مائتي نفس وقُتل في الحال ابو طاهر الصائغ واسمعيل الداعي واخو الحكيم المنجّم

Marfat.com

والاعيان المشار اليهم منهم وحُبس الباقون واستُصفيت اموالهم وشُفع في بعضهم فمنهم من أُطلق ومنهم من رُمي من اعلى القلعة ومنهم من قُتل وهرب جماعةٌ افلتوا الى الافرنج وتفرّقوا في البلاد

ودعت الملك البارسلان الحاجة الى من يدبّر امره ويثقف أَوَدهُ فوقع اختياره على ظهير الدين اتابك صاحب دمشق فراسله في ذلك والقى مقاليده اليهِ واعتمد في صلاح احواله عليهِ وسأَلهُ الوصول الى حلب والنظر في مصالحها وأَوجبت الصورة ان خرج الملك نفسه في خواصه وقصد اتابك في دمشق ليجتمع معهُ ويؤكد الامر بينه وبينه فوصل اليهِ في النصف من شهر رمضان من السنة فلقيه اتابك بما يجب لمثله من تعظيم مقدّمه واجلال محلّه وادخلهُ الى قلعة دمشق واجلسه في دست عمّه شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة وقام هو والخواص في خدمته وحمل اليهِ ما امكن حمله من تُحَف وأَلطافٍ تصلُحُ لمثلهِ وكذلك لجميع من وصل في صحبته واقام اَيامًا على هذه الحال وتوجّه عائدًا الى حلب في اوّل شوال من السنة ومعهُ ظهير الدين اتابك في اكثر عسكره ووصل الى حلب واقام اَيامًا. واشار عليهِ قوم من اصحابه بالقبض على جماعة من اعيان عسكره وعلى وزيره ابي الفضل بن الموصول وكان حميد الطريقة مشهورًا بفعل الخير وتجنُّب الشرّ ففعل ذلك واستخلص ظهير الدين اتابك من جملتهم الامير كشتكين البعلبكي مقدّم عسكره وخالف ما في نفس اتابك من صائب الرأي ومحمود التدبير فحين شاهد الامر على غير السداد والصواب وبان لهُ فساد التدبير واختلاف التقدير رأى ان الانكفاء الى دمشق أَصوب ما قُصِدَ وأَحسن ما أُعتمد وفي صحبته والدة الملك رضوان لرغبتها في ذلك وايثارها لهُ. ولمّا حصل في دمشق اتّصلت المراسلة بينهُ وبين بغدوين ملك الافرنج في ايقاع المهادنة والموادعة والمسالمة لتعمُرَ الاعمال بعد الاخراب وتأمن (104ᵛ) السوابل من شرّ المفسدين والخرّاب فاستقرّت هذه الحال بينهما واستحلف كل واحد منهما صاحبه على الثبات والوفاء واخلاص المودّة والصفاء وأَمنت المسالك والاعمال وصلحت الاحوال وتوفّر الاستغلال

وفي هذه السنة ورد الخبر من شيزر بان جماعةٌ من الباطنيّة من اهل افاميّة وسرمين ومعرّة النعمان (ومعرّة) نصرين في فصح النصارى وثبوا في حصن شيزر على غفلةٍ من اهله في مائة راجلٍ فملكوه واخرجوا جماعةً واغلقوا باب الحصن وصعدوا الى القلعة فملكوها وابراجها وكان بنو منقذ اصحابها قد خرجوا لمشاهدة عيد النصارى وكان هذا امرٌ قد

Marfat.com

رُتب في المدَّة الطويلة وقد كانوا احسنوا الى هؤلاء المُقدمين على الفساد كل الاحسان فبادر اهل شيزر قبل وصولهم الى الباشورة ورفع الحرم بالحبال من الطـاقات وصاروا معهم وادركهم الامراء بنو منقذٍ اصحاب الحصن وصعدوا اليهم وكبَّروا عليهم وقاتلوهم حتى الجأوهم الى القلعة فخذلوا وذلُّوا وهجموا اليهم وتكاثروا عليهم وتحكَّمت سيوفهم فيهم فقتلوهم باسرهم وقتل كل من كان على رأيهم في البلد من الباطنية ووقع التحرُّز من مثل هذه الحال

سنة ثمان وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخـبر من ناحية حلب بان بابا المعروف بلؤلؤ الخادم اتابك الملك تاج الدولة البارسلان ولد الملك رضوان صاحب حلب عمل عليهِ وواطأَ جماعةً من اصحابه على الايقاع بهِ والفتك بهِ عند وجود الفرصة متسهّلة فيهِ فحين لاحت لهم وثبوا عليهِ فقتلوه في داره بقلعة حلب واضطرب الامر بعده وقد كان تدبيره لنفسه وعسكريته ورعيته سيّئًا فاسدًا لا يُرجى لهُ صلاحٌ ولا اصلاحٌ فمضى لسبيله غير مأسوف عليهِ ولا محزون لفقده . وفيها توفّي الشريف نسيب الدولة ابو القسم علي بن ابرهيم بن العبَّاس بن الحسن الحسيني رحمه الله في ليلة الاحد الرابع والعشرين من شهر ربيـع الاخر ودُفن بعد صلاة الظهر في التربة الفخريَّة بدمشق (١ . (105[T]) وفي هذه السنـة حدثت بالشام زلزلة عظيمة ارتجَّت لها الارض واشفق الناس وسكنت فسكنت لها النفوس بعد الوجيب والقلق وقرَّت القلوب بعد الانزعاج والفرق

وفي هذه السنة نزل الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق على حمص وفيها خيرخان ابن قراجا وكان عادة نجم الدين اذا شرب الخمر وتمكَّن منهُ اقام منهُ عدَّة أيام مخمورًا لا يُفيق لتـدبير ولا يُستأمَر في امرٍ ولا تقرير وقد عرف خيرخان منهُ هذه العادة المستبشعة والغفلة المستبدعة فحين عرف انهُ على تلك القضيَّـة خرج من قلعة حمص في رجاله وكبسه في مخيَّمه وانتهز الفرصة فيه وقبض عليه وحمله الى حمص وذلك في شعبان منها وضاق صدر ظهير الدين اتابك لما انتهى الخبر بذلك اليهِ وكاتب خيرخان بالانكار عليه والاكبار لما اجرى عليه وتغيَّرت نيَّته فيه واقام أيامًا في اعتقاله الى ان اطلقه وخلّى سبيله

---

١) وقال تقيّ الدين ابن قاضي شهبة في منتقى العبر المنتخب من كتاب العبر للحافظ الذهبي : انهُ صاحب الاجزاء العشرين التي خرَّجها لهُ الخطيب (يعني الحافظ ابن عساكر)

Marfat.com

وفيها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم بغدوين بعلّة هجمت عليهِ مع انتقاض جُرحٍ كان اصابهُ في الوقعة الكائنة بينهُ وبين المصريين فهلك بهـا وقام مقامه من بعده من ارتُضيَ بهِ. وفيها توفّي الشيخ ابو الوحش سُبَيع بن مسلم الضرير المعروف بابن قيراط المقري المجود بالسبغـة رحمهُ الله في يوم السبت الحادي عشر من شعبان منها ودُفن بباب الصغير بين قبور الشهـداء رضي الله عنهم وكان ملازماً لجامع دمشق يقرأ الى ان توفّي على حسن طريقه

سنة تسع وخمسمائة

في هذه السنة قويت شوكة الافرنج في رفنية وبالغوا في تحصينها وتشحّنها بالرجال وشرعوا في الفساد والتناهي في العناد فصرف ظهـير الدين همّه الى الكشف عن احوالهم والبحث عن مقاصدهم في اعمـالهم وترقّب الفرصة فيهم ومعرفة الغرّة منهم وتقدّم الى وجوه العسكر ومقدّميه بالتأهّب والاستعداد لقصد بعض الجهات لاحراز فضيلة الجهاد والنهوض (105ظ) لامرٍ من المهمّات ثم اسرى اليهم مغذّاً حتى ادركهم وهم في مجاثمهم غارّون وفي اماكنهم لاهون قارّون فلم يشعروا الّا والبـلاء قد احاط بهم من جميع جهاتهم فهجمت الاتراك عليهم البلد فملكوه وحصل كل من كان فيهِ في قبضة الاسر وربقة الذل والقهر فقُتل من قُتل وأُسر من أُسر وغنم المسلمون من سوادهم وكُراعهم واثاثهم ما امتلأت بهِ الايدي وسرّت بهِ النفوس وقويت بمثله القلوب وذلك في يوم الخميس لليلة خلت من جمادى الاخرة من السنة وانكفأ المسلمون الى دمشق ظافرين مسرورين غانمين لم يُفقد منهم بشرٌ ولا عُدم شخص ومعهم الاسرى ورؤوس القتـلى فأُطيف بهم في البلد بحيث تضاعف بمشاهدتهم السرور وانشرحت الصدور وقويت من الجند في الجهاد والغزو الظهور. ولمّا شاع ذكر ظهير الدين اتابك في الاعمال العراقيـة والدركاه السلطانية بما اعطاه الله من شدّة البأس في محاربة الافرنج الارجاس ومنحه من النصر عليهم والنكاية فيهم والذبّ عن اهل الشـام ومراماته دونهم ومحاماته عنهم واحسان السيرة فيهم بحيث دُعي لهُ في محافل الرعايا والتجّار وشُكر بين الرفق من سفّار الاقطار فحسده قوم من مقدّمي الدركاه السلطانية الغيـاثية ورامو القدح فيهِ والطعن عليهِ طلباً لافساد حاله واعتماداً لعكس اماله وحطّاً لرتبته بالحضرة السلطانيّة وتشعيث الاراء الجميلة الغياثية وظهر الامر بذلك وانتشر وشاع من كل صوب واشتهر وكتب

اليهِ بذلك من يُؤثر صلاحه من الاصدقاء ويشفق عليه فاحدث ذاك لهُ استيحاشاً دعاه الى التأهب والاستعداد لتوجّه ركابه الى الباب الامامي المستظهري والبـاب السلطاني الغياثي بمدينة السلام بغداد للمتولّي بهما والخـدمة لهما والتقرّب بالسعي اليهما وانهاء حاله اليهما وازالة ما وقع في النفوس كانهُ بالقدوم عليهما. وأُشير عليهِ بترك ذلك واهماله وحُذر منهُ وبعث على اغفاله فلم يصحّ الى هذا المقال ولا اعاد على احدٍ جواب سؤالٍ بل تأهب للمسير وبالغ في الجدّ فيهِ (106) والتشمير واعدّ ما يصحبه من انواع التُحَف المستحسنة من اواني البلُّور والمصـاغ واجناس الثياب المصرية والخيول السُبَق العربيّة مما يصلح ان يتقرّب بمثله الى تلك المناصب العليَّة وسار في خواصّه واهل ثقتـه من غلمانه في يوم الاحد لستّ بقين من ذي القعدة من السنة

فلمّا قرب من بغداد وأُنهي خبر وصوله تلقّاه من خواص الدار العزيزة النبوية المستظهريّة والدركاه السلطانية الغياثية ووجوه الدولة واعيان الرعيـة من بالغ في اكرامه وتنـاهى في احترامه وقوبل من ذاك وما زاد في مسرّة اوليائه والفتّ في اعضاد حُسّاده واعدائه واوضح حاله فيما قصـد لاجله فما سمع الّا ما عاد ببسط عذره واحماد فعله واطراء امره وتطييب نفسه وابعاد استيحاشه وتاكيد انسه. وحين عزم على الانكفاء الى دمشق وأُذن لهُ في ذلك شرّف بالخلع السنيّة والكرامات الهنيّة وكتب لهُ المنشور العـالي السلطاني الغياثي بولاية الشام حربًا وخراجًا واطلاق يده في ارتفاعه على ايثاره واختياره بانشاء الطغرائي ابي اسمعيل الاصفهاني (١ وهو اذ ذاك فريد زمانه في الكتابة والبلاغة ووحيد عصره في الآداب والبراعة وقد اثبتُّ نسخته في هذا المكان ليعرف الواقف عليهِ فضل مُنشئه وعلو مرتبة من كتب لهُ واحسن وصفه فيه وهو: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا منشورٌ امر بانشائه السلطان المعظم غياث الدنيا والدين اطال الله بقاءه واعزّ اولياءه ونصر لواءه للامير الاصفهسلّار الاجلّ الكبير ظهير الدين اتابك ادام الله تأييده لمّا بان تمسُّكه من الطاعة باحكم علائقها واعتصامه من الخدمة باوكد وثائقها وانتهاجه من المشايعة اقوم مسالكها واعتماده افضل طرائقها

---

١) هو الحسين بن علي بن محمد صاحب قصيدة لاميَّة العجم توفّي سنة ٥٠٤ وقال سبط ابن الجوزي في ترجمته: انهُ جدّ وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين الذي اسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطغرائي

Marfat.com

واجلت التجارب منهُ عين الناصح الاريب والمهذّب اللبيب المتــدرّج في مراقي الرُتب السنية بالمساعي الرضيَّة والمحرز احاظي القُرب الخطيرة بالاثار الشهيرة المشهورة موافقــة في قود الجماهير العظام والذبّ عن حوزة الاسلام والتجرُّد لمظافرة الاولياء ومقارعة الاعداء والاستقــلال (107) بمضلعات الاعباء الجامع الى خصائص هذه الاسباب والالمام بخدمة الابواب والتحقّق بزمر الحشم والاصحاب المستقلّ بنصحه المنخول بولائهِ المقبول ووسائلهِ المشفوعة توالدها بالطوارف وشوافعــه المنصورة سوالفها بالاوانف ان يزاد في الانافة بقدرهِ والاشادة بذكرهِ ويستخلص تخلية صدره بتفخيم امره وتجدّد الصنيعة عنده بما يكون لواجب حقوقه قضــاءً ولمصالح مساعيهِ كفاءً ولمحلّهِ المرموق لائقاً ولموضعــهِ من الدولة مُضاهياً مُطابقاً فرأيناهُ أحقّ من أُفيضت عليــهِ ملابس الانعام وحُبيَ من الكرامة باوفر الاقسام ورُفِعَ من مراتب الاجتباء والاختصاص الى الذروة والسنام ورُشّح لكفاية المهام وتدبير الامور الجسام وأُوطئ عقبة الكُماة الانجاد وردّ الى ايالتهِ الامصار والاجناد رسمنا ان نجدّد لهُ هذا المنشور بامارة الشام ونقرّر عليه جميع ما دلّت عليــهِ المناشير المنشأة المتضمّنة لاسامي البلاد الموجبة لهُ صارّة رسمه معها يجري معها ويضاف اليهــا من النواحي والضياع والحصون والقلاع حسب ما اورد ذكره مُفصّــلاً في هذا المثال وجعلناها نعمةً مصونةً من الارتجاع وطعمةً محميّةً من الانتزاع قلدناه في عامّة تلك البقاع اعمال الحرب والمعــاون والاحداث والاخرجة والاعشار وسائر وجوه الجبــايات (١) والعروض والاعطاء والنفقة في الاولياء والمظالم والاحكام وسائر المستظهر عليه بنظر الولاة الكفاة والنصحــاء الثقاة رعايةً لحقوقهِ اللازمة ومُحافظةً على اذمّتهِ المتقادمة وثقةً منهُ باستدامة النعمة وارتباطهــا بالتوفّر على شرائط الخدمة واستدعاء مزيد الاحسان واستيفــاء عوائد الاصطناع بدوام النصح وفضل الاستقلال والاضطلاع والله تعــالى يُجرينا على احسن عوائده باصابة شاكلة الصواب في اختيار الاوليــاء ويلهمنا المرشد في مرامي الافكار ومواقع الاراء. ولا يخلينا في اصطفــاء من يصطفيه واجتباء من يجتبيه من مساوقة التوفيق لما نرتادهُ ونرتئيهِ امرناه بتقوى الله وطاعتــه واستشعار خيفته ومُراقبتــه (107) والالتجاء منها الى الحصن الامنع والظلّ الامتع والاستظهار منها بالذخر الاتقى والحرز الاوقى والاحتراس من هواجس الهواء باعتلاق عُروتهــا الوثقى وادّراع شعارها الاتقى.

(١) وفي الاصل: الجنايات

Marfat.com

قال الله تعالى: يا أَيُّها الذينَ آمنوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكمْ فُرقانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَيَغفِرْ لَكمْ وَاللهُ ذو الفضلِ العظيم (١ . وامرناه ان يسير فيمن قبله من الاولياء والحشم اجمل سيرة ويحملهم بحسن السياسة على افضل وثيرة ويسلكهم مسلكًا وسطًا بين اللين والخشونة والسهول والوعورة ويشعر قلوبهم من الهيبة ما يقبض المتبسّط ويردع المتسلّط ويردّ غَرْب الجامح ويقيم صعر الجانح ويخصّ منهم ذوي الرأي والحنكة والثبات والمسكة بالمشاورة والمباحثة ويستخلص نخائل صدورهم عند طروق الحوادث بالمفاوضة والمنافثة ويستعين بثمار البابهم ونتائج افكارهم على دفاع الملمّ وكفاية المهمّ ويتناول سفهاءهم وذوي العيث والفساد منهم بالتقويم والتهذيب والتعريك والتأديب ويردّهم عن غلوائهم بالقول ما كفى واحرز النصح ما اجدى واغنى ومن زادهُ الاناة والحلم والاحتمال والكظم تمادياً في العدوان وتتابعاً في الطغيان عركه عرك الاديم وتجاوز بهِ حدّ التقويم الى التحطيم متيقّنًا ان اعطاء كل طبقةٍ ممّن تشمله رعايته وتكنفه ايالته حقها من قوانين السياسة ارهاقًا لبصيرة القارح المتمسك وكفًّا لغرب الحرج المتهالك. قال الله تعالى: « وَإِمَّا تَخافنَّ مِنْ قومٍ خِيانَةً فانْبِذْ إِلَيهِم على سَواءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحبُّ الخائنينَ (٢ » وأَمرناهُ ان يوكِّل بامر الثغور المتاخمة لاعماله والمصاقبة لبلاده عينًا كالئةً واذنًا واعيةً وهمّةً للصغير والكبير في مصالحها مُراعية فيشحنها بذوي البأس والنجدة المذكورين بالبسالة والشدّة المعروفين بالصريمة والغناء والصبر عند اللقاء والبصيرة بمكابدة الاعداء ويستظهر لهم باستنجادة الاسلحة والآلات والاستكثار من المير والاقوات ويُناوب بينهم في مقارّهم مناوبةً تجمّ المكدود وتريح المجهود وتدرّ عليهم الارزاق عند (107ᵛ) الوجوب والاستحقاق ليقوم أَودهم ويقلّ لَدَدهم ويحسن طاعتهم وتلين مقادتهم ويكثف عددهم وعدّتهم ويشتدّ على الاعداء شوكتهم ويغيظ الكفاء وربُهم وشازبهم. قال الله تعالى: « وأَعدُّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومِنْ رباطِ الخيلِ تُرْهبونَ بهِ عَدُوَّ اللهِ وعدُوَّكمْ (٣ » وامرنا ان يأخذ نفسه واصحابه بالثبات والصبر عند قراع السيوف بالسيوف وذلوق الزحوف بالحروف ويرخصوا انفسهم في ابتغاء مرضاهُ والذبّ عن حوزة الدين والمحاماة عن بيضة الاسلام والمسلمين ويحتاط مع ذلك لنفسه واصحابه ولا يقدم بهم على غررٍ ولا يفسح لهم في ركوب

1) Qur. VIII, 28. 2) Qur. VIII, 60.
3) Qur. VIII, 62.

Marfat.com

خطر الّا بعد الاخذ بالحزم واستعمال الرفق في الحذر ويكون اقدامهم على بصيرة تامّة لا تقتحم معها غرّة ولا تضاع فرصة ولا يُحجمون اذا احمرّ الناس واشتد المراس عن توردّ المعركة ولا يلقون بانفسهم اذا حمي الوطيس والتقى الخميس بالخميس الى التهلكة. قال الله جلّ وعلا: « وجاهِدوا في اللهِ حقّ جِهادِهِ (١) » وامرناه ان يصل جناح ضمانه بالوفاء ويشدّ اركان عهدهِ بالثبات ويصون ذمّته عمّا يحفزها ويشفق عليها ممّا يُحيلها ويغيرها ويذهب مع دواعي الصدق ويصير على تكاليف الحق ولا يروّع لهم سربًا أمّنهُ ولا ينقض شرطًا ضمِنهُ ولا ينكث عهدًا ابرمهُ ولا يخلف وعدًا اقدمهُ ولا يتجافى عمن يلوذ بعقوته ولا يأبى قبول السلم ممّن اتّقى بصفحتهِ. قال الله تعالى: « وأَوفوا بالعهدِ إنَّ العهدِ كانَ مسؤُولًا (٢) ». وقال جلّ من قائل: « وَإِنْ جَنحوا للسَّلْمِ فاجنحْ لها (٣) » وامرناه ان يَعمّ رعاياة القارّة والمارّة بالامن العائد عليهم بسكون الجأش وسعة المعاش ويحوطهم في مُتوجّهاتهم ومتصرّفاتهم حياطة تكنفهم من جميع جهاتهم ويحمي نفوسهم وذراريّهم واموالهم ومعائشهم حماية ترد كيد الظالم وتقبض يد الغارم وتخرج ذوي الريب من مظانّهم وتحول بينهم وبين عدوانهم وتجري حكم الله فيهم وتقيم حدّه على من سفك فيهم دماء وانتهك محرمًا او اظهر شقاقًا وعنادًا او سعى في الارض فساد. قال الله تعالى: « إِنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحارِبونَ اللهَ وَرَسولَهُ وَيَسْعَونَ في الأَرضِ فَسادًا أَنْ يُقَتَّلوا أَو يُصَلَّبوا أَو يُقطَّعَ أَيديهِمْ وأَرجُلُهمْ مِنْ (108) خِلافٍ أَو يُنفَوْا مِنَ الأَرضِ ذلكَ لهمْ خِزْيٌ في الدُّنيا ولهم في الآخرةِ عَذابٌ عظيمٌ (٤) » وامرنا ان ينظر في اموال الرعايا اتمّ نظر واوفاه ويسئل عن ظلاماتهم ابلغ سؤال واحفاه ويستنّ بالسنّة العادلة فيهم ويمنع اقوياءهم عن تهضُّم مستضعفيهم ويحمل من تحت يده على التعادل والتناصف ويصدّهم عن التعاصب والتظالم ويقرّ الحقوق مقارّها عند وضوح الحجّة وارتفاع الشبهة ويختار لهم من العمّال والولاة أسدّهم طرائق واقومهم مذاهب واحمدهم خلائق ويأمر كلاً منهم ان لا يغير عليهم رسمًا ولا ينوي لهم حقًّا ولا يسومهم في معاملاتهم خسفًا ولا يحدث عليهم من يدع الجور رسمًا ولا يرتكب منهم ظلمًا ولا يأخذ منهم برًّا باثيم ولا برءا بسقيم ويقنع منهم في اخراجاتهم ومقاساتهم وقسوطهم ومقاطعاتهم بالحقوق المستمرّة ويحملهم في العدل على الفوائد المستقرّة ويستقرئ آثار

---

1) Qur. XXII, 77. 2) Qur. XVII, 36.
3) Qur. VIII, 63. 4) Qur. V, 37.

Marfat.com

الولاة قبله فما طاب منها وحسن اقتفاؤهُ اقتفره وما ذُمّ منها واستنكره اماطه وغيّره . ويعتقد انهُ مسؤول عمّا اكتسب واجترح ومحاسَبٌ على ما افسد واصلح . قال الله تعالى: « وأَنْ ليسَ لِلإِنسانِ إِلّا ما سَعَى وأَنّ سَعيهُ سَوفَ يُرَى ثُمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الأَوْفى(١) » فليتلقَّى هذه النعمة الكبيرة والعارفة الخطيرة باعظام قدرها والقيام بواجب شكرها وليتحقَّق انها قاطنة بفنائه ما احسن جوارها بخالصة نصحهِ وولائهِ وباقية عليهِ على عقبه ما عملوا باحكام هذا العهد وغنوا بتأكيد اسبابه واعلنوا بشعار الدولة واستمرُّوا على السنَّة المألوفة في اقامة الخطبة والسكَّة ويمسكوا بولاء الدولة العبّاسيَّة التي هي سُنَّةٌ متَّبعةٌ وما عداها ضلالة مبتدعة وجاهدوا في الله حق جهاده واحسنوا السيرة في عباده وبلاده والله تعالى يمدّنا واياه في هذا الرأي الذي رأيناه ويزلف من رضاه يحمد فاتحته وعقباهُ ان شاء الله تعالى وكتب في المحرَّم سنة ٥١٠

وتوجّه منكفئاً الى دمشق على اجمل صفةٍ واحسن قضيَّة في سلامة النفس والجملة وتزايد العزّ والحرمة ودخلها في يوم الاثنين (108v) لثلث عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ٥١٠

سنة عشر وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر بان بدران بن صنجيل صاحب طرابلس قد جمع وحشد وبالغ واجتهد ونهض الى ناحية البقاع لاخرابه بالعيث والفساد والاضرار والعناد وكان الاصفهسلّار سيف الدين البرسقي صاحب الموصل قد وصل الى دمشق في بعض عسكره لمعونة ظهير الدين اتابك على الافرنج والغزو فيهم وبالغ اتابك في الاكرام لهُ والتعظيم لمحلّه . وصادف ورود هذا الخبر بنهضة الافرنج الى البقاع فاجتمع رأيهما على القصد لهما جميعاً وأغذّا السير ليلًا ونهارًا بحيث هجموا عليهم وهم غارّون في مخيمهم قارّون لا يشعرون فارهقهم العسكر فلم يتمكَّنوا من ركوب خيلهم ولا اخذ سلاحهم فمنحهم الله النصر عليهم واطلقوا السيف فيهم قتلًا واسرًا ونهبًا فاتوا على الراجل وهم خلقٌ كثير قد جمعوا من اعمالهم واسروا وجوه فرسانهم ومقدّميهم واعيان شجعانهم وقتلوا الباقين منهم ولم يفلت منهم غير مقدّمهم بدران بن صنجيل والمقدّم كند اصطبل ونفر يسيرة معهما ممن نجا بهِ جواده وحماه أَجلهُ واستولى الاتراك على العُدد الجمَّة والخيول

1) Qur. LIII, 41.

والكراع والسواد. وذكر الحاكي المشاهد العارف ان المفقود المقتول من الافرنج الخيَّالة والسرجندية الرجالة والنصارى الخيالة والرجالة في هذه الوقعة ما يزيد على ثلثة آلاف نفس

وعاد ظهير الدين اتابك وسيف الدين (اق) سنقر البرسقي في عسكريهما الى دمشق مسرورين بالظفر السني والنصر الهني والغنائم الوافرة والنعم المتوافرة فلم يفقد من العسكرين بشرٌ ولا اصابهم بؤسٌ ولا ضرر ووصلا البلد بالاسرى ورؤوس القتلى وخرج الناس من البلد لمشاهدتهم واستبشروا بمعاينتهم وسرُّوا بنظرهم سروراً واصلوا معه حمد الله مولى النصر ومانح القهر وشكروهُ تعالى على ما سنَّاه من الاستظهار المبين بالاستعلاء المشرق الجبين. واقام اق سنقر البرسقي اياماً بعد ذلك وتوجَّه (109r) عائداً الى بلده بعد استحكام المودَّة بينه وبين ظهير الدين والمصافاة والموافقة على الاعتضاد في الجهاد متى حدث امرٌ او حزب خطبٌ. وقد كان في هذه السنة وردت الاخبار قبل عود ظهير الدين من العراق بالكائنة الحادثة من الباطنيَّة في الدركاه السلطانيَّة وقتلهم الامير احمديل فيها في المحرَّم منها مع وجاهته وتزايد حشمته ووفور عدّته واكثر الناس التعجُّب من هذا الاقدام المشهور والفعل المذكور ولله عاقبة الامور

وفيها وردت الاخبار من ناحية حلب بقتل لؤلؤ الخادم الذي كان غلب امره فيها وعمل على قتل ولد مولاه الملك البارسلان بن رضوان في ذي الحجَّة منها بامر دبَّره عليهِ اصحاب الملك المذكور

سنة احدى عشرة وخمسمائة

في هذه السنة توفّي السلَّار بختيار شحنة دمشق ونائب ظهير الدين في تولّي امر البلد وسياسة الرعية بعللٍ اختلفت عليهِ وطالت بهِ الى ان قضي نحبه رحمه الله في ليلة النصف من شعبان منها فاحزن ظهير الدين فقده واهمّه المصاب بهِ وتأسَّف اكثر الناس عليهِ لانهُ كان عفيفاً في افعاله غير معترض لخمرٍ غنيّ الحال والنفس معيناً لمن يقصدهُ في دفع مظلمةٍ وانقاذ من شدَّةٍ جميل المناب فيما يعود بصلاح الرعية والبعث على العمل بالعدل والسويَّة واقيم ولده السلَّار عُمَر في منصبه فاقتفى اثاره في اشغاله وحذا مثاله في اعماله

وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه باصفهان رحمه الله بعلَّة حدثت بهِ وطال مقامها عليهِ الى ان توفّي في الحادي

Marfat.com

عشر من ذي الحجة منها وقام مقامه في السلطنة ولده محمود واستقام لهُ الامر واستقرّت على صلاح الحال

وفيها وردت الاخبار من ناحية حلب بان الاصفهسلار يارقتاش الخادم متولّي اصفهسلاريَّة حلب هادن الافرنج ووادعهم وسلَّم اليهم حصن القُبَّة. وقيل ان الامير اق سنقر البرسقي خرج من الرحبة في عسكره وقصد حلب ونزل عليها طامعاً في تملّكها فلم يتسهَّل لهُ ما أمَّل ورحل (109ظ) عنهـا عائدًا الى الموصل. وورد الخبر ايضًا بان الاصفهسلار يارقتاش المقدَّم ذكره أُخرج من قلعة حلب وردّ امر الاصفهسلاريَّة والنظر في الاموال الى الامير ابي المعالي (المحسن) بن الملحمي العارض الدمشقي ودَّبر الاشغال بها والاعمال فيها. وفي النصف من المحرَّم منها هجمت الافرنج على ربض حماة في ليلة خسوف القمر وقتلوا من اهلها تقدير مائة وعشرين رجلًا

وورد الخبر بهلاك دوقس انطاكية. وفي المحرم منهـا وصل الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في عسكره الى حلب وتولَّى تدبير امرها مدَّة صفر وفسد عليه ما اراده فخرج منها وبقي ولده حسام الدين تمرتاش. وفيها وردت الاخبار من القسطنطينيـة بموت متملّك الروم الكرانكس (١ وقام في الملك بعده ولده يوحنَّا واستقـام لهُ الامر وعمل بسيرة ابيه. وفيها وردت الاخبار بهلك بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعلَّةٍ طالت بهِ وكانت سبب هلاكه في ذي الحجة منها وقام بعده في الامر كندهو (كندهري) الملك

سنة اثني عشرة وخمسمائة

في هذه السنة شاعت الاثار والاخبار من ناحية الافرنج بطمعهم في المعاقل والبلاد واجماعهم على قصدها بالعيث والافساد لغفلة الاسلام عن قصدهم بالغزو والجهاد وانهم قد شرعوا في التأهب لهذه الحال والاستعداد وكاتب ظهير الدين اتابك ارباب الجهات والمناصب وبعثهم على التعـاوُن على دفع شرّ اللاعين بالتوازر والتواظب. وورد الخبر بتوجّه الامير نجم الدين ايل غازي الى دمشق في عسكره للاجتماع مع ظهـير الدين اتابك على اعمال الرأي في التدبير والتشاور في العمل والتقرير هذا بعد ان راسل طوائف التركمان بالاستدعاء لاداء فريضة الجهاد والتحريض على الباعث لذاك والاحتشاد. ووصل

---

١) وفي الكامل لابن الاثير اسمهُ: «الكزايكس»

الامير المذكور الى دمشق من حلب في بعض اصحابه وخواصه واجتمعا وتعاهدا وتعاقدا على بذل المكنة والاجتهاد في مجاهدة الكفرة الاضداد وطردهم عن الافساد في هذه المعاقل والبلاد ووقع الاتفاق بينهما على الامير (110[1]) نجم الدين ايل غازي بن ارتق والي ماردين لانجاز امره وجمع التركمان من الاعمال وحضهم على النكاية في اخراب الشرك والضلال واقتضت الاراء مصير الامير ظهير الدين معه لتأكيد الحال وتسهيل الامال وسارا في العشر الاول من شهر رمضان سنة ٥١٢ . وعاد ظهير الدين عنهُ بعد ان قرَّرا مع طوائف التركمان صلاح احوالهم والتأهُّب للوصول الى الشام بجموعهم الموفورة وعزائمهم المنصورة في صفر سنة ٥١٣ ليقع الاجتماع على نصرة الدين واصطلام المردة الملحدين . واقام ظهير الدين بدمشق الى حين قرب الاجل المضروب والوقت المرقوب وسار الى ناحية حلب في اول شهر ربيع الاول سنة ٥١٣

ووردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة الخليفة الامام المستظهر بالله امير المؤمنين ابن الامام المقتدي بالله امير المؤمنين بعلَّةٍ عرضت لهُ واستمرَّت بهِ الى ان قضى نحبه الى رحمة ربّه في ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاخر سنة ٥١٢ وكانت مدَّة خلافته ستًّا وعشرين سنة وشهرين وايَّاماً وكان جميل السيرة محبًّا للعدل والانصاف ناهياً عن قصد الجور والاعتساف ووَلِيَ الامر من بعده ولده ولي العهد ابو منصور الفضل المسترشد بالله امير المؤمنين بن ابي العبَّاس احمد المستظهر بالله امير المؤمنين وجدَّد لهُ اخذ البيعة واستقام لهُ الامر ونُفذت المكاتبات الى سائر الاعمال بالتعزية عن الامام الماضي والتهنئة بالامام الباقي

ودخلت سنة ثلث عشرة وخمسمائة

ولمَّا وصل ظهير الدين اتابك الى حلب للاجتماع مع نجم الدين على الامر المقرَّر بينهما بعد مضيّ الاجل المعيَّن عليهِ بتدبيرهما وجد التركمان قد اجتمعوا اليهِ من كل فجّ وكل صوب في الاعداد الدثرة الوافرة والقوَّة الظاهرة كأنهم الاسود تطلب فريسها والشواهين اذا حامت على مكاسرها . ووردت الاخبار ببروز روجير صاحب انطاكية منها في مَن جمعهُ وحشده من طوائف الافرنج (110[2]) ورجالة الارمن من سائر اعمالهم واطرافهم بحيث يزيد عددهم على العشرين الف فارس وراجل سوى الاتباع وهو العدد الكثير في اتمّ عدَّةٍ واكمل شكَّةٍ وانهم قد نزلوا في الموضع المعروف بشرمدا

Marfat.com

وقيل دانيث البقل بين انطاكية وحلب فحين عرف المسلمون ذلك طاروا اليهم باجنحة الصقور الى حماية الوكور فما كان باسرع من وقوع العين على العين وتقارُب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم واحاطوا بهم من جميع الجهـات وسائر الجنبات ضربًا بالسيوف ورشقًا بالسهام ومنح الله تعالى ولهُ الحمد حزب الاسـلام النصر على المَرَدة الطغام ولم تمضِ ساعة من نهار يوم السبت السابع من شهر ربيع الاول من سنة ٥١٣ الَّا والافرنج على الارض سطحـةً واحدةً فارسهم وراجلهم بخيلهم وسلاحهم بحيث لم يفلت منهم شخص يخبر خبرهم ووجد مقدّمهم روجير صريعًا بين القتلى. ولقد حكي جمـاعة من المشاهدين لهذه الوقعة انهم طافوا في مكان هذه المعركة لينظروا آية الله تعالى الباهرة وانهم شاهدوا بعض الخيول مصرعةً كالقنافذ من كثرة النشَّاب الواقع فيها. وكان هذا الفتح من احسن الفتوح والنصر الممنوح لم يتَّفق مثله للاسـلام في سالف الاعوام ولا الانف من الايام. وبقيت انطاكية شاغرةً خاليةً من حُماتها ورجالها خاوية من كُماتهـا وابطالها فريسة الواثب نهزة الطالب فوقع التغافُل عنها لغيبة ظهير الدين اتابك عن هذه الوقعة لتسرُّع التركمان اليها من غير تأَهُّب لها للامر النافذ والقدر النازل واشتغال الناس باحراز الغنائم التي امتلأَت بها الايدي وقويت بها النفوس وسُرَّت بحسنها القلوب فتلك بيوتهم خاويةً والحمد لله رب العالمين

وعاد ظهير الدين اتابك منكفياً الى دمشق عقيب هذا الظفر ودخلها يوم السبت لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٥١٣ فصادف الخاتون صفوة الملك والدة الملك شمس الملوك دقاق ابن السلطان تاج الدولة تتش بن السلطان البارسلان قد نهكها المرض وطال بها وقد اشفت على الموت (111) وكانت لقدومه متوقّعةً والى مشاهدته متطلّعةً فادركها وشاهدها وسمع مقالها وقبل وصيَّتها واقامت القليـل وتوفّيت الى رحمة الله ومغفرته ورضوانه بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الاحد اخر جمادى الاولى سنة ٥١٣ ودُفنت عند ولدها في القبَّة التي بنتها على التلعة المُطلَّة على الميدان الاخضر فاقد كانت من النساء المصونات المحبّة للدين والصـدقات والتنزُّه عن الظلم بطلب الخيرات مع قوَّة النفس وشدّة الهيبة ومعرفة التدبير فيما توخَّتهُ في حق ظهير الدين عند وفاة ولدها الملك شمس الملوك الى ان استقام لهُ الامر واستقرَّت في المملكة والدولة الحال وتسهَّلت لهُ المطالب برأيها وهيبتها وسياستها والآمال. فقلق ظهير الدين لفقدها وتضاعف عليها حزنه وأسفه وتسلَّم ما خلَّفته واستخرج ما ذخرته واودعته وعمل بوصيتها

Marfat.com

وفي رجب من هذه السنة توفّي الامير حارق بن كمشتكين العراقي في رجب منها وكان من مقدّمي الدولة ووجوه امرائها . وفيها وردت الاخبار من العراق بان السلطان محمود ابن ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه توجّه الى عمه السلطان سنجر بن ملك شاه الى خراسان ودخل عليه ووطئ بساطه بعد ما جرى بينهما من الوقائع والحروب فاكرمه واحترمه واحمده وقرّر احواله على ما فيه صلاح امره واستقامة حاله ووصله بابنته واقرّه على مملكتهِ وشرّفه بخلَعهِ وتكرمتهِ وعاد منكفياً الى اصفهان بلدتهِ طامراً باملهِ وبغيتهِ

وفي هذه السنة حكى مَن ورد من بيت المقدس ظهور قبور الخليل وولديه اسحق ويعقوب الانبياء عليهم الصلاة من الله والسلام وهم مجتمعون في مغارة بارض بيت المقدس وكانّهم كالاحياء لم يبلَ لهم جسد ولا رمّ عظمٌ وعليهم في المغارة قناديل معلّقة من الذهب والفضّة وأُعيدت القبور الى حالها التي كانت عليهِ . هذه صورة ما حكاه الحاكي والله اعلم بالصحيح من غيره

سنة اربع عشرة وخمسمائة

(111[٧]) فيها ورد الخبر من ناحية حلب بان الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق رفع المكوس عن اهل حلب والمؤن والتكلف وأبطل ما جدّدهُ الظَلَمة من الجور والرسوم المكروهة وقوبل ذلك منهُ بالشكر والثناء والاعتداد والدعاء . وحكي عن ماردين انها وقع عليها برد عظيم لم تجرِ بمثله عادة ولا أُبصر اكثر منها ما اهلك المواشي واتلف اكثر النبات والشجر . وفيها هدم نجم الدين زردنا وفيها كسر الامير بلك بن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم تقدير خمسة الاف على قلعة سرمان من بلد اندكان واسر مقدّمهم عفراس

وفيها ورد الخبر بان السلطان محمود كسر عسكر اخيه مسعود بباب همذان تحت الزعفراني . وفيها وردت الاخبار بوصول الكندهو (كندهري) ملك الافرنج في المراكب البحرية وملك اكثر المعاقل . وفيها وقعت المهادنة بين نجم الدين ايل غازي بن ارتق صاحب حلب وبين الافرنج وتقرّرت الوادعة والمسالمة وكفّ كل جهةٍ من الفريقين الأذيّة عن الآخر . وفيها وردت الاخبار بان السلطان محمود قصد حلّة دُبَيس بن صدقة ابن مزيد في عسكره ونهبها وهزم عسكرها وانهزم دُبَيس حتى قلعة جعبر مستجيراً

Marfat.com

بصاحبها الامير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك فاجاره واكرمه واحترمه وقيل انهُ انعقد بينهما صهرٌ. وقيل ان في ذي الحجة من السنة هبَّت ريحٌ شديدة هائلة منكرة بنواحي الخزر فخرب بها كنائس ومعاقل وقلعت كثيرًا من شجر الزيتون. وقيل ان جوسلين غار على العرب والتركمان النازلين بصفين وغنم منهم ومن مواشيهم بشاطئ الفرات وفي عوده خرَّب حصن بزاعة

سنة خمس عشرة وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بقتل الافضل بن امير الجيوش صاحب الامر بمصر رحمه الله ثاني عيد الفطر بامرٍ رُتب لهُ وعُمل فيهِ عليهِ الى حين امكنت الفرصة فيهِ فانتُهزت الفرصة وصودف راكبًا في موكبه مجتازًا في بعض اسواق القاهرة وقد كان على غاية من التحرُّز والتحفُّظ واستعمال الاحتراس والتيقّظ لاسيما من الطائفة الباطنيَّة والاحتياط منهم بانواع السلاح ووافر الغلمان (112) والخدم والعبيد والعُدَد المختلفة والسيوف الماضية وكان المرتّب لقتاله والمرصد لهُ جماعة فوثب عليه رجلٌ من بعض الشوارع بحيث شغل اصحاب الركاب ووثب الاخر من بين يديه فضربه ضربات سقط بها عن ظهر جواده الى الارض وقُتلا في الحال وحُمل الى داره وبهِ رمقٌ وتوفي رحمه الله من يومه وادَّعى ان الباطنيَّة تولّوا قتاله وليس ذلك صحيحًا بل ذلك ادّعاءٌ باطلٌ ومحالٌ زائلٌ وانَّما السبب الذي اجتمعت عليهِ الروايات الصحيحة التي لا تشكّ في هذا الامر فساد ما بينه وبين مولاه الآمر باحكام الله امير المؤمنين لتضييقه عليه ومنعهِ ممَّا تميل نفسه اليه ومنافرته اياه في بعض الاوقات. وقد كان هذا الخلف المستمرّ بينهما قد ظهر بمصر لكثيرٍ من اهلها وتحدَّثوا فيهِ وكان الآمر قد عزم على اغتياله اذا دخل عليهِ في قصره للسلام عليه او في ايام اعياد وقويت نفسه على اتمام هذا الامر فمنعه من ذلك الامير ابو الميمون عبد المجيد وقال لهُ : انَّ هذا الامر اذا تمَّ على هذه القضيَّة كان فيهِ شناعة وسوء سمعة لان هذا واباه في خدمتنا منذ خمسين سنة لا يعرف الناس في سائر اقطار البلاد غير هذا فما يُقال في مثل هذه الحال في مُجازاتنا لمن هذه صفتهُ هذه المجازاة الشنيعة والمكافأة الفظيعة وما العذر في ذاك الى الناس وهم لا يعلمون ما في نفوسنا لهُ وما ننقم عليهِ بسببه وما يعرفون منه في ظاهر الامر الَّا الموالاة الخالصة والطاعة الصادقة والذبّ عن الدولة والمحاماة عنها ولا بدّ ان تدعو الضرورة الى اقامة

Marfat.com

غيره في مكانه والاعتماد عليه في منصبه فيتمكَّن كتمكُّنهِ او بعضهِ فتحذَّر من الدخول الى قصرنا خوفًا على نفسه مما جرى على غيره وان دخل علينا كان خائفًا مُعدًّا وان خرج عنَّا خرج وجلًا مستعدًّا . وفي هذا الفعل ما يُؤكِّد الوحشة ويدلّ على فساد التدبير في اليوم وفيما بعد بل الصواب في التدبير ان تستميل ابا عبد الله (محمد) بن البطائحي (١ الغالب على امره المطَّلع على سرّه وجهره وتُراسلهُ وتعدهُ وتُمنّيه وتُطمعهُ في منصبه فانهُ يُجيب الى ذلك ويُعينُ عليه (112ظ) لامرين احدهما دينًا لان مذهبه مذهبنا واعتقاده موالاتنا ومحبَّتنا والثاني للدنيا وحبّها وكونه يصير في منصبه فيها ويدبّر الامر عليهِ بمن لا يُعرف ولا يوبه لهُ ولا يلتفت اليهِ ممن يغتالهُ اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناهُ واظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه والاسف لفقده فيكون عذرنا عند كافة الرعيَّة مبسوطًا ويزول عنَّا قُبح القالة وسوء السمعة

فاستقرّ الامر على هذه القضية وشُرع في اتمامه والحال فيه ظاهرة وقضى الله عليهِ قضاء المحتوم وسُرّ الآمِر بمقتله سرورًا غير مستورٍ عن كافة الخاص بمصر والقاهرة . وقيل ان الموضع الذي قُتل فيهِ بمصر عند كُرسي الجسر في رأس السوَيقتين في يوم الاحد سلخ شهر رمضان سنة ٥١٥ وعمره اذ ذاك ٥٧ سنة لان مولده كان بعكاء سنة ٤٥٨ وكان حسن الاعتقاد في مذهب السنة جميل السيرة موثرًا للعدل في العسكرية والرعيَّة صائب الرأي والتدبير عالي الهمَّة ماضي العزمة ثاقب المعرفة صافي الحسّ كريم النفس صادق الحدس عادلًا عن الجور حائدًا عن مذاهب الظلم فبكتهُ العيون وحزنت لهُ القلوب ولم يأتِ الزمان بعده بمثله ولا حُمد التدبير عند فقده وانتقل الامر بعده الى صاحبه الآمر باحكام الله امير المؤمنين واشتمل على خزائنه وامواله وذخائره وكراعه واثاثه وهو الغاية في الكثرة والوفور وانتظمت للآمِر (٢ الامور على المأثور واقام ابا عبد الله بن البطائحي ووفى لهُ بوعده ولقبهُ بالمأمون وبسط يده في البَرْم والنقض والرفع والخفض

ووردت الاخبار في هذه السنة بظهور الكرج من الدربند وقصدهم بلاد الملك

---

١) وفي منتقى العبر لتقي الدين ابن قاضي شهبة المنتخب من العبر للحافظ الذهبي : ان كان ابوه جاسوسًا للمصريين مات وربّي محمد هذا يتيمًا فصار يُحمل في السوق فدخل مع الحمّالين الى دار امير الجيوش فرآهُ شابًا ظريفًا فاعجبهُ واستخدمه مع الفرّاشين ثم تقدَّم عنده

٢) وفي الاصل : للأمراء

طغرل فاستنجد بالامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق صاحب حلب وبالتركمان وبالامير دبيس بن صدقة بن مزيد فاجابوا الى ما دعاهم اليه وبعثهم عليه وتوجّهوا نحوه في خلق عظيم فانهزم جمع الكرج خوفاً وعاد فرقاً وضايقهم المسلمون وضايقوهم في الدروب فعادوا على المسلمين فهزموهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وقصدوا مدينة تفليس فافتتحوها بالسيف وقتلوا من كان فيها (١

وقال الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥١٥ نفذ اهل تفليس الى نجم الدين ايل غازي يستدعونهُ ليسلّموا اليهِ تفليس وكانت بيد اهلها مقدار اربعين سنة وكان ملكها قوم من اهلها يسمّون بني جعفر من مقدار مائتي سنة ثم انقرض كبارهم واضمحلّوا فعاد امرهم الى اهلها وكان كل شهر يلي امرهم منهم واحد و بقوا كذلك مدّة اربعين سنة . وكان الملك داود ملك الابخاز والكرج فضايقها مضايقةً شديداً واضمحلت وكان قد نفذوا الى السلطان طغرل بك بن السلطان محمد وكان ملك جنزي واران فنفذهم شحنة وزادت مضايقة ملك الكرج بهم و بقوا على هذا مدّة فاتّفقوا ان يحملوا لهُ في كل سنة عشرة الاف دينار ويكون عندهم شحنة معه عشر فوارس فبقوا على ذلك مدّة ونفذوا الى نجم الدين ايلغازي يستدعونهُ فسار ومعهُ عساكر عظيمة ومعهُ دُبيس بن صدقة ملك العرب وكان صهر نجم الدين على ابنته كمار خاتون وكان قد وصل اليهِ في تلك السنة فسار بالعساكر ونفذ الى شمس الدولة طغان ارسلان صاحب ارزن وبدليس وكان لهُ مدينة دوين وامره ان يدخل من شرقي تفليس وسار واخذ معهُ القاضي علم الدين ابن نباتة ومعهُ ولده القاضي علم الدين ابو الفتح الكبير هو الان (يعني سنة ٥٧٢) قاضي ماردين والوزير ابو تمّام ابن عبدون وسار معهُ فوصلوا الى ارزن الروم وتخلّف القاضي والوزير بارزن الروم ودخل بالعساكر من ولاية الفرس وطريق ترياليث واتّفقوا ان تُجمع العساكر اجمع على باب تفليس . وتجهّز السلطان طغرلبك من ناحية جنزي وسار طغان ارسلان الاحدب من دوين ووصل نجم الدين الى ان بقي بينهُ وبين تفليس الجبل مقدار نصف يوم

وخرج الملك داود ومعهُ ولده ديمطري من جنب الغرب في عساكر عظيمة وكان يحدر عليهم من الجبل وهم في لحفة ولم تكن وصلت عساكر السلطان طغرلبك ولا شمس الدولة الاحدب بمن معه وتقاتلوا قتالاً عظيماً وكُسر نجم الدين وقتل منهُ خلقاً كثيراً وغنم الكفّار منهم غنيمةً عظيمةً وخرج نجم الدين ودُبيس في نفر يسير بحيث ان بقي عندهم من الاسرى الى زماننا . ولقد رأيت موضع الرقعة حين دخلت الى تفليس في سنة ٥٦٨ فاقمتُ بها ثم وصلت الى خدمة ملك الابخاز وبقيت عنده وخرجت معهُ وسرتُ في ولايته معهُ مقدار نيف وسبعين يوماً واجتاز الى اللان وطرف الدربند والى ولاية الابخاز . ولقد وصلنا بعض الايام في ولاية الابخاز الى برج واسع تحت جبل في قلعة شامخة ونزل الملك هناك وقال لي : يا فُلان في هذه القلعة رجلٌ اميرٌ مستعربٌ من نوبة ايلغازي فاصعد اليهِ من الغد وابصره واسئلهُ من اين هو . فعوّلت على ذلك وقلت : اطلبهُ من الملك ليطلقهُ . فبِتُّ تلك الليلة فلمّا كان من وقت السحر ضُرب بوق الى الرحيل لانهُ وصل

وفي هذه السنة هبَّت بمصر ريح سوداء (113[1]) ثلثة ايام فاهلكت شيئاً كثيراً من الناس والحيوان

سنة ستّ عشرة وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية بغداد بان الامير دبيس بن صدقة بن مزيد جمع واحتشد وقصد بغداد في حشده وعاث في اطرافها وافسد في اكنافها فخرج الامام الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين من دار الخلافة واجتمعت اليه الاجناد وظهر اليه وحمل عليه فهزمه وتمّ الى الحلّة فنهبها ونُهبت مقابر قُرَيش ببغداد وما بها من القناديل الفضّة والستور والديباج وعاد الى بغداد ودخلها في المحرَّم سنة ٥١٧

وورد الخبر فيها بان السلطان محمود سخط على وزيره(١ لاشياء نقمها عليه وانكرها

اليهِ الخبر ان بعض ولايته قد تشوّشت عليهِ فحين وصلهُ الخبر رحل ورحل الناس ولم يقدر على الاجتماع بهذا الرجل

ولمَّا كُسر نجم الدين وعاد بمن بقي معهُ رحل ملك الابخاز بالغنائم والاسرى ونزل على تفليس وحاصرها مدَّة ثم هدم سورها من قبل الغربي ودخلها سيفاً فاحرقها ونهبها وبعد ثلاثة ايام أَمَّن اهلها وطيَّب قلوبهم ووعدهم بالجميل واسقط عنهم تلك السنة الأَعشار والمؤن والاقساط والخراج وشرط للمسلمين كلما ارادوه من الشرط الذي هو الان باقٍ بها انهُ لا يعبر الى جانب المسلمين بالمدينة خنزير ولا يُذبح بها ولا في سوقها. وضرب لهم الدراهم عليها اسم السلطان والخليفة في الوجه الواحد وفي الوجه (الاخر) اسم الله واسم النبي عليهِ السلام واسمه على جانب الدرهم. ونادى في البلد ان من آذى مسلماً قد اهدر دمه وشرط لهم الاذان والصلاة والقراءة ظاهراً وان يُخطب يوم الجمعة ويُصلَّى ويُدعَى للخليفة وللسلطان ولا يدعَى لغيرهما على المنبر وشرط ان حمَّام اسماعيل بتفليس لا يدخلها كرجي ولا ارمني ولا يهودي ووصف خدمة الكُرجي في السنة خمسة دنانير وخدمة اليهودي اربعة دنانير وخدمة المسلم ثلاثة دنانير

واحسن الى المسلمين غاية الاحسان وجعل لاهل العلم والدين والصوفيَّة اكرام المنازل وما ليس لهم عند المسلمين ولقد رأيت هذه الشروط كلها لمَّا دخلت الى تفليس في سنة ٥٦٨ ولقد رأيت ملك الابخاز ديمطري الذي كنت في خدمته وقد نزل الى تفليس واقام بها اياماً ونزل ذات يوم جمعة الى الجامع وجلس على دكَّة تُقابل الخطيب فوقف موضعه حتى خطب الخطيب وكلّ الناس يسمع الخطبة جميعها ثم خرج واطلق برسم الجامع مائتي دينار احمر. وكنت ارى العلماء والوعاظ والاشراف والصوفيَّة والذين يصلّون يكرمهم ويعطيهم ويحترمهم ويعتمد معهم ما ليس بمثله ولقد كنت ارى لاحترامه للمسلمين ما لو انهم ببغداد ما أَحترموا تلك الحرمة

(١ هو كمال الملك ابو طالب علي بن احمد بن حرب السُميري قتلهُ الباطنيَّة كذا في الكامل لابن الاثير. وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي هو الذي عاجل الطغرائي الذي تقدَّم

Marfat.com

منهُ وامر بالقبض عليه ثم تقدَّم بقتله فقُتل وفي صفر منها توجَّه عائدًا الى مدينة اصفهان. وفي صفر ورد الخبر من ناحية حلب ان ابا الفضل بن الموصول وزير الملك رضوان توفي بحلب في الشهر وكان حسن الطريقة يميل الى فعل الخير وعن قصد الشرّ. وفيها جاء سيل عظيم حتى دخل الى ربض قلعة جعبر فغرَّق اكثر دورها ومساكنها وهدمها واخرج منها فرسًا حمله من الربض حتى رمى بهِ من اعلى السور في الفرات وقيل ان عدَّة الدور الهالكة بهذا السيل الجارف ثمانمائة مكان. وقيل ان الامير نجم الدين بن ارتق خرج من حلب في عسكره وقطع الفرات وصادف الافرنج فلم يلقوه فاتلف ما ظفر بهِ في اعمالهم وعاد منكفئًا الى الفُنَيدق بظاهر حلب

وفي هذه السنة وصل الاسطول المصري الى صور وهو مشحونٌ بالرجالة البحريَّة وطائفة من العساكر. وفي نفس الوالي العمل على الامير سيف الدولة مسعود الوالي بصور من قبل الامير ظهير الدين اتابك. فلمَّا خرج للسلام على والي الاسطول سألوهُ النزول فلما حصل في مركب المقدّم اعتقلهُ وتمَّت عليهِ المكيدة وحصل البلد في ايديهم ولمَّا اقلع الاسطول ووصل الى مصر وفيهِ الامير مسعود أُكرم وأُنزل في دار وأُطلَع لهُ ما يحتاج اليه. والسبب كان في هذا التدبير ان شكاوي اهل صور تتابعت (113ᵛ) الى الآمر باحكام الله والافضل بما يعتمدهُ مسعود مع الرعية من الاضرار لهم والمخالفة للعادة والموافقة لهم فاقتضت الاراء التدبير عليه وازالة ما كان من الولاية اليه وكانت عاقبة خروجه منها وسوء التدبير فيها خروجها الى الافرنج وحصولها في ملكتهم

ذكره بالقتل بانهُ اقام اقوامًا شهدوا عند السلطان محمود انهُ زنديق لا يتدَّين بدين الاسلام. وفيهِ ايضًا ان ابن السمعاني ابا سعد حكى في الذيل: ان السلطان جلس يومًا في بهو فيهِ عصافير فقال: آذتنا هذه العصافير. فقال لهُ بعض خواصّه: يأمر السلطان بعض الفرَّاشين يصعد اليها بسلَّم فيرمي باعشاشها او يأمر بعض الغلمان ان يرميهم بالبندق. فقال: ما أستحسنُ ذلك. فقيل لهُ: فكيف استحللت قتل مُؤيد الدين الطغرائي مع شيخوخيَّته وفضله؟. فقال: ما مع الفضل فضول. يعني انهُ اوقع بينهُ وبين اخيه. وقال المصنّف: ما احسن هذا الجواب الذي يهدو العقلاء الى طريق الصواب. وفيهِ ايضًا في ترجمة السُميرمي: ان في تاريخ السلجوقية في مقتلهِ وجه اخر وذلك انهُ لمَّا قُتل الطغرائي تجرَّد لهُ غلام اسود من غلمان الطغرائي ورصده مدَّة طويلة حتَّى دخل الحمَّام وغفل عنه اصحابه فوثب عليهِ فضربهُ عدَّة سكاكين فحمل الى داره وهو مثخن بالجراح فخيطت وعوفي ثم احتال ذلك الاسود حتى تسوَّر عليهِ الحائط ليلة ولم يكن عنده احد فقضى عليهِ. والاوَّل اشهر

Marfat.com

وفي هذه السنة ورد الخبر بان الامير نور الدولة بلك بن ارتق نهض في عسكره في ايامٍ من رجب وقصد الافرنج بالرُها واوقع بهم وكسرهم واسر مقدّمهم جوسلين وابن خالته كليان وجماعة من مقدميهم عند سروج. وورد الخبر بوفاة الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق بعلّةٍ عرضت لهُ وهو نازل في قريةٍ تُعرف بالفحول من عمل ميافارقين من ديار بكر في السادس من شهر رمضان من السنة وقام في منصبه بعده ولده شمس الدولة سليمان واخوهُ تمرتاش ابناء نجم الدين وملكا ماردين واقاما مدّة متّفقين وجرى بينهما خلفٌ استمرّ من كل منهما (١ . وفيها توفّي الحاجب فيروز شحنة دمشق في اخر ربيع الاخر منها

سنة سبع عشرة وخمسمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية بغداد ببروز الامام المسترشد بالله امير المؤمنين وفي جملته الامير (اق) سنقر البرسقي عازماً على قصد الامير دُبَيس بن صدقة بن مزيد لِما هو عليهِ من الخلاف والمجاهرة بالعصيان والفساد في الاعمال وقصدوا الحلّة

---

١) قال الفارقي في تاريخه: وفي سنة ٥١٥ عاد نجم الدين الى ميافارقين واقام هناك ومعه زوجته الخاتون بنت طغتكين صاحب دمشق فمرض وتوفي يوم الخميس سابع عشر من رمضان فحمل ليلًا وركب ولده الامير شمس الدولة سليمن والخاتون بنت طغتكين ووصلوا ميافارقين ووصلوا الى باب الهوّة واجلسوا الامير على فرسه ومن ورائه رجل يمسكه وتقدّموا وصاحوا: انزل الوالي. وكان اسمه قنغلي فدخل شيخ ممّن صحبه الامير نجم الدين من اوّل زمانه وكلّمهُ شمس الدولة والخاتون ففتح الباب فقالوا: ان الامير مريض. فلمّا حصلوا في ارض القصر صاحوا وضجّوا وقالوا: مات الامير في هذه الساعة. واصبح الناس وصعد اهل البلد ومن كان بها من الجند الى القصر وغُسل الامير وصُلّي عليه ودُفن بالسندلي مدّة ثم أُخرج ودُفن في مسجد الامير شرقي قبّة السلطان فدُفن هناك. وكان نجم الدين ايلغازي قد تزوّج بفرخُندا خاتون بنت الملك رضوان لما ملك حلب وتحقّد عليها ولم يدخل بها ولا رآها ومات ولم يرها تزوّجها بعده الامير بلك ابن بهرام ابن ارتق. قيل واستقرّ شمس الدولة سليمن بميافارقين واستوزر الوزير عبد الملك بن ثابت وردّ الامور اليهِ واخذ خرتبرت من الامير بلك وبقيت معهُ الى ان مات واخذها الامير داود واخذ بلد حزة من الامير داود واخذ الضياع الذي اخذها حسام الدولة (قرقي بن الاحدب) صاحب ارزن من بلد ميافارقين (وكان اخذ خمس وعشرين قريةً من بين النهرين في ولاية الرزيكي في سنة ٥٠٩ ومات شمس الدولة في سنة ٥١٨) . . . فوصل حسام الدين (تمرتاش) ودخل البلد في شوال سنة ٥١٨ واستوزر عبد الملك واستقرّ حاله ووصل لهُ جميع ما كان لابيهِ نجم الدين واحسن الى الناس واحبّوه واستبدّ بالملك

Marfat.com

وانتهبوها وارتفع السعر ببغداد حتى بلغ الخبز ستّة ارطال بدينار · وورد الخبر من ناحيــة حلب باستقرار المهادنة بين الامير بدر الدولة بن عبد الجبّار (١ بن ارتق صاحب حلب وبين الافرنج على تسليم قلعة الاثارب الى الافرنج فتسلّموها وحصلت في ايديهم واستمرّت الموادعة على هذا واستقــامت احوال الاعمال من الجانبين وامنت السابلة للمتردّدين فيها بين العملين في صفر من السنة

وفيها ورد الخبر بنهيض بغــدوين ملك الافرنج في عسكره الى ناحية حلب الى الامير بلك بن ارتق في تاسع صفر منها وهو منازل لحصن كركر فنهض اليه والتقيا بالقرب من منظرة فكسره واسره وحصل في يده اسيرًا (114r) مع جماعةٍ من وجوه عسكره فاعتقله في جبّ في قلعة خرتبرت مع جوسلين ومقدّمي الافرنج · وفي اخر صفر نهض ظهير الدين اتابك في العسكر فهجم ربض حمص ونهبه واحرقه وبعض دوره وكان طغان ارسلان بن حسام الدولة قد وصل الى حمص لمعونة خيرخان صاحبها فعاد ظهير الدين عنها الى دمشق

وورد الخبر من ناحية حلب بنزول الامير بلك بن ارتق عليها في ربيع الاول منها واحرق زرعها وضايقها الى ان تسلّمها بالامان في يوم الثلثاء غرّة جمادى الاولى من بدر الدولة ابن عمه عبد الجبّار (٢ بن ارتق وقد كان ذلك تسلّم مدينة حرّان في شهر ربيع الاوّل · وفيها وردت الاخبار بوصول فريق كثير من عسكر لواتة من ناحية الغرب الى مصر وافسدوا في اعمالها وظهر اليهم المأمون ابو عبد الله بن البطائحي المقام في مقــام الافضل الشهيد بن امير الجيوش في عسكر مصر بامر صاحبــه الامام الآمر باحكام الله بن المستعلي بالله ولقيهم فكسرهم وقتل واسر منهم خلقًا كثيرًا وقرّر عليهم خرجًا معلومًا يقومون بهِ في كل سنة وعادوا الى اماكنهم وعاد المأمون الى مصر غانمًا منصورًا وبحسن الظفر مسرورًا · وفيها ورد الخبر بان اصطول مصر لقي اصطول البنادقة في البحر فتحاربا فظفر بهِ اصطول البنادقة واخذ منه عدّة قطع · وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول منها ملك الامير بلك بن ارتق حصن البارة واسر اسقفها

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية خرتبرت بان الملك بغدوين الرُوَيس وجوسلين مقدّمي الافرنج وغيرهم من الاسرى الذين كانوا في اسر الامير بلك المعتقلين في قلعة

---

١) وفي الاصل: بدر الدولة بن ايل غازي

٢) وفي الاصل: ابل غازي

Marfat.com

خرتبرت عملوا الحيلة فيما بينهم وملكوا القلعة وهربوا . . . . . الملك بغدوين ونجا ولم يظفروا به وهرب في ذلك اليوم ايضاً اسقف البارة من اعتقاله . وفي الشهر المذكور توجه الامير نور الدولة بلك في عسكره الى خرتبرت وضايق قلعتها الى ان استعادها من الافرنج الواثبين عليها ورتّب فيها من يحفظها ويتيقّظ فيها . وفي هذه السنة ورد الخبر بان محمود بن قراجة (114) والي حماة خرج في رجاله وقصد ناحية افامية وهجم ربضها فاصابه سهم من الحصن في يده ولمّا قُلع منهُ عملت عليه وتزايد امرها فمات منه وكان عاهراً ظالماً متمرّداً وقتل جماعة من اعيان حماة ظلماً وتعدّياً بسعاية بعضهم على بعض ولما عرف ظهير الدين ذلك انهض الى حماة من تسلّمها وتولّى امرها من ثقاته

وفيها ورد الخبر بالنوبة الكائنة بين السلطان مغيث الدنيا والدين محمود وبين اخيه طغرل ابني السلطان محمد وان السلطان محمود صافّهُ وكسره وهزمه وملك عسكره وان طغرل استمان بالامير دُبَيس بن صدقة بن مزيد واستنجد بهِ عليه وأُجيب الى ذلك . وفي هذه السنة كانت النوبة الكائنة بين عسكري ظهير الدين اتابك الدمشقي وسيف الدين اق سنقر البرسقي حين تجمّعوا ونزلوا على عزاز من عمل حلب ومضايقتها بالنقوب والطروب الى ان سَهُلَ امرها فتجمّع الافرنج من كل صوب وقصدوا ترحيل العسكر عنها والتقى الجيشان وانفلّ جيش المسلمين وتفرّقوا بعد قَتْل من قُتل وأَسر من أُسر وعاد ظهير الدين اتابك الى دمشق في جمادى الاولى من السنة . وفي شهر رمضان من السنة توجّه الحاجب علي بن حامد الى مصر رسولاً عن ظهير الدين اتابك

سنة ثماني عشرة وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية العراق بان القاضي قاضي القضاة زين الاسلام ابا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي كان قافلاً من ناحية خراسان بجواب السلطان سنجر عمّا صدر على يده اليه وانهُ لما نزل بهمذان في جامعها وثب عليه على حين غفلة منه قوم رتبوا لهُ من الباطنية فضربوهُ بسكاكينهم فقتلوهُ وهربوا في الحال ولم يظهر لهم خبر ولا بان منهم اثر ولا تبعهم شخص للخوف منهم فمضى لسبيله شهيداً الى رحمة الله وذلك للقضاء النازل الذي لا يدافع والقدر الحالّ الذي لا يُمانع وذلك في رجب منها

وفيهـا ملك الافرنج ثغر صور بالامان وشرح الحال في ذلك كان قد مضى من ذكر الذي اوجب اخراج الامير (115r) سيف الدولة مسعود واليهـا منها وحمله في الاسطول الى مصر ما لا يحتاج الى الاعادة لهُ والاطالة بذكره . ولمَّا حصل بها الوالي المندوب من مصر بعد مسعود طيّب نفوس اهله وكاتب ظهير الدين بصورة الحال فاعاد الجواب بان الامر في ذلك لمن دبّره والمرجوع الى ما رتّبه وقرّره . واتّفق ان الافرنج لمَّا عرفوا هذا الامر وانصراف مسعود عن ولاية صور تحرّك طمعهم فيها وحدّثوا نفوسهم بتملُّكها وشرعوا في الجمع والتأهُّب للنزول عليها والمضايقة لها . واتّصل بالوالي صورة الامر وانه لا طاقة لهُ بالافرنج ولا ثبات على محاصرتهم لقلّة من بهـا من الجند والعدة فطالع الآمر باحكام الله صاحب مصر بذلك فاقتضى الرأي ان تُردّ ولاية صور الى ظهير الدين اتابك ليتولّى حمايتها والذبّ عنها والمراماة دونها على ما جرى رسمه فيهـا وكتب منشور الولاية باسمه فندب لتوليها جماعةً لا غناء لهم ولا كفاية فيهم ولا شهامة فقسـد امرها بذلك وتوجّه طمع الافرنج حولها لاجله وشرعوا في النزول والتأهب للمضايقة لها ونزلوا بظاهرها في شهر ربيع الاوّل من السنة وضايقوها بالقتال والحصار الى ان خفّت الاقوات فيها وعُدمت الميرة . وتوجّه ظهير الدين في العسكر الى بانياس للذب عن صور

ونُفِذت المكاتبات الى مصر باستدعاء المعونة لها وتمادت الايام بذلك الى ان ضعفت النفوس واشرف اهلها على الهلاك وعرف اتابك جليّة (الامر) وتعذّر تلافيها ورفع اليأس من المعونة لها فراسل الافرنج بالملاطفة والمداهنـة والارهاب والارغاب الى ان تقرّرت الحال على تسليمهـا اليهم بحيث يُؤمَّن كل من بها ويخرج من اراد الخروج من العسكرية والرعيّة بما يقدرون عليه من احوالهم ويقيم من اراد الاقامة

ووقف اتابك في عسكره بازاء الافرنج وفتح باب البلد وأُذِنَ للنـاس في الخروج فحمل كل منهم ما خفَّ عليه واطاق حمله وترك ما ثقل عليه وهم يخرجون بين الصفين وليس احد من الافرنج يعرض لاحد منهم بحيث خرج كافة العسكرية والرعيّة ولم يبق منهم الّا الضعيف (115v) لا يطيق الخروج فوصل بعضهم الى دمشق وتفرّقوا في البلاد وذلك في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ٥١٨

وفيها ورد الخبر باجتماع الافرنج من اعمالهم ونزولهم على حلب ومشروعهم في قتال من بها والمضايقة وتمادى الامر في ذلك الى ان قلّت الاقوات فيها واشرف على الهلاك

Marfat.com

اهلها فلمَّا ضاق بهم الامر وعُدم الصبر وراسلوا الامير سيف الدين (اق) سنقر البرسقي صاحب الموصل بشكوى احوالهم وشرح ما نزل بهم والسؤال لهُ في انجادهم على الافرنج وانقاذهم من ايدي الكافرين فضاق لذلك صدرهُ وتوزّع سرُّهُ وتأهب في الحال للمصير اليهم وصرف الاهتمام الى الذبّ عنهم . فلمَّا وصل اليهم في ذي الحجة من السنة وعرف الافرنج خبره وحصوله قريباً منهم وما هو عليهِ من القوَّة وشدّة الشوكة اجفلوا مولّين ورحلوا منهزمين وتبعهم سرَعان الخيول يتلقّطون من يظفرون بهِ في اعناقهم ولم يلوِ منهم منهزمٌ على متاوّم الى ان حصلوا بانطاكية . وكانوا قد ابتنوا في منزلهم مساكن وبيوتًا تقيهم الحرّ والبرد واصرّوا على المقام ولطف الله تعالى ولهُ الحمد باهل حلب وخلصهم من البلاء وانتاشهم من اللأواء . وكسب اق سنقر البرسقي بهذا الفعل الجميل جزيل الاجر والثناء ودخل حلب واحسن السيرة فيها واجمل المعاملة لاهليها واجتهد في الحماية لها والمراماة دونها بحيث صلحت احوالها وعمرت اعمالها وامنت سابلتها وتواصلت الرفق اليها ببضائعها وتجارتها

وفي شتوة هذه السنة احتبس الغيث بارض الشام في كانون وكانون واكثر شباط وتلف الزرع وغلا السعر وعمّ القحط اكثر البلاد الشامية ثم تدارك الله عبيده بالرحمة وانزال الغيث بعد القنوط فاحيا به الارض بعد موتها وانتاش الزراعات بعد فوتها وطابت النفوس وزال عنها الهمّ والبؤس . وارتفعت الاسعار في هذه السنة في حلب ودمشق واعمالها الى الرحبة والقلعة والموصل وبقي الى سنة ١٩ وهلك كثير من ضعفاء الناس بالجوع

سنة تسع عشرة وخمسمائة

(116) في هذه السنة وردت الاخبار من مصر بتقدّم الآمر باحكام الله بالقبض على المأمون ابي عبد الله واخيه المؤتمن ابني البطائحي غلامي الافضل اللذين كانا عاملا على قتله واعانا على إتلافهِ واعتقالهما في شعبان والاستيلاء على اموالهما وذخائرهما للاسباب التي تقدم بها عليهما والمنكرات التي اتّصلت بهِ عنهما

وفيها اتّصلت الاخبار من ناحية بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بالاحتشاد والتأهب والاستعداد لقصد ناحية حوران من عمل دمشق للعيث فيها والافساد وشرع في شنّ الغارات على الجهات القريبة من دمشق والمضايقة لها وقطع الطرقات

Marfat.com

على الواردين اليها. فعند المعرفة بذلك والتحقّق انهُ شرع ظهير الدين اتابك في الاستعداد للقائه والاجتماع على جهاده وكاتب أُمراء التركمان ومقدّميهم واعيانهم باعلامهم صورة الحال ويستنجد بهم عليهم ويبذل لهم الاحسان والانعام وبرّز في عسكره وقد ورد عليهِ خبر قربهم من طبريّة قاصدين اعمال البلد من مرج الصُفّر وشرخوب وخيّم بهِ وكاتب وُلاة الاطراف بامداده بالرجالة واتّفق وصول التركمان في الفي فارس أُولى بأس شديدٍ ورغبةٍ في الجهاد ومسابقة الى الكفاح والجلاد فاجتمع اليهِ خلقٌ كثيرٌ. وكان الافرنج حين عرفوا نزول اتابك والعسكر بمرج الصُفّر رحلوا اليهِ وخيّموا بازائهِ ووقعت العين على العين وتطاردت طلائع الفريقين. فلمّا كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء المقضي والحكم النافذ من أَحداث دمشق والشباب الأَغرار ورجال الغوطة والمرج والاطراف وأَحداث الباطنيّة المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص وغيرها والعقبة وقصر حجاج والشاغور خلقٌ كثير رجالةٌ وخيالة بالسلاح التامّ والناهض مع المتطوّعة المتديّنين وشرعوا بالمصير للحاق المصافّ قبل اللقاء وقد شاع الخبر بقوّة عسكر الاسلام وكثرته واستظهاره على حزب الافرنج وشدّة شوكته ولم يشكّ احد في هلاك الافرنج في هذا اليوم وبوارهم وكونهم طعمةً للمسلمين متسهّلة

(116ظ) واتّفق ان فرقةً وافرةً من عسكر التركمان غارت على اطراف الافرنج ونالت منهم واستظهرت عليهم وخاف الافرنج وعلموا انهُ لا طاقة لهم بهذا الجمع وايقنوا بالهلكة ورحلوا باسرهم من منزلهم الذي كانوا فيهِ عائدين الى اعمالهم على غايةٍ من الخوف والوجل ونهاية من الذلّ والوهل. ونشب فرقة من التركمان في فريق منهم وهم راحلون فغنمت من اثقالهم ودوابّهم غنيمةً وافرةً وظفرت بالكنيسة المشهورة التي لهم في مخيّمهم. وطمع العسكر عند ذاك فيهم وحملوا عليهم وهم مولّون لا يلوون على تابع ولا يقفون على مقصّرٍ لاحقٍ وقد شملهم الرُعب وضايقوهم مضايقةً الجأَتهم الى رمي نفوسهم عليهم امّا لهم وامّا عليهم فتجمّعوا وعادوا على العسكر الاسلامي وحملوا عليهِ حملتهم المعروفة فكسروهم وهزموهم وقتلوا من اعقابهم مَن شطبهُ الوجل وخانه الاجل. وتمّ العسكر في الهزيمة على حاله وعادوا على جميع الرجالة وهم العدد الكثير والجمّ الغفير واطلقوا السيف فيهم حتى اتوا عليهم وتتبّعوا المنهزمين بالقتل حتى وصلوا الى عقبة سحورا وقربوا من البلد من شرخوب مع بُعد المدى والمسافة وصبر خيولهم

ووصل ظهير الدين اتابك والعسكر الى دمشق آخر نهار هذا اليوم وبنوا الامر بينهم

Marfat.com

على مُباكرتهم في غد للايقاع بهم فصادفوهم قد رحلوا عائدين الى عملهم خوفاً مما عُزم عليه من قصدهم وتتبُّعهم والله يحكم ما يشاء

سنة عشرين وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية الموصل باستشهاد الامير الاصفهسلّار سيف الدين اق سنقر البرسقي صاحبها بيد الباطنيَّة رحمه الله في مسجد الجامع بها في ذي القعدة منها وكان الذي وثب عليه جماعة قد رُتّبت لمراصدته وطلب غرّته حتى حان الحَين ونفذ الاجل وقد كان على غايةٍ من التيقُّظ لهم والتحفُّظ منهم بالاستكثار من السلاحيَّة والحاقداريَّة والسلاح الشاكّ لكن القضاء النازل لا يُدافع والقدر النافذ لا يُمانع وعليه مع هذا من (117) لباس الحديد ما لا تعمل فيه مواضي السيوف ومُرهفات الخناجر وحوله من الغلمان الاتراك والديلم والخراسانيَّة بانواع السلاح عُدَدٌ. فلمّا حصل بالجامع على عادته لقضاء فريضة الجمعة والنفل على رسمه وصادف هذه الجماعة الخبيثة في زيّ الصوفية يُصلُّون في جنب المشهد لم يؤبه لهم ولا ارتيب بهم. فلمّا بدأ بالصلاة وثبوا عليه بسكاكينهم فضربوهُ عدَّة ضربات لم تُؤثر في لُبس الحديد الذي عليه وقد غفل اصحابه عنه وانتضى سيفاً كان معهُ وضرب احدهم فقتله وصاح واحد منهم حين رأوا السكاكين لا تعمل فيه شيئاً: ويلكم اطلبوا رأسه واعلاه. وقصدوا حلقه بضرباتهم فاتّخنوهُ الى حين ادركه اصحابُهُ وحُماتُهُ فقُضيَ عليه وقُتل شهيداً وقتلوا جميع من كان وثب عليه. وقد كان هذا الامير رحمه الله سديد الطريقة جميل الافعال حميد الاخلاق مؤثر العدل والانصاف كثير التديُّن محمود المقاصد محباً للخير واهله مكرماً للفقهاء والصالحين فحزن الناس عليه واسفوا لفقده على هذه الحال ولمّا عرف ظهير الدين اتابك هذا قلق لهُ وضاق صدره لسماعه. وقام في الامر بعده ولده الامير مسعود وهو مشهور بالنجابة والزكاء معروف بالشهامة والعناء فاجتمع اليهِ خواصّ ابيه ووزيره وكُتّابه وسلك منهاجه المحمود وقصد قصده المشكور فاستقام لهُ الامر وانتظمت على السداد والمراد احواله

وفي هذه السنة نهض ظهير الدين نحو تدمُر ولم يزل حتى استعادها من ايدي العاملين عليها المواثبين على ابن اخيه الوالي كان بها في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر منها واستقرّ الامر على ان يجعل برسم الامير شهاب الدين

Marfat.com

محمود بن تاج الملوك بُوري بن ظهير الدين اتابك وسُلّمت اليه وخرج اليهـا ومعه من رُتب لحفظهِ وحفظها من الثقات

وفي هذه السنة عاد ظهـير الدين من حلب وقد بدا لهُ من المرض ودخل دمشق في شعبان منها ووصل اليهِ امين الدولة كمشتكين والي بصرى من مصر بجواب الرسالة التي كان نفذ لاجلهـا ومعه الامير المنتضى (117ظ) ابن مُسافر الغنوي رسول الآمر باحكام الله صاحب مصر وعلى يده خلعٌ سنيَّةٌ وتحف مصريَّة في الشهر المذكور

وفي هذه السنة استفحل امر بهرام داعي الباطنيَّة وعظُم خطبُهُ في حلب والشام وهو على غاية من الاستتار والاختفاء وتغيير الزيّ واللباس بحيث يطوف البلاد والمعاقل ولا يعرف احدٌ شخصه الى ان حصل في دمشق بتقرير قرَّرهُ نجم الدين ايل غازي بن ارتق مع الامير ظهير الدين اتابك وخطـاب وكّده بسببه فأكرم لاتقاء شرّه وشرّ جماعته وحُمات لهُ الرعاية وتأكدت بهِ العناية بعد ان تقلّبت بهِ الاحوال وتنقّـل من مكان الى مكان وتبعه من جهلة الناس وسفهاء العوامّ وسفساف الفلّاحين الطغام من لا عقل لهُ ولا ديانة فيه احتماءً بهِ وطلبًا للشر بجزبه. ووافقه الوزير ابو علي طاهر بن سعد المزدقاني وان لم يكن على مذهبه على امره وساعده على بثّ حبال شرّه واظهار خافي سرّه. فلما ظهر امره وشاع وطاوعه وزير ظهير الدين المذكور ليكون عونًا لهُ على فعله وتقوية يده في شغله التمس من ظهير الدين اتابك حصنًا يأوي اليهِ ومعقلًا يحتمي بهِ ويعتمد عليه فسلّم لهُ ثغر بانياس في ذي القعدة سنة ٥٢٠ فلما حصل فيهِ اجتمع اليهِ اوباشه من الرعاع والسفهاء والفلاحين والعوامّ وغوغاء الطغام الذين استغواهم بمحاله واباطيله واستمالهم بخدعه واضاليله فعظمت المصيبة بهم وجلّت المحنـة بظهور امرهم وسَبيهم (كذا) وضاقت صدور الفقهاء والمتديّنين والعُلماء واهل السُنَّـة والمقدّمين والستر والسلامة من الاخيار المؤمنين واحجم كل منهم من الكلام فيهم والشكوى لواحدٍ منهم دفعًا لشرّهم وارتقابًا لدائرة السوء عليهم لانهم شرعوا في قتل من يعاندهم ومعاضدة من يوازرهم على الضلال ويرافدهم بحيث لا يُنكر عليهم سلطان ولا وزير ولا يفلّ حدّ شرّهم متقدّمٌ ولا اميرٌ

وفي هذه السنة ورد الخبر بوصول السلطان مغيث الدنيا والدين محمود ابن السلطان محمد بن ملك شاه (118ر) الى بغداد وجرى بينه وبين الخليفـة الامام المسترشد بالله امير المؤمنين مراسلات ومخاطبات اوجبت تشعيث الحال بينهما والمنافرة من كل

منهما وتفاقم الامر الى ان اوجب زحف السلطـان في عسكره الى دار الخلافة ومحلّ الامامة ومحاربته في قصره والطلبة لغلبته وقهره ولم يزل الشحناء مستمرَّة والفتنة على غير الايثار مستقرَّة الى ان زالت اسباب الخلف والنفار وعادت الحال الى ما الفيت من شوائب الاكدار بحسن سفارة الوزير جلال الدين بن صدقة وزير الخلافة وجميـل وساطته وسديد نيابته وعاد السلطـان مع ذلك الى المألوف من طاعته والمعروف من مناصحته والتصرّف على اوامر امير المؤمنين وامثلتـهِ وذلك في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ٥٢٠ وقيل في اوّل المحرَّم سنة ٥٢١

وفي رجب من هذه السنة توفّي الامير طرخان بن محمود الشيباني احد امراء دمشق بعلّةٍ حادَّةٍ هجمت عليهِ فاردَتهُ . وفيها قصدت الافرنج رفنية وضايقوها واستعـادوها من ملكة المسلمين

سنة احدى وعشرين وخمسمائة

فيها ورد الخبر من ناحية العراق بقتل المعين وزير السلطان سنجر ابن السلطان ملك شاه صاحب خراسان بتدبير الباطنيّة في شهر ربيع الاخر منها . ذُكر انهُ كان فتك بجماعةٍ منهم ومحرّضاً للسلطان على النكاية فيهم وتطهـير الارض منهم فرتّبوا لهُ قوماً من سفهائهم للارصاد لفرصةٍ تلوح فيهِ وغرَّةٍ تظهر منهم فلم يتمّ لهم في ذلك نيل طلب ولا تسهّل لهم ادراك ارب فافردوا منهم سفيهاً ولم يزل يتحيّل الى ان خدم في اسطبـل دوابّه سائساً لبغاله واقام في خدمته الى ان وجد الفرصة متسهّلة عند حضوره لمشاهدة كراعه فوثب عليه وهو غافلٌ مطمئن فقتله ومُسك فقُتل من بعـده . وكان هذا الوزير موصوفاً بجميل الافعال وحميد الفعال ومتانة الدين (118ظ) وحسن اليقين والانصاف في اعماله والتسدُّد في اقواله ومضى لحال سبيله شهيداً وانتقل الى ربّه مرضياً حميداً عند نفاد المدَّة وانقضاء العدَّة ولله عاقبة الامر وبيده محتوم النفع والضرّ

وقد تقدَّم من شرح حال الامير سيف الدين اق سنقر البرسقي صاحب الموصل في استشهاده بيد الباطنية في جامعها رحمه الله وقيام ولده الامير مسعود في الامر من بعده ما فيه الكفاية . فلما استتبّ امره وقويت شوكته واستقامت ولايته شمخ بانفه ونفخت حداثة السنّ في سخره وحدّثته نفسه بمنازلة البلاد الشاميـة والطمع في تملُّك المعاقل الاسلامية والاطراح لمجاهدة العُصب الافرنجية بالضدّ من أُولي الحزامة والسداد وذوي

Marfat.com

البأس والبسالة في احراز فضيلة الغزو والجهاد. ونمى الخبر عنــه الى ظهير الدين اتابك بحكايات تدلّ على حسده لهُ بما أُوتي من الهيبة وحسن الصيت وجميل الذكر وكبر الشأن والامر وانّهُ عازمٌ على التأهُّب والاحتشاد لقصد اعمال الشام والعيث فيها والافساد. فعزم ظهير الدين اتابك عند معرفته هذه الاحوال التي لا يصــدر مثلها عن اريبٍ ولا يبدو شبهها عن حازمٍ في رأيه لبيب على الاستعداد لقصده في عسكره حين يدنو من الاعمال الشامية فيُوقِع بعسكره ويشفي غليله بالفتك بجزبه. فما كان بعد ذلك الّا الايام القلائل حتى انفصمت عُرَى شبابه ونزل محتوم القضاء بهِ بهجوم مرضٍ حادٍ عليه بظاهر الرحبة اتى عليهِ واصاره الى المحتوم الذي لا بدَّ لهُ عنهُ ولا محيد لهُ منهُ فانفلّ حدّه وخذله انصارُهُ وجنده واسلمته للقضاء حُماتُهُ وتفرّقت عنهُ خواصّهُ وثقاته وهلك في الحال وزيرُهُ وشريكهُ في الوزر ومُشيرُهُ بعلّةٍ شديدةٍ اعجلتهُ وفي اشراك المنيّة اوبقتهُ وهرب جماعةٌ من خواصّ غلمان ابيهِ الاتراك باعلامه التي كانت قد استعملها على مراده وايثاره وتناهى في احكامها على قضيّة اقتراحه واختياره ووصلوا بها الى ظهير الدين اتابك متحفّين لهُ بها ومتقرّبين اليهِ باهدائها فاحسن اليهم وبالغ في الاكرام لهم والانعام عليهم واصطفاهم لنفسه وضمّهم الى ثقاته واهل انسه وقابلهم على وفودهم عليه (119) بالفعــل الجميل والعطاء الجزيل (١

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بمسير السلطان مغيث الدنيا والدين محمود وقد عبث بهِ مرضٌ خاف منهُ على نفسه محمولًا في محفةٍ نحو همذان واجتاز عند

---

١) قال الفارقي في تاريخه: وفي سنة ١٩ او في اوّل سنة ٥٢٠ قُتل البرسقي في جامع الموصل قتلهُ الباطنيــة وولِيَ ولده مسعود البلاد من ديار ربيعــة وغيرها واجتمع بهاء الدين القاضي الشهرزوري ونصير الدين جقر وصلاح الدين محمد اليغصياني (الباغيسياني) وحصلوا خزانةً وخدمةً ونزلوا الى بغداد ليخدم السلطان محمود ويقرّ الامير مسعود ولد البرسقي في البــلاد ولمّا وصلوا اذنوا وقالوا: آن هذا صبيّ ولا يقوم بالملك وربّما لا يدبّر البلاد ويكون الحيف علينا فاقتضى رأيهم انّهم اجتمعوا بقسيم الدولة زنكي بن اق سُنقر وكان شحنة بغداد في تلك الـــة وقرّروا معهُ ما ارادوا من مصالحهم واستحلفوه ان يكون لبهــاء الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والامور الدينيّة لهُ. فحلف ان تكون الحجبة وامارة العسكر لصلاح الدين وان يكون ولاية الموصل وجميع البلاد الى نصير الدين ويولّي فيها من يراهُ فحلف بهم على ذلك وتقرّر الامر اليهم بينهم ثم انهم خدموا السلطان واصحابه والخليفة واصحابه بالمال الذي وصل معهم فطلبوا زنكي فسلّم اليهِ السلطان ابنيه الب ارسلان والخفاجي وحصل اتابكهما واوفى لهُ بالبلاد وسار الى الموصل وملك الموصل والبلاد اوّل سنة ٥٢٢

Marfat.com

ذلك بدار الخلافة وراسل الامام المسترشد بالله امير المؤمنين يسأله المسامحة بما سبق منهُ في تلك النوبة الحادثة بينهما وان يحلّله ويدعو لهُ ولا يدعو عليهِ فخرج اليهِ جواب الرسالة باجمل جواب وألطف خطاب طابت بهما نفسه وزاد في استماعهما امله في البرّ وأنسه ثم انهُ افاق من مرضه هذا وعاوده نشاطه بعد الكسل والفتور وعاد الى الغرض المأثور. وكان قد انكر على وزيره شمس الملوك خواجه بزرك اموراً دعتهُ الى الامر بالقبض عليه وتسليمه الى حاجبه فقتله وقيل انهُ شرب الخمر في قحف رأسه

وفي شعبان من هذه السنة قصد بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس في عسكره وادي موسى فنهب اهله وسباهم وشرد بهم وعاد عنهم. وفي جمادى الاخرة منها ورد الخبر بان الامير ختلغ اه السلطاني ولّي مدينة حلب وحصل في قلعتها بطلائع اختير لهُ ولم يقم الّا القليل حتى فسد امره واضطرب حاله ووقع بينه وبين احداث الطلبيين فحصروهُ في القلعة الى ان وصل الى حلب عسكر الامير عماد الدين اتابك فتسلّمهُ من القلعة واعتُقل واستُؤذن في امره فأُذن في سمل عينيه فسُملتا

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة اشتدَّ المرض بظهير الدين اتابك وطال بهِ طولًا أنهك قوّتهُ وأنحل جسمه واضعف مُنّته واشفى منهُ على نزول ما لا يُدفع بحيلة ولا يمنع بقوّة فاحضر ولده الامير تاج الملوك وامراء دولته وخواصه واهل ثقته واعيان عسكريّته واعلمهم بانهُ قد احسّ من نفسه بانقطاع الاجل وفراغ المهل وخيبة الرجاء من البقاء والامل « ولم يبق غير الوصيّة بما يعمل عليه ويدبّر بهِ الامر بعدي وينتهي اليهِ وهذا ولدي تاج الملوك بوري هو اكبر ولدي والمترشح للانتصاب مكاني من بعدي والمأمول لسدّ ثلمة فقدي ولا اشكُّ في (119ٍ) سداد طريقته وايثاره لفعل الخير ومحبّته وان يكون مقتفياً لآثاري في حفظ قلوب الامراء والعسكريّة وعاملًا على مثالي في انصاف الاعيان والرعيّة فان قبل وصيّتي هذه ونهج السبيل المرضية في بسط المعدلة والنصفة في الكافّة وازال بحسن سياسته عنهم اسباب الوجل والمخافة فذاك الظن في مثله والمرجو من سداده وجميل فعله وان عدل عن ذاك الى غيره وحاد عن ما يؤثر من السداد في سرّه وجهره فها هو متشاهدٌ لهذه الحال ومتوقّعٌ لمثل هذا المآل » فقال: بل اوفى على المراد ولا اتعدّى سبيل السداد والرشاد فوكّد الامر عليه في ذلك تأكيداً فهمه منه وقبله عنه

Marfat.com

ثم توفّي الى رحمة الله ضحى نهار يوم السبت لثمان خلون من صفر من السنة فابكى العيون ونكأ القلوب وفتّ في الاعضاد وفتّت الاكباد واشتدّ الاسف لفقده والجزع عليه ولم يُسمَع الّا متفجّعٌ لهُ وذاكرٌ لجميل افعاله وشاكر لايامه. وقام ولده تاج الملوك بوري بالامر من بعده واحسن السيرة في خاصّهِ ورعيّتهِ وجنده فلو كانت مجاري الاقدار تدفع اليهِ عن ذوي المناصب والاخطار لكان هذا الامير السعيد الفقيد احقّ من تخطّأ بهِ المنايا ولم تُلمّ بساحتهِ الرزايا وابقتهُ الايام لها رُتبةً تتباهى بها وحليةً تتنافَسُ بها الّا انّ الله تعالى لا يغالب امره ولا يدافع حكمه ولا بُدَّ من تمام ما سبق بهِ علمه وحدوث ما تقرَّر نفاذه في خلقه لان الموت غاية الحيوان ونهاية ما يكون من مصير الانسان. وقد كان هذا الامير السعيد قد بالغ في استعمال العدل والكفّ عن الظلم واعاد على جماعةٍ من الرعيّة املاكًا في ظاهر البلد جمةً دائرةً أُغتُصبت منهم في زمن الولاة الظالمة وقُبضت عنهم في زمن العُتاة الجبابرة وجرت عليهما احكام المقاسمة وعتت الايدي العادية الغاشمة فاعادها الى خراجها القديم المستقرّ ورسمها السالف المستمرّ ورفع عنها موادّ الجور والعدوان وحسم عن مالكيها اسباب التأوُّل في كل مكان واوان فاحرز بذاك صالح الدعاء وجميل الشكر والثناء

ثم رفع الى امير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله رُقعةً عند مصيره الى بغداد (120r) ومُهاجرته الى الباب الامامي المسترشدي والسلطاني الغياثي يذكر فيها حال مواضع داثرة في عمل دمشق وحِصَصٍ عامرةٍ وارض مُعطّلة لا مالك لها ولا فائدة في عطلتها ولا انتفاع لخاصّي ولا عامّي بشيءٍ منها لدثورها ودروس معاملها ورسومها واستأذنهُ في بيعها ممَّن رغب فيها ويوثّر عمارتها للانتفاع بريعها وغلّتها وصرف ما يحصل من ثمنها في الاجناد المرتّبين للجهاد فاذن لهُ في ذلك اذنًا تامًّا موكّدًا اباحهُ لهُ وامضاه لمن يملكه بالابتياع منه واحلّه واطلقه ووقّع بذاك على ظهر الرقعة بالامضاء وابطال التأوُّل فيهِ والتحذُّر من ابطال شيء من حكمه او التجاوُز لرسمه ووكّد بالعلامة الشريفة الاماميَّة المسترشديَّة التي قبلها منهُ وتقلّدها عنه واشهد عليه بذلك الشهود المعدّلين وامضى البيع في ذلك لمن رغب فيهِ فعمرت عدّة ضياع يبابًا خالية وعلى عُروشها خاوية وارض عافية لا انتفاع بها ولا فائدة لاحدٍ فيها فأُجريت عيون مياهها وأُعيدت الى اجمل عاداتها وظهرت منها الخيرات وعمّت بذلك الميامن والبركات

Marfat.com

ودامت لهُ الدولة ولمن بعده ببركات هذه الافعال الحميدة والنيَّة الجميلة وحسُنت لهم العقبى في الولد والأُسرة والاهل والجملة وحصل لهُ الذكر الجميل في الآفاق والاقطار والامصار والثناء الطيب الحسن الآثار ومضى لشأنه سعيدًا عزيزًا حميدًا على ظهر فراشه لا يُرَدّ لهُ امرٌ ولا يخالف لهُ قولٌ ولا يُتجاوز لهُ حكم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ذكر تاج الملوك بوري بن اتابك عند تولّيه الامر بعد ابيه ظهير الدين اتابك واخباره وما جرى في ايامه من نوبة الباطنية والاحداث المتجدّدة وما جرى مع الافرنج الى ان مضى سبيله

شرح ذلك

لمَّا نفذ القضاء في ظهير الدين اتابك رحمه الله قام ولده الامير تاج الملوك (120ظ) بالامر من بعده اذ كان نجله ووليّ عهده فعمل بما كان القاه اليه واعتمد على ما وكده في وصيَّته عليه من حسن السيرة في جميع من حَوَتْهُ دمشق من الاجناد والعسكريَّة وكافة الاتباع والرعية وزاد على ذلك وبالغ في الذبّ عنهم والمراماة دونهم وجرى على منهاج ابيه في بسط المعدلة واعتماد النصفة للاجناد وثقل الوطأة على الاعداء والاضداد وانصاف المتظلّمين وردع الظالمين وحماية السُّفَّار والمتردّدين والتبليغ بالنكاية للمفسدين بحيث اجتمعت القلوب على حبّ دولته وانطلقت الالسن بالدعاء الصالح بادامة ايَّامه وإطالة مدَّته واقرّ وزير ابيه ابا علي طاهر بن سعد المزدقاني على وزارته واجراه على رسمه في سفارته ولم يصرف احدًا من نوَّابه المعروفين بخدمتـــه عن رسمه وعادته ولا ازاله عن معيشته بل زاد في ارزاقهم وخلع عليهم واحسن اليهم واقرّ الاقطاعات على اربابها والجامكيَّات على اصحابها فكثر الدعاء لهُ والثناء عليهِ واحسن الى وزيره المقدّم ذكره واطلق لهُ عُشر ارتفاعه مع حقوق العرض عن الاقطاعات والواجبات والنفقات. وقد كان اسرّ في نفسه من امر الباطنية ما لم يبدِهِ لاحدٍ من خواصّهِ وثقات بطانتهِ عند ما قويت شوكتهم وتضاعفت مضرَّتهم اتباعًا لما كان عليهِ ابوهُ من اظهار الرعاية لهم والمداراة لدفع شرّهم فلمَّا مكَّنهُ الله منهم واقدره عليهم افتتح امره بالتـــدبير عليهم والايقاع بهم فكان منهُ في امره ما سيأتي مشروحًا في مكانه

Marfat.com

ذكر ما حدث من الباطنيَّة بدمشق واعمالها وما آلت اليه احوالهم من البوار وتعفية الآثار في بقية سنة ٥٢٢

شرح الامر والسبب في ذلك

قد تقدَّم من ذكر بهرام داعي الباطنيـــة والسبب الذي اوجب تسليم ثغر بانياس اليهِ ما فيهِ الكفاية عن تكرير الذكر لهُ ولمَّا حصل في بانياس شرع في تحصينها وترميم ما استرمّ وتشعَّث منها وبثّ دُعاته في سائر الجهـــات فاستغووا خلقاً كثيرًا من جهَّال الاعمال وسفساف الفلاَّحين من الضياع وغوغاء الرعاع ممَّن لا (121r) لُبَّ لهُ يصدّه عن الفساد ويردعه ولا تقيَّة تصدفه عن المنكر وتمنعه فقوي شرّهم وظهر بقبح الاعتقاد سرُّهم وامتدَّت ايديهم وألسنتهم الى الاخيار من الرعية بالثلب والسبّ والى المنفردين في المسالك بالطمع والسلب واخذهم قسرًا وتناولهم بالمكروه قهرًا وقتل من يقتل من الناس تعدّيًا وظلمًا. واعانهم على الايغال في هذا الضلال ابو علي طاهر بن سعـــد المزدقاني الوزير معونةً بالغ فيها وحصل لهُ وَخِيمُ عاقبتها وذميمُ مغبَّتها لما تقرَّر بينهُ وبين بهرام الداعي المقدّم من المؤازرة والمعاضدة والمظافرة والمرافدة موافقةً في غير ذات الله ولا طاعته طلبًا لِأَن تكون الايدي واحدةً على من يقصدهما بمكروهٍ والنيَّات مترادفة على من ينوي لهم شرًّا وتاج الملوك غير راضٍ بذلك ولا موثر لهُ بل تبعثـــهُ السياسة السديدة والحلم الوافر والمعرفة الثاقبة على الاغضـــاء منهم على القذى والصبر على موثلم الاذى وهو يسرّ في نفسه ما لم يظهره ويطوي من امرهم ما لم ينشره الى حين يجـــد الفرصة متسهّلة المرام والمكنة من اعداء الله بادية الاعلام فعنـــد ذلك تُنتَهَز الفرصة وتُقتَنَص الفريسة. واتَّفق ان بهرام الدعي لمَّا يريد الله تعالى من بواره ويحـــلّ بهِ من هلاكه ودماره حدَّثتهُ نفسه بقتل برق بن جندل احد مقـــدّمي وادي التيم لغير سبب حمله عليهِ ولا جناية دعتهُ اليهِ بل اغترار بعاقبة الظالمين في سفك الدماء المحرّمة وافاظة النفوس المحظورة وجهلًا بما حذَّر الله تعالى من يقصد ذلك ويُقدِم عليهِ بقوله عزَّ وجلّ: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خالدًا فيهـــا وَغَضِبَ اللهُ عليهِ وَلَعَنَهُ وَأَعدَّ لَهُ عَذَابًا عظيمًا (١ فخدعهُ الى ان حصل في يده فاعتقله وقتله صبرًا فتألَّم لقتل

1) Qur. IV, 95.

مثله على هذه مع حداثة سنِهِ وشهامته وحسن صورته واعلنوا بلعن قاتله في المحافل والمشاهد وذمّه من كل غائب ومُشاهد. فحملت اخاه ضحاك بن جندل وجماعته وأُسرَته الحميةُ الاسلامية والحرقة الاهلية على الطلب بدمه والاخذ بثاره فتجمّعوا وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا على المصابرة على لقاء اعدائهم والايغال في الطلب لدمائهم وبذل المهج والنفوس (121) في ادراك ثارهم وشرعوا في التأهُّب لهذه الحال صابرين وللفرصة متوقعين الى ان ساق بهرام ولفيفه الحَين المتاح وقضى الله عليهم بالاصطلام والاجتياح فتجمعوا من كل ناحية وتهافتوا من كل صوب وجهة وظهر بهم من بانياس في سنة ٥٢٢. وقصد ناحية وادي التيم للايقاع بالمذكورين وكانوا مستعدّين للقائه مترقبين لحربه. فلمّا أحسُّوا بقربه منهم نهضوا باجمعهم اليهِ نهوض الليوث من غابها للحماة على اشبالها وطاروا نحوهم مطار صقور الجبال الى يعاقيبها واحجالها فحين دنوا من حزبه المفلول وحشده المخذول هجموا عليهم وهم في مخيَّمهم غارُّون وبهم مغترُّون وصاح صائحهم وهم غافلون وبما نزل بهم من البلاء ذاهلون والى ان يتمكّن فارسهم من امتطاء جوادهِ وراجلهم من تناوُل عدَّتهِ وعتادهِ اتى القتل على اكثرهم ضرباً بالسيوف ووجياً بخناجر الحتوف ورشقاً بسهام البلاء ورجماً باحجار الاقدار والقضاء.

وكان بهرام في خيمته وحوله جماعةٌ من عُشركانه في جهله وضلالته غافلاً عمّا احاط بهِ وبطائفته وقد وثبوا عند سماع الضوضاء والصياح الى اخذ آلة السلاح فارهقوهم بسيوفهم الماضية وخناجرهم المبيرة القاضية حتى اتوا على الجميع وقُطع رأس بهرام ويده بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين واخذهما واحد مع خاتمه من الرجال القاتلين ومضى بهما الى مصر مبشّراً بهلاكه ومهنّئاً ببواره فخلع عليهِ واحسن اليهِ وشاعت بذلك الاخبار وعمّ الكافة الجذلُ بهلكهم والاستبشار واخذ الناس من السرور بهذا الفتح باوفر السهام واكمل الاقسام فقلّت عدّتهم وانقصفت شوكتهم وانفلّت شكّتهم

وقام بعد بهرام صاحبه اسمعيل العجمي رفيقه في الضلال والعدوان وشريكه في المحال والطغيان مقامه واخذ في الاستغواء للسفساف مثاله وزاد في الجهل زيادةً اظهرت سخف عقله ومحاله وتجمّع اليهِ بقايا الطائفة الخبيثة من النواحي والاصقاع ومن كان منهم متفرّقاً في النواحي والبقاع. وجرى ابو علي طاهر بن سعد المزدقاني الوزير على الحال التي سلكها مع بهرام في حقّ اسمعيل في المساعدة على مراده (122) والمعاضدة

على اغراضه لتحرّزه من الشرّ ورغبته في السلامة ولم يعلم ان عُقبي هذه الافعال عين الندامة والبعد عن طريق السلامة فقد قيل «رُبَّ مستسلمٍ نجت بهِ سلامتهُ ومتحرّزٍ من الشرّ كانت فيهِ آفتهُ» ولم تزل شكوى الناس من الخاصّة والعامّة تتضاعف والاضرار بهم من المخذولين يتوالى ويترادف الى ان صرف تاج الملوك بن ظهير الدين اتابك الى الفتك بهم والاجتياح لهم همّته وارهف لتطهير الاعمال منهم عزيمته ورأى ان صلاح الامر فيما يقتضيه التدبير فيما يُراد والتقرير الايقاع بابي علي الوزير اوّلًا فانهُ أصوَبُ ما اعتمد واولى ما قصد فرتّب لقتله من خواصه من اعتمد عليهِ وسكن في امره اليهِ وقرّر معهُ ان يضرب رأسه بالسيف متى اشار اليه. فلمّا كان يوم الاربعاء السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٢٣ حضر مع جماعة الامراء والمقدّمين على الرسم في قبّة الورد من دار القلعة بدمشق وجرى في المجلس امورٌ وخاطباتٌ مع تاج الملوك والحضور انتهى الامر فيها الى الانصراف الى منازلهم والعود الى دورهم ونهض الوزير المذكور منصرفًا بعدهم على رسمه فاشار تاج الملوك الى خصمه فضرب رأسه بالسيف ضربات اتت عليهِ وقُطع رأسه وحُمل مع جثّته الى رمادة باب الحديد فالقيت عليها لينظر الكافّة الى صنع الله تعالى بمن مكر واتّخذ معينًا سواه وبغيره انتصر وأُحرقت جثته بعد ايام بالنار وصار رمادًا تذروه الرياح ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلّام للعبيد(١

وشاع الخبر بذلك في الحال فثارت الاحداث بدمشق والغوغاء والاوباش بالسيوف والخناجر المجرّدة فقتلوا من ظفروا بهِ من الباطنيّة واسبابهم وكل متعلّق بهم ومُنتمٍ اليهم وتتبّعوهم في اماكنهم واستخرجوهم من مكامنهم وافنوهم جميعًا تقطيعًا بالسيوف وذبحًا بالخناجر وجُعلوا مُصرّعين على المزابل كالجيف الملقاة والميتة المجتواة وقُبض منهم نفرٌ كثيرٌ التجأوا الى جهاتٍ يحتمون بها واملوا السلامة بالشفاعة منها قهرًا وأُريقت دماؤهم هدرًا واصبحت النواحي والشوارع منهم خالية والكلاب على اشلائهم وجيفهم مُتهارشةٌ عاويةٌ ان في (122[٧]) ذلك لآيةً لأُولي الالباب

وكان قد اخذ في الجملة المعروف بشاذي الخادم تربية ابي طاهر الصائغ الباطني الذي كان بحلب وهذا اللعين الخادم كان اصل البلاء والشر فعوقب شرّ عقوبة شفت قلوب كثير من المؤمنين وصُلب ومعه نفرٌ منهم على شرفات سور دمشق ليشاهد فعل

---

١) قال سبط ابن الجوزي: ان هذا الوزير هو الذي بنى المسجد على الشرف الشمالي شمالي دمشق عند تربة ستّ الشام ويسمّى بمسجد الوزير وفيهِ القُرّاء وعليهِ الوقف

Marfat.com

الله بالظالمين ونكالهُ بالكافرين . وكان الحاجب يوسف بن فيروز شحنة البلد ورئيسه الوجيه ثقة الملك ابو الذواد مفرّج بن الحسن الصوفي قد بالغا في التحريض على هلاك هذه الطائفة الخبيثة فاخذوا في التحرُّز والاحتياط من اغتيال مَن يُندب اليهما من باطنية أَلموت مقرّ الباطنية بلبس الحديد والاستكثار من الحفظة حولهما بالسلاح الوافر العتيد فحصل الشقاء لمن اساء وكفر والسعادة لمن احسن واعتبر

واما اسمعيل الداعي المقيم ببانياس ومن معه فانهم لما سمعوا ما حدث من هذه الكائنة سُقط في ايديهم واخذلوا وذلّوا واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وتفرّق شملهم في البلاد وعلم اسمعيل ان البلاء محيط بهِ ان اقام ببانياس ولم يكن لهُ صبرٌ على الثبات فانفذ الى الافرنج يبذل لهم تسليم بانياس اليهم ليأمن بهم فسلّمها اليهم وحصل هو وجماعةٌ في ايديهم فتسلموا من بانياس الى الاعمال الافرنجية على غاية من الذلّة ونهاية من القلّة وعرض اسمعيل علّة الذرب فهلك بها وقُبر في بانياس في اوائل سنة ٥٢٤ فخلت منهم تلك الناحية وتطهّرت من رجسهم

وفي سنة ٥٢٢ ورد الخبر من بغداد بوفاة الوزير جلال الدين ابي علي الحسن بن علي بن صدقة وزير الخليفة رحمه الله في جمادى الاخرة منها وكان حسن السيرة محمود الطريقة كاتباً فاضلاً بليغاً محبوباً من الخاصة والعامة سديد الرأي حميد التدبير صادق العزم صافي الحسن كريم النفس . فكثر الاسف عليهِ والتوجع لفقده واستوزر بعده نقيب النقباء شرف الدين ابو القسم علي بن طراد الزينبي في جمادى الاولى منها وهو من جلالة القدر وشرف الاصل ونباهة الذكر والمنزلة المشهورة والرتبة المعروفة والمكان المشتهر . وفي جمادى الاولى سنة ٥٢٢ توفّيت الخاتون شرف النساء والدة تاج الملوك رضي الله عنها (123) وقُبرت في قبّتها المبنيّة برسمها خارج باب الفراديس

سنة ثلث وعشرين وخمسمائة

قد مضى ذكر نوبة الباطنية وغيرهم لما اقتضى سَوْق الكلام فيهِ في سنة ٢ و ٣ لما انتهى الى الافرنج خبر الكائنة في الباطنية وانتقال بانياس عنهم اليهم احدث ذلك لهم طمعاً في دمشق واعمالها واكثروا الحديث في قصدها وبثّوا رسلهم الى الاعمال في جمع الرجال والاحتشاد فاجتمع اليهم سائر من حَوَتهُ بلادهم من الرُّها وانطاكية وطرابلس والساحل ووصلهم في البحر ملك كُند هو الذي قام مقام بغدوين الهالك في

Marfat.com

الافرنج ومعهُ خلقٌ كثير فاجتمعوا ونزلوا على بانياس وخيّموا عليها وشرعوا في تحصيل المِيَر والازواد للاقامة وتواترت الحكايات عنهم ممّن شاهدهم واحصى عـددهم انهم يزيدون على ستّين الفًا فارساً وراجلًا واكثرهم الرجالة

فلمّـا عرف تاج الملوك ذلك من عزمهم تأَهّب لهذا الامر وصرف همّه الى الاستكثار من العدد والسلاح وآلة الحرب وما يحتاج اليهِ من الآلات التي يحتاج اليها لتذليل كل صعب وكاتب امراء التركمان على ايدي رسله المندوبين اليهم بالاستنجـاد والاستغـاثة بهم وبذل من المال والغـلال ما بعثهم على المبادرة الى اجابة ندائه والسرعة الى دعائه ووصل اليهِ من طوائفهم المختلفة الاجنـاس كل ذي بسالة وشدَّة مراس راغبين في اداء فريضة الجهاد ومسارعين الى غزو الكفرة الاضـداد واطلق ما يحتاجون اليهِ لقوتهم وقضيم خيولهم

ورحل الملاعين عن بانياس طالبين دمشق على اناةٍ وترتيب ونزلوا على جسر الخشب والميدان المعروف المجاور لهُ في٠٠٠٠من ذي القعدة سنة ٥٢٣ وخيّموا هناك واصبح العسكر خَرَجَ من دمشق وانضمّ اليهِ التركمان من منازلهم حول البلد والامير مرّة بن ربيعة في العرب الواصلين معه وتفرّقوا كراديس في عدَّة جهـات ووقفوا بازائهم لتخرج منهم فرقةٌ فيسارعوا اليها ويزحفوا فيبادروا الى لقائهم فلم يخرج منهم فارسٌ ولا ظهر راجلٌ بل ضمُّوا اطرافهم ولزموا مخيمهم واقام النـاس على هذه الصورة اياماً (123[٧]) يتوقّعون زحفهم الى البلد فلا يشاهد منهم الّا تجمُّعهم وإطافتُهم حول مخيمهم وبريقُ بيضهم وسلاحهم وكُشف خبرهم وما الذي اوجب تأَخرهم عن الزحف وتلوّمهم فقيل انهم قد جرَّدوا ابطال خيلهم وشجعان رجالهم للمصير مع البغال الى حوران لجمع المِيَر والغلال التي يُستعـان بمثلها على الاقامة والنزال وانّهم لا حركة لهم ولا قوَّة بهم الى عود المذكورين

فلمّا عرف تاج الملوك هـذه الحال بادر بتجريد الابطال من الاتراك الدمشقيين والتركمان الواصلين والعرب القـادمين مع الامير مرّة واضاف اليهم الامير سيف الدولة سوار في عسكر حماة وقرّر معهم نهوضهم اخر يومهم والجدّ في السير عامّة الليل ووصولهم عند الصباح الى ناحية بُراق لان تقدير وصول الملاعين عند عودهم من حوران الى ذلك المكان٠فسارعوا الى العمل بما مثل لهم واصبحوا في ذلك المكان وهم على غاية من الكثرة والمنعة ومعهم سواد عسكرهم باسره في عَدَدٍ لا يُحصى كثرةً فهجموا عليهم

Marfat.com

فلم يتكامل ركوبهم الّا وقد قُتل منهم جماعة بالنشّاب وضربوا مصافًا ووقفوا قِطعةً واحدةً وحمل عليهم المسلمون فثبتوا ولم يزل عسكر الاسلام يكرّ عليهم ويفتك بهم الى ان فشلوا وانخذلوا وايقنوا بالبوار وحلول الدمار. وولّى كليام دبور مقدّمهم وشجاعهم في فريق من الخيّالة منهزمين وحمل الاتراك والعرب حملةً هائلةً واحدقوا بهم ضربًا بالسيوف وطعنًا بالرماح ورشقًا بالسهام فما كان الّا بعض النهار حتى صاروا على وجه الارض مصرعين زبين ارجل الخيل مُعفّرين وغنموا منهم الغنيمة التي امتلأت ايديهم بها من الكراع والسلاح والاسرى والغلمان وانواع البغال وهو شيء لا يُحصَر فيذكر ولا يحدّ فيعدّ ولم يسلم منهم الى معسكرهم الّا القليل من الخيالة الذين نجت بهم سوابقهم المضمرة وعاد الاتراك والعرب الى دمشق ظافرين غانمين منصورين مسرورين اخر نهار ذلك اليوم المذكور. فابتهج الناس بهذا اليوم السعيد والنصر الحميد وقويت بهِ النفوس وانشرحت بهِ الصدور وعزم العسكر على مباكرتهم بالزحف الى مخيّمهم عند تكامل وصوله (124ᵗ) وتسرّع اليهم جماعةٌ من الخيل وافرةٌ وهم ينظرون الى كثرة النار وارتفاع الدخان وهم يظنون انّهم مقيمون فلما دنوا من المنزل صادفوهم وقد رحلوا اخر تلك الليلة عندما جاءهم الخبر وقد احرقوا اثقالهم وآلاتهم وعُددهم وسلاحهم اذ لم يبقَ لهم ظهر يحملون عليهِ عند ما عرفوه من حقيقة الامر الذي لا يمكن معه المقام مع معرفتهم بكثرة عسكر الاتراك ولا طاقة لهم بهِ ولم يتمالكوا ان رحلوا لا يلوون على منقطعٍ ولا يقفون على مُقصّرٍ وخرج الى منزلهم فغنموا منهُ الشيء الكثير من اثاثهم وزادهم وصادفوا جماعةً من الجرحى في الوقعة قد هلكوا مع وصولهم ودُفنوا في اماكنهم وخيولهم مُصرّعةٌ من الجراح الكثيرة (١ ولحق اواخرهم العسكر فقتلوا جماعةً من المنقطعين واغذّوا سيرهم في هزيمتهم خوفًا من لحاق المسلمين لهم . وامن الناس وخرجوا الى ضياعهم وانتشروا في اماكنهم ومعائشهم وانفرجت عنهم الكربة وانكشفت الغمّة وجاءهم من لطف الله تعالى وجميل صنعه ما لم يكن في حساب ولا خطر في بالٍ. فلله الحمد والشكر على هذه النعمة السابغة والموهبة الكاملة حمدًا يستديم جزيل نعمهِ ويستمدّ المزيد من منائحهِ وقسمهِ

وعاد التركمان الى اماكنهم بالغنائم الوافرة والخلع الفاخرة وتفرّق جمع الكَفَرة الى معاقلهم على اقبح صفةٍ من المذلّة وعدم الكراع وذهاب الاثقال وفقد ابطال الرجال

---

١) وفي الاصل : الكد

Marfat.com

وسكنت القلوب بعد الوجل وأَمنت بعد الخوف والوهـــل وايقنت النفوس بان الكفرة لا يكاد يجتمع لهم بعد هذه الكائنة شملٌ بعد فناء ابطالهم واجتياح رجالهم وذهاب اثقالهم

سنة اربع وعشرين وخمسمائة

في المحرَّم اوَّل هذه السنة توفّي الشيخ الامين جمال الأُمناء ابو محمد هبة الله بن احمد الاكفاني رحمهُ الله وكان موصوفًا بالكفاية والامانة معروفًا بالصيانة والديانة ولم يقم من الشهود بعده مثله في الذكاء والامانة والغناء

لمَّا خلا ديوان الوزارة بدمشق بعد قتـــل ابي علي طاهر المزدقاني الوزير من عارفٍ ينظم حسباناته ويسدّد امور معـــاملاته وارتاد تاج الملوك كافيًا يَرُدُّ الامر في ذلك (124ٌ) اليهِ ويعتمد فيهِ عليهِ ويسكن الى نهضته في تهـــذيب احواله وترتيب اعماله وحفظ ابواب ماله فلم يتسهّل لهُ بلوغ المقصود ولا تيسّر لارتياده نيـــلُ الغرض المنشود فوقع تعويله على الرئيس الوجيه ثقـــة الملك ابي الذواد المفرّج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق فردّ الامر في ذلك اليه وقلّده منصب الوزارة واعتمد فيه عليـــه ووجده أَكفى من وقعت اليه الاشارة من كتَّابه ومتصرّفيه وان كان ضعيف الصناعة في الكتابة خفيف البضاعة من البلاغة فان رأيه سديد ومذهبه في التنزُّه والامانة حميد ولهُ معرفةٌ بسياسة العاملين في المعاملات ويدٌ في الحكّ والضبط في استدعاء الحسبـــانات وحفظ الاخراجات ولم يجد لهُ محيدًا عنهُ ولا بدلًا منـــهُ فقلَّدهُ هذا المنصب واثقًا بحسن سفارته ومرضيّ موأزرته وخلع عليه وزاد في احسانه اليه واجلسه مجلسه من الديوان بمحضر من الامراء والاماثل والاعيان وامر بكتب المنشور بأَحسن اوصافه والتحـــذير من تجاوز امره وخلافه ولقّبه محيي الدين تأكيدًا لامره ورفعًا لقدره فاحسن السياسة وسدّد احوال الرئاسة واستعمل العدل في اعماله والانصاف لمعاملته وعمّاله ونظر في الاعمال [illegible] الكُفاة الثقات من العُمَّال وجرت الاحوال في ذلك على السداد واطّردت على الاستقامة أَحسن اطّراد

(و)في هذه السنة ورد الخبر بوصول الامير عمـــاد الدين اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل الى حلب في عسكره عازمًا على الجهاد وارسل تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك يلتمس منه المعونة والإسعاد على محاربة الافرنج [illegible] وارسل

Marfat.com

بينهما في ذلك الى ان اجاب الى المراد وانفـذ اليه من استحلفه على المصافاة والوداد وتوثق منهُ على الوفاء وجميل الاعتقاد واكد الامر في هذه الحالة تأكيدًا سكن اليهِ ووثق بهِ واعتمد عليهِ وبادر بتجريد وجوه عسكره في خمسمائة فارس وكتب الى ولده بهاء الدين سونج بحماة يأمره بالخروج في عسكره والاختلاط بالعسكر الدمشقي ومقدّمه الامير شمس الامراء الخواصّ وعدّة من الامراء والمقـدّمين (125) فامتثل الامر وخرج من حماة في رجاله وتجمّله وتوجّهوا جميعًا الى مخيّم عمـاد الدين اتابك فاحسن لقاءهم وبالغ في الاكرام لهم واغفلهم اياماً وعمل عليهم وغدر بهم وقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة المقدّمين ونهب خيامهم واثقالهم وكراعهم فهرب منهم من هرب واعتقل الباقين وحملهم الى حلب وامر بحفظهم فيها

وزحف من يومه الى حماة وهي خالية من الرجال الحُماة فملكها واستولى على ما فيها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها خيرخان بن قراجه معه بعسكره ومناصحٌ في خدمته وعاملٌ بطاعته وكان المعين لهُ والمحرّض على الغدر بسونج وقبضهِ حين نزل عليها غدرا بخيرخان صاحبها واعتقله ونهب خيامه واثقاله وتوثق منـهُ وطلب بتسليم حمص اليهِ فراسل نوّابه فيها وولده بذلك فلم يلتفتوا الى مقـاله ولا وقعت منهم اجابةٌ الى سوَاله فاقام عليها مدّةً طويلةً يُبالغ في المحاربة لاهلها والمضايقة لها فلم يتهيأ لهُ فيها مطلبٌ ولا تيسّر مأرب فرحل عنها الى الموصل واستصحب معـهُ سونج بن تاج الملوك والمقدّمين من عسكر دمشق واقرّ الباقين في حلب وتردّدت المراسـلات في اطلاق المعتقلين فلم يفعل والتمس عنهم خمسين الف دينـار اجاب تاج الملوك الى تحصيلها والقيام بها

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بقتل الآمر باحكام الله صاحبها في اخرها تدبيرًا دُبّر لهُ وعُمل فيه عليه لامورٍ منكرة ارتكبها واحوالٍ قبيحةٍ اعتمدها ادعت الى قتله واوجبت الفتك بهِ لانهُ بالغ في ظلم الرعيّـة وأخذ اموالهم واغتصاب ملاكهم وسفك الدماء واساء السيرة وارتكب المحذورات واستحسن القبائح من المحظورات فابتهج الخاصّ والعامّ بالحادث فيه والراحة منهُ في يوم الثلثاء الثاني من ذي القعدة سنة ٥٢٤ وعمره ٣٤ سنة ومولده بالقاهرة سنة ٤٩٠ وايام دولته ٢٤ سنة ونقش خاتمه « الامام الآمر باحكام الله امير المؤمنين » وقام بعده ابن عمه ابو الميمون عبـد المجيد بن الامير ابي القاسم ابن الامام المستنصر بالله امير المؤمنين وأُخذت لهُ البيعة على

الرسم (125ظ) فيها ونُعت بالحافظ لدين الله امير المؤمنين فاستقام لهُ الامر واستبّ برأيه التدبير وقلّد الامر ابا علي احمد بن الافضل امير الجيوش وزارة الدولة وتدبير المملكة فساس الكافّة أعدل سياسة ودبّر الاعمال اجمل تدبير وجرى على منهاج ابيه الافضل رحمه الله في حُبّ العدل وايثاره واحتواء الجور واخماد ناره واعاد على التُنّاء والتجّار ما اغتُصب من اموالهم وقُبض من املاكهم وأَمّن البرّ التّقي واخاف المفسد الشقي وبالغ في ذلك مُبالغةً احرز بها شكر القريب والبعيد وحاز بها اجر الوفق السعيد. ولم يزل على هذا المذهب الحميد مُواظباً ولهذا المنهاج السديد مُداوماً الى ان نجم لهُ من مقدّمي الدولة حَسَدةٌ حسدوه على ما الهمهُ الله من افعال الخيرات واقتناء الصالحات تجمّعوا على افساد احواله ولفقوا المحال في الطعن في اعماله وسعوا في العمل بانواع من الكذب جمعوها والفاظ من الباطل نمقوها وقُرّر ذلك مع العسكرية دون الاعيان والاماثل من الرعيّة وأُغفل الى ان وُجدت الفرصة فيهِ متسهّلة والغرّة منهُ باديةً وحصل في جانبٍ من الميدان خالياً من العِدّة والعُدّة والاعوان والنجدة لا يشعرُ بما قد رُتّب لهُ ودُبّر عليهِ فوثبوا عليهِ وقتلوهُ رحمهُ الله وانفردوا بهِ وادركهُ اصحابهُ وقد قضى فقتلوا الجُناةَ وحملوهُ الى تربته فدفنوهُ بها (١

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة انتهى الى تاج الملوك عن الرئيس المقلّد امر الوزارة محالٌ غيّر قلبه عليه وقدح في منزلته وافسد ما كان جميلًا فيهِ من رأيه وامر باعتقاله مع بعض اقاربه اعتقالًا جميلًا وعزله عن الوزارة والرئاسة في شهر ربيع الاوّل منها وعوّل في تقليد مكان الوزارة على كريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزّاق المزدقاني ابن عمّ الوزير ابي علي المزدقاني المقدّم ذكره فردّ الامر في ذلك اليهِ وعوّل في الوزارة والسفارة عليهِ واستقام لهُ الامر ومشت الاحوال بهِ. واستبشر اكثر المتصرّفين والعمّال لانهُ كان حسن الطريقة قد تهذّب في النيابة عن الوزارة في الديوان وعرف سياسة (126ر) الاعمال في كل عصرٍ واوان فصيح اللسان بالفارسيّة والعربيّة ولم يزل مستمرّ الامر الى ان حدث

---

١) قال سبط ابن الجوزي : انهُ لُقّب بالاكمل وانهُ قُتل في سنة ٥٢٦ وحُمل رأسه الى الحافظ فسُرّ بقتله لانهُ كان قد حجر عليهِ واستوزر يانس الكاتب ولقبهُ امير الجيوش واستصفى اموال الاكمل فكانت ثلثمائة الف دينار

Marfat.com

ما تغيَّرت بهِ حاله لان الباطنية لما جرى عليهم ا قضـاه الله من البوار واحلّه بهم من الهلاك والدمار انتهى خبر ذاك الى رفقائهم بألَموت فاسفوا عليهم وقلقوا لما نزل بهم وشرعوا في بثّ حبـائل شرّهم ونصب اشراك ختزهم ومكرهم وندبوا لتاج الملوك من يغتالهُ ويوقع بهِ من جُهَّال اخوانهم وفُتَّاك اقرانهم . ووقع اختيـارهم على جاهلين من الخراسانية قرَّروا معهما التحيُّل في امر تاج الملوك والطلب لهُ والفتـك بهِ في داره عند امكان الفرصة فيه ووصل هذان الرجلان الى دمشق في زيِّ الاتراك بالقبـاء والشربوش وحضرا الى معارف لهما من الاتراك وسألوهما الوساطة في استخدامهما وتقرير الواجب لهما وخدعاهم ولم يرتابوا بهما وتدرّجا بالحيلة والمكر الى ان صارا في الجملة من الخراسانية المرتّبين لحفظ ركاب تاج الملوك وتمكَّنا وسكنت القلوب اليهما لانهما ضُمنا . ورقبا الفرصة في تاج الملوك الى ان دخل الحمَّام وعاد منهُ ووصل الى باب داره من القلعة بدمشق وتفرَّق عنهُ من كان في ركابه من الخراسانيـة والديلم والاحداث الحفظة لهُ فوثبا عليهِ في يوم الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٥٢٥ وضربهُ احدهما بالسيف طالباً لرأسه فجرحه في رقبته جرحاً لم يتمكَّن منهُ وضربهُ بسكّين عنـد خاصرته نفذت بين اللحم والجلد ورمى بنفسـه في الحال عن فرسه سليماً وتكاثرت الرجال عليهما فقطعوهما بالسيوف وأُحضر اهل الخـبرة بمداواة الجراح من الاطبَّاء والجرائحيين وعولجا فبرأ احدهما الذي عنـد الرأس وتنسَّر الذي في الخاصرة وصلحت الحال في ذلك وركب واقام مدَّة يحضر مجلسه الخواصُّ والعسكريَّة والاجنـاد للسلام والشراب على الرسم المعتاد

وفيها ورد الخبر من بغداد بوفاة السلطان مغيث الدنيا والدين محمود ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن الملك شاه بن البارسلان رحمه الله في شوال سنـة ٥٢٥ بمرض حدث بهِ كان معهُ نفاد اجلهِ وفراغ مهله وتقرَّرت السلطنة بعده لأخيه السلطان ابي الفتح مسعود بن محمد (126) بن ملك شاه بن البارسلان وتكون ولاية العهد من بعده لابنه داود بن محمود ثم لاخيه السلطان طغرل بن محمد وسيأتي ذكر كل واحد منهم في موضعه

وفيها ورد الخبر من حِلَّة مكنوم بن حسّان بن مسمار بان الامير دُبيس بن صدقة ابن مزيد اجتـاز بالحلَّة وكان قد انهزم من العراق في خواصّ اصحابه وغلمانه خوفاً من الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين وضلّ في الطريق لم يكن معهُ دليلٌ عارفٌ بالمسالك

Marfat.com

والمناهل وكان قصده حلّة مِرَى بن ربيعة فهلك اكثر من كان معه وتفرّق اصحابه بعد موت من مات بالعطش وقد حصل في الحلّة كالمنقطع الوحيد في نفرٍ يسير من اصحابه فانهض تاج الملوك فرقة من الخيل نحوه لاحضاره فاحضرته الى القلعة بدمشق في ليلة يوم الاثنين لستّ خلون من شعبان سنة ٥٢٥ فتقدّم تاج الملوك بانزاله في دارٍ بالقلعة واكرامه واحترامه والتنوُّق في شرابه وطعـــامه وحمل اليهِ من الملبوس والمفروض ما يقتضيه محلّه الرفيع ومكانه المكين الوجيه واعتقله اعتقال كرامةٍ لا اعتقال اهانةٍ وانهى الحال في ذلك الى الدار العزيزة الامامية المسترشدية فورد الجواب اليهِ بالتوثّق منهُ والاحتياط عليهِ الى حين يصل اليهِ من يتسلّمهُ ويحملهُ الى بغداد

ولمّا عرف عماد الدين اتابك زنجي صاحب الموصل هذه الحال نفّـــذ رسولًا لهُ الى تاج الملوك يلتمس منهُ تسليمه ويكون الجزاء عنـــهُ الخمسين الالف الدينار المقرَّرة على ولده سونج وبقية العسكر الدمشقي المتعلّقين فاجابهُ تاج الملوك الى ذلك وتقرَّر الشرط عليه وان يصل عسكره الى ناحية قارا ومعه المعتقلون ويخرج الامير دُبيس مع عسكر دمشق الى هُناك فاذا تسلّم المعتقلين سلّموا دُبيسًا الى اصحابه فتوجّهوا بهِ من دمشق ووصلوا بهِ الى قارا فتسلموا المعتقلين منهم وسلّموا اليهم دُبيسًا في يوم الخميس الثامن من ذي القعدة من السنة وعاد كلٌّ من العسكرين الى مكانه ووصل سونج الى دمشق هو والجماعة فسُرّ تاج الملوك بهم وزال شغل قلبه (127) بوصولهم فعند ذلك خُوطب تاج الملوك في الرئيس واهله المعتقلين وسُئل في اطلاقهم والمنّ عليهم بتخليـــة سبيلهم فاجاب الى ذلك بعد ان قرَّر عليهِ مصالحة يقوم بها وأُطلق وأُعيـــد الى رئاسته دون وزارته وخلع عليهِ وعلى الوزير كمال الدين كريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزّاق المزدقاني في مستهلّ رمضان من السنة

وفي هذه السنة ورد الخبر من صرخد بوفاة واليهـــا فخر الدولة كمشتكين الخادم التاجي في جمادى الآخرة منها وكان حسن الطريقة جميل الذكر كثير التدّين مشكور المقاصد. وفيها وصل سديد الدولة ابن الانباري كاتب الخليفة الامام المسترشد بالله امير المؤمنين رسولًا منهُ في امور واسباب اقتضتها في آخر ذي القعدة منها ويبعثُ على تسليم الامير دُبيس الى مَن يحملهُ الى بغداد وقد فات الامر فيـــهِ فاكرم مثواهُ وسرّ بمقدَمه وأُجيب عن رسائله وتوجّه عائدًا بعد ان حمل اليهِ ما يقتضيه محلّه ويوجبه مكانه وصادفه في طريقه بناحية الرحبة خيل الامير عماد الدين فقبضت عليهِ ونهبت ما كان معهُ وقتلت

بعض غلمانه ولقي شدَّةً عظيمةً من الاعتقال والإعنات الى ان خلص وأُطلق سراحهُ وعاد الى بغداد (١ . وفي يوم الخميس لثلاث ليال خلت من جمادى الاخرة منهـا جمع تاج الملوك جماعة من الامراء والمقدّمين والخواصّ واعيـان الاجناد والكتّاب والفقهاء واماثل الرعيَّة في مجلسه وقال لهم: انني قد انتهت بي الحال بسبب هذا الجرح الذي قد طال أَلمه وتعذَّر اندماله ما قد ايقنتُ معهُ الحلول بالامر المقضي الذي لا بُدَّ منهُ ولا مندوحة للخلق عنهُ وقد يئستُ من روح الحيوة واستشعرتُ قُربَ الوفاة وهـذا ولدي ابو الفتح اسمعيل قد لاحت لي منهُ امارة الشهامة والنجابة وبانت لي فيهِ مخايل الكفاية واللبابة وهو اكبر ولدي والمرجو لسدّ ثلمـة فقدي وقد رأَيتُ ان اجعله ولي عهدي والمرشّح لتولّي الامر بعدي ثقةً بسداده وحسن تأتيه مع حداثة سنهِ وحميد اقتصاده فان سلك منهاج الخير واقتفاه وقصد سبيل العدل والانصاف وتوخَّاهُ فذاك المراد منـهُ والمأمول فيه وان عدل عن المطلوب المشار اليهِ وخالف (127ᵛ) الامر المنصوص عليـهِ كان المعوَّل عليكم في تنبّهه من نومته وايقاظه من فتور غفلته فانَّ الحازم اللبيب والسديد الاريب اذا ذُكّر ذكر واذا أُنهي عن منكرٍ اعرض عنـهُ واقتصر. فقالوا: الامر امرُك الذي لا يُخالف ولا يُعدَل عنهُ والحكم حكمك الذي لا خروج لنا منهُ وطاعتنا لك في حياتك كطاعتنا لولدك بعد وفاتك والله يمدّ لك في العمر ويمنّ عليك بالعافية الشافية وتعجيل السلامة والبر. فسرّ بمقالهم وشكر ما بدأَ منهم من الحوادث الدالّة على حميد خلالهم ثم نصّ في الامر عليهِ واشار في ولاية العهد من بعده اليهِ وقرّر معهم العمـل بطاعته والانتهاء الى اشارته وخلع عليهِ خلعاً سنيَّةً تليق بمثله وتُضـاهي شرف مثله وركب فيها الى داره من القلعة بين الامراء والمقدّمين والاتباع من الخراسانيـة والغلمان والسلاحية والمقرعداريَّة(كذا)والجاووشية في اليوم المذكور والمحفل المحضور وتضاعف بذاك

---

١) وفي قصّة دُبَيس قال سبط بن الجوزي : انَّ ذكره هكذا في تواريخ اهل الشام وابي يعلي بن القلانسي (يعني هذا التاريخ). اماً تواريخ البغداديين فانهم قالوا: ضلّ في طريقـه فقبض عليهِ بحيلة مكتوم بن حسّان الكلبي من اعمال دمشق وانقطع منه اصحابه فحُمل الى دمشق فباعهُ اميرها الى زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل بخمسين الف دينـار وكان زنكي عدوَّه فظن انهُ سيهلكهُ فلما وصل في قبضته اكرمه وخوّله المال والسلاح. فلما ورد الخبر الى بغداد بعث الخليفة ابن الاتباري ليتوصّل في اخذه فلما وصل الرحبة قبض عليهِ اميرها بامر زنكي وحصل الى قلعـة الموصل وانهُ لم يخلص الّا بشفاعة السلطان محمود

Marfat.com

منهم الجذل والسرور ومالت كافة الاصحاب اليهِ واجتمعوا عليهِ وواظبوا الخدمة.لهُ في كل يوم والتسليم عليهِ

سنة ستّ وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك بغدوين الرُوَيس ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعكّا في يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان منها وكان شيخاً قد عَركهُ الزمان بحوادثه وعانى الشدائد من نوائبه وكوارثه ووقع في ايدي المسلمين عدّة دفعات اسيراً في محارباته ومصافاته وهو يتخلّص منهم بحيله المشهورة وخُدعهِ المخبورة ولم يخلف بعدهُ فيهم صاحب رأي صائب ولا تدبير صالح وقام فيهم بعده الملك القومص الجديد الكند ايجور الواصل اليهم في البحر من بلادهم فلم يتسدَّد في رأيه ولا اصاب في تدبيره فاضطربوا لفقده واختلفوا من بعده

وفيها اشتدّ مرض الجرح بتاج الملوك ووقع اليأس من بُرئهِ وصلاحه فطال الامر بهِ طولًا سئم معه الحياة واحبّ الوفاة وتزايد الضعف بهِ والذبول في جسمه وقوّته وقرب اجله وخاب في الصحّة امله (128) وتوفّي الى رحمة الله ومغفرته وتجاوُزهِ على مضي ساعة من نهار يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب منها فتألّمت القلوب لمصابه وأُفيضت الدموع للنازل بهِ:

واذا المنيّةُ أَنشبت اظفارها ألفيت كلَّ تميمةٍ لا تَنفَعُ

ولكن قضاء الله تعالى لا يُغالب وحكمه لا يُدافع لان هذه الدنيا دار سوء لم يدم فرحٌ لامرئ فيها ولا حزنٌ الا نفاسُ فيها محصاة معدودة والاجال محصورة محدودة والليل والنهار يقطعان الاعمار ويُفنيان المدّة وما فَهم مواعظ الزمان مَن سكن الى خُدع الايام. ولقد انشد عند فقده الشريف الرضي:

بُعدًا ليومك في الزمان فانّهُ أقذى العيون وفتَّ في الاعضاد

لولا ما منَّ الله من قيام نجلهِ في الامر من بعده ونصه عليهِ في ولاية عهده شمس الملوك فازال الروعة وخفّف اللوعة فاشتغل الناس بالتهنئة بالامير الموجود عن التعزية بالشهيد المفقود. وقد كان لتاج الملوك رحمه الله من المحاسن والمآثر والمناقب ما يُذكر

Marfat.com

في المحافل ويُنشر في الاندية والمحاضر ونظمت مدائحه الشعراء ونشرت فضائله الفصحاء البلغاء وكان الاديب الفاضل ابو عبد الله محمد بن الخيّاط الشاعر الدمشقي رحمه الله وهو طرفة شعراء الشام والمشهور بمحاسن الفنون من المديح وغيره بينهم قد نظم في تاج الملوك عدّة قصائد بالغ في تهذيبها وتحريرها وتحكيكها فذكرتُ من جملة ابياتها المعرّبة عن صفات معاليه ما يُستدلّ بهِ على استحقاقه ما بالغ فيهِ من مدح مقاصده ومساعيه فمن ابيات قصيدة اوّلها :

لقد كرّم الله ابن دهرٍ نسودُهُ ... وشرّف يا تاج الملوك بك الدهرا
ومنّ على هذا الزمان واهلهِ ... بأروعَ لا يَعصي الزمانُ لهُ امرا
حُسامُ امير المؤمنين ومن يكن ... حُسامًا لهُ فليقتل الخوفَ والفقرا
اذا قلتُ في تاج الملوك قصيدةً ... من الشعر قالوا قد مدحت بهِ الشعرا

وقال من أُخرى

(128) ألم تكُ للملوك الغُرّ تاجا ... وللدنيا وعالمها سراجا
لقد شرّف الزمان بك افتخارًا ... كما سعدَ الانام بك ابتهاجا
مَددتُ الى اقتناء الحمد كفًّا ... طمى بحر السماح بها وماجا
وغادرت المعالي بالعوالي ... كخيس الليث عزَّ بهِ ولاجا

ذكر ايام شمس الملوك ابي الفتح اسمعيل بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك وشرح حالهِ في ابتداء امره الى انقضائه وما كان في خلال ذلك من الحوادث المتجدّدة ومعرفة تواريخها واوقاتها واحوالها

لمّا مضى الامير تاج الملوك بوري بن اتابك رحمه الله من هذه الدنيا الفانية الى الدار الباقية سعيدًا حميدًا شهيدًا اقام ولده شمس الملوك ابو الفتح اسمعيل مقامه في المملكة حسبَ ما كان عَهِدَ بهِ اليهِ في حياته واوصى بما يعمل بهِ بعد وفاته احسن السياسة والسيرة واخلص النيّة في اعماله والسريرة وبسط العدل في الرعية وافاض احسانه على كافة الاجناد والعسكريّة واقرّ الاقطاعات على اربابها والجامكيات على اصحابها وزاد في الواجبات ولم يُنقصها واقرّ وزير ابيهِ على وزارته ورتّب العُمّال والمتصرفين على ما كانوا عليهِ وردّ امر التقرير والتدبير الى الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق واعتمد عليهِ في مهمات امره وسكن اليهِ في جهره وسرّه وافتتح امر السياسة بالنظر في امر

الرعية والمتعيشين بان رفع عنهم ما كان يستخرج منهم في كل سنة من اقساط الفيئة وابطل رسمها وحظر تناوُلها وازال حكمها وعوّض ارباب الحوالات عليها بجهاتٍ غيرها فكثر لهُ الدعاء واتّصل عليه الثناء وذلك في رجب سنة ٥٢٦ . وظهر من شهامته وشدّة بأسه وشجاعته واقدامه وبسالته ومضاء عزيمته ما لم يقع في وهمٍ ولا خطر في بالٍ وفهمٍ وسنذكر من ذلك في اماكنه مايقوم مقام العيان دون الحكاية بالمقال

فمن ذلك اوّلًا افتتاحه حصن اللبوءة والرأس (129r) وكانا في يدي المندوبين لحفظهما من قبل تاج الملوك ابيهِ وكانا قد اقرّا على رسمهما فانتهى الى شمس الملوك ان اخاهُ شمس الدولة محمد بن تاج الملوك صاحب بعلبك قد عمل عليهما حتى استنزلهما على حكمه من حصنيهما المذكورين وندب لهما من رآه من ثقاته ونوّابه لحفظهما فانكر مثل هذا الفعل عليهِ وامتعض منهُ وراسل اخاه المذكور بالعاتبة على ما قصده ويهجّن رأيه فيما اعتمده ويسألهُ النزول عليهما واعادتهما الى ما كانا عليهِ فامتنع من الاجابة الى ما طلب والقبول لما التمس فاهمل الامر فيه وفي الحديث في معناهُ مدّةً يسيرةً ثم استعدّ وتأهب لقصد الحصنين المذكورين ولم يشعر احدٌ بما عزم عليهِ وصرف همّه اليهِ . ثم نهض في العسكر وآلات الحرب من دمشق موهمًا انهُ يطلب ناحية الشمال في اخر ذي القعدة من السنة ثم عاد في طريق اخرى مُغرّبًا بعد تشريقه فلم يشعر من بحصن اللبوءة الّا وقد نزل عليهِ وزحف من وقته اليه بعزيمة لا تُدافع وشدّة لا تُمانع . فلمّا احسّ من فيهِ بالبلاء لما شاهدهُ من شدّة القتال ولم يجد لهُ مخلصًا بحالٍ من الاحوال طلب الامان من يومه فأُجيب الى ما سأل وأُسعف بما أمّل ونزل من الحصن وسلّمهُ اليهِ فقرّر امره واستناب في حفظه من اعتمد على كفايته ونهضته . ثم رحل عنها عند الفراغ منهُ الى حصن الرأس فجرى امرُ مَن فيهِ على تلك القضية فتسلّمهُ وولّاهُ لمن يحفظهُ ثم رحل عنهُ ونزل على بعلبك وقد استعدّ اخوهُ صاحبها واحتشد واجتمع اليهِ خلقٌ كثير من فلاحي البقاع والجبال وغير ذلك من الحرامية المفسدين فحصرهم فيها وضايقهم وزحف اليهم في الفارس والراجل وخرج من بعلبك من المقاتلة جماعة فقُتل منهم وجرح نفرٌ كثيرٌ وعلى السور ايضًا

ثم زحف بعد ايام الى البلد البرّاني وقد حصّنوه بالرجال فشدّ عليهم القتال وفرّق العسكر عليهِ من عدّة جهات فملكه وحصل العسكر فيه بعد ان قُتل وجُرح الخلق الكثير ممّن كان فيه ونصب المناجيق على البلد والحصن وواظب الزحف اليهما والشدّ عليهما . فلمّا عاين صاحبها شدّة الامر والاستمرار على الاقامة (129v) والمصابرة راسل

Marfat.com

في بذل الطاعة والمناصحة والسؤال في اقراره على ما كان عليه في ايّام ابيهِ فحملتهُ عاطفة القُربى على احتمال ما جرى والاغضاء عمّا سلف واجاب الى ما التمس ونزل على ايثارهِ ما طلب وتقرّر الامر بينهما على ما اقترح وعاد شمس الملوك في العسكر الى دمشق ظافرًا مسرورًا في اوائل المحرّم منها

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في المحرّم منها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بوقوع اختلف بينهم من غير عادةٍ جاريةٍ لهم بذلك ونشبت الحاربة بينهم وقتل منهم جماعة. وفيها صادف جماعة من التركمان صاحب زردنا (١ في خيله فظفروا بهِ وقتلوهُ ومن معهُ واشتملوا على خيولهم وكراعهم. وقيل ان ابن الدانشمند ظفر بفريق وافر خرج من القسطنطينيّة فاوقع بهِ وقتل من كان فيه من الروم وغيرهم

وفي سابع عشر جمادى الاخرة غار الامير سوار من حلب في خيله على تل باشر فخرج مَن فيهِ من ابطال الافرنج اليهِ فقتل منهم تقدير الف فارس وراجل وحمل رؤوسهم الى حلب. وفي رجب منها قبض شمس الملوك على مري بن ربيعة فاعتقله وعلى اسامة بن المبارك وصانعهُ على مصالحةٍ قام بها واطلقهُ واقام مري على حاله وتردّد فيهِ خطاب انتهى آخره الى قتله وهذا مكافأة ما اسلفهُ من قبيح الافعال ومذموم الاعمال والظلم الذي ارتكبهُ في سائر الاحوال

ولمّا عاد شمس الملوك من ناحية بعلبك بعد المقرّر بينهُ وبين اخيه صاحبها ممّا تقدّم ذكره وشرحه انتهى اليهِ من ناحية الافرنج ما هم عليهِ من فساد النيّة والعزم على نقض الموادعة المستقرّة. وشكا اليهِ بعض التجّار الدمشقيين ان صاحب بيروت قد اخذ منهم عدّة حمال كتّان قيمتها جملة وافرة من المال فكتب الى مقدّم الافرنج في ردّ ذلك على ارتابه واعادته على من هو اولى بهِ وتردّدت المكاتبات في ذلك فلم تسفر عن نيل مرادٍ ولا نيل طلابٍ فحملهُ الغيظ والحنق على مقابلة هذا الفعل بمثله واسرّ ذلك في نفسه ولم يبدهِ لاحدٍ من خاصّتهِ وثقات بطانته وصرف همه وعزمه الى التأهّب لمنازلة بانياس (130ᵛ) وانتزاعها من ايدي الملاعين المتغلّبين عليها ونهض اليها في اواخر المحرّم من السنة ونزل عليها في يوم الاحد غرّة صفر منها وزحف في عسكر اليها وفيها جماعة وافرة

١) وفي الاصل: ردنا

Marfat.com

من الخيَّالة والرجالة فارتاعوا لما اتاهم فجأةً وذلّوا وانخذلوا وقرب من سورهم بالدَرَق الجفتيات والخراسانيين والنقَّابين وترجَّل عن جوادهِ وترجَّل الاتراك باسرهم لترجُّلهِ ورشقوا مَن على السور بالنشَّاب فاستتروا ولم يبقَ احدٌ يظهر برأسه عليه لكثرة الرماة وألزق الجفتيات الى مكانٍ من السور استرقّه فنقبوه الى ان تمكَّنوا منهُ ثم هجموهُ وتكاثروا في البلد. والتجأ من كان فيهِ من الافرنج الى القلعة والابراج وتحصَّنوا بها ومانعوا عن نفوسهم فيها وملك البلد وفتح بابه وقتل كل من صودف فيهِ من الافرنج وأسر. ولمَّا رأى مَن بالقلعة والابراج من المنهزمين ما نزل بهم من تملُّك البلد والقصد لهم بالقتال ولا ناصر لهم ولا مُمانع عنهم التمسوا الامان فأُجيبوا اليهِ ونزلوا فأُسروا جميعًا ونَهب ما كان في البلد وقرَّر فيه من الرجال الاجلاد مَن يحفظهُ ويذبّ عنهُ ورحل عنهُ في العسكر ومعه الاسرى ورؤوس القتلى وحُرَم الوالي الذي كان بهِ واولاده والعُدَد الكثيرة ووصل الى دمشق في يوم الخميس لستٍّ ليال خلت من صفر من السنة. وخرج الناس من البلد للقائه ومشاهدة الأَسرى في الحبال والرؤوس في القصب وهم الشيء الكثير والجم الغفير فرأى الناس من ذلك ما اقرّ عيونهم وسرّ قلوبهم وشدّ متنهم وابتهجوا لهُ واكثروا من شكر الله تعالى على ما سناهُ من هذا النصر العزيز والفتح المبين وشاعت الاخبار بذلك في الافرنج فهالهم سماعه وارتاعوا لحدوث مثله وامتلأت قلوبهم رعبًا ووجلًا واكثروا التعجُّب من تسهّل الامر في بانياس مع حصانتها وكثرة الرجال فيها في اقرب مدَّةٍ واسهل مرامٍ واسفوا على من قُتل من الخيالة الفرسان والرجالة

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوصول السلطان مسعود بن السلطان محمد (١ الى بغداد ونزوله في الجانب الغربي منها واقام بها اياماً قلائل لتقرير الحال وكتب تذكرةً باشياء اقترحها والتمس اضافة الشام الى العراق (130[٧]) ووصل اليه قاضي القضاة والاعيان والاماثل واستحلفوهُ على ما تضمَّنهُ المشروح المقترح في التذكرة وطولع بما جرى فخرج الامر السامي الامامي المسترشدي بالاذن لهُ في نزوله في دار السلطنة وكُتبت ألقابه وإقامة الدعوة لهُ وحُمل اليهِ ما يُحتاج الى مثله من الفرش وغيره وخُطب لهُ آخر جمعة من المحرَّم وكُتب بتقرير امر السلطنة الى جميع الاعمال والامر بالدعاء لهُ على منابرها. واستُدعي الى الدار العزيزة المسترشديَّة وناب الوزير

---

١) وفي الاصل: محمود. وكذلك في جميع المواضع

Marfat.com

شرف الدين انوشروان بن خالد وزير الخليفــة عنهُ في ايصال سلامه ودعائه احسن منابٍ وخُوطب باجمل جوابٍ وافيضت الخلع عليهِ في يوم الاحد لخمس خلون من شهر ربيع الاوَّل من السنة وقد جلس الامام الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين فحضر بين يديهِ وخدم كما جرت العادة لمثله فقال لهُ امير المؤمنين في مبدإِ خطابه : تَلَقَّ هذه النعمة بشكرك واتَّق الله تعالى في سرّك وجهرك . وكان هذا التشريف سبع دراريع مختلفات الاجناس والسابعــة منها سوداء وتاجاً مرصّعاً وسواريز وطوق ذهب ولمَّا جلس على الكرسي المعدّ لهُ وقبَّل الارض قال لهُ امير المؤمنين : من لم يحسن سياسة نفسه لم يصلح لسياسة غيره . قال الله تعالى ذكرهُ : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ وَمَنْ يَعمَلْ مِثقالَ ذرَّةٍ شراً يَرَهُ (١ » . فاعاد الوزير عليه ذلك بالفارسيــة فاكثر من الدعاء لهُ والثناء عليه واستدعى امير المؤمنين السيفين المعدَّين لهُ فقلَّدهُ بهما واللوائين فعقدهما لهُ بيده وسلَّم عليه السلطان داود بن محمود اخيه (٢ واتابكه اق سنقر واكَّد الوصية عليهِ في بابهما واجمال الرعاية لهما واستحلفه على الوفاء بما قرَّره في بابهما وقال لهُ امير المؤمنين : انهض وخُذ ما اتيتُك (٣ وكُن من الشاكرين . وتوجَّه السلطان مسعود بعــد ذلك الى ناحية اذربيجان في اوَّل شهر ربيــع الآخر من السنة وقد انضمَّ اليهِ (اق) سنقر احمديلى (٤ وخلق كثير من الاتراك

ووردت الاخبار الى بغداد بان عسكر السلطان مسعود كسر عسكر السلطــان طغرل بن محمد (٥ بناحية همذان في ثامن عشر رجب من السنــة وتفرَّق عسكره في البلاد وعاد السلطان مسعود الى (131ا) منزله وخُوطب لهُ في جامع همذان

وفي هذه السنة عزم شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك على قصد حماة لمنازلتهــا واستعادتها من ايدي الغالبين عليها وملكتها وقد كان اخفى هذا العزم في نفسه ولم يُظهر عليه غيره وشرع في التأهُّب لذلك والاستعداد للمصير اليها وقد كانت الاخبار انتهت الى الحافظ لها بهذا الاعتزام فبالغ في التحصين لها والتأهب للذبّ عنها والمراماة دونهــا واعدّ لذلك كل آلة يُحتاج اليها ويُعتمد عليها . وانتهى الخبر بهذه الحال الى شمس الملوك فلم يحفل بهذا الامر ولا يشطن عنهُ بل برز في العشر الاخير من شهر رمضان سنة

(١ Qur . ICIX, .7 , 8

(٢ وفي الاصل : اخاه

(٣ وفي زبدة التواريخ : ما اتيتك بقوَّةٍ

(٤ وفي الاصل : سنقر واحمديلى

(٥ وفي الاصل : محمود

Marfat.com

٢٧ ولم يبق من مقدّمي أُمرائه وخواصّه الّا من اشار عليهِ بابطال هذه الحركة واستوقف عزمه عنها وهو لا يحفل بمقالٍ ولم يسمع منه جواب خطاب وقيل لهُ: تهمل هذا الى فراغ صوم هذه الايام القلائل من هذا الشهر المبارك وتَقضي سُنَّةُ العيد ويكون التوجُّه بعده الى ذلك المكان. فلم يصغ الى احد في هذا الرأي ولا عمل بمشورة انسان وبنى امره على قصدها واهلها غارُّون ومن بها من الحماة غافلون لتحقّقهم انهُ لا ينهض احدٌ في هذه الأيام الّا بعد العيد وترفيه الجند. ثم انهُ رحل في الحال اليها واغذّ السير حتى نزل عليها وهجم في يوم العيد على من فيها فراعهم ما احاط من البلاء بهم وزحف اليهم من وقته في اوفر عِدَّةٍ واكمل عُدَّةٍ فتحصّنوا بالدروب والرحال وصبروا على الرشق بالسهام والنبال وعاد العسكر في ذلك اليوم وقد نكأَ فيهم نكايةً ظاهرةً في القتل والجرح والنهب والسلب وباكرهم من غدهِ في الفارس والراجل وفرّقهم حول البلد من جميع نواحيه ثم زحف في خواصّه من الغلمان الاتراك وجماعة وافرة من الرجالة والخيالة القُتّال واسترقّ موضعًا من حماة قصد اليهِ وعوّل في هجم البلد عليهِ وشدّ على من بهِ من الحماة والرماة فاندفعوا بين يديهِ وهجم البلد بنفسه من ذلك المكان. ولاذ من بها بالامان وترامى اليه جماعةٌ من حُماتها مستأمنين فأمّنهم وخلع عليهم واحسن اليهم ونادى بالكفّ عنهم ورفع الاذيّة عن كافّتهم وردّ ما نهب عليهم فخرج اليهِ اكثر رجال القلعة طالبين الامان فخلع عليهم (131ظ) وامّنهم. فحين رأى الوالي ذلك وعرف عجزه عن المصابرة طلب أيمانه فأمّنه وسلّم القلعة بما فيها اليهِ وحصلت مع البلد في يديهِ باسهل امرٍ واسرع وقتٍ فرتّب لولايتها من اعتمد عليه وسكن في حفظها اليه ورحل عنها وقصد شيزر ونزل عليها وامر بالعيث والفساد في نواحيها ولم يزل على هذه الحال الى ان لُوطف واستُعطف بما حمل اليهِ ورحل عائدًا الى دمشق ودخلها مسرورًا ظافرًا في ذي القعدة من السنة

ومن اقتراحات شمس الملوك الدالّة على قوّة عزيمتهِ ومضاء همّته ومستحسن ابتدائه ما احدثهُ من البابين المستجدّين خارج باب الحديد من القلعة بدمشق الاوسط منها وباب جسر الخندق الشرقي منها وهو الثالث لها انشأهم في سنة ٥٢٧ مع دار المسرّة بالقلعة والحمام المحدثة من شامها على قضيّة اخترعها وبنية اقترحها وصفة اثرها فجاءت في نهاية الحسن والطيبة والتقويم والاعتدال وفرغ منها في اوائل سنة ٥٢٨

وفيها (ورد) الامير المنتضى ابو الفوارس وثاب بن مسافر الغنوي رسولًا من مصر

Marfat.com

في يوم السبت لاربع بقين من ذي القعدة منها بجواب ما كان صدر من مكاتبة شمس الملوك وواصل ما صحبه من الخلع السنية وأسفاط الثياب المصرية والخيل والمال وقُرئَ الكتاب الوارد على يده ولم يزل مقيماً الى ان تسهَّل مسيره فعاد منكفئاً سنة ٢٨ في يوم السبت لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاوَّل منها

وفي ذي الحجة منها وردت الاخبار بوصول عسكر وافر من التركمان الى ناحية الشمال وانهم غاروا على طرابلس واعمالها من معاقل الافرنج فظفروا بخلق كثير منهم قتلًا واسرًا وحصل لهم من الغنائم والدواب الشيء الكثير وان صاحب طرابلس قنص طلولا بن بدران الصنجيلي خرج اليهم فيمن حشده من اعماله ولقي عسكر التركمان فكسروهُ واظفرهم الله بجشده المفلول وجمعه المخذول وقُتل اكثر رجاله وحُلّ حماته وابطاله وانهزم في نفر قليل من الحصن المعروف ببعرين فالتجأوا اليهِ وتحصنوا بهِ ونزل عسكر الاتراك عليه واقاموا محاصرين لهُ اياماً كثيرة حتى نفد ما فيه من القوت (132) والماء بحيث هلك منهم ومن خيلهم الاكثرُ فاعملوا الحيلة واستغنموا الغفلة وانتهزوا الفرصة وخرجوا في تقدير عشرين معِ المقدّم فنجوا ووصلوا الى طرابلس. وكاتب ملك بنض طلولا صاحبها ملك الافرنج بعكا يستصرخ بهِ وبمن في اعماله ويبعثهم على نصرته فاجتمع اليهِ من الافرنج خلقٌ كثيرٌ ونهضوا الى التركمان لترحيلهم عن حصن بعرين واستنقاذ من بقي فيهِ منهم فلما عرفوا عزمهم وقصدهم زحفوا الى لقائهم فقتلوا منهم جمعاً كثيرًا واشرف التركمان على الظفر بهم والنكاية فيهم لولا انَّهم اندفعوا الى ناحية رفنية فاتَّصل بهم رحلهم عنهـا وعودهم على طريق الساحل فشقّ ذلك عليهم واسفوا على ما فاتهم من غنائمهم وتفرَّقوا في اعمالهم

وفي هذه السنة عرض لكريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزَّاق وزير شمس الملوك مرضٌ حادٌّ لم يزل بهِ الى ان توفّي الى رحمة الله في يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي الحجة منها فحزن لهُ الناس وتفجّعوا بوفاته وتأسَّفوا عليهِ بحسن طريقته ومشكور افعاله وحميد خلاله وكان محبًا للخير متمسكاً بالدين مواظباً على تلاوة القرآن العظيم

وفي صفر من السنة نهض صاحب بيت المقدس ملك الافرنج في خيله الى اطراف اعمال حلب ووصل الى موضع يُعرَف بنوار فنهض اليه الامير سوار النائب في حلب في عسكر حلب وما انضاف اليهِ من التركمان فالتقوا وتحاربوا اياماً وتطاردوا الى ان وصلوا الى ارض قنسرين فحمل الافرنج عليهم فكسروهم كسرةً عظيمةً قتلوا فيها من المسلمين

Marfat.com

تقدير مائة فارس فيهم جماعة من المقدّمين المشهورين المذكورين وقتل من الافرنج اكثر من ذلك ووصل الفلّ الى حلب وتمّ الافرنج الى قنسرين ثم الى المقاومة ثم الى نقرة الاحرن (كذا) فعاود الامير سوّار النهوض اليهم من حلب في من بقي من العسكر والاتراك فلقوا فريقًا من الافرنج فاوقعوا بهِ وكسروهُ وقتلوا منه تقدير مائة فارس فانكفت الافرنج هزيمًا نحو بلادهم وعاد المسلمون برؤوس القتلى والقلائع الى حلب فانجلت تلك الغمة بتسهُّل هذه النعمة . ووصل الملك الى انطاكية وانتهى الى (132[٧]) سوّار خبر خيل الرُّها فنهض الامير سوّار وحسّان البعلبكي فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال واسروا من وقع في ايديهم حيًّا وعادوا الى حلب ظافرين سالمين ومعهم الأُسرى والرؤوس

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

وفي هذه السنة نهض شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك في عسكره الى شقيف تيرون الذي في الجبل المطلّ على ثغر بيروت وصيدا فملكه وانتزعه من يد ضحّاك بن جندل التميمي المتغلّب عليه في يوم الجمعة لستّ بقين من المحرّم منها

وفي هذه السنة خرج شمس الملوك الى المتصيّد اواخر شهر ربيع الآخر بناحية صيدنايا وعسال فلمّا كان يوم الثلثاء التاسع منهُ وقد انفرد من غلمانه وخواصّه وثب عليه احد مماليك جدّه ظهير الدين اتابك من الاتراك يُعرَف بايلبا وقد وجد منهُ خلوةً وفرصةً بالسيف وضربهُ ضربةً هائلةً يريد بها قطع رأسه فقضى الله تعالى بالسلامة فانقلب السيف من يده ولم يعمل شيئًا ورمى بنفسه الى الارض في الحال وضربه ثانيةً فوقعت في عنق الفرس فاتلفه وحال بينه وبين الفرس الى ان تكاثر عليهِ الغلمان وتوافوا اليهِ فانهزم وانهض في اثره من الخيل من يتعقّبه ويطلبهُ ويتوثّق منهُ وعاد الى البلد . وقد اضطرب الامر فيهِ عند اشاعة هذه الكائنة فسكنت النفوس بسلامته . وجدّ المنهضون في طلبه من الخيل والغلمان والبحث عنهُ في الجبال والطرقات والمسالك الى ان لحقوهُ فجرح جماعةً بالنشّاب الى ان امسكوه فلما احضروه الى شمس الملوك وقرّره وسألهُ : ما الذي حملك على هذا الفعل . فقال : لم افعلهُ الّا تقرُّبًا الى الله تعالى بقتلك وراحة الناس منك لانك قد ظلمت المساكين

والضعفاء من الناس والصنّاع والمتعيّشين والفلّاحين وامتهنت العسكرية والرعيّة . وذكر جماعةً من الغلمان أبرياء اوقعهم في التهمـــة بانهم وافقوهُ على هذا فقبض عليهم واضافهم اليهِ وقتل الجميع في الحال صبرًا . ولامهُ الناس على ذلك (حيث قتل) هؤلاء الغلمان بقول هذا الجاني من غير بيّنةٍ قامت (133ب) ولا دلالة ظهرت ولم يكفهِ قتل من قَتلَ ظلماً حتى اتّهم اخاه سونج بن تاج الملوك فقتله وهو كبيره اشنع قتلة بالجوع في بيتٍ وبالغ في هذه الافعال القبيحة والظلم ولم يقف عند حدٍ

وفي يوم السبت الرابع من جمادى الاولى من السنة وصل اثير الملك ابو علي الحسن ابن اقش رسولًا من الدار العزيزة النبويّة المسترشـــديّة وعلى يده برسم شمس الملوك التشريف الامامي المندوب لايصاله اليه وافاضته عليه ووردت المكاتبات على يده عن الوزير شرف الدين ابي القسم علي بن طراد النقيب الزينبي وزير الخليفة وكان معزولًا عن الوزارة فأُعيد اليها في شهر ربيع الاوّل سنة ٥٢٨ وصُرف عنها الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد صرفًا جميلًا

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بالخلف الحادث بين ولدي الامام الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد امير المؤمنين ابي علي الحسن ولي عهد المسلمين واخيه ابي تُرابٍ حيدرة ابني الحافظ واقتسام الاجناد فرقتين احدهما مائلةٌ الى مذهب السنّة واهله والاخرى الى مذهب الاسماعيلية وحزبه واستعار نار الحرب بينهما واستظهار حزب السُنّة على حزب الاسماعيلية بحيث قُتل منهم خلق كثير وكان اكثر القتل في الريحانية والسودان واستقام الامر بعده لابي علي الحسن وتتبّع من كان ينصُر مذهب الاسماعيلية من المقدّمين والدُعاة ومن يجري مجراهم فابادهم بالقتـــل والتشريد وصلحت الاحوال واستقامت امور الاعمال بعد الاضطراب والاختلال وورد كتاب الحافظ لدين الله الى شمس الملوك بهذه الحال في اواخر ذي الحجة من السنة بما تجدّد عندهُ من هذه النعمة

وفي ذي القعدة من السنة انتهت الاخبار الى شمس الملوك من ناحيـــة الافرنج باعتزامهم على نقض المستقرّ من الهـــدنة وقبيح الموادعة المستمرّة وتاهّبهم للجمع والاحتشاد وقصد الاعمال الدمشقية بالعيث والفســـاد فحين عرف شمس الملوك هذه الحال شرع في جمع الرجال واستدعى التركمان من جميع الاعمال واتّصـــل بهِ نهوض الافرنج الى ناحية حوران فبرز في (133ظ) العسكر وتوجّه اليهم وخيّم بازائهم وشرعوا في اخراب امّهات الضياع الحورانيـــة ووقع التطارُد بين الفريقين . وكان الافرنج في جمع

Marfat.com

كثيف من الخيل والرجل بحيث حصروهم في منزلهم لا يخرج منهم فارسٌ ولا راجل الّا رشقته السهام واختطفهُ الحِمام واقامت المناوشة بين الفريقين عدّة ايّام ثم اغفلهم شمس الملوك ونهض في فريقٍ وافرٍ من العسكر وهم لا يشعرون وقصد بلادهم عكّا والناصريّة وما جاورهما وطبريّة وما والاها فظفر بما لا يحصى كثرةً من المواشي والعوامل والنسوان والصبيان والرجال وقتل من صادفه وسبي من ظهر لهُ واحرق ما وجدهُ وامتلأت ايدي التركمان من غنائمهم . واتّصل الخبر بالافرنج فانخذلوا وقلقوا وانزعجوا واجفلوا في الحال من منزلهم طالبين اعمالهم وعرف شمس الملوك ذاك فانكفأ الى مخيّمه على طريق الشعراء سالمًا في نفسه وجملته ظافرًا غانمًا . ووصل الافرنج الى اعمالهم فشاهدوا ما حلّ بها ونزل باهلها من البلاء فساءهم ذاك وفتّ في اعضادهم وانفلّت شكّتهم وانقصفت شوكتهم وتفرّق شملهم وذلّوا وطلبوا تقرير الصلح بينهم وعاد شمس الملوك الى دمشق مسرورًا في اخر ذي الحجة من السنة

وفيها وردت الاخبار باجتماع الامير عماد الدين اتابك والامير حسام الدين تمرتاش ابن ايل غازي بن ارتق على بلاد الامير داود بن سكمان بن ارتق ونهض اليهما في عسكره والتقى الفريقان على باب آمد فانهزم داود وانفلّ عسكره وأسر بعض اولاده وقتل جماعة من اصحابه وذلك في يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة ونزل على آمد وحصرها وقطع شجرها ولم يحصل منها على طائل فرحل عنها

ووردت الاخبار بان عماد الدين اتابك نزل على القلعة المعروفة بالصور وضايقها وافتتحها في رجب من السنة (١ . وفيها ورد الخبر من ناحية بغداد بوقوع النار في بعض محالّها فاحترق الخان المشهور بمخازن التجار وكثيرٌ من الاسواق وتلف للتجار الحاضرين والغائبين من جميع الجهات ما لا يحصى من اموالهم وبضائعهم . وفيها ورد الخبر بان عماد الدين اتابك استوزر ضياء الدين (134r) ابا سعيد الكفرتوثي وهو مشهور بحسن الطريقة والكفاية وحُبّ الخير والمقاصد السديدة والمذاهب الحميدة . وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان طغرل بن السلطان محمد بن مالك شاه رحمه الله . وفيها تواصلت الاخبار من ناحية الامير عماد الدين اتابك باعتزامه على التأهّب لقصد مدينة دمشق لمنازلتها ومحاصرتها وانّهُ منصرف الهمّة الى الاستعداد لذلك .

---

١) قال الفارقي في تاريخه : وسلّمها الى السعيد حسام الدين (تمرتاش) وكانت للامير ركن الدولة داود (بن سكمان بن ارتق)

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

في اوَّل المحرَّم هرب الحاجب يوسفَ بن فيروز شحنة دمشق الى تدمر خوفًا من شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بوري

شرح السبب في ذلك

كان الحاجب المذكور في جاه تاج الملوك متمكِّن الرتبة عنده مقبول الرأي فيما يرومه وقد صرف همّه ووكَّده الى تطلّب معقلٍ حصينٍ بعده لنائبــةٍ تنوب وخطبٍ من خطوب الزمان تتجدَّد واتَّفق ان الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك المقيم بتدمر قد سئم المقام بها وضجر من كونه فيها وارتاحت نفسه الى دمشق والاقامة فيها وجعل يراسل اباهُ تاج الملوك ويسأله نقله عنها ولم يزل الى ان أُجيب الى مقترحه وأُسعف بطلبه. فوجد يوسف بن فيروز الغرض الذي يتطلّبهُ قد تسهّلت اسبابه فشرع في الحديث فيهِ والخطاب بسببه والاستعانة بمنْ يُعينه على ذلك من المقدّمين والوجوه الى ان تسهَّــل الامر وأُجيب اليهِ وعُولَ في تولّي امر تدمر عليه وتسلّمهــا وحصلت في ولايته ورتّب فيها ولده مع من وثق بهِ في حفظها والذبّ عنها من ثقات اصحابه وأُمناء نُوّابه وشرع في تحصينها ومرمَّتها ولمّ شعثها وشحنها بالغلّة والعُدد وحصل فيها كل ما يحتاج مثلهــا الى مثاله. فلما عرف من شمس الملوك التنكُّر عليه وظهر لهُ فساد نيّته فيه وبان ذاك لهُ من ثقاتٍ يسكن اليهم ولا يشكّ فيهم وحمله الخوف من المعاجلة لهُ والايقاع بهِ فهمّ بالهروب الى تدمر وترقّب الفرصة في ذلك الى ان اتَّفق لشمس الملوك في بعض الجهات خروجٌ فخرج من البلد اخر النهار وسرُّهُ مكتوم عن الخلّ والجار وقصد ضيعته لمشاهدتها (134ظ) وقد استصحب خواص اصحابه وغلمانه ثم تمّ على حاله مُغذًّا في سيره مجــدًّا في قصده الى ان حصل بتدمُر آمنًا مما توقّاهُ ظافرًا بما رجاه. وظهر خبرهُ في غدِ ذلك اليوم فحين عرف شمس الملوك جليَّة حاله ضاق صدره لافلاته من يده وتضاعف ندمه لفوات الامر فيهِ وكاتبه بما يطيّب نفسه ويؤنسه بعد استيحاشه فلم يُصغِ الى ذلك بل اجابه جواب الخاضع والطائع والعبد الناصح والمستخــدم المخلص ويقول: «انني في هذا المكان خادمٌ في حفظه والذب عنه» فلما وقع اليأس وعلم ان المقــال لا ينجع حَنِقَ عليهِ وذكره بكل قبيح واظهر ما يُسرّهُ في نفســه ولم يعرض لشيء من ملكه وداره

Marfat.com

واقطاعه واهله واسبابه . وتجدّد بعد ذلك ما يُذكر في موضعه وكان هروبه في ليلة الجمعة لليلة خلت من المحرَّم سنة ٥٢٩ من الضيعــة الجارية في اقطاعه المعروفة بالمنيحة من الغوطــة

وفي هذه السنة شاعت الاخبار في دمشق بين خاَصّتها وعامّتها عن صاحبها الامير شمس الملوك ابي الفتح اسمعيل بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك بتناهيه في ارتكاب القبائح المنكرات وايغــاله في اكتساب المآثر المحظورات الدالّة على فساد التصوُّر والعقل وصداء الحسن وظهور الجهل وتبلّد الفهم وحبّ الظلم وعدوله عمّا عرف فيهِ من مضاء العزيمة في مصالح الدين والمسارعة الى الجهاد في الاعداء الملحدين وشرع في مصادرات المتصرّفين والعُمّال وتأوّل المحال على المستخدمين في الاعمال واستخدم بين يديه كرديًّا جاءهُ من ناحيــة حمص يُعرف ببدران الكافر لا يعرف الاسلام ولا قوانينه ولا الدين وشروطه فلا يرقُب في مؤمن وِلَاءَ ذمّةٍ ونصبــه لاستخراج مال المصادرين من المتصرّفين والاخيار المستورين بفنونٍ قبيحة اخترعها في العقوبات وانواع مستبشعة في التهديد لهم والمخاطبات . وظهر من شمس الملوك مع هذه الحال القبيحة والافعال الشنيعة بخلٌ زائدٌ واشفاق نفس الى الدنايا متواصل بحيث لا يأنف من تناول الخسيس الحقير بالعدوان واخذه من غير وجهه بالعتوّ والطغيان واشياء من هــذا الباب لا حاجة الى ذكرها لاشاعتهــا واشتهار امرها بحيث أُنكرت من افعاله واستُبشعت (135r) من امثاله ولم يكفهِ ما هو عليهِ من هذه الافعال الذميمة والخصال المكروهة حتى اسرّ في نفسه مصادرة كُفاته من الكُتّاب وخواصّه من الأُمراء والحجّاب وعزم على الابتداء اولًا بالحاجب سيف الدولة يوسف بن فيروز أحظى من كان عند ابيه اوّلا وعندهَ ثانيًا واشتهر عنهُ حتى هرب الى تدمر منهُ ورأى الغنيمة الكُبرى ببعده من شرّه وراحته من نظره . وكاتب في اثناء هذا الاختلال والاضطراب الامير عماد الدين اتابك حين عرف اعتزامه على قصد دمشق لمنازلتها ومضايقتها والطمع في ملكتها يبعثهُ على سرعة الوصول اليها ليسلّمها اليهِ طائعًا ويمكّنــهُ من الانتقام من كل من يكرههُ من المقدّمين والامراء والاعيان باهلاكهم واخذ اموالهم واخراجهم من منازلهم لامر تصوّره وهذيان في نفسه قرّره وتابع الكتب اليهِ بالمسئلة في الاسراع والبــدار وترك التلوّم والانتظار ويقول لهُ في اثناء هذا المقال « وان اتّفق اهمالٌ لهذا الامر واغفالٌ او امهال أُحوجتُ الى استدعاء الافرنج من بلادهم وسلّمتُ اليهم دمشق بما فيها وكان اثم دم

Marfat.com

من بها في رقبته » واسرّ ذلك في نفسه ولم يُبدهِ لاحد من وجوه دولته واهل بطانتـه وكانت كتُبه بذلك بخط يده وشرع في نقل المال والاواني والثيـاب من خزانته الى حصن صرخد حتى حصل الجميع بهِ ظنًّا منهُ انهُ يفوز بهِ ويهلك جميع الناس من بعده. فلمَّا بدأ هـذا الامر يظهر والسرّ فيهِ ينتشر شرع في القبض على اصحابه وكتَّابه وعمّاله وغيرهم من اهل دمشق ومقدّمي الضياع امتعض الامراء والمقـدّمون ووجوه الغلمان الاتابكية وكافّة العسكرية والرعية من هذا الفعل واشفقوا من الهلاك والبوار ان تمّ هذا التدبير المذموم لما يعلمون من افعال عماد الدين اتابك اذا ملك البـلد فاجروا الحديث فيما بينهم سرًّا. وانهوا الحال فيهِ الى والدته الخاتون صفوة الملك فقلقت لذلك وامتعضت منهُ واستدعتهُ وانكرتهُ واشتبشعت وحملها فعلها الجميل ودينها القويم وعقلها الرصين على النظر في هذا الامر بما يحسم داءهُ ويعود بصلاح دمشق ومن حَوَتهُ وتأمَّلت الامر في ذلك تأمُّل الحازم الاريب والمرتأي (135[٧]) المصيب فلم تجد لدائهِ دواء ولا لسقمه شفاء الَّا بالراحة منهُ وحسم اسباب الفساد المتزايد عنهُ واشار عليها وجوه الغلمان واكابرهم بذلك واستصوبوا رأيها فيه وبعثوها على المعاجلة لهُ قبل ظهور الشرّ وفوات الامر وانهُ لا ينفع فيهِ امرٌ ولا ينجع معهُ وعظٌ. فصرفت الهمَّة الى مناجزته وارتقبت الفرصة في خلوته الى ان تسهّل الامر المطلوب عند خلوته من غلمانه وسلاحيَّته فأمرت غلمانها بقتله وترك الامهال لهُ غير راحمةٍ لهُ ولا متأثّمةٍ لفقـده لما عرفت من قبيح فعله وفساد عقله وسوء سيرته ومذموم طريقته واوعزت باخراجه حين قُتل والقائه في موضع من الدار ليشاهده غلمانه. وكلٌّ سُرّ بمصرعه وابتهج بالراحة منهُ وبالغ في شكر الله تعالى على ما سهّلهُ فيهِ واكثر الدعاء لها والثناء عليها وذلك ضُحى نهـار يوم الاربعاء الرابع عشر من ربيـع الاخر سنة ٥٢٩. وقد كان مولده ليلة الخميس السابع بالعدد من جمادى الاخرة سنة ٥٠٦ في الساعة الثانية منها والطالع برج السرطان او المشتري فيه كمح مح والمريخ في السنبـلة والزُهرة في الخامس والعقرب والشمس في السادس من القوس والقمر وزحل في التاسع وسهم السعادة في العاشر

وقد كان المعروف ببـدران الكافر لعنه الله في يوم الثلثاء المتقدّم ليوم الاربعاء الذي قُتـل فيهِ وقد راح من بين يديه بعد ان اسرّ اليهِ بشرّ يعمل عليهِ لهُ. فلمَّا حصل في بيته وقت الظهر من يومه المذكور ارسل الله تعـالى ذكره عليه آفةً عظيمة اخذت بانفاسه وربا لسانه حتى ملأَ فاهُ وهلك من وقته وكانت الكائنـة في غدهِ

Marfat.com

فبالغ الكافّة في حمد الله تعالى وشكره على هذه الآية الباهرة والقــدرة الظاهرة وواصلوا تسبيحه وتقــديسه وتمجيده فسبحان مالك الامر ومدبّر الخلق تعالى عمّا يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا

وفي الوقت نُودي بشعار اخيه الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بن اتابك جلس في منصبه بمحضر من والدته خاتون صفوة الملك وحضر الامراء واماثل الاجنــاد واعيان الرعيَّة فسلّموا عليهِ بالامرة واستُحلفوا على الطاعة (136ᵀ) لهُ ولوالدته والمناصحة في خدمتهما والنصرة لاوليائهما والمجاهدة في اعدائهمــا وحلف كل منهم بانشراح من صدره وانفساح من امله وظهر من سرور الكافة خاصّيها وعامّيها بهذه النوبة السعيدة والافعال الحميــدة ما يزيد على الوصف وايقنوا بالخلاص من المكروه الذي اشرفوا عليهِ واستقامت الاحوال وتحقّقت الآمال

وتتابعت المكاتبات في اثناء ذلك من سائر الجهات بوصول عماد الدين في عسكره وقطعه الفرات مجدًّا لتسلّم دمشق من شمس الملوك صاحبها ووصلت رسله لتقرير الامر فصادفوا الحال بالضدّ والتدبير بالعكس الّا انّهم أُكرموا وبُجّلوا وأُحسن اليهم وأُعيدوا باجمل جوابٍ وألطف خطابٍ وأُعلم عماد الدين جليَّة الحال واتّفاق الكلمة في حفظ الدولة والذبّ عن الحوزة والبعث على اجمال الرعاية والعود على احسن نيّة

فلمّا انتهى اليهِ الجواب ووقف عليهِ لم يحفل بهِ ولا اصاخ الى استماعه فاوهمتهُ نفسه بالطمع في ملكة دمشق ظنًّا منهُ بان الخلف يقع بين الامراء والمقــدّمين من الغلمان فكان الامر بخلاف ما ظنّ وواصل الرحيل واغذاذ السير الى ان وصل الى ظاهر دمشق وخيّم بارض عذراء الى ارض القُصَير في عسكر كثيف الجمع عظيم السواد في اوائل جمادي الاولى في سنة ٥١٩ . وقد كان التأهُّب لهُ مستعملًا عند ورود اخبار عزيمتــه واجفلت الضياع وحصل اهلها في البلد ووقع الاستعــداد لمحاربته واللقاء عند منازلته والاجتماع على صدّه ودفعــه ولم تزل الحال على هذه القضية والانتصاب بازائه على هذه السجية وقد اشعرت النفوس من شدّة البأس والصبر على المراس للقائه والتأهب لزحفه ودُنوه من البلد وقُربه وقد كان رحل عن عذراء ونزل تحت العقبة القبليَّة وكان يزحف في عسكره وقد فرّقه في عدّة مواضع كالمراكب حتى تقرب من البلد فيشاهد كثرة من يخرج من البلد والعسكرية واحداث الرعيَّة بالســلاح الشاكّ وامتلأ المصلّي وسائر الاماكن والكمناء في جميع المسالك ما يروعهُ ويصدّهُ عن الزحف وفي كل يوم يصــل

Marfat.com

من مستأمني عسكره جملةٌ وافرة مع ما ينهب من خيولهم ويقلع من فوارسهم

(136ظ) فلمَّا طالت الايام عليهِ ولم يحصل على طائل ممَّا حاول ولا مرام راسل في طلب الصلح والدخول في طاعته والتمس خروج الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك اليه لوطء بساط ولد السلطان الواصل معه ويخلع عليه ويعيده الى بلده واجمل الخطاب في ذلك والوعد فلم يجب الى خروج شهاب الدين وتقرّرت الحال على خروج اخيه تاج الملوك بهرام شاه بن تاج الملوك. ووافق ذلك وصول الرئيس بشر بن كريم بن بشر رسولًا من الامام المسترشد بالله امير المؤمنين الى عماد الدين اتابك بخلع أُعدَّت لهُ والامر بالرحيل عن دمشق وترك التعرّض لها والوصول الى العراق لتولّي امره والتدبير لهُ .وان يخطب للسلطان البارسلان المقيم بالموصل

ودخل الرسول المذكور والقاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري الى دمشق لتقرير الامر ولإحكام القاعدة في الجمعة في الثامن والعشرين من جمادى الاولى فتقرَّر الامر ووكدت الايمان وحضرا الجامع لصلاة الجمعة وخُطب للسلطان البارسلان على المنبر بامر امير المؤمنين وعاد الى العسكر الاتابكي وخرج بهرام شاه فاكرمهُ واعاده على اجمل قضيَّةٍ ورحل في يوم السبت غد ذلك اليوم منكفئًا والقلوب قد امنت بعد الوجل والنفوس قد سكنت بعد الاضطراب والوهل والشكر لهُ متواصل والثناء عليهِ متكامل. فلما حصل بحرة انكر على شمس امراء الخواصّ واليها امرًا اظهر لهُ منهُ وتزايد شكوى اهالها لاصحابه ونوَّابه فعزله عنها وقرَّر من رآهُ في ولايتها. وقد كان ظهر من الامير شجاع الدولة بزواج ومعين الدين أُنُز من حسن السياسة في تدبير العسكرية والاجناد عند الترتيب في الحرب ما وافق الاعراض وطابق الاصابة والسداد بحيث شُكرا وحُمدت مقاصدهما

وفي ذي القعدة منها وردت الاخبار من العراق باستشهاد الامام الخليفة المسترشد بالله ابي منصور الفضل بن المستظهر بالله أمير المؤمنين رحمهُ الله عليهِ ورضوانه

وشرح السبب في ذلك

قد مضى ذكر ما كان من الخليفة المفقود في معنى السلطان مسعود بن السلطان محمد (١ بن ملك شاه (137ظ) من تقرير السلطنة لهُ وردّ تدبير الاعمال والامر بالدعاء لهُ على منابر البلاد وتشريفه بالخلع والحملان انكامل. وعقيب هذا الفعل

---

١) وفي الاصل محمود بن محمد

Marfat.com

الجميل ظهر لامير المؤمنين المسترشد بالله امورٌ انكرها وبلغتهُ اسبابٌ امتعض منها وبدت منهُ افعالٌ أكبرها فرام استعطافه واستعادته الى الواجب المألوف في طاعة الخلفاء فامتنع وحاول استمالته الى الصواب المعروف في المناصحة وحسن الوفاء فلم ينفع وبعثه على الحقّ الذي هو خير من التمادي في الباطل فلم يقبل . فافضت الحال صرف الهمة العليَّة المسترشدية الى مداواة هذا الداء والاستعداد لهُ الى ان اعضل بالدواء ولم يَرَ فيهِ أنجع من التأهُّب لقصده والاحتشاد للايقاع بهِ وصمده لان اخباره كانت متناصرةً بعزمه على قصد بغداد والاخراب لها والاعاثة في نواحيها فرأى الصواب في معاجلته ومقابلة فعله بمثاله

واتّفق وصول جماعةٍ من وجوه عسكره ومقدّمي جنده لخدمة الخليفة والمعاضدة لهُ على محاربة عدوّه وشرعوا في تحريضه على البروز اليهِ والمسارعة للإطلال عليه فتوجّه نحوه في تجمُّل يعجز عنهُ الوصف ويقصر دونهُ النعت وقد اجتمع اليهِ من اصحاب الاطراف واصناف الاجناد الخلق الكثير والجمّ الغفير الذي بمثاله قويت نفسه واشتدّ بأسه ولم يشكّ احدٌ في انهُ الظافرُ بهِ والمستولي على حزبه . فلمّا قرب من مخيَّمه بناحية همذان ووقع العيان على العيان زحف اليهِ في عسكره والتقى الجمعان واتّفق القضاء المكتوب والقدر المحجوب ان أُمراء الاتراك الواصلين لخدمة الخليفة في عسكره خامروا عليهِ بمواطأة كانت وتقريرات تقرّرت وبانت فانقلبوا عنهُ واسلموهُ وعملوا عليه واغنموه بحيث تفرّقت عنهُ جماعة وخذله ابطاله وكُماته وثبت هو وخواصّه في المصاف يقاتلون ولا يُولّون الى ان انفلّ عنه حِزبه وضعف امره وغلب على نفسه فاخذوه ووزيرَهُ النقيب وكاتبهُ سديد الدولة بن الانباري وصاحب مخزنه وخدمه وخاصّته وحملوه مع اصحابه المذكورين الى خيمه ووكل بجماعة من يحفظهم ويتوثّق منهم (137ٱ) ويحتاط عليهم

وكتبت المطالعات الى السلطان سنجر بن ملك شاه صاحب خراسان بصورة الحال والاستئذان بما يعتمد في بابه ووعد السلطان مسعود الخليفة ومن معه بالاطلاق واعادتهم الى بغداد وتقرير امر الخلافة على ما جرى بهِ الرسم قديمًا فلما عاد الجواب من السلطان سنجر في هذا الباب وتقرير ما اقتضاه الرأي في امر الخلافة بين السلطانين المذكورين ندب عدّةٌ من الرجال تقدير اربعة عشر رجلًا نسبوا الى انهم من الباطنية فقصدوا الخليفة في خيمته وهو مطمئنٌّ لا يشعر بما نزل بهِ من البلاء واحاط بهِ من محتوم القضاء

Marfat.com

وهجموا عليهِ فقتلوه في يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ صبرًا وقتلوا معه من اصحابه وفرّاشيه من دافع عنه ومانع دونهُ. وشاع الخبر بذلك بناحية مراغا على مرحلتين منها ودُفن بها واستبشع الناس هذا الفعـل الشنيع والقصد الفظيع في حق خليفة الزمان وابن عمّ رسول الله عليهِ افضل الصلاة والرضوان واكبروا الجرأة على الله والاقدام على هذا المنكر في الاسلام والدم الحرام واطلقوا الألسنة بالدُعاء. والذمّ على من استحسن هذا الفعل القبيح ودبّر هذا الخطب الشنيع وتيقّن كل انسان من الخاص والعامّ ان الله تعالى لا يهمل المُقدِم عليه ولا (يرضى) بفعل المُجرِم اليهِ لانهُ جلّت قدرته لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين ولا يهمل عقوبة الظالمين

ولمّا انتهى هذا الخبر الى ولده ولي عهده تقدّم بتحصين بغداد والتأهّب لدفع من يقصدها بسوء من الاعداء والمخالفين وبويع بالخلافة في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩ ولُقّب بالراشد بالله ابي جعفر المنصور بن المسـترشد بالله امير المؤمنين وجلس في منصب الخلافة في ذي الحجة سنة ٥٢٩ واستقام لهُ الامر وتوكّدت لهُ البيعة على الرسم ووعد كافّة الاجنـاد والعسكرية ولماثل الرعية بما طيّب نفوسهم وشرح صدورهم واطلق مال النفقات والواجبـات على جاري العادة فكثر الدعاء لهُ والثناء عليهِ وسكنت الدهماء (١

---

١) قال الفارقي في تاريخه: قيل وفي شعبان سنة ٥٢٩ خرج الخليفة المسترشد من بغداد ولقي السلطان مسعود بباب همذان الى موضع يسمّى دآي‌مرك قريب من جبل بستون ونهب العسكر وكان جمع السلطان خلقًا عظيماً وكان نفذ لهُ عمّه السلطان سنجر عسكرًا عظيماً فالتقوا فكُسر الخليفة واسروهُ واسروا ارباب المناصب كلّها

ولقد سألت السيد مُؤيد الدين ابا عبد الله محمد بن عبد الكريم الانباري رحمهُ الله في سنة ٥٣٤ ببغداد حين نزلتُ اليهِ في هذه السنة عن حال المسترشد والوقعة وما جرى فقال رضي الله عنهُ: كان قد وقع (خلاف) بين السلطان والخليفة في ايام السلطان محمود وخرج واسره مرّتين. فلمّا ولّي مسعود استطال نوّابه على العراق وعارضوا الخليفة في املاكه فوقعت الوحشة وتجهّز المسترشد وعزم على الخروج وجدّ في ذلك. واتّفق ان بعض الايام دخل الوزير شرف الدين الزينبي على ابن طراد على الخليفة وانا معهُ وجمال الدين طلحة صاحب المخزن وكان الخليفة قد طرد اصحاب السلطان عن العراق ورتّب صاحب المخزن على دار السلطان للمظـالم والبلد. فلمّا دخلنا ذلك اليوم قال لهُ الوزير شرف الدين: يامولانا في نفس المملوك شيء وهل يؤذن لهُ في المقال. فقال: قُل. قال: يا مولانا الى اين تمضي وبمن تعتضد والى مَن تلتجيْ وبمن تنتصر؟ ومقامنا ببغداد امكن لنا ولا يقصدنا احدٌ الّا وُقّينا نحن الظهر والعراق فيهِ لنا كفاية فان الحُسين بن عليّ عليهما السلام

(138[P]) سنة ثلثين وخمسمائة

في المحرَّم منها وردت الاخبار من ناحية العراق بقتل الامير دُبَيس بن صدقة بن مزيد قتلهُ السلطان مسعود بن محمد لامورٍ انكرها واسبابٍ امتعض منها نُسبت اليهِ وقيل ان هذا مكافأَة من الله تعالى لهُ عمَّا كان منهُ في عصيان الخليفة الامام المسترشد لمَّا خرج الى العراق جرى عليهِ ما جرى ولو اقام بمكَّة والمدينة ما اختلف عليهِ انسان وكان تابعهُ جميع الناس. فقال لهُ الخليفة: ما تقول يا كاتب. فقلتُ: يا مولانا الصواب المقام وما رآه الوزير فهو الرأي فلا يقدم علينا بالعراق احدٌ وليت بقي لنا العراق. فقال لصاحب المخزن: يا وكيل ما تقول. قال: في نفسي ما في نفس مولانا. (وكان هو قد حملهُ على الخروج) فقال المسترشد: واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان نموت جبانًا. ثم خرج.....

وقال ايضًا السعيد مؤيد الدين: لمَّا قُتل المسترشد نفَّذ السلطان مسعود واحضرنا عنده فحضر الوزير شرف الدين وجمال الدين صاحب المخزن وانا فلما حضرنا عندهُ قال: ما الرأي وما التدبير في امر الخلافة ومَن ترون. فقال الوزير: يا مولانا الخلافة لولي العهد الراشد وقد بايعهُ الناس وجلس واستقرّ وقد بويع لهُ بولاية العهد والان بعد قتل ابيه. فقال: ما الى هذا سبيلٌ ولا اقرَّه عليها ابدًا فانهُ تحدّث نفسه بالخروج مثل ابيه ونحن كل يوم من حيث ولّي المسترشد لم يزل بخروج علينا وكان خرج على اخي محمود مرَّتين وعليَّ مرَّة وهذه اخرى وقد تمّ عليهِ ما تمّ وبقيت علينا شناعة عظيمة وسُبَّة الى اخر الدهر ويقولون: قتلوا الخليفة. وهم كانوا السبب في عود الخلافة الى هذا البيت. لا اريد يجلس الّا مَن لا يداخل نفسه في غير امور الدين ولا يجُند ولا يتّخذ ولا يجمع ولا يخرج عليَّ ولا على اهل بيتي وفي الدار جماعةٌ فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل ورأي وتدبير ويلزم نفسه ما يجب من طاعتنا ولا يخرج من داره ولا تعرّجوا عن هرون بن المقتدي فهو شيخ كبير ولا يرى الفتنة وقد اشار بهِ عمّي سنجر. وكان في الدار في ذاك الوقت سبعة اخوة من اولاد المقتدي ولهم اولاد واولاد اولاد ومن اولاد المستظهر سبعة اخوة وكان للمسترشد اولاد جماعة وللراشد ولهُ مقدار نيف وعشرين ولدًا.....

وقال المؤرّخ ايضًا: قيل ونفَّذ السلطان مسعود الى عمه سنجر يأخذ اذنه فيمن يولّي فنفذ اليهِ يقول: لا تولِّ الّا من يقع عليهِ رأي الوزير وصاحب المخزن وكاتب الانشاء ويضمنون ما يجري منهُ ويكون الجواب عليهم. فلمَّا اشار السلطان بولاية هرون وعرفهم ما امرهم السلطان سنجر قال الوزير: اذا كان هذا الامر يلزمنا فنحن نولّي من نراه وهو الزاهد العابد الدّين الذي ليس في الدار مثله. قال السلطان: مَن هو. فقال الوزير: الامير ابو عبد الله بن المستظهر. فقال: وتضمنون ما يجري منهُ. فقال الوزير: نعم. وكان الامير ابو عبد الله صهر الوزير شرف الدين على ابنته فانها دخلت ذات يوم في الدار في زمن المستظهر فرآها الامير ابو عبد الله فطلبها من ابيهِ فزوّجهُ اياها وكان شرف الدين اذ ذاك نقيب النقباء ودخل بها وبقيت عنده مدَّة وماتت عنده. فقال السلطان: ذاك اليكم واكتموا الحال لئلَّا ينمو الامر فيُقتَل. ثم رحل السلطان يطلب بغداد والوزير والجماعة في جملته

Marfat.com

بالله امير المؤمنين والسماية في دمهِ . وكان هذا الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين رحمهُ الله عالمًا تقيًا فاضلًا حسن الخطّ بليغا نافذًا في اكثر العلوم عارفًا بالفتوى واختلاف الفقهاء فيها اشقر الشعر اشهل العينين بوجهه نمشٌ وكانت مدَّة خلافته سبع عشرة سنة وما الله بغافل عمَّا يعمل الظالمون . وفي شهر ربيع الاوَّل منها تسلَّم الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك مدينة حمص وقلعتها

شرح الحال في ذلك

لمَّا عرف من كان بحمص وقلعتها من اولاد خيرخان بن قراجه وخمارتاش الوالي من قبلهم فيها ما استمرّ عليها من مضايقة الامير عماد الدين اتابك لها وبذل جهده وحرصه في تملّكها واخذها واخذه حماة المجاور لها وجدّه في طلبها وإضعاف اهلها ومواصلة الغارات عليها وانهم لا طاقة لهم بضبطها لقلَّة القوت بها وعدم الميرة فيها انفذوا رسلهم الى شهاب الدين يلتمسون منهُ انفاذ من يراه لتسلُّم حمص وقلعتها ويعوّضهم عنها بما يتَّفق عليهِ الرأي . وتوسّط الحاجب سيف الدولة يوسف بن فيروز المقيم بتدبير الامر في ذلك طمعًا في الكون بها والانتقال من تدمُر اليها لكونها من الاماكن الحصينة والقلاع المنيعة واستأذن في الوصول الى دمشق للحديث وتقرير الحال في ذلك فأُذن لهُ ووصل الى دمشق وجرى في ذلك خطابٌ طويل افضى آخره الى ان تُسلَّم حمص وقلعتها الى شهاب الدين وتسلّم الى خمارتاش تدمر عوضًا عنها ووقع الشرط واليمين على هذه الصفة . وبرز شهاب الدين من دمشق في العسكر وتوجَّه اليها فحين حصل بها نزل خمارتاش من القلعة واولاد خيرخان واهله بما يخصّهم وسلَّموها اليه فتسلَّمها يوم الاحد الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٥٣٠ وحصل بها ورتَّب امرها (138) وقرّر ولايتها للحاجب يوسف بن فيروز وان يكون فيها نائبًا عن الامير مُعينُ الدين أُنز الاتابكي حسب ما استقرّ وكتب الى الجهات والاطراف بحمل الاقوات اليها والتقوية لها بالميرة وعاد شهاب الدين عنها بعد تقرير امرها منكفئًا الى دمشق . وشرع الامير سوار النائب عن عماد الدين في حلب ومَن بحماة من قبله في الغارات على اعمال حمص ورَعْي زرعها وجرى في ذلك مراسلات ومخاطبات اسفرت عن المهادنة والموادعة والمسالمة الى امدٍ معلوم وأجلٍ مفهوم بحيث انحسمت اسباب الفساد عن الجهتين واستقامت احوال الجانبين

Marfat.com

وفي يوم الاحد الرابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة خلع شهاب الدين على امين الدولة كمشتكين الاتابكي والي صرخد وبُصرى الخلع التامّة وردّ اليهِ اسفهسلّارية العسكرية وخُوطب بالاتابكيّة وأُنزل في دار الكبيرة الاتابكيّة بدمشق وحضر الناس لهنائه فيها واوعز الى الكافّة باتباع رأيه والامتثال لامره. وفي يوم الاربعاء السابع والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة قُتل الحاجب يوسف بن فيروز في ميدان المصلّى بدمشق

شرح السبب في ذلك

كان الحاجب يوسف بن فيروز المقدّم ذكرهُ عند كونه في خدمة شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك وتمكّنه عنده وارتفاع طبقته لديه قد اعتمد في حقّ مقدّمي الغلمان الاتابكيّة ما اوحشهم منهُ وبلغهم ما ضيّق صدورهم عنه واسرّوا ذلك في نفوسهم واخفوه في قلوبهم لا سيّما ما قصده في نوبة الغلمان الذين قتلهم شمس الملوك مع اخيه سونج بن تاج الملوك بسبب اتهمهم بكونهم مع ايلبا الغلام التركي (الذي كان وثب على شمس الملوك وضربهُ بالسيف طالبًا قتله فسلمه الله منهم ونجّاهُ حسب ما تقدّم بهِ الشرح وكونه اكبر السُعاة عليهم والسبب في قتلهم على عادةٍ قد أُلفيت من فعله وطريقةٍ قد عُرفت من طبعه وقد كان حصل بتدُمر وأُهمل امره ونُسي ما سبق بهِ شرّه. فلما راسل من تدمر من يطلب الاذن في الوصول الى دمشق لتقرير امر حمص وأُوجب الى الاذن في ذلك انكر الامير شجاع الدولة بزواج والحاجب سنقر واكابر الغلمان الاتابكية الاذن لهُ في ذلك وامتعضوا من وصوله كل الامتعاض (139) لِما عرفوا من سوء فعله ومشهور سعيه وختله واشاعوا بينهم ما هم عازمون عليهِ من العمل على قتله. ونصَحهُ اهلُ وُدّهِ والاشفاق عليهِ والمتقرّبين اليهِ بذلك فأبى القبول منهم وأخذ النصح منهم وقويت نفسه على التغرير بها والمخاطرة باتباع هواها. وتمسّك بمدافعة الامير معين الدين عنهُ والمنع منهُ لصداقةٍ كانت بينهما قد استحكمت قُواها ووُصلة انعقدت وأحكمت عُراها ولما وصل الى دمشق توثّق لنفسه من الجماعة بأيمان سكنت اليها نفسه وتوكّد معها أُنسه وقرّر معهُ انهُ يكون يحضر للسلام في كل يوم ويعود الى داره ويقنع بالكون في ملكة دمشق والتنقّل منها الى حمص ولا يداخل نفسه في امر غير ذلك

Marfat.com

فما هُوَ إلّا ان حصل بها وجعــل يُدبّر امرًا غير خافٍ ويقرّر تقريرًا غير مكتوم ولا مستترٍ فاثار بذلك ما كان في نفوس الغلمان كامنًا وحرّك ما كان في القلوب ساكنًا. ووجد الامير بزواج والغلمان السبيل الى نقض ما عُوهدوا عليهِ باعتماده المخالفة لما قرّروهُ معهُ وسكنوا اليهِ ولاحت الفرصة لهم فيه ولمّا كان في يوم المقدّم ذكره وقد تقرّر الامر بينهم على الفتك بهِ صادفه شجاع الدولة بزواج المقدّم ذكره في الميدان المجاور للمصلّى بظاهر دمشق فهاشاهُ ساعةً بالحديث وقد خلا من اصحابه واغفله وجرّد سيفه وضربه بهِ ضربةً عظيمةً في وجهه الى رأسه وثنّى بأُخرى فسقط الى الارض واجهز عليهِ اخر من الغلمان ولم يتجاسر احد من اصحابه من الدنوّ منهُ ولا الدفع عنــهُ لقوّة شوكة الغلمان واتّفاق كلمتهم على قتله

وانهزم شهاب الدين واصحابه من الميــدان الى داره وبقي ساعةً مطروحًا على الارض في الميدان يشاهد مصرعهُ ويعتبر اللبيب بمنظره ثم حُمل الى المسجد الذي بناهُ فيروز ابوهُ بالعُقَيبَة فدُفن عند قبره في يومه في تربته. وانفذ بزواج وسنقر وجماعة الغلمان الى شهاب الدين ووالدته الخاتون مراسلات ومعاتبات على ما اعتمداهُ من الاذن لهُ في العود الى دمشق بعد ما كان من فعله في حقّ من قتل بسعيه من الغلمان واشترطوا امورًا وقع الاباء لها والاستيحاش منها ومن طلب مثلها وامتنع الغلمان واكثر الاتراك من الدخول الى البلد والعود الى دورهم الّا بعد تقرير امر بزواج (139ظ) وجماعة الغلمان والدخول فيما راموه وتطييب نفوسهم بالاجابة الى ما حاولوهُ

واندفعوا الى ناحية المرج فنزلوا فيهِ وخيّموا في ناحية من نواحيه وتردّدت بينهما مراسلات لم تسفر عن سدادٍ ولا نيل مرادٍ فاظهروا الخلاف وكاشفوا بالعصيان والانحراف وعمدوا الى خيل الجشار فاستاقوها واشتملوا على جميعها وهي العددُ الكثير لسائر الامراء والعسكريّة والرعيّة من انواع الدوابّ ولها قيمةٌ عظيمةٌ وتوجّهوا بها في يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة من تل راهط الى ناحيــة المرج. وخرج اليهم من بقي في البلد من العسكر مع الامراء والمقدّمين وهم منهم اكثر عددًا واتمّ عُددًا طلبًا للايقاع بهم وتخليص الجشار من ايديهم فما اغنوا فتيلًا ولا اعادوا ممّا اخذوا كثيرًا ولا قليلًا ورجعوا بهِ الى صوب بعلبك. فخرج اليهم الامير شمس الدولة محمد ابن تاج الملوك صاحبها ووقعت الموافقة والمعاهدة بينهم على اقامته والدخول في طاعته والمناصحة في خدمته واجتمع اليهِ خلقٌ كثير من التركمان فاخافوا السبيــل وشرعوا في

Marfat.com

العيث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم بالملاطفة ودعاهم الى الطاعة وتَرْك المخالفة وتطييب نفوسهم وبعثهم على العود الى ما كانوا عليهِ والاجابة الى ما اقترحوا واشاروا اليهِ واستقرَّت الحال على مرادهم وأُخذت الأَيمان الموكدة عليهم ولهم بالوفاء واستعمال الاخلاص والصفاء وأُذن لهم في العود فعادوا الى البلد وخيَّم بزواج وجماعته بجسر الخشب وامتنع من الدخوال الى داره لمَّا رأَهُ وجال في نفسه . واتَّفق الرأي على خروج شهاب الدين في العسكر الى ناحية حوران على الرسم في ذلك والاجتماع هناك وتقرير ما يجب تقريره من الاحوال والبعث على تحصيل الغلال واتَّفق الرأي في اوائل شعبان على تقديم بزواج على سائر الاجناد والغلمان وردّ اليهِ الاسفهسلَّارِيَّة وخوطب بالاتابكية وكُتب بجمال الدين مُضافًا الى القابه فاستقام لهُ الامر ونفذ في النفع والضرّ

وفي العشر الاوَّل من رجب من السنة خرج امين الدولة كمشتكين الاتابكي والي صرخد من دمشق مُظهرًا قصد الصيد (140r) والإشراف على ضياعه لاجل الجراد الظاهر بها في خواصّه وثقله وفي النفس ضدّ ذاك فلمَّا توارى عن البلد اغذَّ السير قاصدًا سمت صرخد ومفارقًا لما كان فيهِ خوفًا على نفسه من الغلمان بحيث حصل بها وسكنت نفسه من الخوف فيها . ثم روسل بالاستعطاف والتلطّف في العود الى داره ومنزلته والانكفاء الى رُتبته فأَبى واحتجّ باسبابٍ ذكرها واحوالٍ شرحها ونشرها فوقع السلوُ عنهُ واليأس منهُ

وفي يوم السبت الثالث عشر من شعبان سنة ٥٣٠ وردت الاخبار من ناحية الشمال بنهوض الامير مسعود سوار من حلب فيمن انضمّ اليهِ من التركمان الى الاعمال الافرنجية فاستولوا على اكثرها وامتلأَت ايديهم بما حازوهُ من غنائمها وتناصرت الأخبار بهذا الظفر من جميع الجهات والاستكثار لذلك والتعظيم لهُ ولقد ورد كتاب من شيزر يتضمَّن البشرى بهذه النوبة ويشرحها على جليَّتها فاثبت مضمونه في هذا الموضع تأكيدًا للخبر وتصديقًا لما وُصف وذُكر وهو : ان المتجدّد عندنا بهذه الناحية ما يجب علينا من حيث الدين ان نُذيعه ونُبشّر بهِ كافة المسلمين فان التركمان كثرهم الله ونصرهم اجتمعوا في ثلثة الف فارس جريدةً مُعدَّةً ونهضوا الى بلاد اللاذقية واعمالها بغتةً بعد اليأس منهم وقلَّة الاحتراز من غارتهم وعادوا من هذه الغزاة الى شيزر يوم الاربعاء حادي عشر رجب ومعهم زيادةٌ عن سبعة الف اسير ما بين رجلٍ وامرأَةٍ وصبي وصبيَّة ومائة الف رأس دواب ما بين بقر وغنم وخيل وحُمر والذي حازوهُ واحتاجوهُ يزيد عن مائة قرية

Marfat.com

كبار وصغار وهم متواصلون بحيث قد امتلأَت الشام من الاسارى والدوابّ . وهــذه نكبةٌ ما مُني الافرنج الشماليون بمثلها وبعد هذا لا يُبَعْ منهم اسيرٌ الّا بثمنه ولا نقص السعر الاوّل وهم سائرون بهم الى حلب وديار بكر والجزيرة

وفي آخر نهار يوم الاربعاء الرابع وعشرين من آيار طلع على دمشق سحاب اسود اظلمت الدنيا لهُ وصار الجوُّ كالليل ثم طلع بعد ذلك سحابٌ احمر اضاءَت الدنيا منهُ وصار الناظر اليهِ يظنّ انهُ نارٌ موقدة وكان (140[٧]) قد هبّ قبل ذلك ريحٌ عاصفٌ شديدة أذت كثيرًا من الشجر وقيل انهُ في هذا الوقت والسـاعة جاء في حوران بَردٌ كبارٌ ومطرٌ شديدٌ بحيث جرت منهما الاودية وجاء في الليلة مطرٌ عظيمٌ زاد منهُ بردًا زيادةً لم يُرَ مثلها عِظَمًا

وفي المحرَّم من هذه السنة في الثالث عشر منهُ ارسل الله تعالى من الغيث ما طبق الاعمال الدمشقية بحيث سالت بهِ الاودية والشعاب وزاد المدّ في الانهار بحيث اختلطت وانكسر نهر يزيد ونهر باناس والقنوات والتقت المياه وبطلت الارحيــة ودخل الماء الى بعض بيوت العقيبة وذكر جماعة من الشيوخ المعمّرين انهم لم يشاهدوا في مثــل هذا الوقت مثل ذلك

وفي شعبان من هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بان السلطان مسعود ابن محمد (١ بن ملك شاه حضر بغداد وضايق الامام الخليفــة الراشد بالله بن الامام المسترشد بالله امير المؤمنين ومعــهُ السلطان داود ابن اخيه والامير عماد الدين اتابك زنكي بن اق سُنقر واقتضى التدبير حين لم يُنَل منها غرضٌ ولم يُظفر بمرادٍ ولا بدّ من اللقاء والمحاربة العود عنها فعاد السلطان داود الى بلاده وعماد الدين اتابك الى الموصل واقام السلطان مسعود على رسمه في بغداد وحين رأَى الامام الراشد بالله اقامة السلطان على الاستيحاش منهُ زادت وحشتهُ وعلم انهُ لا طاقة لهُ بالمقــام معه وخاف على نفسه فتبع عماد الدين الى الموصل ونزل بظاهرها وخيَّم بهِ كالمستجير والعائذ بهِ . وحين خلت بغداد من الخليفة وتدبيره تمكّن من كل ما يُريد فعلَه ويروم قصــدَه فاقام في منصب الخلافة ابا عبد الله محمد اخا المسترشد بالله ولقبه المقتفي لامر الله وعمره اربعون سنــةً واخذ البيعة لهُ على جاري الرسم وخُطب لهُ على المنــابر في بلاده فقط في ذي القعدة سنة ٥٣٠ وبقي الامر واقفًا الى ان تقرَّر الصلح بين السلطان مسعود وبين عماد الدين

---

١) وفي الاصل محمود بن محمد

Marfat.com

اتابك في سنة ٥٣١ فخطب لهُ والسلطان في الموصل وسائر الاعمال وسيأتي ذكر ذلك مشروحاً في موضعه

وفي هذه السنة سنة ٥٣٠ تشتّى السلطان مسعود ببغداد واتابك عماد الدين (141r) والامام الراشد بالله ووزيره جلال الدين ابو الرضا بن صدقة بظاهر الموصل

وفيها وردت الاخبار في ذي القعدة منها بظهور متملك الروم من القسطنطينية وحكي ان طالع ظهوره كان عشر درج من الميزان وان الزهرة والمشتري في العاشر والشمس في الاسد والمرّيخ في السابع والله اعلم بالغيب. وفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة قُتل الرئيس محيي الدين ابو الذواد المفرج بن الحسن بن الحسين الصوفي رئيس دمشق بظاهر المسجد الجديد قبلي المصلّى في اليوم المذكور والسبب في ذلك ان الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك صاحب دمشق والامير بزواج والحاجب سنقر كانوا قد انكروا عليهِ اموراً بلغتهم عنهُ واحوالًا استوحشوا بسببها منهُ فشرعوا في افساد حاله وتحدّثوا في اخذ ماله وتقرّرت الحال فيما بينهم على هذه الصورة في المخيّم بحوران وكان الرئيس المذكور قد فارقهم من حوران وعاد الى البلد لمداواة مرض عرض لهُ. فلمّا استقرّ الامر بينهم على هذه القضيّة وعادوا الى البلد وخرج الرئيس المذكور في جماعةٍ لتلقّيهم فحين سلّم عليهم وافق ذلك حديثٌ جرى بينهم في معنى المعاملات اجاب عنهُ جواباً غلظ عليهم وانكروه منه فعادوا لذلك عن القبض عليهِ الى القتل لهُ. وقد كان بلغهُ اعتزامهم على افساد حاله باخذ ماله وأُشير عليهِ بالاحتياط على نفسه والتحيُّل في دفع الضرر عنها فلم يقبل للامر المقضي والقدر النازل فقُتل مظلوماً رحمهُ الله بغير استحقاقٍ للقتل ومضى شهيداً واعتقل باقي اقاربه والتمسوا الاذن لهم بعد ايامٍ في التوجّه الى صرخد دفعاً للشرّ واخماداً لنار الفتنة فأُذن لهم في ذلك فتوجّه من توجّه منهم اليها

وفي هذه السنة في اواخرها حضر المعروف بالاصمعي الديوان الشهابي والتمس الاذن لهُ في ضرب الدينار في دمشق على ان يكون عياره نصف وربع وثمن دينار خلاصاً والباقي من الفضّة والنحاس وكرّر الخطاب الى ان أُجيب الى ما طاب وتقرّر ضربه على هذه السجية وان ينقش السكّة باسم الامام الراشد بالله امير المؤمنين والسلطان (141v) المعظّم مسعود وشهاب الدين. ولمّا وردت الاخبار باخذ السلطان البيعة الامام المتقي لامر الله وتوجّه الراشد بالله الى ناحية الموصل واظهر السلطان رقعةً بخطّ الراشد بالله

Marfat.com

تتضمَّن انهُ متى خرج من داره وقصد محاربة السلطان او اباح دمًا محرمًا بغـير واجبٍ او مدّ يدًا الى اخذ مالٍ من غير حلّهِ ولا جهتهِ كانت بيعته باطلة وخرج من عهدة الخلافة وكان متعدّيًا للواجب وبذلك اشهد على نفسه القُضاة والفقهـاء والاعيان فكان ذلك اوكد الحجة في خلعه ونقض امره

سنة احدى وثلثين وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بظهور متملّك الروم كيالياني من القسطنطينيـة في ذي القعدة سنة ٣٠ وقيل بل اوّل المحرَّم سنـة ٥٣١ ووصل الى جزيرة انطاكية واقام بها الى ان وصلت مراكبه البحريّة بالاثقال والميرة والمال والعُدَد في عاشر نيسان ونزل على نيقية فملكها وقيل بل هادنه عليها اهلها ووصل الى الثغور وتسلَّم اذنة والمصيصـة وغيرهما وحاصر عين زربة وملكها عنوةً . وقيل في التاريخ ان امير المؤمنين المأمون بالله ابن الرشيد بالله كان عمَّر عين زربة عند الاجتياز بها لمَّا ورد الى هذه الجهات وانفق على عمارتها مائة وسبعين الف دينار مع جاه الخلافة والسلطنة والقدرة وكان يعمل فيها كل يوم اربعون الف فاعل سوى البنَّائين والحدَّادين والنجَّارين . وملك تلّ حمـدون وحمل اهله الى جزيرة قبرص وكان صاحبهُ ابن هيثم الارمني ثم عمّر مينا الاسكندرية ثم خرج الى انطاكية ونزل عليها وضايق اهلها في سلخ ذي القعدة وجرى بينهُ وبين صاحبها ريمند ابن بدقين (كذا) مصالحـة ورحل عائدًا الى الدروب فافتتح ما بقي في يد ابن ليون الارمني من الحصون وشتى بها

وفي رجب من السنة نهض الامير بزواج في فريقٍ وافرٍ من العسكر الدمشقي من التركمان الى ناحية طرابلس فظهر اليهِ قومُصها في عسكره والتقيا فكسره بزواج وقتل منهم جمـاعة وافرة وملك حصن وادي ابن الاحمر وغيره . وفي رجب ايضًا نهض ابن صلاح والي حماة في رجاله الى (142r) حصن الخربة فملكه

وفي شعبان منها ورد الخبر بان عماد الدين اتابك بن اق سنقر توجَّه في عسكره من ناحية الموصل وقطع الفرات في العشر الاوّل منهُ ووصل الى حمص وكان قد تقدّمه اليها صلاح الدين في اوائل العسكر ونزلا عليها وضايقاها وفيها الامير معين الدين أُنر واليها فراسله في تسليمها فاحتجّ عليه بانها للامير شهاب الدين وانهُ نائبهُ فيها فنصب الحرب عليها والمضايقة لها اياماً ولم يحظَ منها بطائل فرحل عنهـا في العشرين من شوال من

Marfat.com

السنة ونزل على الحصن المعروف ببعرين لينتزعهُ من ايدي الافرنج . فلما عرفوا ذاك تجمّعوا ونزلوا قريباً لحمايته ومعونة من فيهِ منهم فحين عرف عماد الدين خبرها كمن لهم كميناً والتقى الجمعان فانهزم فريقٌ من الاتراك بين ايدي الافرنج وقتلوا منهم جماعة وافرة عند عودهم الى منزل مخيّمهم وظهر عليهم عماد الدين في مَن كمن لهم من الكُمناء واوقع الرجالة وملك الاثقال والسواد وحين قربوا من المخيم وشاهدوا ما نزل عليهم وحلّ بهم انخذلوا وفشلوا وحمل عليهم عسكر عماد الدين فكسرهم ومحقهم قتلاً واسراً وحصل لهم من الغنائم الشيء الكثير من الكُراع والسواد والاثاث وعاد عماد الدين الى حصن بعرين . وقد انهزم اليهِ ملكهم كند اياجور ومن يجامعه من مقدّمي الافرنج وهم على غاية من الضعف والخوف فنزل عليهم وحصرهم في الحصن المذكور ولم يزالوا على هذه الحال في المضايقة والمحاربة الى ان نفد ما عندهم من القوت فاكلوا خيلهم وتجمّع من بقي من الافرنج في بلادهم ومعاقلهم وانضموا الى ابن جوسلين وصاحب انطاكية واحتشدوا وساروا طالبين نُصرة المخذولين المحصورين في حصن بعرين وتخلّصهم ممّا هم فيهِ من الشدّة والخوف والهلاك فحين قربوا من عسكر اتابك وصح الخبر عنده بذاك اقتضت الحال ان أَمّنهم وعاهدهم على ما اقترحه عليهم من طاعته وقرّر عليهم خمسين الف دينار يحملونها اليهِ واطلقهم وتسلّم الحصن منهم وعاد من كان اجتمع لنصرتهم

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بان الامام (142) الخليفة الراشد بالله امير المؤمنين ابن المسترشد بالله كان قد فصل عن الموصل قاصداً الى مراغة وانهُ اجتمع بالسلطان داود بن محمود وجرى بينهما احاديث وتقريرات قرّرها كل واحد منهما مع الاخر (١ . ووردت الاخبار من ناحية الشمال بان الامير عماد الدين اتابك رحل في عسكره

---

١) قال الفارقي في تاريخه : وكان الراشد على طريقة ابيهِ وكان بايعهُ الناس في آخر سنة ٥٢٩ وكان شهماً شريف النفس ذا رأي وهمّة فلهذا انحرف السلطان من توليتهِ الخلافة . وقال ايضاً انهُ كان بعد قتل ابيه قد بايعهُ الناس واستبدّ واستقرّ ونفذ الى اتابك زنكي الى الموصل واستدعاه وضمن لهُ ان تكون السلطنة في الملك الب ارسلان ابن محمود الذي عند اتابك وتكون الاتابكيّة والخلافة بحكمهِ فنزل اتابك الى بغداد ونزل بالجانب الشرقي في احد دُور السلطنة وبقي الى ان وصله ان السلطان قد طلب بغداد فخيّم في الجانب الغربي . فلمّا قرب السلطان من بغداد ونزل قريباً من النهروان حقّق الراشد الحال وانهُ لا بدّ من تولية غيره فجمع الامراء باسرهم الذين كانوا في الدار من بني الخلفاء في سردابٍ وتقدّم بان يطبق السرداب

Marfat.com

عن حلب في يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضان من السنة ونزل على حمص وخيَّم بها وقاتلها ووصل اليهِ رسول متملّك الروم

ولقد حدّثني زين الدولة ابو القاسم عليّ بن الحاجب وكان هو حاجب البـاب هو وابوه وجدّه وكان بين يدي الراشد قال: لمّا جمع الراشد الامراء في السرداب استدعاني وقال: يا عليّ خُذ هذا السيف (وكان بيده سيف) وقال: احذر ان يسبق سيفي سيفك فاني اريد اخرج كل من في السرداب واقتل الجميع حتّى لا يبقى من يصلح للخلافة فان هؤلاء ربّما دخلوا وغيّروا ووأوا غيري. ثم امر بفتح السرداب والصاح جاءهُ فقال: ما الخبر. فقال: ان اتابك زنكي نهب الحريم الطاهر. (وطلب الموصل في ذي القعدة واماً السلطان فوصـل وعبر النهروان ولمّا حقّق اتابك نزول السلطـان بالنهروان انهزم) فرمى السيف من يده ودخل الى الدار واخذ معهُ من الجواهر ما لا يُعرَف لهُ قيمة واعطاني منهُ مثل ذلك وخرج. واخرج معـهُ قاضي القضاة الزينبي وكان قد استوزر جلال الدين ابا الرضا (ابن) صدقة فخرج وخرجنـا ولحق اتابك زنكي على طريق الموصل

قال السعيد مؤيّد الدين رحمهُ الله: فلمّا كان بكرة ذلك اليوم دخل السلطان بغداد ودخلنا معه فنزل في داره ونزلنا نحن في دورنا وكان دخولنا عاشر ذي القعـدة سنة ٥٣٠ فلمّا كان من الغد مضى الوزير الى دار السلطنة ونحن معهُ واستأذنهُ فيما يفعل فاخذ خطّهُ وخطوطنا بالضمان ثم عُدنا الى دُورنا واصبحنا يوم الاثنين سابع عشر ذي القعدة سنة ٥٣٠ وحضرنا عنـد الامير ابي عبد الله وتحدّث الوزير معهُ وتحدّثنا معهُ وشرط عليهِ القيام بامر الخلافة وطاعة السلطان واعلمناهُ «اننا قد ضمنا ذلك من السلطان جميع ما اقترحهُ عليك» فرضي بذلك وانفصلنـا عنهُ ومضينا الى السلطان واعلمناهُ ما جرى وانهُ رضي بما شرطتَ عليهِ فقال السلطان: اذا كان من الغد فبايعوهُ. فلمّا اصبحنا صعدنا الى الدار واخرجنا من الدار اشياء من آلات التي تصلح للغناء واشياء لا تليق وتهد جماعةٌ من اهل الدار انهُ شرب الخمر فافتى العلماء بخلعهِ واعتنق ذلك القاضي عماد الدين شرف القضاة ابو طاهر احمد ابن الكرخي المحتسب وكان قاضي اصحاب الشافعي رحمهُ الله واجتمع العلماء والاكابر فخلعوه

ودخل اليهِ الوزير وصاحب المخزن وانا وتحدّثنا وناولتُهُ رُقعةً فيها ما يسمّى بهِ من اللقب وكان فيها المقتفي لامر الله والمستضيء بامر الله والمستنجد بالله فقال: ذلك اليكم. فقال لي الخليفة: ما ترى. فقلت: المقتفي لامر الله. فقال: مبارك. ثم مدّ يدهُ فاخذها الوزير وقبّلها وقال: بايعتُ سيدنا ومولانا المقتفي لامر الله امير المؤمنين على كتاب الله وسُنّة رسول الله واجتهاده. ثم اخذها صاحب المخزن وقبّلها وبايعهُ على مثل ذلك ثم اخذتُ يده وقلتُ بعـد ان قبّلتها: بايعتُ سيدنا ومولانا الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين على ما بايعت عليهِ اباه واخاهُ وابن اخيـهِ في ولاية عهده. (وكنت بايعت الامام المستظهر بالله لمّا خدمتهُ في وكالة الدار سنة ٩٠ وبقيت الى سنة ٥٠٧ لمّا رُتّبتُ ديوان الانشاء وبايعت المسترشد والراشد) ثم قمنا من عنده ودخل الى الدار ودخل العلماء والفقهاء والقضاة واكابر الناس اجمع فبايعوه وحضر السلطان مسعود بعد ثلثة ايام وبايعهُ. وبايعهُ جميع اصحابه من خواجا والامير حاجب وجميع ارباب دولته واستبدّ لهُ الامر واستقرّ

Marfat.com

ووردت الاخبار من ناحية العراق بالتقاء عسكري السلطان مسعود واخيه (كذا) داود وان عسكر السلطان مسعود ظهر على عسكر السلطان داود وكسرهُ وقتل من مقدميه واجناده جماعةً وافرةً من السنة (كذا)

وفي سنة ٥٣١ تردَّدت المراسلات من الامير شجاع الدولة ابي الفوارس المسيَّب ابن علي بن الحسين الصوفي وجماعة المقيمين بصرخد وكتب الامير امين الدولة كمشتكين الاتابكي الوالي بصرخد الى الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك والى الامير شجاع الدولة بزواج والحاجب اسد الدين اكز في التماس الاذن لهم في العود الى دمشق والسؤال في اعادة ما قُبض من املاكهم اليهم واعادة كل مغصوب منها عليهم ولم تزل المراسلات في هذا الباب متناصرة والكُتُب في طلبه متواترة الى ان تقرَّرت الحال في ذلك والاجابة اليهِ على مُصالحةٍ معيّنةٍ مقسّطة برسم واجبات الاجناد يقومون بها في انجمُها المعيّنة واوقاتها المبيّنة تصلح الاحوال بتأدّيها وتتحقَّق الامال بتملكتها وان يُرَدّ امر الرئاسة في البلد الى الامير المقدّم ذكره وكُتب لهُ المنشور بالرئاسة ونُعت فيهِ مع اوصافه بالامير الرئيس الاجلّ مُؤيّد الدين ممهّد الاسلام مضافاً الى القابه ونعوته المتقدّمة وان يكون الرسم في الرئاسة جاريًا على العادة المستمرَّة والقاعدة المقيمة المستقرَّة في الجمايات والواجبات والرسوم الجاريات في دار الوكالة وسائر العِراض ونُفذت الكُتُب اليهم بالاجابة الى ما التمسوه والاسعاف بما اقترحوه والاذن لهم في العود الى البلد واثقين بما يُقدِمون عليه من حفظ الحُرمة وحراسة الحشمة والتطييب بالنفس وتأكيد (143r) الأُنس. فعند الوقوف على ما صدر اليهم من هذه الحال سُرَّت بهِ نفوسهم وابتهجت

في الخلافة

وقال المصنّف ايضاً: واما ما كان من الراشد فانهُ خرج مع اتابك زنكي في صفر سنة ٥٣١ الى الموصل ومعهُ قاضي القضاة الزينبي وجلال الدين ابو الرضا بن صدقة ابن اخي الوزير ابي علي وبقي عنده مدَّة فوصل معهُ الى باب نصيبين واقام اياماً ثم عاد الى الموصل وانفصل عن اتابك ومضى الى السلطان مسعود حتَّى يستأذنهُ ويمضي الى السلطان سنجر. وقيل قصد السلطان داود ودخل عليهِ حتى يردَّه الى الخلافة فلما قارب اصفهان خرج عليهِ قوم من الملاحدة ودخلوا عليه وقتلوه في شهر رمضان سنة ٥٣٢ وحُمل الى اصفهان ودُفن بها في مدينة شهرستان من اصفهان على فرسخ ويقال انها من ابنية ذي القرنين على ماء زندروذ على القنطرة وكانت خلافته من حيث بويع لهُ بعد قتل ابيهِ الى ان بويع للمقتفي احد عشر شهراً زائداً وناقصاً وقيل ان نفَّذ السلطان مَن قتله وجعل الاسم للملاحدة

بمعرفته قلوبهم وشرعوا في التأهُّب للعود بصدورٍ مُنشرحة وآمالٍ مُنفسحة وعادوا باسرهم وحين قربوا من البلد خرج كل من فيهِ من خاصّ وعامّ لتلقّيهم واظهار السرور والاستبشار بعودهم والاغتباط والابتهاج بمقدمهم ودخلوا البلد في العشر الاول من رجب من السنة المذكورة فاستقامت احوالهم على منهج السداد واستمرّت على قضيّة الايثار والمراد وأُعيد عليهم جميع ما اعتُرض لهم من ملكٍ وغيره واجروا على كل رسم جميلٍ واكرامٍ وتبجيل. فكم من شدّةٍ فرجها الله تعالى ذكرُهُ بعد اشتدادها وغُمّةٍ كشفها بلطفه بعد اظلامها

ربَّما تجزع النفوس من الامـ ـر لهُ فرجةٌ كحلّ العقالِ

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان مقدّم الارمن بهـا قام في حزبه على صاحبها الامام الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيـد وزحف اليهِ في قصره واتام عليهِ كالحاصر لهُ فعاد اكثر الجند عنهُ خوفاً وقتلاً فانخذل وانهزم. وقيـل ان السبب في ذلك كون اخ لمقدم الارمن في الصعيد وَرَدَ عليهِ خبر قتله فغلظ هذا الامر عليه وحمله على ما كان منهُ ثم انَّهُ تلطّف امره بحيث عُفي عنهُ ولزم داره خائفاً مروعاً

وفي رجب من السنة نهض الامير بزواج في العسكر ومن حشده وجمعه من التركمان الى ناحية طراباس في الرابع منهُ فظهر اليه صاحبها في خيله من الافرنج فكمن لهم في عدّة مواضع فلمّا حصلوا بالموضع المعروف بالكورة ظهرت عليهم الكمناء فهزموهم ووقع السيف في اكثرهم ولم يفلت منهم الّا اليسير وهجم على الحصن الذي هنـاك فنهبهُ وقتل من فيهِ من المقدّمين والاتباع واسر من بذل في نفسه المال الكثير وحصل لهُ ولعسكره القيمة الكثيرة

وفي شوال من السنة تقرّرت المهادنة والموادعة بين عماد الدين وبين شهاب الدين صاحب دمشق على قاعدة أُحكمت. وفي ذي الحجة منها ورد الخبر بعود متملك الروم في عسكره عن انطاكية الى ناحية بعرين من عملها في الثاني والعشرين منهُ (143ᵛ) وانفذ رسوله الى عماد الدين اتابك وظفر الامير سوار النائب عنه في حلب بسريّة وافرة العدد من عسكر الروم فقتل بعضاً واسر بعضاً ودخل بهم الى حلب

وورد الخبر بأن حسام الدين تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق ملك قلعـة الهتّاخ (١

---

١) وفي الاصل: الهياخ. وفي تاريخ الفارقي اخذها من الامير شمس الدولة عيسى بن احمد ابن نظام الدين بن مروان

Marfat.com

من بقيَّة آل مروان وما كان بقي في ايديهم غيرها بعد البلاد والمعاقل ملكها بحيلةٍ اعملها عليهم ومكيدةٍ نصبها لهم وهي على غايةٍ من الحصانة والمنعة

وفيها شرع اهل حلب في تحصينها وحَفْر خنادقها والتحصّن من الروم بها لقربهم منها . وورد الخبر بان عماد الدين اتابك عزل وزيره ابا المحاسن علي بن ابي طالب العجمي وقبض عليهِ واعتقله بسبب مال وافر وانكسر عليهِ من المعاملات ما عجز عن القيام بهِ والخلاص بتأديته وبقي معتقلًا في القلعة بحلب بسببه

سنة اثنتين وثلثين وخمسمائة

اوَّلها يوم الاثنين مستهلّ المحرَّم وهو العشرون من ايلول وفيهِ وصل الحاجب حسن الذي كان أُرسل الى متملّك الروم ومعه رسول الملك عماد الدين اتابك . وفي رابع عشر المحرَّم وصل اتابك في عسكره الى حماة ورحل عنها متوجّهًا الى ناحية البقاع فملك حصن المجدل من ايدي الدمشقيين ودخل في طاعته ابرهيم بن طرغت والي بانياس من عمل دمشق . وورد الخبر في صفر بان زلزلة عظيمة جاءت بالجزيرة واعمال الموصل وقيل انها اهلكت عدَّة مواضع من الارض وهلك فيها خلقٌ كثير وافر من اهلها . وفي اوائل شهر ربيع الاول من السنة وقيل ان رسول السلطان مسعود بن السلطان محمد ووصل الى الموصل بالتشريف الكامل لعماد الدين اتابك ووصلت كُتُب نصير الدين نائبه فيها يشرح حالها

وورد الخبر بان صاحب انطاكية قبض على بطركها الافرنجي ونهب داره وذكر ان السبب في ذلك ان ملك الروم لمَّا تقرَّر الصلح بينه وبين ريمند صاحب انطاكية شرط في جملة الشروط ان ينصب بانطاكية بتركًا (كذا) من قِبل الروم على ما جرى بمثله الرسم قديمًا ثم انتقض هذا الرسم فيما بعد وخرج ريمند صاحب انطاكية الى متملّك الروم وهو مخيَّم في (144ا) عسكره بمرج الديباج وقرَّر معهُ الهدنة والموادعة وعاد الى انطاكية . وفيها عاد عماد الدين اتابك عن دمشق الى حماة في شهر ربيع الآخر ونزل عليها ورحل عنها الى حمص فنزل عليها مُحاصرًا لها

وفي هذه السنة نقض الافرنج الهدنة المستقرَّة بين عماد الدين اتابك وبينهم واظهروا الشقاق والعناد وشرعوا في العيث والفساد بعد اصطناعهِ لمقدّميهم والكفّ عنهم حين

Marfat.com

اظهره الله عليهم وقبضوا بانطاكية وثغور الساحل جماعةً من تجّار المسلمين واهل حلب والسفّار تقدير خمسمائة رجل في جمادى الآخرة

وفيها شتّى السلطان مسعود ببغداد ووصل رسوله الى اتابك بحمص وشتّى ملك الروم بالثغو والدروب وخيّم ببرج الديباج. وفي يوم الاحد النصف من جمادى نهض الامير بزواج من دمشق في عسكره الى ناحية الافرنج وقد فسد امره مع شهاب الدين صاحب دمشق لعجرفيّةٍ فيهِ واقدام على استعمال الشرّ ونودي عليهِ بفساد امره وظهور غدره ومكره وكثرة جهله وتناهيه في سوء فعله واقام بظاهر البلد مدّةً وعاد امره انصلح ودخل البلد واقام فيهِ مستقيم الحال مُبلغًا غاية الامال فعمل عليهِ شهاب الدين وقتله بقلعة دمشق بايدي الشمسيّة في يوم الاثنين السادس من شعبان من السنة. والسبب في ذلك ان شهاب الدين كان قد نقم عليه امورًا انكرها واستوحش منهُ لاجلها وعبث بمال الارتفاع يمزقهُ في النفقات والاطلاقات فاعمل الحيلة في قتله وآنسه وطمّنهُ الى حين وجد الفرصة فيهِ متسهّلة وحصل عنده بقبّة الورد في داره بالقلعة وقد رتّب لهُ جماعةً من الارمن الشمسية اصحاب ركابه وقرّر معهم قتله فحين تمكّنوا منهُ بخاوةٍ من اصحابه قتلوهُ واخرجوهُ ملفوفًا في كساء الى المقبرة المبنية لزوجته فدُفن بها

وفي يوم الاحد السابع عشر من شعبان من السنة خلع شهاب الدين على الامير معين الدين أنز وقرّر لهُ امر الاسفهسلّاريّة وخوطب بالاتابكية وردّ امر الحجبة الى الامير الحاجب اسد الدين اكز وطيّب بنفسيهما وردّ التدبير والتقرير في سائر الاعمال وعامّة الاحوال اليهما

وفي هذا (144[٧]) الشهر وردت الاخبار من ناحية الشمال بنزول ملك الروم في عسكره على شيزر محاصرًا لها ومضايقًا عليها ونصب عليها عدّة من المناجيق واشتدّت الحرب بينهُ وبين اهلها وقتل فيها جماعة من المسلمين بحيث اشرفت على الهلاك مع مبالغة الامير عماد الدين اتابك في امدادها بالرجالة والسلاح وآلات الحرب وكونه بازاء الروم يجول بخيله على اطرافهم ويفتك بمن يظفر بهِ منهم ولم يزالوا على هذه القضيّة الى ان سئم المقام عليها ويئسوا من بلوغ الغرض فيها ولطف الله تعالى باهل الشام وتداركهم برحمته وورد خبرُ رحيلهم عن شيزر الى انطاكية واستبشر الناس برحيلهم وعودهم خاسرين غير ظافرين ومفلولين غير فائزين فلله تعالى الحمد على هذه النعمة دائمًا والشكر متواصلًا متتابعًا

Marfat.com

قد مضى من ذكر الروم فيما اعتمدوهُ في هذه الايام ما قد عُرف وُيذكَر بعد ذلك مبدأ احوالهم وخروجهم وافعالهم وذلك انهم ظهروا من ناحية مدينة البــلاط في يوم الخميس الكبير من صومهم ونزلوا غفلةً على حصن بزاعة بالوادي في يوم الاحد عندهم وغارت خيلهم على اطراف حلب في تاسع عشر رجب من السنــة واستأمن منهم الى حلب جماعةٌ من كافر تُرك وانذروا من بحلب بالروم فحذروا وضمُّوا اطرافهم وتحرَّزوا وتحفَّظوا واستعدُّوا وتيقَّظوا قبل الاغارة بليلةٍ وكان هذا الانذار من المستأمنة لطفاً من الله تعالى ورحمةً . وبعد هذا التحرُّز والاحتياط اشتمل الروم في عادتهم على جملةٍ وافرةٍ من اهل حلب وضواحيها وانفذ اهل حلب من اعيانهم من مضى الى عماد الدين اتابك مستصرخاً بهِ وهو مخيّم على حمص فانهض اليهم من امكنه من الخيالة والرجالة والناشبة والنبالة والعدد الوافرة وحصل الجميع في السابع وعشرين من رجب من السنة

ووردت الاخبار بتملُّك الروم المذكورين حصن بزاعة بعد حصره ومضايقته ومحاربته بالمنجنيقات في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب بالامان وغدر باهله بعد تسلّمه وأيمانهم وجمع من غدر بهم واحصاهم وقيل انهم كانوا خمسة الف وثمانمائة نفس وتنصَّر قاضي بزاعة وجماعة من الشهود (145ᵀ) وغيرهم تقدير اربعمائة نفس واقام الملك بعد ذلك بمكانه عشرة ايام يُدخّن على مغارات اختفى فيها جماعة فملكوا بالدخان

وفي يوم الاربعاء الخامس من شعبان نزل الروم ارض الناعورة ورحلوا عنها في يوم الخميس ثامنه واجتازوا بحلب ومعهم عسكر انطاكية ومقدّمهم ريمنــد صاحبها وابن جوسلين فنزلوا على حلب ونصبوا خيامهم على نهر قُويق وارض السعدي . وزحف الملك من غدهِ في خيله ورجله من قبلي حلب وغربيها من ناحية قُرنة بُرج الغنم وخرج اليها فرقة وافرة من احداث حلب فقاتلتهم وظفرت عليهم فقُتلوا فيهم وجرحوا وأُصيب من الروم مقدّمٌ مذكورٌ وانكفُّوا خائبين الى مخيّمهم واقاموا على حلب اياماً قلائل ورحلوا عنها غداة يوم الاربعاء ثامن شعبان مقتبلين الى ارض صلدع وخاف من بقلعــة الاثارب فهربوا منها في يوم الخميس تاسع شعبان وطرحوا النــار في خزائنها وعرف الروم ذلك فنهضت منهم طائفة الى القلعة ونزلت عليها وملكتها وحازوا ما فيها والجأوا السبايا والاسرى الذين في ايديهم من حصن بزاعة الى ربض الاثارب وخنــدقها بحيث عرف الامير سوار النائب بحلب ذاك وانعزال الروم عنهــا نهض في عسكر حلب وادركهم بالاثارب فاوقع بهم وقهرهم واستخلص المأسورين والمسبيين الّا

اليسير منهم وذلك في يوم السبت الحادى عشر من شعبان وسُرَّ اهل حلب بهذه النوبة سروراً عظيماً

وفي يوم الخميس التاسع من الشهر رحل عماد الدين اتابك عن حماة الى سلميَّة وسيَّر ثقله الى الرقَّة وبقي في خيله جريدة مُخفَّفة . وفي يوم الاثنين رحل ملك الروم عن بلد المعرَّة فهرب من كان مقيماً في كفرطاب من الجند خوفاً على نفوسهم . وتناصرت الاخبار بعبور عسكر التركمان الفُرات مع ولد الامير داود بن ارتق الى ناحية حلب للغزو في الروم ونزلوا بمجمع المروج ونهض فريق وافر من عسكر دمشق للغُزاة ايضاً في خدمة عماد الدين اتابك وكان سبب رحيل الروم عن شيزر ما انتهى اليهم من وصول التركمان وتجمُّع العساكر خاسرين وكان مدَّة اقامتهم عليها ثلثة وعشرين يوماً ووصول ملك الروم الى انطاكية في عوده يوم الاحد (145ظ) الثامن من شهر رمضان من السنة وتواصلت الاخبار باتمام الروم في رحيلهم الى بلادهم وسكنت القلوب بعد انزعاجها وقلقها منهم ووجلها

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري بها في يوم السبت السادس عشر من شهر رمضان من السنة وحُمل الى مشهد صفين ودُفن بهِ وكان صاحب عزيمةٍ ماضية وهمَّةٍ نافذة ويقظةٍ ثاقبة (١ . وفي هذه السنة توفي القاضي الاعز ابو الفتح محمد بن هبة الله بن خلف التميمي رحمه الله في ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان وكان من المتخصصين ذوي المروءة وكرم النفس

وفي هذه السنة تردَّدت المراسلات من الامير عماد الدين اتابك الى الامير شهاب الدين في التماس انعقاد الوصلة بينهُ وبين والدته الخاتون صفوة الملك زمرُّد ابنة الامير جاولى الى ان اجيب الى ذلك واستقرَّ الامر فيه وندب من دمشق من تولَّى لها العقد في مخيَّمه بحمص في يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان من السنة وتقرَّرت الحال على تسليم حمص اليهِ فتسلَّمها مع القلعة وعوَّض عنها لواليها الامير معين الدين أُنر حصن بعرين (٢ وتوجَّهت الخاتون صفوة الملك والدة شهاب الدين من دارها الى عسكر عماد

---

١) قال الفارقي في تاريخه : انهُ مات بالرقَّة ودفن بها وولي ولده نجم الدين قضاء القضاة

٢) وقال ايضاً ان في هذه السنة تسلَّم زنكي حمص وقتل قرخان صاحبها . وقال سبط ابن الجوزي في تزوج اتابك زنكي بالخاتون انهُ كان قد طلبها في السنة الماضية فامتنع براوش (بزاوج)

الدين اتابك بناحية حمص وحماة مع اصحاب عماد الدين المندوبين لايصالها اليهِ في اواخر شهر رمضان منها

ووردت الاخبار من ناحيـــة العراق بان الامام الراشد بالله امير المؤمنين كان قد فصل عن الموصل وتوجَّه الى ناحية الجبل فقضى الله تعالى للقدر النازل والحكم النافذ استشهاده على باب اصفهان بامرٍ قُرّر لهُ وعملٍ عُمل عليه فصـــار الى رحمة ربّه سعيدًا مأجورًا شهيدًا في يوم الثلثاء السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة فكانت خلافته الى ان استشهد سنتين وعشرة اشهر

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة الامير طغان (ارسلان الاحدب) بن حسام الدولة ببدليس وانتصب في مكانه ولده الامير قرتي بن طغان ارسلان واستقام لهُ الامر وحُكي عنهُ حكايات في الظلم والتعجرُف والتجبّر والجور تُنكرها النفوس وتنفِر من سماعها القلوب (١

سنة ثلث وثلثين وخمسمائة

(146) اول هذه السنة يوم الجمعة بالروثيا مستهل المحرَّم وفيهِ اجتمع الامير عماد الدين اتابك بالخاتون صفوة الملك والدة الامير شهاب الدين بظـاهر حمص وقد اجتمع عنده جماعة وافرة من رُسل الخليفة والسلطان ومصر والروم ودمشق وغـير ذلك. وفي

فقال: وما السبب في انتا تزيل دولة مولانا بايدينا؟ فلما قُتل راسل اتابك زنكي في هذا المعنى وهو مقيم على حمص فأُجيب وعقد العقد

١) وقال الفارقي في تاريخه: ان في سنة ٥٣٣ وصل الى ميافارقين حسام الدولة قرتي ابن الاحدب صاحب ارزن. وقال ايضاً: ان في سنة ٥٤٣ حضر الوزير من عنـد الامير فخر الدين دولت شاه بن طغان ارسلان صاحب ارزن وبدليس وعقد على نورة خاتون بنت السعيد [illegible] الدين (تمرتاش) على خمسين الف دينار. وان في سنة ٥٣٨ كان مات حسام الدولة قرا [illegible] بارزن ووَلي الامارة اخوه شمس الدين ياقوت ارسلان الى سنة ٥٤٠ ونفذ اخ[illegible] الى خدمة اتابك زنكي لما عبر واخذ بلاد الامير داود بعد موته. وكان موته في سنة ٥٣٩ بحاني وكان ملك بعده ولده الأمير فخر الدين قرا ارسلان حصن كيفـا وخربيت (خرتبرت) وبالو وملك ولده ارسلان تغمش قلعة منازجرد. ثم مات ياقوت ارسلان يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة ٥٤٠ وسار ضياء الدين ايوب (الوزير) وكان زوَّج امه الى معسكر اتابك فاخذه وعاد به الى ارزن وملك البلاد واستبدّ بالامارة وملك جميع ولاية ابيه واخيه

هذا الشهر غارت الافرنج على ناحية بانياس ونهض شهاب الدين في العسكر في اثرهم فلم يُدركهم وعاد الى البلد

وفي يوم الثلثاء الرابع من صفر جاءت في دمشق زلزلة هائلة بعد الظهر اهتزَّت بها الارض ثلث مرَّاتٍ وتلاها في ليلة الجمعة وقت عشاء الاخرة ثانية اهتزَّت بها الارض عدَّة مرَّات . وفي ليلة الاثنين التاسع عشر من صفر عادت الزلزلة في الثلث منهـا ثلث مرَّات فتبارك رب هذه القدرة الباهرة والآية الظاهرة وعادت في ليلة الاربعاء يتلوها في الربع الاخير من ليلة الجمعة وتناصرت الاخبار من الثقات السفار والواردين من ناحية الشمال بصفة هذه الرجفات المذكورات وانها كانت في حلب وما والاها من البـلاد والمعاقل والاعمال اشد ما يكون بحيث انهدم في حلب الكثير من الدور وتشعَّث السور واضطربت جدران القلعة وظهر اهـل حلب من دورهم الى ظاهره من خوفهم على نفوسهم ويقول المُكثر من الحاكي ان الزلزلة جاءت تقدير مائة مرَّةٍ وقوم يحقّقون انها ثمانون مرَّةً والله اعلم بالغيب والصواب تبارك الله ربّ العالمين القادر على كل شيء

وفي يوم السبت السابع عشر من شعبان الموافق للتاسع من نيسان جاء رعدٌ هائل مختلفٌ من عدَّة جهات وبرقٌ زائدٌ وجلبـات هائلة قبل الظهر ثم جاء مع ذلك مطر شديد الوقع وبرَد هائل حكي بعض الثقات انهُ وزن واحدةً من كبار البَرَد فكان وزنها في ناحية الغوطة والمرج ثمانية دراهم وكان آخرون وزنوا واحدةً فكانت سبعـة عشر درهمًا وقتل كثيرًا من الطير واتلف كثيرًا من الطير والزرع والثمار

وفي يوم الاربعاء النصف من شوال وردت الاخبار من ناحية مصر بالحادثة الكائنة بمصر بين الاجناد بها بحيث قتـل بينهم من الفريقين الخلق الكثير من الخيَّالة والرجالة وعلى مُضي ستّ ساعاتٍ من (146[٧]) نهار يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شوال جاءت رجفةٌ هائلة ارتاعت لها القلوب ورجفت بهِ الصدور

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوال من السنة في غداته ظهرت الحادثة المدبّرة على الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بن ظهير الدين اتابك وقتله في فراشه وهو في نومه في ليلة الجمعة المذكورة بيد غلمانه الملاعين البغش الارمني الذي اصطنعهُ وقرَّبه اليه واعتمد في اشغاله عليه ويوسف الخادم الذي وثق بهِ في نومه لديه والخركاوي الفرَّاش الراقد حواليه ووقوع الزحف عند اشتهار هذا الخبر الى كاتبه النفيس ابي طالب عقيل بن حيدرة مستوفي ديوان المعاملات وقتله في الطريق عنـد اخذه من الدار التي

لجأ اليها واختفى عند هروبه فيها . وكان هؤلاء الثلثة النفر الجُناة الملاعين يبيتون حول سريره فلمَّا قرَّ معهم هـذا الامر رقدوا في اماكنهم على جاري عادتهم فلما انتصف الليل وتحققوا نومه وثبوا عليه فقتلوه في فراشه على سريره وصاح فرَّاش اخر كان معهم فقتلوه ايضاً ودبَّروا امرهم بينهم واخفوا سرَّهم بحيث خرجوا من القلعـة وظهر الامر وطُلب البغش لعنه الله فهرب ونُهب بيته ومُسك الاخران فصُلبا على سور باب الجابية. وكُتب الى الامير جمال الدين محمد بن تاج الملوك اخيه صاحب بعلبـك بصورة الحال فبادر بالوصول الى دمشق في اسرع وقتٍ واقرب اوانٍ فجلس في منصبه وعُقد الامر لهُ واستحلف الامراء والمقدّمين والاعيان على الطاعة والمناصحة في خدمته فتقرَّرت الحال وسكنت الدهماء وظهرت الكائنة وانكشفت الغمَّاء

وحين انتهى (الخبر) الى الخاتون صفوة الملك والدة الامير شهاب الدين رحمه الله قلقت وانزعجت وحزنت عليه واسفت واكبرت هـذا الامر وحدوث مثله على ولدها وراسلت الامير عماد الدين اتابك وهو بناحية الموصل مُعلمةً لهُ بصورة الحال وباعثـةً لهمَّتهِ على النهوض لطلب الثأر من غير تلوُّم ولا اغفال فحين وقف على الخبر امتعض لهُ اشدّ الامتعاض ولم يكن باستمرار مثله بالراضي وصرف الاهتمام الى التاهب لما حرصته عليه واشارت اليه والاستعداد لهُ والاحتشاد لقصده وثني أَعنَّـة (147) الاعتزام الى ناحية الشام مُجدًّا في قصد دمشق لبُلُوغ كل مطلبٍ ينحوه ومَرَامٍ وتناصرت الاخبار بهذه العزيمة الى دمشق فوقع الاحتياط والتحرُّز من جانبه والاستعداد ثم تلى ذلك ورود الخبر بنزوله على بعلبك في يوم الخميس العشرين من ذي الحجة من السنة في عسكر كثيف وجمّ غفير. وقد كانت قبل نزوله عليها قد شُحنت بالرجال المقاتلة والعُدَد الكاملة ورُدّ امر الولاية فيها الى معين الدين أُنُر وقد تمكنت حالتـه وارتفعت رتبته ونفذت اوامره في الدولة وامثلتهُ فنصب عليها عدّة من المناجيق وواصل المحاربة لاهلها وبالغ في المضايقة لها وقيل ان عدّة المنجنيقات المنصوبة عليها اربعـة عشر منجنيقاً يرمي عليها بالنوبة ليلاً ونهاراً بحيث اشرف من بها على الهلاك . ولم تزل هـذه حالها الى ان ورد الخبر بافتتاحها بالامان لشدَّة ما نزل باهلها من البلاء والمضايقة والنقوب وبقيت القُلعة وفيها جماعة من شجعان الاتراك المندوبين لحمايتها والذبّ عنها فلما أيسوا من معين يأتيهم من المعين ووصول من ينقذهم من البلاء المحيط سلَّموها الى عماد الدين اتابك بعـد اخذ امانهِ والتوثّق منـه . فلمَّا حصلت في ملكته نكث عهده ونقض امانه لحنق

اسرّه وغيظ على من كان فيهـا اكنَّةُ فامر بصلبهم ولم يفلت منهم الّا من حماه اجله فاستبشع الناس ذلك من فعله واستبدعوه من نكثه . وقد كان الخبر ورد قبل ذلك بافتتاح عماد الدين اتابك قلعة الاثارب في يوم الجمعة اوّل صفر من السنة المقدَّم ذكرها. ووردت الاخبار بان رجفةً عظيمة حدثت في الشام بعد ما تقدَّم ذكره في ليلة الجمعـة الثامن من صفر منها

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بان الامير الافضـل رضوان بن ولخشى صاحب الامر بمصر خرج منها لامر خاف معهُ من صاحبه الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين ووصل الى صرخد وان امين الدولة كمشتكين الاتابكي واليها تلقّاهُ بالاكرام ومزيد الاعظام والاحترام واقام في ضيافته وكرامته مدّة ثم عاد من عنده طالبًا لمصر لامرٍ كان دبّره وسببٍ قرّرهُ فلمّا وصل اليها فسد ذلك التدبير عليهِ ولم ينل ما كان صرف همّه اليه فاعتقل في القصر مكرمًا ومُبجّلًا محترمًا

(147) وفيها توفّي النقيب الامام جمال الاسلام ابو الحسن علي بن محمد (١ بن الفتح السُلمي الشافعي متولّي المدرسة الامامية في يوم الاربعـاء الثالث عشر من ذي القعدة منها وهو ساجدٌ في صلاة الغداة رحمه الله وكان مشهورًا بوفور العلم في التفقّـه وقوّة الفرائض والوعظ والدين والامانة بحيث وقع التألّم لفقـده وافتُقر الى مثله من بعده

سنة اربع وثلثين وخمسمائة

اول هذه السنة المباركة يوم الثلثاء بالرؤية مستهلّ المحرَّم . وفيهِ ورد الخبر بفراغ عماد الدين اتابك من ترتيب امر بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعَّث منها وشروعه في التأهّب للنزول على مدينة دمشق لمضايقتها وورد عقيب ذلك الخبر برحيله عنها في العسكر ونزوله في البقاع في شهر ربيع الاول منها وانفـذ رسوله الى الامير جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن اتابك صاحبها في التماس تسليم البلد اليه ويعوض عنه بما يقع الاختيـار والاقتراح عليه فلم يُجب الى ما رُغب فيه فرحل عن البقاع ونزل على داريّا ظاهر دمشق

---

١) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي « ابن المسلم » مدرّس الغزالية والامينية واوّل ما دُرّس بمدرسة امين الدولة سنة ٥١٤

Marfat.com

في يوم الاربعاء ثالث عشر ربيع الاخر منها . وكان عند نزوله على داريا قد التقت الطلائع فظفر بجماعة وانهزم الباقون الى البلد وزحف بعد ذلك الى البلد في عسكر من ناحيـة المصلّى في يوم الجمعة الثامن وعشرين من شهر ربيع الاخر من السنة فظفر بجماعة وافرة من احداث البلد والغوطة واطلق السيف فيهم فمنهم من مضى قتيلًا واسيرًا ومنهم من عاد الى البلد سالمًا وجريحًا واشرف البلد في هذا اليوم على الهلاك لولا لطف الله تعـالى وعاد الى مخيّمه بمن اسر بعد من قتـل وامسك اياماً عن الحرب (١ . وتابع المراسلة والتلطُّف في تسليم البلد واخذ العوض عنه بعلبـك وحمص وما يقترح معهما فاثر جمال الدين محمد بن تاج الملوك الدخول في هذا الامر لما فيـه من الصلاح وحقن الدماء وعمارة الاعمال وسكون الدهماء واباءة غيره عند الاستشارة فيه وجعل يزحف بعسكره في ايام متفرّقة بحيث لم يصدق في القتال ولا بالغ في التضييق والنزال اشفاقًا من سفك الدماء كالكافّ المسالم والمتأنّي في الوقائع والمغانم . وابتدأ بجمال الدين (148) محمد ابن تاج الملوك مرضٌ اتّصل بهِ في جمادى الاولى من السنة فصار يخفّ تارةً ويثقـل ويمضي ويعود ويقلّ ويزيد الى ان اشتدّ بهِ اشتدادًا وقع اليأس معه منـه ولم يكن لهُ فيهِ طبٌّ ولا راقٍ ولم يزل على هذه الحال الى ان قضى محتوم نحبه وصار الى رحمة ربّه في ليلة الجمعة الثامن من شعبان منهـا في الوقت الذي اصيب فيه اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك رحمهما الله فعجب الناس من ذلك واتّفاق الوقت والساعة وسبّحوا الله وقدّسوه وجُهّز ودُفن في تربة جدّته بالفراديس

فاجتمع رأي المقدّمين واصحاب الامر من بعده على سدّ ثلمة فقده بنصب ولده الامير عضب الدولة ابي سعيـد اَبق بن جمال الدين محمد في مكانه واخذت لهُ بذلك العهود المؤكدة بالايمان المشدّدة على الاخلاص في الطاعة والصـدق في الخدمة والمناصحة فاستقام الامر وصلح التدبير وزال الخُلف وسكنت الامور بعد اضطرابهـا وقرّت النفوس بعد استيحاشها . وحين عرف عماد الدين اتابك هذه القضيـة زحف في عسكره الى البلد طامعاً في خُلف يجري بين المقدّمين بوفاته فينال بهِ بعض طلباته فكان الامر بالضدّ ممّا أمّل والحال بالعكس فيما ظنّ ولم يصادف من اجناد دمشق واحداثها الّا الثبات على القراع والصبر على المناوشة والمصاع فعاد منكفئًا الى عسكره وقد ضعفت

---

١) قال الفارقي : ان في هذه السنة ملك اتابك زنكي قلعة بعلبك ونزل على دمشق وحاصرها مدّةً ثم سلّموا اليهِ قلعة بُصرى

Marfat.com

نفسه وضاق لهذا الامر صدره . وقد كان تقرَّر الامر مع الافرنج على الاتّفاق والاعتضاد والمؤازرة والاسعاد والامتزاج في دفعه والاختلاط في صدّه عن مراده ومنعه ووقعت المعاهدة على ذلك بالأيمان المؤكدة والضمان للوفاء بما بذلوهُ والتمسوا على ذلك مالًا مُعيّنًا يُحمل اليهم ليكون عونًا لهم على ما يحاولونه وقوّةً ورهائنا تسكن بها نفوسهم واجيبوا الى ذلك وحُمل اليهم المال والرهائن من اقارب المقدّمين وشرعوا في التأهُّب للانجاد والاستعداد للموازرة والاسعاد وكاتب بعضهم بعضًا بالبعث على الاجتماع من سائر المعاقل والبلاد على ابعاد اتابك وصدّه عن نيل الارب من دمشق والمراد قبل استفحال امره واعضال خطبه وقوّة شوكته واستظهاره على عُصَب الافرنج وقصد بلادهم

فحين تيقَّن صورة الحال في هذا العزم (148ᵛ) وتجمّعهم لقصده مع عسكر دمشق رحل عن منزله بدارَيا في يوم الاحد الخامس من شهر رمضان طالبًا ناحية حوران للقاء الافرنج ان قربوا منه وطلبهم ان بعدوا عنه واقام على هذا الاعتزام مُدّةً ثم عاد الى ناحية غوطة دمشق ونزل بعذراء يوم الاربعاء لستّ بقين من شوال فاحرق عدّة ضياع من المرج والغوطة الى حَرَسْتا التين ورحل يوم السبت تاليه متشاملًا حين تحقَّق نزول الافرنج بالمدان في جموعهم . وكان الشرط مع الافرنج ان يكون في جملة المبذول لهم انتزاع ثغر بانياس من يد ابرهيم بن طرغت وتسليمها اليهم فاتّفق ان ابرهيم بن طرغت واليه كان قد نهض من اصحابه الى ناحية صور للاغارة عليها فصادفه ريمند صاحب انطاكية في قصده واصلًا الى اسعاد الافرنج على انجاد اهل دمشق فالتقيا فكسره وقُتل في الوقعة ومعه نفرٌ يسير من اصحابه وعاد من بقي منهم الى بانياس فتحصّنوا بها وجمعوا اليها رجال وادي التيم وغيرهم ومن امكن جمعه من الرجال للذبّ عنها والمراماة دونها فنهض اليها الامير معين الدين في عسكر دمشق ونزل عليها ولم يزل محاربا بالمنجنيقات ومضايقًا لها بانواع المحاربات ومعه فريقٌ وافر من عسكر الافرنج عامة شوال

وورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك قد نزل على بعلبك وانفذ يستدعي التركمان من مَطانهم (كذا) في شوال لقصد بانياس ودفع المنازلين لها عنها ولم تزل الجالية جارية على هذه القضية الى آخر ذي الحجة من السنة

ووردت الاخبار من ناحية مصر بان الافضل بن وخشي لمّا فصل عن صرخد ووصل

Marfat.com

الى ظاهر مصر ان الاتراك الذين انضمُّوا اليه عمــلوا عليه وغدروا بهِ وانتهبوا ما كان معه من كراع وسواد فحين وجدوا منهُ الغرَّة والغفــلة لم يبقوا على شيء مما صحبه وتفرَّقت عنهُ اصحابه ورجاله وبقي فريدًا فحصل في ايدي الحافظيَّــة اسيرًا ووُكل بهِ من يحفظه ويحتاط عليه وهذا الافضل المقدّم موصوفٌ بالشجاعة والفروسيَّة وعلو الهمَّة ومضاء العزمة والبسالة وحسن السياسة وذكاء الحسّ ولكن المقــادير لا تغالب والاقضية لا تُدافَع والله يفعل ما يشاء ويختار . ولم تزل بانياس على حالها في المضايقة والمحاصرة الى ان نفدت منها الميرة وقلّ قوت المقاتلة فسُلّمت (149ᵀ) الى معين الدين وعُوض عنها الوالي الذي كان بها بما ارضاه من الاقطاع والاحسان وسلَّمها الى الافرنج ووفى لهم بالشرط ورحل عنهــا منكفئًا الى دمشق ظافرًا باملهِ خامدًا لعمله في اواخر شهر شوال

وفي صبيحة يوم السبت السابع من ذي القعدة من السنة حصل عماد الدين اتابك بعسكره جريدةً بظاهر دمشق ووصل المصلَّى وقرب من سور البــلد ولم يشعر بهِ احد لكون الناس في اعقاب نومهم فلما تبلَّج الصباح وعُرف خبره علت الجلبــة والصياح ونفر الناس واجتمعوا الى الاسوار وفتح الباب وخرجت الخيل والرجالة وكان قد فرق عسكره الى حوران والغوطة والمرج وسائر الاطراف للغارة ووقف هو في خواصه بازاء عسكر دمشق بحيث لا يمكن احدًا من اصحابه في اتباع احدٍ من خيله المغيرة ونشبت الحرب بينه وبين عسكر دمشق وخرج من الفريقين جملة وافرة واحجم عنهم لاشتغــاله بمن بثه من سراياه في الغــارات وحصل في ايديهم من خيول الجشار والاغنــام والاحمال والابقار والاثاث ما لا يُحصى كثرةً لانهم جاءوا على غفلةٍ وغرَّة ونزل من يومه بمرج راهط الى ان اجتمعت الرجال والغنائم وسار عائدًا على الطريق الشماليــة بالغنائم الدثرة المتناهية في الكثرة

ووردت الاخبار من ناحية بغداد بعزل الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي عن وزارة الامام المقتفي بامر الله وتقليدها الوزير نظام الدين ابن جهير

سنة خمس وثلثين وخمسمائة

في شهر رمضان منها ورد الخبر بظهور عسكريَّة عسقلان على خيل الافرنج الغائرين عليها وقتل جماعة منهم وعودهم مفلولين خاسرين . وفيها ورد الخبر من ناحيــة الشمال

بتملّك الباطنية حصن مصياث بحيلة دُبّرت عليهِ ومكيدةٍ نُصبت لهُ. وفيها توفّي البدليسي (١ امام المسجد الجامع بدمشق في ثالث ذي الحجة منها رحمه الله وكان حسن الطريقة قليل التبذّل جيّد الحفظ والقراءة والتصوُّن ووقع الاختيار على الشيخ الامام ابي محمد بن طاووس في اقامته مكانه لما فيه من حسن الطريقة والتصوّن والتديّن والقيام بقراءة السبعة المشهورة (٢

(149^v) سنة ست وثلثين وخمسمائة

فيها ورد الخبر من ناحية الشمال باغارة الامير لجه التركي النازح عن دمشق الى خدمة الامير عماد الدين اتابك على بلد الافرنج وظفره بخيلهم وفتكه بهم بحيث ذُكر ان عدّة المقتولين منهم تقدير سبعمائة رجل. وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بايقاع عسكر السلطان غياث الدنيا والدين ركن الاسلام والمسلمين مسعود بن محمد بجملة بني

---

١) هو اسماعيل بن فضائل بن سعيد وقال فيهِ سبط ابن الجوزي: ذكره الحافظ ابن عساكر وقال: اقام اماماً بجامع دمشق نيفاً وثلثين سنة يؤمُّ الناس ويتلو القرآن فظهر عليه شيء من اعتقاده من ميله الى السنة فعزل عن الامامة في رمضان سنة ٥٢٨ وبُعث مكانه ابو محمد طاووس وجرى في ذلك مرافعات وتعصّبات فاستقرّ الامر على ان لا يبقى في الجامع من يصلّي اماماً غير امام الشافعية والحنفية لا غير وبطلت امامة المالكية والحنابلة

٢) قال الفارقي في تاريخه: وكان بميافارقين شرف الدين جيشي والحاجب يوسف ينال في الولاية فدبّر جيشي امر العسكر والبلد وساس الناس وبقي الامر كذلك الى اخر سنة ٥٣٥ .... ونفّذ اتابك زنكي الى حسام الدين (تمرتاش) يقول: ان كان رسول يصلني منك ويصالك مني لا يصحوك ولا يصحوني فان اردت انفاذنا فنفّذ الى جيشي. فنفّذه اليهِ ومعهُ جماعة. فلمّا لقوه انزلهم وبقي ثلثة ايام ثم ولّي شرف الدين جيشي الاستيفاء وخلع عليهِ الجبّة الاطلس والبرّكان بالذهب العراقي والفرس بالمركب وعادت الامراء الذين مضوا معهُ. ثم انهُ تضمّن للاتابك زنكي اخذ البلاد وقاطعهُ في ذلك فقال (فقال لي مَن قد حلف لي): ومتى وصلنا الى البلاد سلّمتُها اليك. وفي سنة ٥٣٧ صمد اتابك زنكي الى ديار بكر ودخل الى ولاية الامير يعقوب ابن السبع الأحمر فقصد حيزان والمعدن وابرزوَن وفطليس واخذ جميع ولايته وكُنتُ في هذه السنة بالموصل مدّة شهرين. وفي سنة ٥٣٨ قصد اتابك زنكي البلاد ووصل الى ماردين ودخل الى تلّ بسمى على انهُ يدخل الى ولاية آمد وميافارقين وكان قد ملك حاني واسعرد وجبل جور وذي القرنين وجميع تلك الولاية اخذها بعد صلح بالامير داود ونزل في الزيتون الذي في تل بسمى. فلمّا كان بعض الليالي دخل الى جيشي الى خيمته مؤمّل الشاقصي ومحمد بن ابي المكارم الحلبي وضرباهُ بالسيوف واخذا رأسهُ وسارا بهِ الى السعيد حسام الدين ووقع الصيحة واختبط العسكر واصبح اتابك من غدوةٍ فرحل وعاد الى نصيبين

Marfat.com

خفاجة ونهبها وقتل من ظفر بهِ لكثرة فسادهم وتزايُد عنادهم واخافتهم السابلة واخذهم كل رُفقةٍ من التجّار الصادرة والقافلة وعوده الى بغداد ظافرًا غانمًا

وفيها توفّي النقيب الامام ابو القسم عبد الوهّاب بن عبد الواحد الحنبلي رحمه الله في..... بمرضٍ حادٍّ عرض لهُ فاضعفه وقضى فيه نحبه وكان على الطريقة المرضيّة والخلال الرضيّة ووفور العلم وحسن الوعظ وقوّة الدين والتنزّه مما يقدح في افعال غيره من المتفقّهين وكان يوم دفنه يومًا مشهورًا من كثرة المشيّعين لهُ والباكين حوله والمؤبنين لافعاله والمتأسفين عليهِ

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بالوقعة الهائلة بين السلطان المعظّم ناصر لدين الله (كذا) سنجر بن ملك شاه سلطان الشرق وبين كافر ترك الواصل من ناحية الصين عند ما وراء النهر وكان في عسكر لا يحصى عددًا وقصده السلطان سنجر في عسكر يُناهزه والتقى الجمعان فظهر عسكر كافر ترك على عسكر السلطان سنجر فكسره وهزمه وقتل اكثره الّا اليسير ممّن حماه اجله واشتمل على ما حواه من الاموال والحرم والكراع والسواد وهو شيء لا يحيط بهِ وصفٌ فيوصف ويحصر ولا يدركهُ نعتٌ فيُذكر وعاد السلطان منهزمًا الى بلخ (١

وفيها ورد الخبر بوفاة ضياء الدين ابي سعيد بن الكفرتوثي وزير الامير عماد الدين اتابك في خامس شعبان وكان على ما حُكي عنهُ حسن الطريقة جميل الفعل كريم النفس مرضي السياسة مشهور النفاسة والرئاسة. وفيها ورد الخبر بوفاة الامير سعد الدولة صاحب آمد وجلوس ولده محمود (٢ في منصبه من بعده (150) فانتظم لهُ الامر من بعد فقده (٣. وفيها ورد الخبر بوفاة الامير ولد الدانشمند رحمه الله وانتصاب ولده في

---

١) وقال فيهِ سبط ابن الجوزي: اخذ الله المسترشد بالثار واحلّ بهِ الهلاك والبوار

١) وفي الاصل: محمد

٣) قال الفارقي في تاريخه: وفي منتصف جمادى الاولى من هذه السنة مات الامير سعد الدولة ايكلدي ابن ابرهيم صاحب آمد وكان مؤيّد الدين ابن نيسان متولّي آمد فرتّب ولده شمس الملوك محمود فى الامارة وقرّرها وكانت أُمه يمني خاتون بنت نجم الدين ايلغازي وكان حسام الدين خاله وكنتُ في هذه السنة بآمد وكنت في صحبة والدي رحمه الله

وقال ايضاً ان في سنة ٥٤٢ وصل عزّ الدولة ابو نصر بن نيسان الى ميافارقين وعقد على صفيّة خاتون بنت السعيد حسام الدين لجمال الدين شمس الملوك محمود بن ايكلدي صاحب آمد على خمسين الف دينار

Marfat.com

منصبه من بعده واستقام لهُ الامر . وفيها توفّي الشيخ ابو محمد بن طاووس امام المسجد الجامع بدمشق في يوم الجمعة سابع عشر من المحرّم من السنة

سنة سبع وثلثين وخمسمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية مصر بعظم الوباء في الاسكندريّة والديار المصريّة بحيث هلك هناك الخلق العظيم والجم الغفير . وفي يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الاول تُوُفّي القاضي بهجة الملك ابو طالب علي بن عبد الرحمن بن ابي عقيل بمرض صعب كان فيهِ قضاء نحبه وانتقاله الى رحمة ربّه وهو من جلالة القدر وجميل الذكر على الطريقة المرضية المشهورة والسجية المستحسنة المشكورة

وفيها ورد الخبر بظهور صاحب انطاكية الى ناحية بزاعة وان الامير سوار النائب في حفظ حلب ثناه عنها وحال بينهُ وبينها . وفيهـا وردت الاخبار بظهور متملّك الروم الى الثغور دفعةً ثانيةً بعد اوله وبرز اليهِ صاحب انطاكيـة وخدمه واصلح امره معه وطيّب نفسه وعاد عنهُ الى انطاكية

وقال ايضاً : وكانت في سنة ٥٤٤ ماتت صفيّة خاتون بآمد وفي اوّل سنة ٤٦ خرج السعيد حسام الدين ونازل آمد وطالبهم بصداق صفيّـة خاتون و بقي مدّةً ورحل عن آمد الى ماردين و بقي اياماً . ونفّذ ابن نيسان رجلين فاقاما بقلعة ماردين يعملان بالفاعل اياماً ثم ان الوزير زين الدين ركب ذات يوم وصعد الى القلعة فجاز في موضع ضيق فخرج عليهِ اولئك الرجلان فضربه احدهما بفاس في رأسه فوقع فطلب جماعة كانوا بين يدي الوزير الرجلين فقـالا لهم : ما تريدون نحن نصعد معكم الى الامير . فصعدا مع القوم الى باب القلعة والناس خلفهم ودخلا القلعـة الى بين يدي الامير وقالا : نحن قتلنا الوزير . فقال لهم : لِمَ ؟ فقالا : أمرنا بذلك . واكثر النـاس قالوا ان ابن نيسان دسّ عليهِ وقتله . وامر الامير حسام الدين بضرب رقابهما على قبره وكان دُفن بماردين وكان الرجلان من الملاحدة . وعاد حسام الدين نزل على آمد وضايقها . فحضر بهاء الدين اوس بن مسعود وهو في خدمة بنت سكمان القطبي وزير اخلاط فاجتمع بالسعيد حسام الدين على باب آمد وتحدّث معهُ وسألهُ فيهم ثم دخل الى آمد واجتمع بمؤيد الدين بن نيسان وقرّر معـه الحال فخرج مؤيّد الدين الى الامير واستقرّ الصلح وخرجوا الاميرية الى السعيد حسام الدين وحصلوا في جملته وتحت امره ورحل عنهم

وقال ايضاً : وفي سنة ٥٥١ في غرّة شعبان مات مؤيّد الدين ابو علي بن نيسـان بآمد وولّى آمد ولده جمال الدولة (الدين ؟) ابو القاسم واستقلّ ولده عز الدولة بحصن آكل وما كان فيهِ من الخزائن والذخائر

Marfat.com

وفيها وردت الاخبار بان الامير عماد الدين اتابك استوزر الاجلّ ابا الرضا ولد اخي جلال الدين بن صدقة وزير الخليفة . وفيها ورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك افتتح قلعة اشب المشهورة بالمنعة والحصانة . وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بموت متملّك الروم. وفيها توفّي القاضي المنتجب ابو المعالي محمد بن يحيى في يوم الاربعاء النصف من شهر ربيع الاول منها ودُفن بمسجد القدم رحمه الله وتولى بعده القضاء ولده القاضي ابو الحسن علي بن محمد القُرَشي وكُتب لهُ منشور القضاء من قاضي القضاة ببغداد

سنة ثمان وثلثين وخمسمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بان الخبر ورد اليها بهلاك ملك كافرترك من ناحية الصين الذي كان ظفر بعسكر السلطان سنجر في تلك الوقعة المقدَّم ذكرها . وفيها ورد الخبر بافتتاح الامير عماد الدين قلعة حيزان (١ . وفي شهر رمضان منها (150) وردت الاخبار من ناحية العراق بقتل السلطان داود ابن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بيد نفرٍ نُدبوا لقتله فاغتالوه وقتلوه ولم يُعرف لهم اصل ولا جهة ولا عُلم مستقرُّهم (٢ . وفي ثالث جمادى الاولى منها قُبض على الامير الحاجب اسد الدين اكز واخذ ماله وسُملت عيناه واعتُقل وتفرَّق عنهُ اصحابه . وفيها ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم الكند ايجور ملك بيت المقدس بعلّة عرضت لهُ كان فيها اتلاف نفسه وقيم ولده الصغير وامه مقامه في الملك ورضي الافرنج بذلك واستقامت الحال عليه . وفي رمضان منها عُزل ابو الكرام عن وزارته ديوان دمشق لاسبابٍ أُنكرت عليهِ واشياء قبيحة عُزيت اليهِ . وفيها ورد الخبر بعزل عماد الدين اتابك وزيره ابا الرضا بن صدقة لاسبابٍ أوجبت ذاك ودعت اليه واغراضٍ بعثت عليه واستوزر مكانه

سنة تسع وثلثين وخمسمائة

في يوم الخميس الحادي عشر من المحرَّم منها توجّه الامير الرئيس مؤيد الدين

---

١) قال الفارقي في تاريخه : في سنة ٥٣٧ صعد اتابك زنكي الى ديار بكر ودخل الى ولاية الامير يعقوب ابن السبع الاحمر (يعني قزل ارسلان) فقصد حيزان والمعدن وايرزون وقطليس واخذ جميع الولاية وكنتُ بالموصل في هذه السنة

٢) قال الفارقي : انهُ قُتل بسوق تبريز

Marfat.com

رئيس دمشق الى ناحية صرخد مستوحشاً من احوال بلغته عن ابي الكرام المستناب في وزارة ديوان دمشق وعن الامير مؤيّد الدولة اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ انكرها من سعيهما واستبشعها من قصدهما فسار عن البلد ممتعضاً من اقدامهما على ما يُخالف امره ويضيّق صدره ووصل اليهما وتلقّاهُ واليها بالاكرام لمثواه واحسان لقياه. وتردّدت المراسلات بينهُ وبين الامير معين الدين اتابك صاحب الامير والتدبير بدمشق في هذا الباب وتكرّر المقال بينهما بالاعتذار من كل واحدٍ منهما والعتاب ولم تزل هذه الحال متردّدة بينهما الى ان اسفرت عن تقرير عوده الى داره واخراج ابي الكرام الوزير وأسامة بن منقذ الى ناحية مصر باهليهما ومالهما واسبابهما فسارا من دمشق الى ناحية مصر بعد استئذان صاحبها في امرهما وخروج اذنه بوصولهما في يوم الخميس السابع من جمادى الاولى من السنة على سبيل المداراة والمصانعة وقيل انهما لقيا من احسان تلك الدولة السعيدة من الاحسان وجزيل الانعام ما جرت بهِ عادتهما المستحسنة في حقّ من يلجأ الى ظلّها وسابغ عدلها. وفي يوم الجمعة (151) الثالث عشر من جمادى الاولى عاد الامير مؤيّد الدين الى دمشق من صرخد وخرج اهل البلد لتلقّيه واظهار السرور بهِ والاستبشار بعوده وطابت نفسه ببلوغ امانيه ومضيّ اعاديه الساعين فيهِ

وفي شهر ربيع الاخر ورد الخبر بخروج عسكر الى فرقةٍ وافرة من الافرنج وصلت الى ناحية بعلبك للعيث فيها وشنّ الاغارات عليها فالتقيا فاظفر الله المسلمين بهم واظهرهم عليهم فقتلوا اكثرهم واستولوا على ما كان معهم وامتلأت ايدي المسلمين بغنائمهم وعادوا الى بعلبك سالمين مسرورين غانمين وعاد الباقون من الافرنج الى مكانهم مفلولين محزونين خاسرين

وفي جمادى الاولى منها ورد الخبر من ناحية الشمال بان عسكر حلب ظفر بفرقةٍ كبيرة من التجّار والاجناد وغيرهم خرجت من انطاكية تُريد بلاد الافرنج ومعها مالٌ كثير ودوابُّ ومتاعٌ واثاثٌ فاوقعوا بها واشتملوا على ما كان فيها وقتلوا من كان معها من خيالة الافرنج لحمايتها والذبّ عنها وعاد الى حلب بالمال والسبي والاسرى والدوابّ

وفي يوم السبت الثالث عشر من رجب من السنة توفّي الاخ الامين ابو عبد الله محمد بن اسد بن علي بن محمد التميمي عن ٨٤ سنة بعلّة الذرب ودُفن بتربةٍ اقترحها خارج باب الصغير من دمشق وكان على الطريقة المرضيّة من حسن الامانة والتصوّن

والديانة ولزوم داره والتنزّه عن كل ما يُوتغ الدين ويكره بين خيار المسلمين غير مكاثر للناس ولا معاشرٍ لهم ولا مختلط بهم

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشمال بان الامير عماد الدين اتابك افتتح مدينة الرُها بالسيف مع ما هي عليهِ من القوَّة والحصانة والامتناع على قاصديها والحماية على طالبيها من العساكر الجمَّة ومنازلتها وان السبب في ذلك ان الامير عماد الدين اتابك لم يزل لها طالبًا وفي تملّكها راغبًا ولانتهاز الفرصة فيها مترقّبًا لا يبرح ذكرها جائلًا في خلَدِهِ وسرّهِ وامرُها ماثلًا في خاطرهِ وقلبه الى ان عرف ان جوسلين صاحبها قد خرج منها في جُلّ رجاله واعيان حُماته وابطاله لامرٍ اقتضاهُ وسببٍ من اسباب الى البُعد عنها دعاهُ للامر المقضي والقدر النازل فحين تحقَّق (١٥١) ذاك بادر بقصدها وسارع الى النزول في العسكر الدثر عليها لمضايقتها والحصر لمن فيها وكاتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونة عليها والاسعاد واداء فريضة الجهاد فوصل اليه منهم الخلق الكثير والجمّ الغفير بحيث احاطوا بها من جميع الجهات وحالوا بينها وبين ما يصل اليها من المِيَر والاقوات والطائر لا يكاد يقرب منها خوفًا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيّقين عليها ونصب على اسوارها المناجيق ترمي عليها دائمًا والمحاربة لاهلها مضرًّا ومواظبًا. وشرع الخراسانيون والحلبيون العارفون بمواضع النقوب الماضون فيها فنقبوا في عدَّة مواضع عرفوا امرها وتيقَّنوا نفعها وضرّها ولم يزالوا على هذه الحال في الايغال في النقب والتمادي في بطن الارض الى ان وصلوا الى تحت اساس ابراج السور فعلّقوهُ بالاخشاب المحكمة والآلات المنتخبة وفرغوا من ذلك ولم يبقَ غير اطلاق النار فيها. فاستأذنوا عماد الدين اتابك في ذلك فأذن لهم بعد ان دخل في النقب وشاهد حاله واستعظم كونه وهالهُ. فلمَّا أُطلقت النار في تعليق النقوب تمكَّنت من اخشابها وابادتها فوقع السور في الحال وهجم المسلمون البلد بعد ان قُتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم وقُتل من الافرنج والارمن وجُرح ما اوجب هزيمتهم عنه وملك البلد بالسيف في يوم السبت سادس وعشرين من جمادى الآخرة منها ضحوة النهار (١) وشرع

---

(١) قال الفارقي في تاريخه: انهُ فتحها عنوةً في ٢٥ من جمادى الاخرة وكان ٢٣ كانون الاول من السنة وكان اخذها الافرنج بعد موت تاج الدولة في سنة ٤٩٢ ثم رحل عنها بعد ما رتّب امرها ونزل على البيرة فحاصرها مدّة. وكانت النصارى يقولون ان اتابك يُقتل ليلة الميلاد وكانوا منتظرين ذلك وكان فتحها ليلة الميلاد وسلم اتابك وكذبوا

Marfat.com

في النهب والقتل والاسر والسبي والسلب وامتلأَت الايدي من المال والاثاث والدوابّ والغنائم والسبي ما سُرَّت به النفوس وابتهجت بكثرته القلوب وشرع عماد الدين اتابك بعد ان امر برفع السيف والنهب في عمارة ما انهدم وترميم ما تشعَّث ورتَّب من رآهُ لتدبير امرها وحفظها والاجتهاد في مصالحها وطيَّب بنفوس اهلها ووعدهم باجمال السيرة فيهم وبسط المعدلة في اقاصيهم وادانيهم . ورحل عنها وقصد سروج وقد هرب الافرنج منها فملكها وجعل لا يمرّ بعملٍ من اعمالها ولا معقل من معاقلها فينزل عليهِ الاَّ سُلّم اليهِ في الحال

(152r) وتوجَّه الى حصن البيرة من تلك الاعمال وهو غايةٌ في الامتناع على طالبه والصعوبة على قاصده فنزل عليهِ وشرع في محاربتهِ ومضايقتهِ وقطع عنهُ سائر من يصل اليهِ بالقوت والميرة والمعونة والنصرة ولم يزل محاصرًا لهُ ومحاربًا ومضيّقًا الى ان ضعف امره وعُدمت الميرة فيهِ . وورد على عماد الدين وقد اشرف على ملكته من خبر نائبه في الموصل الامير جقر بن يعقوب في الوثوب عليهِ وقتلهِ ما ازعجهُ واقلقهُ ورحَّلهُ عنها لكشف الحال الحادثة بالموصل مما يأتي شرح ذلك في موضعه

وفي جمادى الاولى منها ورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك انتهى اليهِ ان اهل الحديثة عانة قد خالفوا امره وعصوا عليهِ فانهض اليها من عسكره فريقًا وافرًا فقصدها ونزل عليها وحاربها وضايقها وملكها بالسيف وقتل اكثر اهلها ونهبها وبالغ في اهلاك من بها

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر من ناحيــة الشمال بان عسكر الافرنج المجتمع بناحية انطاكية لإنجاد اهل الرُها من جميع اعمالها ومعاقلهــا . . . . . وكان عماد الدين اتابك قد انهض اليهِ جيشًا وافر العَدَد من طوائف التركمان والاجناد فهجموا عليهِ بغتةً واوقعوا بمن وجدوه في اطرافه ونواحيــهِ وفتكوا بهِ فرحل في الحال وقد استولوا على كثير من الافرنج قتلًا واسرًا واشتملوا على جملةٍ وافرةٍ من كُراعهم وتحكَّم السيف في اكثر الراجل وتفرَّقوا في اعمالهم ومعاقلهم مفلولين مخذولين خاسرين . وفيها كانت الحادثة على الامير نصير الدين جقر بن يعقوب النائب عن الامير عماد الدين في ولاية الموصل

شرح الحال في ذلك

كان الملك فرخانشاه (الخفاجي) بن السلطان (كذا) اخي السلطــان محمود بن

Marfat.com

محمد بن ملك شاه قد حدَّث نفسه على العمل على الامير نصير الدين الوالي بالموصل والفتك بهِ وملكه الموصل وبالتفرُّد بالامر واشتمال جماعةٍ من غلمان الامير عماد الدين اتابك تقدير اربعين غلاماً من وجوه الغلمان مع اصحابه وخواصه ورقب الفرصة فيه والغفلة منهُ مع شدَّة تيقّظه ومشهور احتراسه وتحفُّظه الى ان اتفق ركوبه (152) في بعض الايام للتسليم على الخاتون في دارها وقد خلا من حُماته ووجوه اصحابه ورصدوه فلمَّا حصل في دهليز الدار وثبوا عليهِ فقتلوهُ وادركهُ اصحابه ومن في البلد من اصحاب عماد الدين فهرب من هرب ومسكوا الملك ابن السلطان فمانع فجُرح وأُخذ واعتُقِل معهُ اكثر الغلمان المشاركين في دمه وتوثّق منهم بالاعتقال لهم والاحتياط عليهم وذلك في يوم.....(١ وكتب الى عماد الدين بصورة هذه الحال وهو مُنازل اقلعة البيرة في عسكره واقلقهُ سماع هذا الخبر الشنيع والرُزء الفظيع ورحل في الحال عن البيرة وقد شارف افتتاحها والاستيلاء عليها وهو متفجّعٌ بهذا المصاب متأسّفٌ على ما أُصيب بهِ متيقّنٌ انهُ لا يَجد بعدهُ من يقوم مقامه ولا يسُدّ مسدّه. وارتاد من يقيمه في موضعه وينصبه في منصبه فوقع اختياره على الامير علي كوَجك لعلمه بشهامته ومضائه في الامور وبسالته وولّاهُ مكانه وعهد اليهِ ان يقتفي آثاره في الاحتياط والتحفظ ويتبع افعاله في التحرُّز والتيقُّظ وان كان لا يغني غناءه ولا يضاهي كفاءَتهُ ومضاءهُ فتوجه نحوها وحصل بها وساس امورها سياسةً سكنت معها نفوس اهلها واطمأنّت معها قلوب المقيمين فيها وبذل جهده في حماية المسالك وامن السوابل وقضاء حوائج ذوي الحاجات ونصرة ارباب الظلامات فاستقام لهُ الامر وحسنت بتدبيره الاحوال وتحقّقت بيقظته في اعماله الآمال. وقد كان لنصير الدين هذا المقصود اخبارٌ في العدل والانصاف وبجنب الجور والاعتساف مُتداولةً بين التجار والمسافرين ومتناقلةً بين الواردين والصادرين من السفَّار وقد كان دأْبهُ جَمع الاموال من غير جهة عن حرام وحلال لكنهُ يتناولها بألطف مقال وأحسن فعال وأرفق توصّلٍ واحتيال وهذا فنٌّ محمودٌ من ولاة

---

١) قال الفارقي في تاريخه: كان قتلهُ غلمانَهُ في ثامن ذي القعدة من السنة ورتّب في الموصل زين الدين علي كوَشك وكان لقي الناس من نصير الدين شدَّة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والاقساط فلمَّا وُلّي زين الدين ازال ذلك جميعه فاحسن الى الناس والرعايات وجميع البلاد ورأى الناس منهُ كل خير الى ان مات في سنة ٥٦٤

الامور وقصدٌ سديدٌ في سياسة الجمهور وهذه هي الغاية في مرضيّ السياسة والنهاية في قوانين الرئاسة

وفي اواخر هذه السنة فرغ من عمارة المسجد الذي تولّى عمارتهُ واختيار بُقعته الامير مجاهد الدين بزان بن مامين (153) مقدّم الاكراد بظاهر باب الفراديس من دمشق بعقب الجسر القبلي وكان مكانه اوّلًا مستقبح المنظر واجمع الناس على استحسان بُقعته واقتراح هيئته بعد ان انفق عليهِ المبلغ الوافر من ماله مع جاهه رغبةً في حسن الذكر في الدنيا ووفور الثواب والاجر في الأُخرى. انَّ الله لا يُضيع اجر المحسنين

سنة اربعين وخمسمائة

في جمادى الاولى منها تناصرت الانباء من ناحية الامير عماد الدين اتابك بصرف الاهتمام الى التأهُّب والاستعداد والجمع والاحتشاد لقصد الغزو والجهاد وشاعت عنهُ الانباء بانهُ ربّما قصد الاعمال الدمشقية والنزول عليها ولم تزل اخباره بذلك متّصلةً وما هو عليهِ بالاستكثار من عمل المناجيق وآلة الحرب وما يحتاج اليه لتذليل كل ممتنع صعب الى اوائل شعبان ووردت الاخبار عنهُ بان عزيمته عن ذلك قد انحرفت واعنّة رأيه الى غيره قد ثُنِيت وأُعيدت المناجيق الى ناحية حمص من بعلبك. وقيل ان الخبر وافاهُ من جهة الرُها بان جماعة من الارمن عملوا عليها وارادوا الايقاع بمن فيها من مستحفظيها وان مكتوم سرّهم ظهرَ ومخفي امرهم بدأ وانتشر وان الجُناة أُخذوا وتُتتبّعوا وقُوبلوا على ذلك بما يُقابل بهِ من يسعى في الارض بالفساد من القتل والصلب والتشريد في البلاد

وفي اوائل شعبان من السنة وردت الاخبار من ناحية بغداد بوصول السلطان غياث الدنيا والدين مسعود بن محمد (١ بن ملك شاه الى بغداد وقيل انهُ وَجِلٌ من اخيهِ السلطان طغرل بن محمد (٢ لانهُ قد جمع واجتهد فيما حشد وهو عازمٌ على لقائه والايقاع بعسكره

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة الامير المعظّم ابي المظفّر خُمارتاش الحافظي صاحب باب الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين صاحب مصر بعلّة

١) وفي الاصل: بن محمود بن محمد
٢) وفي الاصل بن محمود

Marfat.com

عرضت لهُ وقضى فيها نحبه وقيل انهُ كان حسن الطريقة جميل الفعل مشكور القصد

قال الرئيس الاجلّ مجد الرؤساء ابو يعلي حمزة بن اسد بن عليّ بن محمد التميمي: قد انتهيت في شرح ما شرحتُهُ من (153) هذا التاريخ ورتبتُهُ وتحفّظت من الخطإ والخلل والزلل فيما علقتُهُ من افواه الثقات نقلتُهُ واكّدت الحال فيهِ بالاستقصاء والبحث الى ان صحّحتهُ الى هذه السنة المباركة وهي سنة ٥٤٠ وكنتُ قد مُنيتُ منذ سنة ٥٣٥ والى هذه الغاية بما شغل الخاطر عن الاستقصاء عمّا يجب اثباته في هذا الكتاب من الحوادث المتجدّدة من الاعمال والبحث عن الصحيح منها وجميع الاحوال فتركتُ بين كل سنين من السنين بياضًا في الاوراق ليثبت فيهِ ما يُعرف صحّته من الاخبار وتُعلم حقيقته من الحوادث والآثار. واهملت فيما ذكرتهُ من احوال سلاطين الزمان فيما تقــدّم وفي هذا الاوان استيفاء ذكر نُعوتهم المقرّرة والقابهم المحرّرة تجنُّبًا لتكريرها باسرها والاطالة بذكرها لم تجرِ بذلك عادةٌ قديمة ولا سُنّةٌ سالفة في تاريخ يُصنَّفُ ولا كتــابٍ يُؤلَّفُ وانما كان الرسم جاريًا في القديم باطراح الالقاب والانكار لها بين ذوي العلوم والاداب. فلمّا ظهرت الدولة البويهية الديلمية ولُقب اوّل مسعودٍ نبع فيها بعماد الدولة بن بويه ثم اخوه وتِلوهُ في الولادة والسعادة بركن الدولة ابي علي ثم اخوهما بعزّ الدولة ابي الحسين وكل منهم قد بلغ من علو المرتبة والمملكة ونفاذ الامر في العراق وخراسان والشام الى اوائل المغرب ما هو مشهور وذكره في الآفاق منشور. ولمّا علا قدر الملك عضد الدولة فنّاخُسره بن ركن الدولة ابي علي بن بويه بعدهم وظهر سلطانه وعلا شأنه وملك العراق باسره وما والاه من البلاد والمعاقل وخُطب لهُ على المنابر وزيد في نعوته في ايام المطيع لله امير المؤمنين رحمه الله تاج الملّة ولم يزد احدٌ من اخوته مؤيد الدولة صاحب اصفهان وفخر الدولة صاحب الرأي وما والاهما وانضاف اليهمــا على اللقب الواحد. ولم يزل الامر على ذلك مستمرًّا الى ان ظهر امر السلطان ركن الدنيــا والدين طغرلبك محمد بن ميكال بن سلجوق وقويت شوكة الترك وانخفضت الدولة البويهية واضمحلّت وانقرضت ولقب السلطان طغرلبك ولمّا ظهر امره في العراق واجتاح شأفة ابي الحرث ارسلان الفساسيري في ايام (154) الامام الخليفة القائم بامر الله امير المؤمنين رحمه الله بالسلطان المعظّم شاهنشاه الاعظم ركن الدين غياث المسلمين بهاء دين الله وسلطان بلاد الله ومغيث عباد الله يمين خليفة الله طغرلبك. ثم زاد الامر في ذلك الى ان اضيف الى القاب وُلاة الاطراف الدين والاسلام والانام والملّة والامّة وغير ذلك بحيث اشترك

Marfat.com

في هذا الفن الخاص والعام لا سيَّما في هذا الاوان والقاب سلاطينه لان منهم : سلطان خراسان السلطان المعظم شاهنشاه الاعظم مالك رقاب الامم سيد سلاطين العرب والعجم ناصر دين الله مالك عباد الله الحافظ بلاد الله سلطان ارض الله معين خليفة الله مُعزَ الدنيا والدين كهف الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة تاج المِلَّة الظاهرة وغياث الامم الباهرة ابو الحرث سنجر بن ملك شاه بُرهان امير المؤمنين . وسلطان العراق السلطان المعظّم شاهنشاه الاعظم مالك رقاب الامم مولى العرب والعجم جلال دين الله سلطان ارض الله ناصر عباد الله حافظ بلاد الله ظهير خليفة الله غياث الدنيا والدين رُكن الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة ومغيث الامم الباهرة ابو الفتح مسعود بن محمد (١ بن ملك شاه قسيم امير المؤمنين . وسلطان الشام وغيره الامير الاسفهسلَّار الكبير العادل المؤَيد المظفَّر المنصور الاوحد عماد الدين رُكن الاسلام ظهير الانام قسيم الدولة معين المِلَّة جلال الامة شرف الملوك عمدة السلاطين قاهر الكفَرة والمتمرّدين قامع الملحدين والمشركين زعيم جيوش المسلمين ملك الأُمراء شمس المعالي امير العراقين والشام بهلوان جهان الب غازي ايران اينانج قتاغ طغرلبك اتابك ابو سعيد زنكي بن اق سُنقر نصير امير المؤمنين . وصاحب دمشق الامير الاسفهسلَّار الكبير العادل المؤَيد المظفَّر المنصور ظهير الدين عضد الاسلام ناصر الامام تاج الدولة سيف المِلَّة محيي الأَمة شرف الملوك عماد الامراء كهف المجاهدين زعيم جيوش المسلمين ابو سعيد اتق بن محمد بن بوري اتابك سيف امير المؤمنين

سنة احدى واربعين وخمسمانة

(154) قد تقدَّم من ذكر عماد الدين اتابك زنكي في اواخر سنة ٥٤٠ في نزولهِ على قلعة دوسر على غرَّة من اهلها وهجمه على ربضها ونهبه واخذ اهله ما لا حاجة الى اعادة ذكره وشرح امره ولم يزل مُضايقًا لها ومُحاربًا لاهلها في شهر ربيع الاخر من سنة ٥٤١ حتى وردت الاخبار بان احد خدمه ومن كان يهواهُ ويأنس بهِ يعرف بير نقش واصلُهُ افرنجي وكان في نفسه حقدٌ عليهِ لاساءةٍ تقدَّمت منهُ اليهِ فاسرَّها في نفسه . فلمَّا وجد منهُ غفلةً في سكره ووافقهُ بعض الخدم من رفقتهِ على امرهِ فاغتالوهُ عند نومه في ليلة الاحد السادس من شهر ربيع الاخر

---

١) وفي الاصل محمود بن محمد

Marfat.com

من السنة وهو على الغاية من الاحتياط بالرجال والعُدَد والحرس الوافر العَدَد حول سُرادقه فذبحهُ على فراشه بعد ضرباتٍ تمكَّنت من مقاتلـهِ ولم يشعر بهم احدٌ حتى هرب الخادم القاتل الى قلعة دوسر المعروفة حينئذٍ بجعبر وفيها صاحبها الامير عزّ الدين عليّ بن مالك بن سالم بن مالك فبشَّرهُ بهلاكه فلم يصدّقه. واواهُ الى القلعة واكرمهُ وعرف حقيقة الامر فسُرّ بذلك واستبشر بما اتاهُ الله من الفرج بعد الشدَّة الشديدة والاشفاء على الهلكة بتطاول المحاصرة والمصابرة وارسال خواصه وثقاته اليهِ بما استدعاهُ منهُ واقترحهُ عليهِ من آلاتٍ فاخرة وذخائر وافرة اشار اليها وعيَّن عليها ووعدهُ اذا حصلت عنده بالافراج عنه فعنـد حصوله ذلك لديه مع اصحابه غدر بهم وعزم على الاساءة اليهم فاتاه من القضاء النازل الذي لا دافع لهُ ولا مانع عنهُ ما صار بهِ عبرةً لأُولي الابصار وعبرةً لذوي العقول والافكار. وتفرَّقت جيوشه ايدي سَبَا ونُهبت امواله الجمَّة وخزائنه الدثرة وقُبر هناك بغـير تكفين الى ان نُقل كما حُكي الى مشهـد على الرقَّة

وتوجَّه الملك ولد السلطان المقيم كان معهُ فيمن صحبهُ وانضم اليهِ الى ناحيـة الموصل ومعه سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك رحمهُ الله وامتنع عليهم للوالي بالموصل على كوجك ايامًا الى حين تقرَّرت الحال بينهم ثم فتح الباب ودخل ولده واستقام لهُ الامر (155r) وانتصب منصبه

وعاد الامير سيف الدولة سوار وصلاح الدين في تلك الحال الى ناحيـة حلب ومعهم الامير نور الدين محمود بن عماد الدين اتابك وحصل بها وشرع في جمع العساكر وانفاق المال فيها واستقام لهُ الامر وسكنت الدهماء (١ وفصـل عنهُ الامير صلاح

---

١) قال الفارقي في تاريخه: ولقد سألت الوالي المصدر الكامل قاضي القضـاة كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري ادام الله ظلّه في سنـة ٥٤٤ بالموصل عن قتل اتابك وما جرى فقال: كنَّا نازلنا القلعة مدَّة فلما كان بعض الايام خرج الامير حسام الدين النجبي وصـاح: اريد اكلّم الامير علي (وهو سيف الدولة ابو الحسن علي بن مالك) فتراءى لهُ من على السور وقال لهُ: تعلمُ ما بيني وبينك من الصداقة وانت تعرف اتابك وما هو عليـهِ وما لك من تلتجيءُ اليهِ ولا من يصرفهُ عنك والرأي ان تسلّم والّا ان آخذها بالسيف بجري ما لا تقـدر على دفعه وبعد هذا ايش تنتظر؟ فقال لهُ: يا امير حسّان انتظرُ الفرج من الله تعالى وما انتظرت على منبج لمَّا حاصرها الامير بلُك وكفاك الله امره. فقال جمال الدين: والله ما كان الّا تلك الليلة نصف الليل وكان ذلك اليوم الاربعاء خامس شهر ربيع الآخر وقيل تاسع سنة ٥٤١ والصائح جاءنا من

Marfat.com

الدين وحصل بجماة ولايته على سبيل الاستيحاش والخوف على نفسه من امر يُدبَّر عليهِ على ان الاعمال كانت قد اضطربت والمسالك قد اختلَّت بعد الهيبة المشهورة والامنة المشكورة وانطلقت ايدي التركمان والحراميَّة في الافساد في الاطراف والعيث في سائر النواحي والاكناف. ونظمت في صفة هذه الحال ابياتٌ من الشعر تنطق بذكرها وتُعرب بالاختصار عن جليَّة امرها منها من جملة قصيدة يطول شرحها بتشبيبها :

كذاك عماد الدين زنكي تنافرت ... سعادتهُ عنهُ وخرَّت دعائمُه
وكم بيت مالٍ من نضارٍ وجوهرٍ ... وانواع ديباجٍ حوَتها مخاتمُه
واضحت باعلى كل حصنٍ مصونة ... يحامي عليها جندهُ وخوادمُه
ومن صافنات الخيل كل مطهَّمٍ ... تروع الاعادي حلبهُ وتراجمُه
ولو رامت الكتَّاب وصف ثباتها ... باقلامها ما ادرك الوصفَ ناظمُه
وكم معقل قد رامهُ بسيوفهِ ... وشامخ حصنٍ لم تفُتْهُ غنائمُه
ودانت وُلاة الارض فيها لامره ... وقد أَمَّنتهم كتبهُ وخواتمُه
وأَمَّن من في كل قطر بهيبةٍ ... تُراع بها اعرابهُ واعاجمُه
وظالم قومٍ حين يُذكَر عدلهُ ... فقد زال عنهم ظلمهُ وخصائمُه
واصبح سلطان البلاد بسيفهِ ... وليس لهُ فيها نظيرٌ يُزاحمُه
وكم قد بنى دارًا تباهي بحسنها ... جنانَ خلودٍ احكمتها عزائمُه
فمن خَرفهِ بالتبر من كل جانبٍ ... واغصان بقشٍ قد تحلَّت حمائمُه
وزاد على الاملاك بأسًا وسطوةً ... ولم يبقَ في الاملاك مالكٌ يُقاومُه
فلمَّا تناهى ملكهُ وجلالهُ ... وراعت وُلاة الارض منهُ لوائمُه
(155v) اتاهُ قضاءٌ لا يُردّ سهامهُ ... فلم يُنجِهِ اموالهُ ومغانمُه

القلعة يصيح : قُتل اتابك واختبط الناس وماجوا. وكان سبب ذلك ان الامير اتابك كان يبيت في الخيمة وعنده خادم فما كان يبيت عنده غيره فلما نام تلك الليلة قتله الخادم في الخيمة واخذ السكين بالدم وخرج وطلع الى الربض الى تحت القلعة وصاح اليهم : قتلتُ اتابك. فلم يصدّقوهُ فاراهم السكين وعلامة اخرى كان اخذها من عنده فاصعدوهُ اليهم وحقَّقوا الحال منهُ وصاحوا فاختبط الناس واختلفوا. وقصد الناس مخيَّم جمال الدين الوزير فنُهب وانهزم وجاء اليَّ وقصدني الامراء والكبار وركبتُ وقالوا : ما رأيُ الملك. فقصدوا وقصدت خيمة الب ارسلان ابن محمود وقلتُ : انا والناس واتابك غلمان الملك والبلاد لهُ والكل خَدَمهُ ومماليك السلطان. فاجتمع الناس على الملك وتفرَّق الناس فرقتين فاخذ صلاح الدين محمد ابن ايوب اليغسياني نورَ الدين محمود بن اتابك وعسكر الشام ومضوا الى الشام فملك حلب وحماة ومنبج وحرَّان وحمص وجميع ما بيد اتابك من الشام واستقر بهِ. وسرنا نحن مع الملك وعساكر ديار ربيعة فطلبنا الموصل فوصلنا الى سنجار. فانهزم الملك وطلب الجزيرة فلحقهُ اخي تاج الدين ابو طاهر يحيى بن الشهرزوري رحمهُ الله وعز الدين ابو بكر الدُبيسي وحلفاء لهُ وردَّاهُ الى المعسكر ونزلوا الى الموصل

Marfat.com

واذكره للحين منها حمامه وحامت عليهِ بالمنون حوائمُه
واضحى على ظهر الفراش مُجدّلًا صريعًا توَلّى ذبحه فيهِ خادمُه
وقد كان في الجيش اللُهام مبيتُهُ ومن حولهِ ابطالهُ وصوارمُه
وسمر العوالي حولهُ باكُفّهم تذودُ الردى عنهُ وقد نام نائمُه
ومن دون هذا مصبةٌ قد ترتّبت باسهمها بردى من الطير حائمُه
وكم رام في الايّام راحة سرّهِ وهمّتهُ تعلو وتقوى شكائمُه
فاودى ولم ينفعهُ مالٌ وقُدرةٌ ولا عَنهُ رامت للقضاء مخاذمُه
وأضحت بيوت المال نُهبى لغيره يُمزّقها ابناؤهُ ومظالمُه
وكم مسالكٍ للسّفر أمّن سُبلهُ ومسرح حيٍّ ان تُراع سوائمُه
وكم ثغر اسلامٍ حماهُ بسيفهِ من الروم لمّا ادركتهُ مراحمُه
فلمّا توَلّى قام كل مخالفٍ وشام حُساماً لم يجُد وهو شائمُه
وأطلق مَن في اسره وحبوسه وفُكّت عن الاقدام منهُ اداهمُه
وعاد الى اوطانه بعد خوفهِ وطابت لهُ بعد السغوب مطاعمُه
وفرّت وحوش الارض حين تمزّقت كواسرهُ عنها وفلّت سواهمه
ولم يبقَ جانٍ بعدهُ يحذَرُ الردى ولا داعرٌ يخشى عليهِ مناقمُه
فمن ذا الذى يأتي نهيبةَ مثلهِ وتنفذ في اقصى البلاد مراسمُه
فلو رُقيت في كل مصرٍ بذكرهُ اراقمهُ ذلّت هناك اراقمُه
ومن ذا الذي ينجو من الدهر سالماً اذا ما اتاهُ الامر والله حاتمُه
ومن رام صفواً في الحياة فما يرى لهُ صفو عيشٍ والحمام يحاومُه
فاياك لا تغبط مليكاً بملكهِ ودعْهُ فانّ الدهر لا شكّ قاصمُه
فان كان ذا عدلٍ وأمنٍ لخائفٍ فلا شكّ انّ الله بالعدل راحمُه
وقل للذي يبني الحصون لحفظه رُوَيدك ما تبني فدهرك هادمُه
(156r) فكم ملك قد شاد قصراً مزخرفاً وفارق ما قد شادهُ وهو عادمُه
واصبح ذاك القصر من بعد بهجة وقد درست آثارهُ ومعالمُه
وفي مثل هذا عبرةٌ ومواعظٌ بها يتناسى المرء ما هو لازمُه

وهذه صفاتُهُ فيما ملكهُ من البلاد والثغور والمعاقل وحازهُ من الاموال والقلاع والاعمال ونفوذ اوامره في سائر الاطراف والاكناف ثم اتاهُ القضاء الذي لا يُدافع والقدر الذي لا يُمانع. وحين اتّصل هذا الخبر اليقين الى معين الدين وعرف صورة الحال شرع في التأهّب والاستعداد لقصد بعلبك وانتهاز الفرصة فيها بآلات الحرب والمنجنيقات ونهد اليها ونزل عليها وضايقها ونصب الحرب على مستحفظيها ولم يمض الّا الايام القلائل حتى قلّ الماء فيها قلّةً دعتهم الى النزول على حكمه. وكان الوالي بها (١

(١) وفي الكامل: انهُ نجم الدين ايوب بن شاذي

Marfat.com

ذا حزمٍ وعقلٍ ومعرفةٍ بالامور فاشترط ما قام لهُ بهِ من إقطاع وغيره وسلَّم البلدة والقلعة اليهِ ووفى لهُ بما قرَّر الامر عليهِ وتسلَّم ما فيهِ من غلَّةٍ وآلةٍ في ايامٍ من جمادى الاولى من السنة . وراسل معين الدين الوالي بحمص وتقرَّرت بينهُ وبينهُ مهادنةٌ وموادعة يعودان بصلاح الاحوال وعمارة الاعمال . ووقعت المراسلة فيما بينهُ وبين صلاح الدين بحماة وتقرَّر بينهما مثل ذلك . ثم انكفأ بعد ذلك الى البلد عقيب فراغه من بعلبك وترتيب من رتَّبهُ لحفظها والاقامة فيها في يوم السبت الثامن عشر من جمادى الاخرة من السنة وصادم الخادم يرنقش القاتل لعماد الدين اتابك رحمهُ الله قد فصل عن قلعة جعبر لخوف صاحبها من طلبه منهُ ووصل الى دمشق متيقِّنًا انهُ قد امن بها ومُدلاً بما فعلهُ وظنًّا منهُ ان الحال على ما توهَّمهُ فقُبض عليهِ وأُنفذ الى حلب صحبة من حفظه واوصله اليها فاقام بها اياماً ثم حُمل الى الموصل وذُكر انهُ قُتل بها

ووردت الاخبار في اثناء ذلك في ايام من جمادى الاخرة من السنة بان ابن جوسلين جمع الافرنج من كل ناحية وقصد مدينة الرُها على غفلةٍ بموافقة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها (156ظ) من المسلمين فضاقت الصدور باستماع هذا الخبر المكروه ووردت الاخبار مع ذلك بأنَّ الامير نور الدين صاحب حلب نهض في عسكره وانضاف اليهِ من التركمان عند وقوعه على الخبر وتقدَّمه سيف الدولة سوار واغذّوا السير ليلًا ونهارًا وغدوًا وابتكارًا ومن اجتمع من الجهات وهم الخلق الكثير والجمّ الغفير زهاء عشرة الف فارس ووقفت الدوابّ في الطرقات من شدَّة السير ووافوا البلد . وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقُتل من ارمن الرُها والنصارى من قُتل وانهزم الى برج يقال لهُ برج الماء فحصل فيهِ ابن جوسلين في تقدير عشرين فارسًا من ابطال اصحابه واحدق بهم المسلمون من جهاته وشرعوا في النقب عليهم وما كان الَّا بقَدْر كلا ولا حتى تعرقب البرج وانهزم ابن جوسلين وافلت منهُ في الخفية مع اصحابه واخذ الباقون وحق السيف كل من ظفر بهِ من نصارى الرها واستخلص من كان أُسر من المسلمين ونُهب منها الشيء الكثير من المال والاثاث والسبي وسرَّت النفوس بهذا النصر بعد الحزن والاختزال وقويت القلوب بعد الفشل والاخذال وانكفأ المسلمون بالغنائم والسبي الى حلب وسائر الاطراف

وفي شوال من هذه السنة تردَّدت الرسل والمراسلات من الاميرين نور الدين محمود بن عماد الدين اتابك صاحب حلب ومعين الدين أُنز الى ان استقرَّت الحال

بينهما على اجمل صفةٍ واحسن قضيةٍ وانعقدت الوصلة بين نور الدين وبين ابنــة معين الدين وتأكَّدت الامور على ما اقترح كل منهما وكتب كتاب العقد في دمشق بحضر من رُسل نور الدين في الخميس الثالث والعشرين من شوال سنــة ٥٤١ وشرع في تحصيل الجهاز وعند الفراغ منهُ توجَّهت الرُسل عائدةً الى حلب وفي صحبتهم ابنة معين الدين ومرّ في جملتها من خواصّ الاصحاب في يوم الخميس النصف من ذي القعــدة من السنة

وكان معين الدين قد حصَّل آلات الحرب والمنجنيقات وجمع من امكنه جمعه من الخيل والرجل وتوجَّه الى ناحية صرخد وبُصرى بعد ان اخفى عزيمته وستر نيَّته استظهاراً لبلوغ طلبه وتسهيل اربه (157ᵀ) ونزل غفلةً على صرخد وكان المعروف بها بالتونتاش غلام امين الدولة كمشتكين الاتابكي الذي كان واليها اوَّلًا وكانت نفسه قد حدَّثتهُ بجهله انهُ يقاوم من يكون مستولياً على مدينة دمشق وان الافرنج يعينــونه على مراده وما يلتمسهُ من انجاده واسعاده ويكونون معه على ما نواه من عيثه وافساده. وكان قد خرج للامر المقضي من حصن صرخد الى ناحية الافرنج للاستنصار بهم وتقرير احوال الفساد معهم ولم يعلم ان الله لا يصلح عمل المفســدين ولم يشعر بما نواه معين الدين من ارهاقه بالمعاجلة وعكس اماله بالمنازلة فحال بينهُ وبينهُ العَوْد الى احد الحصنين المذكورين ولم تزل المحاربة بين مَن في صرخد والمنازلين متَّصلة والنقوب مستعملة والمراسلات متردّدة من الافرنج الى معين الدين بالمسئلة والتلطُّف في اصلاح الامر والوعد والوعيد والترهيب والتهديد ان لم يُجِب الى المطلوب ومعين الدين لا يعدل عن المغالطــة والمدافعة. وكان قد عرف تجمُّعهم وتأهُّبهم للنهوض اليهِ وإزعاجه وترحيلهم عنها فاوجبت هــذه الحال ان راسل نور الدين صاحب حلب يسئلهُ الانجــاد على الكفرة الاضداد بنفسه وعسكره فاجابهُ الى ذلك. وكان لاتّفاق الصلاح مبرزاً بظاهر حلب في عسكره فثنى اليهِ الاعنَّة واغذَّ السير ووصل الى دمشق في يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة من السنة وخيَّم بعين شواقة واقام اياماً يسيرة وتوجَّه نحو صرخد ولم يُشاهَد احسن من عسكره وهيئته وعدّته ووفور عُدّته

واجتمع العسكران وارسل مَن بصرخد اليهما يلتمسان الامان والمهلة اياماً ويسلّم المكان وكان ذلك منهم على سبيل المغالطة والمخاتلة الى حين يصــل عسكر الافرنج لترحيل النازلين عليهم وقضى الله تعالى للخيرة التامَّة للمسلمين والمصلحة الشاملة لاهل

الدين وصول من اخبر بتجمُّع الافرنج واحتشـادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم مجدّين السير الى ناحية بُصرى وعليها فرقةٌ وافرةٌ من العسكر محـاصرةً لها فنهض العسكر في الحال والساعة عند المعرفة بذاك الى ناحية بُصرى كالشواهين الى صيدها والبُزاة (157[٧]) الى حجَلها بحيث سبقوا الافرنج الى بُصرى فحالوا بينهم وبينها ووقعت العين على العين وقربت المسافة بين الفريقين واستظهر عسكر المسلمين على المشركين وملكوا عليهم المشرَب والمسرَب وضايقوهم برشق السهام وارسال نُبل الحِمام واكثروا فيهم القتل والجراح واضرام النيران في هشيم النبات في طرقهم ومسالكهم واشرفوا على الهلاك والدمار وحلول البوار وولّوا الادبار وتسهّلت الفرصة في اهلاكهم وتسرّعت الفوارس والابطال الى الفتك بهم والمجاهدة فيهم

وجعل معين الدين يكفّ المسلمين عنهم ويصدّهم عن قصـدهم والتتبُّع لهم في انهزامهم اشفاقًا من كرّةٍ تكون لهم وراجعةٍ عليهم بحيث عادوا على اعقابهم ناكصين وبالخذلان منهم منهزمين قد شملهم الفناء واحاط بهم البلاء ووقع اليأس من فلاحهم وسُلّمت بصرى الى معين الدين بعد تقرير امر مَن بهـا واجابتهم على ما اقترحوه من اقطاعاتهم ورحل عنها عائدًا الى صرخد. وجرى الامر في تسليمها الى معـين الدين على هذه القضيّة وعاد العسكران الى دمشق ووصلاها في يوم الاحد السابع والعشرين من المحرَّم سنة ٤٢ واقام نور الدين في الدار الأتابكية وتوجّه عائدًا الى حلب في يوم الاربعاء انسلاخ المحرم من السنة المذكورة

وفي هذا الوقت وصل التوننتاش الذي خرج من صرخد الى الافرنج بجهلهِ وسخافة عقلهِ الى دمشق من بلاد الافرنج بغير امان ولا تقرير استئـذان توهّمًا منهُ انهُ يُكرَم ويُصطنَع بعد الاساءة القبيحة والارتداد عن الاسلام فاعتُقل في الحال وطالبـه اخوهُ خُطلخ بما جناه عليهِ من سمل عينيهِ وعُقد لهما مجلسٌ حضره القضاة والفقهـاء واوجبوا عليهِ القصاص فسُمل كما سَمل اخاهُ وأُطلق الى دارٍ لهُ بدمشق فاقام بها

وفي ذي الحجة من سنة ٤١ ورد الخبر بان السلطان شاهنشـاه مسعودًا عمل رأيه وتدبيره على تطييب نفس الامير عباس فسكن الى ذلك بعد التوثقة بالأيمان المؤكّدة والعهود المشدّدة ووصل اليهِ الى بغداد ساكنًا الى ما كان تأكّد من ايمانه على نفسه وجماعته وكان السلطان قد تمكّن في نفسه من الرُعب منهُ والخوف على عسكره من قوّة شوكته ومشهور هيبته وكثرة عدده (158[١]) وعدّته ما لم يمكنه ترك الفرصة فيهِ وقد امكنت

Marfat.com

والغرَّة قد تسهّلت وتيسَّرت فرتَّب لهُ جماعةً للفتك بهِ عند دخوله عليهِ فعُوجل عليهِ بالقتل (١ ونُهبت خزائن امواله وآلاته وكراعه وامتلأَت ايدي جماعةٍ من نهبها وتفرَّق عسكره في البلاد والاعمال. وكان لهُ الذكر الحسن والفعل المستحسن والاجر الوافر والمدح السائر بما كان لهُ في مجاهرة احزاب الباطنيَّة والفتك بهم والقمع لهم والحصر في معاقلهم والكفّ لشرّهم ولكن الاقدار لا تُغالَب والاقضية لا تدافع

واماً اخبار المغرب والحوادث فيهِ فلم تسكن النفس الى اثبات شيء من طوائح اخباره وما يؤخذ من افواه تجاره. وقد افردتُ من احوال الخوارج فيهِ والفتن المتَّصلة بين اهليهِ من الحروب المتصلة وسفك الدماء ما لا تثق النفس به لاختلاف الروايات وتباُين الحكايات. وكان قد ورد من فقهاء المغاربة مَن وثقت النفس بما اوردهُ وسكنت الى ما شرحهُ وعدَّده وحضرَتْ كُتُب من اهل المغرب الى اقاربهم ببعض الشرح ووافق ورود ذلك في سنة ٥٤١ بالتواريخ المتقدّمة والحكايات المختلفة فرأيتُ ذكر ذلك وشرحه في هذا المكان. فمن ذلك ظهور المعروف بالفقيه السوسي الخارج بالمغرب وما آل اليهِ امره الى ان هلك ومن قام بعده واستمرّ على مذهبه وما اعتمده من الفساد وسفك الدماء ومخالفة الشريعة الاسلامية. ومبدأ ذلك على ما حُكي ظهور المعروف بالفقيه ابي محمد ابن تومرت من جبل السوس وهو ولدهُ بهِ واصله مصمودي وكان غايةً في التفقُّه والدين مشهورًا بالورع والزُهد وكان قد سافر الى العراق وجال في تلك الاعمال ومهر في المناظرة والجدال واجتمع بأيّة الفقهاء واخذ عنهم وسمع منهم وعاد الى ناحية مصر وما والاها واجتمع مع علمائها وقرأَ عليهم ثم عاد الى المغرب ودعا الى مذهب الفكر. وابتداء ظهوره في سنة ٥١٢ في مدينة تُعرف بدرن في جبل اوّله في البحر المحيط وآخره في بحر الاسكندرية في رأس اوثان وغلب على جبل السوس واجتمع اليهِ خلقٌ كثير من قبائل المصامدة بجبل درن وقيل انهُ وصل الى المهدية وامر اهلها ان يبنوا قصرًا على نيّة الفكرة (158[٧]) وان يعبدوا الله فيهِ بالفكرة فاجتمع مشايخ اهل المهدية وفقهاؤها وعزموا على بناء ما امرهم بهِ والعبادة لله تعالى فيهِ فقام رجل من كبار الفقهاء وقال: نُقيم ما اقمنا بالمهدية ويجيْ اليكم رجل بربري مصمودي يأمركم بالعبادة بالفكرة فتجيبون الى ما امركم بهِ وتسارعون الى قبول ما ذكرهُ لكم. وانكر هذا الامر انكارًا شديدًا حتى عادوا عنهُ وابطلوهُ واقتضت هذه الحال خروج الخارجي من المهدية اذ لم يتمّ لهُ فيها امرٌ ولا بلغ غَرَضًا

١) وفي زبدة التواريخ: ان ذلك في بكرة خمس من ذي القعدة من السنة

Marfat.com

وقصد بلداً في الغرب يعرف ببجاية (١ في ايدي بني حماد بن صنهاجة وشرع في الانكار على اهله شرب الخمور وجعل يكثر الاواني الى ان منع من شربها وساعده على ذلك ابن حمدون مقدّم هذا البلد حمل اليهِ مالًا فامتنع من اخذه وتعفَّف عنهُ لِمَا اظهره من الزهد في الدنيا والتفقّه والورع . ثم خرج من هذا البلد وقصد مدينة اغمات فاظهر فيها الزهد وتدريس الفقه وصار معه من اتباعه تقدير اربعمائة رجل من المصامدة ثُم ارتفع امره وظهر شرّه واتّصل خبره الى الامير ابن يوسف بن تاشفين وما هو عليهِ وما يظهره ويطلقه من اباحة دمه ودم اصحابه واهل مملكته فاستدعاه الامير المذكور الى حضرته وجمع لهُ وجوه الفقهاء والمقدّمين الى مجلس حفل ووقع الاختيار من الجماعة على فقيهٍ يُعرف بابي عبد الله محمد بن مالك بن وهب الاندلسي لمناظرته فناظره في هذا المحفل فاستظهر عليهِ في المناظرة وقهره وغلبه فقال الخارجي السوسي المُناظِر لهُ : انظرني . فاجابهُ الى ما طلب ثم قال لابن يوسف بن تاشفين المقدّم : ينبغي ان يأمر الامير بحبس هذا المفتن لكشف سرّه ويحقّق امره ويظهر لكافة المسلمين صحّة خبره فانهُ لا يريد غير الدنيا والسلطنة والفساد في الارض وقتل النفوس . فما حَفَل بكلامه ولا اصغى الى اشارته وتغافل عنهُ للامر المقضي واعان هذا الخارجي قوم من المقدّمين على مرامه وحامى عنهُ

ثم عاد الى السوس الى جبل درن وكان يقول للناس : كلّما قربتم من المرابطين وملتم اليهم كانوا مطاياكم الى الجنة لانهم حُماة الدين والذابُون عن المسلمين . ثم حمل المرابطين والملثّمين وقد مال معهُ منهم الخلق الكثير والجمّ الغفير على محاربة الامير علي بن يوسف ابن تاشفين وجمع عليهِ وحشد وقويت نفسه (159ᵛ) ونفوس من معه على اللقاء ومعهم اصحاب القوّة والبسالة وشدّة البأس والشجاعة ونشبت الحرب بين الفريقين وأُريقت الدماء بين الجهتين ولم تزل رحى الحرب دائرة بينهم الى ان كان بينهم في عدّة سنين متوالية اربعة مصافات هائلة منكرة قُتل فيها من الفريقين ما قُدّر وحُزر تقدير مائتي الف نفس ولم تزل الحرب على ذلك مستمرّة على هذه القضيّة الشنيعة والصفة الفظيعة الى ان اهلكه الله تعالى بمدينة درن في سنة ٥٢٢ . وخلّف جماعة من تلامذته واصحابه سلكوا سبيله وبنوا على بنائه وسلكوا مذهبه في الفساد وتولّد بينهم مذهبٌ سمّوهُ

---

١) وفي الاصل : بحامَة

Marfat.com

« تكفير الذنب » هذا ما اورده وحكاه وشاهده واستقصاه الفقيه ابو عبد الله محمد ابن عبد الجبَّار الصقلي باملائه من لسانه

ثم تناصرت الاخبار بعد ذلك من ناحية المغرب بظهور احد تلامذة المذكور يعرف بالفقيه عبد المؤمن فلُقِّب بالمهدي « امير المؤمنين وخليفة المهدي الى سبيل الموحّدين » واجتمع اليهِ مع من كان في حزبه من طوائف السوس والبربر والمصامدة والمرابطين والملثَّمين ما لا يحصى لهُ عددٌ ولا يُدرك امدٌ وشرع في سفك الدماء وافتتاح البلاد المغربيَّة بالسيف والقتل لمن بها من الرجال والحُرم والاطفال ما شاعت بهِ الاخبار وانتشر ذكره في سائر الاقطار. ووردت مكاتبات السفَّار والتجَّار ومن جملتها كتاب وقفتُ عليهِ من هذا الخارجي ما نسخة عنوانه :

من امير المؤمنين وخليفة المهدي الى سبيل الموحّدين الى اهليه . بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآلهِ الطاهرين . امَّا بعد : يا عضد الفجَّار وعباد الفسَّاق الاشرار فقد كاتبناكم بالبنان وخاطبناكم بالبيان حتى سار كالبدر واستمرّ مرور الدهر فلم تجيبوا ولا اطعتم بل تثاقلتم عن الحقّ وعصيتم وان الله سينتقم منكم لاوليائهِ نقمة مَن كان قبلكم من الامم الجاحدة والفرق المعاندة فانتظروا سيف الدم ينهلكم وحجارة المدر تدمغكم ثم لا يكون لكم استرجاع ولا يقبل فيكم استشفاع وهذه خيل الله قد اظلَّتكم ورَبلها وطمى عليكم سيلها فتأهَّبوا للموت والسلام على من اتبع (159ظ) الهُدى هُداهُ ولم يغلب عليهِ هواهُ ورحمة الله وبركاته (١

سنة اثنتين واربعين وخمسمائة

في صفر منها عاد الحاجب محمود الكاتب من بغداد بجواب ما صدر على يده

---

١) قال الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥٢٨ ظهر عبد المؤمن بالمغرب وانا اذكر من حاله وما وصل اليَّ من امره . وهو أن محمد بن تومرت كان من المصامدة وخرج الى بلاد المشرق وهو شيخ عبد المؤمن بن عليّ اللمتوني من جبال السوس الاقصى بالمغرب . وكان محمد بن تومرت الادريسي الحُسيني خرج (168ظ) الى المشرق وبقي مدَّة ثم عاد الى الغرب في سنة ٥١٩ واقام بمراكش (١ واجتمع اليهِ جماعة من الفقهاء فناظرهم وجرى بينهم اشياء غير ما جرت به عادة المغاربة وخارجاً عن طريقهم فانكر عليهم وانكروا عليهِ . ثم انهم اجتمعوا الى امير المسلمين علي ابن تاشفين وقالوا لهُ : تخرج هذا من بيننا والَّا افسد الناس واهلكهم فتقدَّم اليهِ بالخروج فخرج في

---

١) وفي الأصل : مروكش

من المكاتبات المعيّنة ومعهُ رسولًا للخليفة والسلطان وعلى ايديهما التشريف برسم ظهير الدين ومعينه ولبساهُ وظهرا فيهِ في يوم السبت الثامن عشر من ربيع الاخر واقاما اياماً وعادا بجواب ما وصل معهما

وورد الخبر عقيب ذلك من بغداد بان السلطان كان قد توجّه منها بعد قتل الامير عبّاس في العسكر الى ناحية همذان عند انتهاء الاخبار اليهِ بان الامير عباس وعسكره قد انضاف الى الامير بُوزَبه وصارا يداً واحدةً في خلق عظيم وقصدا ناحية اصفهان ونزلا عليها وضايقاها الى ان اسلمت الى بوزبه باسبابٍ اقتضت ذلك ولمّا حصل السلطان بظاهر همذان تواصلت العساكر من كل جهةٍ اليهِ وصار في خلق كثير

ووردت الاخبار الى بغداد بان السلطان لما كثف جمعه وقويت نفسه وقصد المذكورين وقصدوه وترتّب المصافُّ بينهم والتقى المصافات ومنح الله السلطان النصر عليهم وكسرهم وقتل بُوزَبه وابن عباس واستولى عسكر السلطان على الفلّ والسواد. وحكى الحاكي المشاهد لهذه الوقعة في كتابه بشرحها ما ذكر فيهِ ان مبدأ الفتح ان السلطان كان في مخيّمه بباب همذان في تقدير ثلثة الاف فارس وبوزبه في عسكره على باب اصفهان في خلق عظيم وانّ بوزبه لمّا عرف ذلك طمع فيهِ ونهض في عسكره اليهِ

سنة ٥٢٠ ونفاه الى الجبل الى المصامدة وهم جنس من البربر وكانوا عشيرته. فاقام بينهم وحملهم على ترك طاعة الامير المسلمين فلقيه فكسره وقتل رأس العسكر فخرج امير المسلمين بنفسه وجمع الجموع فلقيهُ وكسره وتمكّن في الجبل وهو مسيرة شهر في شهر وهو جبل درن (١ بولاية مراكش والسوس. واجتمع اليهِ خلق كثير وبقي الى سنة ٥٢٣ ومات محمد بن تومرت وولى موضعه علي الونشريشي ٢) وجهز العساكر وحاصر مراكش في سنة ٥٢٤ فكسره امير المسلمين وازاحه من مراكش (٣ فانهزم الى الجبل وتحصّن به وبقي الامر بينهُ وبين امير المسلمين يزيد وينقص الى سنة ٥٢٨ ومات علي الونشريشي (٣ فتولى موضعه عبد المؤمن بن علي اللمتوني وكان من جملة اصحاب محمد بن تومرت وتلامذته واصحابه ومعاضديه فجمع ولقي امير المسلمين فكسره وملك الجبل باسره وملك ولاية اخرى ونزل في سنة ٥٣٠ الصحراء وفتح اكثر بلاد امير المسلمين وكانت لهُ البقاع وفتح اكثر افريقية وبلاداً من الاندلس وفتح اكثر بلاد امير المسلمين وفتح من الافرنج مواضع كثيرة وبقي الى سنة ٥٤٠ ولقي امير المسلمين تاشفين ابن علي بن يوسف وكسره وقتل خلقاً كثيراً واسره وقتلهُ. وتوطّدت لهُ البلاد وفتح اكثر المغرب وهابهُ الناس وكان لا يفتح مدينة الّا قتل كلّ من فيها وكان يقول: انا صاحب الزمان

---

١) وفي الاصل: ارن ٢) وفي الاصل: الورنشي ٣) وفي الاصل: مروكش

Marfat.com

وقطع مسافة ثلثين فرسخًا في يوم وليلة ووصل الى مكر بابكان (١ وقد كلّت الخيل ونزل هناك. فلمَّا عرف السلطان ذلك التجأ الى بساتين همذان وجعلها ظهره مع جبلين هناك ووصل اليهِ الامير حيدر صاحب زنكان في الف فارس ووصله الامير اكز في خمسة الف فارس ووصلهُ خاصبك بلنكى (٢ في اثني عشر الفًا قويت بهم شوكته ونهض الى جهة بوزبه عند ذلك وعبأ كل فريق منهما مصافّه في يوم السبت من شهر . . . . . منذ غداته الى وقت العصر منهُ وكسرت الميمنة السلطانية وفيها الامير جندار (٣(160ظ) والميسرة فيها الامير تبر وبقي السلطان في القلب وعرف ان بوزبه يقصده فقال للامير جندار : انا المطلوب أنتَ انت مكاني تحت الشمسة فان بوزبه يطلبها لقصدي. ففعل ونهض السلطان في جملة وافرة من العسكر وجاء من وراء عسكر بوزبه وحمل بوزبه وقصد مكان السلطان تحت الشمسة فلمَّا قرب بوزبه في جملته من الشمسة كبا بهِ جواده وسقط الى الارض فانفلّ عسكره وادركتهُ الخيل فأُخذ هو وخواصّه وابن عباس ووزير بوزبه يقال لهُ صدر الدين ابن الخوجندي وكان قد اعلن بوزبه على تسلّم اصفهان فجازاه على ذلك باستيزاره (٤

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر ربيع الاخر وصل رسول مصر الى دمشق بما صحبهُ من تشريفٍ وقَوْدٍ ومالٍ برسم ظهير الدين ومعينه على جاري الرسم في مثل ذلك. وفي ليلة الجمعة الثالث من شهر ربيع الاوَّل من السنة توفّي الفقيه شيخ الاسلام ابو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي بدمشق رحمهُ الله

---

١) وفي زبدة التواريخ : مرج فرابان ٢) وفيها ايضاً ان اسمه خاصبك بن بلكرى
٣) وفيها ايضاً ان اسمه زنكى الجاندار
٤) وفي زبدة التواريخ ان بوزابه حمل الى السلطان مسعود فعاتبه عتباً وهو لا يتكلّم ولا يتألّم واراد الابقاء عليهِ فابى خاصبك فقتلهُ السلطان مسعود وانجلى النقع عن بن عباس مقتولًا. . . . . وان الذي كان سلّم لبوزابه اصفهان هو صدر الدين بن الخجندي

وقال تقي الدين ابن قاضي شهبة في كتابه منتقى العبر المنتخب من العبر للحافظ الذهبي ان في سنة ٥٥٢ توفّي صدر الدين ابو بكر الخجندي محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت رئيس اصفهان شافعي وعالمها. قال ابن السمعاني : كان صدر العراق في زمانه على الاطلاق اماماً مناظرًا واعظاً جوادًا مهيباً كان السلطان محمود يصدر عن رأيه وكان بالوزراء اشبه منهُ بالعلماء درس ببغداد بالنظامية وكان يعظ وحولهُ السيوف ومات فجأةً في قرية بين همذان والكرخ في شوال وقد روى عن ابي علي الحداد

Marfat.com

وكان بقية الفقهاء المقيمين على مذهب الشافعي رحمهُ الله ولم يخلف مثلهُ بعده (١

وفي جمادى الاخرة منها تقرَّرت ولاية حصن صرخد للامير مجاهد الدين بُزان بن مامين على مبلغ من المال والغلَّة وشروط وايمان دخل فيها وقام بها وتوجَّه اليهِ وحصل بهِ في النصف من الشهر المذكور واستبشر مَن بتلك الناحية من حصوله فيهِ لما هو عليهِ من حبّ الخير والصلاح والتديُّن والعفاف عقيب مَن كان قبله ممَّن لا يدين الله بدين ولا صلاةٍ ولا انصاف ولا نزاهة نفس ولا جميل فعل

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بان رضوان بن ولخشي المنعوت كان بالافضل وزير صاحب مصر الذي كان معتقلًا بالقصر وقد تقدَّم ذكره فيما مضى نقب من المكان الذي كان فيهِ الى مكان ظاهر القصر نقباً يكون تقدير طولهِ اربعون ذراعاً واجتمع اليهِ خلق كثير من العسكريَّة ممن كان يهواهُ ويتوالاهُ في العشر الاخير من ذي القعدة سنة ٤٢ وانهُ راسل سلطان مصر يلتمس منهُ اعادته الى منصبه واخراج المال لينفق على العسكريَّة والاجناد فعاد الجواب اليهِ بالوعد (160ظ) بالاجابة على سبيل المغالطة والمدافعة الى حين دُبّر الامر عليهِ ورُتب لهُ من الرجال الاجلاد وابطال الاجناد والانجاد من هجم عليهِ في مكانه ومجتمع اعوانه فقُتل وقتل معهُ من دنا منهُ وتابعهُ وورد بشرح قصّته السجلّ من سلطان مصر الى ثغر عسقلان وقُرئَ على منبرها ومضمونه: بسم الله الرحمن الرحيم . . . . . وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال سنة ٤٢ وهو مستهلّ نيسان اظلم الجوّ وتزل غيثٌ ساكنٌ ثم اظلمت الارض في وقت صلاة العصر ظلاماً شديداً بحيث كان ذلك كالغدرة بين العشايين وبقيت السماء في عين الناظر اليها كصفورة الورس وكذلك الجبال واشجار الغوطة وكل ما يُنظَر اليهِ من حيوان وجماد ونبات . ثم جاء في اثر ذلك من الرعد القاصف والبرق الخاطف والهدَّات المزعجة والزحفات المفزعة ما ارتاع لها الشيب والشبَّان فكيف الولدان والنسوان وقلقت لذلك الخيول في مرابطها واجفلت من هولها وبقي الامر على هذه الحال الى حين وقت العشاء الاخرة ثم سكن ذلك بقدرة الله تعالى واصبح الناس غد ذلك اليوم ينظرون في

---

١) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي: ولهُ اربع وتسعون سنة وهو آخر اصحاب ابن ابي لقمة . وقال تقي الدين ابن قاضي شهبة في طبقات الفقهاء انهُ درس بالنزالية بعد شيخه نصر ولهُ اوقاف على وجوه البرّ وكان منقبضاً عن الدخول على السلاطين . والشيخ نصر هو نصر بن ابرهيم ابن نصر بن ابرهيم بن داود ابو الفتح المقدسي النابلسي توفي سنة ٤٩٠

Marfat.com

اعقاب ذلك المطر فاذا على الارض والاشجار وسائر النبات غبـار في رقّة الهواء بين البياض والغبرة بحيث يكون اذا جُرّد عنها الشيء الكثير ويلوح فيهِ بريقٌ لا يُدرى ما لونهُ ولا جسمهُ من نعومتهِ فعجب الناس من هذه القُدرة التي لا يُعلَم ما اصلها ولا شبيه لها بل نزلت في جملة المطر ممتزجةً بهِ كامتزاج الماء بالماء والهواء بالهواء

وفي هذه السنة تواصلت الاخبار من ناحية القسطنطينية وبلاد الافرنج والروم وما والاها بظهور ملك الافرنج من بلادهم منهم المان والفنش وجماعة من كبارهم في العَدَد الذي لا يُحصر والعُدد التي لا تحزر لقصد بلاد الاسلام بعـد ان نادوا في سائر بلادهم ومعقلهم بالنفير اليها والاسراع نحوها وتخلية بلادهم واعمالهم خاليةً سافرةً من حُماتهـا والحفظة لها واستصحبوا من اموالهم وذخائرهم وعددهم الشيء الكثير الذي لا يحصى بحيث يقال ان عدّتهم الف الف عنان من الرجالة والفرسان وقيل اكثر (161r) من ذلك وغلبوا على اعمال القسطنطينية واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ومسالمتهم والنزول على احكامهم . وحين شاع خبرهم واشتهر امرهم شرعت وُلاة الاعمال المصاقبة لهم والاطراف الاسلامية القريبة منهم في التأهُّب للمدافعة لهم والاحتشاد على المجاهدة فيهم وقصدوا منافذهم ودروب معابرهم التي تمنعهم من العبور والنفوذ الى بلاد الاسلام وواصلوا شنّ الغارات على اطرافهم واشتجر القتل فيهم والفتك بهم الى ان هلك منهم العدد الكثير وحلّ بهم من عدم القوت والعلوفات والمِيَر وغلاء السعر اذا وجد ما افنى الكثير منهم بموت الجوع والمرض ولم تزل اخبارهم تتواصل بهلاكهم وفناء اعدادهم الى اواخر سنة ٥٤٢ بحيث سكنت النفوس بعض السكون وركنت الى فساد احوالهم بعض الركون وخفّ ما كان من الاتزعاج والفرق مع تواصُل اخبارهم

ثم دخلت سنة ثلث واربعين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة الحادي وعشرين من ايار والشمس في الجوزاء . وفي اوائلهـا تواترت الاخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الافرنج المقـدّم ذكرهم الى ساحل البحر وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكّا واجماعهم مع من كان بها من الافرنج ويُقال انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع تقـدير مائة الف عنان وقصدوا بيت المقدس (١ وقضوا مفروض حجّهم وعاد بعـد ذلك مَن عاد الى بلادهم

١) قال سبط ابن الجوزي : وصلّوا صلاة الموت وعادوا الى عكا وفرقوا المال في العساكر

Marfat.com

في البحر . وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي المان اكبر ملوكهم ومن هو دونهُ واختلفت الاراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية والاعمال الشامية الى ان استقرَّت الحال بينهم على مُنازلة مدينة دمشق وحدَّثتهم نفوسهم الخبيثة بملكتها وتبايعوا ضياعها وجهاتها . وتواصلت الاخبار بذلك وشرع متولّي امرها الامير معين الدين أُنز في التأهُّب والاستعداد لحربهم ورفع شرّهم وتحصين ما يخشى من الجهات وترتيب الرجال في المسالك والمنافذ وقطع مجاري الميرة (161[٧]) الى منازلهم وطمّ الآبار وعفى المناهل وصرفوا اعنَّتهم الى ناحية دمشق في حشدهم وحدّهم وحديدهم في الخلق الكثير على ما يقال تقدير الخمسين الف من الخيل والرجل ومعهم من السواد والجمال والابقار ما كثروا بهِ العَدَد الكثير ودنوا من البلد وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادفوا الماء معدوماً فيهِ مقطوعاً عنهُ فقصدوا ناحية المزَّة فخيَّموا عليها لقُربها من الماء وزحفوا اليهِ بخيلهم ورجلهم . ووقف المسلمون بازائهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الاول سنة ٤٣ ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الاجناد والاتراك القتَّال واحداث البلد والمطوّعة والغُزاة الجمّ الغفير واشتجر القتل بينهم واستظهر الكفَّار على المسلمين بكثرة الاعداد والعُدد وغلبوا على الماء وانتشروا في البساتين وخيَّموا فيها وقربوا من البلد وحصلوا منهُ بمكانٍ لم يتمكَّن احدٌ من العساكر قديمًا ولا حديثًا منهُ . واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الفندلاوي المالكي (١ رحمه الله قريب الربوة على الماء لوقوفه في وجوههم وترك الرجوع عنهم اتباعاً لاوامر الله تعالى في كتابه الكريم وكذلك عبد الرحمن الحلحولي الزاهد رحمه الله جرى امره هذا المجرى

وشرعوا في قطع الاشجار والتحصين بها وهدم القناطر (٢ وباتوا تلك الليلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الارتياع لهول ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما ضعفت

وكان مقدار ما فرَّقوه سبعمائة الف دينار ولم يظهروا انهم يريدون دمشق وورّوا بغيرها وهرَّبوا المسلمين بين ايديهم وجموا الغلال والاتبان واحرقوها . . . . ولم تشعر اهل دمشق الَّا وملك الالمان قد ضرب خيمته على باب دمشق في الميدان الاخضر

١) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي : هو ابو الحجاج يوسف بن دوباس المغربي الفندلاوي قُتل شهيدًا في حصار الفرنج مقبلًا غير مُدبرًا والدعاء عند قبره خارج الباب الصغير مستجاب

٢) وفي الاصل : العطاير

Marfat.com

بهِ القلوب وحرجت معهُ الصدور وباكروا الظهور اليهم في غد ذلك اليوم وهو يوم الاحد تاليه وزحفوا اليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم واكثروا القتل والجراح فيهم. وابلى الامير معين الدين في حربهم بلاءً حسناً وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهَد في غيره بحيث لا يني في ذيادتهم ولا يُفتْ عن جهادهم ولم تزل رحى الحرب دائرةً بينهم وخيلُ الكُفَّار مُحجمةً عن الحملة المعروفة لهم الى ان تتهيَّأ الفرصة لهم الى ان مالت الشمس الى الغروب واقبل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم الى مكانه وبات الجند (162ظ) بازائهم واهل البلد على اسوارهم للحرس والاحتياط وهم يشاهدون اعداءهم بالقرب منهم

وكانت المكاتبات قد نُفذت الى وُلاة الاطراف بالاستصراخ والاستنجاد وحصلت خيل التركمان تتواصل ورجَّالة الاطراف تتتابع وباكرهم المسلمون وقد قويت نفوسهم وزال رَوعُهم وثبتوا بازائهم واطلقوا فيهم السهام ونبل الجرح بحيث تتبَّع في مخيَّمهم في راجل او فارسٍ او فرس او جمل

ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها رجالة كثيرة من الرُماة فزادت بهم العِدَّة وتضاعفت العُدَّة وانفصل كل فريق الى مستقرّه هذا اليوم وباكروهم من غدِهِ يوم الثلثاء كالبُزاة الى تعاقيب الجبل والشواهين الى مَطار الحجل واحاطوا بهم في مخيَّمهم وحول مجثمهم وقد تحصَّنوا باشجار البساتين وافسدوها رشقًا بالنشَّاب وحذفًا بالاحجار. وقد احجموا عن البروز وخافوا وفشلوا ولم يظهر منهم احدٌ وظُنَّ بهم انَّهم يعملون مكيدةً ويُدبّرون حيلةً ولم يظهر منهم الَّا النفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المكاردة والمناوشة خوفًا من المهاجنة الى ان يجدوا لحملتهم مجالًا او يجدون لفرّهم احتيالًا وليس يدنو منهم احدٌ الَّا صُرع برشقةٍ او طعنةٍ وطمع فيهم نفرٌ كثيرٌ من رجالة الاحداث والضياع وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد اثنوا (١ فيقتلون من ظفروا بهِ ويحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عنها وحصل من رؤوسهم العدد الكثير

وتواترت اليهم اخبار العساكر الاسلاميَّة بالخفوف الى جهادهم والمسارعة الى استئصالهم فايقنوا بالهلاك والبوار وحلول الدمار واعملوا الاراء بينهم فلم يجدوا لنفوسهم خلاصًا من الشبكة التي حضلوا فيها والهوَّة التي القوا بنفوسهم اليها غير الرحيل سحرًا

---

١) وفي الاصل: امنوا

Marfat.com

يوم الاربعاء المتالي مجفلين والهرب مخـذولين مفلولين (١ .وحين عرف المسلمون ذلك وبانت لهم آثارهم في الرحيل برزوا لهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا نحوهم في آثارهم بالسهام بحيث قتلوا في اعقـابهم من الرجال والخيول والدوابّ العدد الكثير ووجد في اثار منازلهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم وفاخر خيولهم ما لا (162ظ) عدد لهُ ولا حصر يلحقهُ بحيث لها ارائح من جِيفهم تكاد تصرع الطيور في الجوّ وكانوا قد احرقوا الربوة والقُبَّة الممدودة في تلك الليلة واستبشر الناس بهذه النعمة التي اسبغهـا الله عليهم واكثروا من الشكر لهُ تعالى ما اولاهم من اجابة دُعائهم الذي واصلوه في ايام هذه الشدَّة فلله على ذلك الحمدُ والشكرُ

واتَّفق عقيب هذه الرحمة اجتماع معـين الدين مع نور الدين صاحب حلب عند قربه من دمشق للاتحاد لها في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة وانهما قصـدا الحصن المجاور لطرابلس المعروف. . . . . (٢ وفيهِ وَلَدُ الملك الفُنش احد ملوك الافرنج المقدَّم ذكرهم كان هلك بناحية عكَّا ومعهُ والدته وجماعةٌ وافرةٌ من خواصه وابطاله ووجوه رجاله فاحاطوا بهِ وهجموا عليهِ وقد كان وصل الى العسكرين النوري والمعيني فريقةٌ تُناهز الالف فارس من عسكر سيف الدين غازي بن اتابك ونشبت الحرب بينهم تقتل اكثر من كان فيهِ وأُسر وأُخذ ولد الملك المذكور وأُمهُ ونُهب ما فيـهِ من العُدد

---

١) قال سبط ابن الجوزي : وكان زمان الفواكه فنزل الفرنج الوادي فاكلوا منها شيئاً كثيراً فاعلَّت اجوافهم ومات منهم خلق كثير ومرض الباقون . ولمَّا ضاق باهل دمشق الحال اخرجوا الصـدقات بالاموال على قدر احوالهم واجتمع الناس في الجامع الرجال والنساء والصبيان ونشروا مصحف عثمان وحثَوْا الرماد على رؤوسهم وبكوا وتضرَّعوا فاستجاب الله لهم . فكان مع الافرنج قسيس كبير طويل اللحية يقتدون بهِ فاصبح في اليوم العاشر من نزولهم على دمشق فركب حماره وعلّق في عنقه صليباً وجعل في يديهِ صليبين وعلّق في عنق حماره صليباً وجمع بين يديهِ الاناجيل والصلبان والكُتُب والخيالة والرجالة ولم يتخلَّف من الفرنجيـة احد الَّا من يحفظ الخيام . وقال لهم القسيس : قد وعدني المسيح انني افتح اليوم . وفتح المسلمون الابواب واستسلموا للموت وغاروا للاسلام وحملوا حملة رجل واحد وكان يوماً لم يرَ في الجاهلية والاسلام مثله وقصد واحد من احداث دمشق القسيس وهو في اوَّل القوم فضربهُ فأبان رأسه وقتل حماره وحمـل الباقون فانهزم الافرنج وقتلوا منهم عشرة الاف واحرقوا الصلبان والخيالة بالنفط وتبعوهم الى الخيام وحال بينهم الليل فاصبحوا وقد رحلوا ولم يبقَ لهم اثر

٢) وفي الكامل لابن الاثير : حصن عرقة

Marfat.com

والخيول والاثاث وعاد عسكر سيف الدين الى مخيّمه بحمص ونور الدين عائدًا الى حلب ومعهُ ولد الملك وأُمه ومَن أسر معهما وانكفأَ معين الدين الى دمشق

وقد كان ورد الى دمشق الشريف الامير شمس الدين ناصح الاسلام ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحُسيني النقيب من ناحيــة سيف الدين غازي بن اتابك لانهُ كان قد نُدب رسولًا من الخــلافة الى سائر الوُلاة وطوائف التركمان لبعثهم على نصرة المسلمين ومجاهدة المشركين وكان ذلك السبب في خوف الافرنج من تواصل الامداد اليهم والاجتماع عليهم ورحيلهم على القضيَّة المشروحة . وهذا الشريف المذكور من بيتٍ كبيرٍ في الشرف والفضل والادب واخوه ضياء الدين نقيب الاشراف في الموصل مشهورٌ بالعلم والادب والفهم وكذا ابن عمه الشريف نقيب العــلويين ببغداد وابن عمه نقيب خراسان واقام بدمشق ما اقام وظهر من حسن تأتّيه في مقــاصده وسداده في مصادره وموارده ما احرز بهِ جميل الذكر ووافر الشكر وعاد منكفئاً الى بغداد بجواب ما وصل (163[r]) فيهِ يوم الاربعاء الحادي عشر من رجب سنة ٤٣

وفي رجب في هذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بان صاحبهــا نور الدين اتابك امر بابطال « حيَّ على خير العمل » في اواخر تأذين الغداة والتظاهر بسبّ الصحابة رضي الله عنهم وانكر ذلك انكارًا شديدًا وحظر المعاودة الى شيء من هذا المنكر وساعده على ذلك الفقيــه الامام برهان الدين ابو الحسن علي الحنفي وجماعة من السنَّة بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيلية واهل الشيع وضاقت لهُ صدورهم وهاجوا لهُ وماجوا ثم سكنوا واحجموا بالخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة

وفي رجب من هذه السنــة أُذن لمن يتعانى الوعظ بالتكلّم في الجامع المعمور بدمشق على جاري العادة والرسم فبــدأَ من اختلافهم في احوالهم واعراضهم والخوض فيما لا حاجة اليهِ من المذاهب ما اوجب صرفهم عن هذه الحال وابطــال الوعظ لما يتوجَّه معهُ من الفساد وطمع سفهاء الاوغاد وذلك في اواخر شعبان منها

وفي جمادى الاخرة منها وردت الاخبار من بغداد باضطراب الاحوال فيها وظهور العيث والفساد في نواحيها وضواحيهــا وان الامير بازبه والامير قيس والامير علي بن دُبَيس بن صدقة اجتمعوا وتوافقوا في تقدير خمسة الاف فارس ووصلوا الى بغداد على حين غفلةٍ من اهلها وهجموها وحصلوا بدار السلطان وتناهوا في الفساد والعناد بحيث وقعت الحرب بينهم وقتل من النظَّار وغيرهم نحو خمسمائة انسان في الطرقات وان امير

Marfat.com

المؤمنين المقتفي لامر الله رتّب الاجناد والعسكريّة بازائهم بحيث هزموهم واخرجوهم من بغداد وطلبوا ناحية النهروان وتناهوا في العيث والافساد في الاعمال والاستيلاء على الغلال وخرج امر الخلافة بالشروع في عمارة سور بغداد وحفر الخنادق وتحصينها والزام الاماثل والتنّاء والتجّار وعيان الرعايا القيام بما يُنفَق على العمارات من اموالهم على سبيل القرض والمعونة ولحق الناس من ذلك المشقّة والكلفة المؤلمة (١. وذكر ان السلطان ركن الدين مسعود مقيمٌ بهمذان وان امره قد ضعف عمّا كان والاقوات قد قلّت والسعر قد غلا والفتن (163[٧]) قد ثارت والفساد في الاعمال قد انتشر وان العدوان في اعمال خراسان قد زاد وظهر والفناء قد كثر

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ديار مصر بظهور بعض اولاد نزار واجتمع اليه خلق كثير من المغاربة وكُتامة وغيرهم وقربوا من الاسكندريّة في عالم عظيم وان امام مصر الحافظ انهض اليهم العساكر المصرية ونشبت الحرب بينهم وقُتل من الفريقين العَدَد الكثير من الفرسان والرجالة وكان الظهور العساكر الحافظيّة على النزاريّة بحيث هزموهم واثخنوا القتل فيهم واجلت الوقعة عن قتل ولد نزار المقدّم ومعهُ جماعة من خواصّه واسبابه وانهزم مَن ثبّطه الاجل واطار قلبه الوجل وخمدت عقيب هذه النوبة الثائرة وزالت تلك الفتنة الثائرة وسكنت النفوس وزال عن مصر الخوف والبؤس

ووردت الاخبار في رجب منها من ناحية حلب بان نور الدين صاحبها كان قد توجّه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية وظفر بعُدّةٍ وافرة من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الافرنج فصدّه على حين غفلة منهُ فنال من عسكره واثقاله وكراعه ما اوجبته الاقدار النازلة وانهزم بنفسه وعسكره وعاد الى حلب سالمًا في عسكره لم يفقد منهُ الّا النفر اليسير بعد قتل جماعةٍ وافرة من الافرنج واقام بحلب اياماً

---

١) وفي زبدة التواريخ: ان في هذه السنة وصل الى بغداد جماعة من الامراء ومعهم الملك ملك شاه بن محمود وهم متناصرون على خلع السلطان مسعود وخرج اهل بغداد لدفعهم عنها فانهزموا لهم حتّى استجرّوهم ثم كثروا عليهم فقتلوا منهم خمسمائة رجل ثم طلبوا من الخليفة المقتفي لامر الله ثلثين الف دينار ليرحلوا فاشار عليهِ كُتّابهُ بذلك الّا يحيى بن هبيرة صاحب الديوان فانهُ قال: ان كان لا بدّ من اتلاف هذا المبلغ فالرأي انفاقه في جيش يدفعهم من النزل المطلقة ببغداد وانواع الناس ويكون هذا يدًا عند السلطان مسعود ثم لو دفع لهم ذلك لجعلوا بغداد مخبّأةً لهم. فقبل الخليفة رأيه وخرج بذلك الجيش اليهم فهزمهم. وكان هذا من الاراء الصائبة والخواطر الثاقبة فرأى الخليفة ان يستوزر ابن هبيرة

Marfat.com

بحيث جدَّد ما ذهب لهُ من البَرَك وما يُحتـــاج اليهِ من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعُد

وكان الغيث امسك عن الاعمال الحورانية والغوطية والبقاعية بحيث امتنع الناس من الفلاحة والزراعة وقنطوا و يئسوا من نزول الغيث فلماَّ كان في ايام من شعبـــان في نَوء الهنعة ارسل الله تعالى ولهُ الحمد والشكر على الاعمال من الامطار المتداركة ما رويت بهِ الاراضي والآكام والوهاد وانشرحت الصـــدور ولحقوا معه اوان الزراعة فاستكثروا منها وزادوا في الفلاحة والعمارة وذلك في شعبان

وقد كان تقدَّم من شرح نوبة قتل برق بن جندل التميمي بيد الاسماعيلية وجمع اخيه ضحَّاك بن جندل لبني عمّه وأُسرته وقومه ورجاله وكبســـه لجماعة خصومهِ وقتلهم مع رأس طغيانهم (164) بهرام الداعي ما قد شُرح في موضعـــه من هذا التاريخ وعُرف وورد الخبر في شعبان من هذه السنة بان المذكورين نُدبوا لقتل ضحَّاك المذكور رجلين احدهما قوَّاساً والاخر نشَّاباً فوصلا اليه وتقرَّبا بصنعتهما اليهِ واقاما عندهُ بُرهةً من الزمان طويلةً الى ان وجدوا فيهِ الفُرصة متسهّلة وذاك ان ضحَّاك بن جندل كان راكباً مسيرًا حول ضيعةٍ لهُ تُعرف ببيت لهيا من وادي التيم فلمَّا عاد عنها وافق اجتيازه بمنزل هذين المفسدين فلقياهُ وسألاهُ النزول عندهما للراحة وألحَّا عليهِ في السؤال فنزل والقدَرُ مُنازِلةٌ والبلاء مُعادِلةٌ فلمَّا جلس اتياهُ بمأكول حضرهما فحين شرع في الاكل مع الخلوة وثبا عليهِ فقتلاهُ واجفلا فادركهما رجاله فاخذوهما واتوا بهما الى ضحَّاك وقد بقي فيهِ رمقٌ فلما رآهما امر بقتلهما بحيث شاهـــدهما ثم فاضت نفسه في الحال وقام مقامه ولده من امارة وادي التيم وبهذا الشرح وصل كتابُهُ وعلى هيئته اوردتُهُ

وفي ذي الحجة ورد الخبر من ناحية بغداد بوفاة القاضي قاضي القضـــاة الاكمل فخر الدين عزّ الاسلام ابي القسم علي بن الحسين بن محمد الزينبي رحمهُ الله بيوم النحر من سنة ٥٤٣ وصلَّى عليهِ الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين وصلى عليهِ بعده نقيب النقباء ودُفن على والده نور الهُدى في تربة الامام ابي حنيفة رحمه الله وولي امر القضاء بعده القاضي ابو الحسن عليّ بن الدامغاني

ودخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة

واولها يوم الاربعاء الحادي عشر من ايار. قد كان كثُر فساد الافرنج المقيمين بصور

Marfat.com

وعكًا والثغور الساحليَّة بعد رحيلهم عن دمشق وفساد شرائط الهدنة المستقرَّة بين معين الدين وبينهم بحيث شرعوا في الفساد في الاعمال الدمشقيـــة فاقتضت الحال نهوض الامير معين الدين في العسكر الدمشقي الى اعمالها مُغيرًا عليها وعائثًا فيهـا وخيَّم في ناحية حوران بالعسكر وكاتب العرب في اواخر سنة ٥٤٣ ولم يزل مواصلًا للغارات وشنّها على (164) بلادهم واطرافهم مع الايام وتقضّيهـا والساعات وتصرُّمها واستدعاء جماعةً وافرةً من التركمان واطلق ايديهم في نهب اعمالهم والفتك بمن يظفر بهِ في اطرافهم الحراميَّة واهل الفساد والاخراب ولم يزل على هذه القضيَّة لهم مُحاصرًا وعلى النكاية فيهم والمضايقة لهم مُصابرًا الى ان الجأهم الى طلب المصالحة وتجـديد عقد المهادنة والمسامحة ببعض المقاطعة وتردَّدت المراسلات في تقرير هذا الامر واحكام مشروطه واخذ الأيمـان بالوفاء بشروطه في المحرَّم سنة ٥٤٤ وتقرَّرت حال الموادعة مدَّة سنتين ووقعت الايمان على ذلك وزال الخلف واطمأنَّت النفوس من اهل العملين بذلك وسكنت الى تمامه وسُرَّت باحكامه

ووافق ذلك تواصل كُتُب نور الدين صاحب حلب الى معين الدين يعلمه ان صاحب انطاكية جمع افرنج بلاده وظهر يطلب بهم الافساد في الاعمال الحلبية وانهُ قد برز في عسكره الى ظاهر حلب للقائه وكفّ شرّهُ عن الاعمال وان الحاجة ماسَّة الى معاضدته بمسيره بنفسه وعسكره اليهِ ليتَّفقا بالعسكرين عليـهِ. فاقتضت الحال ان ندب الامير معين الدين الامير مجـاهد الدين بزان بن مامين في فريقٍ وافرٍ من العسكر الدمشقي للمصير الى جهته وبذل المجهود في طاعته ومناصحته وتوجَّه في يوم .....من العشر الاوَّل من صفر من السنة وبقي معين الدين في باقي العسكر بناحية حوران لايناس حال العرب وحفظ اطرافهم وتطييب نفوسهم لنقل الغلال عن جمالهم الى دمشق على جاري العادة وحفظها والاحتياط عليها

وفي صفر من السنة وردت البشائر من جهة نور الدين صاحب حلب بما اولاهُ الله ولهُ الحمد من الظهور على حشد الافرنج المخذول وجمعهم المفلول بحيث لم يفلت منهم إلَّا من خبَّر ببوارهم وتعجيل دمارهم وذلك ان نور الدين لمَّا اجتمع اليهِ ما استدعاه من خيل التركمان والاطراف ومن وصل اليهِ من عسكر دمشق مع الامير مجاهد الدين (165) بزان قويت بذلك نفسه واشتدَّت شوكته وكثُف جمعه ورحل الى ناحيـة الافرنج بعمل انطاكية بحيث صار عسكره يناهز الستَّة الاف فارس مقاتلة سوى الاتباع

والسواد والافرنج في زُهاء اربعمائة فارس طعَانة والف راجل مقاتلة سوى الاتباع . فلما حصلوا بالموضع المعروف بإنب نهض نور الدين في العسكر المنصور نحوهم ولما وقعت العين حمل الكفرة على المسلمين حملتهم المشهورة وتفرّق المسلمون عليهم من عدَّة جهات ثم اطبقوا عليهم واختلط الفريقان وانعقد العجاج عليهم وتحكَّمت سيوف الاسلام فيهم ثم انقشع القتام وقد منح الله ولهُ الحمد والشكر المسلمين النصر على المشركين وقد صاروا على الصعيد مصرّعين وبهِ مغفرين وبحربهم مخذولين بحيث لم ينجُ منهم الَّا النفر اليسير ممن ثبَّطه الاجل واطار قلبه الوجل بحيث يخبرون بهلاكهم واحتناكهم وشرع المسلمون في اسلابهم والاشتمال على سوادهم وامتلأَت الايدي من غنائمهم وكُراعهم . ووجد اللعين البلنس مقدّمهم صريعاً بين حُماته وابطاله فعُرف وقُطع رأسه وحُمل الى نور الدين فوصل حاملَه باحسن صلةٍ وكان هذا اللعين من ابطال الافرنج المشهورين بالفروسيَّة وشدَّة البأس وقوَّة الحِيَل وعظم الخلقة مع اشتهار الهيبة وكبر السطوة والتناهي في الشرّ وذلك في يوم الاربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة٥٤٤ ثم نزل نور الدين في العسكر على باب انطاكية وقد خلت من حُماتها والذابّين عنها ولم يبقَ فيها غير اهلها مع كثرة اعدادهم وحصانة بلدهم وتردَّدت المراسلات بين نور الدين وبينهم في طلب التسليم الى نور الدين وايمانهم وصيانة احوالهم فوقع الاحتجاج منهم بان هذا الامر لا يمكنهم الدخول فيهِ الَّا بعد انقطاع امالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم فحملوا ما امكنهم من التُحَف والمال واستمهلوا فأُمهلوا وأُجيبوا الى ما فيهِ سألوا ثم رتّب بعض العسكر للاقامة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض نور الدين في بقية (165) العسكر الى ناحية افامية . وقد كان رتَّب الامير صلاح الدين في فريق وافر من العسكر لمنازلتها ومضايقتها ومحاربتها فحين علم من فيها من المستحفظين هلاك الافرنج وانقطع املهم من مواد الانجاد واسباب الاسعاد التمسوا الامان فأُمنوا على نفوسهم وسلَّموا البلد ووفى لهم بالشرط فرتَّب فيها من رآهُ كافياً في حفظها والذبّ عنها وذلك في الثامن عشر من شهر ربيع الاوّل من السنة

وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية الساحل الى صوب انطاكية لانجاد من بها وطلب نور الدين تسهّل الفرصة في قصدهم للايقاع بهم فاحجموا عن الاقدام على التقرّب منهُ وتشاغلوا عنهُ واقتضت الحال مهادنة من في انطاكية وموادعتهم وتقرير ان يكون ما قرُب من الاعمال الحلبية لهُ وما قرُب من انطاكية لهم . ورحل عنها الى جهة

Marfat.com

غيرهم بحيث قد كان في هذه النوبة قد ملك ما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل وغنم منها الغنائم الجمَّة وفصل عنه الامير مجاهد الدين بُزَان في العسكر الدمشقي وقد كان لهُ في هذه الوقعة ولن في جملته البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف بهِ من الشهامة والبسالة واصالة الرأي والمعرفة بمواقف الحروب ووصل الى دمشق سالمًا في نفسه وجملته في يوم الثلثاء رابع شهر ربيع الاخر من السنة. ومن لفظهِ وصفتهِ هذا الشرحُ معتمدًا فيهِ على الاختصار دون الاكثار وفيهِ من تقوية اركان الدين واذلال ما بقي من الكفرة الملحدين ما هو مشهور بين العباد وسائر البلاد مشكورٌ مذكورٌ والله تعالى اسمهُ عليهِ المحمود المشكور

وقد مضى من ذكر معين الدين أنز فيما كان انهضهُ من عسكره الى ناحية حلب لاعانة نور الدين صاحبها على ملاقاة الافرنج المجتمعين من انطاكية واعمالها للافساد في الاعمال الشامية وما منح الله تعالى ولهُ الحمد من الظفر بهم والنصر عليهم ما اغنى عن ذكر شيء منهُ. واتَّفق ان معين الدين فصل عن عسكره بحوران ووصل الى دمشق في ايام من آخر شهر ربيع الاول سنة ٥٤٤ لامرٍ اوجب ذلك ودعا اليهِ وامعن في الاكل لعادة جرت (166) لهُ فلحقه عقيب ذلك انطلاقٌ تمادى بهِ وحمله اجتهاده فيما يدبّره على العود الى العسكر بناحية حوران وهو على هذه الصفة من الانطلاق وقد زاد بهِ وضعفت قوَّته وتولَّد معه المرض المعروف بحُوسنطِريا وعمله في الكبد وهو مخوف لا يكاد يسلم صاحبه منهُ وارجف بهِ وضعفت قوَّته فاوجبت الحال عوده الى دمشق في محفَّةٍ لمداواته فوصل في يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر من السنة فزاد بهِ المرض والارجاف بموته وسقطت قوَّته وقضى نحبه في الليلة التي صبيحتها يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاخر من السنة ودُفن في ايوان الدار الاتابكية التي كان يسكنها ثم نُقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمَّرها. ولمَّا دُفن في قبره وفُرغ من امره اجتمع حسام الدين بُلاق وموَّيد الدين الرئيس ومجاهد الدين بُزان واعيان الاجناد في مجلس مجير الدين بالقلعة واليه الامر والتقدّم وتقرّرت الحال بينهم على ما اتَّفق من صلاح الحال

وفي مستهلّ جمادى الاولى من السنة توفّي ابو عبد الله البسطامي المقري المصلّي في مشهد زين العابدين رحمهُ الله. وورد الخبر من ناحية الموصل بوفاة الامير سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك رحمه الله بعلَّةٍ قولنجيَّةٍ دامت بهِ في اوائل جمادى الاولى

Marfat.com

من السنة وانهُ قرّر الامر لاخيه مودود بن عماد الدين والنظر في امره للامير علي كوجك والوزارة لجمال الدين

وفي يوم الجمعة التاسع من رجب سنة ٥٤٤ قُرئَ المنشور المنشأ عن مجير الدين بعد الصلاة على المنبر بابطال الفيئة المستخرجة من الرعيَّة وازالة حكمها وتعفير رسمها وابطال دار الضرب فكثر دعاء الناس لهُ وشكرهم

وحدث عقيب هذه الحال استيحاش مؤيّد الدين الرئيس من مجير الدين استيحاشاً اوجب جمع من امكنه من سفهاء الاحداث والغوغاء وحَمَلَة السلاح من الجهلة العوام وترتيبهم حول داره ودار اخيه زين الدولة حيدرة للاحتماء بهم من مكروهٍ يتمّ عليهما وذلك في يوم الاربعاء الثالث وعشرين من رجب ووقعت المراسلات من مجير الدين بما يسكُنهما ويُطيب قلوبهما فما وثقا بذلك وجدّا في الجمع والاحتشاد من العوامّ وبعض الاجناد (166) واثارا الفتنة في ليلة الخميس تالي اليوم المذكور وقصدوا باب السجن وكسروا اغلاقه واطلقوا من فيهِ واستنفروا جماعة من اهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وفعلوا مثل ذلك وحصلوا في جمع كثير وامتلأت بهم الازقّة والدروب فحين عرف مجير الدين واصحابه هذه الصورة اجتمعوا في القلعة بالسلاح الشاكّ فاخرج ما في خزائنه من السلاح والعُدَد وفُرّقت على العسكرية وعزموا على الزحف الى جمع الاوباش والايقاع بهم والنكاية فيهم. فسأل جماعةٌ من المقدّمين التمهُّل في هذا الامر وترك العجلة بحيث تُحقن الدماء وتسلم البلد من النهب والحريق وألَحُّوا عليه الى ان اجاب سؤالهم ووقعت المراسلة والتلطُّف في اصلاح ذات البين فاشترط الرئيس واخوه شروطاً أُجيبا الى بعضها وأُعرض عن بعضٍ بحيث يكون ملازماً لداره ويكون ولده وولد اخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى القلعة الّا مستدعىً اليها وتقرّرت الحال على ذلك وسكنت الدهماء. ثم حدث بعد هذا التقرير عود الحال الى ما كانت عليهِ من العناد واثارة الفساد وجمع الجمع الكثير من الاجناد والمقدّمين والرعاع والفلّاحين واتّفقوا على الزحف الى القلعة وحَصْر من بها وطلب مَن عيّن عليهِ من الاعداء والاعيان في اواخر رجب ونشبت الحرب بين الفريقين وجُرح وقتل بينهم نفرٌ يسيرٌ وعاد كل فريق منهم الى مكانه

ووافق ذلك هروب السلّار زين الدين اسمعيل الشحنة واخيه الى ناحية بعلبك ولم تزل الفتنة ثائرة والمحاربة متّصلة الى ان اقتضت الصورة ابعاد من التمس ابعاده من

Marfat.com

خواصّ مجير الدين وسكنت الفتنــة وأُطلقت ايدي النهابة في دور السلار زين الدين واخيه واصحابهما وعمّهما النهب والاخراب ودعت الصورة الى تطييب نفس الرئيس واخيه والخلع عليهما بعد أيمان حُلف بها واعادة الرئيس الى الوزارة والرئاسة بحيث لا يكون لهُ في ذلك معترضٌ ولا مُشارك

وورد الخبر بظهور الافرنج الى الاعمال للعيث فيهــا والافساد وشرعوا في التأهُّب لدفع شرّهم . وورد الخبر من ناحية مصر بوفاة صاحبهــا الامام الحافظ بامر الله امير المؤمنين عبد المجيد بن الامير ابي القــاسم بن المستنصر بالله رحمه الله في الخامس (167) من جمادى الاخرة سنة ٤٤ وولّي الامر من بعــده ولده الاصغر ابو منصور اسمعيل بن عبد المجيد الحافظ ولُقّب بالظــافر بالله وولّي الوزارة امير الجيوش ابو الفتح ابن مصال المغربي فاحسن السيرة واجمل السياسة واستقامت بتدبيره الاعمال وصلحت الاحوال ثم حدث من بعــد ذلك من اضطراب الامور والخلف المكروه بين السودان والريحانية بحيث قتل بين الفريقين الخلق الكثير وسكنت الفتنة بعد ذلك وانتشر الامن بعــد الخوف . وقد كان الحافظ رحمه الله ولّي الامر اوّلًا في المحرّم سنة ٥٢٦ بحيث كانت مدّة اقامته فيهِ ثماني عشرة سنة وخمسة اشهر وخمســة وعشرين يوماً وكان اوّل زمانه حسن الافعال والسيرة وبثّ الاحسان في العسكرية والرعية

وقد كان الخبر اتّصل بنور الدين بافساد الافرنج في الاعمال الحورانية بالنهب والسبي فعزم على التأهُّب لقصدهم وكتب الى من في دمشق يعلمهم ما عزم عليــهِ من الجهاد ويستدعي منهم المعونة على ذلك بالف فارس تَصِلُ اليهِ مع مقدّم يُعوّل عليهِ وقد كانوا عاهدوا الافرنج ان يكونوا يداً واحدةً على من يقصدهم من عساكر المسلمين فاحتُجّ عليه وغولط . فلمّا عرف ذلك رحل ونزل بمرج يبوس وبعض العسكرية بيعفور فلمّا قرب من دمشق وعرف من بها خبره ولم يعلموا اين مقصدهُ وقد كانوا ارسلوا الافرنج بخــبره وقرّروا معهم (١ الانجاد عليهِ وكانوا قد نهضوا الى ناحيــة عسقلان لعمارة غزّة ووصلت اوائلهم الى بانيــاس . وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفل بهم وقال : لا انحرف عن جهادهم . وهو مع ذلك كافُّ ايدي اصحابه عن العيث والافساد في الضياع واحسان الرأي في الفلاحين والتخفيف والدعاء لهُ مع ذلك مُتواصلٌ من اهل دمشق واعمــالها وسائر البلاد واطرافها . وكان العيث قد انحبس عن حوران والغوطة والمرج حتى ترح اكثر

---

١) وفي الاصل : معه

اهل حوران عنها للمحلّ واشتداد الامر وترويع سربهم وعدم شربهم. فلمّا وصل الى بعلبك اتّفق للقضاء المقدّر والرحمة النازلة ان السماء ارسلت عزاليَها بكل وابل وطلّ وانسكابٍ وهطل بحيث اقام ذلك منذ يوم الثلثاء الثالث من ذي الحجة سنة ٤٤ الى مثله (167[٧]) وزادت الأَنهار وامتلأَت بِرَك حوران ودارت ارحيتهـا وعاد ما صُوح من الزرع والنبات غصناً طريناً وضجّ الناس بالدعاء لنور الدين وقالوا: هذا ببركته وحسن معدلته وسيرته

ثم رحل من منزله بالاعوج ونزل على جسر الخشب المعروف بمنازل العاسر في يوم الثلثاء السادس والعشرين من ذي الحجّة سنة ٤٤ وراسل مجـير الدين والرئيس بما قال فيهِ: انني ما قصدتُ بنزولي هذا المنزل طالبًا لمحاربتكم ولا منازلتكم وانّما دعاني الى هذا الامر كثرة شكاية المسلمين من اهل حوران والعربان بان الفلّاحين الذين أُخذَت اموالهم وشُتتت نساؤُهم واطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم لا يَسَعُني مع ما اعطاني الله ولهُ الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ولا يحلّ لي القعود عنهم والانتصار لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ اعمالكم والذبّ عنها والتقصـير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالافرنج على محاربتي وبذلكم لهم اموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلماً لهم وتعدّياً عليكم وهذا ما لا يرضي الله تعالى ولا احدًا من المسلمـين ولا بدّ من المعونة بالف فارس تزاح (١ العلّة تُجرَّد مع من توثق بشجاعته من المقدّمين لتخليص ثغر عسقلان وغيره

فكان الجواب عن هذه الرسالة: ليس بيننـا وبينك الّا السيف وسيوافينا من الافرنج ما يعينُنا على دفعك ان قصدتَنا ونزلتَ علينا. فلمّا عاد الرسول بهذا الجواب ووقف عليه اكثر التعجّب منهُ والانكار لهُ وعزم على الزحف الى البلد ومحاربته في غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء الخامس والعشرون من نيسان فارسل الله تعالى من الامطار وتدارُكها ودوامها ما منعهُ من ذلك وصرفه عنه

ودخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة

اوّلها يوم الاثنين مستهلّ المحرّم. وفيه تقرّر الصلح بين نور الدين وارباب دمشق والسبب في ذلك ان نور الدين اشفق من سفـك دماء المسلمين ان اقام على حربها

---

١) وفي الاصل: براحي

Marfat.com

والمضايقة لها مع ما اتّصل بهِ من اخبار دعتهُ الى ذلك واتّفق انهم (168[1]) بذلوا لهُ الطاعة واقامة الخطبة لهُ على منبر دمشق بعد الخليفة والسلطان والسكّة ووقعت الأيمان على ذلك وخلع نور الدين على مجير الدين خلعةً كاملة بالطوق واعادهُ مكرّمًا محترمًا وخطب لهُ على منبر دمشق يوم الجمعة رابع عشر المحرَّم ثم استدعى الرئيس الى المخيّم وخلع عليه خلعة مكمّلة ايضًا واعاده الى البلد وخرج اليهِ جماعة من الاجناد والخواصّ الى المخيّم واختلطوا بهِ فوصل من استماحه من الطلّاب والفقراء والضعفاء بحسب ما خاب قاصده ولا اكدى مَن سألهُ ورحل عن مخيّمه ليلة الاحد عائدًا الى حلب بعد احكام ما قرّر وتكميل ما دبّر

وورد الخبر في الخامس من المحرَّم من ناحية حلب بان عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب اعزاز واصحابه وحصوله في قبضة الاسر في قلعة حلب فسُرّ بهذا الفتح كافّة الناس. وورد الخبر بان الملك مسعود وصل في عسكره طالبًا انطاكية ونزل على تلّ باشر وضايقها في ايام من المحرَّم

وفي ايام من المحرَّم وصل الى دمشق جماعة من حجّاج العراق وخراسان المأخوذون في طريق الحجّ عند عودهم لجماعةٍ من كفّار العربان وزُطّهم واوباشهم تجمّعوا في عددٍ دثرٍ وحكوا مُصيبةً ما نزل مثلها باحدٍ في السنين الخالية ولا يكون اشنع منها وذُكر انهُ كان في هذا الحج من وجوه خُراسان ومُتنائها وفقهائها وعُلمائها وقُضاتها وخواتين امراء العسكر السلطانية والحُرم العدد الكثير والاموال الجمّة والامتعة الوافرة فأُخذ جميع ذلك وقُتل الاكثر وسَلِم الاقلّ الاتزر وهُتكت النساء وسلبوا وهلك من هلك بالجوع والعطش فضاقت الصدور لهذه النازلة الفادحة والرزيئة الحادثة فكسا العاري منهم واطلق لهم ما استعانوا بقدرهِ على عودهم الى اوطانهم من اصحاب المُروَّة والمقدمين بدمشق وذلك بتقدير الحكيم القدير

وقد كان نور الدين عقيب رحيله عن دمشق وحصول ابن جوسلين في قلعة حلب اسيرًا توجّه في عسكره الى اعزاز بلد ابن جوسلين ونزل عليها وضايقها وواظب قتالها الى ان سهّل الله تعالى ملكتها بالامان وهي على غايةٍ من الحصانة والمنعة والرفعة فلمّا تسلمها رتب فيها من ثقاته من وثق بهِ ورحل (168[2]) عنها ظافرًا مسرورًا عائدًا الى حلب في ايام من شهر ربيع الاوّل من السنة

وورد الخبر بعد المضايقة والمحاربة عن تل باشر في يوم الجمعة مستهلّ ربيع الاخر

Marfat.com

برحيل الملك مسعود ووصل اكثر حُماتها لاسبابٍ اوجبت ذاك ودعت اليهِ وكان مجاهد الدين بُزان قد توجَّه الى حصنهِ صرخد لتفقّد امواله وترتيب احواله واحوال ولده النائب عنه في حفظه وتقرير اموره وعرضت بعده نفرةٌ بين مجير الدين والرئيس بسعايات اصحاب الاغراض والفساد واقتضت الحال استدعاء مجاهد الدين لاصلاح الحال فوصل وتمّ ذلك بوساطته على شرط ابعاد الحاجب يوسف حاجب مجير الدين عن البلد مع اصحابه وتوجّهوا ولم يعرض لشيء من اموالهم وقصد بعلبك فاكرمه عطاء واليها

وقد كانت الاخبار متناصرةً من ناحية مصر بالخلف المستمرّ بين وزيرها ابن مصال وبين الامير المظفَّر بن سلّار وجميع العسكريَّة ووقوع الحرب منهم وسفك الدماء الى ان اسفرت عن قتل ابن مصال الوزير وظفر ابن سلّار بهِ وغلبته على الامر وانتصابه في الوزارة وسعى في صلاح وترتيب الاجناد واطلاق واجباتهم وهدت النائرة وسكنت الفتنة الثائرة

وورد الخبر بوصول منكوبرس في جماعةٍ من الاتراك والتركمان الى ناحية حوران واجتماعه مع الامير سرخاك والي بُصرى على العيث والفساد في ضياع حوران وقيل ان ذاك باذن نور الدين وقصدوا عمل صرخد بالافساد والاخراب والمضايقة لها ورحلوا بعد ذلك الى غيرها للافساد ومنع الفلاحين من الزرع

وفي يوم الاثنين السابع عشر من رجب من السنة توفّي القاضي بهاء الدين عبد الملك بن الفقيه عبد الوهاب الحنبلي رحمه الله وكان اماماً فاضلاً مناظراً مستقلاً مفتياً على مذهب الامامين احمد وابي حنيفة رحمهما الله بحكم ما كان (يجري) عليه عند اقامته بخراسان لطلب العلم والتقدُّم وكان (فصيح) اللسان بالعربيَّة والفارسيَّة حسن الحديث في الجدّ والهزل وكان لهُ يوم دفنه في جوار ابيه وجدّه في مقابر الشهداء رحمهما الله مشهود بكثرة العالم والباكين حول سريره والموبّنين لهُ والمتأسّفين عليه (169)

وتوفّي ايضاً عقيب وفاته الشريف القاضي النقيب ابو الحسين فخر الدولة ابن القاضي بن ابي الجنّ رحمه الله في يوم الخميس العشرين من رجب من السنة ودُفن في مقابر فخر الدولة جدّه رحمه الله وتفجّع الناس لهُ لخيريَّته وشرف نيَّته

وفي رجب من السنة وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره بعسكر الافرنج

Marfat.com

النازلين بازائه قريبا من تلّ باشر وعظم النكاية فيهم والفتك بهم وامتلأت الايدي من غنائمهم وسبيهم واستيلائه على حصن خالد الذي كان مُضايقهُ ومنازلهُ

وفي العشر الاخير من رجب ورد الخبر من حوران بان الامير منكوبرس التقى في المعروف بالَموسه (كذا) الحاجي ورجاله من عسكر دمشق فهزمه وجرحه جرحاً تمكَّن منه وحمل الى البلد فمات في الطريق ووصل وقُبر في مقابر الفراديس في يوم الاثنين السادس من شعبان من السنة

وفي يوم الاربعاء الرابع عشر من شهر رمضان ارسلت السماء عَزاليَها بثلج لم يرَ في السنين الخالية مثله وتمادت بهِ الايام بحيث عمّ كثيرًا من اقطار ارض حوران والبقاع والبرّيّة وقيل ان اقصاهُ من بلاد الشمال الى قلعة جعبر وجرت اودية حوران ودارت ارحيتُها وامتلأَت برَكُها وفاضت آبارُها واستبشر الناس بهذه النعمة العامَة وشكروا مُوليها والمنعِم بها وزادت انهار بَرَدَى والعيون عقيب ذلك زيادةً وافرة وسُرَّت النفوس وتتابع بعد ذلك غيث كانون الثاني روَّى الزراعات ومنابت العشب

وفي يوم السبت الثالث من ذي الحجة من السنة توفي القاضي المكين ابو البركات محفوظ ابن القاضي ابي محمد الحسن بن مصري رحمه الله بعلّةٍ طالت بهِ وهو في اواخر الثمانين، وكان مشهورًا بالخير والعفاف وسلامة الطبع

وورد الخبر من ناحية مصر بالخلف المستمرّ بين وزيرها العادل بن سلّار واجنادها بحيث الدماء بينهم مسفوحة وابواب الشر والعناد مفتوحة

ودخلت سنة ست واربعين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة مستهلّ المحرَّم. وفي يوم الاربعاء العاشر من المحرَّم من هذه السنة المباركة نزل اوائل عسكر نور الدين على ارض عذراء من عمل دمشق وما والاها (169ظ) وفي يوم الخميس تاليه قصد فريقٌ وافرٌ منهم ناحية السهم والنيرب وكمنوا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليها اسرع النذير اليهم فحذرهم وقد ظهر الكمين فانهزموا الى البلد وخرج من اعقابهم وسلموا من الايقاع بهم وفي يوم الجمعة تاليه وصل نور الدين في عسكره ونزل على عيون فاسريا ما بين عذراء ودومة وامتدُّوا الى تلك الجهات وفي يوم السبت التالي لهُ رحلوا من ذلك المكان ونزلوا في اراضي حجيرا وراوية وتلك الجهات في الخلق الكثير والجمّ الغفير وانبثَّت ايدي المفسدين في عسكر الدمشقي

Marfat.com

والاوباش من اهل العيث والافساد في زروع الناس فحصدوها واستأصلوها وفي الثمار فافنوها بلا مانعٍ ولا دافع وضرّ ذلك باصحابها الضر الزائد وتحرّك السعر وانقطعت السابلة وضاقت الصدور ووقع التأهّب والاستعداد لحفظ البلد والسور ووافت رُسُل نور الدين الى وُلاة امر البلد تقول: انا ما أُوثِرُ الّا صلاح المسلمين وجهاد المشركين وخلاص من في ايديهم من الاسارى فان ظهرتم معي في عسكر دمشق وتعاضدنا على الجهاد وجرى الامر على الوفاق والسداد فذلك غاية الايثار والمراد. فلم يعُد الجواب اليه بما يرضاه ويوافق مبتغاه (١

وفي يوم السبت الثالث والعشرين منهُ رحل نور الدين في عساكره عن ذلك المنزل بحيث نزل في ارض مسجد القدم وما والاه من الشرق والغرب ومبلغُ منتهى الخيم الى المسجد الجديد قبلي البلد وهذا منزلٌ ما نزلهُ احدٌ من مقدّمي العساكر فيما سلف من السنين وجرى بين اوائل العسكر وبين من ظهر اليهِ من البلد مناوشات ثم عاد كلٌّ الى مكانه ولم تزل الحال مستمرّة من العسكر النوري على اهمال الزحف الى البلد ومحاربة من فيه اشفاقًا من قتل النفوس واثخان الجراح في مقاتلة الجهتين بحيث انطلقت ايدي المفسدين من الفريقين في الفساد وحصد زراعات المرج والغوطة وضواحي البلد وخراب مساكن القُرى ونقل أنقاضها الى البلد والعسكر وزاد الاضرار باربابها من التُنّاء والفلّاحين وتزايد طمع الرعاع والاوباش في التناهي في الفساد بلا رادعٍ لهم ولا مانعٍ منهم وعُدِم التبن لعلف الكُراع في جميع الجهات وارتفع السعر وعظُم (170) الخطب وصعب الامر والاخبار تتناصر باحتشاد الافرنج واجتماعهم للانجاد لاهل دمشق والاسعاد وقد ضاقت صدور اهل الدين والصلاح وزاد انكارهم لمثل هذه الاحوال المنكرة والاسباب المستبشعة ولم تزل الحال على هذه القضيّة المكروهة والمناوشات في كل يوم متّصلة من غير مزاحفة ولا محاربة الى يوم الخميس الثالث عشر من صفر من السنة

ثمّ رحل العسكر النوري من هذه المنازل ونزل في اراضي فذايا وحلقبلتين والخامسين المصاقبة للبلد وما عرف في قديم الزمان مَن اقدم من الجيوش على الدُنو منها ونشبت المطاردة في اليوم المذكور وكثر الجراح في خيالة البلد ورجالته وملك مواشي الفلّاحين

---

١) وقال سبط ابن الجوزي ان نور الدين ارسل الى مجير الدين يقول: قد كنتُ اتّفقت معكم وحالفت لكم والآن قد صحّ عندي انكم ظاهرتم الافرنج و(ان) اعطيتموني عساكركم لاجاهد في سبيل الله رجعتُ عنكم. فلم يردّ جوابًا

والضعفاء ودوابّ المتعلّقة من البلد وما يخصّ فلاحي الغوطة والمرج والضواحي. ثم رحل في يوم الخميس العشر من صفر عائدًا الى ناحية داريًا لتواُصل الارجاف بقرب عسكر الافرنج من البلد للانجاد ليكون قريبًا من معابرهم لقوّة العزائم على لقائهم والاستعداد لحربهم لان العسكر النوري قد صار في عَدَدٍ لا يحصى كثرةً وقوّةً وفي كل زيادةٍ :ا يتواصل من الجهات وطوائف التركمان ونور الدين مع هذه الحال لا يأذن لاحدٍ من عسكره في التسرُّع الى قتال احدٍ من المسلمين من رجال البلد وعوامّه تحرُّجًا من اراقة الدم فيما لا يجدي نفعًا اذ كانوا يحملهم الجهل والغرور على التسرُّع والظهور ولا يعودون الّا خاسرين مفلولين. واقام على هذه الصورة ثم رحل الى ناحيـّة الاعوج لقرب عسكر الافرنج وعزمهم الى قصــده. واقتضى رأيه الرحيل الى ناحية الزبداني استجرارًا لهم وفرق من عسكره فريقًا يناهز اربعة الف فارس مع جماعة من المقــدّمين ليكونوا في اعمال حوران مع العرب لقصد الافرنج ولقائهم وترقّبًا لوصولهم وخروج العسكر الدمشقي اليهم واجتماعهم ثم تقاطع عليهم

واتّفق ان عسكر الافرنج وصل عقيب رحيله الى الاعوج ونزل به في اليوم الثالث من شهر ربيع الاوّل سنة ٤٦ ووصل منهم خلقٌ كثيرٌ الى البلد لقضاء حوائجهم وخرج مجير الدين وموّيده في خواصهما وجماعةٍ وافرةٍ من الرعيّة واجتمعــا بملكهم وخواصه وما (170) صادفوا عندهم شيئًا ممّا هجس في النفوس من كثرةٍ ولا قوّةٍ وتقرّر بينهم النزول بالعسكرين على حصن بُصرى لتملّكه واستغلال اعماله

ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء ولم يتهيّــأ خروج العسكر الدمشقي اليهم لعجزهم واختلافهم وقصد من كان بحوران من العسكر النوري ومن انضــاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحيةَ الافرنج للايقاع بهم والنكاية فيهم والتجأ عسكر الافرنج الى لجاة حوران للاعتصام بها وانتهى الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الجرّ من البقاع عائدًا الى دمشق وطالبًا قصــد الافرنج والعسكر الدمشقي. وكان الافرنج حين اجتمعوا مع العسكر الدمشقي قد قصدوا بُصرى لمنازلتها ومضايقتها ومحاربتها فلم يتهيأ ذلك لهم وظهر اليهم سرخاك واليها في رجاله وعادوا عنــه خاسرين وانكفأ عسكر الافرنج الى اعماله في العشر الاوسط من شهر ربيع الاوّل من السنة وراسلوا مجير الدين وموّيده يلتمسون باقي المقاطعة المبذولة لهم على ترحيــل نور الدين عن دمشق وقالوا: لولا نحن ندفعهُ ما رحل عنكم

Marfat.com

وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاصطول المصري الى ثغور الساحل في غايةٍ من القوَّة وكثرة العُدَّة والعِدّة وذُكر ان عدّة مراكبه سبعون مركبًا حربيــة مشحنةً بالرجال ولم يخرج مثله في السنين الخالية وقد أُنفق عليــه ما حُكي وقرب ثلثمائة الف دينار وقرُب من يافا من ثغور الافرنج فقتلوا واسروا واحرقوا ما ظفروا به واستــولوا على عدّة وافرة من مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا ثغر عكَّا وفعلوا فيه مثل ذلك وحصــل في ايديهم عدَّة وافرة من المراكب الحربية الافرنجية وقتلوا من حجَّاج وغيرهم خلقًا عظيمًا وانفذوا ما امكن الى ناحية مصر وقصدوا ثغر صيدا وبيروت وطرابلس وفعلوا فيها مثل ذلك. ووعد نور الدين بمسيره الى ناحية الاسطول المذكور لاعانته على تدويخ الافرنجيَّــة واتَّفق اشتغاله بامر دمشق وعوده اليها لمضايقتها وحدّث نفسه بملكتها لعلمه بضعفها وميل الاجناد والرعية اليه واشارتهم لولايتــه وعدله وذُكر ان نور الدين امر بعرض عسكره وحصره فذُكر انهُ بلغ كمال ثلثين الف مقاتلة. ثم رحل ونزل بالدلهمية من عمل البقاع ثم رحل منها طالبًا نحو دمشق ونزل في (171r) ارض كَوكَبا من غربي داريَّا في يوم السبت الحادي والعشرين من ربيع الاوَّل وغارت الخيــل على طريق حوران الى دمشق فاشتملت على الشيء الكثير من الجمال والغلَّة والمواشي وغاروا على ناحية الغوطة والمرج واستاقوا ما صادفوا من المواشي ثم رحل عن هذا المنزل في يوم الاثنين ونزل من ارض داريَّا الى جسر الخشب ونودي في البلد بخروج الاجناد والاحداث اليه فلم يظهر منهم الَّا اليسير ممَّن كان يخرج اولًا (١ وفي يوم الاربعــاء الرابع والعشرين من الشهر رحل من هذا المنزل ونزل في ارض القطيعة وما والاها ودنا منها بحيث قرُب من البلد ووقعت المناوشة بين الفريقين من غير زحفٍ ولا شدٍّ في محاربةٍ

وورد الخبر الى نور الدين بتسليم الامير نايبه الامير حسن (حسان) المنبجي مدينة تلّ باشر بالامان في يوم الخميس الخامس وعشرين من شهر ربيع الاول سنــة ٤٦ وضُربت في عسكره الطبول والكوسات والبوقات بالبشارة وورد مع المسير جماعة من اعيان تل باشر لتقرير الاحوال

واستمرّ رأي نور الدين على الزحف الى البلد ومحاربة اهله وعسكريَّته تحرُّجًا من قتل المسلمين وقال: لا حاجة الى قتل المسلمين بايدي بعضهم بعضًا وانا أُرفّههم

١) وقال سبط ابن الجوزي: هذا لما وقر في نفوسهم من استنجاد مجير الدين وابن الصوفي بالفرنج

Marfat.com

ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين. وحدثت مع هذه النيَّة تردُّد المراسلات في عقد الصلح في ايامٍ من شهر ربيع الاخر على شروط اشير اليها واقتراحاتٍ عيّن عليها وتردّد فيها الفقيه برهان الدين علي البلخي والامير اسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين ايوب (١ وتقارب الامر في ذلك وتردّدت المراسلات الى ان استقرَّت الحال على قبول الشروط المقترحة ووقعت الأَيمان من الجهتين على ذلك والرضا بهِ في يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الاخر من السنة

ورحل نور الدين في عسكره في يوم الجمعة عد اليوم المذكور طالبًا ناحية بُصرى للنزول عليها والمضايقة لها والتمس من دمشق ما تدعو اليه الحاجة من آلات الحرب والمناجيق لان سرخاك الوالي المذكور كان بها كان شاع عصيانه وخلافه ومال الى الافرنج واعتضدهم فانكر نور الدين ذلك عليه وانهض فريقًا وافرًا من عسكره اليه

وورد الخبر من ناحية قلعة جعبر في يوم السبت الثالث عشر من (171) شهر ربيع الاخر بان صاحبها الامير عزّ الدين علي بن مالك بن سالم بن مالك خرج في اصحابه الى عسكر الرَّقة وقد غار على اطراف اعماله لتخليص ما استاقوا منهُ فالتقى الفريقان وسبق اليه سهم من كمين ظهر عليهم وعاد بهِ اصحابه الى قلعة جعبر وجلس ولده مالك بن علي في منصبه واجتمع عليه جماعة أُسرتهِ واستقام لهُ الامر من بعده

ووردت الاخبار في سنة ٤٦ من ناحية مصر بان اهل دمياط حدث فيهم فناء عظيم ما عُهد مثله في قديم ولا حديث بحيث أُحصِيَ المفقود منهم في سنة ٥٤٥ سبعة الف شخص وفي سنة ٤٦ مثلهم سبعة الف بحيث يكون الجميع اربعة عشر الفًا وخلَت دُور كثيرة من اهلها وبقيت مُغلقةً ولا ساكن فيهم ولا طالب لهم

وفي يوم السبت الثاني من جمادى الاخرة سنة ٤٦ توفي القاضي السديد الخطيب

---

١) قال القارقي في تاريخه : ان في سنة ٥٥٠ وثب قسوس بمدينة آنة واخذوها من الامير فخر الدين شدَّاد (بن) منوجهر وسُلّمت الى اخيهِ الامير فضلون. وخرج الامير شداد من تلك البلاد وطلب الشام وقصد اسد الدين شيركوه وكان ابوه شاذي من اتباع هذا البيت وهو بيت قديم في هذا الطرف و يعرف ببيت ابن ابي الاسـاور بن منوجهر وكان بهم جميع ولاية اران من جنزى ودرز وجميع البلاد التي حولهم

Marfat.com

ابو الحسين (١ . . . . . بن ابي الحديد خطيب دمشق رحمه الله وكان خطيباً سديداً مبلغاً متصوّناً عفيفاً ولم يكن لهُ من يقوم مقامه في منصبه سوى ابى الحسن الفضل ولد ولده حدث السنّ فنُصب مكانه وخطب وصلّى بالنـاس واستمرّ الامر لهُ ومضى فيه

ووردت الحكايات بحدوث زلزلة وافت في الليلة الثالثة عشر من جمادى الاخرة سنة ٤٦ اهتزّت الارض لها ثلاث رجفات في اعمال بُصرى وحوران وسكنَت وما والاها من سائر الجهات وهدمت عدّةً وافرةً من حيطان المنازل بُصرى وغيرها ثم سكنت بقدرة من حرّكها وسكّنها سُبحانهُ وتعالى انهُ على كل شيءٍ قدير

وفي يوم الخميس الثاني عشر من رجب سنة ٤٦ توجّه مجير الدين صاحب دمشق الى حلب في خواصّه ووصل اليها ودخل على نور الدين صاحبهـا واكرمه وبالغ في الفعل الجميل في حقه وقرّر معه تقريرات اقترحها عليه بعد ان بذل لهُ الطاعة وحُسن النيابة عنه في دمشق وانكفأ عنه مسروراً بما قصده في حقّه من الاكرام وحسن الاحترام ووصل الى دمشق في يوم الثلثاء السادس من شعبان من السنة

وفي آخر شعبان ورد الخبر من ناحيـة بانياس بان فريقاً وافراً (172r) من التركمان غاروا على ظاهرها وخرج اليهم واليها من الافرنج في اصحابه وواقفهم فظهر التركمان عليهم وقتلوا منهم واسروا ولم يفلت منهم غير الوالي ونفرٌ يسـيرٌ واتّصل الخبر بمن في دمشق فانكر مثل هذا الفعل بحكم انعقاد الهدنة والموادعة وانهض اليهم من العسكر الدمشقي من صادف بعض التركمان متخلّفاً عن رُفقتِهم فحصلوا منهم ما كان في ايديهم وعادوا ثلثة نفرٍ منهم

وفي ايام من اوائل رمضان من السنة ورد الخبر بان اكثر عسكر الافرنج قصدوا ناحية البقاع على غرّة من اهلها وغاروا على عدّة وافرة من الضياع فاستباحوا ما بها من رجال ونسوان وشيوخ واطفال واستاقوا عواملهم ومواشيهم ودوابّهم واتّصل الخبر بوالي بعلبك فانهض اليهم رجاله واجتمع اليهم خلقٌ كثيرٌ من رجال البقاع واسرعوا نحوهم القصد ولحقوهم وقد ارسل الله تعالى عليهم من الثلوج المتـدارکة ما ثبّطهم

---

١) سمّاه سبط ابن الجوزي « عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابا الحسين بن ابي القاسم بن ابي حديد » وحكي أنهم كانوا ببيت ابي الحديد يتوارثون نعل النبي صلعم وانهم كانوا قد انقرضوا فلم يبقَ منهم احد

وحيَّرهم فقتلوا من رجالتهم الاكثر واستخلصوا من الاسرى والمواشي ما سلم من الهلاك بالثلج وهو الاقلّ وعادوا على اقبح صفةٍ من الخذلان وسوء الحال بحمد الله ونصره للمسلمين

وفي يوم السبت الثاني والعشرين من شوال من السنة وهو اليوم الثالث من شباط وافت قبيل الظهر زلزلة اهتزَّت لها الارض ثلاث هزَّات هائلة وتحرَّكت الدور والجدران ثم سكنت بقدرة الله تعالى ذكره

ودخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة

اوَّلها يوم الثلثاء مستهلّ المحرَّم. وفي المحرَّم منها ورد الخبر من ناحية نور الدين بنزوله على حصن انطرطوس في عسكره وافتتاحه لهُ وقُتل من كان فيه من الافرنج وطلب الباقون الامان على النفوس فأُجيبوا الى ذلك ورتَّب فيه الحفظة وعادوا عنهُ وملك عدَّة من الحصون بالسيف والسبي والاخراب والحرق والامان

ووردت الاخبار من ناحية عسقلان في يوم الخميس العاشر من المحرَّم بظفر رجال عسقلان بالافرنج المجاورين لهم بغزَّة بحيث هلك منهم العدد الكثير وانهزم الباقون. وفي ليلة الثلثاء الثاني والعشرين من المحرَّم من اواخر نيسان ارسل الله تعالى غيثًا (172ᵛ) هطَّالًا مجلِّلًا بالرعود والبروق المتتابعة ما زادت معه مياه بَرَدَى زيادةً وافرةً وتصندل لون مائها بمسايل الاودية والجبال وانتفعت بهِ زراعات السقي والبعول نفعًا ظاهرًا

وفي النصف من شهر ايار من صفر سنة ٤٧ كان من زمجرة الرعود وتتابُع البروق والامطار في عدَّة جهات ما زادت بهِ الانهار وسالت معهُ شِعاب الجبال والاودية. وفي وقت العصر من يوم الاحد الثاني والعشرين من ايار والعشرين من صفر من السنة نشأت غمامة برعود مجلجلة هائلة متتابعة لا تقتُر مزعجة ثم انهلَّت بوابل هطَّال جودٍ بالمطر الى اخر النهار ثم اقبلت بَرَدَى بالليل بالسيل الزائد المتغيّر اللون بماء الجبال المختلف بحيث افعمت الانهار والسواقي والمجاري واحمرَّت اماكنها وصادفت طرحات الزرع والكُدَّاسة فغيَّرت الشعير وصفَّرتهُ وسكنت بقدرة الله ونُفع من نشأتها ثم حضر من شاهد هذا العارض وحكى انهُ كان من البَرَد الكبار ما حدَّثهُ بحيث افسد من المواشي الكثير وهدم بعض دور الغوطة وصار الماء في الحقول راكدًا وسائحًا بالانهار المغدقة وحكى الحاكي ان هذا لم يُرَ مثله في الازمان

Marfat.com

وفي اواخر صفر سنة ٤٧ توجّه مجير الدين في العسكر ومعهُ مؤيد الدين الوزير الى ناحية حصن بُصرى ونزل عليه محاصرًا لسرخاك واليه ومضايقًا لاهليه لمخالفته لاوامره ونواهيه وجوره على اهل الضياع الحورانية واعتدائه عليهم والزامهم ما لا طاقة لهم بهِ واستدعى المنجنيقات وآلة الحرب لمنازلتها . واتّفق لمجير الدين المصير الى صرخد لمشاهدتهِ واستأذن مجاهد الدين واليه في ذلك فقال لهُ : هذا المكان بحكمك وانا فيهِ من قبلك . وانفذ الى ولده سيف الدين محمد النائب فيه باعتداد ما يحتاج اليهِ وتلقّى مجير الدين بما يجب لهُ فخرج اليه في بعض اصحابه ومعه المفاتيح فوفاه ما يجب لهُ من الاعظام واجلى الحصن من الرجال ودخل اليهِ في خواصّه . فسُرّ بذلك وتعجّب من فعل مجاهد الدين وشكره على ذلك وقدم اليه ما اعدّه من القَوْد والتحف وعاد عنه شاكرًا الى مخيّمه على بُصرى وحاربها عدّة ايام الى ان استقرّ (173) الصلح والدخول فيما اراد وعاد الى البلد .

وفي اوائل شعبان من السنة وردت الاخبار بوفاة السلطان غياث الدنيا والدين مسعود ابن السلطان محمد

وفي العشر الاول من شوال من السنة الموافق للعشر الاوّل من تشرين الثاني تغيَّر الماء والهواء في دمشق وعرض لاهلها الحُمَّى والسُعال بحيث عمّ الخاصّ والعامّ والشيوخ والشباب والاطفال بحيث وقع الزحام على حوانيت العطّارين لتحصيل المغلي . وحكى الحاكي ان بعض العطارين احصى ما باعه في يوم فكان ثلاثمائة وثمانين صفةً والسالم منهُ والمعافى الاكثر وما يُقيم هذا المرض بالانسان اكثر من الاسبوع ودونهُ ويمضي مَن قضى اجله وضعف امر المغسّلين والحفّارين واحتيج اليهم لكثرة الموتى

وفي يوم السبت الرابع وعشرين من شوال من السنة توفي الامير سعد الدولة ابو عبد الله محمد بن المحسن بن اللحي رحمه الله ودُفن في مقابر الكهف وكان فيه ادبٌ وافرٌ وكتابةٌ حسنةٌ ونظمٌ جيّدٌ وتقدّم والده في حلب في التدبير والسياسة وعرض الاجناد

ودخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

اوّلها يوم الاحد والشمس في برج الحمل والطالع الجَدْيُ . وفي سادس وعشرين من المحرّم منها ورد الخبر من ناحية مصر بان العادل المعروف بابن سلّار الذي كانت رتبتهُ قد علت ومنزلتهُ في الوزارة قد تمكّنت ونفذ امره في البسط والقبض وحُكمه في الابرام والنقض وانهُ كان قد جلس للانفاق في رجال الاسطول ليجهّزه في البحر الى ناحية عسقلان بالميرة لتقوية من بها على النازلين عليها من الافرنج والمضايقين لها وهو في

Marfat.com

الجمع الكثير والجمّ الغفير بالمال والرجال والغلال واشراف اهلهـا على الخطر وانهُ نهض من المجلس على العادة للراحة من النصب والهجعة عقيب التعب وكان لزوجتـه ولدٌ يُعرَف بالامير عبّاس قد قدّمه واعتمد عليهِ في الاعمال ولعباس هذا ولد قدّمهُ الوزير وانعم عليه واذن لهُ في الدخول بغير اذن اليه فدخل عليـه وهو نائم في فرشته على (173ظ) العادة فاخذ سيفه وضربه بهِ فقطع رأسـه وخرج بهِ بين اثوابه ولم يشعر احد واتى بهِ الى باب القصر في يوم الاحد الثاني عشر من المحرّم وقال لخـدم الامام الظافر بالله: هذا رأس المنافق. فقيل لهُ: ما كان منافقًا. وكان جماعة من الاتراك قد اصطنعهم الوزير المقتول لنفسه فتجمّعوا في زُهاء ثلثمائة فارس وانهم طُلبوا ليقتلوا فحموا نفوسهم بالسهام وحصلوا بظاهر القاهرة وصادفهم عباس عائدًا من بلبيس حين وافاه الخبر فوعدهم الجميل واقرارهم على واجباتهم فلم يثقوا بهِ وتفرّقوا على اقبح حال ووصـلوا الى دمشق في اواخر المحرّم وقيل ان عبّاسًا المذكور حصل في منصب العادل المذكور واستقام لهُ الامر وتمكّن في الاعمال وقيل ان العادل كان قد قتل من الحجريّة والريحانيّـة واصناف الاجناد حتى استقام لهُ الامر وتمكن في الاعمال

وتواصلت الاخبار من ناحية نور الدين سلطان حلب والشـام بقوّة عزمه على جمع العساكر والتركمان من سائر الاعمال والبلدان للغزو في احزاب الشرك والطغيان وبنصرة اهل عسقلان على النازلين عليها من الافرنج وقد ضايقوها بالزحف اليها بالبرج المخذول وهو في الجمع الكثير والله يحرسها من شرهم واقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين في جمهور عسكره للتعاضد على الجهاد في يوم السبت الثالث عشر من المحرّم واجتمع معه في ناحية الشمال واتّفق بينهما وجماعة المقدّمين من امراء الاعمال والتركمان وهم في العدد الدثر. وقد ملك نور الدين الحصن المعروف بافنس بالسيف بامر قضاه الله وسهّله ويسّره وعجّله وهو في غاية المنعة والحصانة وقتـل من كان فيهِ من الافرنج والارمن وحصل للعسكر من المال والسبي الشيء الكثير

ونهضوا طالبين ثغر بانياس ونزلوا عليه في يوم السبت تاسع وعشرين صفر وقد خلا من حماته وتسهّلت اسباب ملكته وقد تواصلت استغاثة اهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين فقضى الله تعالى بالخلف بينهم والقتل وهم في تقدير عشرة الف فارس وراجل فاجفلوا عنهـا من غير طارق من الافرنج طرقهم ولا عسكر (174ظ) منهم ارهقهم ونزلوا على المنزل المعروف بالاعوج وعزموا على معادة النزول على بانيـاس واخذها ثم

Marfat.com

احجموا عن ذلك من غير سببٍ ولا موجبٍ وتفرّقوا. وعاد مجـير الدين الى دمشق ودخلها سالماً في نفسه وجملته في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيـع الاول من السنة وعاد نور الدين الى حمص ونزل بها في عسكرهِ

ووردت الاخبار بوصول اسطول مصر الى عسقـلان وقويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال وظفروا بعُدّة وافرة من مراكب الافرنج في البحر وهم على حالهم في محاصرتها ومضايقتها والزحف بالبرج اليها

قد تقـدّم من شرح الحال للرئيس في تمكّنه من منصب الوزارة بنفيه من نفاه من المعاندين لهُ بحيث طابت نفسه وتوكّد انسه فعرض بينـه وبين اخويه عز الدولة وزينها مشاحنات ومشاجرات اقتضت المساعدة الى مجـير الدين في جمادى الاولى من السنة وانفذ مجير الدين الى الرئيس يستدعيه للاصلاح بينهم في القلعة فامتنع من ذلك وجلس في دارهِ وهمّ بالتحصّن عنه باحداث البلد والغوغاء. وآلت الحال الى تمكّن زين الدين منهُ بمعاونة مجير الدين عليهِ لاسبابٍ تقدّمت وتقرّر بينهما اخراج الرئيس من البلد وجماعته الى حصن صرخد مع مجاهد الدين بزان واليهِ في يوم الثلثاء التاسع عشر من جمادى الاولى بعد ان قرّر لهُ بقاء دارهِ وبستانه وما يخصه ويخصّ اصحابه وتقلّد اخوهُ زين الدين لهُ مكانه وخلع عليهِ وامر ونهى ونفذ الاشغال على عادته في العجز والتقصير وسُوء الافعال والتماس الرشاء على اقلّ الاعمال. ورأى مجير الدين عقيب ذلك التوجّه الى بعلبك لتطييب نفس واليها عطاء الخادم واستصحابه معـه الى دمشق لينوب عنهُ في تدبير الامور والاعمال والمعونة على مصالح الاحوال وعاد وهو معه واستشعر مجاهد الدين ان نيّة مجير الدين قد تغيّرت فيهِ فاستوحش من عوده الى البلد عن غير يمين يحلف لهُ بها على أيمانه على نفسه فوعد بالاجابة الى ما رغب فيهِ وبقي الامر موقوفاً لاسبابٍ اقتضت التوقّف

ووردت الاخبار في اثناء ذلك بان الافرنج النازلين على عسقـلان قد (174) ضايقوها بمعاداة القتال ومراوحته الى ان تسهّلت لهم اسباب الهجوم عليهـا من بعض جوانب سورها فهدموهُ وهجموا البلد وقتل بين الفريقين الخلق الكثير والجأت الضرورة والغلبة الى طلب الامان فأُجيبوا اليهِ وخرج منها من امكنهُ الخروج في البرّ والبحر الى ناحية مصر وغيرها. وقيل ان في هذا الثغر المفتتح من العُدَد الحربيّة والاموال والمـيرة

Marfat.com

والغـلال ما لا يحصر فيذكر(١ . ولمَّا شاع هذا الخبر في الاقطار ساءَ سماعه وضاقت الصدور وتضاعفت الافكار بحدوث مثله فسُبحان من لا يُردّ نافذ قضـائه ولا يدفع مختوم امره عند نفوذه ومضائه

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الاديب ابي الحُسين احمد بن مُنير الشاعر في ايام من جمادى الاخرة سنة ٥٤٨ بعلَّة هجمت عليهِ ربا فيها لسانه بحيث قضي نحبـه وكان اديباً شاعرًا عارفًا بفنون اللغة واوزان العروض لكنهُ مرهوب اللسان خبيث الهجاء مُجيد فيهِ لا يكاد يسلم من مقاطيع هجائه منعمٌ عليهِ ولا مُسيءٌ اليهِ وكان طبعه في الذم اخفّ منهُ في المدح وكان يصل بهجائهِ لا بمدحهِ وثنائهِ

ووصل الى دمشق الاديب ابو عبد الله محمد بن (نصر ويقال لهُ ابن) صغـير القيسراني الشاعر من حلب يوم الاحد الثاني عشر من شعبـان سنة ٤٨ باستدعاء مجير الدين لهُ وحضر مجلسه وانشدهُ قصيدةً حبرها يائية مقيدة حسنة المعاني والمقـاصد فاستحسنها السامعون واستجادها وشفعها بغيرها ووصله احسن صلة واتفق عوده الى منزله فعرضت لهُ حُمَّى حادَّة وجاءَ معها اسهال مُفرط قضى نحبه في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان من السنة وكان اديباً شاعرًا متـرسلًا فاضلًا بليغ النظم مليـح المعاني كثير التطبيق والتجنيس ولهُ يدٌ قويةٌ في علم النجوم والاحكام والهيئة وحفظ الاخبار والتواريخ وكان بينهُ وبين ابي الحسين احمد بن منير على قديم الزمان مشاحنات حُرص معها على الاصلاح بينهما فما تهيأَ ذلك لمن رامه وكان بينهما هذه المدَّة اليسيرة(٢

---

١) وقال الفارقي في تاريخه : ان الخليفة الظافر لمَّا علم ان الافرنج تُنازل عسقلان كان نقل رأس الحُسين بن عليّ عليهما السلام الى مصر وبنَى عليهِ بمصر مشهدًا وغرم عليه مالًا عظيمًا لا يحصى . وقال سبط ابن الجوزي : بلغني ان سبب تسليم عسقلان الى الافرنج ان اهلهـا في ضيقة عظيمة يرتقبون في كل يوم الاسطول والنجدة تأتيهم من مصر فبينما هم في آخر نفَس اذا بمركب صغير من مصر قد اقبل فاستبشروا وظنُّوا انهُ مقدّم التقوية واذا فيهِ رجل معهُ كتاب من الفائز بامر الله صاحب مصر الى والي عسقلان يقول فيهِ : ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفذ لنا مقصبة عسقلان فانهُ قصبٌ غليظٌ فجعلها شبابات للجواري . فقال للرسول : نعم الى غداة غدٍ . ثم خرج في الليل الى الافرنج واخذ منهم امانًا لاهـل البلد فلما طلع الفجر فتح الابواب ودخل الافرنج البلد فاحضر الرجل الذي جاء بالكتاب فقال : هذا هو الجواب . وفي حاشية : دونك خساسة عقل هذا الامير

٢) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي : ان القيسراني تولى اذان الساعات التي بدمشق مدَّة ثم سكن حلب

وكان قد ورد من بغداد الى دمشق في اوائل سنة ٥٤٨ الشيخ الامام الفيلسوف ابو الفتوح بن الصالح وكان غايةً في الذكاء وصفاء الحسن والنفاذ في العلوم الرياضيَّة (175ᵛ) الطبَّ والهندسة والمنطق والحساب وفنون النجوم والاحكام والمواليد والفقه وما يتَّصل بهِ وتواريخ الاخبار والسير والاداب بحيث وقع الاجتماع عليهِ بانهُ لم يُرَ مثله في جميع العلوم وحسن الخلق ونزاهة النفس بحيث لا يقبل من احدٍ من الولاة صلة قلَّت او كثرت واتَّفق للحَين المقضي انهُ عرض لهُ مرضٌ حادٌّ ومعهُ اسهالٌ مُفرطٌ اضعف قوَّته اقام بهِ اياماً وتوفي الى رحمة الله في دمشق يوم الاحد السادس والعشرين من شعبان من السنة وقيل انهُ من بيتٍ كبير في العلم والاصل. ونظم فيهِ هذه الابيات بصفة حاله في هذا الموضع ليُعرف محلَّه:

سررتَ ابا الفتوح نفوسَ قومٍ ... رأوك وحيد فضلك في الزمانِ
حويتَ علوم اهل الارض طرًّا ... وبيَّنتَ الجليَّ من البيانِ
دُعيتَ الفيلسوف وذاك حقٌّ ... بما اوضحتَ من غُرر المعاني
ووافاك القضاء بعيد دارٍ ... غريباً ما لهُ في الفضل ثانِ
فأودَعتَ القلوب عليك حزناً ... يَعَضّ عليهِ اطراف البنانِ
أبن بخل الزمانُ عليَّ ظلماً ... بأني لا اراك ولن تراني
فقد قامت صفاتُكَ عند مثلي ... مقام السمع مني والعيانِ
سقى جدثاً بهِ اصبحت فرداً ... ملاك الغيث جمي غير وانِ

وفي ايام من تشرين الثاني الموافق لايام من شعبان سنة ٤٨ ارسل الله تعالى ولهُ الحمد والشكر من الغيث المتدارك الهطَّال ما احيا به الارض بعد القحط والجدب واجرى اودية حوران وافعم بركها بعد جفافها وقيل ان هذا الغيث لم يُرَ مثلهُ في هذا الوقت في السنين الماضية وانهُ افرط في اعمال طبريَّة بحيث حدث منهُ سيلٌ جارفٌ هدم عدَّة من مساكنها ورماها الى البحيرة فسبحان محيي عباده ومغيث بلاده

وفي يوم الخميس انسلاخ شعبان من السنة توفي الشيخ الامام الفقيه بُرهان الدين ابو الحسن علي البلخي رئيس الحنفيَّة رحمهُ الله ودُفن في مقابر باب الصغير المجاور لقبور الشهداء رضي الله عنهم وكان من التفقُّه على مذهب الامام ابي حنيفة (175ᵛ) رحمهُ الله ما هو مشهورٌ شائع مع الورع والدين والعفاف والتصوُّن وحفظ ناموس الدين والعلم والتواضع والتردُّد الى الناس على طريقةٍ مرضيَّةٍ وسجيَّةٍ محمودةٍ لم يشاركهُ فيها غيره ووقع الاسف عليهِ من جميع الخاصّ والعام والتأبين لهُ والحزن عليهِ (١

١) قال الحافظ ابن عساكر: ان البلخي عاد الى دمشق في اوَّل مملكة نور الدين بعد خروج

Marfat.com

قد مضى من ذكر الرئيس المسيّب في حصوله بصرخد وتقرَّر بعَد ذلك تطييب نفس مجاهد الدين والحلف لهُ على ازالة ما خامرهُ من الاستيحاش والنفار ما سكن اليهِ واعتمد عليهِ وعاد الى داره بدمشق اواخر شعبان وصام رمضان فيها ثم هجس في خاطره من مجير الدين وخواصّه ما اوحشه منهم ودعاه ذلك الى الخروج من البلد سرًّا في يوم الثلثاء الثاني عشر من شوال طالبًا صرخد فحين عُرف خبره نهض في طلبه وقصّ اثره جماعة من الخيل فادركوهُ وقد قرب من صرخد فقبض عليهِ واعيد الى القلعة بدمشق واعتقل بها اعتقالًا جميلًا

وحدث في هذه الايام من تتابع الامطار في الاماكن والثلوج في الجبال والاعمال البقاعية ما لم يُرَ مثلهُ ثم ذاب الثلج وسالت بمائهِ الاودية والشعاب وساح على الارض كالسيل الجارف وامتلأت بهِ الانهار والتقت الشطط وافسد ما مرَّ بهِ من الاراضي المنخفضة ووصل المدّ الى بَرَدى وما قرُبَ منها ورأى من كثرته وعظمه وتغيّر لونه ما كثر التعجُّب منهُ والاستعظام لهُ فسبحان مالك الملك منزل الغيث من بعد القنوط انهُ على كلّ شيء قدير

ثم تجدَّد عقيب ذلك من الرئيس الوزير حيدرة المقدّم ذكره اشياء ظهرت عنهُ مع [illegible] نفس الملك مجير الدين منهُ ومن اخيهِ المسيّب والمعرفة بالسعي والفساد ما اقتضت [illegible] استدعاءهُ الى القلعة على حين غفلة منهُ وعن القضاء النازل به لسوء افعاله وقبح [illegible] وخبثه ثم عدلت بهِ الجنداريَّة الى الحمام بالقلعة في يوم الاحد مستهلّ ذي القعدة [illegible] السنة وضُربت عنقهُ صبرًا واخرج رأسه ونصب على حافَّة الخندق ثم طيف بهِ [illegible] يلعنونهُ ويَصفون انواع ظلمه وتفنّنه في الأُدعيَّة والفساد ومقاسمة اللصوص وقطَّاع

[illegible] وتوفي في هذه السنة . وقال سبط ابن الجوزي : ان فيهِ نظرًا لان نور الدين انما ملك دمشق [illegible] ٥٤٩ وقد حكى لي جماعة من مشايخ دمشق في سنة ٦٥٠ عن ابائهم انهم يذكروا حضور [illegible] الدين مجلس البلخي بدمشق في الجامع وما كان يخاطبه الا محمود وكان القطب النيسابوري بدمشق [illegible] نور الدين ان يحضر مجلسه فحضر فشرع يخاطبهُ « محمود » فشقّ على نور الدين وقال [illegible] : اصعد اليهِ وقُل لهُ « لا تخاطبني باسمي . فلمَّا افرغ المجلس سألهُ الحاجب من ذلك فقال [illegible] انَّ البلخي اذا قال لي « محمود » قامت كل شعرة في جسدي هيبةً لهُ ويرقّ قلبي . وقال المؤرّخ ايضًا : يحتمل ان تكون هذه الواقعة بحلب » وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي انهُ درس بالصادرية جوار جامع دمشق ثم جعلت لهُ دار الامير طرخان جوارها من داخل مدرسةً فنسبت اليهِ وقام عليهِ الحنابلة لانهُ تكلَّم فيهم وهو الذي قام في إبطال « حيّ على خير العمل » من حلب

Marfat.com

الطريق على اموال الناس المستباحة بتقريره وحمايته وكثر السرور بمصرعهِ وابتهج بالراحة منهُ ثم رجعت العامّة والغوغاء ومن كان من اعوانه على الفساد من اهل العيث والافساد الى منازلة خزائنه ومخازن غلّته واثاثه وذخائره فانتهبوا منها ما لايحصى وغلبوا اعوان السلطان وجنده عليها بالكثرة ولم يحصل للسلطان من ذلك الّا النزر (176r) اليسير ورد امر الرئاسة والنظر في البلد في اليوم المقدّم ذكره الى الرئيس رضي الدين ابي غالب عبد المنعم بن محمد بن اسـد بن علي التميمي وطاف في البلد مع اقاربه وسكن اهلهُ وسكنت الدهماء ولم يغلق في البلد حانوتٌ ولا اضطرب احدٌ واستبشر الناس قاطبةً من الخاصّ والعامّ والعسكريّة وعامّة الرعية وبولغ في اخراب منازل الظالم ونقل اخشابها وهذه عادة الباري تعالى في الظالمين والفَسَقَة المفسدين وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١

وفي ذي القعدة سنة ٤٨ وردت الاخبار من ناحية بغداد بورود الاخبار اليهـا من ناحية الشرق باضطراب الاحوال في الاعمال الخراسانية وانفلال عسكر السلطان سنجر والاستيلاء عليهِ والقهر والاستظهار وحصره في دار مملكته بلخ والتضييق عليهِ واستدعاء ما في خزائنه من الاموال والآلات والذخائر والامتعـة والجواهر بخلق عظيم من الغُزّ والتركمان تجمّعوا من اماكنهم ومعاقلهم وحللهم في الاعـداد الدثرة والتناهي في الاحتشاد والكثرة ولم يكن للسلطان سنجر مع كثرة عساكره واجناده طاقة ولا لدفعهِ عنهُ قوّة فقهروه وغلبوهُ وحصروه وقيل ان نيسابور (٢ وتلك الاعمال حدث فيها من الفساد والخُلف والقتل والنهب والسلب ما ترتاع النفوس باستماع مثله وتنفرق من قبح فعله وتُنهبت بلخ بالمذكورين المقدّم ذكرهم اشنع نهب وابشع سلب فسبحان مدبر بلاده وعباده كما يشاء انهُ على كل شيء قدير

وفي الشهر المذكور حدث بمدينة دمشق ارتفاع السعر لعدم الواصلين اليها بالغلّات من بلاد الشمال على جاري العادة بتقدّم نور الدين صاحب حلب بالمنع من ذلك وحظره فاضرّ ذلك باهلها من المستترين والضعفاء والمساكين وبلغ سعر الغرارة الحنطة خمسة وعشرين دينارًا وزاد على ذلك وخلا من البلد الخلق الكثير ولقوا من البؤس والشدّة والضعف ما اوجب موت جماعةٍ وافرةٍ في الطرقات وانقطعت الميرة من كل الجهـات

---

1) Qur. XI, 104.

٢) وفي الاصل: نشاوور. وقال ياقوت: هكذا يسمّونهُ العامة

وذُكر ان نور الدين عازم على قصد دمشق بمنازلتها والطمع لهذه الحال في مملكتها وذلك مستصعب عليهِ لقوّة سلطانها وكثرة اجنادها (176ظ) واعوانهـا والله تعالى المرجو لقرب الفرج وحسن النظر بخلقه بالرأفة والرحمة كما جرت عوائد احسانه وفضله فيما تقدّم

وفي اواخر ذي القعدة استُدعي الرئيس رضي الدين الى القلعة المحروسة وشُرّف بالخلع المكملة والمركوب بالسخت والسيف المحلّى والترس وركب معهُ الخواصّ واصحاب الركاب الى داره وكُتب لهُ المنشور بالتقليد والاقطاع ولُقّب بالرئيس الاجلّ رضي الدين وجيه الدولة سديد الملك فخر الكُفاة عزّ المعالي شرف الرؤساء. وكان عطـاء الخادم المقدّم ذكره قد استبـدّ بتدبير الامور ومدّ يده في الظلم واطلق لسانه بالهُجر وافرط في الاحتجاب عن الشاكي والمشتكي بالغلمان والحجّاب وقصّر في قضاء الحوائج تقصيرًا منكرًا واتّفق للاقضية المقدّرة والمكافأة المقرّرة ان تقدّم مجير الدين باعتقاله وتقييده والاستيلاء على ما في داره ومطالبته بتسليم بعلبك وما فيهـا من مالٍ وغلال وسُرّت بمصرعه النفوس ونهب العوامّ والغوغاء بيوت اصحابه واسبابه. وارسل الله تعـالى الغيث المتدارك بحيث افترّت الارض عن نضارتها وابانت عن اخضرارها وغضارتها

ولمّا كان في يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة من السنـة امر مجير الدين بضرب عنق عطاء الخادم المذكور لاسباب اوجبت ذاك ودعت اليهِ (١ . وفي يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة استدعى مجير الدين بالفضل ولد نفيس الملك الـ توفي لجدّهِ تاج الملوك رحمه الله وردّ اليهِ استيفاء ديونه على عادة ابيه ولقبه لقب ابيهِ وجيه الدين نفيس الملك وتقرّر اشراف الديوان سعد الدولة ابي الحسن علي بن طاهر الوزير المزدقاني

ودخلت سنة تسع واربعين وخمسمائة

اوّلها يوم الاربعاء مستهلّ المحرّم والطالع للعالم الجوزاء. وفي العشر الثاني من المحرّم

---

١) قال سبط ابن الجوزي: فخلت دمشق من الامراء ولم يبق عند مجير الدين غير عطاء بن حفاظ الخادم السلحي وكان صاحب بعلبك قد ردّ اليهِ مجير الدين امر دولته وكان ظالمًا فكتب نور الدين الى مجير الدين يقول: قد نفّر عليك عطاء بن حفّاظ قلوب الرعيّة فاقبض عليـهِ. لعلم نور الدين انهُ لا يتمّ لهُ امر في دمشق مع وجود عطاء فقبضه مجير الدين وامر بقتله فقال لهُ عطاء: لا تقتلني فان الحيلة قد تمّت عليك وذهب ملكك وسترى. فلم يلتفت اليهِ وقتلهُ فحينئذٍ قوي طمع نور الدين في دمشق

منها وصل الامير الاسفهسلّار اسد الدين شيركوه رسولًا من نور الدين صاحب حلب الى ظاهر دمشق وخيَّم بناحية القصب من المرج في عسكر يناهز الالف فأُنكر ذاك ووقع الاستيحاش منه واهمال الخروج اليهِ لتلقّيه والاختلاط بهِ وتكرّرت المراسلات فيما اقتضتهُ الحال ولم يُسفر عن سدادٍ ولا نيل مرادٍ

وغلا سعر الاقوات (177) لانقطاع الواصلين بالغلّات ووصل نور الدين في عسكره الى شيركوه في يوم الاحد الثالث من صفر وخيم بعيون الفاسريا عند دومة ورحل في الغد ونزل بارض الضيعة المعروفة ببيت الابار من الغوطة وزحف الى البلد من شرقيهِ وخرج اليهم من عسكريّته واحداثه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين الى مكانه ثم زحف يوماً بعد يوم. فلمّا كان يوم الاحد العاشر من صفر للامر المقدَّر المقضي والامر الماضي وسعادة نور الدين الملك واهل دمشق وكافة الناس اجمعين باكر الزحف وقد احتشد وتهيّأ لصدق الحرب وظهر اليهِ العسكر الدمشقي على العادة ووقع الطراد بينهم وحملوا من الجهة الشرقيّة من عدّة اماكن فاندفعوا بين ايديهم حتى قربوا من سور باب كيسان والدبّاغة(١ من قبلي البلد وليس على السور نافخ ضرمة من العسكريّة والبلديّة لسوء تدبير صاحب الامر والاقدار المقدّرة غير نفرٍ يسيرٍ من الاتراك المستحفظين لا يؤبه لهم ولا يعوّل عليهم في احد الابراج. وتسرّع بعد الرجالة الى السور وعليهِ امرأة يهودية فارسلت اليهِ حبلًا فصعد فيهِ وحصل على السور ولم يشعر بهِ احدٌ وتبعهُ من تبعه واطلعوا علَمًا نصبوهُ على السور وصاحوا (اصحاب) نور الدين «يا منصور» وامتنع الاجناد والرعيّة من الممانعة لِما هم عليهِ من المحبة لنور الدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض قطّاعي الخشب بفأسه الى الباب الشرقي فكسر اغلاقه وفُتح فدخل منهُ العسكر على رغب وسعوا في الطرقات ولم يقف احد بين ايديهم وفتح باب توما ايضًا ودخل الناس منهُ. ثم دخل الملك نور الدين وخواصه وسُرَّ كافّة الناس من الاجناد والعسكرية لما هم عليهِ من الجوع وغلاء الاسعار والخوف من منازلة الافرنج الكُفّار

وكان مجير الدين لمّا احسّ بالغلبة والقهر قد انهزم في خواصه الى القلعة وانفذ اليهِ وأومن على نفسه وماله وخرج الى نور الدين فطيَّب نفسه ووعدهُ الجميل ودخل القلعة في يوم الاحد المقدّم ذكره. وقد امر نور الدين في الحال بالمناداة بالامان الرعيّة والمنع

١) وفي الاصل: والدباعة

من انتهـــاب شيء من دورهم وتسرّع قوم من الرعاع والاوباش الى سوق علي وغيره فعاثوا ونهبوا وانفذ المولى الملك نور الدين الى اهل البلد بما طيّب (177ظ) نفوسهم وازال نفرتهم . واخرج مجير الدين ما كان لهُ في دوره بالقلعة والخزائن من المال والآلات والاثاث على كثرته الى الدار الاتابكية دار جدّه واقام اياماً ثم تقدَّم اليه بالمسـير الى حمص في خواصه ومن اراد الكون معه من اسبابه واتباعه بعد ان كُتب لهُ المنشور باقطاعه عدّة باعمال حمص برسمه ورسم جنده وتوجّه الى حمص على القضيّة المقـدّرة (١ . ثم احضر بعد غد ذلك اليوم اماثل الرعية من الفقهاء والتجار وخُوطبوا بما زاد في ايناسهم وسرور

---

١) قال الفارقي في تاريخه : وسار مجير الدين وبقي في خدمة نور الدين مدّةً ثم وصل الى ميافارقين الى خدمة الملك نجم الدين (ايي بن السميد حسام الدين تمرتاش) واقام عنده مدّة ونزل في سنة ٥٩ الى بغداد وخدم مع الخليفة المقتفي وهو الى الان (يعني سنة ٥٧٢) مقيم ببغداد في خدمة المقتفي والمستنجد والمستضيء . قيل : ولم ارَ اعجب من سنة ٥٦٩ ولا اكثر من حوادثها . منها ما جرى بين اولاد تاج الدين وخروج القضاء عن ايديهم (وكان وقع الخلف بين ضياء الدين وبهاء الدين اولاد تاج الدين بن نباتة وعزلوا عن القضاء بميافارقين وكان القضاء في يد بني نباتة ٥٩ سنة من حين مات القاضي ابو بكر بن صدقة سنة ٤٩٠) ومنها ان الامير فخر الدين شداد صاحب آنه نفذ وخطب بنت عزّ الدين سلتق صاحب ارزن الروم وبقي مدّةً ثم زوّجها ابوها من صاحب ارزن ونفذ شدّاد الى سلتق وقال : قد ضعفت عن آنه فتحضر فتشتريها مني فما لي طاقة للكرج ولا اقدر على دفعهم فاكون في خدمتك فاسلّمها اليك

فلمّا وصل نفذ الى ملك الابخاز والكرج دميطرى وكان في جل بازوى بينهُ وبين آنة مسيرة يوم او اكثر يعلمهُ بوصول سلتق فوصل في عسكر الكرج فصبح مدينة آنة صباحاً فاوقع بالعسكر وقتل منهم مقتلةً عظيمةً واسروا عزّ الدين سلتق واسر معهُ خلق عظيم واُسر من المسلمين ما لا يحصى وكان يوماً على المسلمين عظيماً . ثم ان ملوك ديار بكر وديار ربيعة والشام راسلوا ملك الابخاز وتواصلوا واستقرّ حال عزّ الدين سلتق على مائة الف دينار واُطلق وعاد الى بلاده وخرج من بلاده مالٌ لا يحصى لانهم اشتروا الاسارى الذين كانوا اخذوا معه

ومنها اخذ نور الدين دمشق وقلع اولاد اتابك طغتكين وكانت بايديهم مقدار ٥٠ سنة . وانقراض بيت الصوفي وكان بيت مكرم . ومنها ان صاحب صقلية قصد تنيس في اربعين مركباً ودخلها ونهب كل ما كان فيها وسبى اهلها اجمع واسرهم وبيعَ النهب في جميع الشام وبقي اكثر اهلها اسارى الى الان بصقليّة . ومنها ان فيها جرى الخلف باخلاط وخرج بهاء الدين الوزير وانفصل عن خدمة بنت سكمان (القطبي) والخاتون وابعد اهله اجمع وحبس اكثرهم وانهزم بهاء الدين اوس بن مسعود فطلب خوى فعبر على قلعة فيها رجل كردي من اصحاب بنت سكمان فقبضه وحمله الى اخلاط فحُبس في قلعة ذات الجوز شرقي اخلاط وبقي مدّة وتوصل مؤيّد الدين بن نيسان في خلاصه فأُطلق ونزل الى ديار بكر واقام باسمرد ومضى الى فخر الدين قرا ارسلان واقام عنده ثم حجّ وعاد الى حصن كيفا واقام مدّة ونزل الى الموصل واقام بها مدّةً

Marfat.com

نفوسهم وحسن النظر لهم بما يعود بصلاح احوالهم وتحقيق امالهم فأُكثر الدعاء لهُ والثناء عليهِ والشكر لله على ما اصاروه اليهِ . ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطّيخ وسوق البقل وضمان الانهار وانشأَ بذلك المنشور وقُرِئَ على المنبر بعد صلاة الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الحال واعلن الناس من التنّاء والفلاّحين والحرم والمتعيّشين برفع الدعاء الى الله تعالى بدوام ايامه ونصره واعلامه والله سبحانه وليُّ الاجابة بمَنِّهِ وفضلهِ

وقد كان مجاهد الدين بُزان قد اطلق يوم الفتح من الاعتقال وأُعيد الى داره ووصل الرئيس مؤيد الدين المسيّب الى دمشق مع ولده النائب عنهُ في صرخد الى داره معوّلاً على لزومها وترك التعرّض لشيء من التصرّفات والاعمال فبدا منهُ من الاسباب المعربة عن اضمار الفساد والعدول عن مناهج السداد والرشاد ما كان داعياً الى فساد النيَّة فيهِ . وكان في احدى رجليهِ فنخ قد طال بهِ ونسر ثم لحقه معهُ مرض وانطلاقٌ متدارك افرط عليهِ واسقط قوّته مع فُواقٍ متّصل وقُلاع في فيهِ زائد فقضى نحبه في الليلة التي صبيحتها يوم الاربعاء الرابع من شهر ربيع الاول سنة ٤٩ ودُفن في داره واستبشر الناس بمهلكه والراحة منهُ ومن سوء افعاله بحيث لو عُدّت مخازيه مع جنونه واختلاله لطال بها الشرح وعجز عنها الوصف

وفي اواخر المحرّم من السنة ورد الخبر من ناحية ماردين بوفاة صاحبها الامير حسام الدين بن ايل غازي بن ارتق رحمهُ الله في اول المحرم وكان مع شرف قدره في التركمان ذكيّاً محبّاً لاهل العلم والادب مميّزاً عن امثاله بالفضيلة (١ . وفي شهر ربيع الاول من السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بان الامام الظافر بالله امير المؤمنين (178) صاحبها كان ركن الى اخويه يوسف وجبريل والى ابن عمهم صالح بن حسن وانس بهم في اوقات مسرّاته فعملوا عليهِ واغتالوهُ وقتلوهُ واخفوا امره في يوم الخميس انسلاخ صفر سنة ٤٩ وحضر الامام العادل عبّاس الوزير وولده ناصر الدين وجماعة من الامراء والمقدمين للسلام على الرسم فقيل لهم : ان امير المؤمنين ملتاث الجسم . فطلبوا الدخول عليهِ لعيادته فاحتجّ عليهم فلم يقبلوا والحّوا في الطلب فظهر الامر وانكشف واقتضت الحال المسارعة الى قتل الجناة في الوقت والساعة واقامة ولد الظافر عيسى وهو صغير يناهز ثلث سنين ولقبوه الفائز بنصر الله وأُخذ لهُ البيعة على الاجناد والعسكرية واعيان

---

١) وقال الفارقي في تاريخه : وبقي السعيد حسام الدين في الولاية الى يوم الخميس ثاني ذي القعدة سنة ٥٦٨ وتوفي بماردين وكانت ولايته بميافارقين ٣٠ سنة وبماردين ٣٢ سنة

Marfat.com

الرعية على جاري العادة والعادل عبّاسٌ الوزير واليــه تدبير الامور واستمرّت الاحوال على المنهاج (١ ثم ورد الخبر بعد ذلك بان الامير فارس المسلمين طلائع بن رزّيك وهو من اكابر الامراء المقدّمين والشجعان المذكورين لما انتهى اليهِ الخبر وهو غائب عن مصر قلق لذلك وامتعض وجمع واحتشد وقصد العود الى مصر فلمّــا عرف عبّاس الوزير بما جمع خاف الغلبة والاقدام على الهلكة اذ لا طاقة لهُ بملاقاته في حشده الكثير ولم يمكنهُ المقام على الخطار بالنفس فتأهّب للهرب في خواصه واسبابه وحرمه ووجوه اصحابه وما تهيّأ من ماله وتجمّله وكراعه وسار مغذًّا. فلما قرب من اعمال عسقلان وغزّة ظهر اليهِ جماعة من خيالة الافرنج فاغترّ بكثرة من معه وقلّة من قصده فلما حملوا عليهِ فشل اصحابه واعانوا عليهِ وانهزم اقبــح هزيمة هو وولد لهُ صغير وأُسر ابنه الكبير الذي قتــل ابن السلّار مع ولده وحرمه وماله وكراعه وحصــلوا في ايدي الافرنج ومن هرب لقي من الجوع والعطش ومات العدد الكثير من الناس والدوابّ ووصل الى دمشق منهم مَن نجّاه الهرب على اشنع صفةٍ من العدم والعري والفقر في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة وضاقت صدور المسلمين بهذه المصيبة المقضية بيد الافرنج فسُبحان من لا يُرَدّ لهُ قضاء ولا محتوم امر

وفي اخر شهر ربيع الاول وصل الامير الاسفهسلّار مجد الدين ابو بكر محمد نائب المولى (2 178) الملك نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عوده من الحج واقام اَيامًا وعاد منكفئًا الى منصبه في حلب وتدبير اعمالها وتسديد احوالها

وفي شهر ربيع الاخر سنة ٥٤٩ ثار في دمشق مرضٌ مختلف الحُميّات منهُ ما يقصر ومنهُ ما يطول واعقبهُ بعد ذلك موتٌ في الشيوخ والشباب والصبيان ثم تقاصر ذلك

---

١) قال الفارقي في تاريخه : وسبب قتله ان امير الجيوش العادل السلار كان لهُ ابن بنت يسمّى نصر ويلقب عضد الخلافة وكان ابوهُ اميرًا مقدّمًا يسمّى عباساً وكان عضد الخلافة موادًا للظافر وكانا جميعًا يأكلان ويشربان ويتفرّجان وكان يحبّهُ محبّةً عظيمة بحيث ان الظافر كان لا يصبر عن ابن بنت العادل ساعةً واحدة فاغرى عبّاس ابنه بجدّه العادل فقتلهُ وبقي مدّةً وقتــل الظافر ثم دخل الى الدار عباس وابنه وقتلا من كان في الدار واخذا الاموال والجواهر ما لا يحصى قيمتهُ وقتلا ثلث بنين للحافظ هم جبريل وابرهيم ويوسف وخرج العباس واخذ الاموال والجواهر وطلب الشام فاخذتهُ الافرنج وجميع ما كان معهُ. ثم ان اهل مصر ولّوا عليهم الملك الصــالح ابا الغــارات طلائع ابن رزيك واخرج ابنًا للظــافر اسمهُ عيسى ويكنّى بابي القسم ويلقب بالفائز فولّوه الخلافة وقتل عضد الخلافة نصر بن عباس واستقرّ الفائز بالخلافة وولّى الملك السلطنة وكان فاضلًا يحب العلماء والشعراء وكان لهُ شعرٌ مليح

وفي ايام من جمادى الاولى من السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان عدّة وافرةً من مراكب الافرنج من صقلية وصلت الى مدينة تنيس على حين غفلةٍ من اهلها فهجمت عليها وقتلت واسرت وسبت وانتهبت وعادت بالغنائم بعد ثلثة ايام وهي صفر وبعد ذلك عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثة ومن سلم واختفى وضاقت الصدور عند استماع هذا الخبر المكروه

وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي فخر الدين ابي منصور محمد بن عبد الصمد الطرسوسي رحمهُ الله وكان ذا همّةٍ ماضيةٍ ويقظةٍ مُضيئة ومروّةٍ ظاهرةٍ في دارهِ ووالدهِ ومن يلمّ بهِ من غريبٍ ووافدٍ وقد نفذ امره وتصرّفه في اعمال حلب في ايام الملكية النوريّة واثر في الوقوف اثرًا حسنًا توفّر بهِ ارتفاعه. ثم انعزل عن ذلك اجمل اعتزال. وفي يوم الثلثاء الثامن من شهر رمضان سنة ٥٤٩ توفّي الحكيم ابو محمد بن حسين الطبيب المعرّي رحمهُ الله وكان حسن الطريقة والصناعة كثير التجربة ثاقب المعرفة فكثر التأسّف عليهِ وعند فقد مثله

ودخلت سنة خمسين وخمسمائة

واوّلها يوم الاثنين مستهلّ المحرّم والطالع العقرب عشرون درجة وثلثون دقيقةً وثمان واربعون ثانيةً. وفي اليوم الرابع والعشرين من ربيع الاولى من السنة تقرّرت اسباب الموادعة بين الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وبين ملك الافرنج تقدير السنة وتمهّدت القاعدة على هذه الحال الى اخر المدّة المستقرّة. وبعد ايام قلائل من ذلك خرج الامر الملكي النوري بالقبض على ضحاك والي بعلبك وطلب منهُ تسليمها فاجاب الى ذلك ورحل العسكر المنصور اليها لتسلّمها وفي يوم الخميس السابع من (179) شهر ربيع الاول من السنة كان تسلّمها ورتّب فيها من سُلّمت اليهِ واعتمد في حفظها عليهِ. وفي يوم الاثنين الحادي وعشرين من رجب من السنة توجّه الامير اسد الدين شيركوه الى حلب عند استدعاء الملك العادل نور الدين لهُ

وفي ايام من شعبان من السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان المنتصب في الوزارة فارس الاسلام بن رزيك لمّا استقام لهُ الامر عزم على مصالحة الافرنج وموادعتهم واستكفاف شرّهم ومصانعتهم بمالٍ يُحمل اليهم من الخزانة وما يفرض على اقطاع المقدّمين من الاجناد فحين شاورهم في ذلك انكروه ونفروا منهُ وعزموا على عزله

Marfat.com

والاستبدال بهِ من يرتضون بهِ واختاروا مقدّماً يعرف بالامير . . . . . (١ مشهوراً بالشهامة والبسالة وحسن السياسة وارتُضيَ لتولية الاسطول المصري مقدّماً من البحريَّة شديد البأس بصيراً باشغال البحر فاختـــار جماعةً من رجال البحر يتكلّمون بلسان الافرنج وألبسهم لباس الافرنج وأنهضهم في عدّة من المراكب الاسطوليَّة واقلع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب الروم وتعرف احوالها ثم قصد مينا صور وقد ذُكر لهُ ان فيهِ شختورة روميَّة كبيرة فيها رجال كثيرة ومال كثير وافر فهجم عليها وملكها وقتل من فيها واستولى على ما حَوَتهُ واقام ثلثة ايام ثم احرقها وعاد عنهـا في البحر فظفر بمراكب حجّاج الافرنج فقتل واسر وانتهب وعاد منكفئاً الى مصر بالغنائم والاسرى

وفي الشهر المذكور ورد الخبر من ناحية حلب بوقوع الخلف بين اولاد الملك مسعود بعد وفاته وبين اولاد قتلمش وبين اولاد قلج ارســلان وان الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وحلب دخل بينهم للصلح والاصلاح والتحذير من الخلف المقوّي للاعداء من الروم والافرنج وطمعهم في المعاقل الاسلامية وبالغ في ذلك باحسن توسّط وبذل التحف والملاطفات وصلحت بينهم الاحوال

وتناصرت الاخبار في هذا الاوان من ناحيـــة العراق بان الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين قد اشتدَّت شوكته وظهر واستظهر على كل مخالف لهُ وعادل عن حكمه ولم يبقَ لهُ مخالفٌ مشاقٌّ ولا عدوٌّ منافقٌ وانهُ مجمعٌ على قصد (179ظ) الجهـات المخالفة لامره

وفي يوم الجمعة العاشر من ذي الحجـة سنة ٥٥٠ عاد الملك العادل نور الدين الى دمشق من حلب وقد كان ورد الخبر قبل ذلك بان الامير قرا ارسلان بن داود بن سكمان ابن ارتق (٢ ورد على الملك العادل نور الدين وهو باعمال حلب فبـالغ في الاكرام لهُ والسرور بمقدمه ولاطفه والطفه بما جلّ قدرهُ وعظم امرهُ من التحف والعطاء ثم عاد عنهُ الى عمله مسروراً شاكراً

وورد الخبر ايضاً في شهر رمضان سنة ٥٥٠ بان الملك العـادل نور الدين نزل في عسكره بالاعمال المختصَّة بالملك قلج ارسـلان بن الملك مسعود بن سليمان بن قتلمش

---

١) بياض في الاصل

٢) وفي الاصل: قرارسلان بن شكمان بن داود بن ارتق

Marfat.com

ملك قونية وما والاها فملك عدَّة من قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك قلج ارسلان واخواه ذو النون ودولات (كذا) مشتغلين بمحاربة اولاد الدانشمنـــد واتَّفق ان اولاد الملك مسعود رُزقوا النصر على اولاد الدانشمند والاظهار على عسكره في وقعة كانت على موضع يُعرف باقصرا في شعبان سنة ٥٥٠ فلما عرف وعاد ما كان من الملك العادل نور الدين في بلاده عظم عليه هذا الامر واستبشعه مع ما بينهما من الموادعة والمهادنة والصهر وراسلهُ بالمعاتبة والانكار عليهِ والوعيد والتهديد واجابهُ بحُسن الاعتذار وجميل المقال وبقي الامر بينهما مستمرًّا على هذه الحال

ودخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة مستهـــلّ المحرَّم والطالع الدلو خمس عشرة درجة وستّ عشرة عاشرة (وبعد) وصول الحجاج يوم الجمعـــة السادس من صفر من السنة توَّجه الملك العادل نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في يوم الثلثاء الرابع والعشرين من صفر من السنة عند انتهاء خبر الافرنج اليهِ بعيثهم في اعمال حلب وافسادهم وصادفهُ في طريقه المبشّر بظفر عسكره في حلب بالافرنج المفســدين على حارم وقتلهم جماعةً منهم واسرهم ووصل مع المبشّر عدَّة وافرة من رؤُوس الافرنج المذكورين وطيف بها في دمشق . وفي يوم الثلثاء الثالث من شهر ربيع الاوَّل من السنة توفي الشيـخ الفقيه الزاهد ابو البيان نبا بن محمد المعروف بان الحوراني رحمـهُ الله وكان حسن الطريقة مُذ نشأَ (180) صيتًا الى ان قضى متديّنًا ثقةً عفيفًا محبًّا للعلم والادب والمطالعة للغـة العرب وكان لهُ عند خروج سريره لقبره في مقـابر الصغيرة المجاورة لقبور الصحابة من الشهداء رضي الله عنهم يوم مشهور من كثرة المناسقين والمتأسفين عليهِ (١

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشريف السيد بهاء الدين ابي الحسن الهادي بن المهدي بن محمد الحسيني الموسوي رحمه الله في اليوم السابع عشر من رجب سنة ٥٥١ وكان حسن الصورة فصيح اللسان بالعربية والفارسية جميل الاخلاق والخلال مشكور الافعال كريم النفس مليح الحديث واسع الصدر مكين المحلّ من الملك العـادل نور

---

١) قال سبط ابن الجوزي : وحكي لي بعض مشايخه بدمشق ان ابا البيان دخل يوماً من باب الساعات الى جامع دمشق فنظر الى اقوام في الحائط الشمالي وهم يبكون اعراض الناس فاستقبـل القبلة ورفع يديهِ وقال : اللهمَّ كما انسيتَهم ذكرك فانسيهم ذكري . واسمهُ نبا بن محمد بن محفوظ

Marfat.com

الدين ركن الاسلام والمسلمين سلطان الشام ادام الله عــلاه وناله من الحزن لفقده والتأَسُّف عليهِ ما يقتضيه مكانه المكين عنده ونظم فيهِ هذه الابيات رثاهُ بها من كان بينه وبينه مودَّة مستحكمة اوجبت ذاك ان رأَيت اثباتها في هذا الموضع مع ذكره وهي :

نعى النــاعي بهاء الدين لمَّا ... اتاهُ نازل القــدر المتــاحِ
فروَّع كل ذي علمٍ وفضلٍ ... من الادباء والعرب الفصاحِ
بكتــهُ غزالة الآفاق حزنًا ... واظلم رزؤُهُ ضوء الصباحِ
واسبلت العيون دمًا عليــهِ ... كذلك عادةُ المقل الصحاحِ
فــكم متفجّع يبكي عليهِ ... بحرقة موجع دامي الجراحِ
وينشر فضلهُ في كل نادٍ ... بالفــاظٍ محبّرةٍ فصــاحِ
على حسناتهِ تبكي المعــالي ... بدمعة ثاكل خودٍ رداحِ
فلو رام البليــغ لها صفاتٍ ... لقصَّر عن مراثٍ وامتداحِ
لهُ خلقٌ صحيحٌ لا يُضــاهى ... ووجهٌ مشرق الارجاء صاحِ
وكفٌّ جودها كالغيث يهمي ... على العافين كالجود المباحِ
لهُ شرفان في عُرب وفُرس ... وقد صالا بمرهفهِ الصفــاحِ
فأَضحى لا مساجل في جلالٍ ... ولا شرفٍ يسـير ولا سماحِ
على امثــاله عنــد الرزايا ... يعطّ جيوب ارباب البطاحِ
(180) ومن كان الحسين اباهُ قدمًا ... فقد نال المنى في القداحِ
لئن واراهُ في حلبٍ ضريح ... بعيدٌ عن مواطنهِ الفــاحِ
واصبــح فيه منفردًا غريبًا ... عن الاهلين في غاسٍ وضاحِ
فهــذا الرسم جارٍ في البرايا ... بلا قصدٍ يكون ولا اقتراحِ
فلا برحت غمائم كل نوءٍ ... تُروِّضهُ بانوار الاقاحي
ورحمة محيي الاموات تسري ... عليهِ في الغدو وفي الرواحِ
هَدَى الايام ما ناحت هتوفٌ ... ولاح بقفره بيض الاداحي

وفي اليوم الخامس والعشرين توفي الشيخ ابو طالب شيخ الصوفية بدمشق رحمهُ الله وكان خيرًا تقيًا عفيفًا حسن الطريقة مشكور الخلال

شرح الزلازل الحادثة في هذه السنة المباركة وتواليها

في ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٥١ الموافق لليوم السابع والعشرين من ايلول في الساعة الثانية منها وافت زلزلةٌ عظيمــة رجفت بها الارض ثلاث او اربع مرات ثم سكنت بقدرة من حركها وسكنها سُبحانهُ وتعالى من مليكٍ قادرٍ قاهرٍ ثم وافى بعد ذلك ليلة الاربعاء الثاني وعشرين من شعبان المذكور زلزلة وجاءت قبلها

وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعد ذلك ثلث دونهنّ بحيث أُحصينَ ستّ مرّات وفي ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في اوّل النهار وآخره ثم سكنت بقدرة محرّكها سُبحانهُ وتعالى

وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة وانهدام برج من ابراج افامية بهذه الزلازل الهائلة (١ وذكر ان الذي احصى عَدَده منها تقدير الاربعين على ما حكى والله تعالى اعلم. وما عُرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصر الخالية وفي يوم الاربعاء التاسع وعشرين من الشهر بعينه (شعبان) وافت زلزلة تتلو ما تقدّم ذكره اخر النهار وجاءت في الليل ثانيةً في اخره ثم وافى في يوم الاثنين اوّل شهر رمضان من السنة زلزلة مروّعة للقلوب وعاودت ثانيةً وثالثةً ثم (181[1]) وافى بعد ذلك في يوم الثلثاء ثالثةً ثلث زلازل احداهنّ في اوّله هائلة والثانية والثالثة دون الاولى وأُخرى في وقت الظهر مشاكلة لهنّ ووافى بعد ذلك اخرى هائلة ايقظت النِيام وروّعت القلوب انتصاف الليل فسبحان القادر على ذلك ثم وافى بعد ذلك في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة زلزلة عظيمة هائلة اعظم ممّا سبق ولمّا كان عند الصباح من الليلة المذكورة وافت أُخرى دونها وتلا ما تقدّم في ليلة السبت اولها وجاءت أُخرى آخرها ثم تلا ذلك في يوم الاثنين زلزلة هائلة وتلا ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في الثلث الاول منها زلزلة عظيمة مُزعجة وفي غداة يوم الاحد ثاني شوال من السنة تالي ما تقدّم ذكره وافت زلزلة اعظم ممّا تقدّم روّعت الناس وازعجتهم وفي يوم الخميس سابع شوال المذكور وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاحد الثالث عشر منهُ وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاثنين تَلوهِ وافت زلزلة أُخرى مثلها ثم اخرى بعدها دونها ثم ثالثة ثم رابعة. وفي ليلة الاحد الثاني والعشرين من شوال وافت زلزلة عظيمة روّعت النفوس ثم وافى عقيب ذاك ما أُهمل ذكره لكثرته ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها ما خاف اهلها من توالي ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فلهُ الحمد والشكر لكن وردت الاخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام بعض مساكنها الّا شيزر فان الكثير من مساكنها انهدم على سُكّانها بحيث قتل منهم العدد الكثير. واماّ كفرطاب فهرب اهلها

---

١) وفي الاصل : المباركة

Marfat.com

منها خوفًا على ارواحهم واما حماة فكانت كذلك واما باقي الاعمال الشامية فما عُرف ما حدث فيها من هذه القدرة الباهرة

وفي يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٥١ وصل المولى الملك نور الدين اعزّ الله نصره الى بلده دمشق عائدًا من ناحية حلب واعمال الشام بعد تهذيبها وتفقُّد احوالها سالمًا في النفس والجملة بعد استقرار الموادعة بينهُ وبين ولد السلطان مسعود وصاحب قونية (181) وزوال ما كان حدث بينهما

وفي شوال تقرّرت الموادعة والمهادنة بينهُ وبين ملك الافرنج مدّة سنة كاملة اوّلها شعبان وان المقاطعة المحمولة اليهم من دمشق ثمانية الاف دينار صورية وكُتبت المواصفة بذلك بعد تأكيدها بالامان بالمواثيق المشدّدة. وكان المعروف بابي سالم بن همام الحلبي قد ولّي مشارفة الديوان بدمشق بعناية الامير اسد الدين النائب عن الملك العادل نور الدين فظهر منهُ خيانات اعتمدها وتفريطات قصدها بجهله وسخافة عقله وتقصيره فاظهرها قوم من المتصرّفين عند الكشف عنها والتحقيق لها فاقتضت الحال القبض عليهِ والاعتقال لهُ الى ان يقوم بما وجب عليهِ فلمّا كان في يوم الاحد السادس عشر من شوال سنة ٥٥١ خرج الامر السامي النوري بالكشف عن سعاياته في فضول كان غنيًا عنها فاقتضت الحال بان يحلق لحيته ويركب حمارًا مقلوبًا وخلفه مَن يعلوهُ بالدرّة وان يطاف بهِ في اسواق دمشق بعد سخام وجهه وينادى عليه « هذا اجزاء كل خائن وغمام » ثم اقام بعد ذلك في الاعتقال اياماً ثم امر بنفيه الى حلب بشفاعة من شفع فيهِ من مقدمي الدولة السعيدة فمضى على اقبح صفةٍ من لعن الناس ونشر مخازيه وتعديد مساويه

وفي شعبان من السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بارتفاع اسعار الغلّة بها وقلّة وجودها وشدّة اضرارها بالضعفاء والمساكين وغيرهم وامر المتولّي لامرها التنّاء والمحتكرين لها ببيع الزائد على اقواتهم على المُقلّين والمحتاجين ووكد الخطاب في ذلك وما زادت الحال الّا شدّةً مع ما ذُكر من توفية النيل في السنة

وفي شعبان وردت الاخبار من ناحية العراق بخلاص السلطان سنجر ابن السلطان العادل من ضيق الاعتقال المتطاول بهِ بتدبير أُعمل على الموكّلين بهِ ووعود وافية بحيث اجابوا الى ذلك وعاد الى مكانه من السلطنة ووفى بما وعد المساعدين لهُ على الخلاص وقويت شوكته واستقامت مملكته (١

---

١) قال سبط ابن الجوزي : انهُ كان قعد عندهم اربع سنين في الذلّ والهوان حتى ضرب بهِ

Marfat.com

وفي شهر رمضان وردت الاخبار من ناحية الموصل بان السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد (١ عزم على العبور في عسكره الى اعمال الموصل فانفذ اليهِ واليها ومدبّرها الامير زين الدين علي كوجك يقول لهُ: انك فعلتَ واضررتَ بالاعمال واذيتَ اهلها. وسألهُ (182) فلم يقبل ونهض اليهِ في عسكره من الموصل ومن انضاف اليهِ وصافّهُ فرُزق النصر عليهِ وهزم عسكره اقبح هزيمة واستولى على سواده وعاد بهِ الى الموصل ظافراً منصوراً

وفي العشر الاخير من ذي الحجّة من السنة غدر الكَفَرة الافرنج ونقضوا ما كان استقرّ من الموادعة والمهادنة بحكم وصول عدّةٍ وافرة من الافرنج في البحر وقوّة شوكتهم بهم ونهضوا الى ناحية الشّعراء المجاورة لبانياس وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكريّة والرعيّة وعوامل الفلاّحين فلاّحي الضياع ومواشي الجلّابين والعرب الفلاحين الشيء الكثير الذي لا يحصى فيذكر للحاجة الى الرعي بها والسكون الى الهدنة المستقرّة ووقع من المندوبين لحفظهم من الاتراك تقصيرٌ فانتهزوا الفُرصة واستاقوا جميع ما وجدوهُ وأفقروا اهله منه مع ما اسروه من تركمان وغيرهم وعادوا ظافرين غانمين آمنين والله تعالى في حكمه يتولّى المكافأة لهم والادالة منهم وما ذلك عليهِ بعزيز

ودخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

اولها يوم الاربعاء مستهلّ المحرّم والطالع برج الدلو اثنتين وعشرين درجةً وثماني عشرة دقيقة. قد تقدّم شرح ما حدث من الزلازل الى اواخر سنة ٥١ ما يُغنى عن ذكره ولمّا كانت ليلة الاربعاء التاسع عشر من صفر سنة ٥٥٢ وافت زلزلة عظيمة عند انبلاج الصباح فروّعت وازعجت ثم سكّنها مُحرّكها بلطفه ورأفته بعباده ثم تلا ذلك اخرى دونها الى ليلة الخميس تاليهِ بعد مضي ساعات منها ووافت بعدها اخرى بعد صلاة الجمعة تاليهِ وتواصلت الاخبار من ناحية الشمال بعظم تأثير هذه الزلازل الاول منها والاخر في مدينة شيزر وحماة وكفرطاب وافامية وما والاها الى مواضع من حلب والله تعالى ذكره وعزّ اسمه اعلم وارحم لخلقه

وفي العشر الاخير من صفر ورد كتاب السلطان غياث الدنيا والدين ابي الحرث

اهل بغداد الامثال فكان اذا مرّ على انسان شدائد قالوا: اما اشتفي الغزّ من سنجر؟

١) وفي الاصل: مسعود

Marfat.com

سنجر ابن السلطان العادل ابي الفتح بن السلطان البـارسلان اعزّ الله نصره الى الملك العادل نور الدين ادام الله ايامه بالتشوّق اليه والاحماد (182ظ) بجلاله وما ينتهى اليهِ من جميع افعاله واعلامه وما منّ الله عليهِ بهِ من خلاصه من الشـدّة التي وقع فيها والاسر الذي بُلي بهِ في ايدي الاعداء الكَفَرة من ملوك التركمان بحيلة دبّرها وسياسة احكمها وقرّرها بحيث عاد الى منصبه من السلطنة المشهورة واجتماع العساكر المتفرّقة عنه اليهِ واذعانها بطاعته وامتثالهم لاوامره وامثلتـه واحسان وعده لكافّة المسلمين بنصره على احزاب الضلال من الافرنج الملاعين

وتواصلت مع ذلك الى نور الدين رُسل ارباب الاعمال والمعاقل والولايات بالاستعداد للخفوف الى اعداء الله الملاعين وغزو مَن بازائه من المشركين الاضداد المفسدين في البلاد والناكثين أيمانهم الموكّدة في الموادعة والمهادنة . فعند ذلك امر المولى نور الدين بزينـة البلد المحروس سروراً بهذه الاحوال وفعـل في ذلك ما لم تجر عادةٌ فيما تقدّم في ايام الوُلاة الخالية وامر مع ذلك بزينة قلعته ودار مملكته بحيث حلى (١ اسوارها بالآلات الحربية من الجواشن والدُرُوع والتراس والسيوف والرماح والطوارق الافرنجية والقنطاريات والاعلام والمنجوقات والطبول والبوقات وانواع الملاهي المختلفات وهرعت الاجنـاد والرعايا وغُرباء البلاد من المسافرين لمشاهدة الحال فشاهدوا ما استُحسن منـهُ مدّة سبعة ايام فالله تعالى يقرن ذلك بالتوفيق والاقبال وتحقيق الامال في اهمال الكَفَرة اولي الافك والضلال بمنّهِ وفضلهِ

وفي يوم الثلثاء الثالث عشر من ربيع الاول توجّه المولى نور الدين ادام الله ايامه الى ناحية بعلبك لتفقُّد احوالها وتقرير امر المستحفظين لها وتواصلت الاخبـار اليهِ من ناحية حمص وحماة باغارة الافرنج الملاعين على تلك الاعمال واطلاقهم فيها ايدي العيث والفساد والله تعالى يحسن الادالة منهم وتعجّل البوار عليهم والاهلاك لهم

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاوّل توجّه زين الحجاج كثّر الله سلامتهُ الى ناحية مصر رسولاً من المولى نور الدين لايصال ما صحبه من المطالعات الى صاحب الامر فيها وصحبتهُ ايضاً الرسول الواصل منها

وفي يوم الاحد الخامس عشر من شهر ربيع الاول ورد المبشِّر من المعسكر المنصور برأس الماء بان نصرة الدين امير ميران لما انتهى اليه خبر الافرنج الملاعين بانهم قد انهضوا

---

١) وفي الاصل: حلل

برّيّةً وافرة من العدد من ابطالهم (183r) الموفورة العدد الى ناحية بانياس لتوليها وتقويتها بالسلاح والمال فاسرع النهضة اليهم في العسكر المنصور وقد ذُكر ان عِدّتهم سبعمائة فارس من ابطال الاسبتاريّة والسرجندّية والداوّية سوى الرجالة فادركهم قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من حُماتها فاوقع بهم وقد كان كمن لهم في مواضع كُمناء من شجعان الاتراك وجالت الحرب بينهم واتفق اندفاع المسلمين بين ايديهم في اول المجال وظهر عليهم الكُمناء فانزل الله نصره على المسلمين وخذلانه على المشركين فتحكّمت من رؤوسهم ورقابهم مُرهفات السيوف بقوارع الحِمام والحتوف وتمكنت من اجسادهم مشرَعات الرماح وصوارم السهام بحيث لم ينجُ منهم الّا القليل ممن ثبّطهُ الاجل واطار قلبه الوجل وصاروا باجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب واسير وطريح وحصل في ايدي المسلمين من خيولهم وعُدد سلاحهم وكراعهم واموالهم وقراطيسهم وأسراءهم ورؤوس قتلاهم ما لا يُحدّ كثرةً ومحقت السيوف عامّة رجالتهم من الافرنج ومسلمي جبل عاملة المضافين اليهم وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الاول ووصلت الاسرى والرؤوس من القتلى والعدد الى البلد المحروس في يوم الاثنين تاليه وأُطيف بهم البلد وقد اجتمع لمشاهدتهم الخلق الكثير والجمّ الغفير وكان يوماً مشهوداً مستحسناً سُرّت بهِ قلوب المؤمنين واحزاب المسلمين وكان ذلك من الله تعالى ذكره وجلّ اسمه مكافأةً على ما كان من بغي المشركين واقدامهم على نكث أيمان المهادنة مع المولى نور الدين اعزّ الله نصره ونقض عهود الموادعة واغارتهم على الجشارات ومواشي الجلابين والفلاحين المضطرّين الى المرعى في الشعراء لسكونهم الى الامن بالمهادنة والاغترار بتأكيد الموادعة. وكان قد انفذ الى المولى نور الدين الى بعلبك جماعة من اسرى المشركين فامر بضرب اعناقهم صبرًا ذلك لهم خزيٌ في الحيوة الدنيا ولهم في الاخرة عذابٌ عظيمٌ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (1 وتبع هذا الفتح المبين ورود البُشرى الثانية من اسد الدين باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركمان وانهُ قد ظفر من المشركين بسريّة وافرة ظهرت من معاقلهم من ناحية الشمال فانهزمت وتخطّف التركمان منهم من ظفروا بهِ ووصل اسد الدين الى بعلبك في العسكر (183v) من مقدّمي التركمان وابطالهم للجهاد في اعداء الله المشركين وهم في العدد الكثير والجم الغفير واجتمع بالملك العادل نور الدين في

1) Qur. XXVI, 228.

Marfat.com

يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وتقرّرت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها واقامة فرض الغزو والجهاد لمن بها والابتداء بالنزول على بانياس والمضايقة لها والجهاد في افتتاحها والله يسهّل ذلك بلطفه ويُعجّله بمعونته

ووصل نور الدين الى البلد المحروس في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الاول لتقرير الامر في إخراج آلات الحرب وتجهيزها الى العسكر بحيث يقيم اياماً يسيرةً ويتوجّه في الحال الى ناحية العساكر المجتمعة من التركمان والعرب للجهاد في الكفرة الاضداد والله يسهّل اسباب الادالة منهم ويعجّل البوار والهلاك لهم ان شاء الله تعالى. وفي وقت وصوله شرع في انجاز ما وصل لاجله وامر بتجهيز ما يحتاج اليهِ من المناجيق والسلاح الى العسكر المنصور بالنداء في البلد المحروس في الغُزاة والمجاهدين والأحداث المتطوّعة من فتيان البلد والغرباء بالتأهُّب والاستعداد لمجاهدة الافرنج اولي الشرك والالحاد وبادر بالمسير في الحال الى عسكره المنصور مُغذًّا غير متلوّم ولا متربّث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الاول وتبعه بين الاحداث والمتطوّعة والفقهاء والصوفيّة والمتديّنين العدد الكثير الدثر المباهي في الوفور والكثرة فالله تعالى يقرن آراءهُ وعزماته بالنصر المشرق المنار والظفر باخراب المردة الكُفّار ويعجّل لهم اسباب الهلاك والبوار بحيث لا تبقى لهم باقية ولا يرى لهم رائحةعولا غادية وما ذلك على الله تعالى القادر القاهر بعزيز

ولمّا كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر تالي اليوم المقدّم ذكره عقيب نزول الملك العادل نور الدين على بانياس في عسكره المنصور ومضايقته لها بالمنجنيقات والحرب سقط الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضمّن كتابه الاعلان بورود المبشّر من معسكر اسد الدين بناحية هونين في التركمان والعرب بان الافرنج خذلهم الله انهضوا سريّةً من اعيان مقدّميهم وابطالهم تزيد على مائة فارس سوى اتباعهم لكبس المذكورين ظنًّا منهم انهم في قلّ ولم يعلموا انهم في الوف فلمّا دنوا منهم وثبوا اليهم كالليوث الى فرائسها فاطبقوا عليهم بالقتل والاسر والسلب ولم يفلت (184r) منهم الّا اليسير ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى وعددهم من الخيول المنتخبة والطوارق والقنطاريّات الى البلد في اليوم الاثنين تالي اليوم المذكور وطيف بهم فيهِ فسُرّت القلوب بمشاهدتهم واكثروا الشكر لله على هذه النعمة المسهّلة بعد الاولى المتكمّلة والله المأمول لتعجيل هلاكهم وبوارهم وما ذلك على الله بعزيز. وتتلو هذه الموهبة

المجدّدة سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس في يوم الثلثاء يتلو المذكور بذكر افتتاح مدينة بانياس بالسيف قهراً على مضي اربع ساعات من يوم الثلثاء المذكور عند تناهي النقب واطلاق النار فيهِ وسقوط البرج المنقوب وهجوم الرجال فيهِ وبذل السيف في قتل من فيهِ ونهب ما حواه وانهزام من سلم الى القلعة وانحصارهم بها وان اخذهم بمنيّة الله تعالى لا يُبطئ والله يسهّله ويعجّله

واتّفق بعد ذلك للاقضية المقدّرة ان الافرنج تجمّعوا من معاقلهم عازمين على استنقاذ الهنفري صاحب بانياس ومن معه من اصحابه الافرنج المحصورين بقلعة بانياس وقد اشرفوا على الهلاك وبالغوا في السؤال للامان للمولى نور الدين ويسلّمون ما في ايديهم من القلعة وما حوتهُ لينجوا سالمين فلم يجبهم الى ما سألوهُ ورغبوا فيهِ. فلما وصل ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازلين على بانياس لحصارها والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها واقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا اليها واستحصلوا من كان فيها لحين شاهدوا ما عمّ بانياس من خراب سورها ومنازل سكّانها يئسوا من عمارتها بعد خرابها وذلك في ايام من العشر الاخير من شهر ربيع الاخر

وفي يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من المعسكر المحروس النوري تتضمّن الاعلام بان الملك العادل نور الدين اعزّ الله نصره لما عرف ان معسكر الكفرة الافرنج على الملّاحة بين طبريّة وبانياس نهض في عسكره المنصور من الاتراك والعرب وجدّ في السير. فلمّا شارفهم وهم نازّون وشاهدوا راياته قد اظلّتهم بادروا بلبس السلاح والركوب وافترقوا اربع فرق وحملوا على المسلمين فعند ذلك ترجّل (184) الملك نور الدين وترجّلت معهُ الابطال وارهقوهم بالسهام وخرصان الرماح فما كان الّا كلا ولا حتى تزلزلت بهم الأقدام ودهمهم البوار والحِمام وانزل الله العزيز القهّار نصره على الاولياء الابرار وخذلانه على المردة الكفّار وتمكّنّا من فرسانهم قتلًا واسرًا واستأصلت السيوف الرجالة وهم العدد الكثير والجمّ الغفير ولم يفلت منهم على ما حكاه الخبير الصادق غير عشرة نفرٍ ممن ثبطهُ الاجل واطار قلبه الوجل. وقيل ان ملكهم لعنهم الله فيهم وقيل انهُ في جملة القتلى ولم يُعرف لهُ خبرٌ والطلب مجدٌّ لهُ والله المعين على الاظفار بهِ ولم يُفقد من عسكر الاسلام سوى رجلين احدهما من الابطال المذكورين قتل اربعة من شجعان الكفرة وقُتل عند حضور

Marfat.com

اجله وانتهاء مهله والاخر غريب لا يُعرف فكل منهما مضى شهيداً مُثاباً مأجوراً رحمهما الله . وامتلأت ايدي العسكرية من خيولهم وعُدَدهم وكراعهم واثاث سوادهم الشيء الذي لا يحصى كثرةً وحصلت كنيستهم في يد الملك نور الدين بآلاتها المشهورة وكان فتحاً من الله القادر الناصر عزيزاً ونصراً مُبيناً اعزّ الله بهما الاسلام واهله واذلّ الشرك وحزبه

ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى الى دمشق في يوم الاحد تالي يوم الفتح وقد رتّبوا على كل جملٍ فارسين من ابطالهم ومعهما رايةٌ من راياتهم منشورةٌ وفيها من جلود رؤوسهم بشعرها عدّةٌ والمقدّمون منهم وولاة المعاقل والاعمال كل واحد منهم على فرس وعليه الزرديّة والخوذة وفي يده رايةٌ والرجالة من السرجندية والدركيولية كل ثلثةٍ واربعة واقلّ واكثر في حبلٍ وخرج من اهل البلد الخاق الذي لا يحصى لهم عددٌ من الشيوخ والشبّان والنسوان والصبيان لمشاهدة ما منح الله تعالى ذكره كافة المسلمين من هذا النصر المشرق الاعلام واكثروا من التسبيح ومواصلة التقديس لله تعالى مولى النصر لاوليائه ومُدبيهم من اعدائه وواصلوا الدعاء الخالص للملك العادل نور الدين المحامي عنهم والمرامي دونهم والثناء على مكارمه والوصف لمحاسنه ونُظم في ذلك ابياتٌ في هذا المعنى وهي :

(185r) مثل يوم الفرنج حين علَتْهم ذلّة الاسر والبلا والشقاء
وبراياتهم على العيس زفّوا بين ذلّ وحسرةٍ وعناء
بعد عزٍ لهم وهيبة ذكرٍ في مصافّ الحروب والهيجاء
هكذا هكذا هلاك الاعادي عند شن الاغارة الشعواء
شؤم اخذ الجشار وكان وبالا عمّهم في صباحهم والمساء
نقضوا هدنة الصلاح بجهلٍ بعد تأكيدها بحسن الوفاء
فلقوا بغيهم بما كان فيهِ من فساد يجلّهم واعتداء
لا حمى الله شملهم من شتاتٍ بمواضٍ تفوق حدّ المضاء
فجزاء الكفور قتلٌ واسرٌ وجزاء الشكور خير الجزاء
فلربّ العباد حمدٌ وشكرٌ دائمٌ مع تواصل النعماء

وشرع في قصد اعمالهم لتملّكها وتدويخها والله المعين والموفق لذلك بمنه ولطفه ومشيئته . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الاولى وافت زلزلة عظيمة بعد مضي ثلث ساعات منه اهتزّت لها الارض هزّاتٍ ثم وافت بعدها ثانيةٌ قرنت بعد

Marfat.com

مضي ست ساعات من اليوم ثم بعد مضي ثماني ساعات من هـذا اليوم المذكور وافت ثالثةٌ اشدّ من الاوليَين وازعج فسبحان محرّكهنَّ بقدرته ومسكّنهنَّ بحكمته تعالى عُلوًّا كبيرًا

وفي آخر هذا اليوم وافت زلزلة رابعة لما تقدَّم بين العشائين من ليلته مروّعة هائلة ازعجت واقلقت وضجّ الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس. وفي ليلة الاحد الرابع من جمادى الآخرة من السنة آخرها عند صلاة الغداة وافت زلزلة هائلة وجاء بعدها اخرى دونها وتواصلت الاخبار من ناحية الشمال بان هذه الزلازل اثّرت في حلب تأثيرًا ازعج اهلها واقلقهم وكذلك في حمص وهُدمت مواضع فيها وفي حماة وكفرطاب وافامية وهدمت فيها ما كان من هدم ما بني من المهدوم بالزلازل الأُوَل وحُكي عن تيماء ان هذه الزلازل اثّرت في مساكنها تأثيرًا مهولًا

وفي العشر الثاني من جمادى الاخرة تواصلت (185ᵛ) الاخبار بوصول ولد السلطان مسعود (١ في خلق كثير للنزول على انطاكية واوجبت الصورة تقرير المهادنة بين الملك العادل نور الدين وملك الافرنج وتكرّرت المراسلات بينهما والاقتراحات والمشاجرات بحيث فسد الامر ولم يُسفر على ما يؤثر من الصلاح ومرضي الاقتراح المقرون بالنجاح ووصل الملك العـادل نور الدين اعزّ الله نصره الى مقرّ عزّه في بعض عسكره في يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الاخرة من السنة واقرّ بقيّة عسكره ومقدّميه مع العرب بازاء اعمال المشركين خذلهم الله

وكانت الاخبار تناصرت من بغداد باظهار امير المؤمنين المقتفي لامر الله اعزّ الله نصره على عسكر السلطان (محمد شاه) المخالف لامره ومن انضمّ اليهِ من عسكر الموصل وغيره بحيث قتل منهم العـدد الكثير والجمّ الغفير ورحلوا عن بغداد مفرّقين مفلولين خاسرين بعد المضايقة والتناهي في المحاصرة والمصابرة (٢ وفي يوم الاحد الثالث من رجب توجّه الملك العادل نور الدين الى ناحية حلب واعمـالها لتجريد مشاهدتها والنظر في حمايتها بحيث عبث المشركون فيها وقرب عساكر الملك ابن مسعود (١ منها والله الموفّق لهُ فيما يراه ويقصده ويتوخاه

وفي الساعة التاسعة من يوم الاثنين الرابع من رجب سنة ٥٢ وافت زلزلة عظيمة

---

١) وفي الاصل: مسعود

٢) وفي زبدة التواريخ: ان انقطعت بعد ذلك اطماع السلاطين السلجوقية عن بغـداد

Marfat.com

في دمشق لم يُرَ مثلها فيما تقدَّم ودامت وَجَفاتُها حتى خاف الناس على انفسهم ومنازلهم وهربوا من الدور والحوانيت والسقايف وانزعجوا واثّرت في مواضع كثيرة ورمت من فصّ الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن اعادة مثلهِ ثم وافت عقيبها زلزلة في الحال ثم سكنتا بقدرة من حرّكهما وسكنت نفوس الناس من الروعة والخوف برحمة خالقهم ورازقهم لا الله الّا هو الرؤوف الرحيم. ثم تبع ذلك في اول ليلة اليوم المذكور زلزلة وفي وسطه زلزلة وفي آخره زلزلة اخفّ من الاولى والله تبارك وتعالى لطيفٌ بعباده وبلاده ولهُ الحمد والشكر رب العالمين. وتلا ذلك في يوم الجمعة الثامن من رجب زلزلة مهولة ازعجت الناس وتلاها في النصف منها ثانيةٌ وعند انبلاج الصبح ثالثة وكذلك (186ر) في ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وتتابعت بعد ذلك بما يطول بهِ الشرح

ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويُرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماة وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبّان والاطفال والنسوان وهم العدد الكثير والجمّ الغفير بحيث لم يسلم منهم الّا القليل اليسير. واماً شيزر فان ربضها سلم الّا ما كان خرب اولًا واما حصنها المشهور فانهُ انهدم على واليها تاج الدولة بن ابي العساكر بن منقذ رحمه الله ومن تبعه الّا اليسير ممن كان خارجاً واماً حمص فان اهلها كانوا قد اجفلوا منها الى ظاهرها وسلموا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها واما حلب فهدمت بعض دورها وخرج اهلها و (اماً ما) بَعُدَ عنها من الحصون والمعاقل الى جبلة وجُبَيل فاثرت فيها الا (ثار) المستبشعة واتلفت سلمية وما اتّصلت بها الى ناحية الرحبة وما جاورها ولو لم تُدرك العباد والبلاد رحمة الله تعالى واطفه ورحمته ورأفته لكان الخطب الخطير والامر الفظيع المزعج بحيث نظم في ذلك من قال:

روّعتنا زلازل حادثاتٌ بقضاء قضاه ربّ السماء
هدمتْ حصن شيزر وحماةً اهلكت اهلها بسوء القضاء
وبلادًا كثيرةً وحصوناً وثغوراً موثّقات البناء
واذا ما رنتْ عيونٌ اليها اجرت الدمع عندها بالدماء
واذا ما قضى من الله امرٌ سابق في عباده بالمضاء
حار قلب اللبيب فيهِ ومن كان لهُ فطنة وحسن ذكاء
وتراهُ مسبّحاً باكيَ العين م مَرُوعا من سخطة وبلاء
جلّ ربّي في ملكه وتعالى من مقال الجهال والسفهاء

Marfat.com

واماً اهل دمشق فلمَّا وافتهم الزلزلة من هولها واجفلوا منْ منـازلهم والمسقف الى الجامع والاماكن الخالية من البنيان خوفًا على نفوسهم ووافت بعد ذلك اخرى وفتح باب البلد وخرج الناس الى ظاهره والبساتين والصحراء واقاموا عدّة ليـال (186ᵛ) وايام على الخوف والجزع يسبّحون ويهللون ويرغبـون الى خالقهم ورازقهم في العفو عنهم واللطف بهم والله تعالى والي الاجابة وقبول الرغبة والانابة

ووردت الاخبار مع ذلك من ناحية العراق في اوائل رجب سنة ٥٥٢ برفاة سلطان غياث الدنيا والدين ابي الحرث سنجر ابن السلطان العادل ابي الفتح ابن السلطـان البارسلان وهو سلطان خراسان عقيب خلاصه من الشدّة التي وقع فيها والاسر الذي حصل فيهِ وكان يحبّ العدل والانصاف للرعايا حسن الفعل جميل السيرة وقد علت سنّه وطال عمره وتولّاهُ الله برحمته وسابغ مَغفِرَته بفضله ورأفته

وفي شهر رمضان من السنة ورد الخبر من ناحيـة حلب بوفاة الشيخ الامير مخلص الدين ابي البركات عبد القاهر بن علي بن ابي جرادة الحلبي رحمهُ الله في العشر الثاني منهُ بعرض عرض لهُ وهو الامين على خزائن مال الملك العادل نور الدين سلطـان الشام فراعني فقده والمصاب بمثله لانه كان خيّرًا كاتبًا بليغًا حسن البلاغة نظمًا ونثرًا مستحسن الفنون من التذهيب البـديع وحسن الخطّ المحرَّر على الاصول القديمة المستطرفة مع صفاء الذهن وتوقد الفطنة والذكاء وكان بيني وبينهُ مودّة محصدة الاسبـاب في ايّام الصباء وبعـدها بحكم تردّده من حلب الى دمشق واوجبت هذه الحال تفجّعي بهِ وتأسفي على مثله نظمَ هذه الابيات أرثيه بها وأصف محاسنه فيها وهي :

فُجعتُ بخلٍ كان يونس وحشتي ... تذكُرُه في غيبةٍ وحضـورِ
فتى كان ذا فضلٍ يصول بفضلهِ ... وليس لهُ من مشبهٍ ونظـيرِ
وقد كان ذا فضلٍ وحسن بلاغةٍ ... ونظم كدُرٍّ في قـلائد حورِ
يفوق بحسن اللفظ كل فصـاحةٍ ... وخطٍّ بديع في الطروس منيرِ
وقد كنتُ ذا شوق اليهِ اذا نأى ... فقد صرت ذا حزن بغير سرور
سأشكوا زمانًا روّعتني صروفـهُ ... بفقـدي من اهوى بغير مجيرِ
وما نافعي شكوى الزمان وقد غدا ... على كل ملكٍ في الزمان خطيرِ
واجنـادهُ بالمرهفات تحوطـهُ ... وكل شجـاع فاتكٍ ونصيرِ
(187ᵛ) سقى الله قبرًا ضمّـه بمجلجل ... بكل اصيـل جادث وبكورِ
ليُصبحَ كالروض الانيق اذا بدا ... بزهر يروق الناظرين نضـيرِ
برحمة من يُرجى لرحمـة مثلهُ ... وغفران ربٍّ للعبـاد غفُورِ

Marfat.com

وفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان من السنــة وافت في دمشق زلزلة روّعت الناس وازعجتهم لما قد وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشــام من تتابُع الزلازل فيها وهدم ما هدمت منها. ووافت الاخبار من ناحيــة حلب بان هذه الزلزلة المذكورة جاءت في حلب هائلة قلقلت من دورها وجدرانها العدد الكثير واجفل منها اهلها الى ظاهرها خوفاً على نفوسهم. وانها كانت بجهاة اعظم ما كانت في غيرها وانها هدمت ما كان عُمِرَ فيها من بيوتٍ يلتجأ اليها وانها دامت فيها ايامًا كثيرةً في كل يوم عدَّة وافرة من الرجفات الهائلة وتتبعها صيحات مختلفــات تُوفي على اصوات الرعود القاصفة المزعجة فسُبحان من لهُ الحكم والامر ومنهُ تُؤمل الرحمــة واللطف وهو على كل شيء قدير. وتلا بعد ذلك رجفات متوالية اخفّ من غيرهنَّ فلمَّــا كان في ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء الآخرة ازعجت واقلقت وتلاها في اثرها هزَّة خفيَّة ثم سكَّنهما مُحركهما بقدرته ورأفته باهل دمشق ورحمته فلهُ الحمد والشكر ربّ العالمين

وفي يوم الثلثاء الرابع عشر من شوال من السنة ورد الخبر من ناحيــة بُصرى باستشهاد واليها فخر الدين سرخاك غيلةً في مقرّهِ من حصنهــا بتدبير تقرَّر بين الامير علي بن جولة زوج ابنته ومن وافقه من اعيانٍ خاصّته واماثل بطانتــه وكان فيهِ افراط من التحرُّز واستعمال التيقُّظ ولكن القضــاء لا يُغالَب ولا يُدافع والمحتوم النــافذ لا يمانع

وفي اوّل ليلة الاحد العشرين من شوال من السنة توفّي الشيخ ابو محمد عبــد الرحمن بن احمد بن ســلامة بمرض عرض لهُ وقد علت سنُّهُ وبلغ سبعًا وتسعين سنة المعروف بابن الحراسي وكان شيخًا ظريفًا حسن الهيئة نظيف اللبسة اديبًا فاضلًا حسن المحاضرة عند (187ظ) المثابتة والمذاكرة وكان اكثر زمانه مقيمًا بشيزر بين آل منقــذ مكرّما مُحترمًا رحمهُ الله

وفي ليلة السبت العاشر من ذي القعدة من السنــة وافت اولها زلزلة رجفت لها الارض ووجلت لها القلوب وتبعها عِدّة اخفّ من الاولى. وفي غد هذا اليوم بعد مضي تقدير ساعتين منهُ وافت زلزلة وأُخرى في اثرها وسكَّنهنَّ المحرّك لهنَّ بقدرته وحكمته وسلّم منهنَّ برحمته ورأفته سبحانهُ وتعالى الرؤوف الرحيم

وكان الغيث قد احتبس وَسَمِيُّهُ عن العادة المعروفة واحتاج ما بذر من الغلال الى

Marfat.com

سقيهِ وضاقت الصدور لذلك وقنطت النفوس ثم بعث الله برحمتــه لخلقه في اوَّل ذي القعدة منهُ ما روَّى الوهاد والآكام وعمّ حوران وسائر البقاع وسرّت بذلك النفوس وانحطّ سعر الغلَّة بعد ارتفاعه فلله الحمد على انعامه على عبيده ولهُ الشكر

وفي ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة التالي لما تقدَّم بعد مضي ساعةٍ منها وافت زلزلة روّعت القلوب وهزّت المنازل والمساكن ثم سكَّنها محرّكها بقــدرته القاهرة ورحمته الواسعة فلهُ الحمد والشكر رب العالمين

وفي ليلة الاحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور التــالي يوم الجمعة المقدّم ذكره وافت في اوائلها زلزلة ازعجت واقلقت ثم تلاها ثانية عند انتصافها اعظم منها نفر الناس من هولها الى الجامع والاماكن المكتشفة وضجُّوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء الى الله تعالى والتضرُّع اليهِ ثم وافى بعد تلك الثانية ثالثةٌ دونها عند تصرُّم الليل ثم وافى بعد الثالثة رابعةٌ دونها ثم خامسةٌ وسادسةٌ ثم سكنت بقدرة مُحرّكها ولم تؤثّر اثرًا منكرًا في البلد فلله الحمد تعالى امره وعظم شأنه

وفي اوائل ذي القعدة من هذه السنة ورد الخبر من حمص بوفاة واليها الامير الملقَّب بصلاح الدين وكان في ايام شبوبيَّته قد حظي في خدمة عماد الدين اتابك زنكي صاحب حلب والشام رحمه الله وتقدَّم عنده بالمناصحة وسداد التــدبير وحسن السفارة وصواب الرأي ولمَّا علت سنُّهُ ضعفت قوَّته وآلته عن السعي الَّا في ركوب الخيل والجأتهُ الضرورة الى الحمل في المحفَّة لتقرير الاحوال والنظر في (188ر) الاعمال ولم ينقص من حسّــه وفهمه ما يُنكر عليهِ الى حين وفاته وخلفه من بعده اولاده في منصبه وولايته

وفي يوم الجمعة انسلاخ ذي القعدة من السنة بعد مضي تقدير ساعتين منهُ وافت زلزلة رجفت بها الارض وانزعج الناس لها ثم سكنت بقدرة المحرّك لها وحكمته البالغة فلهُ الحمد على لطفه بعباده تبارك الله رب العالمين

وفي ايام من شوال سنة ٥٥٢ ورد الى دمشق امير من ائمَّة فقهــاء بلخ في عنفوان شبابهِ وغضارة عودهِ ما رأيتُ افصح من لسانهِ ببلاغته العربيــة والفارسيَّة ولا اسرع من جوابهِ ببراعته ولا اطيش من قلمه في كتابته فقلت ما ينبغي ان يُهمَل اثبات اسم هذا الامير الامام في هذا التــاريخ المصنَّف لانني ما رأيتُ مثلهُ ولا شاهدتُ شبيهًا لهُ فالتمستُ نعوتَهُ التي بها يُعرَف واليهِ تُنسَب فانفذ اليَّ كتابًا قد كُتب عن السلطان غياث الدنيا والدين ابي شجاع محمود بن محمد بن ممدود قسيم امير المؤمنين في الطغراء

Marfat.com

وكتاب وزيره محمود بن سعد بن عبد الواحد مخلص امير المؤمنين الى الملك العادل نور الدين ملك الشام وكلاهما ينطق بحسن صفاته واحترامه والوصية المؤكدة باكرامه ووصفه بنعوته المكملة وهي : الامير الامام الاجلّ العالم المحترم الاخصّ الحميد الاعز نظام الدين عماد الاسلام تاج الملوك والسلاطين ملك الكلام بستان العالم افصح العرب والعجم اعجوبة الدهر كريم الاطراف فخر الاسلاف افتخار ما وراء النهر تاج العراق سراج الحرمين مقتدَى الائمّة مُرتضي الخلافة رئيس الاصحاب شرقًا وغربًا مهذّب الائمّة والافاضل ذو المناقب والفضائل نادر الزمان نسيب خراسان ابو الحياة محمد بن ابي القسم بن عمر البلخي (ووعظ) في جامع دمشق عدّة ايام والناس يستحسنون وعظه ويستطرفون فنّه وسلاطة لسانه وسرعة جوابه وحدّة خاطره وصفاء حسّه ونظمت في صفاته هذه الابيات :

نظامُ الدين افضل من رأينا ... من العلماء في عرب وعُجم
وانهى منهمُ لفظًا وخطًّا ... بحُسن بلاغةٍ وصفاء فهم
(188) يفوقُ فصاحةً قُسًّا ويوفي ... عليهِ عند منثور ونظم
اذا رام البديع من المعاني ... اتاهُ مسرعًا كالغيث جمّي
فليس لهُ مُجارٍ في فنونٍ ... حوى احسانها من كل علم
اذا وعظ الامام سمعت وعظًا ... يحُطّ العُصم من قال الاثم
ويخرق حسن منطقهِ اذا ما ... تكرّر حسنُهُ سمع الاصم
لهُ الشرف الرفيع اذا تناهت ... مفاخرة الشراف بكل قرم
وما الفيتُ من يُحظى بمدح ... سواه اذ مضى في المدح عزّي
وما سمحت لغير علاه نفسي ... على ضنٍ بهِ عن كل قدم
فلا زالت مطايا المدح تسري ... اليهِ وقد خلا من كل ذمّ
مدى الايام ما هتفت هتوفٌ ... على غصنٍ بفصن الدور ينمي

قد تقدّم من ذكر الملك العادل نور الدين في نهوضه من دمشق في عساكره الى بلاد الشام عند انتهاء الخبر اليهِ بتجمّع احزاب الافرنج خذلهم الله وقصدهم لها وطمعهم فيها بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابعة بها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في اعمالها وثغورها لحمايتها والذب عنها واياس من سلم من اهل حمص وشيزر وكفرطاب وحماة وغيرها بحيث اجتمع اليهِ الخلق الكثير والجم الغفير من رجال المعاقل والاعمال والتركمان وخيّم بهم بازاء جمع الافرنج في الاعداد

Marfat.com

الدثرة والتناهي في الكثرة بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الافساد

فلماً مضت ايام من شهر رمضان سنة ٥٥٢ عرض للملك العادل نور الدين ابتداء مرض حادٍ فلما اشتدّ بهِ وخاف منهُ على نفسه استدعى اخاهُ نُصرة الدين امير ميران واسد الدين شيركوه واعيان الامراء والمقدّمين واوصى اليهم ما اقتضاهُ رأيه واستصوبه وقرَّر معهم كون اخيهِ نصرة الدين القائم في منصبه من بعده والسادّ لثلمة فقده واشتهاره بالشهامة وشدّة البأس ويكون مقيماً بحلب ويكون اسد الدين في دمشق في نيابة (189) نصرة الدين واستحلف الجماعة على هذه القاعدة. فلما تقرّرت هذه القاعدة اشتدّ بهِ المرض فتوجّه في المحفّة الى حلب وحصل في قلعتها وتوجّه اسد الدين الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الافرنج وقصد اعمال الملاعين في اواخر شوال من السنة وتواصلت عقيب هذه الحال الاراجيف بالملك نور الدين فقلقت النفوس وانزعجت القلوب فتفرّقت جموع المسلمين واضطربت الاعمال وطمع الافرنج فقصدوا مدينة شيزر وهجموها وحصلوا فيها فقتلوا واسروا وانتهبوا وتجمّع من عدّة جهات خلق كثير من رجال الاسماعيليّة وغيرهم فاستظهروا عليهم وقتلوا منهم واخرجوهم من شيزر

واتّفق وصول نصرة الدين الى حلب فاغلق والي القلعة مجد الدين في وجهه الابواب وعدى عليهِ فثارت احداث حلب وقالوا: هذا صاحبنا وملكنا بعد اخيهِ. وزحفوا في السلاح الى باب البلد فكسروا اغلاقه ودخل نصرة الدين في اصحابه وحصل في البلد وقامت الاحداث على والي القلعة باللَوم والانكار والوعيد واقترحوا على نصرة الدين اقتراحات من جملتها اعادة رسمهم في التأذّن «بحيَّ على خير العمل» «محمد وعلي خير البشر» فاجابهم الى ما رغبوا فيهِ واحسن القول لهم والوعد ونزل في داره. وانفذ والي القلعة الى نصرة الدين والحلبيين يقول: «مولانا الملك العادل نور الدين حي في نفسه مُقيم في مرضه. وما كان الى ما فعل حاجة تدعو الى ما كان فقيل الذنب في ذاك الى الوالي وكتم الحال وصعد الى القلعة مَن شاهدَ نور الدين حيًّا يفهم ما يقول وما يُقال لهُ فانكر ما جرى وقال: الان انا اصفح الاحداث عن هذا الخطل ولا أواخذهم بالزلل وما طلبوا الّا صلاح حال اخي وولي عهدي من بعدي

وشاعت الاخبار وانتشرت البشارات في الاقطار بعافية الملك نور الدين فأَنِست القلوب بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والانزعاج وتزايدت العافية وصُرفت

الهمم الى مكاتبات المقدّمين بالعود الى جهاد الملاعين وكان نصرة الدين قد ولّي مدينة حران واضيف اليها وتوجّه نحوها. وكان الغيث قد امسك عن اعمال حوران وعزم اهلها على (189ظ) النزوح من ضياعها لعدم ماء شربهم وبُعده عنهم وكذلك سائر الاعمال فلطف الله تعالى بعباده وبلاده فارسل عليهم في العشاء الاخر من كانون الثاني من السنة الشمسية الموافق للعشر الاخر من ذي الحجة من السنة القمرية سنة ٥٥٢ من الغيث الهطّال المتدارك والثلج المتتابع ما روى الوهاد والآكام وجرت بهِ اودية حوران ودارت ارحِيَتها وانتعشت زروعها وانبتت بالغيث سباخُها فلله تعالى الحمد على هذه النعمة التي لا يحصى لها عددٌ ولا يحصر لها امدٌ

ولمّا تناصرت الاخبار بالبشائر الى اسد الدين بدمشق بعافية الملك العادل نور الدين واعتزامه على استدعاء عساكِر الاسلام لجهاد اعداء الله والمقيمين بالشام سارع بالنهوض من دمشق الى ناحية حلب ووصل اليها في خياله واجتمع مع الملك العادل نور الدين فاكرم لُقياهُ وشكر مسعاهُ وشرعوا في حماية الاعمال من شرّ عُصَب الكفر والضلال بما يعود بصلاح الاحوال والله المسهّل لنيل المباغي والآمال بمَنّهِ وفضلهِ. ونظمت هذه الابيات في هذا المعنى:

لقد حسُنت صِفاتُك يا زماني ... وفُزتُ بما رجوتُ من الاماني
فكم اصبحت مرعوباً مخوفاً ... فبدّلتُ المخافة بالامانِ
فكم من وحشةٍ وافت وزالت ... وهدّمتِ الرفيع من المباني
وجاءتنا اراجيفٌ بملكٍ ... عظيم الشأن مسعود الزمانِ
فروّعتِ القلوب من البرايا ... وصارَ شجاعها مثل الجبانِ
وثارت فتنةٌ تُخشى اذاها ... على الاسلام في قاصٍ ودانِ
ووافى بعد ذاك بشير صدقٍ ... بعافية المليك مع التهاني
فولّى الخوف مهدوم المباني ... وعاد الامن معمور المغاني

ودخلت سنة ثلث وخمسين وخمسمائة

واوّلها يوم الاثنين اوّل المحرّم والطالع الجدى. وفي اوائله تناصرت الاخبار من ناحية الافرنج خذلهم الله المقيمين في الشام في مُضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم على رميهِ (190ر) بحجارة المناجيق الى ان أُضعف ومُلك بالسيف وتزايد طمعهم في شنّ الغارات في الاعمال الشامية واطلاق الايدي في العيث والفساد في معاقلها وضياعها بحكم تفرّق

Marfat.com

العساكر الاسلاميَّة والخلف الواقع بينهم باشتغال الملك العادل بعقابيل المرض العارض لهُ ولله المشيئة التي لا تدافع والاقضية التي لا تمانع

وفي صفر منها ورد الخبر والمبشِّر ببروز الملك العـادل نور الدين من حلب المتوجّه الى دمشق واتّفق للكفرة الملاعين متواتر الطمع في شنّ الغـارات على اعمال حوران والاقليم واطلاق ايدي الفساد والعيث والاحراق والاخراب في الضياع والنهب والاسر والسبي وقصد داريَّا والنزول عليها في يوم الثلثاء انسلاخ صفر من السنة واحراق منازلها وجامعها والتناهي في اخرابها وظهر اليهم من العسكرية والاحداث العدد الكثير وهمُّوا بقصدهم والاسراع الى لقائهم وكفّهم فمنعوا من ذلك بعد ان قربوا منهم وحين شاهد الكفَّار خذلهم الله كثرة العُدَد الظاهرة اليهم رحلوا في آخر النهار المذكور الى ناحيـة الاقليم

ووصل الملك نور الدين الى دمشق وحصل في قلعتها غرَّة يوم الاثنين السادس من شهر ربيع الاوَّل سالمًا في نفسه وجملتـه ولُقي باحسن زي وترتيب وتجمّل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا وبالغوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافيته والدعاء لهُ بدوام ايامه ونصر اعلامه وشرع في تدبير امر الاجناد والتأهُّب للجهاد والله تعالى يمدّه بالنصر وادراك كل بغيةٍ ومراد

وفي اوائل (شهر) ربيـع الاوَّل من سنة ٥٣ ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق وافر من عسكرها الى غزَّة وعسقلان واغاروا على اعمالها وخرج اليها من كان بها من الفرنج الملاعين فاظهر الله المسلمين عليهم قتلًا واسرًا بحيث لم يفلت منهم الَّا اليسير وغنموا ما ظفروا وعادوا سالمين ظافرين وقيل ان مقدّم الغُزاة في البحر ظفر بعدَّة من مراكب المشركين وهي مشحنة بالافرنج فقتل واسر منهم العـدد الكثير والجمّ الغفير وحاز من اموالهم وعددهم واثاثهم ما لا يكاد يُحصى وعاد ظافرًا غانمًا

وورد الخبر في الخامس عشر (190[٧]) من شهر ربيع الاول من السنـة من ناحية حلب بحدوث زلزلة هائلة روَّعت اهلها وازعجتهم وزعزعت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدرة محرّكها سبحانهُ وتعالى ذكره. وفي ليلة السبت الخامس والعشرين من ربيع الاول من السنة وافت زلزلة بدمشق روَّعت واقلقت ثم سكنت بقدرة محرّكها تعالى ذكره

وفي يوم الاحد التاسع من شهر ربيع الاخر من السنة برز الملك العادل نور الدين

Marfat.com

من دمشق الى جسر الخشب في العسكر المنصور بآلات الحرب مُجدًّا في جهاد الكفرة المشركين وقد كان اسد الدين قبل ذلك عنـد وصوله في من معه من فرسان التركمان غار بهم على اعمال صيدا وما قرب منهـا فغنموا احسن غنيمةٍ واوفرها وخرج اليهم ما كان بها من خيالة الافرنج ورجالتها وقد كمنوا لهم فغنموهم وقتل اكثرهم وأُسر الباقون وفيهم ولد المقدّم المُوَلَّى حصن حارم وعادوا سالمين بالاسرى ورؤوس القتلى والغنيمة لم يُصب منهم غير فارس واحد فُقد ولله الحمد على ذلك والشكر

وفي يوم الثلثاء اول شهر تموز الموافق لاول جمادى الاخرة من السنة وافى في البقاع مطر هطّال بحيث حدث منهُ سيل احمر كما جرت بهِ العادة في تنبول (كذا) الشتاء ووصل الى بَرَدى ووصل الى دمشق فكثر التعجُّب من قدرة الله سبحانه وتعالى حدوث مثل ذلك في مثل هذا الوقت

وفي اخر ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من رجب من السنة وافت زازلة عنـد تأذين الغداة روّعت القلوب وازعجت النفوس ثم سكنت بقدرة الله الرؤوف الرحيم ثم وافت أُخرى عقيب الماضيـة في ليلة الخميس وقت صلاة الغداة ثم سكنت بقدرة الله تعالى

وورد الخبر من العسكر المحروس بانه الافرنج خذلهم الله تجمّعـوا وزحفوا الى العسكر المنصور وان المولى نور الدين نهض في الحال في العسكر والتقى الجمعان واتفق ان (في) عسكر الاسلام حدث لبعض المقدّمين فشل فاندفعوا وتفرّقوا بعد الاجتماع وبقي نور الدين ثابتًا بمكانه في عدّةٍ يسيرة من شجعان غلمانه وابطال خواصه في وجوه الافرنج واطلقوا فيهم السهام فقتلوا منهم ومن خيولهم العدد الكثير ثم ولّوا منهزمين خوفًا من (191) كمين يظهر عليهم من عسكر الاسـلام ونجى الله ولله الحمد نور الدين من بأسهم بمعونة الله تعالى لهُ وشدّة بأسه وثبات جأشه ومشهور شجاعته وعاد الى مخيّمه سالمًا في جماعته ولام من كان السبب في اندفاعه بين يدي الافرنج وتفرّق جمع الافرنج الى اعمالهم. وراسل ملك الافرنج في طلب الصلح والمهادنة وحرض على ذلك وتردّدت المراسلات بين الفريقين ولم يستقرّ حال بينهما واقام العسكر المنصور بعد ذلك مدّة ثم اقتضى الرأي السعيد الملكي النوري الانكفاء الى البلد المحروس فوصل اليهِ في يوم . . . من شعبان من السنة

ولمّا كان في اواخر ايام من رجب سنة ٥٥٣ تجمّع قوم من سفهـاء العوامّ وعزموا

على التحريض للملك العادل نور الدين على اعادة ما كان ابطلهُ وسامح بهِ اهل دمشق من رسوم دار البطيخ وعرضة البقل والانهار وصانهم من اعنات شرّ الضمان وحوالة الاجناد وكرّروا بسخف عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة الاف دينار بيضاء وكتبوا بذلك حتى أُجيبوا الى ما راموهُ فشرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المقدّمين والاعيان والرعايا فما اهتدوا الى صواب ولا نجح لهم رأي في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تأَلموا واكثروا الضجيج والاستغاثة الى الملك العادل نور الدين فصرف همّه الى النظر في هذا الامر فنتجت لهُ السعادة وايثار العدل في الرعية في اعادة ما اشكل الى ما كان عليهِ فلمّا كان يوم الاثنين العاشر من شهر رمضان امر باعادة الرسوم المعتادة الى ما كانت من أمانها وتعفية اثرها واضاف الى ذلك تبرُّعاً من نفسه ابطال ضمان الهريسة والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرأ على كافّة الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفية ذكرها فبالغ العالمُ في ذلك من مواصلة الادعية للملك العادل والثناء عليهِ والنشر لمحاسنه فالله تعالى يستجيب منهم ويديم ايامه ويقرن ايامه بالسعادة والنصر لاوليائه واعلامه

وفي يوم الثلثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان من السنة وصل الحاجب محمود المولّد من ناحية مصر بجواب ما تحمّلنا من المراسلات من الملك الصالح متولّي امرها (191[٢]) ومعهُ رسول من مقدّمي امرائها ومعهُ المال المنفّذ برسم الخزانة الملكيّة النوريّة وانواع الاثواب المصريّة والجياد العربيّة . وكانت فرقة من الافرنج خذلهم الله قد ضربوا المهمّ في المعابر فاظفر الله بهم بحيث لم يفلت منهم الّا القليل النزر ثم تلا ذلك وورد الخبر من العسكر المصري بظفره بجملة وافرة من الافرنج والعرب تُناهز اربعمائة فارس وتزيد على ذلك في ناحية العريش من الجفار بحيث استولى عليهم القتل والاسر والسلب وكان فتحاً حسناً وظفراً مستحسناً والله المحمود على ذلك المشكور

وفي يوم الثلثاء ثالث شوال من السنة توفّي المنتجب ابو سالم بن عبد الرحمن الحلبي متولّي كتابة الجيش وعرض الاجناد في ديوان الملك العادل نور الدين رحمهُ الله وكان خيّرًا حسن الطريقة مجموعاً على شكره والتأسف على فقد مثله وتلا مصابهُ وفاة المهذّب ابي عبد الله بن نوفل الحلبي في دمشق ايضاً رحمهُ الله في يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة من السنة وكان كاتباً للامير الاسفهسلّار اسد الدين ووزيره وهو

موصوف بالخيريّة محمود الافعال مشكور المقاصد في جميع الاحوال والخلال واستخدم ولده في منصبه

وتلا ذلك ورود الخبر من ناحية حماة في العشر الاخير من ذي الحجة من السنة بوفاة رضي الدين ابي المجد مُرشد بن علي بن عبد اللطيف المعرّي بحماة رحمه الله وكان من الرجال الاسدّاء الكُفاة فيما كان يستنهض فيهِ في ايام الاتابكية وكذلك في الايام النورية وكان مع ذلك موصوفًا بالخيريّة وسلامة الطبع مستمرًا في ذلك على منهاج اسوته

وكانت الاخبار قد تناصرت من ناحية القسطنطينية في ذي الحجة من السنة ببروز ملك الروم منها في العدد الكثير والجمّ الغفير لقصد الاعمال والمعاقل الاسلامية ووصوله الى مروج الديباج وتخييمه فيها وبثّ سراياهُ الاغارة على الاعمال الانطاكيّة وما والاها وان قومًا من التركمان ظفروا بجماعةٍ منهم هذا بعد ان افتتح من الاعمال لاوين ملك الارمن عدّة من حصونه ومعاقله. ولمّا عرف الملك العادل نور الدين هذا شرع في مكاتبة وُلاة الاعمال والمعاقل باعلامهم ما حدث من (192) الروم ويبعثهم على استعمال التيقُّظ والتأهُّب للجهاد فيهم والاستعداد للنكاية بمن يظفر منهم والله تعالى ولي النصر عليهم والاظفار بهم كما جرت عوائده الجميلة في خذلانهم والاظهار عليهم وردّ باسهم في نحورهم وهو تعالى على كلّ شيء قدير

وقد اتّفق في هذه السنة السعيدة التي هي سنة ٥٥٣ منذ ابتداء تشرين الثاني الكائن فيها الى اوائل شباط ان السماء بامر خالقها ارسلت عزاليَها بتدارُك الثلوج والامطار مع توالي الليل والنهار بحيث عمّت الاقطار وروَت الوهاد والاغوار والبراري والقفار وجرت الاودية وتتابعت السيول بمائها المصندل واللبني والبنكي واكتست الاراضي المنخفضة والبقاع بخضرة الزرع وعشب النبات واشبعت السائمة بعد الضعف والسغب واراحتها من كلفة العناء والتعب وكذلك سائر المواشي الراعيَة والوحوش القاصية والدانية وتناصرت الاخبار من سائر الجهات بعموم هذه النعمة وذكر الشيوخ انهم لم يشاهدوا مثل ذلك في السنين الخالية فلله على (نعمته) خالص الحمد ودائم الشكر

ودخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة

اوّلها يوم الجمعة مستهلّ المحرَّم منها. وفي هذا اليوم وافت زلزلة عظيمة ضحى نهاره وسكّنها محركها بقدرته ورحمته وتلاها في يومها ثنتان دونها

وكان في اوائل ايام من ذي الحجة سنة ٥٥٣ قد عرض للملك العادل نور الدين مرضٌ تزايد بهِ بحيث اضعف قوَّته ووقع الارجاف بهِ من حُسَّاد دولتـه والمفسدين من عوامّ رعيَّته وارتاعت الرعايا واعوان الاجناد وضاقت صـدور قطَّان الثغور والبلاد خوفًا عليهِ واشفاقًا من سُوء يصل اليهِ لاسيما مع اخبار الروم والخبر من الافرنج خذلهم الله ولمَّا احس من نفسه بالضعف تقدَّم الى خواصّ اصحابه وقال لهم: انني قد عزمت على وصيَّةٍ اليكم بما قد وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطهـا عاملين. فقالوا: السمع والطـاعة لامرك وما تقرّره من رأيك وحكمك فانَّا لهُ قابلون وبهِ عاملون. فقال: اني مشفقٌ على الرعايا وكافَّة (192) المسلمين ممن يكون بعـدي من الوُلاة الجاهلين والظلمة الجائرين وان اخي نصرة الدين امير ميران اعرفُ من اخلاقه وسُوء افعاله ما لا ارتضي معه بتوليته امرًا من امور المسلمين وقد وقع اختيـاري على اخي الامير قطب الدين مودود بن عماد الدين متولّي الموصل وخواصه لما يرجع اليهِ من عقلٍ وسدادٍ ودين وصحَّة اعتقاد بان يكون في منصبي بعدي والسادّ لثلمة فقـدي فكونوا لامره بعدي طائعين ولحكمه سامعين فاحلفوا لهُ بصحَّة من نياتكم وسرائركم واخلاص من عقائدكم وضمائركم. فقالوا: امرك المطاع وحكمك المتَّبعُ. فحلفوا الأيمان الموكدة على العمل بشروطها واتباع رسومها وانفذ رسله الى اخيه المذكور لاعلامه صورة الحال ليكون لها مستعدًّا واليها مُسرعًا. ثم تفضَّل الله تعـالى عليهِ وعلى كافة المسلمين ببدوء الابلال من المرض وتزايد القوَّة في النفس والجسم وجاس المدخول اليهِ والسلام عليهِ فسُرَّت النفوس بهذه النعمة وقويت بتجديدها

وكان الامير مجد الدين النائب في حلب قد رتَّب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر القيم في منبج برجل حمَّال من اهل دمشق يُعرف بابن مغزو معه كتب فانفذه بها الى مجاهد الدين متولّي حلب فلمَّا وقف عليها امر بصلب متحمّلهـا. وانفذها في الحال الى الملك العادل نور الدين فلما وقف في يوم الخميس من العشر الثاني من المحرَّم من السنة الجديدة وجدها من امين الدين زين الحاج ابي القسم متولي ديوانه ومن عزّ الدين متولي ولاية القلعة مملوكه ومن محمد حمري (كذا) احد حجَّابه الى اخيهِ نُصرة الدين امير ميران صاحب حرَّان باعلامه بوقوع اليأس من اخيهِ الملك العـادل ويحضّونهُ على المبادرة والاسراع الى دمشق لتُسلَّم اليهِ. فلما عرف ذلك عرض الكُتُب على اربابها فاعترفوا بها فامر باعتقالهم وكان في جملتهم الرابع لهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف

Marfat.com

فهرب قبل ذلك بيومين . وورد في الحال كتاب صاحب قلعة جعبر يخبر بقطع نصرة الدين مجدًا الى دمشق فانهض اسد الدين في العسكر المنصور لردّه ومنعه من الوصول فاتّصل به خبر عوده الى مقرّه عند معرفته بعافية الملك العادل اخيه فعاد اسد الدين في العسكر الى البلد

ووصلت رُسل الملك من (193) ناحية الموصل بجواب ما تحمّلوهُ الى اخيهِ قطب الدين وفارقوهُ وقد برز في عسكره متوجّهاً الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتّصل بهِ خبر عافية الملك نور الدين فاقام بحيث هو ونفّذ الوزير جمال الدين ابا جعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق في يوم السبت الثامن من صفر سنة ٥٥٤ في احسن زيّ وانهى تجمّلٍ وخرج الى لقائه الخلق الكثير . وهذا الوزير قد الهمهُ الله تعالى من جميل الافعال وحميد الاخلاق وكرم النفس وانفاق ماله في ابواب البرّ والصلات والصدقات ومستحسن الاثار في مدينة الرسول صلى الله عليهِ وسلّم ومكّة والحرم والبيت ما قد شاع ذكره وتضاعف عليهِ مدحه وشكره واجتمع مع الملك العادل نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقريرات ما انتهى عوده الى جهته بعد الاكرام لهُ وتوفيته حقه من الاحترام واصحبه برسم قطب الدين اخيهِ وخواصّه من الملاطفة ما اقتضتهُ الحال الحاضرة وتوجّه معه الامير الاسفهسلّار اسد الدين شيركوه في خواصّه يوم السبت النصف من صفر من السنة المذكورة

وقد كان وصل من ملك الروم رسول من معسكره ومعه هدية اتحف الملك العادل من اثواب ديباج وغير ذلك وجميل خطاب وبغال وقوبل بمثل ذلك وعاد اليهِ في اواخر صفر من السنة . وحكي عن ملك الافرنج خذلهُ الله ان المصالحة بينهُ وبين ملك الروم تقرّرت والمهادنة انعقدت والله يردّ بأس كل واحدٍ منهما الى نحره ويُذيقهُ عاقبة غدره ومكره وما ذلك على الله بعزيز

وفي العشر الثاني من صفر من السنة توجه الحاجب محمود المسترشدي الى مصر عائدًا مع رُسلها كتب الله سلامتهم بجرايات ما كان ورد معهم من مكاتبات الملك العادل الصالح متولي امرها عن الملك العادل نور الدين اعز الله نصره

ووردت اخبار من ناحية ملك الروم باعتزامه على انطاكية وقصد المعاقل الاسلامية فبادر الملك العادل نور الدين بالتوجه الى البلاد الشامية لايناس اهلها من استيحاشهم من شرّ الروم والافرنج خذلهم الله فسار في العسكر المنصور صوب حمص وحماة وشيزر

Marfat.com

والاتمام الى حلب الى ان اقتضت الحال ذلك في يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة (193[٧]) وفي الليلة الاحد الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وافت في انتصافه زلزلة هائلة ماجت اربع موجات ايقظت النيام وازعجت اليقظى وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه ثم سكّنها محرّكها بلطفه ورحمته فلهُ الحمد الرؤوف بعباده الرحيم ولم يعلم تأثيرها في الاماكن النائيَة فسبحان القادر على ما يشاء العليم الحكيم

وفي العشر الاوّل من شهر ربيع الاخر من السنة ورد الخبر من ناحيــة حلب بوفاة ابي الفضل اسمعيل بن وقار الطبيب في يوم الجمعة آخر شهر ربيع الاول رحمه الله وكان في خدمة الملك العادل نور الدين اعزّ الله انصــاره وكان قد حظي عنده باصابات في صنائعهِ وقرب سعادته مع ذكاء فيهِ ومعرفةٍ بكونه سافر الى بغداد من دمشق واجتمع بجماعة من فضلائها وقرأ عليهم واخذ عنهم هذا مع خبرته وحميد طريقته واجتماع الناس على احماده والتأسُف على فقد مثله في حسن فعله لكن القضاء لا يُدافع والمقدورلا يمانع

وفي يوم الجمعة التاسع من جمادى الاولى من السنة هبَّت ريح شديدة اقامت يومها وليلتها فاتلفت اكثر الثمار صيفيَّها وشتويها وافسدت بعض الاشجار ثم وافت آخر الليل زلزلة هائلة ماجت موجتين ازعجت واقلقت وسكّنها محرّكهــا وحرس المساكين مثبتها برحمته وقدرته فلهُ الحمد والشكر ربّ العالمين

وفي جمادى الاولى من السنة في اوله تناصرت الاخبار المبهجة من ناحية العسكر المنصور الملكي النوري باعمال حلب بتواصل الامراء المقدّمين وُلاة الاعمال المجاهــدة احزاب الكفرة الضلّال من الروم والافرنج لقصد الاعمال الاسلامية والطمع في تملُّكها والافساد فيها والحماية لها من شرّهم والذبّ عنها من مكرهم في التناهي في الكثرة والاعداد الدثرة فقضى الله بحسن لطفه بعبــاده ورحمته ورأفته ببلاده ان سهّل للعزائم المنصورة الملكيَّة النوريَّة من صائب الرأي والتدبير وحسن السيــاسة والتقرير وخلوص النيَّة لله تعالى وحسن السريرة بحيث المهادنة الموكدة والموادعة المستحكمة بين الملك العادل نور الدين وملك الروم ما لم يكن في الحساب ولا خطر ببــال بحيث انتظمت الحال في ذلك في عقد الســداد وكُنه المراد بحسن رأي ملك الروم ومعرفته بما يؤول اليــهِ عواقب الحروب ويعسر الامل المطلوب بعد تكرّر المراسلات والاقتراحات في (194[٢]) التقريرات واجيب ملك الروم الى ما التمســهُ من اطلاق مقدّمي الافرنج

Marfat.com

المقيمين في حبس الملك نور الدين وانقذهم باسرهم وما اقترحهُ اليــهِ وحصولهم لديهِ وقابل ملك الروم هذا الفضل بما يُضاهيــه افعال عظماء الملوك الاسدَاء من الاتحاف بالاثواب الديباج الفاخرة المختلفة الاجناس الوافرة العدد ومن جوهر نفيس وخيمة من الديباج لها قيمة وافرة وما استحسن من الخيول المحلّية ثم رحل عقيب ذلك في عسكره من منزله عائدًا الى بلاده مشكورًا محمودًا ولم يؤذِ احدًا من المسلمين في العشر الاوسط من جمادى الاولى سنة ٥٥٤ فاطمأنّت القلوب بعد انزعاجها وقلقها وأمنت عقيب خوفها وفرقها فالله الحمد على هذه النعمة حمد الشاكرين

وورد الخبر بعد ذلك بان الملك العادل نور الدين صنع لاخيهِ قطب الدين ولعسكره ولمن ورد معهُ من المقدّمين والوُلاة واصحابهم الواردين لجهاد الروم والافرنج في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى من السنــة سماطًا عظيمًا هائلًا يناهي فيهِ بالاستكثار من ذبح الخيول والابقار والاغنام وما يحتاج اليهِ في ذلك مما لا يشاهد مثله ولاشبه لهُ مما قام بجملةٍ كبيرة من الغرامة وفرّق من الحصُن العربية والخيول والبغال العدد الكثير من الخلع وانواع الديباج المختلفة وغيره والصحون الذهب الشيء الكثير الزائد على الكثرة وكان يومًا مشهودًا في الحسن والتجمّل. واتّفق ان جمــاعة من غُرباء التركمان وجدوا من الناس غفلةً باشتغالهم بالسماط وانتهــابه فغاروا على العرب من بني اسامة وغيرهم واستاقوا مواشيهم فلمّا ورد الخبر بذلك أنهض في اثرهم فريق وافر من العسكر المنصور فادركوهم واستخلصوا منهم جميع ما اخذوه واعيد الى اربابه وسكنت النفوس بعد انزعاجها والله المحمود المشكور

ثم تقرّر الرأي الملكي النوري اعلاه الله على التوجّه الى مدينــة حرّان لمنازلتها واستعادتها من اخيهِ نصرة الدين (١ حسبما رأهُ في ذلك من الصلاح ورحل في العسكر المنصور في اول جمادى الاخرة فلما نزل عليها واحاط بها وقعت المراسلات والاقتراحات والممانعات والمحاربات الى ان تقرّرت الحال على ايمان (194) مَن بها وتسلّمت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الاخرة المذكور وقُرّرت احوالها واحسن النظر اليها في احوال اهليها وسلّمت الى الامير الاجلّ الاسفهسلار زين الدين على سبيل الاقطاع لهُ وفوّض اليهِ تدبير امورها

---

١) قال سبط ابن الجوزي: وسببه ان نور الدين لمّا مرض وقع اليــأس منهُ وكاتب اخوه الجند وطمع في الملك فشقّ على نور الدين

Marfat.com

ودخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

واولها يوم الثلثاء مستهلّ المحرَّم والشمس في كح درجة وكح دقيقة من الجدى والثاني عشر من كانون الثاني والطالع القوس سبع عشرة درجة وخمس دقائق. وفي ليلة الجمعة من صفر من هذه السنة توفي الامير مجاهد الدين بزان بن مامين (١ احد مقدّمي امراء الاكراد والوجاهة في الدولة رحمه الله موصوف بالشجاعة والبسالة والسماحة مواظبٌ على بثّ الصلات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء مع الزمان وكل عصر ينقضي واوان جميل المحيَّا حسن البشر في اللقاء وحُمل من داره بباب الفراديس الى الجامع للصلاة ثم الى المدرسة المشهورة باسمه فدُفن فيها في اليوم ولم يخلُ من باكٍ عليه وموَبّنٍ لهُ ومتأسّف على فقده بجميل افعاله وحميد خلاله ورُثي بهذه الابيات المختصرة وهي:

كم غافل وسهامُ الموت مُصمية ... تُصميه في غفلة منهُ ونسيانِ
بينا تراه سريع الخطو في وطر ... حتى تراه سريعاً بين اكفانِ
كذاك كان بزانٌ في امارته ... ما بين جندٍ وانصارٍ واعوانِ
هبت رياح الرزايا في منازله ... فغادرتها بلا انسٍ وجيرانِ
امسى بقبرٍ وحيداً جنب مدرسة ... بلا رفيقٍ ولا خلٍّ واخوانِ
ما عاينت نعشهُ عينٌ موَرقةٌ ... الّا بكَتْهُ بانواءٍ وتهتانِ
فرحمة الله لا ينفكُّ زائرهُ ... لحدًا حوى جسمه منهُ بغفرانِ
ولا اغبَّت ثراه كل مرعدةٍ ... تهمي عليهِ بغيثٍ ليس بالوانِ
حتى تُرَوّضهُ منها بصَيّبها ... بكل زهرٍ غضيضٍ ليس بالفانِ
ما دامت الشهب في الافلاك دائرةً ... وناحت الورق ليلًا بين اغصانِ
من يفعل الخير في الدنيا فقد ظفرت ... يداهُ بالحمد من قاصٍ ومن دانِ (195r)

وفي يوم الخميس مستهلّ صفر من السنة رفع القاضي ذكي الدين ابو الحسن علي ابن محمد بن يحيى بن علي قاضي دمشق الى الملك العادل نور الدين رقعة يسئله فيها الاعفاء من القضاء والاستبدال بهِ فاجاب سؤالهُ وولّى قضاء دمشق القاضي الاجلّ الامام كمال الدين بن الشهرزوري وهو المشهور بالتقدّم ووفور العلم وصفاء الفهم والمعرفة

---

١) وفي حاشية: قلتُ هذا مجاهد الدين هو ابو الفوارس بُزان بن مامين بن علي بن محمد وهو من الاكراد الجلالية وهي طائفة منهم بلادهم في العراق بنواحي دقوقا من اعمال بغداد

بقوانين الاحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والنزاهة عن الاشفاف وتجنُّب الهوى والظلم وحكم بين الرعايا باحسن افصالٍ في الحكم وكتب لهُ المنشور بذلك بنعوته المكتملة وصفاته المستحسنة ووصاياهُ البليغة المتقنة واستقام لهُ الامر على ما يهواهُ ويؤثرهُ ويرضاهُ على ان القضاء من بعض أدَواتهِ واستقرّ ان النائب عنهُ عند اشتغاله ولده (١

هذا آخر ما وُجد من مذيّل التاريخ الدمشقي والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآلهِ وصحبهِ وسلَّم تسليماً كثيرًا

وكان الفراغ من كتابته سلخ ربيع الآخر سنة ٦٢٩ كتبه اسير ذنبه الراجي عفو ربّه محمد بن ابي بكر بن اسمعيل بن الشيرجي الموصلي غفر الله لهُ زلله وخطأَه وخطله ولجميع المسلمين

١) ودونك ترجمة السنة الخامسة والخمسين بعد الخمسمائة عن الفارقي قال في تاريخهِ: انهُ مات فيهِ الخليفة الفائز ابن الظافر بمصر والسلطان اذ ذاك الملك الصالح ابن رزيك واجتمعوا وولّوا صبيًّا صغيرًا من الدار اسمهُ عبد الله ويُكنَّى بابي محمد ويُلقَّب بالعاضد وهو ابن يوسف بن عبد

Marfat.com

المجيد الحافظ وابوه احد الثلثة الذين قتلهم عبّاس بعد الظافر واستقرّ في الخلافة وهو الخليفة الرابع عشر من حيث وُلّوا هذا البيت لان كل خليفة وُلّيَ عُلّقت منطقتهُ بقبلة الجامع وتكون منطقة الذين قبله مكشوفةٌ ومنطقة الحي مغطّاةٌ فاذا مات ووُلي غيره كُشفت وعُلّقت منطقة المولى مغطاة وكمل في الجامع مع هذه الى هذه السنة اربع عشر منطقة . وحدّثني بهذا جماعة ممّن سافر الى ديار مصر . وبقي العاضد في الخلافة واستقرّ والصالح السلطان بالبلاد

وقال ايضاً : وفي سنة ٥٥٦ وثب القوس بمدينة آنة على صاحبها الامير فضلون بن منوجهر وانهزم ومضى الى قلعة تسمّى بكران مجاور مرماري وسلّموا القوس آنة الى ملك الابخاز كركور وحضر عساكره وملكها ونهب منها مالًا عظيماً وسبى جميع اهل شداد وفضلون . وفي جمادى الاولى ولّى ملك الابخاز فيها حاجبه سعدون وعاد الى تفليس

وفي رجب من السنة اجتمعت العساكر جميعها من جميع اطراف شاه ارمن وعزّ الدين سُلتق وفخر الدين (دولت شاه) صاحب ارزن وصاحب القرس ومرماري وساروا الى نهر ارَس وخرج الصاحب نجم الدين (البي بن تمرتاش) بقصدهم فنزلوا على آنة في شعبان من السنة واقاموا عليها فقصدهم ملك كركور ملك الابخاز وكسرهم على باب آنة و (لمّا) وصلت العساكر والملك انهزم الامير سُلتق فانفصل عن المسلمين لان كان ملك الابخاز دبيطري لما أسره كما ذكرنا واطلقهُ استحلفهُ انهُ لا يضرب في وجههِ سيفاً ولا وجه اولاده ولا يُلقي لهُ عسكرًا ولا لاولادهِ ما عاش وطاب سُلتق الفرس . فلما انفصل الامير سلتق انهزم العساكر من المسلمين ووقع فيهم السيف وقتل منهم خلقاً عظيماً . فانهزم شاه ارمن من باب آنة وصاحب ارزن بفرسه واسر من المسلمين ما لا يحصى ونهب بَرَك شاه ارمن وقتل اكثر اصحابه والمسعود من سلم من الواقعة وأُسر من المسلمين مقدار تسعة الف فارس وراجل من اكابر بيت سكمان وغيرها فأُسر بدر الدين اخو الخاتون صاحبة اخلاط لأُمها وخلقٌ لا يحصى

وبلغ خبر الكسرة للصاحب نجم الدين وكان وصل الى ولاية مناذجرد فعاد ولم يجتمع بشاه ارمن ولا حضر الوقعة ووصل الى ميافارقين . ونفّذ الوزير جمال الدين وزير الموصل الى ملك الابخاز رسولًا وشفع في الامير هلدري القرقطفي صاحب اسباكرد وكان من اصحاب شاه ارمن وأُسر في الوقعة فاطلقهُ ونفّذ جمّة الف دينار واشترى بها اسارى من المسلمين ممّن ليس لهُ احدٌ ولا اهلٌ ولا مالٌ واشترى قومًا حجازيين كانوا أُسروا في الوقعة

وقال ايضاً : وفي شهر شعبان من سنة ٥٥٧ اغارت الكرج على مدينة دوين ودخلوا اليها ونهبوا جميع ما كان فيها وقتلوا خلقاً عظيماً وأسروا من المسلمين خلقاً لا يحصى ونقضوا المنارة التي كان بناها قُرتي بن الاحدب من حماجم الكُرج في وقعة اوقع بهم واخربوا المساجد واكثر الدُور وعادوا الى تفليس واقاموا مدّةً وخرجوا وقصدوا مدينة جنزي ونهبوا وأسروا خلقاً ثم عادوا الى تفليس والاسارى على العجل وغنموا غنائمَ لا تُحصى

وقال ايضاً : وفي يوم الاربعاء تاسع شعبان من سنة ٥٥٨ كسر شاه ارمن والسلطان ارسلان شاه ابن طغرلبك وشمس الدين الدكز وفخر الدين صاحب ارزن ملك الابخاز والكرج كسرةً عظيمةً ودخلوا الى حصن الكركري وكانت الوقعة هناك وكُسروا اقبح كسرة وغنم منهم من الاموال ما لا يوصف ولا يحصى وأخذ اصطبل الملك وكانت معالفهُ فضة وأخذ الشرابخانه وما كان فيه وأخذ الدنان الفضة التي كانت فيهِ . وأُحضر الدنّ الواحد بين يدي السلطان وكان الدنّ

ورفيقهُ يُحملان على عجلةٍ فنفذه السلطان وانفذ من الغنيمة مقدار الفي دينـار يشتري بها وحمل شربات ذهب وفضة وحمل الجميع الى جامع همذان للسبيل برسم شرب الماء واخذ التركمان الدنّ الاخر وقطعتهُ ونهبوا منهم نهباً عظيماً وقتلوا خلقاً كثيراً وانهزم ملك الابخاز الى غيضة عظيمة فيها خشب الصنوبر مسيرة ثلثة ايام لا يقع على احدٍ فيهـا الشمس الّا نادرًا وقد رأيتُ موضع الوقعة في هذه الغيضة ما كنت في خدمة ملك الابخاز في سنة ٤٩٥

واخذ شاه ارمن ثلثة جمال كان احدها فيـه آنية ذهب وفضة والثاني كان احدها فيه آنية ذهب وفضة والثاني كان عليهِ بيعة الملك فيهِ صلبان ذهب وفضة مرصعة بانواع الجواهر وفيهِ اناجيل مُصوَّرة بالذهب مرصَّعة بالجواهر لا يُعرف قيمتها ولا يوجد مثلها والثالث عليهِ خزانة الملك من ذهب وفضة وجوهر ما لا يقوَّم بعضهُ كثرةً بحيث انهُ قيل ان كُتّاب اخلاط بديوانها قوَّموا ما وصل الى شاه ارمن وكان مثل ما أُخذ منهُ على باب آنة عند ما كُسر ثلثين ضعفاً . ولقد سمعت هذا من جماعة كثيرة من اهل اخلاط ممَّن كان بالوقعة وكنت اذ ذاك ببـدليس ويوم وصل المبشّر الى اخلاط كنتُ باخلاط وجماعة من الفارّ فيهِ وكان يوماً عظيماً بحيث انهُ ذُبح من البقر بعد يومين مقدار ثلثمائة رأس وفُرّق لحمها على المساكين والضعفاء وبعد ايام وصل شاه ارمن الى اخلاط واظهروا فيها كل شيء لا يُرى مثلهُ من الاموال والتجمُّل ووصل صاحب بدليس اليها وزُيّن البلد لقدومهِ في اول شهر رمضان وكنتُ ببدليس

وقد روى مؤلف زبدة التواريخ في هذه الوقعة ان اتابك الدكز لما صار باذربيجان راسلتهُ الكرج وقالوا لهُ : انهُ لنا علي كنجة وبيلقان خراج يصل الى خزانة الملك في كل سنة وقد انقطع عنّا منذ سنين ما وصل الى الخزانة ونريد منك ان تدفع ذلك لنا . فقـال لهم بالجواب : انني ما نزلتُ العراق وجئتُ الى هذه البلاد الّا حتى اجمع العساكر واقصـد تفليس واُحاصرها ولا ازال دون ان آخذها فما عندكم من قوّةٍ فأظهروها فانا قاصد بلادكم قد اتيتكم بعساكر لا ينجيكم منها الّا الضرب بالسيوف والطعن بالأسنّة . وكان السلطان ارسلان شاه بن طغرل بهمذان وقد عادت امور عساكر العراق الى أجمل ما كانت عليهِ في زمن السلطان مسعود فنفّذ اليـه اتابك الدكز وعرفهُ رسالة الكرج وانهُ قد اجابهم بكذا وكذا وشرح لهُ الرسالة والجواب واستقـدمهُ اليهِ . فنهض السلطان ارسلان شاه بن طغرل من العراق بعساكر راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجالٍ يوزن آحادهم بالافٍ وافرادهم باضعافٍ قد رتّبهم الحروب في حجورها وارضعتهم التجارب من سطورها فلم يُسمع بعسكر في العراق اجتمع فيهِ من القدوم وطبقات الجنود ما جمعهُ ذلك العسكر وسار حتى لحق باتابك الدكز بنخجوان ورحل من نخجوان الى ان وصل كنجة فاقام فيها اياماً. ولمّا سمع ملك الكرج بإقباله وانهُ عُمِدَ على لقائه وقتالهِ ارسل اليهِ رسولًا وتضرّع اليـهِ انني قد نزلتُ عمّا كنت قد طلبتهُ منك ولست اعود الى ما يسوءك وانا نازل عند ما تريدهُ ومسعفك بما تطلبهُ

وكان شاه ارمن سقمان بن ابراهيم ايضاً قد جاء الى عسكر السلطان ليفوز بخدمته ويحظى بتقبيل بساطه بعساكر كثيرة وعُدَد وافرة وحظي عند وصوله الى خدمة السلطان بالاعزاز والاكرام والتبجيل والاعظام وكان يخاطبهُ السلطان « ايجي »

فلما وصل رسول الكرج الى اتابك الدكز بذلك عرضهُ على السلطان ارسلان شاه بن طغرل

فجمع الامراء باسرهم وشاه ارمن وحضر اتابك الدكز معهم وتشاوروا في الجواب لرسول ملك الكرج فاشاروا كلهم الى الاتابك الدكز : ان الرأي رأيك وانت أعرف ببلادك فماذا ترى . فلاح لهم منهُ انهُ يميل الى المصالحة فقام امراء العراق وخدموا السلطان وقالوا لهُ : نحن انفقنا اموالنا على اجنادنا ورجالنا وجمعنا عساكر يضيق عنها الفضاء ويحيد عن سورتها وشرّتها الفضاء وجئنا الى هاهنا ونعود من غير ان نلقي عدوّ الاسلام ونُريَهُ بأسًا يوردهُ فيهِ موارد الانتقام ومراسًا يقوده الى الاذلال والارغام وقهرًا يردّه عن شريعة الطمع وقسرًا يُنزل بقلبه البأس والجزع

ووافقهم شاه ارمن على هذا الرأي وقال : انَّ عدوّ الاسلام شديد كَلَبُهُ ثقيلة على المسلمين وطأتهُ وبالامس ما قد فعلهُ من الغارة على دوين ونهبها وأسر جماعة اهلها وقد رآءنا اننا اجتمعنا للقائهِ وتهيأنا لدفع مضرّته وبلاءه ويرى اننا تفرّقنا من غير مكافأته ومصاولته وعدنا دون مصادمته ومساورته وقد انفقنا من الاموال ما انفقنا واذهبنا لجمع العساكر ما اذهبناه فحينئذٍ يزداد طمعه ويخشى انهُ اذا عاد السلطان خلّد الله ملكهُ الى العراق ان يخرج الى بلاد الاسلام بجموعه وبطرقها بعساكره وهي خالية ممن يقاومهُ صفوًا ممّن يقابلهُ ويصادمهُ فتظهر معرّتهُ باهل الاسلام وتفشو مضرّتهُ بالخاص منهم والعام

فلمّا سمع اتابك الدكز هذه المقالات وان القوم مصرُّون على الملاقاة قام الى كل واحد من الامراء فاعتنقهُ وقبّل وجهه وقال : الان علمتُ انكم على الجهاد حريصون وعلى مكافحة اعداء الله مصرّون فتأهبوا للقاء الكفار وبيع انفسكم بالجهاد على الواحد القهّار . ودفعوا رسول ملك الكرج باين من القول ورحلوا من مقامهم وقد اجتمع على السلطان من التراكمة ما ليس لهم عددٌ ولا يحصرهم لكثرتهم احدٌ وقصدوا بلاد الكرج

فلمّا علم جم ملك الكرج باتهم قد قصدوا بلاده تأهّب للقاء واستعدّ وجمع قضّهُ وقضيضهُ وخرج بعساكر لجبة واثقال ما حوى عسكر من عساكر الكُفّار ما حواه عسكره من العدّة والعتاد وآلات الحرب والطراد والخيل المسوّمة والبغال المطهّمة . وقرب الفريقان بعضهم من بعض وكان اتابك الدكز قد جعل العسكر ثلاثة فِرَق فرقة تأهّبت للقاء الملك وعسكره وفرقة ثانية فيها عسكر العراق امرهم ان يتوقّفوا الى ان تختلط الخيل بالخيل والرجال بالرجال وتنشب بينهم الضراب والطعان فيأتوهم عند ذلك لتقوى قلوب المسلمين باتيانهم وتضعف قلوب المشركين عند معاينتهم ووقّفهم في الفرقة الثالثة ومع غلمانه وخواصّه رجالٌ قد جرّبوا الحرب ولاقوها مرارًا وتقلّبوا فيها وعلموا احوالها سرًّا وجهارًا

فوصل الملك ورتّب عساكره ميمنةً وميسرةً وقلبًا وجناحين وعساكر المسلمين مقابلة ورفعت الحملات من الكرج على المسلمين وثبتوا لهُ اشدّ ثبات ودارت بينهم رحى الحرب يفصلون بالبيض البوارق ما بين الطلي والعوارق ويضربون مفارق الهام ضرب القدام بقبعة القدام . فلما اشتدّت وطأة الحرب على ضجّتها ومرّت كاسها على شربها وتكافحت جموع الكرج على المسلمين لم يَرُعهم الّا الفرقة الثانية من المسلمين وهم امراء العراق قد اظلّتهم بخيل كظلام الليل وملتطم السيل معلنين بالتكبير معممين بالحزم والتشمير وانضافوا الى اخوانهم من المسلمين وتقدّموا على اعداء الله يهدمون صفوفهم ويحزمون ابطالهم ويزيلونهم عن مواقفهم ومع ذلك فهم ثابتون امام ملكهم الى

Marfat.com

ان انتصف النهار . وجاءهم اتابك الدكز بنفسه ورجاله الاتراك واشباله القبال بالطمّ والرمّ والليل المدلهمّ

فلما رأى الملك كثرة العساكر والامداد وانهم يأتونهم فوجاً بعد فوج زالوا عن مقامهم واخذتهم السيوف من وراءهم وامامهم وتكاثر اولياء الله المسلمون على جماهير الكُفَّار المشركين يَأزُّونهم أزًّا ويحثّونهم رقصاً وجمزًا . فلم ينتصف النهار الّا بانتصاف المسلمين من اعداء الله المخذولين وحكّموا السيوف في زُهاء عشرة الاف رجلٍ من ابطالهم وشجعانهم فبسطوهم على العراء واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء وأُحيط بجماعةٍ من وجوه الكفار وجماهيرهم فسيقوا بجرّ اتمّ القسر والقهر والأسر الى موقف السلطان واتابك الدكز كما يساق المجرمون الى النيران وجوه عليها غبرة الكفران ترهقها قترة الخذلان فمن مكتوفٍ الى الظهر قهراً ومسحوبٍ على الخد جرًّا ومضروب على الوريد ضبرًا

ونجا مالك الكرج بحشاشة نفسهِ ورضي من الغنيمة بالإياب ومن الظفر بالانقلاب واستولى المسلمون على غنائم لم يغنم احد من المسلمين وعسكر من المسلمين مثلها وامتلأت الايدي من الغنائم والخيل السوائم والاموال الجزيلة والخيام الحسنة الجميلة والغلمان الذين كانهم اللؤلؤ المكنون . ومن جملة ما كان مع الملك الاصطال التي كان يسقي فيها خيله كلّها فضة والآنية التي كان يحضر فيها طعامهُ والمِيَد والاطباق والصحون والزبادي جميعها ذهب ووجد في خزانته من الجواهر والعقيان واللؤلؤ والمرجان كما ذكره الله سبحانهُ في القرآن ووعد بهِ اهل الجنان . وكانت هذه الحرب سنة ٥٦٦ (كذا) ودخلت العساكر بعد ما أحمت اياماً الى بلاد الكرج وشنّوا فيها الغارات واوقعوا فيها النهب والقتل والاسر والخراب الى ان غادروها خاوية كانْ لم تُغْنَ بالامس وخرجوا وقد حصل لهم من الغنائم ما ارتاشت بها احوالهم وتحققت آمالهم . ورجع السلطان واتابك الدكز الى كنجة ومشى شاه ارمن الى دار ملكه واقعد اتابك الدكز في كنجة مَن يقوم بحفظها والذبّ عنها من خصم عساه ان يغشى ضواحيها و بلادها وسار الى ان اتى نخجوان اقام بها مدّة في خدمة السلطان وقصدوا همذان ووصلوا اليها سالمين غانمين لم يمسسهم سوءٌ ولم يخلفهم أملٌ مرجوٌّ

واماً ما كان من بعد في امر مدينة آنة فهذا ما قالهُ الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥٥٩ في جمادى الاولى دخلت الكرج مدينة آنة واخلوها ووصل شمس الدين الدكز وملكها واقام بها اياماً وعاد اليها بعض من بَعدَ عنها وشرع في عمارتها وانصرف شمس الدين الدكز الى باب مدينة جنزي وعزم على لقاء الكرج

وفي هذه السنة اوقع الامير ابراهيم صاحب سرماري بالكرج وقعةً عظيمةً وقتل منهم خلقاً كثيراً واسر جماعةً من كرّابهم

وفي آخر السنة سلّم شمس الدين الدكز آنة الى الامير شاهنشاه اخي الامير شداد وفضلون اللذين كانا اصحابها من اولاد منوجهر . وقال ايضاً في ترجمة سنة ٥٦٣ : انهُ في اول رجب منهُ وصل الخبر ان عزّ الدين ساتق صاحب ارزن الروم توفي وولي ولدهُ الملك محمد موضعه . وقال ايضاً في شهر ربيع الاول من سنة ٥٧٠ قصد الكرج آنة وحاصروها اياماً واخذوها من الامير شاهنشاه اخي شداد ونهبوها ونهبوا كل ما كان فيها ورتّبوا فيها والياً من قبلهم وحصلت من ولاية الكرج

Marfat.com

وقال ايضاً : ان في هذه السنة وصل الخبر بان اتابك الدكز قصد الكرج واقتتلوا قتالاً عظيماً وانهزم المسلمون وقُتل جماعة وأُسر جماعة ونُهب من المسلمين شيء كثير . وبقي اتابك مدّة ثم جمع جمعاً كثيراً وقصدهم فالتقوا في صحراء اوين وما اختلط بعضهم ببعض ولا جرى بينهم قتال وعادت الكرج ولم يظفروا بشيء.ودخل اتابك الدكز الى مدينة نخجوان وهو يجمع عساكر ونفذ الى صاحب اخلاط وجماعة الامراء ليحضروا ويلقوهم والله ينجدهم زعم الكرج

وقال ايضاً : وفي المحرّم سنة ٧١ قصد اتابك الدكز والسلطان ارسلان شاه وشاه ارمن صاحب اخلاط وعساكر ديار بكر والبهلوان ولد الدكز ومعهُ عساكر اذربيجان وهمذان في خلق لا يُحصى ولاية الكرج الى ان جاوروا صحراء لوري ودومانيس وخرجوا الى اقشهر وهي ما بين اخل كاعاك وصحراء ترياليث فنهبوا تلك الولاية واخربوا الضياع وسبوا من كان فيها ودقّوا الزروع ولم يبقوا في تلك النواحي عمارةً وجلس الملك في غيضة . . . . . بحضرتها وما كان اليهِ طريق ولم يقدر ان يخرج اليهم فبقوا اياماً وعادوا اجمع . . . . والسلطان بدوين وعاد شاه ارمن وعساكره الى ديار بكر والى اخلاط فوصلوا في العشر الاول من ربيع الاول ودخلوا الى اخلاط وزيّنوا البلد وكان يوماً مشهوداً واظهر اهل اخلاط من الاموال والزينة ما لم يُرَ مثله ببلد آخر وبقيت الزينة ثلثة ايام باخلاط

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الأعلام

التي وردت في الكتاب

☆ ا ☆ آق سنقر احمديلي ٢٣٨
— — سيف الدين البرسقي صاحب الموصل ١٩٧, ١٩٩, ٢٠٨–٢١٧
— — قسيم الدولة صاحب حلب ١١٩ – ١٢٦, ١٣٠
الآمر باحكام الله العبيدي ١٢٩, ١٤١, ٢٠٣– ٢١٢, ٢١٥, ٢٢٨
الابخاز ٢٠٥, ٢٢٨
ابرهيم الامير صاحب سرماري ٢٦٤
— بن جعفر ابو محمود ٣–٥
— بن سكمان بن ارتق ١٢٧
— — — القطبي ١٧٦
— بن قريش العقيلي ١٢٢, ١٢٣
— بن ينال اخو طغرلبك ٨٧–٩٠
— — — فخر الدولة صاحب آمد ١٢١, ١٢٧, ١٢٨, ١٥٨, ١٦٧, ١٧٦
ابق بن عبد الرزّاق الامير ١٦٤
— هو مجير الدين
اتسز (الاقسيس) بن اوق الخوارزمي ٩٨, ١٠٨ –١١٢, ١٤٦
اثير الدولة ابو الفتح خواجا ١٧٥
— — ابن الكوفي ٧٩
الاحدب هو طغان ارسلان
احمد (بن حنبل الفقيه) ٢١١
— بن عبد الرزّاق ابو الفضل كريم الملك الوزير ٢٤٠
احمد بن نظام الملك (ابو نصر) ضياء الملك الوزير ١٥١, ١٦٢
— بن ابي هشام ابو القاسم العقيقي العلوي ٩
— بن يعقوب الداعي ٦٧
— شاه التركي ١٠٩, ١١٢
احمديل (بن ابرهيم بن وهسودان) الامير الكردي ١٧٤–١٧٧, ١٩٨
احمديلي هو آق سنقر
ارتاش (بكتاش) مجير الدين بن تتش بن الب ارسلان ١٤٥, ١٤٨, ١٤٩, ١٥٦, ١٥٧
ارتق بن عبد الرزّاق الامير ١٦٠
ارجوان هو برجوان
ارسلان تغمش بن داود بن ارتق ٢٦٧
— مملوك بن منقذ ١١٤
— شاه بن طغرل بك ٢٦١, ٢٦٣, ٢٦٥
ارمانوس ملك الروم ١٠٣, ١٠٤
الارمن ٢٤, ١٠٥, ١٤٨, ١٧٠, ١٧٣, ٢٠٠, ٢٠٦, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٧٩, ٢٨٣, ٢٨٨, ٢٣٠, ٢٥٤
اريسيفي ١٠٠–١٠٢
اسامة بن المبارك (بن شبل العقيلي) ٢٢٦
بنو اسامة ٢٥٨
ابن ابي الاساور بن منوجهر ٢١٦
الاسباتارية ٢٢٩
اسحق القرمطي ١٥
اسد الدين الامير هو شيركوح

Marfat.com

اسماعيل بن ابرهيم الحسيني هو ابن ابي الجنّ
— بن بوري هو شمس الملوك
— السلار زين الدين شحنة بدمشق ٢٠٧, ٢٠٨,
— العجمي الباطني الداعي ١٨٩, ٢٢٢, ٢٢٤,
— بن وقار ابو الفضل الطبيب ٢٥٧
— بن ابي يعلي بن القاسم الحسيني ١ الاسماعيلية ١٢٨, ١٢٩, ١٨٩, ٢٤٣, ٢٠١, ٢٠٢, ٢٤٩,
الاصفهاني جمال الدين ابو جعفر محمد بن علي بن ابي منصور الوزير ٢٨٦, ٢٠٧, ٢٥٦, ٢٦١,
— ابو نصر بن عمر الكاتب ١٥٣
اصفهبذ (بن ساوتكين) ١٢٠
الاصفهبذ التركماني (صباوا) ١٥٨
الاصمعي ٢٥٧
الافرنج ١١٨, ١٢٤—٢٦٠
الافضل ابو القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش بدر ٨٤, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٥, ١٢٧, ١٤١, ١٦٠, ١٧٣, ١٧٨, ١٨٢, ١٨٨, ١٨٩, ٢٠٢,
— ابنه (ابو نصر) احمد الاكمل ٢٢٩
— بن ولخشي هو رضوان
ابن افلح احمد بن محمد ابو الفتح ٥٠, ٦١
اقبال الشفيعي ٢٧
اقسيس هوانز
ابن اقش ابو علي الحسن اثير الملك ٢٤٣
الاكراد ١٠٣, ١٠٩, ١١٤, ١٨٤
— الجلالية ٢٥٩
اكز اسد الدين الحاجب ٢٦١, ٢٦٤, ٢٧٧, ٢٩٥,
الاكفاني هبة الله بن احمد بن محمد ابو محمد ١١١, ٢٢٧
الاكمل هو ابن الافضل
البارسلان تاج الدولة بن رضوان ١٨٩—١٩١, ١٩٨,
— محمد بن داود السلجوقي ٩١, ٩٩, ١٠٠, ١٠٦,
— بن محمود بن محمد السلجوقي ٢١٧, ٢٤٨, ٢٥٩, ٢٨٦,
البي نجم الدين بن عرتاش ٢٦١
التاس الامير ١٢٨
التونتاش ٢٨٩, ٢٩٠
الدكز التركي ١٠٩
— (ايلدكز) شمس الدين اتابك ٢٦١—٢٦٥
الافتكين (هفتكين) ابو منصور ١١—٢١, ٤٦
الفنش الافرنجي ٢٩٧, ٣٠٠
الكزايكس ملك الروم وابنه يوحنا ١٩٩
الالمان ٢٩٧, ٢٩٨
الانبرت ابن ملك الافرنج ١١٨
الامويون ١٦
امير الجيوش هو بدر الجمالي
امير ميران نصرة الدين محمد بن زنكي ٢٢٨, ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٥٥, ٢٥٦, ٢٥٨,
امين الدين زين الحاج ابو القاسم ٢٥٥
ابن الانباري سديد الدولة (ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم) ٢٢١, ٢٢٢, ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٦٠,
— ابو علي ٨٤
انتصار بن يحيى زين الدولة ٩٩, ١٠٨, ١٠٩
اندكان (هي ارزنجان) ٢٠٢
أُنُر هو معين الدين
انفراد (جارية) ٢٩
انوشتكين ابو منصور الدزبري امير الجيوش ٧١, ٧٦—٨٢,
— هو عز الملك
انوشروان شرف الدين بن خالد القيني الوزير ٢٢٨, ٢٤٢

Marfat.com

انوشروان ربيب طغرلبك ٨٨
اوس جاء الدين بن مسعود وزير باخلاط ٢٧٦
, ٢٢٨
اياجور (ايجور) كند افرنجي ٢٥٩, ٢٧٧
آياز امير سلجوقي ١٤٧
اينكين السليماني غلام تتش ١١٧, ١٤٥, ١٤٨
, ١٤٩
ايجور هو اياجور
الايسر ٧٥
ايكلدي (ايلالدي) سعد الدولة بن ابرهيم بن
ينال صاحب آمد ١٢٨, ١٦٧, ٢٧٥
ايلبا (يلبا) التركي ٢٤١, ٢٥٣
ايلدكز هو الدكز
ايلغازي نجم الدين بن ارتق ١٢٧, ١٢٢, ١٢٥
١٥٧, ١٥٨, ١٦٩, ١٧٠, ١٧٦, ١٩١
, ١٩٩–٢٠٢, ٢٠٥–٢٠٧, ٢١٥
ايوب ضياء الدين وزير بارزن ٢٦٧
– نجم الدين بن شاذي ٢٨٧, ٢١٦
* ب * باد الكردي ٢١
بارحكس (كذا) ٤٩
بارخ غلام ٢٥
باردیس الدمستق ٢٥, ٢٩
بارزطغان قطب الدين ٩٤
باز به ٢٠١
الباطنيّة ١٠٦, ١٢١, ١٤٢, ١٤٩, ١٥١, ١٥٢
, ١٥٩, ١٦٢, ١٧٥, ١٨٩–١٩١, ١٩٨
, ٢٠٢, ٢٠٦, ٢١٠, ٢١٢–٢١٧, ٢٢٢
, ٢٢٤, ٢٣٠, ٢٤٩, ٢٧٤, ٢٩١
باكاليجار بهاء الدين العلوي ١٥٨
بايتكين اخو كمشتكين التاجي ١٦٦
البجناكي حسام الدولة ٧٩, ٩١
بختيار حصن الدولة السلّار ١٢١, ١٢٢, ١٩٨
بدر الجمالي امير الجيوش ٨٤, ٩١–٩٨, ١٠٩
, ١١٠, ١٢٤–١٢٨
بدر بن حازم الكلبي ٩٤, ٩٧, ١٠٩, ١١٠
– الدولة (سليمان) بن عبد الجبّار بن ارتق
٢٠٩
– الدين اخو الخاتون باخلاط ٢٦١
– بن ربيعة ٥١, ٦٦, ٦٩
– بن ابي طبيب شرف الدولة ١٦١, ١٨٨
– غلام فاتك ٧٢
بدران بن صنجيل ١٦٢, ١٦٧–١٦٩, ١٧٤
, ١٧٧, ١٨١, ١٨٥, ١٩٧
– الكردي ٢٤٥
البدليسي (اسماعيل بن فضائل بن سعيد) ٢٧٤
ابن بديع ١٨٩
البربر ١, ٢٩٢–٢٩٤
برجوان (ارجوان) الخادم ٤٤–٥٦, ٥٩
البرجي البطريق ١٤, ٢٤, ٤١, ٤٣
– هو لؤلؤ الكبير
برسق بن برسق صاحب همذان ١٧٤
البرسقي هو آق سنقر
برق بن جندل التميمي ٢٢١, ٢٠٢
بركيارق بن ملك شاه السلجوقي ١٢١, ١٢٢–
, ١٢٩, ١٤٠–١٤٧
برهان الدين ابو الحسن علي بن محمد البلخي ٢٠١
, ٢١٦, ٢٢٢
بزان بن مامين ابو الفوارس مجاهد الدين ٢٨٢
, ٢٩٦, ٢٠٤, ٢٠٦, ٢١١, ٢١٩, ٢٢١
, ٢٢٤, ٢٢٩, ٢٥٥, ٢٥٩
– ابنه محمد سيف الدين ٢١٩
بزواج (بزواش) شجاع الدولة ٢٤٨, ٢٥٢–
, ٢٥٨, ٢٦١, ٢٦٦
البساسيري (الفساسيري) ابو الحرث ارسلان
٨٧–٩٠, ١٠٥, ١٠٧, ٢٨٢
البسطامي ابو عبد الله ٢٠٦
باسيل ملك الروم ١٤, ٢٤, ٤١, ٤٣, ٥٤, ٥٥
بشارة الاخشيدي ٢٥, ٢٦, ٣٠, ٣٩, ٤٠, ٥١–٥٣

Marfat.com

بشر بن سور الكاتب ٦٧
— بن كرم بن بشر (ابو بكر الخزري) ٢٤٨
ابن البطائحي ابو عبد الله محمد (بن ابي شجاع فاتك بن ابي الحسين مختار) المأمون ٢٠٤ ,٢٠٩ ,٢١٢
— اخوه المؤتمن حيدرة ٢١٢
بغدوين صاحب بيت المقدس ١٤١ ,١٤٢ ,١٤٥ ,١٥١ ,١٥٩ ,١٦١–١٦٤ ,١٦٧–١٦٩ ,١٧١–١٧٤ ,١٧٧ ,١٧٨ ,١٨٢–١٨٥ ,١٨٨ ,١٩٠ ,١٩٢ ,١٩٩
— الرُويس صاحب الرها ١٢٨ ,١٧٠ ,١٨٤ ,٢٠٩ ,٢١٢ ,٢١٧ ,٢٢٤ ,٢٢٢
البغش الارمني ٢٦٩ ,٢٧٩
بكتاش هو ارتاش
بكجور ٢٤ ,٢٧–٣١ ,٣٤
ابو بكر الصديق ٥٨
البلاساغوني ابو عبد الله محمد بن موسى التركي ١٨٢
بلاق حسام الدين ٢٠٦
بلتاش ١٦٧
بلتكين (يلتكين) التركي ٢٥ ,٢٦ ,٢٨ ,٢٩
البلغر ٤١ ,٤٢
بلك بن بهرام بن ارتق نور الدولة ١٧٠ ,٢٠٢ ,٢٠٨–٢١٠ ,٢٨٥
البلنس هو ريمند صاحب انطاكية
بناء الجيوش زهر الدولة ١٤٤
البنادقة ٢٠٩
بهاء الدولة بن بويه ٢١
بهرام الباطني ٢١٥ ,٢٢١ ,٢٢٢ ,٢٠٢
— شاه بن بوري ٢٤٨
— — بن تتش ١٨٩
البهلوان بن الدكز ٢٦٥
بوري بن طغتكين هو تاج الملوك
بوزان عماد الدولة صاحب انطاكية ١٢٠–١٢٧
بوزبه (بوز ابه) ٢٩٤
بيمند صاحب انطاكية ١٢٧ ,١٢٨ ,١٤٢ ,١٤٦ ,١٥٨ ,١٦٤
* ت * تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقي ١١٢–١١٦ ,١١٩ ,١٢٢–١٢١ ,٢٤٦ ,١٦١ ,٢٧٩
تاج الملوك بوري بن طغتكين ١٢٩ ,١٦١ ,١٦٦ ,١٦٧ ,١٨١ ,١٨٢ ,١٨٨ ,٢١٨ –٢٢٤
تادرس هو باردیس
ابن تاشفين (علي بن يوسف) ٢٩٢ ,٢٩٣
تبر الامير ٢٩٥
تتش هو تاج الدولة
— بن دقاق ١٤٤ ,١٤٥
تربر هو دزبر
ابو تغلب الغضنفر هو ابن حمدان
التفليسي الطبيب ٢٩
ابن تكش بن الب ارسلان السلجوقي (بكتاش) ١٨٢ ,١٨٩
تتكين حسام الدولة صاحب بدليس وارزن ١٢٧ ,١٥٨ ,١٧٦
تمرتاش حسام الدين بن ايلغاري بن ارتق ١٩٩ ,٢٠٨ ,٢٤٢ ,٢٦٢ ,٢٧٤–٢٧٦ ,٢٢٩
تمصولت هو طزملت
تميراك بن ارسلان تاش ١٨٥
تميم بن اسميل المغربي الملقب بفخل ٥٧
التميمي هم حمزة ومحمد ابني اسد ومحمد بن هبة الله
ابن تومرت ابو محمد المصمودي الادريسي الحسيني ٢٩١ ,٢٩٢
* ج * جاولى سقاوه ١٥١ ,١٥٦–١٦٢ ,١٦٧
ابن جبلة القاضي ١١٦ ,١١٧
ابن الجراح حسان ٢
— حميد بن محمود وخازم بن علي ٩٢ ,٩٦ ,٩٧

Marfat.com

ابن الجراح دغفل الطائي ٢
— — ابنه المفرّج بن دغفل ١٩ , ٢٢–٢٥
— — , ٢٩–٢٢ , ٤٦–٥١ , ٦٤
— — — — ابنهُ حسان بن المفرّج ٦٢–
— — — — , ٦٤ , ٧٢–٧٤
— علي ٤٧
الجرجرائي ابو القاسم علي بن احمد الوزير ٧٢
, ٧٥ , ٨٠ , ٨٢ , ٨٤
— ابن اخيه ابو البركات ٨٤
جُرجى ١٠٢
جرفاس الافرنجي ١٦١
ابن الجسطار ٣٧
جعبر الامير ١٠٠
جعفر الصقلبي السيفي ٦٢
— القرمطي ١٥
بنو جعفر بتفليس ٢٠٥
جقر بن يعقوب هو نصير الدين
جكرمش (شمس الدولة) صاحب الموصل
١٤٢ , ١٤٦ , ١٤٧ , ١٥٠ , ١٥٦
الجلالية (اكراد) ٢٥٩
جلنار الوالي ٤١
جمال الدين طاحة صاحب المخزن ٢٥٠ , ٢٥١
— محمد بن بوري ٢٢٩–٢٧١
— الوزير هو الاصفهاني
ابن ابي الجنّ حمزة بن الحسن بن العباس ابو يعلي فخر الدولة من بني جعفر الصادق ٨٢
— ابن عمه ابرهيم بن العباس بن الحسن ابو الحسين مستخص الدولة ٩١
— ابنه اسمعيل بن ابرهيم ابو الفضل فخر الملك ٩٦ , ٩٧ , ١٦٥
— — حيدرة ابو طاهر ٩٤ , ٩٦ , ٩٧
— — القفي مختص ٩٧ , ١٠٦
— فخر الدولة ابو الحسين ٢١١
الجنابي الحسن بن (ابي منصور) احمد بن ابي سعيد ابو علي (الاعصم) ١–٣ , ١٦–٢١
جناح الدولة الحسين بن ايتكين اتابك ١٢٢
, ١٢٤ , ١٢٨–١٤٢
الجنويّون ١٢٩ , ١٤٤ , ١٦٢ , ١٦٣ , ١٦٨
ابن جهير عميد الدولة محمد بن محمد ١٢٩
— كافي الدولة ابو البركات جُهير ١٢٢
— نظام الدين (ابو المظفر بن زعيم) ٢٧٣
ابن الجوزي (المؤرّخ) ٤
جوسلين صاحب تلّ باشر ١٥٧ , ١٦٧ , ١٧٥
, ١٨١ , ١٨٤ , ١٨٥ , ٢٠٢ , ٢٠٨ , ٢٠٩
— ابنه جوسلين ٢٥٩ , ٢٦٥ , ٢٧٩ , ٢٨٨
, ٢١٠
جوهر الصقلبي ٩٠
— القائد ١ , ٢ , ١٢ , ١٥–٣٠
ابن جوهر الحسين قائد القوّاد الوزير ٥٦ , ٦٠
, ٦١ , ٦٥
جيش بن محمد بن صمصامة ٩ , ١٠ , ٣٥ , ٣٦
, ٤٨ , ٥٠–٥٤ , ٥٧ , ٩٥
— ابنه محمد ٥٤
☆ ح ☆ الحارثون ٣٦
حارق بن كمشتكين العراقي الامير ٢٠٢
حازم بن نبهان بن القرمطي ٩٧
الحافظ لدين الله العبيدي ١٢٩ , ٢٠٢ , ٢٢٩
, ٢٤٢ , ٢٦٢ , ٢٧٠ , ٢٨٢ , ٢٠٢ , ٢٠٨
— ابناه ابو علي الحسن وابو تراب حيدرة ٢٤٢
— بنيه ابرهيم وجبريل و يوسف ٢٢٩ , ٢٣٠
الحاقدارية ٢١٤
الحاكم بالله العبيدي ٤٤–٥٠ , ٥٥–٧١ , ٧٩
حامد بن ملهم (ابو الجيش) القائد ٦٢ , ٦٦
حبشي شرف الدين الوالي ٢١٤
الحجرية ٢٣٠
الحداد ابو علي ٢٩٥
ابن ابي الحديد ابو الحسين (عبد الرحمن بن

عبد الله) ٢١٧
— حفيده ابو الحسن الفضل ٢١٧
ابن الحرمي ابو بكر ٥٤
حسام الدولة هو تمتكين
حسام الدين هو تمرتاش
حسان بن مسمار الكلبي ١٦٧
— بن المفرّج هو ابن الجرّاح
— المنبجي والبعلبكي حسام الدين ٢٤١, ٢٨٥, ٣١٥
حسن الحاجب ٢٦٣
— بن منيع بن شبيب ١١٦
الحسن بن جعفر (ابو الفتوح) العلوي الراشد بالله ٦٤
— بن صالح الوزير ٧٣
الحسين بن سعيد بن محمد بن سعيد ابو علي العطّار ١٠٦
— بن علي بن ابي طالب ٢٥٠, ٢٢٢
— — — الخوارزمي هو ابو القاسم
— بن محمد بن احمد بن طلاب ابو نصر الخطيب ١١٣
— بن ناصر الدولة هو ابن حمدان
ابن ابي حصين القاضي ٣٨
الحكيم المنجّم الباطني ١٤٢, ١٤٩, ١٨٩
الحلحولي عبد الرحمن (بن عبد الله بن عبد الرحمن الجعدي) ٢٩٨
بنو حماد ٩٣
— بن صنهاجة بالمغرب ٢٩٣
ابن حمدان سيف الدولة (علي بن الحسين) ٢٧
— ابنه سعد الدولة ابو المعالي شريف ٢٤, ٢٧—٣١, ٣٤—٣٩, ٤١, ٧٦
— الفضنفر ابو تغلب بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ٢١—٢٤
— ابو الفضائل بن سعد الدولة ٣٩, ٤١—٤٣
— ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ٥٠, ٥١
— ابنه ناصر الدولة ابو محمد الحسن بن الحسين ٨٣—٨٧, ٩٠, ٩٣, ٩٥, ٩٨, ١٠٩,
— ابنه عدة الدولة ٩١
— ابو الهيجاء بن سعد الدولة ٣٩
— وجيه الدولة ابو المطاع ذو القرنين ٦٩—٧١
ابن حمدون (وزير لبني حماد بن صنهاجة) ٢٩٣
حمزة بن اسد بن علي بن محمد ابو يعلي المؤرّخ هو ابن القلانسي
— بن الحسين (الحسن) ابو يعلي فخر الدولة ابن ابي الجنّ من بني جعفر الصادق ٨٣
— بن علي العين زربي الشاعر ١١١
— المغربي ٧
— بن وهاش امير مكة ١٢٥
حميدان ٢١
ابن حنزابة (جعفر بن الفضل بن الفرات) الوزير ٢٢
أبو حنيفة (النعمان بن ثابت الامام) ٢١١, ٢٢٢
ابن الحوراني هو نبا
الحويلي ابو سعد السديد الوزير واخوه ابو منصور المعين ١٧٦
حيدر الامير ٢٩٥
حيدرة بن عضب الدولة المؤيد ابو الكرم ٨٥, ٩١
— بن مستخص الدولة هو ابن ابي الجنّ
— بن مفرّو بن النعمان حصن الدولة الكتامي ٩٢, ٩٦, ٩٧
— — ابنه المعلى سنان الدولة ٩٥, ٩٨, ٩٩, ١٠٨
— الوزير هو ابن الصوفي
ابن حيدرة ابو الحسن عبد الواحد ٥١
— — علي ٥٠
ابن حيوس ابو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد الشاعر ٧٤, ١٠٨

* خ * خاتون زوجة سكمان القطبي ١٧٦
— بنت طفتكين ١٢٢, ٢٠٨
— زوجة طغرلبك ٨٨
— اخت محمد تبر ١٧٢
— داية ملك شاه ١١٩
— زوجة — — ١٢٧
— زمرّد بنت جاولى زوجة بوري ٢٤٦, ٢٤٧, ٢٥٤, ٢٦٦-٢٦٩, ٢٨١
— شرف النساء والدة بوري ٢٢٤
— الشقيرية ١٠٢
— صفوة الملك والدة دقاق ١٢١, ١٤٤, ١٤٥, ٢٠١
— — — — رضوان ١٩٠
— صفية بنت تمرتاش ٢٧٥, ٢٧٦
— فاطمة بنت محمد تبر ١٧٦
— فرخندا بنت رضوان ٢٠٨
— كمال بنت ايلغازي ٢٠٥
خاتون نورة بنت تمرتاش ٢٦٧
— يمنى بنت ايلغازي ٢٧٥
خاصبك بلنكى (بلنكرى) ٢٩٥
ابن خان التركي امير الغزّ ٩٢, ٩٣
الخاني الامير ١٢٥
خترخان هو خيرخان
ختق التركماني ١١٦
ختكين ابو منصور الداعي الضيف ٥٧, ٥٨, ٦٥, ٦٧
ختلغ ابه الساطاني ٢١٨
ابن الخجندي صدر الدين ابو بكر محمد بن عبد اللطيف ٢٩٥
الخركاوي (عنبر) الفرّاش ٢٦٨
الخزر ٤٣, ٢٠٢
ابن الخطابي ٢٠
خطر الندى الرومية ام القائم بامر الله ١٠٧
خطلخ الحاجب ٢٦
— اخو التونتاش ٢٩٠
الخطيب البغدادي ابو بكر احمد بن علي بن ثابت ٨٧, ٨٩, ١٠٥, ١٠٦
بنو خفاجة ١٨٥, ٢٧٥
الخفاجي فرخانشاه بن محمود السلجوقي ٢١٧, ٢٨٠
— ابو محمد بن سعيد بن سنان الشاعر ٩١
ابن الخفّاني ٢٥, ٢٨
الخلادي ٢٠
خلف بن ملاعب (الكلابي) ١١٥, ١١٦, ١٢٠, ١٢١, ١٢٢, ١٤٩
— ابنه مصباح ١٥٠
الخليل ابرهيم النبي واسحق ويعقوب ٢٠٢
ابن الخمّار ١٦, ١٧
خمارتاش الحافظي ابو المظفر ٢٨٢
— الوالي ٢٥٢
خمرتاش السليماني ١٥٨, ١٦٤, ١٧٥, ١٧٦
ابن الخوجندي هو ابن الخجندي
ابن الخيّاط ابو عبد الله محمد الشاعر ٢٢٤
ابن خيران ابو علي ولي الدولة ٨٠, ٨٤
خيرخان (خترخان وقرخان) بن قراجا صمصام الدين ١٨٢, ١٩١, ٢٠٩, ٢٢٨, ٢٥٢
* د * ابن الدامغاني ابو الحسن علي (بن احمد) القاضي ٢٠٢
— (ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الوهاب بن حسنويه) القاضي ٨٩
الدانشمند (كمشتكين) ١٢٨, ١٤٢
— اولاد ٢٢٦, ٢٧٥, ٢٢٢
داود ملك الابخاز ٢٠٥
— بن سكمان بن ارتق ١٢٧, ٢٠٨, ٢٤٣, ٢٦٧, ٢٧٤
— بن سليمان بن قتلمش ١٢٤
— بن محمود بن محمد السلجوقي ٢٢٠, ٢٢٨, ٢٥٦, ٢٥٩, ٢٦١, ٢٧٧

— بن ميكائيل بن سلجوق ٨٦
الداوية ٢٣٩
ابن الداية مجد الدين ابو بكر محمد ٢٢٠, ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٥٥
دبيس بن صدقة بن مزيد ٢٠٢, ٢٠٥–٢١٠, ٢٢٠, ٢٥١
الديسي عز الدين ابو بكر ٢٨٦
الدركيولية ٢٤٣
دُري غلام ارمني ٦١
— المستنصري شهاب الدولة ٩٣
دزبر بن اونيم الديلمي الحاكمي ٧١, ٧٦
الدزبري هو انوشتكين
دقاق شمس الملوك ابو نصر بن تتش ١٤٠–١٤٥, ١٥٦
الدمشقي ١٢
دميطري هو ديمطري
الدهيقين ٥٢
الدوقس عظيم الروم ٥٠–٥٢
دولات بن مسعود بن سليمان بن قتامش ٢٢٢
دولت شاه بن طغان ارسلان الاحدب ٢٦٧, ٢٦١
الديلم ١١
ديمطري مالك الابخاز ٢٠٥, ٢٠٦, ٢٢٨, ٢٦١
☆ ذ ☆ ذخيرة الدين ابو العباس محمد بن القاسم بامر الله ٨٦, ١٠٧
ذكي الدين هو علي بن محمد
الذهبي شمس الدين المؤرخ ١٩, ٢٥, ٢٧, ٢٢, ٥٤, ٥٥, ٥٨, ٦٤, ٧٠, ٧٢, ٧٣, ١٠٨, ١٠٩, ١١١, ١٢٩, ٢٧٠, ٢٩٦, ٢٩٨, ٢٢٢, ٢٢٤
ذو الفضيلتين هو صارم الدولة
— القرنين ٢٦١
دو النون بن مسعود بن سليمان بن قتامش ٢٢٢
☆ ر ☆ الراشد بالله الخليفة العباسي ٢٥٠–١٥١, ٢٥٦–٢٦١, ٢٦٦
رافع عز الدولة بن ابي الليل الكلابي ٧٢–٧٥, ٧٩
رباح ٢٩
بنو ربيعة ١٨٣
الرزبيكي والي ميافارقين ١٧٦, ٢٠٨
ابن رزيك الملك الصالح طلائع ابو الغارات الوزير ٢٢٠, ٢٢١, ٢٥٢, ٢٥٦, ٢٦٠, ٢٦١
رزين الدولة ١١١
رشيق غلام ٢٥
ابن ابي الرضا ٩٦
رضوان فخر الملوك بن تتش ١٢٧, ١٣٠–١٣٥, ١٤٢, ١٤٨, ١٥٠, ١٥٧, ١٥٨, ١٦٢, ١٧٠–١٧٧, ١٨٢–١٨٩
— اخويه ابو طالب تاج الدولة وبهرام شاه ١٨٩
— بن ولخشي الافضل الوزير ٢٧٠, ٢٧٢, ٢٩٦
الرضي الشريف ٢٢٢
رضي الدولة غلام ٧٩
رضي الدين هو عبد المنعم
ابن الرعوى هو ابن اليرعوني
رفق عدة الدولة المستنصري ٨٥
رقناش التركي ٢٧, ٩٧
رقي الصقابي ٢٩
ركن الدولة ابو علي الحسن بن بويه ٢٨٢
ابو ركوة الوليد الاموي ٦٤, ٦٥
روجير هو مرجال
الروذباري صالح بن علي ٤٢
— — ابنهُ علي ثقة الثقات الوزير ٦١
الروسية ٤٢
ابن الروقاية هو ابن مرداس
ريان الخادم ١٠, ١١
الريحانية ٢٤٢, ٢٠٨, ٢٢٠
ريدان الصقلبي ٥٥

Marfat.com

الرئيس بدمشق هو ابن الصوفي المسيّب
☆ س ☆ سابق بن محمود هو ابن مرداس
سالم بن مالك (بن بدران بن المقلد) العقيلي ١١٥
ابو سالم بن عبد الرحمن المنتجب الحلبي ٢٥٢
– همام الحلبي ٢٢٦
ساوتكين الخادم ١٣٠, ١٣١
سبط ابن الجوزي المؤرّخ ١, ٢٤, ٤١, ٦٨, ٩٤, ٩٦, ٩٨, ١٠٠, ١٠٤, ١٠٩, ١١٢, ١١٥, ١١٦, ١٤١, ١٤٨, ١٥٠, ١٥١, ١٦٧, ١٩٢, ٢٠٦, ٢٢٢, ٢٢٩, ٢٣٢, ٢٦٦, ٢٧٤, ٢٧٥, ٢٩٧, ٣٠٠, ٣١٢, ٣١٥, ٣١٧, ٣٢٢, ٣٢٤, ٣٢٦, ٣٣٢, ٣٥٨,
السبع الاحمر وهو قزل ارسلان
سبكتكين المعزّي ١١
– ابو منصور المستنصري بن همام الدولة ٩٠
بنو سبيش ٩٦
سبيع بن مسلم بن قيراط ١٩٢
ست الملك عُلية بنت العزيز بالله ٢٢, ٤٤, ٦٠, ٧٢, ٧٩
– الناس اخت سعد الدولة بن حمدان ٢٨, ٢٩,
سديد الدولة ابو منصور ذو الكفايتين الضيف ٦٩, ٧١
سرجال (روجير) ابن طنكري ١٨٢, ١٨٥, ٢٠٠, ٢٠١
السرجندية ١٩٨, ٢٢٩, ٢٤٣
سرخاك فخر الدين الوالي ٢١١, ٢١٤, ٢١٦, ٢١٩, ٢٤٦,
السرداني الافرنجي ابن اخت صنجيل ١٦٣
السرميني ابو الفتح الداعي ١٤٩, ١٥٠
سعاد بن حبان ٣
سعد الدولة ابو المعالي هو ابن حمدان
سعد الدين عثمان ٢٥٥
سعد السعداء ٧٣
سعدون الحاجب ٢٦١
سعيد بن غياث ٦٥
سكمان بن ارتق ١٢٢–١٢٨, ١٤٢, ١٤٦, ١٤٧, ١٥٨, ١٧٦
– القطبي بن ابرهيم صاحب اخلاط ١٦٤, ١٦٩, ١٧٤–١٧٧, ١٨٢, ٢٢٨, ٢٦١, ٢٦٥
ابن سلّار العادل (ابو الحسن علي) الوزير ٢١١, ٢١٢, ٢١٩, ٢٢٠, ٢٢٠
سلامة بن بريك الرشيقي ٢٥, ٢٨
سلتق عز الدين صاحب ارزن الروم ٢٢٨, ٢٦١, ٢٦٤,
– ابنهُ محمد ٢٦٤
تاريخ السلجوقية ٢٠٧
السلمي احمد بن عبد الواحد بن محمد ١١٢
– علي بن محمد بن الفتح ابو الحسن الشافعي ٢٧٠
بنو سليم ٩١
سليمان بن ايلغازي بن ارتق شمس الدولة ٢٠٨
– بن عبد الجبّار بن ارتق ٢٠٩
– بن قتلمش السلجوقي ١١٧–١١٩, ١٥٧
– شاه بن محمد – ٢٢٧
السمعاني ابو سعد (عبد الكريم بن محمد) المؤرّخ ٢٠٧, ٢٩٥
السميرمي ابو طالب علي بن احمد بن حرب كمال الملك ٢٠٦, ٢٠٧
السناسنة ١٧٦
سنان بن عليان ٤٦, ٤٧
سنجر بن ملك شاه السلجوقي ١٤٧, ١٦٨, ٢٠٢, ٢١٠, ٢١٦, ٢٤٩–٢٥١, ٢٦١, ٢٧٥, ٢٧٧, ٣٢٥, ٣٣٦–٣٣٨, ٣٤٥
سنخاريب ملك الارمن ١٠٥
سنقر الحاجب ٢٥٣, ٢٥٤, ٢٥٧

Marfat.com

سوار سيف الدولة مسعود ٢٢٥, ٢٣٦, ٢٤٠, ٢٤١, ٢٥٢, ٢٥٥, ٢٦٢, ٢٦٥, ٢٧٦, ٢٨٥, ٢٨٨,
سونج بهاء الدين بن بوري ٢٢٨, ٢٣١, ٢٤٢, ٢٥٢,
سيف الدولة هو ابن حمدان
سيف الدين غازي بن زنكي ٢٨٥, ٣٠٠, ٣٠١, ٣٠٦,
* ش * شاتكين شهم الدولة القائد ٦٩
شاذي جدّ صلاح الدين يوسف ٢١٦
— الخادم ١٠٢, ٢٢٢
شارُوَخ صاحب حاني ١٢٧, ١٥٨, ١٧٦
الشاشي ابو بكر محمد بن احمد (بن الحسين بن عمر) الشافعي ١٨٨
الشاقصي مؤمّل ٢٧٤
شاه ارمن هو سكمان القطبي
شاهنشاه بن منوجهر ٢٦٤
شبل بن معروف العقيلي ٢٢, ٢٤
شبيب بن محمود بن صالح هو ابن مرداس
شحتكين شهاب الدولة ٧٠
شداد فخر الدين بن منوجهر صاحب آنة ٢١٦, ٢٢٨,
شرف الدولة هو مسلم بن قريش
— — بن ابي الطيب هو بدر
شرف المعالي بن الافضل شاهنشاه ١٤٢, ١٤٨
شكر العضدي ٤٥, ٤٦, ٤٨, ٥٥, ٥٦
ابو شكلى التركماني ١١٠
شمس امراء الخواص ١٦٩, ٢٢٨, ٢٤٨
شمس الخلافة الوالي ١٧٢
شمس الدولة محمد بن بوري ٢٢٥, ٢٥٤
شمس الملوك اسماعيل ابو الفتح بن بوري ٢٢٢, ٢٢٣, ٢٤١-٢٤٦, ٢٥٢
— خواجه الوزير (شمس الملك عثمان بن نظام الملك) ٢١٨
ابن الشمشقيق ١٢, ١٣
شهاب الدين محمود بن بوري ٢١٥, ٢٤٤, ٢٤٧, ٢٤٨, ٢٥٢-٢٥٨, ٢٦١-٢٦٤, ٢٦٦, ٢٦٨, ٢٧١,
ابن قاضي شهبة تقيّ الدين المؤرّخ ١٩١, ٢٠٤, ٢٩٥, ٢٩٦,
الشهرزوري ابرهيم بن محمد بن عقيل بن زيد ابو اسحق ١٢٨
— بهاء الدين (ابو الحسن علي بن القاسم) القاضي ٢١٧, ٢٤٨, ٢٦٦
— تاج الدين ابو طاهر يحيى (بن عبد الله بن القاسم) ٢٨٦
— كمال الدين ابو الفضل محمد اخوة ٢٨٥, ٢٥٩
— نجم الدين (ابو علي الحسن) بن بهاء الدين ٢٦٦
ابن ابي شويه ٩٧
بنو شيبان ١١٤
ابن ابي شيبة محمد بن جعفر الحسني العلوي امير مكة ١٢٥, ١٣٠
ابن شيخ ٥٠
— ابو الفتح ١٤, ١٥
الشيرازي ابو اسحق (ابرهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي) ١٨٨
ابن الشيرجي محمد بن ابي بكر بن اسماعيل الموصلي ٢٦٠
شيركوه اسد الدين (بن شاذي) ٢١٦, ٢٢٧, ٢٢١, ٢٢٦, ٢٢٩, ٢٤٩, ٢٥٢, ٢٥٣, ٢٥٦,
شيركير الامير وابنه عمر ١٥١
* ص * ابن الصابي (هلال بن المحسن بن ابرهيم) المؤرخ ١, ٢٥, ٧٢, ٧٤
— ابنه غرس النعمة محمد المؤرّخ ٩٤, ١١٢
صادر امير آمد ١٢٨

Marfat.com

صارم الدولة ذو الفضيلتين الامير ٧٩
صالح بن حسن ٢٢٩
ابن الصالح ابو الفتوح الامام ٢٢٢
ابن الصباح الحسن ١٢٨, ١٢٩
صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي ١٤٧, ١٥٦, ١٥٩, ١٦٠
— بن يوسف الفلاحي الوزير ٧٢, ٨٤
ابن صدقة ابو بكر القاضي ٢٢٨
— الحسن بن علي ابو علي جلال الدين الوزير ٢١٢, ٢٢٤
— ابن اخيه جلال الدين ابو الرضا (محمد بن احمد) الوزير ٢٥٧, ٢٦٠, ٢٦١, ٢٧٧
— ابو العز وزير لمسلم العقيلي ١١٥–١١٧
ابن صلاح الوالي ٢٥٨
صلاح الدين (محمد بن ايوب) اليا غيساني ٢١٧, ٢٥٨, ٢٨٥, ٢٨٦, ٢٨٨, ٣٠٥, ٣٤٧
— يوسف بن ايوب ٦٨
ابن صليحة عبيد الله بن منصور ابو محمد ١٢٩
ابن الصماصمة هو جيش بن الصمصامة
صنجيل الافرنجي ١٤٠, ١٤٢, ١٤٦, ١٤٧
ابن صنجيل هو بدران
ابن الصوفي الحسن بن الحسين ابو محمد امين الدولة الوزير ١٢٢, ١٤٠, ١٤٤
— حيدرة بن علي بن الحسين ابو الفوارس زين الدولة الوزير ٢٠٧, ٢٢١, ٢٢٤,
— سيف بن الحسن ابو المجالي ١٤٤
— عز الدولة بن علي بن الحسين ٢٢١
— المسيّب بن علي بن الحسين ابو الفوارس مؤيد الدين الوزير ٢٦١, ٢٧٧, ٢٧٨, ٣٠٧–٣١١, ٣١٤, ٣١٥, ٣١٩, ٣٢١, ٣٢٤, ٣٢٨, ٣٢٩,
— المفرّج بن الحسن ابو الذواد محي الدين الوزير ١٤٥, ٢٢٤, ٢٢٧, ٢٢٩, ٢٣١, ٢٥٧,
* ض * ضحّاك (البقاعي) الوالي ٢٢١
— بن جندل التميمي ٢٢٢, ٢٤١, ٢٠٢
ابن الضحّاك ابو الحجر احمد الكردي ٥١
ضياء الدين محمد الوزير ١٥٧, ١٥٨
— بن محمد بن عبيد الله النقيب ٢٠١
* ط * طارق الصقابي القائد ٨٤
ابو طالب بن تتش ١٨٩
— شيخ الصوفية ٢٢٤
ابو طاهر الصائغ العجمي الباطني ١٤٩, ١٥٠, ١٨٩, ٢٢٢,
ابن طاووس ابو محمد (هبة الله بن احمد بن عبد الله بن علي) ٢٧٤, ٢٧٦
الطائع لله الخليفة العباسي ١١
طرخان بن محمد الشيباني ٢١٦
ابن طرغت ابرهيم الوالي ٢٦٢, ٢٧٢
طريف بن فزارة ٧٢
طزملت (تمسولت) بن بكار القائد الاسود ٥٨, ٦٢
طغان ارسلان شمس الدولة الاحدب بن حسام الدولة تمتكين ٢٠٥, ٢٠٩, ٢٦٧
طغتكين هو ظهير الدين اتابك
ابن طغج الحسن بن عبيد الله ١
الطغراي ابو اسماعيل (الحسين بن علي بن محمد) الوزير ١٩٢, ٢٠٦
— حفيده محمد الوزير ١٩٢
طغرل بن محمد السلجوقي ٢٠٥, ٢١٠, ٢٢٠, ٢٢٨, ٢٤٢, ٢٨٢
طغرلبك محمد بن ميكائيل السلجوقي ٨٢, ٨٧–٩١, ١٠٠, ١٥٢, ٢٨٢
طلحة هو جمال الدين
قند طلولا بن بدران بن صنجيل الافرنجي ٢٤٠
طنغاج ملك سمرقند وابنه احمد ١٢٠, ١٢١
طنكري صاحب الرها وانطاكية ١٢٨, ١٤٢

Marfat.com

١٤٨, ١٥٠, ١٥٧, ١٦٣, ١٦٧–١٧١
١٧٤, ١٧٧, ١٨١, ١٨٣, ١٨٥
بنو طيء ٣٣, ٩٦
* ظ * الظافر بالله العبيدي ٢٠٨, ٢٣٠, ٢٣٣
٢٣٩, ٢٣٠, ٢٦١
– اخويه يوسف وجبريل ٢٣٩
ظالم بن موهوب العقيلي ٤, ٦, ٩, ١٥, ٣٤
الظاهر لاعزاز دين الله العبيدي ٧٠, ٧٣, ٧٥
٨٠, ٨٣
ظهير الدين اتابك طغتكين ١٢٠, ١٢١, ١٢٩
١٤٣, ١٤٤–١٥١, ١٥٦–٢١٨
* ع * العادل هو ابن سلّار
العاضد بالله العبيدي ٢٦٠, ٢٦١
عباس الامير (مملوك المقرب جوهر) صاحب
الري ٢٩٠, ٢٩٤
– الوزير بمصر (ابن ابي الفتوح بن يحيى بن
تميم ابو الفضل الصنهاجي) ٢٢٠, ٢٢٩
٢٢٠, ٢٦١
– ابنهُ ناصر الدين (نصر) عضد الخلافة ٢٢٩
٢٣٠,
عبد الله بن عبيد الله ابو محمد الحسني ٢
– ابن عمّ لست الملك ٤٤
– ابن المستنصر بالله ١٢٨
عبد الرحمن بن احمد بن سلامة ابو محمد ابن
الحراسي ٢٤٦
– ابنه ابو سالم ٢٥٢
– (عبد الرحيم) بن الياس بن احمد بن العزيز
بالله ابو القاسم ولي عهد المسلمين ٦٩, ٧٠
ابن عبد الظاهر المؤرّخ ٤٥
عبد القاهر بن علي بن ابي جرادة ابو البركات ٢٤٥
عبد المجيد ابو الميمون الامير هو الحافظ لدين
الله
عبد الملك بن ثابت وزير بميافارقين ٢٠٨
– بن عبد الوهاب الحنبلي القاضي ٢١١
عبد الملك بن محمد بن يوسف ابو منصور ٨٩
عبد المنعم بن محمد ابو غالب التميمي رضى الدين
٢٢٥, ٢٢٦
عبد المؤمن بن علي اللمتوني المهدي بالمغرب ٢٩٢
٢٩٤,
عبد الواحد بن محمد بن الحنبلي ابو الفرج ١٢٥
عبد الوهاب بن احمد بن هارون ابو الحسين
(الغساني ابن الجندي) ٨٦
– بن عبد الواحد بن محمد بن علي ابو
القاسم ٢٧٥
ابن عبدون ابو تمام الوزير ٢٠٥
– منصور النصراني ٥٨, ٦١, ٦٣, ٦٤
عثمان سعد الدين ٢٥٥
– بن عفان ١٨٧
العجمي علي بن ابي طالب ابو المحاسن الوزير
٢٦٢
– محمد الوزير ١٢٨
ابن العدّاس (ابو الحسن علي بن عمر) ٥٩, ٦٠
عدي بن محمد بن المعمر ابو طريف القرمطي ١
عز الدولة الامير ١٥٥
– بختيار بن بويه ١, ١١
عز الدين مملوك نور الدين ٢٥٥
عز الملك انو شتكين الافضلي الوالي ١٥١, ١٧٨
١٨٢,
العزيز بالله العبيدي ١٢, ١٤–٢٢, ٢٧–٣٥
٣٨–٤٥, ٤٩
عزيز الدولة وعزيز الملك الحمداني هو فاتك
ابن عاكر الحافظ المؤرّخ ٥٤, ١١٤, ١٩١
٢٧٤, ٢٢٣
عضد الدولة فناخسره بن بويه ٢٢, ٢٤, ٦٥
٢٨٢,
عطا الخادم (بن حفاظ السلمي ٢١١, ٢٢١, ٢٢٦
العطار هو بدر
ابن عُطاش (احمد بن عبد الملك) ١٥١

Marfat.com

ابن عطير النميري ١١٦
عطية هو ابن مرداس
عفراس الرومي ٢٠٢
ابن ابي عقبة المؤرّخ ١٢٥
العقيقي هو احمد بن ابي هشام
بنو عقيل ٢٢, ٢٤, ١١٤, ١١٩, ١٢٢, ١٢٤, ١٢٩,
عقيل بن حيدرة ابو طالب ٢٦٨
ابن ابي عقيل محمد بن عبد الله ابو الحسن عين الدولة ٩٦–٩٨, ١٢٠
العلّاقة الصوري ٥٠, ٥١
علي بن ابرهيم بن العباس بن الحسن ابو القاسم الحسيني ١٩١
– بن جولة ٢٤٦
– بن الحاجب ابو القاسم زين الدولة ٢٦٠
– بن حامد الحاجب ٢١٠
– بن دبيس بن صدقة ٢٠١
– بن ابي طالب ٨٠
– بن عبد الرحمن بن ابي عقيل ابو طالب القاضي ٢٧٦
– بن كوجك (كوشك) زين الدين (بن علي بن بكتكين) الامير ٢٨١, ٢٨٥, ٢٠٧, ٢٢٧, ٢٥٨
– بن مالك بن سالم بن مالك ابو الحسن العقيلي ٢٨٥, ٢١٦
– بن محمد بن يحيى بن علي ابو الحسن ذكي الدين ٢٥٩
– بن مسلم بن قريش العقيلي سعد الدولة ١٢٢, ١٢٤
بنو عليم ١٨٩
عماد الدولة (ابو الحسن علي) بن بويه ٢٨٢
عماد الدين هو زنكي بن اق سنقر
ابن عمّار امين الدولة ابو محمد الحسن ٢٠, ٤٤, ٥٠–٥٦
ابن عمّار ابو طالب صاحب طرابلس ٩٧, ١١٤
– – ابن اخيه جلال الملك ابو الحسن علي ٩٦
– – – فخر الملك ابو علي عمّار بن محمد بن عمار ١٣٩, ١٤٠, ١٤٦, ١٤٨, ١٥٦, ١٦٠, ١٦١, ١٦٤–١٦٦
– – ابن عمه ابو المناقب ١٦٠
عمر بن بختيار السلّار ١٩٨
– بن الخطاب ٥٨
عمرو بن كلاب ٣٤, ٣٥
ابن ابي العود الصغير يهودي ٣٩, ٤٠
عيسى بن مريم المسيح ٦٧, ٢٠٠
– بن نسطروس الوزير ٢٢, ٣٤, ٤٦
العين زربي هو حمزة
☆ غ ☆ الغز ٨٨, ٩٨, ١٠٠, ٢٢٥, ٢٢٧
غزغلي مملوك ١٧٥, ١٧٦
الغنوي الامير المتضي ابن مسافر ٢١٥
☆ ف ☆ فاتك عزيز الدولة الوحيدي ٧١, ٧٣, ٧٥
الفارقي احمد بن يوسف بن علي بن الازرق المؤرّخ ٩٩, ١٠٨, ١٢٢, ١٢٨, ١٣١, ١٣٦, ١٢٧, ١٥٧, ١٦٤, ١٧٥, ٢٠٥, ٢٠٨, ٢٤٢, ٢٥٠, ٢٥٩, ٢٦٢, ٢٦٧, ٢٧٤, ٢٨١–٢٨٥, ٢٩٢, ٢١٦, ٢٢٢, ٢٢٨, ٢٢٠, ٢٦٠–٢٦٥
فايق الصقلبي ٢٨, ٢٩
فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه ٢٨٢
فخر الملك ابو غالب (محمد بن خلف) الوزير ٦٤
– الملك هو رضوان
فرامرز بن كاكويه ١٠٤
فرج العدلي ٢٨
فردوس ملك الروم ١١٥
فرغويه ٢٧
بنو فزارة ٩١
الفسيري هو البسيري

Marfat.com

ابن فسانجس ابو الفرج محمد بن عباس الوزير ا
الفضل (بن عبد الله) ٦٤–٦٦
– بن ابي الفضل ٢٢, ٢٤, ٢٧
– بن نفيس الملك ٢٢٦
فضلون بن منوجهر صاحب آنة ٢١٦, ٢٦١
فطاس الباطني هو ابن عُطاش
ابن فلاح جعفر الكتامي القائد ا
– ابنه سليمان ابو غنيم ٢٢, ٢٧, ٤٦–٥٠
, ٥٢
– – علي ٤٧, ٤٨, ٥٧, ٨٥, ٦٦
فلوا ١٤٩, ١٥٠
الفندلاوي يوسف بن دوباس بن عيسى ابو الحجاج
المالكي ٢٩٨
فهد بن ابرهيم ابو العلاء النصراني الوزير ٥٠
, ٥٤, ٥٦, ٥٩, ٦٠
– اخوه ابو غالب ٥٩, ٦٠
فيتان ٩٧
فيروز شحنة دمشق ٢٠٨, ٢٥٤
– ابنه سيف الدولة يوسف ٢٢٤, ٢٢٤
, ٢٤٤, ٢٤٥, ٢٥٢, ٢٥٢
ق ✲ قارون ٧٧
ابو القاسم (الحسن بن علي الخوارزمي) وزير
بجلب ١٢٠
– ابنه محمد زين الدولة ١٢٢
قائد القوّاد هو ابن جوهر
القائم بامر الله الخليفة العباسي ٨٦–٩٠, ٩٨, ١٠٠
١٠٧, ٢٨٢
القيط ٢٢, ٥٠
قتلغ هو ختاغ
قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن ارتق فخر
الدين ٢٦٧, ٢٢٨, ٢٢٢
قراجا (قراجه) الساقي عز الدين ١٧٦
قراجه الوالي ١٢٢, ١٨٢
قراخان صاحب حمص ٢٦٦
قرتي بن طغان ارسلان الاحدب صاحب ارزن
٢٠٨, ٢٦٧, ٢٦١
القرشي هو محمد بن يحيى
قرلو الترك ٩٨
القرمطي هو الجنابي
بنو قرّة ٥٥, ٨٥
قرواش بن المقلد ابو المنيع معتمد الدولة العقيلي
٦٤
قريش (بن بدران بن المقلد ابو المعالي) العقيلي
٨٩
قزل ارسلان صاحب اسعرد ١٢٧, ١٥٨
قسّ (بن ساعدة الايادي) ٢٤٨
قسّام الحارثي ٢١–٢٨
قسطنطين ملك الروم ١٤
قسيم الدولة هو آق سنقر
القشيري احمد بن محمد ٤١, ٤٢
قطب الدين هو مودود بن زنكي
القطب النيسابوري (ابو المعالي مسعود بن محمد
قطب الدين) ٢٢٤
القطيان ٩٧
القفطي علي بن يوسف المؤرّخ ١٩, ٢٧
ابن القلانسي ابو يعلي حمزة بن اسد التميمي
المؤرّخ ١٠٤, ٢٢٢, ٢٨٢
قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش ١٢٨, ١٤٢
, ١٥٠, ١٥٦–١٥٨, ١٦٤
– بن مسعود بن سليمان بن قتلمش ٢٢٢
, ٢٤٢
قنغلي والي ميافارقين ٢٠٨
القوامسي سعد الدولة (الطوائي) ١٤٠
قيس الامير ٢٠١
بنو قيس ٢٥, ٩٦, ١١٤
ابن القيسراني ابو عبد الله محمد (بن نصر بن
صغير الشاعر ٢٢٢
ك ✲ كافر ترك يعني الخطا ٢٧٥, ٢٧٧

Marfat.com

كافور الاخشيدي ٣٢, ٥٥
بنو كامل ١٢٤
كُتامة ٤٤—٥٠, ١٧٣, ٢٠٣
الكُتيلة والي صور ١٢٣
ابن القدينة الوزير ٩٥
ابو الكرام الوزير ٢٧٧, ٢٧٨
كُربسيل (كواسيل) الارمني ١٨٣
كربوقا (ابو سعيد قوام الدولة) صاحب الموصل ١٢٦, ١٢٧, ١٣٤, ١٤٠
الكُرج ١٦٨, ٢٠٤—٢٠٦, ٢٢٨, ٢٦١—٢٦٥
ابن الكرخي ابو طاهر احمد شرف القضاة ٢٦٠
كركور ملك الابخاز ٢٦١
كريم الملك الوزير هو المزدقاني
كسرى القرمطي ١٥
الكُسَعي ١٤٦
ابن كشمود الاخشيدي ٧
الكفرتوثي ابو سعيد (جرام بن الخضر) ضياء الدين الوزير ٢٤٣, ٢٧٥
بنو كلاب ٢٧, ٢٨, ٣٠, ٣٤, ٣٥, ٤١, ٥١, ٧٤, ٧٩, ٨٦, ٩٦, ٩٧, ١٠٠, ١١٢, ١١٤, ١٨٥
ابن كلس ابو الفرج يعقوب بن يوسف الوزير ١٥, ٢١, ٢٢, ٢٨—٣٢, ٤٠
كلام (كليان وقلران) ابن خالة جوسلين ٢٠٨, ٢٢٦
ابن كليد ٧٥
كمشتكين امين الدولة ٢١٥, ٢٥٢, ٢٥٥, ٢٦١, ٢٧٠, ٢٨٩
— البعلبكي ١٩٠
— فخر الدولة التاجي ١٤٥, ١٤٨, ١٦٦, ٢٢١,
كند اصطول ١٩٧
كند ايجور ٢٢٢, ٢٧٧
الكندري عميد الملك (ابو نصر منصور بن محمد) الوزير ٨٨
كندقرى (كندهرى) الافرنجي ١٣٨, ١٩٩, ٢٠٢,
كوهراين ١٠٢
ابن اخي الكويس ٢٠
كيالياني ٢٥٨
* ل * اللّان ١٥٨, ٢٠٥
لاوين الارمني ٢٥٤
لجه التركي ٢٧٤
ابن ابي لقمة ٢٩٦
لواتة ٢٠٩
لؤلؤ بابا خادم لرضوان ١٨٩, ١٩١, ١٩٨
— الكبير ابو محمد الجرّاحي ٣٤, ٣٦—٤٣
— منتخب الدولة القائد ٦٦, ٦٩
ابن ليون الارمني ٢٥٨
* م * ابن المارود ٨, ٩
الماشكي ابو محمد الحسين بن حسن سديد الدولة ٨٥
— ابنه ابو عبد الله محمد ٩٠
مالك بن سالم بن مالك العقيلي ٢٠٢
— ابنه علي ٢٨٥, ٢١٦
— ابنه مالك بن علي ٢١٦
المأمون بالله الخليفة العباسي ٢٥٨
مبارك بن رضوان ١٨٩
— بن شبل بن معروف العقيلي ١١٢
— ابنه اسامة ٢٣٦
مجاهد الدين هو بزان
مجد الدين هو ابن الداية
المجن الحبلي ١٢٥
مجير الدين ابق ابو سعيد بن محمد بن بوري ٢٧١, ٢٨٤, ٢٠٦—٢٢٨
محفوظ ابو البركات المكين بن ابي محمد الحسن القاضي ٢١٢
ابن المحلبان (ابو الغنائم) ٩٩, ١٠٤

Marfat.com

محمد بن اسد بن علي بن محمد اليحيمي ٢٧٨
— جفري الحاجب ٢٥٥
— (بن السباق الشيباني) الوالي ١٥٦, ١٥٧
— بن ابي طالب الجرّار ٧٠
— بن عبد الجبار الصقلبي ٢٩٣
— بن عبد الصمد ابو منصور الطرسوسي ٢٢٦
— بن ابي القاسم بن عمر البلخي ٢٤٨
— بن الوزير ابي القاسم (الحسن بن علي الخوارزمي) زين الدولة ١٢٢
— بن مالك بن وهب ابو عبد الله الاندلسي ٢٩٢
— بن محمد بن عبيد الله الحسيني النقيب ٢٠١
— بن مسلم العقيلي ١٢٢
— بن ابي مكارم الحلبي ٢٧٤
— (تبر) بن ملكشاه السلجوقي ١٢٧, ١٢٩, ١٤٠, ١٤٧, ١٥١, ١٥٦, ١٥٨, ١٥٩, ١٦٢, ١٦٥, ١٦٨, ١٦٩, ١٧٢–١٧٦, ١٨١–١٨٩, ١٩٢, ١٩٨
— بن مؤيد الملك المؤرّخ ٧٥
— بن نزار ١٢٨, ١٢٩
— بن نصر بن منصور ابو سعد الهروي القاضي ٢١٠
— بن هبة الله بن خلف ابو الفتح التميمي ٢٦٦
— بن يحيى (بن علي بن عبد العزيز) ابو المعالي وابنه ابو الحسن علي القرشي ٢٧٧
— شاه بن محمود بن محمد السلجوقي ٢٤٢
محمود بن ايكلدي ١٢٨, ٢٧٥
— بن سعد بن عبد الواحد الوزير ٢٤٨
— بن قراجه ٢١٠
— بن محمد السلجوقي ١٥١, ١٩٩, ٢٠٢, ٢٠٦, ٢١٠, ٢١٥, ٢١٧, ٢٣٠, ٢٣٢, ٢٥٠, ٢٥١,
— — ابو طاهر النحوي ٥٨, ٦١
محمود محمّد بن ممدود ابو شجاع غياث الدين السلطان ٢٤٧
— المسترشدي الحاجب ٢٩٣, ٢٥٦
— بن ملك شاه السلجوقي ١٢٧
— المولّد الحاجب ٢٥٢
ابن محمود هو ابن مسعود
ابو محمود بن ابرهيم بن جعفر الكتامي ٢, ١٠, ١٥, ٢١, ٢٤–٢٨
مختار الصقلبي ١٩
المرابطون ٢٩٣, ٢٩٢
ابن مرداس صالح اسد الدولة ابن الروقلية ٥٧, ١١٤
— ابنه ثمال معز الدولة ٧٥, ٨٦, ٩٠, ٩١
— — عطية ابو ذوّاب (اسد الدولة) ٩٠–٩٢, ١٠٦
— — نصر ابو كامل شبل الدولة ٧٤, ٧٥
— محمود بن نصر ٩٠–٩٢, ٩٨–١٠١, ١٠٦, ١٠٨
— المقلد بن كامل ٧٤, ٧٥
— نصر بن محمود ٩٨, ١٠٨, ١٠٩
— سابق بن محمود ابو الفضائل ١٠٩
— وثاب وشبيب ابني محمود ١١٢, ١١٤, ١١٦, ١٢٤, ١٢٧
مرشد بن علي بن عبد اللطيف ابو المجد المعرّي ٢٥٤
بنو مروان ١٠٠
ابن مروان نصر الدولة احمد الكردي ٦٤
— ابنه نظام الدين منصور ١٢٢
— احمد بن نظام الدين ١٧٦
— ابنه شمس الدولة عيسى ٢٦٢
مرّة (مري) بن ربيعة امير العرب ٢٢٥, ٢٢١, ٢٢٦,
مريم ١٠١

Marfat.com

المزدقاني طاهر بن سعد ابو علي الوزير ٢١٥
,٢٢٠–٢٢٢
– ابنه سعد الدولة ابو الحسن علي ٢٢٦
– ابن عمه كريم الملك ابو الفضل احمد بن
عبد الرزّاق الوزير ٢٢٩, ٢٣١
المسترشد بالله الخليفة العباسي ٢٠٠, ٢٠٦, ٢٠٨
,٢١٥, ٢١٨, ٢١٩, ٢٢٠, ٢٢١, ٢٢٨
,٢٤٨–٢٥٢, ٢٧٥
المستضيء بالله الخليفة العباسي ٢٢٨
المستظهر بالله الخليفة العباسي ١٢٦, ١٢٩, ١٧٢
,٢٠٠, ٢٥١
– – – – ابنه ابو عبد الله هو المقتفي
بالله
المستعلي بالله العبيدي ١٢٨, ١٢٩, ١٣٢, ١٤١
المستنجد بالله الخليفة العباسي ٢٢٨
المستنصر بالله العبيدي ٧٦, ٨٢–٩١, ٩٥, ١٠٩
,١١٠, ١٢٤, ١٢٨, ١٦٧
المستولي ٢٠
مسعود بن آق سنقر البرسقي ٢١٤, ٢١٦, ٢١٧
– الحاكمي ٥٦
– سيف الدولة (ابن سلار) الوالي ١٨٢
,١٨٨, ١٨٩, ٢٠٧, ٢١١
– السيفي ٥٩, ٦٢, ٦٥
– بن محمد السلجوقي ٢٠٢, ٢٢٠, ٢٢٧
,٢٤٨–٢٥١, ٢٥٦–٢٦٤, ٢٨٢, ٢٨٤
,٢٩٠, ٢٩٥, ٣٠٢, ٣١٩
– الملك هو ابن قلج ارسلان بن قتلمش
١١٢–١١٨
ابن مسعود هو قلج ارسلان ٢٤٣
مسلم بن قريش بن بدران ابن المقلد شرف
الدولة العقيلي ١١٢–١١٨
– ابنيه سعد الدولة علي ومحمد واخوه
ابراهيم ١٢٢, ١٢٣
ابن المسلم ابو الحسن ٥٤
مسمار بن سنان الكلبي ٩٦, ٩٧, ١١٠
– ابنه حسان ١٦٧
– حفيده مكتوم ٢٢٠, ٢٢٣
المسيّب هو ابن الصوفي حيدرة
ابن مصال ابو الفتح (سالم بن محمد اللُقَي)
الوزير ٢٠٨, ٢١١
المصامدة ٩٩, ١٠٨, ١١١, ٢٩١, ٢٩٣, ٢٩٤
مصبح بن خلف بن ملاعب ١٥٠
المصيصي الكاتب ٢٤
المطوعي ٦٤
المطيع لله الخليفة العباسي ١, ١١, ٢٨٣
مظفر القائد ٦٦
ابو المعالي هو ابن حمدان سعد الدولة
معين الدين أُنر مملوك طغتكين ٢٤٨, ٢٥٢
,٢٥٢, ٢٥٨, ٢٦٤, ٢٦٦, ٢٦٩, ٢٧٢
,٢٧٢, ٢٧٨, ٢٨٧, ٢٩٤, ٢٩٨
معين الملك ابو نصر احمد بن الفضل الوزير
٢١٦
ابن المغربي ابو الحسن علي بن الحسين ٣٥, ٣٨
,٣٩, ٤١, ٦١, ٦٣
– ابنه ابو القاسم الحسين الوزير ٦١–٦٤
– ابن داود ٧٠
– محمد ٦٣
ابن مغزو ٢٥٥
المفرّج بن الحسن هو ابن الصوفي
– بن دغفل هو ابن الجرّاح
المفضّل بن سعد الشاعر ٧٣
مفلح اللحياني ابو صالح القائد ٥٨, ٦٣
المقتدي بالله الخليفة العباسي ٨٦, ١٠٧, ١٠٩
,١٢٠, ١٢٥, ٢٥١
المقتفي لامر الله الخليفة العباسي ١٧٦, ٢٥٦, ٢٥٧
,٢٢٠, ٢٦١, ٢٧٣, ٣٠٢, ٣٠٣, ٣٢٨
,٣٣٢, ٣٤٣
المقدسي محمد بن طاهر (ابن القيسراني المؤرّخ) ١٠٥

Marfat.com

المقريزي تقي الدين المؤرخ ٤٥, ٥٥
المقلد بن كامل بن مرداس ٧٤, ٧٥
مكتوم بن حسان بن مسمار ٢٣٠, ٢٣٢
مكين الدولة (الحسن بن علي بن ملهم) الامير ٨٦, ٩١
ابن ملاعب هو خلف
ابن المحمي ابو المعالي المحسن ١٩٩
ابن الملحي محمد بن الحسن ابو عبدالله سعد الدولة ٢١٩
الملك الصالح هو ابن رزيك
ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي ١٠٢, ١٠٦, ١١٢, ١١٥, ١١٧-١٢٣, ١٥١, ١٥٧
— بن رضوان ١٨٩
— بن محمود بن محمد السلجوقي ٢٠٢
ملكويا السيرافي ٤١, ٤٣
المنبجي هو حسان
منتخب الدولة هو الدزبري
ابو المنجا ٣, ٤, ٢١
منجوتكين الوالي ٤٠
منشا بن ابرهيم بن الفرار اليهودي ٢٥, ٢٦, ٣٨, ٤٠, ٣٣-
منصور بن رغيب الامير ٧٥
— بن كامل ١١٤
— بن كراديس ٣٤
ابن منقذ ابو الحسن علي بن المقلد الكناني ١٠٦, ١١٢, ١١٦,
ابنه (ابو مرهف نصر بن علي عز الدولة) ١٢٠
— ابنه ابو العساكر سلطان بن علي عز الدين ١٦٥, ١٧٤, ١٧٧,
— حفيده تاج الدولة بن ابي العساكر ٢٤٤
— اسامة بن ابي سلامة مرشد بن علي ٢٧٨
— ابو عبدالله محمد بن مرشد ١١٤
منكوبرس الامير ٢١١, ٢١٣
منير القائد ٢٠, ٤٠, ٦٦
منير الدولة الجيوشي ١٢٤
ابن منير ابوالحسين احمد الشاعر ٢٢٢
منيع ٢٢
— بن سيف الدولة شبيب بن وثاب النميري ٩٠
— ابنه حسن ١١٦
— بن كامل ٩٢
مهارش (بن ابي المجلي المبارك بن المقلد العقيلي ٨٩
الموحدون ٢٩١-٢٩٢
مودود (بن التونتكين) شرف الدين صاحب الموصل ١٥٩, ١٦٧, ١٦٩, ١٧٠, ١٧٤, ١٧٧, ١٧٨, ١٨١, ١٨٤, ١٨٦, ١٨٧,
— قطب الدين بن زنكي ٢٠٧, ٢٥٥, ٢٥٦, ٢٥٨,
موسى صاحب حصن كيفا ١٢٧
— العلوي ٤٥, ٤٧
— النبي واخوه هارون ٨١
الموصلي ابو عبدالله الوزير ٢٢
ابن الموصول ابو الفضل مشيد الدين ١٢٥, ١٩٠, ٢٠٧,
مونس بن بدر الصقلبي ٨٩
مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ٢٨٢
مؤيد الدين الرئيس هو ابن الصوفي المسيب
— السعيد هو ابن الانباري
مؤيد الملك ابو بكر عبدالله بن نظام الملك ١٢٩
ميخاييل اخو ارمانوس الرومي ١٠١, ١٠٢, ١٠٥
ميسور الصقلبي ٥١
☆ ن ☆ النابلسي ابو بكر (محمد بن احمد بن سهل) ١, ٤
ناصح الطباخ غلام ابن كلس ٢١
الناهري العلوي ٥٢
الناوكية تركمان ٩٨, ١٠٠-١٠٢
نبا بن محمد بن محفوظ ابو البيان ابن الحوراني ٢٢٢,

Marfat.com

ابن نباتة ابو بكر صدقة وتاج الدين و ضياء الدين ٢٢٨
— علم الدين (ابو الحسن علي بن يحيى) وابنه ابو الفتح ٢٠٥
نجم الدين البي بن تمرتاش ٢٢٨
— بن ارتق هو ايلغازي
ابن النحوي هو محمود بن محمد
نزار ابو منصور بن المستنصر بالله ١٢٨, ١٢٩, ٢٠٢
— بن محمد بن نزار ١٢٩
نزّال الوالي ٢٠, ٣١, ٣٤, ٤٠
— ابنه ابو عبدالله ٦٦, ٦٩
نصر بن ابراهيم بن نصر المقدسي ٢٩٦
— بن محمود هو ابن مرداس
نصرالله بن محمد بن عبد القوي ابو الفتح المصيصي ٢٩٥
نصر الدولة (افتكين) والي الاسكندرية ١٢٨
— الجيوشي ١١٢
نصرة الدين هو امير ميران
نصرون القائد ٥٤
نصير الدين جقر بن يعقوب ٢١٧, ٢٦٢, ٢٨٠, ٢٨١
نظام الملك ابو علي الحسن بن اسحق الطوسي الوزير ١٠٠-١٠٢, ١١٥, ١٢١
ابن النعمان ابو عبدالله محمد (بن علي) القاضي ٢٢,
— ابو محمد القاسم ٩١
نفاق ٥
بنوغير ٩٢, ١١٤, ١١٦, ١٢٩
نميرة ١٨
النميري هو منيع بن سيف الدولة
— ابن عطير ١١٦
النوبة ٦٤
نوح صاحب قلعة حلب ١٢٧
نور الدين محمود بن زنكي ٢٨٥, ٢٨٦, ٢٨٨, ٣٠٠-٣٥٩,
نور الهدى هو الزينبي
نوشتكين ١٤٩, ١٥٠
ابن نوفل ابو عبدالله المهذب الوزير ٣٥٢
نيروز الارمني الزرّاد ١٢٦
النيسابوري ابو علي (الحسين بن علي بن زيد) ١٥٢,
ابن نيسان ابو علي (الحسن بن احمد) مؤيد الدين وابناه ابو القاسم علي وابو نصر ٢٧٥, ٢٧٦, ٢٢٨,
☆ ٥ ☆ الهادي بن المهدي بن محمد ابو الحسن الموسوي الحسيني ٢٢٢
هاروت ١١٢
هارون بن المقتدي بالله ٢٥١
هبة الله بن انوشتكين الدزبري ٧٩
— بن محمد بن بديع ابو نجم الاصفهاني الوزير ١٦١, ١٦٢
— — (بن علي بن محمد) بن المطلب ابو المعالي مجد الدين الوزير ١٥٢
ابن هبيرة يحيى بن محمد عون الدين الوزير ٣٠٢
الهجري هو الجنابي
هشام بن عبد الملك بن مروان ٦٤
ابن ابي هشام ٤٠
هفتكين هو الافتكين
هلدري القرقطفي ٢٣١
ابن همام ابو سالم الحلبي ٢٢٦
هنفري الافرنجي ٢٤١
بنو هوبر ١٨٢
ابن هيثم الارمني ٢٥٨
☆ و ☆ وادع بن سليمان ابو مسلم القاضي ١٢٢
وثاب بن مسافر ابو الفوارس الغنوي ٢٢٩
وحيد الهلالي ٥٠, ٥١, ٦٠, ٦١,

ورد بن زياد ٥
ابن وفري ٥٨
ابن وحشي هو رضوان
ابو الوليد ٢٤
الونشريشي علي (الونشريسي عبدالله) ٢٩٤
بنت وهب بن حسان ٧٩
* ي * يارقتاش (ياروقتاش) شمس الخواص الخادم ١٩٩
ابن ياروخ يوسف القائد ٦٩
اليازوري الحسن (بن علي) بن عبد الرحمان ابو محمد الوزير ٨٤
ياغي سيان مؤيد الدولة ١٢٢ , ١٢٢—١٢٥ , ١٨٩
الياغيسياني هو صلاح الدين
ياقوب ارسلان شمس الدين بن قرتي ٢٦٧
— الخادم ٥٠
— بن عبدالله الحموي المؤرخ ٢٧ , ٢٢٥
يانس الصقلبي ٥٥
يانس الوزير ٢٢٩
يحيى بن الحسين بن سلامة النصراني ٦١
— بن زيد ابو الحسن الزيدي الحسيني ٩٢
ابن اليرعوني (ابن الرعوي) الحلبي ١١٩
برنقش الخادم ٢٨٤ , ٢٨٨
يزدوخانس ٩٨
يعقوب بن قزل ارسلان (السبع الاحمر) ٢٧٤
يلبا هو ايلبا
يلتكين هو بلتكين
يمن نصير الدولة ١٤١
ينال صاحب امد ١٢١ , ١٢٨
— الطويل ٤٩
ينال يوسف الحاجب ٢٧٤
يوانيس الطبيب ٢٩
يوسف الحاجب ٢١١
يوسف الخادم ٢٦٨
— صاحب الرحبة ١٢٦
— بن يعقوب النبي ٨٠
اليونياس هو التونتاس

فهرس

اسماء المدن والقرى

* ا *
اذربيجان ١٤٧ , ٢٢٨ , ٢٦٢ , ٢٦٥
آكل حصن ٢٧٦
آلوت ١٢٨ , ١٢٩ , ١٥١ , ١٦٢
آمد ١١٧ , ١٢٢ , ١٢١ , ١٢٧ , ١٢٨ , ١٥٧ , ١٥٨ , ٢٤٢ , ٢٧٤ , ٢٧٦
آنة ٢١٦ , ٢٢٨ , ٢٦١—٢٦٤
الاثارب ١١٦ , ١٧٠ , ١٧٣ , ٢٠٩ , ٢٦٥ , ٢٧٠
ابن احمر حصن (عثلمة) ٢٥٨
الاحساء ٢ , ٢٠
اخل كاعاك ٢٦٥
اخلاط ٩٩—١٠٢ , ١٦٤ , ١٧٦ , ٢٢٧ , ٢٦٢ , ٢٦٥
اذرعات ٢
اذنة ٢٥٨
اران ٢٠٥ , ٢١٦

Marfat.com

ارتاح ١٢٤, ١٤٨
ارجيش ١٠٠, ١٠١
الاردن نهر ٧٤, ١٦٨
ارزن ٩٩, ١٢٧, ١٧٦, ٢٠٥, ٢٦٧
ارزن الروم ٣٠٥
ارس نهر ٢٦١
ارسوف ١٢٩
ازمتاز ١٢٥
ارمينية ١٤٧, ١٦٩
اساكرد ٢٦١
اسمرد ١٢٧, ١٥٨, ٢٧٤, ٢٢٨
اسفونا ٩٨
الاسكندرية ١١٠, ١٢٨, ٢٥٨
— بمصر ٢٧٦, ٣٠٢
اشب قلعة ٢٧٧
اصفهان ٩٩, ١٢١, ٢٠٧, ٢٦١, ٢٦٨, ٢٩٤
اعزاز حصن ٤١, ٧٥, ١١٦, ٢١٠
الاعوج ٢٠٩, ٢١٤, ٢٢٠
اغمات ٢٩٢
افامية ٤٢, ٤٣, ٥٠—٥٢, ١٢٠, ١٢١, ١٢٨, ١٤٩, ١٥٠, ١٧٧, ١٩٠, ٢١٠, ٢٠٥, ٢٢٥, ٢٢٧, ٢٤٣
افريقية ٢٩٤
افلس حصن ٢٢٠
الأقحوانة ٧٣, ٧٤, ٩٦, ١٨٤, ١٨٥
اقشهر ٢٦٥
اقصرا ١٥٨, ٢٢٢
الاكراد حصن ١٦٥, ١٦٧, ١٨١
الاكمة ١٦٢
الاكواخ بدمشق ٤
انب حصن ٢٠٥
الانبار ٨٨, ٨٩
اندكان ٢٠٢
الاندلس ١١٨, ٢٩٤
انطاكية تكثر ذكرها
انطرطوس ١١٥, ١٤١, ١٨١, ٢١٨
الاهواز ٨٧, ٨٨
رأس اوثان ٢٩١
اوين ٢٦٥
ايرزون ٢٧٤, ٢٧٧

* ب *

باب توما بدمشق ٢٢٧
— الجابية بدمشق ٥, ٩, ٢٢, ٢٦٩
— جسر الخندق بدمشق ٢٢٩
— الحديد بدمشق ٥—٧, ٣٥, ٤٧, ٢٢٢, ٢٢٩
— الحوش بميافارقين ١٧٦
— خراسان ببغداد ٨٩
— الذهب بقصر الزمرّد ٦٥
— الرهومة — — ٥٩
— الساعات بدمشق ٢٢٢
— بدمشق شرقي ٢٦, ٢٠٧, ٢٢٧
— الشعب ١٧٦
— الصغير بدمشق ٥, ٨, ٩, ١٢٢, ١٩٢, ٢٧٨, ٢٩٨,
— الطاق ببغداد ٨٨, ٨٩
— الفراديس بدمشق ١٨٨, ٢٨٢, ٢٥٩
— كيسان — ١٠, ٢٢٧
— المحاربة — ٩
— الحوة بميافارقين ٢٠٨
البادية بدمشق ٥
البارة حصن ١٢٤, ٢٠٩, ٢١٠
جبل بازوي ٢٢٨
الباشورة ١٩١
بالس ٣٤, ١١٤
بالو ٢٦٧
باناس نهر ٢٥٦
بانياس ١٥, ٩٤, ٩٦, ١٠٨, ١٠٩, ١٦٣, ١٧٨, ١٨٢, ١٨٤, ٢١١, ٢١٥, ٢٢١—٢٢٥

Marfat.com

Marfat.com

, ٢١٢, ٢١٥
تل يسمى ٢٧٤
— الحسن ١١٢
— حمدون ٢٥٨
— راهط ٢٥٤
— مراد ١٧٤
— ابن معشر ١٧٤, ١٧٧
— المشوقة ١٥٩
تلفيتا ٢٤, ٢٦, ٢٧
تنيس ١٧١, ٢٢٨, ٢٣١
تيماء ٢٤٣
التينة ٢٤

* ث *

الثغور ٩٥, ٢٦٤
الثمانين حصن ١٨٤

* ج *

جامع الخليفة ببغداد ٨٩, ١٧٣
— الرصافة — ٨٨
— السلطان — ١٧٣
— العتيق بمصر ٢٢
— المعمور بدمشق — ٢٠١
— المنصور ببغداد ٨٨
الجبال ١٥٨
الجبانية ١٧٤
جبل بهرا ١٤٨
— جستون ٢٥٠
— جور ٢٧٤
— جوشن ٧٥
— السماق ١٨٩
— سنير ٢٤, ٢٦
— سير ٦٩
— الصور ١٧٦
— عاملة ١٧٨, ١٨٤, ٢٣٩
— بني عُلَيم ١٨٩
جبل عوف ١٥١, ١٦٤, ١٧٤
— مضيف ٥٢
جبلى طيء ٥١
جبلة الشام ١٢٩, ٢٤٤
جبل ١٤, ١٢٠, ١٤٣, ١٤٤, ١٦٤, ٢٤٤
الجزائر ٦٨
جزيرة ابن عمر ١٢٦, ١٢٤, ١٤٧, ١٥٦, ١٦٧
, ٢٠٦, ٢٦٣, ٢٨٣
— بني نُمير ١٦٩
جسر باناس بدمشق ٦
— الحديد ٤١
— الخشب ٢٢٥, ٢٥٥, ٢٠٩, ٢١٥, ٢٥٣
— القبلي بدمشق ٢٨٣
— المصلى — ٨
جعبر قلعة ١٦٩, ٢٠٢, ٢٠٧, ٢٨٥, ٢٨٨
, ٢١٢, ٢١٦, ٢٥٧
الجلاب نهر ١١٦
جنزى (كنجة) ١٦٨, ٢٠٥, ٢١٦, ٢٦١
, ٢٦٢, ٢٦٤
الجور ١٨٩
جوسية ٣٩, ٤٠
جيحون نهر ١٠٦, ١٦٨
الجيزة ٦٥

* ح *

حارم حصن ٢٢٣, ٢٥٠, ٢٥٢
حارة برجوان بالقاهرة ٤٥
حازين ١٠٠
حان قلمة ١٥١
الحانوتة ١٢٦
حاني ١٢٧, ٢٦٧, ٢٧٤
الحائر بدمشق ٢٦
الحبيس حصن ١٧٨, ١٨٤
الحجاز ١٢٠
حجر الذهب بدمشق ٦, ٧, ٤٧

Marfat.com

حجيرا ٢١٢
الحديثة ٨٩, ١٠٧
حران ١٠٠, ١١٦, ١١٧, ١٢٧, ١٥٠, ١٦٩, ١٧٠, ١٧٤, ٢٠٩, ٢٨٦, ٢٥٠, ٢٥٨
الحرجلة ٥
حرستا التين ٢٧٢
الحرم الطاهرة ببغداد ٨٩, ٢٦٠
حزة ١٧٦, ٢٠٨
حلب تكثر ذكرها
حلقبلتين (حلقبلتا) ٢١٢
حلة بني مزيد ١٥٩, ١٦٠, ٢٢٠
حمام ضحاك بدمشق ٧
— العصمي — ٦
— قاسم — ٦
حماة تكثر ذكرها
حمص — —
بلد الحناضلة ١٧٦
الحو نهر ١٧٦
حوّارين حصن ٢٠
الحوانيت بدمشق ٧
حوران ٥, ٢١, ٢٨, ١٢٢, ١٤٥, ١٥١, ١٥٩, ٢١٢, ٢٢٥, ٢٤٢, ٢٥٥–٢٥٧, ٢٧٢, ٢٧٣, ٢٠٤–٢١٧, ٢٢٢, ٢٥٠
حيزان ٢٧٤, ٢٧٧
حيفا ١٢٩

* خ *

الخابور نهر ١٥٦, ١٥٧
خالد حصن ٢١١
الخامس الصغير بدمشق ١٠
الخامسون ٢١٢
الخانوقة ١١٦
الختل ٧١
خراسان ٩٨, ١٠٢, ١١٨, ١٢٤, ١٢٩, ١٤٠, ١٤٧, ١٦٨, ٢٠٢, ٢١٠, ٢١٦, ٢٨٢, ٢١٠, ٢١١, ٢٤٥
الخراص حصن ١١٢
الخربة — ٢٥٨
خرتبرت ٢٠٨, ٢٦٧
خزانة البنود بالقاهرة ٨٤, ٩٢
الخزر ٢٠٢
الخواني حصن ١٦١
خوّى ٢٢٨

* د *

دار اسحق ببغداد ٨٧
— البطيخ بدمشق ٢٥٢
— بنى حذيفة — ٦
— الحماي — ٦
— خُبُوس — ٧١
— الخلافة ببغداد ٨٧, ٨٨, ٩٠, ١٧٦, ٢٠٦,
— الروذباري بدمشق ١٠
— السلطان ببغداد ٢٢٧, ٢٥٠
— شمس الملوك بدمشق ١٨١
— ابن طغج — ٦, ٧
— العجمية بميافارقين ١٧٦
— العقيقي بدمشق ٩٤
— عمرو بن مالك — ٦, ٧
— ابن مقاتل — ٧
دارا ١٢٢
داريّا ٣٠, ٦٢, ٢٧٠–٢٧٢, ٢١٤, ٢١٥, ٢٥١
دالان ١٥٤
دانيث البقل ٢٠١
دآي مرك ٢٥٠
الدباغة بدمشق ٢٢٧
دجلة نهر ٨٨, ١٠٦, ١٧٦
درب السُمّاقي بدمشق ٦
— سوق الغنم — ٨
— الفحّامين — ٦

درب القصارين ٦
— سم ١٠٢
دربند ١٠١, ٢٠٥
درز ٢١٦
درن جبل ٢٩١, ٢٩٢, ٢٩٤
دروب الروم ٢٠٤, ٢٠٥, ٢٥٨, ٢٦٤
دسيلو ١٢٩
دقوقا ٢٥٩
الدكة ١, ٧, ٩, ٦٦
الدلهمية ٢١٥
دمشق تكثر ذكرها
دمياط ١٧٢, ٢١٦
الدواسة بدمشق ٢
دوسر قلعة (جبر) ١٠٠, ٢٨٤, ٢٨٥
دوقية ١٠٥
دومانيس ٢٦٥
دومة دمشق ٢١٢, ٢٢٧
دويرا ١١٦
دوين ١٢٧, ١٢٨, ٢٠٥, ٢٦١, ٢٦٢, ٢٦٥
ديار بكر ٦٤, ١١٢, ١١٧, ١١٩, ١٢٢—١٢٤, ١٢٧—١٢٩, ١٤٧, ١٥٨, ١٧٤, ٢٠٨, ٢٥٦, ٢٧٤, ٢٧٧, ٣٢٨, ٣٦٥
ديار ربيعة ٢١, ٢١٧, ٢٨٦, ٣٢٨
دير الزبيب ٣٥

* ذ *

ذات الجوز ١٧٢, ٣٢٨
ذو القرنين ٢٧٤

* ر *

الراس حصن ٣٢٥
راس الحير ١٧٦
— السلسلة ١٧٦
— العين ١٤٢
— الماء ١٧٤, ٢١٤, ٣٢٨
الرافقة حصن ٢٨, ١٠٠
راوية ٢١٢
الرحبة ٦٦, ٨٧, ٩٠, ١٠٦, ١١٧, ١٢٢—١٢٧, ١٤٢, ١٤٥, ١٤٩, ١٥٦, ١٦٠, ١٩٩, ٢١٢, ٢١٧, ٢٣١, ٢٤٤
— السماكين بدمشق ٧
الرستن ١٤٢
الرصيف بدمشق ٦
رفنية ٢٧, ٤٤, ١١٦, ١٤٨, ١٦٥, ١٦٩, ١٧٥, ١٨٤, ١٩٢, ٢١٦, ٢٤٠
الرقة ١٦, ٣٠, ٣٤—٣٨, ١٦٩, ٢٦٦, ٢٨٥, ٣١٦
الرمل ١١٠
الرملة ١, ٤, ١٥—٢٥, ٣٢, ٤٠, ٤٦—٥١, ٥٨, ٦٦—, ٧٢, ١٧٨
الرها ١٠٠, ١٠٤, ١١٩, ١٢٤, ١٢٧, ١٢٨, ١٤٢, ١٥٠, ١٦٤, ١٦٧—١٧٠, ١٧٦, ١٨١, ٢٠٨, ٢٢٤, ٢٤١, ٢٧٩—٢٨٢, ٢٨٨
الرهو ١٠٢
الروابي بميافارقين ١٧٦
الروج ١٢٤
بلد الروم ٦٨
الري ٨٦—٨٩, ١٠٢, ١٠٤, ١٢٨—١٣١, ١٥٢
الريدانية بالقاهرة ٥٥
الريف ٧١, ١٠٩, ١١١

* ز * الزبداني ١٦٥, ٢١٤
زرنا ١٥١
زردنا ٢٠٢, ٣٢٦
الزعفراني بحمذان ٢٠٢
زقاق الرمان بدمشق ٢٢
— عطاف — ٧١
— المشاطين — ٦
زندروذ نهر ٢٦١
زنكان (زنجان) ٢٩٥

* س *

ساتيدما نهر ٨٧, ١٢٢, ٢٨٦ سنجقان ١٧٣
السهم ٢١٢
السواد بالشام ١٤٩, ١٥١, ١٦٤, ١٧٤, ١٧٨, ١٨٤
السور ٣
السوس بالمغرب ٢٩١–٢٩٤
سوق البز بالرملة ٦١
— البقل بدمشق ٨
— الجعفري — ٧
سوق الدوابّ — ٩
— علي — ٢٢٨
— الغنم — ١٢٢
السويدا حصن ١٠٠
السويدية ١٦٨
السويقتان بالقاهرة ٢٠٤
سيواس ١٥٨

* ش *

شارع دار الرقيق ببغداد ٨٨
الشاغور ٣٦, ٢١٣, ٢٠٧
الشام تكثر ذكرها
شاه ذر ١٥١–١٥٣
الشراة ١٥٨
شرخوب ٢١٣
الشرطة ٦٩
الشرف الشمالي بدمشق ٢٢٣
شرمدا ٢٠٠
الشعرا ٢٤٣, ٢٣٧
شقيق تيرون ٢٤١
الشمّاسيّة بدمشق ٤, ٦, ١٥, ١٦, ٥٢, ٥٧
شمسانية ١٥٧
شهرزور ٨٩
شهرستان ٢٦١
شيراز ١٧٦
شيزر ٤٣, ١١٣, ١١٤, ١١٦, ١٢٠, ١٢٢, ١٢٤, ١٥٠, ١٦٤, ١٦٧, ١٧٤, ١٧٧, ١٧٨, ١٨٣, ١٩٠, ١٩١, ٢٢٩, ٢٥٥, ٢٦٤, ٢٦٦, ٢٢٥, ٢٢٧, ٢٤٤–٢٤٩, ٢٥٦

* ص *

الصادرية بدمشق ٢٢٤
صافيثا ١٨١
صحراء الاهليلج بالقاهرة ٥٥
صرخد حصن ١٦٧, ٢٢١, ٢٤٦, ٢٥٢, ٢٥٥, ٢٥٧, ٢٦١, ٢٧٠, ٢٧٢, ٢٧٨, ٢٨٩, ٢٩٠, ٢٩٦, ٢١١, ٢١٩, ٢٢١, ٢٢٤, ٢٢٩
صفين ٢٠٢
— مشهد ٢٦٦
صقلية ٢٢٨, ٢٢١
صلدع ٢٦٥
الصنّبرة جسر ١٨٥
الصنمان ١٧٤
صور ١٥, ٥٠, ٥٢, ٦٨, ٩٦–٩٨, ١٠٦, ١١١, ١١٢, ١١٦, ١٢٠, ١٢٤, ١٢٢, ١٢٦, ١٥١, ١٥٩, ١٦٤, ١٧١, ١٨٨, ٢٠٧, ٢١١, ٢٧٣, ٧٩٧, ٢٠٢, ٢٢٢
الصور قلعة ٢٤٢
صيدا ١٤, ١٥, ٥٠, ٧٤, ٩٦, ٩٨, ١٢٠, ١٦٢, ١٦٨, ١٧١, ١٧٢, ١٧٩, ٢٤١, ٢١٥, ٢٥٢
صَيْدنايا ٣٤, ٢٤١
الصين ١٥٢, ٢٧٥, ٢٧٧

* ط *

طاحون الاشعريين بدمشق ٥, ٧
طبريّة ١, ١٦, ٢٠, ٢٢, ٢٥, ٢٩, ٤٠, ٤٧, ٦٠, ٩١, ٩٦, ١٤٩, ١٥١, ١٦١, ١٧٤, ١٨٤, ١٨٥, ١٨٧, ٢١٢, ٢٤٢, ٢٢٢, ٢٤١,

Marfat.com

طرابلس الشام ١, ١٤, ٢٩, ٣٠, ٣٤, ٤٠–٥١
, ٩٦, ٩٧, ١١٣, ١١٥, ١٢٦, ١٣٩
, ١٤٠, ١٤٣, ١٤٦, ١٤٨, ١٥٦, ١٦٠
–١٦٥, ١٧٧, ١٧٩, ١٨٨, ٢٢٤, ٢٤٠
٢٥٨, ٢٦٣, ٣١٥
طرابلس الغرب ٥٥, ٥٨
طرسوس ١٢
طيطلة ١١٨
طنزى ١٢٧
الطواحين نهر ١٧
الطوفان حصن ١٦٥

* ع *

العاصي نهر ١٢٦, ١٧٧
عانة ٢٨٠
عذراء ١١٣, ٢٤٧, ٢٧٣, ٣١٣
العراق تكثر ذكرها
عرقة ١٦٣, ١٦٤, ١٦٧
العريش ٧٣, ١١١, ٢٥٣
عريمة حصن ٢٠٠
عزاز ١٠٣, ١١٣, ٢١٠
عسال ٢٤١
عسقلان ١٦, ٢٢, ٤٦, ٧٣, ٩٣, ٩٦, ٩٧
, ١٢٧, ١٤٠, ١٤١, ١٤٩, ١٧٣, ١٨٣
, ٢١٣, ٢٩٦, ٢٠٨, ٢٠٩, ٢١٨, ٢٢٣
٢٢٠, ٢٥١
العقبة ٢١٣, ٢٤٧
عقبة سحورا ٢١٣
– فيق ٧٤
العُقيبة ٢٥٤, ٢٥٦
عكّا ١٥, ٢٩, ٦٨, ٨٤, ٩١, ٩٤, ٩٧, ٩٨
, ١٠٩, ١٢٠, ١٢٦, ١٢٨, ١٤٤, ١٥١
, ١٨٠, ١٨٣, ١٨٤, ١٨٦, ٢٠٤, ٢٢٣
, ٢٤٠, ٢٤٣, ٢٩٧, ٣٠٠, ٣٠٢, ٣١٥
ابن عكار حصن ١٦٥
علمال ١٤٩
عمان البلقاء ٩٤, ٩٧
عين تاب ١١٣
– الجسر ١٨٤, ٢١٤
– زربة ٢٥٨
– سلم ١١٩
– شمس ١, ٢, ٤٦
– شواقة بدمشق ٢٨٩
– الكتيبة ١٥٩
عيون الفاسريا ٢١٣, ٢٢٧

* غ *

الغزالية بدمشق ٢٧٠, ٢٩٦
غزنة ١٠٣
غزة ٧٤, ١١٠, ١١١, ٢٠٨, ٢٢٠, ٢٥١
الغوطتين ٦٩
غوطة دمشق ٢٢–٢٤, ٥٤, ٩٥, ٢١٣, ٢٦٨
, ٢٧٣, ٢٧٣, ٢٠٨, ٢١٣, –٢١٥

* ف *

الفاخورة بدمشق ٦
فارس ١٧٦
فاسريا ٢١٣, ٢٢٧
الفحول ٢٠٨
فذايا ٢١٣
الفرات نهر ٤١, ٦٦, ٨٧, ٨٩, ١٠٠, ١٠١
, ١١٣, ١٢٣, ١٢٤, ١٢٧, ١٣٠, ١٤٦
, ١٥٦, ١٥٧, ١٦٩–١٧٥, ١٨٤, ٢٠٣
, ٢٠٧, ٢٤٧, ٢٥٨, ٢٦٦
الفراديس بدمشق ٦, ٢٧١
قرس هو قرس
الفسقار بدمشق ٧
فطليس ٢٧٤, ٢٧٧
فلسطين ٢٤, ٧٣, ٧٩, ٩٤, ٩٨, ١١٣, ١٦١
الفنيدق ٨٦, ٢٠٧
الفوّار ٢٢

Marfat.com

* ق *

قارا ٢٤, ٣٣١

القاهرة ٢١, ٤٤, ٤٨, ٥٩, ٦٤, ٦٥, ٨٠, ١٠٩, ١١٠, ٢٠٤, ٢٢٠

قبر الخليل بالقدس ١٢٧

قبرص (قبرس) جزيرة ٢٥٨

القبة حصن ١٩٩

قبة احمد بن حنبل ببغداد ١٠٤

— السلطان بميافارقين ٢٠٨

— الورد بقلعة دمشق ٢٢٣, ٢٦٤

القحوانة هي الأقحوانة

قدس ١٨٤

قرزاحل ١١٨

القرس ٢٦١

قرقيسيا ١١٦, ١١٧

القريتان بحمص ١٠٠, ١٤٦, ١٤٧

القسطنطينية ١٤, ٣٥, ٦٨, ٩١, ٩٥, ١٠١, ١٠٦, ١٢٤, ١٥٦, ١٦٤, ٢٢٦, ٢٥٧, ٢٥٨, ٢٩٧, ٣٥٤

القصارين بدمشق ٥

قصر الثقفيين بدمشق ١٥

— حجاج بدمشق ٧, ٢١٢

— الزمرد بالقاهرة ٥٦

— ابن السرح ١٨

— السلطان بدمشق ٩٦

— عاتكة ٧

القصير ٢٤٧

القطيعة ٢١٥

القلعة ٢١٢

— الشريف بحلب ١١٨, ١٦٧

قنسرين ٢٦, ٤٢, ٢٤٠, ٢٤١

القيامة بيعة بالقدس ٦٦–٦٨

القنوات بدمشق ٥, ٦

قونية ١٠٥, ١٠٨, ٢٢٢, ٢٢٦

قويق نهر بحلب ٢٦٥

القيروان ٤٤, ٥٨

القيرمي رُحا ٢٦

قيسارية ٢٩, ٧٢, ٩٧, ١٢٩, ١٥٨

قينية بدمشق ٥, ٦, ٢٢

* ك *

كاشغر ٧١

كركر حصن ٢٠٩

الكركري حصن ٢٦١

كفرحمار ١٢٦

كفرطاب ١٠٦, ١٢٦, ٢٦٦, ٢٢٥, ٢٢٧, ٢٤٢, ٢٤٨,

كنجة (جنزى) ١٦٨, ٢١٦, ٢٦٢, ٢٦٤

كنيسة السيدة بانطاكية ١٢١

— مريوحنا بدمشق ٦

— اليهود بدمشق ٢٦

الكورة ٢٦٢

الكوفة ١, ٢٨, ٦٤

كوكبا ٢١٥

حصن كيفا ١٢٧, ١٧٦, ٢٦٧, ٢٢٨

* ل *

لاذقية ١٤٢, ٢٥٥

لبنا (لُبنى) ١٩

اللبوة حصن ٢٢٥

اللجاة ١٧٤

لورى ٢٦٥

اللؤلؤة بدمشق ٥, ٦

* م *

مأب ١٥٨

ماردين ١٢٨, ١٧٠, ١٧٦, ٢٠٢, ٢٠٥, ٢٠٨, ٢٧٤, ٢٧٦, ٢٢٩

ماكسين ١٥٨

ما وراء النهر ٢٧٥

مجبة العطب بقصر الزمرد ٥٩

Marfat.com

المجدل حصن ٢٦٣
المحاملين بدمشق ٨
محراب داود بالقدس ١٢٥
مخازن التجار خان ببغداد ٢٤٢
المدان ١٥١ , ٢٧٢
مدرسة الامامية بدمشق ٢٧٠
المدينة ١٨٧ , ٢٥١ , ٢٥٦
مراغة ١٤٠ , ٢٥٠ , ٢٥٩
مراكش ٢٩٣ , ٢٩٤
المرج بدمشق ٦ , ٥٤ , ٢١٢ , ٢٥٤ , ٢٦٨ , ٢٧٢ , ٢٧٣ , ٢٠٨ , ٢١٢–٢١٥
مرج الاشعريين ٦٦
— افيح ٥٢
— باب الحديد بدمشق ٩٢ , ١٦٠ , ١٨٧
— دابق ٢٤
— الديباج ٢٦٣ , ٢٦٤ , ٢٥٤
— راهط ٢٧٣
— سلمية ١٨٤
— الصفر ١١٥ , ١٢٢ , ٢١٣
مرج عذراء ٤٠
— يبوس بدمشق ٢٠٨
مرعش ١٤٣
مرقبة ١٨١
المرمى بدمشق ٦
المزة ٢٢ , ٣٥ , ٦٩ , ٩١ , ٩٣ , ٢٩٨
مسجد ابرهيم بدمشق ٦ , ٣٥
— الاقسى بالقدس ٦٧
— الامير بياقارقين ٢٠٨
— الجامع بدمشق ٩٦ , ٩٧
— جديد — ٢٥٧ , ٢١٣
— الخضر — ٩
— زيدان بالقاهرة ٦٦
— القاضي بدمشق ٦
— القدم — ٩٣ , ٢٧٧ , ٢١٣
مسجد معوية — ٦
— الوزير — ٢٢٣
مشهد زين العابدين ٣٠٧
— علي بالكوفة ٣٨ , ٦٤
مصر تكثر ذكرها
المصلَّى بدمشق ٩ , ٢٥٣ , ٢٥٤ , ٢٥٧ , ٢٧١ , ٢٧٣
مصياث حصن ١٦٥ , ٢٧٤
المصيصة ٢٥٨
المضبق جبل ٥٣
المظلمة بدمشق ٦ , ٧
المعدن ٢٧٤
المعرَّة ٢٤ , ١٠٦ , ٢٦٦
معرَّة مصرين ١٢٥ , ١٩٠
— النعمان ٢٨ , ١٢٢ , ١٢٥ , ١٢٦ , ١٧٦ , ١٩٠ ,
معلولا ٢٤
المقابر بدمشق ١٠
مقابر باب الصغير بدمشق ٢٢٢ , ٢٢٣
مقابر الفراديس بدمشق ٢١٢
— قريش ببغداد ٢٠٦
— الكهف بدمشق ٢١٩
المقاومة ٢٤١
المقس بالقاهرة ٥٥
المقلوب نهر ٤١ , ٥١ , ٥٣
مكر بابكان ٢٩٥
مكَّة ٦٤ , ١٠٧ , ١٢٥ , ١٣٠ , ٢٥١ , ٢٥٦
الملَّاحة ٢٤١
ملطية ١٠٥ , ١٢٨ , ١٥٠ , ١٥٦–١٥٨
منازجرد ٩٨–١٠٤ , ٢٦٧ , ٢٦١
منازل العاسر ٣٠٩
— العساكر بدمشق ٢٩٨
منبج ٩٨ , ١٠١ , ١٠٤ , ٢٨٥ , ٢٨٦ , ٢٥٥
المنيحة ضيعة بدمشق ٢٤٥

المنيطرة حصن ١٦٥
المهدية ١٢, ١٤, ١١٨, ٢٩١
الموصل يكثر ذكرها
ميافارقين ٣١, ١٠٠, ١٢٢, ١٢٦–١٢٨, ١٥٧, ١٥٨, ١٦٤, ١٦٩, ١٧٥, ١٧٦, ٢٠٨, ٢٦٧, ٢٧٤, ٢٧٥, ٢٢٨, ٢٢٩, ٢٦١
الميدان بدمشق ٦, ٧
— الاخضر بدمشق ١٨٧, ٢٠١, ٢٩٨
— المصلّى بدمشق ٢٥٣, ٢٥٤
ميماس ٢٩

* ن *

نابلس ١٨٦
الناصرية ٢٤٣
الناعورة حصن ٢٤, ٢٨, ١٢٦, ٢٦٥
نخجوان ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٦٥
نصيبين ٨٧, ١٢٢, ١٢٣, ١٥٦, ٢٦١, ٢٧٤
النظامية ببغداد ٢٩٥
نقب عازب ١٨٣
نقجوان هو نخجوان
النقرة ٢٤
نقرة الاحرين (كذا) ٢٤١
نهاوند ١٤٧
نهر معلّى ببغداد ٨٩
النهروان ٨٩, ٢٥٩, ٢٦٠, ٢٠٢
نوار ٢٤٠
النيرب ٢٥, ٢١٢
نيسابور (نشاوور) ٢٢٥
نيقية ١٢٥, ٢٥٨
النيل ٢٢٦

* ه *

لهتّاج ١٧٦, ٢٦٢
الهرماس نهر ١٢٢
همذان ٨٨, ٩٠, ٩٩, ١٠٢, ١٠٤, ١٢١, ١٢٧, ١٧٣, ٢٠٢, ٢١٠, ٢١٧, ٢٢٨, ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٩٤, ٢٦٢–٢٦٥
هونين حصن ٢٤٠

* و *

وادي التيم ١٨٤, ٢٢١, ٢٢٢, ٢٧٢, ٢٠٢,
— بني حصين ١١٥
— — عُليم ٤٤
— القرى ٦٤
— المقتول ١٨٦
— موسى ١٥٨, ٢١٨
عـ المياه ١٦٦
واسط ٨٧

* ي *

يافا ٢, ١٥, ١٠٩, ١١١, ١٢٨, ١٤٠–١٤٢, ١٤٩, ١٨٦, ٢١٥
يزيد نهر ٢٢, ٢٥٦
يعفور ٢٠٨
يمن ١١٤

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

563.—(Ib. 191ᵛ). Saltuq, ruler of Erzerûm, dies, and is succeeded by his son. Muhammad.

570. — (Ib. 196ᵛ. 197ʳ). Ana taken from Shâhinshâh by the Georgians and added to their dominions : they inflict a defeat on Ildigiz : an indecisive action follows near Awin.

571. — (Ib. 199ᵛ). Successful raids on Georgian territory by Ildigiz and other Moslem rulers; rejoicings at Akhlât on its ruler's return. **pp. 364-5.**

Marfat.com

lems captured, many of whom are ransomed by the vizier of Mosul, Jamâl al-Dìn al Isfahâni (1).

557. — The Georgians surprise Dawain, (A. 188), and destroy the minaret of Georgian skulls erected by its ruler, Qurti ; they also pillage Janza.

558. — A Moslem coalition formed under Ildigiz, Atabek of Adhardijân, completely defeats Giorgi, whose camp is pillaged; the extent of the booty and the uses to which it was put ; rejoicings at Akhlàt (2). **pp. 360.**

Account of this victory from the Zubdat al-Tawârikh. B.M. Stowe, or. 7, fols 88-91.

The Georgians make claims on the revenue of Janza : Ildigiz replies by a threat to march on Tiflis, and by his advice the Saljuq of Iràq, Arslàn Shàh b. Tughril, advances against them by way of Nakhjawàn and Janza, whereupon the Georgians offer excuses : Shàh Arman of Akhlàt arrives with a force ; Ildigiz consults his officers on how to answer the Georgians ; those from Iràq, suspecting him of wishing to come to terms, urge firmness on Arslàn Shàh and Shah Arman supports them; Ildigiz protests his satisfaction at their attitude, and the Georgian envoy is dismissed ; preparations for battle ; disposition of the Moslem forces by Ildigiz, and of the Georgian : victory of the Moslems ; the Georgian ruler escapes ; large booty. **pp. 362-4,**

[For the Georgian account of this campaign see Brosset « Histoire de la Georgie», Vol. I. Part I. pp. 387-95, and 'Additions', ib. pp. 253-6.].

559. — (From Fàriqi, fol. 187v). Ana occupied by the Georgians, and, on their withdrawal, by Ildigiz; the Georgians defeated by Ibràhîm, ruler of Surmàri ; Ana granted by Ildigiz to Fadlûn's brother, Shàhinshàh.

[Of the Shaddâd family ; for their pedigree, see Brosset ib. I. part I. p. 344.].

---

(1) His life, Ibn Khall. II, 95, Eng. III 295.
(2) Cf. Dulaurier, op. cit. 365 and 488, note.

ter detected ; he removes beyond the Euphrates ; Qutb al-Dìn approaches from Mosûl, but withdraws on Nûr al-Dîn's recovery ; his vizier Jamâl al-Dìn al-Isfahâni visits Damascus ; presents from Constantinople to Egypt. **pp. 354-6.**

Manuel threatens Antioch ; earthquakes ; death of an Aleppo physician ; pestilent wind ; Nûr al-Dìn makes terms with Manuel, and agrees to release his Christian captives (1) ; he entertains Qutb al-Din's troops, and an Arab raid on their property is frustraked ; Amir Amirân forced to surrender Harrân (A. 166-7, 'Adim. « Blochet ». 24). **pp. 356-8.**

555. — Death of the Amir Bûzân ; his high character ; lines on him ; the Qadi Dhaki al-Dìn (al-Qurashi) resigns and is succeeded by Kamâl al-Dìn al-Shahrazûri (2) with his son as his deputy, ('Adim « Blochet » 25 sub. 557 A. H. **pp. 359-60.**

End of the History of Ibn al-Qalânisi

Note of subsequent Events from Fariqi, fols. 183-5.

Death of the Fatimide Fâ'iz and succession of 'Adid (3) the last of the line (A. 168); how it was the practice to suspend in the Mosque a girdle for each of these rulers, those of the deceased being uncovered and that of the actual ruler being veiled.

556. — The Priests at Ana revolt against their ruler Fadlûn, and surrender the place to the Georgian ruler, Giorgi III, who takes possession ; a combined attack on him by the neighbouring Moslem rulers is defeated (A. 184) owing to the defection of Saltuq, ruler of Erzerûm, who was under a promise to Giorgi's predecessor, Demetrius, not to attack him or his issue (4) ; large number of Mos-

---

(1) Gregory the priest, whose tone is wholly unfavourable to Manuel, accounts for his moderation by a revolt against him in Constantinople. — See Dulaurier, op. cit. pp. 355-7 and 483.

(2) See his life, Ibn Khall. I. 597, Eng. II. 646, followed by that of his son, Muhi al-Din. His predecessor is there said to have been dismissed, but he had previously been mentioned as resigning ; see the life of his son, ib. I 595 l. ult. Eng. II 641.

(3) His life, Ibn Khall. I 338, Eng. II 72.

(4) Cf. Dulaurier, op. cit. 362-3 and 485, note.

Marfat.com

The governor of Busra treacherously murdered : death of a Shaikh ; earthquakes ; end of a drought ; more earthquakes ; death of al-Yâghisiyâni, governor of Emesa ; a jurist from Balkh visits Damascus; his eminence ; lines on him by the historian. **pp. 347-8.**

Nur al-Din when about to attack the Franks falls ill ; his dispositions ; he is conveyed to Aleppo and despatches Shirkûh to Damascus ; the Franks attack Shaizar but are dislodged by the Bâtini ; Amir Amirân (brother of Nûr al-Din) claims to rule in Aleppo and conciliates the Shi'a sect ; the governor, Ibn al-Dâya, asserts Nur al-Din's authority, it was said, needlessly ; Nûr al-Din recovers, and his brother retires to Harrân ('Adim, « Blochet» 22-4); a drought there ceases ; Shirkûh leaves Damascus to confer with Nûr al-Dîn on attacking the Franks, and is well received ; lines thereon by the historian. **pp. 348-50.**

553. — The Franks attack Hârim and make raids over the country ; Nûr al-Din restored to health prepares to attack them ; successes in Egypt against the Franks both by land and sea ; Shirkûh makes a raid on Sidon and defeats the Franks ; a copious rain ; an earthquake ; Nûr al-Dîn in an engagement with the Franks averts a reverse by standing firm with his escort. **pp. 350-2.**

Nûr al-Din illadvisedly reestablishes certain abrogated dues to be farmed out for a substantial sum, but the attempt to enforce them on owners of proparty evokes such complaints that the project is dropped; other obnoxious imports are removed ; arrival from Egypt of an envoy from Ibn Ruzzik, together with a bearer of treasure and gifts ; an attempt by the Franks to suprise them is repelled ; deaths of two officials ; the Byzantine Emperor (Manuel) having seized territory from the Armenian Leo (1) and then threatened Antioch, Nûr al-Din enjoins on his lieutenants vigilance ; a plentiful rain. **pp. 353-4.**

554. — An earthquake ; renewed illness of Nûr al-Dîn : his resolve to name Qutb al-Din of Mosul (2) his successor in preference to his other brother, Amir Amiran ; intrigues in favour of the lat-

---

(1) Or rather his son Thoros II, fifth of the Ruben line of barons, who after sharing his father's captivity in Constantinople, had reasserted his right to Cilicia. See Chron. Matthew of Edessa, and continuation by Gregory the priest, (Ed. Dulaurier, Paris, 1858, pp. 353-5 and p. 476 n.).

(2) His life. Ibn Khall. II 169, Eng. III 458.

Marfat.com

551. — Defeat of the Franks by the Aleppo troops ; deaths of a Shaikh, and of a Sharif at Aleppo, and lines on the latter. **pp. 333-4.**

[Note on the Shaikh from Sibt J. (d) p. 139.].

Succession of earthquake shocks, and their effect on the cities of Syria : a year's truce concluded with the Franks ; an official disgraced : dearth in Egypt ; the Sultan Sinjar escapes from captivity (A. 138) ; arrest of the Saljuq prince, Sulaimân Shâh, at Mosul, (A. 137) ; the Franks, in violation of the truce, seize cattle near Bâniâs. **pp. 334-7.**

552. — Renewed earthquakes (A. 144, At. 196. 'Adim « Blochet » 21) ; complimentary letter from Sinjar to Nûr al-Dîn ; he is urged on all sides to attack the Franks ; he occupies Ba'albek, and sends an envoy to Egypt ; defeat of the Franks by Nûr al-Dîn's brother, Amîr Amirân ; rejoicing at Damascus ; Shirkûh also defeats them. **pp. 337-9.**

Nûr al-Dîn prepares to attack Bâniâs ; reinforcements from Shirkûh crush the Franks, and Bâniâs is taken by assault ; a Frank force succeeds in relieving the citadel and its garrison under Humphrey (de Toron). The Franks surprised and defeated by Nûr al-Dîn between Bânias and Tiberias ('Adim « Blochet » 23), when their king is missing ; loss of only two Moslem lives ; the captives and spoil arrive at Damascus ; lines on the victory. **pp. 339-42.**

Renewed earthquake, and fresh damage to Syria ; Qilij Arslân of Rûm approaching Antioch, a truce is attempted between the Franks and Nûr al-Dîn, but fails ; Muqtafi compels the Sultan Muhammad Shah (1) to raise the siege of Baghdad (A. 140, At. 202) ; Nûr al-Dîn's precautions against Qilij Arslân at Aleppo ; earthquake shocks at Damascus, Hamâh and Shaizar (2), which is ruined (A. 142, At. 196-200, 'Adîm « Blochet » 22), and other places ; [illegible] thereon ; panic at Damascus ; death of Sultan Sinjar (3) (A. [illegible]) and of an Aleppo official intimate with the historian ; his elegy on him : renewed earthquakes (A. 144). **pp. 343-6.**

(1) Mentioned Ibn Khall. II 144, l. 4. a. f. Eng. III 338, and more fully, ib. II 328, l. 13, Eng. IV 118.

(2) Vie d'Ousama, 276-7.

(3) His life, Ibn Khall. I 272, Eng. I, 600.

Marfat.com

vizier ; 'Atâ governor of Baalbek disgraced and executed ; new appointments to office. **pp. 324-6.**

[Note on the death of 'Atâ, from Sibt J. (d) 135., id. Atabeks 190-1.].

549. Shîrkûh (1) arrives as envoy from Nûr al-Dîn, who follows in person ; his troops effect an entrance into Damascus ; he follows, and is well received by the people ; pillage checked ; Mujûr al-Dîn evacuates the castle and surrenders on terms ; he is granted Emesa, and retires there (A 130-1 ; At. 188-192, 'Adîm « Blochet », 19-20.). Nûr al-Dîn's reforms at Damascus : return of Buzân, and of Ibn al-Sûfi who works mischief ; his death which is welcomed by the people. **pp. 326-9.**

[Note on the subsequent career of Mujir al-Dîn, and on the many remarkable events of this year, from Fariqi, fol. 180v.].

Death of Timurtâsh, ruler of Maridîn (A. 115. sub. 547 A. H.) ; murder of the Fatimide Zâfir, his infant son Fâ'iz succeeds : at the news Ibn Ruzzik advances, the vizier 'Abbâs flies and is surprised and routed by the Franks near Ascalon (2) (A. 126-8) ; return of Ibn al-Dâya from the Pilgrimage ; illness at Damascus : raid on Tinnis by the Franks from Sicily (A. 125. sub. 548 A. H.) ; death of a Qadi at Aleppo, and of a physician. **pp. 329-31.**

(Note on the murder of Zâfir, and on Ibn Ruzzik becoming vizier, from Fâriqi, fol. 179v.]

550. — A truce between the Franks and Nûr al-Dîn ; he occupies Ba'albak (A. 150 and 'Adîm « Blochet », 22-3 sub. 552 A. H.) ; Ibn Ruzzik's proposal to buy off the Franks is overruled, and a naval attack is made on Tyre; differences between the Saljuqs of Rûm reconciled by Nûr al-Dîn: the Caliph Muqtafi's successful rule ; Nûr al-Dîn encroaches on the territory of the Saljuqs of Mesopotamia ; hostilities between them and the Dânishmand family. pp. 331-3.

---

(1) His life. Ibn Khall. I 284, Eng I 626.

(2) A full account of these occurences is given by 'Usama b. Munkidh, who was an actor therein, in his autobiography. — See Vie d'Ousama, pp. 241-58, and Hist. Crois. Or. IV. 79-81 ; cf. Ibn Khall. life of Zâfir I 97, Eng. I 222 ; of Ibn Ruzzik ib. I, 298. Eng. I 657; and of al-Fa'iz ib. II 499 Eng. II 425.

(3) Dhahabi, speaking of the Caliph Muti' (B. M. Or. 48. 11v), says that from his date the Abbasid Caliphate became so impotent that the Fatimide dynasty, then happily ended, was of greater weight, but that Abbasid dignity was restored by Muqtafi.

Marfat.com

Mujîr al-Dîn visits Nûr al-Dîn at Aleppo ; a Turkoman raid on the Franks at Bâniâs in violation of the truce, is disapproved of at Damascus ; a Frank attack on al-Buqâ' foiled by snowstorms. **pp. 317-8.**

[Note on a death, from Sibt J. (d) 128.].

547. — Antartûs taken by Nûr al-Dîn ; the Franks defeated near Ascalon ; floods ; Mujîr al-Dîn and his vizier Ibn al-Sûfi, attack Busra and its ruler, on the ground of his disobedience and misrule, and he submits ; Sarkhad ceded to Mujîr al-Dîn by its governor (Bûzân). Death of Sultan Mas'ûd (1) (A. 105). Illness at Damascus ; a death. **pp. 318-9.**

548. — Murder of the Egyptian vizier, Ibn Sallâr (2) (A. 122); Nûr al-Dîn procures the cooperation of Damascus troops with his ; he takes Aflas, but fails at Bàniàs ; Egyptian success at Ascalon, and the besieged take courage. **pp. 319-21.**

Dissention between Ibn al-Sûfi and his brothers, ending in his removal to Sarkhad; Bûzân's distrust of Mujîr al-Dîn, and jealousy of 'Atâ ; Ascalon taken by the Franks (A. 124). Death of the poets Ibn Munîr and Ibn al-Qaisarâni ; their mutual hostility (3) ; death of a Baghdad Imâm : lines on him ; cessation of a drought ; death of the jurist al-Balkhi. **pp. 321-3.**

[Notes on the fall of Ascalon, and the removal of Husain's head to Egypt, from Fariqi, f. 178^{v}, and Sibt J. (d) 131, as corrected by B. M. add. 9574, fol. 311^{r}; and on al-Balkhi and Nûr al-Din, from Sibt J. (d) 134.].

Bûzân attempting to return to Sarkhad is overtaken and kept under arrest in Damascus ; floods ; the vizier, Haidara (brother of Ibn al-Sûfi) executed for his crimes, and replaced by al-Tamimi ; disorder and pillage : Sultan Sinjar defeated by the Ghuzz ; their excesses (A. 116-121) ; scarcity at Damascus which Nûr al-Dîn seeks to aggravate, and so capture the city ; honours for the new

---

(1) His life, Ibn Khall. II, 172, Eng. III, 355.

(2) His life, ib. I 467, Eng. II 350.

(3) For Ibn Munîr see Ibn Khall. I, 61, Sl. Eng. I. 138, iand Brock, Gesch. Arab. Lit. I. 256. According to Abu-l-Mahâsin, B. M. add 23882, 131^{r}, it was the Hajib Yûsuf who interceded for him with Bûri. In 'Atabeks, p. 186 appear some lines by him. For Ibn al-Qaisarâni, see Ibn Khall. II, 21, Eng. III. 155.

Marfat.com

the firmness of Ibn Hubaira (1) from the Zubdat al-Tawârîkh, fol. 66v.].

544. — Unur represses attacks by the Franks in their retreat from Damascus ; he sends troops to Nur al-Din who defeats the franks at Anab (north of Apamea), and their « Prince » (Raymond) is killed (2). Nur al-Din presses on Antioch, and takes Apamea (A. 95. At. 177, 180. 'Adim, « Blochet » 13-14) ; Unur dies of dysentery ; his fellow Amirs govern Damascus (A. 96) ; death of Saif al-Din at Mosul (A. 91, At. 165). **pp. 304-6.**

A tax remitted at Damascus ; disaffection of Ibn al-Sûfi and disorder ; Ibn al-Sûfi prevails ; death of Hâfiz (3) of Egypt ; Zâfir succeds, with Ibn Masâl as vizier (A. 93) ; Nur al-Din approaches Damascus and urges joint action against the Franks ; he receives a defiant reply, and rain foils his attack. **pp. 307-9.**

545 — Damascus agrees to grant Nur al-Din the right of the Prayer and of the Coin, and its ruler visits him ; Jocelyn taken prisoner by troops from Aleppo (A. 101, Sub 546) and Tall Bâshir attacked by Mas'ûd (b. Qilij Arslân of Rûm) ; places taken by Nûr al-Din (A. 101, At. 182. 'Adim, « Blochet » 15-16) ; Arab attack on pilgrims (4) (A. 97). Dissention at Damascus, and in Egypt between Ibn Masâl and Ibn Sallâr (A. 93). Turkomans and Franks attack the Haurân ; deaths. **pp. 310-12.**

546. — Damascus hard pressed by Nûr al-Dîn ; his proposals are rejected ; he approaches the town ; skirmishes and pillage ; the Franks approach also and join the Damascus troops ; Nûr al-Din retires. **pp. 312-14.**

An Egyptian fleet arrives off Jaffa and inflicts damage on the Franks ; Nûr al-Dîn again approaches ; Tall Bâshir surrenders to him ; his efforts to keep the Moslem peace ; the Oqailid ruler of Qal'at Ja'bar killed ; mortality in Egypt ; a death and earthquake. **pp. 315-7.**

[Note on the origin of Saladin's family from Fâriqi, f. 181 (5).].

---

(1) His life, Ibn Khall. II 326, Sl. Eng. IV. 114.

(2) This does not accord with western historians.— Crois, or. IV 62-n.

(3) His life, Ibn Khall. I 389, Eng. II 179.

(4) On this attack cf. Ibn Khall, in the life of Ibn Darra, II 544, Eng. IV, 573.

(5) See also life of Najm al-Din Ayyûb, Ibn Khall. I, 105, Eng. I. 243.

Marfat.com

are taken ; the fate of Altûntâsh; 'Abbâs, governor of Rayy, killed by Sultan Mas'ûd (A. 76). **pp. 287-91.**

Career of Ibn Tûmart and the rise of Abd al-Mû'min in North Africa ; his progress there (1) (A. X. 400-413). **pp. 291-3.**

[Note the story of his rise, from Fariqi, fol. 168.].

542. — Warfare between Sultan Mas'ûd and his Amirs (A. 78). Honours for Unur from Egypt ; Buzân governor of Sarkhad ; murder of the Egyptian vizier, Ibn al-Walakhshi (A. 32). Weather portents ; invasion of Syria by the ruler of Germany (Conrad IV) with Alfonso (2). **pp. 294-7**

[Notes, pp. 295-6, on the Amir Bûzâba, from Zubdat al-Tawârikh, 65^{v}, and on his vizier, al-Khujandi, from B. M. or 3006, 290^{r}; and on al-Masisi from B. M. or 6428. 108^{v}.].

543. — They besiege Damascus, which is strongly defended and assisted from without, and they retire (A· 85-6. At. 159-61, 'Adim, 'Blochet', 8) ; the allied Moslems capture al-'Uraima and its ruler, the son of Alfonso (Bertram) (A. 87. At. 162). **pp. 297-300.**

[Note (p. 298) on al-Findalâwi, from B. M. or 642, 109^{v}, and (p. 300) on the siege of Damascus from Sibt J. (d) p. 120 ; cf. Yâqût Mu'jam al-Buldân III 919.].

Embassy from Baghdad ; religious changes at Aleppo and Damascus ; disorder at Baghdad ; a revolt in Egypt, headed by a descendant of Nizâr (3) fails ; Nûr al-Din surprised and repulsed by Raymond of Antioch ; a drought (A. 90) ; Isma'ili outrages ; attacks on them and reprisals ; death of the Qâdi al-Zainabi (A. 96, sub. 544). **pp. 301-3.**

[Note, that demands on the Caliph Muqtafi were averted by

---

(1) Their lives are given by Ibn Khall. II 47, Eng. III 205, and I. 390, Eng. II 182. The Ibn Hamdun mentioned p. 292, l. 3, as aiding 'Abd al-Mûmin, was named Maimûn, and was vizier to the son and successor of Yahya, descendant of al-Nâsir b. Ghulnâs b. Hammâd, (Lane Poole's Mohammedan Dynasties, p. 40). Distrusting his master he supported 'Abd al-Mûmin — see Ibn Adhâri «Bayân al-Moghrib, Ed. Dozy I, 319, and A. XI. 103-4. sub. 547 A. H. For the victory of 'Abd al-Mûmin over Ibn Tâshifin see Ibn Khall II 489. l. 4, Eng. IV 464-5.

(2) I. e. Bertram, son of Alfonso Jourdain, and grandson of Raymond of Toulouse ; see At. 162. n.^{r} and 'Adim « Blochet » 9. n. 1.

(3) Ibn Zâfir, op. cit. fol 82^{v}, called him al-Hasan.

Marfat.com

lem, and succession of his widow and infant son, Melisend and Baldwin (1). Ibn Sadaqa dismissed (ʿAdim. 685). **p.277.**

[Notes from Fariqî, fol 170].

539. — Ibn al-Sûfi quits Damascus for Sarkhad at jealousy of Usâma b. Munqidh, but returns on the latter being expelled (2); the Franks repulsed, and large captures made by the Aleppo troops (ʿAdim, 685). **p. 278.**

Capture of Edessa and other places by Zangi, Frank succour being averted (A. 64-6, At. 118-125, ʿAdim 685-7); Jaqar, governor of Mosul, murdered (3) (A. 66-7, At. 126-8); completion of a Mosque at Damascus. **pp. 279-82.**

[Notes on Edessa and on Jaqar, from Fariqi, fol 170v.].

540. — Zangi threatens Damascus, but desists on news of a sedition at Edessa, which he represses (ʿAdim 687); Saljuq discord: death of Khumârtâsh in Egypt; statement by the author as to the composition of his history and its completion, with a consideration of the origin of laqabs, and of the recent practice of multiplying them on individual rulers, with special reference to the Sultans Sanjar and Masʿûd, to Zangi, and to the ruler of Damascus (Abaq). **pp: 282-4.**

541. — Zangi murdered at the siege of Jaʿbar (A. 71-3, At. 130-1. Adim 688); his son's movements (A. 74. At. 153, ʿAdim «Blochet» 4-5. n¹). Poetry on Zangi. **pp. 284-7.**

[Note : account of these events by Fariqi, fol. 172].

Unur (of Damascus) surprises Baalbak, forcing its surrender (by its Governor Najm al-Din Ayyûb b. Shâdhi), and makes terms with other cities : a rising in Edessa caused by the Franks is repressed by Sawwâr (A. 75. ʿAdim « Blochet » 5-8) ; Nûr-al-Din (Zangi's son, and ruler of Aleppo) (4), makes an alliance with Unur who was threatening Sarkhad, where the Governor, Altûntâsh (5) hoped te hold the place. against Damascus, with the Franks' support : the forces unite and repel the Franks, and Sarkhad and Busra

---

(1) Vie d'Ousama, 204. n. 2.

(2) Ib. 196-7.

(3) His life, Ibn Khall. I 142, Eng. I.329.

(4) His life, Ibn Khall. II 115, Eng. III.338.

(5) In the text 'al-Yûniás', but « Altûntâsh» in the Kitab al-Raudatain. Ed Cairo I 50, and Hist. Or. Crois. IV 52.

Marfat.com

terms of its surrender (A. 45-6, At. 103-5 ʿAdîm 681). Flight of the Egyptian vizier, Ibn al-Walakhshi (1) to Syria (A. 31).

pp. 267-70.

534. — Zangi proposes the cession to him of Damascus on terms ; death of its ruler, Muhammad ; his son, Abaq (2) appointed successor : Frankish aid is procured by the cession of Bâniâs, and Zangi is forced to retire (A. 48-9, Adim 682) ; fate of the Egyptian vizier Ibn al-Walakshi (A. 32) ; Zangi repulsed from Damascus (A. 49). The vizier al-Zainabi replaced by Nizâm-I-Din Ibn Jahir (A. 50. and 52).

pp. 270-3.

535. — The Franks repulsed at Ascalon; Masyâth (3) surprised by the Qarmathians (A. 52) ; death of an Imâm and his successor.

pp.273-4.

[Note on the Imâm, from Sibt J. (d) p. 107; and on an attempt by Zangi in this year to dispossess Timurtâsh of Mayyâfâriqîn, from Fâriqi, 170r.]:

536. — A raid on the Franks by the Turk Laja, (from Aleppo ; ʿAdim. 683-4) ; warfare between the Sultan Sinjar and the Khafâja tribe (A. 59-60) ; Sinjar's defeat by the Ghuzz (A. 53-7); death of Zangi's vizier, al-Kafratûthi (A. 60, ʿAdim, 984) ; of the ruler of Amid (Aikaldi (4) ; and of the son of Dânishmand (Muhammad, A. 61).

pp. 274-5.

[Note, (p. 174), on the vizier at Amid, Ibn Nisân and his sons, from Fâriqi, ff. 169v and 174a, and on his death, ib. 181r(5)].

537. — Plague in Egypt (A. 61) : Sawwâr checks the Franks of Antioch ; a Byzantine attack : Zangi appoints Ibn Sadaqa vizier (ʿAdîm 984).

pp. 276-7.

538. — Death of the ruler of the Ghuzz ; Zangi's successes in Diyârbakr (A. 62) ; murder of the Saljuq Dâ'ud ; Akiz, an Amir at Damascus, killed ; death of the Count of Anjou, (Fulk), of Jerusa-

---

(1) « Ibn al-Rihîni » in Ibn al-Athir, who says he was the first Egyptian vizier to bear the title of « Malik ».

(2) The name is so written in the autograph Ms. of Ibn Khall. B.M. add. 25735, f. 64v.

(3) Yaqut IV. 556 « Masyâb » or « Masyâf ».

(4) On the name, see p. 26, n. 3.

(5) Recorded Ibn al-Athîr XI 143, where مريد should be مؤيد, as also ib. Index, XIV575. ult.

Marfat.com

Ibn al-Sûfi by permission quits Sarkhad and resumes his position at Damascus ; rejoicings at his return (A. 35) ; a revolt of an Armenian vizier (Abu-l-Muzaffar Bahrâm (1), against Hâfiz of Egypt fails (A. 31) ; the Franks defeated at Tripoli by Bazwâj of Damascus (A. 32, « Nazâwish ») ; capture of the fortress of al-Hattâkh from Ibn Marwân (A. 43). **pp. 261-3.**

[Note on its possessor, from Fâriqi, 168r].

532. — Captures by Zangi ('Adim 674) ; earthqnake (A. 43. Adim 679). dissention between Raymond, and the representative of John Commenos at Antioch ; arrest of Moslem traders there ('Adim 675) ; Bazwâj treacherously killed by Mahmûd who entrusts power to Unur and to Akiz ; a Byzantine attack from Antioch on Shaizar fails. but Bizâ' is taken ; Zangi's movements (A. 37-39, At. 99, 'Adim 675). **pp. 263-6.**

Death of the Qadi Bahâ al-Din al-Shahrazûri (2) (At., 102) ; Emesa ceded by Mahmûd to Zangi. who marries Mahmûd's mother (A. 36, 'Adim 679) ; death of the Caliph Râshid (A. 40), and of the ruler of Badlis and Arzan (A. 43). **pp. 266-7.**

[Note on the succession of these rulers, from Fâriqi, ff. 169-174].

533. — Zangi meets his bride ('Adim 679) ; Frankish raids, and earthquakes (A. 47, 'Adim. 679-80) ; Mahmûd murdered, succeeded by his brother Muhammad from Baalbak ; his mother incites Zangi to avenge him ; he takes Baalbak and violates the

---

فجاءوا به مكتوفاً بين اربعةٍ من الامراء ومع احدهم سيفٌ مجذوب وبيد الآخر شقّة بيضاء فرموا بهِ بين يدى السرير وألقي السيف والشقة عليهِ فقال مسعود : يا امير المؤمنين هذا هو السبب الموجب لما جرى بيننا فاذا زال السبب زال الخلاف وهو الآن بين يديك فمهما تأمر نفعل بهِ . وهو يبكي ويتضرّع ويقول : العفو عند القدرة . فعفا عنه وقال : لا ثرب عليكم اليوم يغفر الله لكم . وتقدّم بحلّ يديه فلما اهلّ هلال ذي القعدة وصل رسول من سنجر يستحثّ مسعود على اعادة الخليفة الى بغداد ووصل معه عسكر فيهِ سبعة عشر باطنياً فخرج السلطان ومن معه لتلقيه فهجمت الباطنية على الخليفة فقتلوه ودفن بمراغة ووصل الخبر الى بغداد فخرجت النساء منشرات الشعور ياطمنّ وبويع للراشد

وفي سنة ٥٢٠ وصل الخبر بقتل دبيس وذلك انهُ عزم على الهرب ووُجد له ملطفة قد كتبها الى زنكي يقول لهُ : لا تجيء وأحفظ نفسك . فبعث اليه السلطان غلاماً وهو في خيمته ضربه على غفلةٍ وهو ينكت الارض فابان راسه وكان بين قتل المسترشد وقتله ثمانية وعشرون يوماً . وجاء مسعود الى بغداد فخرج الراشد من بغداد ثم خُلع ووُلّيَ المقتفي

(1) Ibn al-Athir says that he was pardoned on adopting an ascetic life : Ibn Zâfir, op. cit. 83v, that he was poisoned.

(2) Id. Ibn Khall. I. 242. l. 2. Eng. I 541.

tioch (1) with succour, grants terms of surrender (A. 33. At. 105-109, sub. 534. 'Adîm 672-3). **pp. 258-9.**

Movements of Râshid ; embassy to Zangi from the Greeks ('Adîm 692). Mas'ûd defeats his nephew Dà'ud (A.39). **pp. 259-61.**

[Note on the deposition and death of Râshid, from Fariqi, ff. 166-7. (2).

---

(1) Bohemond II of Antioch had died in 1130 A. D., and two years later the principality was granted to Raymond of Poitou. who had lately arrived in Syria and had married Bohemond's infant daughter. Constance.

(3) The account of the differences between the Caliphs and Sultan contained in this and in the preceding note, and given to Ibn al-Azraq al-Fariqi by an actor in the events within a few years of their occurrence, is consistent both with other histories and with probability. The Sultan wanted a right of veto on the choice of Caliph, but procured instead personal sureties of high standing for his good conduct — security which, in the result, proved but a slender protection. It is interesting to contrast with the foregoing account that given by Ibn al-Jauzi — born, as was Ibn al-Azraq, in 510 A. H. — in the Shudhûr al-Uqûd (Amsterdam Willm. 174. Cat. de Jong. N° 122), which is described in its preface an abridgment of his larger history, the « Muntazam ». The historian's habitual inaccuracy, vouched for by Ibn al-Athir (X. 451) and reinforced in this instance by his love of the marvellous; has resulted in the following fantastic narrative :

خرج المسترشد في سبعة الاف لقتال مسعود وكان في الف وخمسمائة وكان اصحاب الاطراف يكاتبون المسترشد ويبذلون له الطاعة فتوقّف في طريقهِ فاستصلح مسعود اكثرهم وصار في نحو خمسة عشر الف فلما وقع المصاف هرب عسكر المسترشد وأُسر وأُخذت صناديق الاموال وكانت اربعمائة الاف الف دينار وكان الرحل على خمسة الاف جمل واربعمائة بغل وكان معهُ عشرة الاف عمامة وبركان وعشرة الاف قباء وجُبّة ودُرّاعة وعشرة الاف قلنسوة مذهّبة وثلثة الاف ثوب رومي ومُمَزّج وتغبير ودبيقي . ونودي : مَن اقام بعد الوقعة من اصحاب الخليفة قُتل . فهرب الناس فاخذتهم التركمان والاكراد من الجبال وزلزلت الارض مرارًا كثيرة

وجاء كتاب سنجر الى مسعود يقول له : ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب يدخل على امير المومنين ويقبّل الارض بين يديه ويسأله العفو عن حربهِ فانه قد ظهرت عندنا من الآيات السمويّة والارضيّة ما لا طاقة لنا بها من الزلزلة والرياح العواصف فالله الله وسلّم اليه دبيسًا فانه هو الذي احوج الى هذا وأحمل الغاشية بين يديه انت وجميع الامراء كما جرت عادة ابائنا في خدمة هذا البيت . فلما وقف على المكتوب بعث انوشروان ونطوًا الخادم يستأذنان لهُ فاذن فدخل فقبّل الارض ووقف معتذرًا يسأل العفو وامير المومنين مُطرق ساعة ثم رفع راسه فقال : قد عُفي عن دنبك فاشكر الي ذلك وطِب نفسًا . وركب الخليفة الى سرادق ضُرب لهُ ومسعود بين يديه وعلى كتفه الغاشية ويده في بِرَكات اللجام (1) الى ان دخل فجلس على تخت ضُرب لهُ والسلطان قائم . ثم سأله ان يشفعه في دُبيس فاجابه

---

(1) The text has بازكه , but see 'Tabari', Gloss. برك and Professor de Goeje instances also a passage in the 'Naqâ'id', Ed. Bevan, p. ٢٦٩ . 8.

أخاصِم في بِرْذَونٍ ودَمُ قتيبة في بِرَكات قباءي

« I am being taken to task for the theft of a mere hack, whilst the blood of Qutaiba is in the folds of my garment » i. e. on my head.

Zangi advances on Damascus, which resists stoutly ; concession of the right to the 'Prayer' there in the name of Alp Arslân, the Saljuq prince residing at Zangi's court ; Zangi recovers Hamàh (A. 12, 'Adim 669-70). **pp. 247-8.**

Account of Mustarshid's campaign against Mas'ûd ; his defeat and murder by fanatics ; accession of Râshid (A. 14-17. At. 89-90). **pp. 248-50.**

[Note from Fâriqi, ff. 164^{v}-166^{r} narrating these events on the authority of an actor therein. Cf. At., 89-91].

530. — Dubais b. Sadaqa (1) put to death by Mas'ûd (A. 18) ; Emesa surrendered to Mahmûd in person, its governor receiving Tadmor in compensation ; Sawwâr's raids stopped by treaty ; honours to Gumushtikin ; the chamberlain Yûsuf b. Firûz murdered at Damascus by rivals, to whom Mahmûd submits (A. 24-5). **pp. 251-4.**

Flight of Gumushtikin from Damascus to Sarkhad ; Sawwâr's successful raid on Laodicea (A. 25, 'Adim 672) ; darkness at Damascus followed by rains (A. 35) ; Mas'ûd compels his nephew Da'ud and Zangi, who were supporting Râshid against him, to withdraw from Baghdad, whereupon Râshid follows to Mosul (A. 26, At. 92-5. 'Adim 671-2) ; the Byzantine (John Comnenos) attacks the Franks at Antioch ; murder of Ibn al-Sûfi, a leading man at Damascus ; debased coinage issued there. **pp. 255-8.**

531. — Campaign of John Comnenos in Asia Minor (2), and his conquests, including 'Ain Zarba, which had been founded by Ma'mûn (A. 34, 'Adim 673) ; an attack from Damascus on Tripoli ; Zangi attacks Emesa, whose governor, Unur (3), refuses to surrender ; Zangi defeats the Franks and drives the Count of Anjou (Fulk of Jerusalem) into Ba'rin, but on the approach of Raymond of An-

---

(1) His life, Ibn Khall. I 222, Eng. I 505.

(2) Where he carried away prisoner Leo, son of Constantine of the Ruben line of barons in Cilicia. His son Thoros is mentioned on p. 354 infrà.

(3) The name is thus vocalised in the 'Mushtabih' of Dhahabi, Berlin Ms. where 'Lions' is added in the Margin, — see Ed. de Jong 497, n. 3, sub « Mu'in », and see also 'Adim, «Blochet» 8, n. 4. The name occurs in Ibn Khallikan's life of Tutush, but on the margin of the autograph Ms. B. M. add. 25735, fol. 64^{v}, where it has unfortunately been cut off in the binding.

Marfat.com

[Note, another version of the capture of Dubais, from Sibt J. (d) p. 83].

526. — Death of Baldwin du Bourg (King of Jerusalem) at Acre ; Fulk, count of Anjou succeeds (1) ; Bûri dies, of his wound, elegies on him ; rule of Shams al-Mulûk Ismà'îl ; its promise ; he enforces the submission of his brother Muhammad at Baalbek, and takes various fortresses (A. 478-9). **pp. 233-6.**

527. — Dissentions among the Franks ; their reverses at the hands of Sawwâr, governor of Aleppo (2) and others (A. XI. 4, 'Adim 664-5) ; Arab chiefs repressed by Ismâ'il ; he takes Baniâs from the Franks (A. X. 481) : investiture of the Sultan Mas'ûd by the hands of Mustarshid ; he defeats Tughril near Hamadhân (A X. 282-3). **pp. 236-8.**

Ismâ'il surprised Zangi's garrison, and recovers Hamâh (A. XI. 3, 'Adim 666) ; embassy to Damascus from Egypt ; Turkoman attack on Tripoli, and defeat of its ruler (Pons), who retreats to Fort Ba'rin, Mons Ferrandus (A. XI 3-4) ; death of a vizier at Damascus ; warfare between the Franks under Fulk of Jerusalem, and Sawwâr. **pp. 239-41.**

528.— Ismâ'il seizes a fortress between Beyrout and Sidon (A. 5) ; an attempt on his life is cruelly visited on innocent persons (A.4); embassy to Damascus from Baghdad where the vizier Anûshirwân is replaced by al-Zainabi (3) disturbances in Egypt (cf. A. 13). Ismâ'il makes raids on the Franks : Zangi defeats Dâ'ud b. Ortoq at Amid : he appoints al-Kafratûthi vizier (A. 6-7, 'Adîm 666-7) ; death of the Saljuq Tughril (A. 10). **pp. 241-3.**

Note on the cession of Sûr to Timurtâsh, from Fâriqi, 167v].

529. — Yusuf b. Firûz, a Damascus official, escapes to Tadmor in fear of Ismâ'il, whose rule becomes intolerable ; Zangi's designs on Damascus thereby furthered ; Isma'il's mother is appealed to ; his death is decided on, and is brought about by her ; his brother, Shihâb al-Dîn Mahmûd succeeds (A. 11-12. 'Adîm 665-7). **pp. 244-7.**

---

(1) Vie d'Ousama 154. Baldwin's death is sometimes dated in 525), viz. 1130 A. D. Jocelyn died soon after him.

(2) Sawwâr had left the service of Tâj al-Mulûk Bûri for that of Zangi in 524 A. H. — 'Adîm 659.

(3) Anushirwân had been appointed on place of al-Zainabi in 526 A. H. (A. X 480).

Marfat.com

524. — Bûri appoints al-Mufarraj b. al-Sûfi, vizier ; Zangi proposing common action against the Franks, Bûri sends his son Sawinj (1) with a force from Hamâh ; Zangi treacherously arrests him, and seizes Hamâh ; he then attacks Emesa, (arresting its governor, Khair Khân, who was party to his plans) but fails and retires with his prisoners (A. 463-4 (2) 'Adim 660-1) ; the Fatimide Amir murdered by fanatics (3) ; succeeded by Hâfiz, with al-Afdal's son, Ahmad al-Akmal, as vizier, who later is murdered (4) [A. 467-8 and 472]. **pp. 227-9.**

525. — Bûri's vizier proving incompetent, he substitutes a nephew of al-Mazdaqâni ; two Bâtini emissaries attack and wound Bûri ; death of Sultan Mahmûd (5); Mas'ûd succeeds (A. 671). **pp. 229-30.**

Dubais b. Sadaqa escaping from Mustarshid is captured by Bûri ; the Caliph demands his surrender, but Zangi secures him in exchange for his prisoners and for the ransom fixed for Sawinj ; the exchange effected at Dârâ ; the caliph's envoy, Ibn al-Anbâri, surprised on his return journey by Zangi, and his camp pillaged (A. 470-1. At., 83-4, and 'Adim 661-4). Bûri in anticipation of death, settles the succession on his son Ismâ'il. **pp. 230-3.**

---

(1) The word, of Persian origin, signifies « joy ». Vie d'Ousama 192, n. 4.

(2) Ibn al-Athir, 'Atabeks', pp. 70 and 131, records merely the taking of Hamah, omitting the details which he may have judged inconsistent with his estimate of Zangi.

(3) His life, Ibn Khall. II. 168, Eng. III 455. A circumstantial account of his murder is given by Ibn Adhâri 'Bayân al-Mughrib', Ed. Dozy, I. 320, on the authority of the « Muqbisa » of al-Warrâq — to the effect that certain persons having made a vow to kill him for his misdeeds, ten of them went to Egypt for the purpose. They ascertained that on his passage the shops and houses were closed to people and that the escort marched half in front of him and half in the rear, with horsemen equidistant between them and the caliph, on whom four slaves were in close attendance. Entering a bakehouse they pretended to be strangers and to require flour to be baked promptly. On the escort appearing the baker urged them to go, but they gagged him, and one of them approaching the Caliph as a suppliant, managed to stab his horse, which fell, whereupon the rest emerged and killed him. They were all killed themselves, but, says the historian, the world was thus rid of the Fatimide miscreant.

(4) In 526 A. H., Ibn Khall. I 389, Eng. II 180.

(5) His life, ib II 114, Eng, III. 337.

Marfat.com

521 — Mu'in al-Mulk, vizier to the Sultan Sinjar murdered by fanatics (A. 456) ; Mas'ûd of Mosul on his way to attack Tughtakin, dies suddenly outside Rahba, and his troops disperse, Sultan Mahmûd is reconciled to the Caliph and leaves Irâq for Hamadhân (1) : he dismisses a vizier (Shams al-Mulk 'Uthmân b. Nizâm al-Mulk, A. 433 sub. 517 A. H.) ; raids by Baldwin ; Khurlugh Aba expelled from Aleppo by Zangi and killed (A. 45-7).
pp. 216-8.

[Note, p. 217, on the appointment of Zangi (2) to succeed Mas'ûd at Mosul from Fariqi, 163r. For what followed thereon see A. 453-6, and « Atabecs », Recueil. Hist. Crois. Or. II. p[t] 2, pp. 62-5, where the « Baghdâd » of the text should be retained—see Abul-Fida, ed. Stambûl II. 250].

522. — Illness of Tughtakin ; he settles the succession and dies : regret for him ; Bûri, his eldest son, succeeds (A. 470) : unoccupied and desert sites near Damascus sold, with the Caliph's assent, to provide funds against the infidels : Bûri rules well, retaining the vizier and other officials. **pp. 218-20.**

His resolve to suppress the Bâtini sect ; they increase in number and are favoured by the vizier, al-Mazdaqâni : their chief, Bahrân, brings about the murder of a leading inhabitant, whose relations seek revenge : the Bâtini are surprised and Bahrân is killed : Isma il succeeds him ; popular clamour leads Bûri to have the vizier murdered, in 523 A. H., the sect is suppressed, and its leader executed : Isma'il surrenders their fortress of Banias to the Franks, and his party go over to them (A. 461-2). Death of Ibn Sadaqa the vizier at Baghdad, greatly regretted : he is succeeded by Ali b. Tirâd al-Zainabi (A. 459-60). Death of Bûri's mother.
pp. 220-4.

[Note on the founding of Mazdaqâni's Mosque, from Sibt J. (d) p. 81].

523. — The Franks advance against Damascus ; Bûri prepares to repel them ; he defeats a detachment under Galeran at Buraq, the rest retreat, and their camp is pillaged : rejoicing at Damascus (A. 463). **pp. 224-7.**

---

(1) This incident is told in similar language in the Saljuq history « Zubdat al-Tawârikh » B. M. Stowe. Or. 7. fol. 55[a].

(2) His life Ibn Khall. I 341, Eng. I 529.

Marfat.com

ches Tyre and seizes the governor appointed by Tughtakin (A. 437) : Jocelyn and his nephew Galeran captured by Balak b. Ortoq (A. 418-9 sub 515, 'Adim. 633-4) : death of Il Ghâzi, and succession of his two sons (A. 426, 'Adim. 634). **pp. 206-8.**

[Note, pp. 206-7, on the vizier al-Sumairami, and his victim al-Tughrâ'i, from the 'Dhail. of al-Sam'âni : on the vizier's death from a Suljuq history, quoted Sibt J. (c) fol. 299, and ib. (d) pp. 56 and 67 ; and p. 208, from Fariqi, 162r on Il-Ghâzi and his sons].

517. — Warfare between Mustarshid and Dubais (A. 428) ; Badr al-Daula (Sulaimân) of Aleppo makes terms with the Franks (A. 430, 'Adim 631) ; Baldwin du Bourg captured by Balak (A. 433, 'Adim. 635) ; Tughtakin surprises Emesa (A. 435-6) ; Aleppo surrendered to Balak (A. 431, 'Adim. 636) ; an attack by the Lawâta tribe on Egypt from the west repulsed (A. 434-5) ; naval battle between the Egyptians and Venetians (A. 436) ; Al-Bâra taken, and al-Athârib recovered by Balak. **pp. 208-9.**

Jocelyn, with others, escapes from prison (A. 433, 'Adim 637); Mahmûd of Hamâh killed at Apamea (1) (A. 436) ; Saljuq strife ; Moslem defeat at 'Azâz by the Franks. **pp. 209-10.**

518. — A Qadi murdered at Hamadhân by fanatics (A. 444, sub. 519) ; Tyre capitulates to the Franks on terms (2) (A. 437) ; they attack Aleppo, but retreat before al-Bursaqi of Mosul, who occupies the place (A. 439-10, 'Adim 640, and 719-22) : drought in Syria (A. 440). **pp. 210-12.**

519. — Fall of the Egyptian vizier, al-Bata'ihi (A. 443) : indecisive warfare between Tughtakin and the Franks (A. 450-1, sub. 520). **pp. 212-4.**

520. — Aq Sunqur al-Bursuqi murdered at Mosul by fanatics (3) : his son Mas'ûd succeeds (A. 446-7) ; Tadmor submits to Tughtakin : his failing health : the Bâtini sect gain lead in Syria, and are favoured by by the vizier al-Mazdaqâni (A. 445-6, in error « Marghiani »). Dissension between Mustarshid and the Sultan Mahmûd allayed by the Caliph's vizier, Ibn Sadaqa (458-50) ; the Franks take Rafaniyya (A. 451 'Adim 652). **214-6.**

---

(1) Vie d'Ousama, 128-31.

(2) Ibn Zâfir says, op. cit. 77v ; — والوالى بها القاضي الاعزّ ابن اللبان من قبل ظهير الدين اتابك طُغتكين.

(3) His life, Ibn Khall. I. 98, Eng. I 227, and Ibn al-'Adim, Hist. Crois. Or. III, 716.

Marfat.com

Mas'ûd at Hamadhân (A. 396) ; a truce between Il-Ghâzi and the Franks ; Dubais forced to fly to Qal'at Ja'bar (A. 398, 'Adîm. 626); a hurricane ; Jocelyn makes a raid on the Turcomans at Siffin, and takes Buzâ'a (A. 414). **pp. 202-3.**

515. — Al-Afdal, the Egyptian vizier, murdered by order of Amîr (1) ; the planning of the deed ; al-Batâ'ihi succeeds him (A. 416-7). **pp. 203-4.**

[Note on the rise of al-Batâ'ihi from B. M. Or. 3006-262^{v}].

The Georgians (under David the Restorer) defeat the combined Moslem forces under Il-Ghâzi and take Tiflis ('Adîm. 628) ; a hurricane in Egypt (A. 421). **pp. 205-6.**

[Note from Fâriqi ff. 161-2 on this campaign, and how the historian visited the battle field in 548 A. H., together with his description of the handsome treatment accorded to Moslems by the Georgian sovereigns (2)].

516. — Dubais threatens Baghdad, but is attacked and defeated by Mustarshid (A. 428-30) ; the Sultan Mahmûd puts to death his vizier (al-Sumairami). (A. 424) ; death of the vizier Ibn al-Mausûl at Aleppo ('Adîm. 631) ; floods at Qal'at Ja'bar (A. 427) ; Il-Ghâzi makes raids on the Franks ; an Egyptian fleet rea-

---

sought against Balak by Mankûjak, ruler of Arzanjân and Kamâkh, towns on the left bank of the upper Euphrates. — Yâqût IV. 304. Their defeat is mentioned in the chronicle of Michael of Antioch—see extract in Recueil Hist. Crois. Doc. Arméniens I. 333. In this text, as also in Ibn al-Athir X. 414, اندكان should be read ارزنجان , as pointed out by Houtsma in « La Dynastie des Benu Menguéek », — Rev. Orient. pour les Etudes ouralo-altaïques. Budapest 1904, Vol. V. 277, — where he refers to the history of Munajjim Bâchi, Stambûl 1285, II 578. Of this work the Arabic original exists there in Ms., كتبخانه عمومى Cod. N° 120/5018, and I have been furnished by M. Max Van Berchem with the following extract on this dynasty :

دار ملكهم ارزنجان وابتداء ظهورهم ٦٦٤ تقريبًا وانقراضهم في سنة ٦٢٥ .... اولهم الامير منكوجك الغازي وكان قد ملّكه السلطان الب ارسلان في سنة ٦٦٤ ارزنجان وكماخ وكوغونية وبلاد ارمينية وكان شجاعًا شهمًا عاقلًا حازمًا ذا رأى مصيب في الحروب وكان يغزو كفار الكرج والابخاز والروم تارة مجتمعًا الدانشمندية وتارة منفردًا مع عسكره الى ان مات فتوفّى بعده اولاده واحد بعد واحد.

(1) Life of al-Afdal, Ibn Khall. I 277, Eng. I 612.

(2) This account is given by Brosset, (Hist. Géorgie I. add. 240) from the history of al-'Aini (Brockelm II. 52)., who quotes it from Sibt ibn al-Jauzi, who, again, derived it from the history of Ibn al-Azraq al-Fâriqi.

Marfat.com

liance with Aq Sunqur (al-Bursuqi of Mosul) ; rejoicings at Damascus ; Ahmadil of Marâgha murdered at Baghdâd by a fanatic (A. 361). Lu'lu' of Aleppo murdered ('Adim. 619). pp. 197-8.

511. — Death of the Shihna of Damascus : and of the Saljuq Muhammad (1) ; Mahmûd succeeds (A. 367) ; surrender to the Franks of the fort of al-Qubba at Aleppo ; attacks on the place by Aq-Sunqur and by Il-Ghâzi fail (A. 372, and 'Adim, 612-3) ; a Frankish raid on Hamâh ; deaths of the 'Inûqas' of Antioch (? Roger) ; of the Greek Emperor Alexius, who is succeeded by his son John Comnenos (A. 373), and of Baldwin of Jerusalem (2) who is succeeded by the Count (of Edessa, his nephew Baldwin du Bourg) (A. 381). pp. 198-9.

512. — Tughtakin combines with Il-Ghâzi to repel the Franks' attaks (A. 382) ; death of the Caliph Mustazhir and succession of Mustarshid (A. 374). pp. 199-200.

513. — Il-Ghâzi surprises and crushes the Franks at Dânith (3) near Aleppo, Roger of Antioch being killed (A. 389-390) ; Il-Ghâzi neglects to seize Antioch ('Adim 617-9) ; death of Tughtakin's wife, the mother of Duqâq, her character and ability ; meeting of the Sultans Mahmûd and Sinjar (A. 389) ; opening of the tombs of the Patriarchs Abraham, Isaac and Jacob (A. 394) (4). pp. 200-2.

514. — Il-Ghâzi remits taxes at Aleppo and at Mâridîn ; he destroys Zardana ('Adim. 625) ; Balak b. Ortoq defeats at Sarmân (5), the Byzantine 'Afrâs (6) (A. 414) : victory of Mahmûd over

---

(1) His life, Ibn Khall. II. 61. Eng. III. 232.

(2) The story of Baldwin's raid into Egypt and his death on the return is told by Ibn Khall. II 168, l. 3. a. f., Eng. III. 456, and in similar terms by Ibn Zâfir, op cit. 79, who adds that his death took place at Hawar before reaching al-'Arish, and that at Farama he had slaughtered an impotent man with his daughter in his arms. In his text for حشوته (Ibn Khall.) he substitutes مصارينه

(3) Rather at al-Bal'a, north of al-Athârib ; Dânith was the scene of the indesisive action two months later : see Vie d'Ousama, p. 112 n. 2.

(4) In this one instance Ibn al-Athir quotes the author by name as his authority ; Abû'l-Mahâsin and Sibt ibn al-Jauzi do likewise— Hist. Or. Crois. III. 499 and 562. On the visit to these tombs by 'Ali of Herat in 567 A. H. see G. le Strange « Palestine under the Moslems », pp. 316-18, and Yâqût, Mu'jam al-Buldân, II. 468.

(5) Cf. Crois. Or. I. 341. n. 2.

(6) Viz' Theodore Gavras, duke of Trobizond. His assistance had been

Marfat.com

ned by Maudûd and together they defeat Baldwin near Lake Tiberias early in 507 A. H.: the Franks retire to the shelter of the hills : tardy succour comes from Aleppo (A. 346-7, 'Adîm. 602) ; the Moslem forces disperse : Maudûd visits Damascus and inspects 'Uthmâns Qurân in the Mosque. **pp. 184-7.**

[Note on the transfer of this Qurân from Tiberias in 492 A. H., from Dhahabi (c)].

507. — Maudûd of Mosul murdered at the Mosque of Damascus by a Bâtini fanatic (A. 347-8) : grief of Tughtakin : character of Maudûd's rule. **pp. 187-8.**

Al-Afdal's courteous reply to Tughtakin concerning Tyre, to which he sends supplies ; its governor Mas'ûd makes a favourable truce with Baldwin. **pp. 188-9.**

Death of Ridwân of Aleppo : his son Alp Arslân succeeds with the slave Lu'lu' as his adviser : their cruelty : repression of the Bâtini sect (A. 349, 'Adîm 602-4) ; Alp Arslân seeks guidance from Tughtakin, and they exchange visits : Tughtakin, disgusted at his rule, leaves accompanied by Ridwân's mother ('Adim. 604-5); peace made with Baldwin ; a Bâtini attempt on Shaizar foiled (1). **pp. 189-90.**

508. — Alp Arslân of Aleppo murdered by Lu'lu' (A. 356. 'Adîm. 606). Il-Ghâzi surprised and captured near Emesa, but released (A. 352) : Death of Baldwin (2). **pp. 191-2.**

[Note on the death of a Shaikh to Ibn 'Asâkir, from B. M. or. 3006, f. 256r].

509. — Rafaniyya taken from the Franks by Tughtakin (A. 358-9) : his reputation having aroused jealousy at the Sultan's court, he proceeds to Baghdâd where he is well receved (A. 360) ; he returns to Damascus with a grant of full powers ; the patent as drawn up by al-Tughrâ'i (3) set out. **pp. 192-7.**

[Note. p. 193, on al Tughrâ'i and his grandson, from Sibt J. (c), 299r].

510. — Bertram (4) of Tripoli defeated by Tughtakin in al-

(1) On the date of his event, see Vie d'Ousama, 78. n. 2.
(2) Repeated infrà, and correctly, sub 511. A. H.
(3) His life, Ibn Khall. I. 200. Eng. I. 462.
(4) An error for his son Pons, who had succeeded him in 505 A. H.

Marfat.com

rulers unite at Harrân, invade Syria, and besiege Tall Bâshir ; Sukmân falls ill, and Ahmadîl (of Marâgha) coveting his fief, is persuaded by Jocelyn to retire ; the rest proceed to Aleppo, where Ridwân refuses them admittance ; they are joined by Tughtakin (cf. A. 341) ; Sukmân dies, and Tughtakin, distrusting his allies, unites with Maudûd ; the Franks attack Shaizar and retire (1) (A. 340-2). **pp. 173-7.**

[Note, page 175-6, on Sukmân's conquest of Mayyâfâriqin in 502 A. H., and on its subsequent history, until transfered in 512 to Il-Ghâzi b. Ortoq ; from Fâriqi, f. 158-61].

505. — The Franks attack Tyre ; no help coming from Egypt, Tughtakin is appealed to ; he attacks the besiegers, and intercepts their supplies ; incidents of the siege ; the Franks retire ; disinterested conduct of Tughtakin [A. 342-4]. Death of Bertram, son of Raymond and ruler of Tripoli ; his son (Pons) succeeds under the protection of Tancred of Antioch ; pestilence in Egypt ; the Sultan Muhammad in Baghdad ; Maudûd surprised and defeated by Jocelyn near Edessa [A. 345]. Death of Qarâjâ of Emesa ; his son Khair-Khân succeeds. **pp. 178-82.**

506. — Tyre, in fear of the Franks, offers to submit to Tughtakin: in his absence, his son Bûri takes possession, but Tughtakin disclaims wishing to oust the Egyptians; a caravan for Egypt surprised by Baldwin near Jerusalem (A. 349) ; Tukush, son of Alp Arslân, takes refuge with Tancred ; the latter dies whilst on the way to seize the territory of the deceased Armenian Prince Kogh Vasil (2) ; his nephew Roger succeeds him (A. 345-6). **pp. 182-3.**

Tughtakin and Maudûd combine to repel Frankish raids on Damascus ; they fall under suspicon at the Sultan's court : Tughtakin rejects terms offered by Jocelyn of Tall Bâshir (3) ; he is joi-

---

(1) Vie d'Ousama, 89-92.

(2) The name signifies « Basil the Robber », and was intended to signify the suddenness of his warfare. He ruled 1082-1112 A. D. over a small principality north of Comagene, and had dealings with the Crusaders, ransoming Bohemond from Ibn al-Dânishmand (Gumushtakin) of Sebaste in 1103 A. D. — See Chronicle of Matthew of Edessa, transl. Dulaurier, Paris, 1858, p. 413 n. — In that text —pages 280-2 — the attack by Tancred is made to take place some few months before the prince's death, and to have been terminated by a peace.

(3) Jocelyn had been deprived of the fief of Tall Bâshir by Baldwin of Edessa, and as stated in the text, had been granted Tiberias by Baldwin of Jerusalem.

Marfat.com

[Note on the surrender to Sukmân, and his death, from Fariqi f. 158-9].

503. — Terms agreed on between Tughtakin and Baldwin ; the Sultan delaying operations against the Franks, Tughtakin starts for Baghdad with Ibn 'Ammâr, but turns back on a rumour of an intention to supersede him in Syria ; Ibn 'Ammâr goes on and is well received in Baghdad (1) : Tughtakin distrusting Gumushtikin of Baalbek, compels him to surrender the place, and to accept Sarkhad in its stead (2). **pp. 165-7.**

[Note on the building of Sarkhad. 422 A.H. from Sibt J. (c)].

Death of Ibrâhim Inâl of 'Amid. his son (Aikaldi) (3) succeeds (A. 336). Frankish attack on Syrian fortresses : Beyrouth taken, succour from Egypt arriving too late ; Kanja. attacked by the Georgians, is relieved by the Sultan ; the Ghuzz repulsed from the Oxus by Sinjar. **pp. 167-8.**

A combined attack organised against the Franks ; the allies lay siege to Edessa ; the Franks also combine, cross the river and reinforce Edessa ; the Moslem attack fails and Tughtakin and Ridwân retire ; the Franks attack Aleppo, and al-Athârib is taken by Tancred (A. 338, 'Adim 596-8) ; Sidon surrenders to Baldwin (4) [A. 336]. **pp. 168-71.**

504. — Egyptian merchandize captured by the Frankish fleet; the governor of Askalon intrigues with Baldwin. and the vizier al-Afdal in order to prevent the surrender of the town conciliates him, but he is murdered by revolting troops (A. 337) : a severe storm in Egypt (A. 340) ; a deputation from Aleppo to Baghdad on the subject of their sufferings at the hands of Franks. coincides with the arrival of the Sultan's daughter, wife of Mustazhir, and of a Byzantine embassy to solicit joint action against the Franks (5) (A. 339, 'Adim 598-9). **pp. 171-4.**

Baldwin violates the truce with Tughtakin : they agree on a partition of the revenue of the district ; joint operations against the Franks ordered by the Sultan ; Maudûd of Mosul and other

---

(1) Vie d'Ousama, 83.

(2) Ib. 178. n. 2.

(3) I am informed by M. Max Van Berchem that in the inscriptions on the Mosque at Amid this name appears, in most cases, as ' Il-Aldi '.

(4) Vie d'Ousama, 86-8.

(5) ib. 89.

Marfat.com

[Note on this event from the Zubdat al-Tawârikh, fols 45-6, and on the erection of the stronghold, from Sibt J. (e)].

Circular letter of announcement from the vizier Hibbat Allah b. Muhammad b. al-Muttalib. pp. 152-5.

The Sultan, appealed to by Ibn 'Ammâr for aid against the Franks, sends a force under Jâwali, and orders his vassals to aid him : Jakarmish of Mosul resists, but is defeated and killed (A. 291-4) : his party call in Qilij Arslân who advances to Nasibin, but is defeated by Jâwali and drowned ; Rahba and Mosul submit to Jâwali. (A. 295-8). The Ispahbad (Sabâwû, A. 318) visits Damascus. pp. 156-9.

[Note on Qilij Arslân's rule at Mayyâfâriqin, from Fariqi, 158v].

501. — The Franks attack Tyre and are bought off (A. 318); defeat and death of Sadaqa b. Mazyad : his character (A. 312-3) ; the Amir Maudûd, by the Sultan's order, seizes Mosul and expels Jâwali (A. 319-20). pp. 159-60.

Ibn Ammar, hard pressed in Tripoli, seeks aid from the Sultan and proceeds to Baghdad with Tughtakin's son, Bûrî : assistance is promised ; in his absence Tripoli appeals to the Egyptian vizier, al Afdal, who sends a governor with supplies (A. 315-7). Tughtakin attacks Tiberias and captures the Frank commander, Gervase ; the Sultan remits taxes (A. 317) ; fire at Baghdad (A. 318) ; the Bâtini sect repressed at Alamût ; Baldwin attacks Sidon and retires (A. 318). pp. 160-2.

502. — Tughtakin attempting to secure 'Arqâ, is defeated and the place surrenders to the Franks (1) (A. 328) ; his vizier put to death ; Bertram son of Raymond, arrives with a force; dissention between him and his cousin William of Cerdagne ; Tancred and Baldwin arrive also, and Tripoli is taken (2) ; succour from Egypt comes too late ; the Franks take Bânias and Jubail (A. 333-4) ; Mayyâfâriqin taken by Sukman of Akhlât ; Bohemond of Antioch pays homage to the Byzantine Emperor (Alexius) : truce between Baldwin and Tughtakin ; Ibn 'Ammâr joins Ibn Munqidh at Shaizar (3) (A. 335). pp. 162-4.

---

(1) Under William Jordan, of Cerdagne, Raymond's nephew and successor.

(2) On this date see Vie d'Ousama. 80 n. 5.

(3) Ib. 82.

Marfat.com

590-1) ; the coast towns of Syria relieved by an Egyptian fleet (A; 250) ; advance of the Saljuq of Rûm. **pp. 142-3.**

497. — St Gilles (Raymond) aided by a Frankish fleet fails at Tripoli ; but takes Jubail ; Sukmân b. Ortoq and Jakarmish of Mosul advance against Edessa and defeat Bohemond and Tancred (1) (A. 256-7, 'Adîm 592) ; Acre surrenders to Baldwin, and its governor takes refuge in Damascus (A. 255). **pp. 143-4.**

Death of Duqâq ; his son Tutush succeeds under the guardianship of Tughtakin ; his careful rule ; he confirms the sons of Muhammad b. al-Sûfi in office at Damascus, and recalls Duqâq's brother, Artâsh, (2) from exile in Baalbak ; Artâsh intrigues with Baldwin, and escapes from Damascus ; death of Tutush. (A. 258) ; Ibn 'Ammâr of Tripoli surprises a fortress erected by Raymond and destroys it ; Bohemond goes to seek aid from Europe (3) ('Adîm 593). **pp; 144-6.**

498.— Illness of Tughtakin ; he summons Sukmân b. Ortoq to succeed him, then regrets this (4), and is relieved by news of Sukmân's sudden death (A. 268) ; death of Raymond (of Toulouse, « St Gilles ») : Saljuq attack on Mosul (A. 262) ; death of Barkiyârûq (A. 260) ; his brother Muhammad expels the Amir Ayyâz from Baghdad and kills him (A. 264-7). **pp. 146-7.**

Tughtakin seizes Baalbak, and Rafniyya : Ridwân attempting to relieve Tripoli. is defeated by the Franks ('Adim, 593) ; an indecisive battle between them and the Egyptians outside Ascalon (A. 271) ; Tughtakin takes Busra (A, 281). **pp. 148-9.**

499. — Tughtakin takes a Frankish stronghold (A. 275) ; Khalaf, ruler of Apamea. murdered by fanatics, and the town acquired by Tancred (A. 281-3, 'Adim 594-5) ; an advance on Edessa by Kilij Arslân of Rûm checked by his illness ; Tughtakin's success at Busra. **pp. 149-50.**

500. — Warfare between Tughtakin and the Franks near Tiberias ; the Bâtini suppressed by the Saljuq Muhammed, and their stronghold, near Isfahân, taken (A. 299-302). **p. 151.**

---

(1) Vie d'Ousama, 73.

(2) Written « Baktâsh » in Ibn Al-Athîr X. 258, and « Baltâsh » in Abu-l-Fidâ, Ed. Stambûl, 1286, II. 228.

(3) He never returned and died six years later in 1111 a. d.

(4) The proverbial saying of « al-Kusa'i's repentance » is explained in Baihaqi's « al-Muhâsin wa'l-Masawi » Ed. Schwally, 1902. pp. 323-5.

(5) Vie d'Ousama, 74.

Marfat.com

surprise and defeat al-Afdal near Ascalon (1) (A. 193-4).

pp. 136-7.

[Note, (p. 136), on the Franks' conquest from Fariqi. 157r.].

493. — Bargiyâruq, after losing Isfahan to his brother Sinjar, retires to Baghdad (A. 195). Duqaq advances to Mayyâfâriqin; Behemoud defeated and taken prisoner by (Gumushtakin) b. Danishmand (A. 204); lowering of prices in Iraq (A. 203).

pp. 137-8.

[Note on the political state of Mayyâfâriqin and its neighbourhood after the death of Tutush, from Fariqi 157r, and id. earlier version, 95r].

494. — The Franks defeat Suqman b. Ortoq at Sarûj. Godfrey attacking Acre is killed by an arrow (2); Baldwin (of Edessa, his brother), succeeds him at Jerusalem: Haifa and Corsarea taken by the Franks. Arsûf submits (A. 222); Barkyâruq defeats Sinjar and captures and kills his vizier Mu'ayyad al-Mulk (A. 205-6); fall of 'Amid al-Daula b. Jahir (3), vizier to Mustarshid (A. 203); Jabala ceded to Duqaq, its ruler retiring to Baghdad, but owing to the misgovernment of Tughtakin's son, Bûri, it submits to Ibn 'Ammâr of Tripoli (A. 211-2). An Egyptian force attacks the Franks, and whilst losing its general, is victorious (A. 240-50 Sub. 496; death of Karbûqâ of Mosul (A. 234, sub. 495).

pp. 138-40.

495. — Disorder in Khurâsân etc.: the Franks fail to take Beyrout (A. 238); but are victorious at Antartûs near Tripoli over troops from Damascus and Emesa (A. 236-7); death of the Fatimide Mustaʿli (4); his son Amir succeeds (A. 224); Baldwin defeated by an Egyptian force near Ascalon and wounded (A. 238).

pp. 140-1.

496. — Rahba captured by Duqâq (A. 240); Janâh al-Daula of Emesa murdered by Bâtini fanatics; the city in alarm submits to Duqâq; the origin of the Bâtini movement in Aleppo. (ʿAdim,

---

(1) Ibn Zâfir, op. cit. 75r says:

فجمع جموعه واحتفل واحتشد وسار الى الشام ولقي الفرنج بالحوض المعروف بالبصة فهزموه هزيمة فاضحة حتى لم يبقى معه احد ورجع الى مصر وقد استحكم يأسه من بقاء الساحل في ايدي الساحيين ولم يغزهم بنفسه بعدها.

(2) He died, in fact, of the pestilence, after some week's illness.

(3) Dated in 492 by Ibn Khall. II, 90, l. 22, Eng. III 286.

(4) His life, Ibn Khall. I, Eng. I 159.

Marfat.com

Tutush (1) defeated outside Rayy by Barkiyâruq and killed. (A. 166-7). **pp. 128-30.**

[Note (p. 129) on the site of the battle near Rayy from the "Zubdat al-Tawârikh" — B. M., Stowe, or. 7. 43v.].

488. — Ridwân and Duqâq, son of Tutush, retire to Aleppo, whence Duqâq escapes and seizes Damascus, (A. 167-9); Turkish raid on the ruler of Mecca. Ibn abi Shaiba (2). **p. 130.**

The Amir Tughtakin arrives in Damascus, his previous employment by Tutush: made prisoner at his defeat, he is now released and entrusted with the government of Damascus (A. 169).

489. — An attack by Ridwân is repulsed; a death; Yâghi-Siyân withdraws to Antioch. **pp. 130-2.**

[Note (p. 131) from Fariqi, 152v on Tughtakin's career in Diyârbakr].

490. — Conjunction of planets (A. 177). Dissention at Aleppo; Janâh al-Daula, Atabek to Ridwân, seizes Emesa; Ridwân aided by Yâghi Siyân of Antioch, attacks Damascus: he acknowledges the Fatimide Caliph; the Egyptians take Tyre (A. 183-4).

p. 133.

First invasion by the Franks; their victories; Antioch threatened; they avoid ceding Nicœa to the Byzantines, as promised (A. 185-7); a popular ringleader killed at Aleppo (A. 174). **pp. 134-5.**

491. — Treason in Antioch: its surrender; flight and death of its ruler Yâghi Siyân (A. 187-8, 'Adim 580-1), capture of Jerusalem by the Egyptians under al-Afdal (in 489, A. 193) (3); a Moslem attempt to recapture Antioch fails (A. 189-90). **pp. 135-6.**

492. — The Franks capture Ma'arrat al-Nu'man, Adim 587, (sub. 491 A. 190); and Jerusalem ('Adim 588, A. 193-4); they

---

(1) His life, ib. I, 118, Eng. I, 273.

(2) By Ibn al-'Athir, (X. 163) the leader of the attack to be is called « Ibn Sâwatakin » — the name given both in his text p. 169 and here, to the commander of the troops at Damascus. And the name the ruler of Mecca should be — not Qâsim but Muhammad Tâj al-Ma'âli; — see the note to p. 125 ante.

(3) In 401 A. H. also by Ibn Zâfer, op. cit., 75r, who adds :

ولم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج ولو تُرك في ايدي الارتقية كان اصلح للمسلمين ولما ملك الافرنج القدس ندم الافضل حيث لم ينفعه الندم لانه كان احب نزولهم الساحل ليكونوا مانعين من قصود الترك الى ديار مصر.

Marfat.com

482. — Malik Shâh takes Samarqand (A. 113) ; the Egyptians take Tyre and other towns (A. 116-7). Aq Sunqur suppresses brigandage (A. 119).

483. — Tutush takes Emesa from its ruler, who later acquires Apamea.

484.— Earthquakes in Syria (A. 135) ; Aq Sunqur takes Apamea ; death of the Sultan's nominee at Samarqand. **pp. 120-1.**

485. — A conjunction of the planets ; murder of Nizâm al-Mulk (1) (A. 137, At. 19) followed by the death of Malik Shâh, (A. 142, At. 22) ; Tutush takes Rahba ; his clemency (A. 149). The Oqailid Ibrâhim gets possession of Mosul (A. 150) ; Tutush takes Nasibin ; outrages by his troops (A. 149). **pp. 121-2.**

486. — He defeats and kills Ibràhim, and takes Mosul ; outrages occur there also ; he takes Amid, Mayyâfâriqîn, and other towns, and aims at the Sultanate ; Aq Sunqur and Bûzàn support Barkiyâruq, and Tutush retires to Damascus ; an Egyptian force takes Tyre (A. 150-2). **pp. 123-4.**

[Note on Tutush' rule in Mayyâfâriqin from Fâriqi, 157ᵛ].

The Damascus Pilgrims are illtreated by the ruler of Hegra (A. 153). **p. 125.**

[Note on the identity of this ruler from the 'Umdat al-Tâlib, Lith. p. 120, and the notice of his death in 487 A. H. from Dhahabi (c) 207ᵛ, where the words وجرائر هؤلاء should be repeated in the last line of the text].

487. — Death of the Caliph Muqtadi, Mustazhir succeeds ; Tutush defeats and kills Aq Sunqur and Bûzân, takes Aleppo, and advances against Barkiyârûq (A. 155-8, At. 28-9). Earthquakes in Syria (A. 162) ; Tutush defeats Bargiyâruq , he is acknowledged as Sultan at Baghdad (A. 159). **pp. 125-7.**

Death of the Egyptian vizier Badr al-Jamâli, followed by that of Mustansir ; (2) Musta'li succeeds, power being exercised by Badr's son, al-Afdal ; he suppresses a revolt by Nizâr, son of Mustansir (A. 160-2). **pp. 127-8.**

[Note on Nizâr, and his acknowledgment by the Isma'ili sect, from Fâriqi f. 157ʳ, and id. early version, ff. 92-4].

---

(1) His life, Ibn Khall. I, 179 Eng. I, 413 and that of Malik Shâh, ib. II 161. Eng. III, 440.

(2) His life, Ibn Khall. II 135 Eng. III, 381, and on Nizár ib. Eng. I. 160. n.

Marfat.com

tacks from the history of Muhammad b. Hilâl al-Sâbi (1) ; and an anecdote by Ibn 'Asâkir on Ibn Munqidh and Ibn 'Ammâr of Tripoli, as told by his grandson Muhammad b. Murshid].

475. — Muslim attacks Damascus, but retires in haste to protect his own territory ; Aleppo taken by the Sultan Malik Shâh (A. 78-82). **pp. 114-5.**

[Note (p. 115) from Sibt J. (c) 176r on Muslim's intrigues at Antioch with Egypt, cf. A. 90].

476. — A revolt at Harrân suppressed by Muslim (A. 83-4). **pp. 116-7.**

[Note, account of the siege and capture of Harrân, from Sibt J. (c) 179r].

477. — Antioch taken by Sulaimân b. Qutalmish (A. 89). Muslim defeated at Amid by a Turkish force, (A. 86) ; he attends the Sultan's Court (A. 88). **p. 117.**

478. — Muslim defeated and killed by Ibn Qutalmish, who fails to take Aleppo (A. 90-1). Defeat of the Christians in Spain (Battle of Zallâca (2), A. 99-102, sub. 479).

479. — The Sultan Malik Shâh abrogates unlawful taxes on traders ; Mahdiyya taken by the Christians : Ibn Qutalmish defeated and killed by Tutush, who attacks Aleppo, but retires before Malik Shâh (A. 99-100, At. 16).

480. — Aq Sunqur (3) father of Zangi, named governor of Aleppo ; his good rule (A. 98).

481. — Malik Shâh attacks Samarqand ; death of Ak Sunqur's wife from an accident ; he attacks Shaizar and then comes to terms with Ibn Munqidh (Nasr) (4) (A. 111). **pp. 118-20.**

---

(1) The text of this letter appears, in a condensed form, in « Abulfidæ Annales ». Ed. Reiske, III. 549-551, where it is quoted from Ibn abi-l-Damm (d. 642 A. H.), but the Stambûl text of Abu'-l-Fida — ed. 1286. III. 33, omits it, and gives in its stead a quotation from the autobiography of Usâma which does not occur in Derenbourg's text (see p. 68. n. 5). The Bishop is there stated to have continued until his death to reside at Shaizar under Ibn Munqidh's rule.

(2) On this battle see Ibn Khall. in the life of Yûsuf b. Tâshifin, II 483-4, Eng. IV 452-6, and on site, C. F. Seybold in Rev. Hispanique, T. XV.

(3) His life from Ibn al-'Adim, Hist. Crois. Or. III 703, and Ibn Khall. I 98, Eng. I. 225.

(4) Vie d'Ousama, 28 ; dies 491 A. H., — ib. 30.

Marfat.com

466. — A fortress taken by the Mirdasid : floods at Baghdad ; accession of the Sultan Malik Shâh (A. 62). p. **106.**

467. — Death of the Caliph Qâ'im (A. 64) ; his ill-treatment by al-Basâsiri ; the intercessory letter which he suspended in the Ka'ba ; Muqtadi succeeds; death of the Mirdasid Mahmûd, and succession of his son Nasr : congratulatory line by Ibn Hayyûs (1). pp. **107-8.**

468. — Zain al-Daula succeeds Mu'alla as governor ; famine and disorder enable the Turk Atsiz to obtain possession of Damascus, which is thenceforth lost to the Fatimides (A. 67) : the Mirdasid Nasr b. Mahmûd murdered by Turkish soldiers ; reforms by Atsiz at Damascus. pp. **108-9.**

469. — Atsiz attacks Egypt, but is repulsed by Badr and retires to Damascus : his unpopularity. pp. **109-12.**

Note on the defeat of Atsiz, his subsequent movements, and the desolation of Damascus, from Sibt J. (c. 166a (2).

470. — The Saljuq Tutush invades Syria, assisted by the Oqailid Muslim : he fails at Aleppo, and an Egyptian force fails at Damascus.

471. — Atsiz hard pressed by the Egyptian force, surrenders Damascus to Tutush, who later puts him to death ; Tutush rules well ; he attacks various towns (A. 72). p. **112.**

472. — Aleppo surrendered to the Oqailid Muslim (A. 73) ; Syria prosperous ; disastrous Turkish raid on the Byzantines.

474. — The stronghold of Shaizar sold to Ibn Munqidh by its Bishop (3). p. **113.**

[Note from Sibt J. (c. 172v giving the text of Ibn Munqidh's letter announcing this event, and how he checked Muslim's at-

---

and the booty taken included a jewelled cup. Later the Sultan married Takin's sister. And in her outfit was found the cup, which the Sultan considered to be a reminder of his son's defeat, and he accordingly attacked Takin. Yusuf's fortress is here called « Birûn ».

(1) The line appears, with variants, in the poet's life, Ibn Khall. II 13, l. 17, Eng. III 139.

(2) Ibn al-Athir's short account (X. 70-71) is described as based on Syrian authorities.

(3) Cf. Ibn Khall. I 464, Eng. II 342. The date of this event is discussed by Derenbourg in « Vie d'Ousâma », 14 and 24, where a passage is noted from Ibn al-'Adim, which confirms the date 474 A. H. [1081

Marfat.com

the Sharif Haidara ibn Abi-l-Jann (1). Earthquake and floods (A. X39); Mustansir overpowered by the troops (A. 55-60). **pp. 93-5.**

[Note on Ibn Abi-l-Jann quoted by Sibt J. (c) 123^{v} from the history of Ghars al-Ni'ma Muhammad b. Hilâl al-Sâbi—d.480.A.H.

461. — Muralla b. Haidara, governor ; his harsh rule : expelled by the troops in 467 ; rioting in Damascus ; burning of the mosque ; famine in Egypt (A. 40-1). **pp. 95-8.**

[Note on the governor's doings at Damascus ; on the murder of Ibn Abi-l-Jann ; on the people's remorse at the burning of the mosque ; and on the intrigues at Damascus, from Sibt J. (c). 119^{r}].

462. — Badr fails to take Tyre ; the Caliph Qâim acknowledged at Aleppo ; Manbij taken by the Byzantine Diogenes (A. 40-2). **pp. 97-8.**

463. — Damascus threatened by Atsiz (2) ; Aleppo taken by the Sultan Alp-Arslan ; his victory over the Byzantine Romanos, who is taken prisoner and ransomed (A. 43-6). **pp. 98-9.**

[Note giving (p. 99) an incident of the campaign from the History of Mayyâfâriqîn by Ibn al-Azraq al-Fâriqi. B. M. Or. 5803, 147^{r}, and (pp. 100-4), a full narrative of the Sultan's proceedings at Aleppo, of the battle, and of the subsequent fate of Romanos, from Sibt J. (c) 126^{v} et seq.]

464. — The ruler of Ja'bar murdered by treachery (3) : Raqqa taken. The Byzantines repulsed by the Mirdasid of Aleppo : death of al-Khatib al-Baghdâdi (A. 46. sub 463). **pp. 100-5.**

[Note on his escape from Damascus from Sibt J. (c) 130^{r} (4).]

465. — Flight of 'Ali Ibn Munqidh from Aleppo (5) ; death of the Mirdasid, 'Atiyya ; the Sultan Alp Arslân assassinated by Bâtini fanatics (6) (A. 49).

---

(1) Cf. Quatremère « Mém. Geo sur l'Égypte » II. 363 and 392.

(2) i. e. « without a horse ». Cf. Bundâri. Ed. Houtsma 71. n. « d ».

(3) Cf. Yâqût, Buldân II 84, and Iba Khall II 142, Eng I 329.

(4) The story appears also in is life in Yâqût's « Irshâd al-Arib », ed. Marg. Gouth. I. 256 on the authority of Ibn al-Qaisarâni. d. 507 A. H. infrà.

(5) Vie d'Ousâma. Ed. Derenbourg. 17.

(6) In Sibt J. (c), 144^{v}, this statement is quoted from Ibn al-Qalânisi, but as inaccurate and contrary to the received account which is there given, and which accords with that by Ibn al-Athir and by Ibn Khallikân in the life of Alp Arslân, II 60. Eng. III 230. Details are added of the motive which led the Sultan to invade Bukhâra. The ruler of Samarqand, Shams al-Mulûk Takin b. Taghân, had defeated two of the Sultan's sons, Ilyâs and Malik Shâh,

Disorder and distress under his rule until Badr al-Jamâli is appointed vizier in 465 A. H. (A. X. 55-6). **pp. 83-4.**

440. — Târiq, governor. The vizier al-Jarjarâ'i dies in 432 ; his successor Sadaqa al-Fallâhi, executed in 441 : succeeded by al-Yâzûri : honours bestowed on him for repressing the Banû Qurra. (A. IX. 396, dismissed in 449 A. H. ib 437).

441. — Rifq, governor, succeeded by al-Mu'ayyad Haidara. **pp. 84-5.**

Commencement of the author's « Dhail » or continuation (1).

448. — The Caliph Qâim marries the niece of the Sultan Tughril Beg : birth of his grandson and successor Muqtadi (A. 424-5).

449. — The Fatimide Mustansir acknowleged in the prayer at Aleppo during four years.

450. — Ibn Hamdân again governor, until defeated in 452 at Funaidaq outside Aleppo (A. X. 7, killed 465 A. H. ib. 54). **p. 86.**

The revolt of al-Basâsiri against the Caliph Qâim at Baghdad; he acknowledges the Fatimide Mustansir in the prayer; defeated by Tughril Beg and killed in 451 (2) — on the authority of the history of al-Khatib al-Baghdâdi (A. XI. 440-8). **pp. 87-90.**

452-4. — Successive governors ; the Mirdasid Mahmûd establishes his rule at Aleppo, and 'Atiyya holds Rahba (A. IX. 164 and X. 7). **pp. 90-1.**

455. — Badr, governor ; his incapacity and flight (A. X. 19); his successors ; his reappointment in 458 ; struggles between the Mirdasids at Aleppo, and disorder in Egypt (A. IX. 165). **pp. 91-3.**

460. — Bâriztughân, governor ; Badr captures and murders

---

(1) It continued the history of Hilâl al-Sâbi, which extended to 448 A. H., see *Ibn Khallikân* in the Life of Saladin, Bulak II, 498, Sl. Eng. IV 484, and Hist. Or. Crois. III 402.

(2) His life, Ibn Khall I 76, Eng. I 172.

Marfat.com

411 A. H. (A. 221) ; (1) legends about his return (cf. A. 351) ; he is succeeded by Zâhir, with al-Jarjarâ'i as vizier (A.321-3).

pp. 79-80.

The vizier's diploma, dated in 418 A. H., set out in full.

pp. 80-3.

433. — Nâsir al-Daula b. Hamdân governor ; he arrives accompanied by the Naqîb Abu Ya'la Hamza (2).

Rise of Tughril Beg the Saljuk in 432 A. H. (A. 321).

Death of Zâhir in 427 A. H.; succeeded by Mustansir (A. 304)(3).

---

(1) A Hâkim's life, Ibn Khall. II. 165, Eng. III, 449. full account of his death is given by de Sacy, op. cit. I 406-421, in part on the authority of Hilâl al-Sâbi, ib 413.

(2) Life of Zâhir Ibn Khall I 463, Eng. II, 340 and of his son Mustansir, ib II 135, Eng. III 381, and Quatremere, « Mém. Sec sur l'Égypte », II. 296-451.

(3) It is probable that his father's name should be read al-Hasân and not al-Husain , for it is so given in his obituary notice in the Mir'ât-al-Zamân, B. M. or 4619, 230v, and in the mention of him in the « 'Umdat-al-Tâlib », Lith. pp. 228-9 (as corrected by the Ms. B. M. add. 7355, 82v). There, among the descendants of Abu-l-Jann, (whose name was 'Ali), are mentioned certain Qadis of Damascus, issue of al-'Abbâs b. 'Ali b. al-Hasan b. 'Ali (Abu-l-Jann) ; of these al-'Abbâs was Qadi at Damascus, as also his son al-Hasân, his other son 'Ali being Qadi at Ba'albek ; and among their issue was the Naqib Majd al-Daula Abu-l-Hasan Ahmad, (son of the Naqib Abu Ya'la Hamza Fakhr al-Daula b. al-Hasan), for whom the shaikh al-'Umari composed his work « al-Majdi ». It is probable that the Sharif Ibrâhim b. al-'Abbas b. al-Hasan, who died in 454 A. H. (p. 91) was Fakhr al-Daula's nephew.

The Shaikh al-'Umari, Abu-l-Hasan 'Ali, and his father, Abu-l-Ghanâ'im Muhammad b. 'Ali are also mentioned in the 'Umdat-al-Talib — lith. 304 Ms. 130a — both, as pedigree writers and as descended from 'Ali's son 'Umar al-Atraf, whence their Nisba. In the obituary notice, supra, Ibn 'Asâkir is quoted as reading in the work of the Sharif 'Abd-Allah b. al-Husain b. Muhammad al-Hasani, the pedigree writer, of the favours that writer had received from Fakhr al-Daula. There occurs also in Dhahabi's Târikh al-Islâm — B. M. Or. 48, 266v,—a quotation from a « Nuzhat al-'Uyûn » of Abu-Ghanâ'im, a pedigree writer, on a gift to Bakjûr, who died in 381 A. H. (p. 38) of some of the prophet's hair, which was proved authentic by resisting the ordeal of fire. By Hâji Khalifa, N° 13705, the author of this work is called Abd-Allah b. al-Husain al-Zaidi. It is probable that the Abu-l-Ghanâ'im of the 'Umdat-al-Tâlib and of the Târikh al-Islâm are identical. It is noticeable also that according to Ibn Zâfir, « the Sharif « al-'Umari » and his Sheikh », meaning, probably, 'Ali, and his father, Abu-l-Ghanâ'im, were the only authorities among pedigree writers for the Alide descent of the Fatimide Caliphs, — B. M. Or. 3685. 42b ult. and Wüstenfeld « Gesch. d. Fatim. Chalifen » p. 5.

Marfat.com

ruler to Hâkim's general ; is conducted prisoner to Cairo, and is executed (1) (A. 143-4). **pp. 64-6.**

399. — Hâmid and others appointed governors of Damascus in rapid succession. **p. 66.**

Destruction of the Church of the Resurrection at Jerusalem by Hâkim, and his motive. (A. 147) (2). **pp. 67-8.**

[Note, on the visit of Sibt Ibn al-Jauzi to Jerusalem, with his account of the miracle of the Holy Fire, and Saladin's project of suppressing it, from Sibt J. (a) 237^{r}].

401-410. — Rapid succession of governors, including a cousin of Hàkim (3) who is suddenly arrested ; popular discontent. **pp. 69-71.**

[Note on this cousin's bad government, from Dhahabi (b). 75^{r}].

419. — Anûshtakin al-Dizbiri, governor ; his career (A. 161-2 with "Berberi" for "Tizbiri"). **pp. 71-2.**

[Note, on the murder of Fâtik at Aleppo, from Hilâl al-Sâbi quoted Sibt J. (b) 51^{r}].

420. — The vizier al-Jarjarâ'i sends Anûshtakin to fight Sâlih b. Mirdâs and his Arab allies in Syria ; he defeats them at al-Uqhuwâna and Sâlih is killed (4) (A. 162 and 260). **pp. 73-4.**

[Note, account of the campaign by Hilâl al-Sâbi, quoted Sibt J. (b) 83^{v}].

429. — Nasr b. Sâlih is killed, and Anûshtakin occupies Aleppo (A. 162-3). **p. 75.**

[Note ; an account by a historian Muhammad b. Muayyad al-Mulk, quoted Sibt J. (b) 121^{v}].

The vizier distrusts Anûshtakin ; his threatening despatch and Anûshtakin's humble reply. **pp. 76-8.**

Death of Anûshtakin in 432 A. H. ; his burial, and family (A. 343). **pp. 78-9.**

Hâkim's outrageous rule had caused his ministers to appeal to his sister, Sitt al-Mulk, who contrived to bring about his death in

---

(1) De Sacy, op. cit. I 316-28, Wüstenfeld, op. cit. from Ibn Zâfir.

(2) De Sacy, op. cit. I. 336-41.

(3) Ibid. 400, 421.

(4) His life, Ibn Khall. I 286, Eng I 631. The place is spelt 'al-Uqhuwâna' in the authograph, B. M. add. 25735, fol. 148^{r}.

[Note on the spelling « Zaidân » from Dhahabi (a) 215ᵛ. sub. 390 A. H.].

390. — Tamîn, successor to Jaysh, dies, and Ibn Falâh again governs, until replaced in 392 by Khutkìn, who is dismissed as incompetent. **p. 57.**

392. — Tizmalt, a Berber, appointed governor, and recalled in 374.

[Note on his treatment of a heretic (1) from Dhahabi (a) 22ʳ] **p. 58.**

393. — Hâkim is persuaded by a promise of money from Ibn al-Nahwi, and another, to dismiss and kill his vizier Fahd, a Christian, and to send Ibn al-Nahwi to govern Syria. His misgovernment there is reported to Hâkim's sister, by whose advice he is executed ; a succession of viziers are killed by Hâkim. (2) **pp. 59-61.**

394. — Muflih, governor, and others, in succession. Hâkim's minister, Ibn 'Abdûn, foils the attacks of the Maghribi family against him, and some of them are executed, but Abu-l-Qâsim escapes and takes refuge with Ibn al-Jarrâh, and appealing to him in verse, obtains protection. **pp. 62-3.**

The character and career of Abu-l-Qâsim al-Maghribi (3). **p. 64.**

[Note on his attempt to substitute for Hâkim the Alide ruler of Mecca, from Dhahabi (b) 2ᵛ (4)].

397. — The rebel Abu Rakwa is surrendered by the Nubian

---

the revolt of Abu Rakwa, a descendant of Hishâm, the Omayyad of Cordova, comes a legendary story that the Hâjib Ibn Abi Amir al-Mansûr having usurped Hishâm's place, both as sovereign and as husband, (see « Bayân al-Mughrib », Ed. Dozy II. 300), placed Hishâm's son under the charge of certain Sclavonian slaves, one of whom named Dâhik had belonged to Barjawân ; that this son ascertained from him that Barjawân was killed by Hâkim on suspicion of aspiring to the position of Kâfûr al-Ikhshidi ; that he thereupon sought his aid to deal similarly with Ibn Abi Amir ; and how they succeeded in killing him with his paramour, and in reinstating Hishâm, who, together with his son, were later killed by the Sinhâja adherents of Ibn Abi Amir. But the latter had died in 392 A. H. —See Makkari I. 259 — and it may be that the story is based on the murder of his son 'Abd •al-Rahmân in 399 A. H. — ib. 278.

(1) Id, quoted from Abu-l-Fidâ. de Sacy, op. cit, I 302. n².

(2) Ib 306-7. n.

(3) See his life, Ibn Khall. I 195, Eng I 450 ; de Sacy, op. cit. I, 350-3.

(4) Cf. Wüstenfeld 'Gesch. d. Fatim. Chalifen, VI, from Ibn Zâfir.

Marfat.com

381. — Munîr, superseded by Manjûtakîn, revolts, but is defeated and taken ; Manjûtakin encouraged by the death of Abû-l-Ma'âli the Hamdânid, and advised by Ibn al-Maghribi, attacks Aleppo, and defeats a Byzantine force coming to Lu'lu's aid from Antioch ; Lu'lu' destroys the crops and bribes Ibn al-Maghribi to induce Manjûtakîn to retreat. **pp. 40-2.**

382. — Manjûtakîn reinforced from Egypt, lays siege to Aleppo. The Byzantine Basil hastens to its relief, and Manjûtakin, warned by Lu'lu', raises the siege : Basil approaches Aleppo and captures various cities ; 'Aziz, whilst preparing to attack him, dies in 386 A. H. (A. 63). (1) **pp. 42-4**

386. — Hâkim succeeds, aged 10 years, with Barjawân (2) as guardian ; Ibn 'Ammâr and the soldiery seize power ; Manjûtakin declaring against them, is defeated by Ibn Falâh, and carried prisoner to Egypt ; a revolt at Damascus is suppressed (A. 83). **pp. 44-8.**

Barjawân foils a conspiracy by Ibn 'Ammâr, and drives him into exile, but afterwards conciliates him (A. 84). **pp. 48-9.**

387. — A revolt drives Ibn Falâh from Damascus : a rising at Tyre, headed by a sailor, and supported by the Byzantines. is suppressed by a force under Jaysh, who then attacks the Byzantine army near Apamea ; he is repulsed, but the Byzantine leader is killed by a Kurd and the army routed (A. 84. 85). **pp. 49-52.**

388 — Bishâra, governor : succeeded by Jaysh : he invites the ringleaders of disorder to a banquet and has them murdered, and sends many leading citizens prisoners to Egypt : his miserable death in 390 A. H. (A. 85-6). **pp. 53-4.**

[Note on Jaysh by Ibn Asâkir. from Dhahabi (a) 216^{v} sub 390 A. H.].

Barjawân makes a truce with the Emperor Basil. Hâkim resents his control and precautions, and, with the assistance of a slave Zaidân, has him murdered (in 389 A.H.) (3) ; his letters explaining his reasons (A. 86). **pp. 55-6.**

---

(1) His life. Ibn Khall II 199, Eng. III 525.

(2) Cf. Ibn Khall I 110, Eng. I 253, and de Sacy, op. cit. I. 284-93 for an account of the events of Barjawân's rule ; ib. 298-300 for the previous attempts on Aleppo.

(3) Cf. de Sacy, Chrest. Ar. 1826 T. I., 131. n. There is a curious reference to his murder in Sibt J. (a) 230^{r} (sub. 397 A. H.) where after the account of

Marfat.com

371. — Fatimide troops under Baltakîn defeat Ibn al-Jarrâh who takes refuge in Antioch ; Byzantine inroad ; Qassâm, unable to hold Damascus, surrenders to Baltakîn, is sent to Egypt, and set free. (A 5-6). **pp. 25-7.**

[Note on Qassâm, Dhahabi (a) 148^{v} quoted from al-Qifti.]

372.— Bakjûr, Governor ; his previous career at Aleppo and Emesa (A. VIII. 502) ; succeeds Baltakîn on his recall to Egypt ; attempts to seize Aleppo for 'Azîz, but is foiled by a Byzantine force under Bardas (1) who pillage Emesa ; intrigues of Ibn Killis against him ; he retaliates by killing the vizier's agent, with others, on suspicion of plotting his own death — in 377 A. H. (A. IX. 12-13). **pp. 27-30.**

378.— Munîr is sent from Egypt to depose him ; on the defeat of his Arab allies he submits and retires to Raqqa ; Ibn Killis tries to propitiate him (A. 40) ; he next makes advances to Bâdh, the Kurd, and to the Buwaihid of Baghdad, and seeks a reconciliation with the Hamdânid of Aleppo, but is foiled by Ibn Killis (A. 59). **pp. 30-31.**

The career of Ibn Killis ; appointed Vizier in 365 A. H., he dies in 380 A. H., honoured and regretted by 'Azîz (2) ; his successor, a Copt, prefers Jews and Christians to Moslems, but a reaction follows (3) (A. 81). **pp. 32-3.**

[Note on Ibn Killis from Dhahabi (a) 166^{r}].

381. — Bakjûr attacks Sa'd al-Daula of Aleppo ; he is not duly supported, his Arab troops are gained over, and his vizier, Ibn al-Maghribi, flies ; his scheme to single out Sa'd al-Daula in the battle is frustrated by the devotion of the slave Lu'lu', and he is defeated, betrayed and executed (A 60-1). **pp. 34-8.**

Sa'd al-Daula violates the terms promised to Bakjûr's children, and defies protests from Egypt ; his remorse and death (4), Lu'lu' guardian to his successor (A. 62). **pp. 38-9.**

---

(1) For this name see « Chronique de Matthieu d'Edesse » by E. Dulaurier, Paris, 1858, p. 387., n. XXI.

(2) His dying advice to 'Aziz, as given here and also in the 'Muntazam' of Ibn al-Jauzi—Berlin 9436, 130^{r}, sub 380 A. H. and in his life by Ibn Khallikân II 442 l. ult. Eng IV p. 365, is to live at peace with the Byzantines, — not merely with the Hamdânids, as in the Kâmil, A. IX 54.

(3) Cf. de Sacy, op. cit. I 303.

(4) This explains the passage in Ibn Khall. I 463. l. 23, Eng. II 339.

Marfat.com

Death of Mu'izz and accession of his son, 'Azîz ; anecdote of Mu'izz (A. 488-9).

Alaftakìn diverts the Qarmathians and attaks the coast towns, defeating the Maghrib force under the Oqailid Zâlim. On his refusing fealty to 'Azîz, Jawhar is sent to attack him, but, supported by the people of Damascus, he calls in the Qarmathian (A. 483-4). **pp. 14-16.**

Jawhar, hard pressed, appeals to Alaftakìn, and, in spite of the Qarmathian's protest, is allowed to retire on easy terms (1). By his advice 'Aziz takes the field in person against Alaftakìn. The armies meet ; 'Aziz admires Alaftakìn and offers him generous terms, but he says the offer comes too late. **pp. 16-18.**

'Aziz is victorious ; Alaftakìn is taken prisoner, magnanimously treated, and taken into high favour, whilst the Qarmathian receives a stipend and retires; Alaftakìn's death (2) brought about by the jealousy of the vizier, Ibn Killis (A. 485-7). **pp. 19-21.**

[Note from Dhahabi, (a) fol. 13^{v} that a similar account is given by the historian al-Qifti.]

368.—Qassâm, a subordinate of Alaftakìn, governs Damascus; the Hamdanid Abu Taghlìb tries to supplant Qassâm, who seeks aid from Egypt ; Abu Taghlìb, awaiting Ibn al-Jarràh from Ramla, is deserted by a part of his force, defeated by the Egyptians, and killed ; Qassâm establishes his rule (A. 512-5). **pp. 21-3.**

369. — Ibn Falâh with an Egyptian force fails to oust Qassâm ; he and Ibn al-Jarrâh obtain recognition from Egypt ; Bakjûr, Hamdânid Governor of Emesa, relieves the distress at Damascus. (A.IX. 12. sub 372). Death of 'Adud al-Daula, the Buwaihid (A. 13. sub 372). **pp. 23-4.**

[Note, Sibt J. (a) 84^{v}, on correspondance between 'Adud al-Daula and 'Aziz quoted from the history of Hilâl al-Sabi (3)].

---

(1) Ibn Zâfir, loc. cit. describes the terms thus :

وكان الصلح على ان يخرج جوهر واصحابه عُراةً لاشيء يستر عوراتهم بعد ان يُعلّق لهم في قوس الباب سيف هفتكين ورمح القرمطيّ وخرج جوهر.

(2) In 370 a. h. : 'Ibn Zâfir loc. cit., in 372 a. h., Ibn Khall I. 528. l. 8, Eng. II 484.

(3) Cf. on this Ibn Zâfir, op. cit. 51^{v}-52^{v}, and Wüstenfeld, Gesch. d. Fatim. Chalifen, V.

SUMMARY of CONTENTS.

358. — A revolt in Damascus, following on the conquest of Egypt by the Fatimide Mu'izz and the expulsion of the Ikshid dynasty (1), is suppressed by Jauhar. The Qarmathian ruler thereby loses his subsidy, and, with aid from Baghdad, defeats the Fatimide Governor Ja'far b. Falâh (2), and seizes Damascus, but, on invading Egypt, is defeated by Jauhar (3) (A VIII. 452-3) **pp. 1-2.**

[From the History of Hilâl al-Sâbi quoted Sibt J. (a) 14[r]]

History of Ibn al-Qalânisi

363. — Repulse of the Qarmathians, suppression of their party at Damascus ; Zâlim, gouvernor ; excesses by the troops, incendiarism and riots ; extent of damage. Jaish, Governor — then, Rayân (A. 469-72). **pp. 3-10.**

[Note (p. 4) on al-Nàbulusi from the « Muntazam » of Ibn al-Jauzi sub. 365 A. H. — Berlin 9436. 111[r], and cf. Yâqût, « Mu'jam al-Buldân » IV 724-5.]

364. — Alaftakîn (4) expelled with Turkish troops from Baghdad, enters Damascus by invitation and represses the Arabs ; he is distrusted by Mu'izz and attacked by Jauhar.

Death of Mu'izz (5) in 395 (A. 483-4) **pp. 11-12.**

Byzantine invasion of Syria under John Zimisces ; Alaftakîn negotiates with him in person ; his success ; whilst attacking Tripoli Zimisces is poisoned, and dies in Constantinople. (A. 517, sub. 369) **pp. 13-14.**

---

(1) On which see Ibn Khall. ed. Bulaq. II. 56, de Slane Eng. III. 221-2.

(2) In 360 A. H. ; his life Ibn Khall. I. 141, Eng. I. 327, and de Sacy, Religion des Druzes. I. 219-22.

(3) His life, Ibn Khall. I. 147, Eng. I. 340.

(4) Called « Iftakîn » by Ibn Khall. in the mention of his overtures to Adud al-Daula, — I. 527-8, Eng. II. 483, and « Haftakîn » by Ibn Zâfir in the « Dual al-Munqati'a ». B. M. or. 3685, fol 50[v] and by Dhahabi in the Tarikh al-Islâm. Cf. de Sacy, op. cit. I. 300. n. 2, quoting Abu-l-Mahâsin.

(5) His life. Ibn Khall. II. 133, Eng III. 377

Marfat.com

In the summary of the contents, indications will be found in brackets of printed works where the same events are related. These are, the Kâmil of Ibn al-Athîr, ed. Tornberg, (quoted as A. VIII-XI.) and, from 490. A. H. and onwards, the «Histoire des Atabecs de Mosul» by the same author, edited, with a French translation, by de Slane in the Recueil Hist. Crois. Or. Vol. II. part 2, (quoted as At.); the extracts from the «Zubdat al-Halab fi Târikh Halab» by Kamâl al-Din Ibn al-'Adîm, covering 490-541 A. H., edited with a French translation by M. C. Barbier de Meynard in the Recueil, ib. Vol. III. pp. 577-690, (quoted as 'Adim); and the French translation, with notes, of the remainder of this history down to 640 A. H. by E. Blochet, extracted from the «Revue de l'Orient Latin» Vols. III. IV. V and VI., under the title «Kamâl al-Dîn, Histoire d'Alep.» Paris, 1900. And references in the notes shew where lives of persons mentioned occur in the Wafayât al-A'yân of Ibn Khallikân, text, ed. Bulaq. 2 Vols. 1299 A. H., and English translation by de Slane, 4 Vols.

The quantity of poetry in the volume is not large; most of it, and especially the lines from the pen of the vizier al-Maghribi on pp. 62-3, have had the advantage of revision by Professor D. S. Margoliouth of the University of Oxford, for which, as well as for much other help in connection with this edition, I beg him to accept my hearty thanks. And to the good nature of Mr. A. G. Ellis of the Oriental Printed Books and Ms. Department, British Museum, I am indebted for large drafts on his knowledge, permitted so readily to those in need, and from so ample a store.

H. F. Amedroz

48 York Terrace, London. N. W.

December 1997.

It will be seen that numerous extracts from other authors, who are still in Ms., appear as notes to the text: they are intended to supplement the narrative by matter not present there nor in other printed histories, and are taken either directly from the authors in question, or through quotations from them elsewhere. And whilst in the notes the extracts appear under their author's name, in the summary of the contents will be found the reference to the Ms. and folio whence they have been copied. Of these Extracts the larger number are from the History of Mayyâfâriqîn and Amid by Ahmad b. Yûsuf b. 'Ali b. al-Azraq al-Fâriqi, of whose work two recensions exist in the Library of the British Museum, one, a fragment only, written in 560 A. H., when the author was 50 years old — B. M. Or. 6310 — the other, fuller and nearly complete, written in 572 A. H., — B. M. Or. 5803 (1). The Zubdat al-Tawârikh, — B. M. Stowe Or. 7 (Cat. Supp. 550) from which a few extracts have been taken, is a unique Saljuq history extending to 590 A. H., although not written before 623 A. H., as to which see Houtsma, Recueil Textes Salj. I p. X. and II. p. XXXVI. The Mir'ât al-Zamân of the Sibt ibn al-Jauzi has been largely drawn on, especially for quotations from the lost histories of Hilâl al-Sâbi and of his son Ghars al-Ni'ma Muhammed, whose combined works cover 360 — 479 A. H. The years included in the history, of Ibn al-Qalânisi are covered by four Mss. of the Mir'ât al-Zamân, viz. Paris. Ar. 5866 (referred to as Sibt J. a) for 358 — 400 A. H.; Munich, 378^{c} (Sibt J. b,) for 402 — 442 A. H.: Paris Ar. 1506 (Sibt J. c) for 440 — 517 A. H., (2) the latter years of which are in part printed in the Recueil Hist. Crois. Or. III.; and the above mentioned Ms. Yale, 136 (Sibt J. d) for 495 — 654 A. H., the close of the work. Last the Târikh al-Islâm by the Hâfiz Shams al-Dîn al-Dhahabi for the years 351 — 500 A. H., is quoted from the Mss. B. M. Or. 48 (Dhahabi a), Or. 49, (Dhahabi b) and Or. 50 (Dhahabi c), each of which covers a period of fifty years.

---

(1) Some account of these Mss. and of the historian will be found in the Journal of the Royal Asiatic Society, 1902, at p. 785.

(2) For the loan of the Paris Ms. Ar. 1506 I have to thank the Administrateur Général; the use of the Munich Ms. at the Library of the India Office I am indebted to Dr O. Leidinger; and the courteous liberality of Professor J. R. Jewett enabled me to use proof sheets of the facsimile of Yale 136 whilst preparing this text.

Marfat.com

توّفي فى ربيع الاول . قلت : روى عنه ابن مصري ومكرم بن ابي الصقر وجماعة وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحمدت ولايته وتوّفي في عشر التسعين

His death in 555 A. H. is noticed too by Abu-l-Mahâsin in « al-Nujûm al-Zâhira », B. M. add. 23882, fol. 140v, where he says of him :

يُعرف بابن القلانسي كان فاضلًا اديباً مترسّلًا جمع تاريخ دمشق وسمّاه الذيل وذكر في اوله طرفاً من اخبار المصريين وبعض حوادث السنين وقد نقلنا عنه نبذة في هذا الكتاب وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة سابع شهر ربيع الاول ودُفن يوم السبت بقاسيون . فمن شعره في الصبر على الشدّة :

إِيَّاكَ تَقْنَطْ عِنْدَ كُلِّ شَدِيدَةٍ فَشَدَائِدُ ٱلأَيَّامِ سَوْفَ تَهُونُ
وَٱنظُرْ أَوَائِلَ كُلِّ أَمرٍ حَادِثٍ أَبَدًا فَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ

The office of Ra'is (1) at Damascus was a high one, as appears from the career of Ibn al-Sûfi in the text, and the continued importance there of the Qalânisi family is shown by Dhahabi naming them among those who removed at the Tatars' approach in 700 A. H. — B. M. Or. 1540, 131v.

The author brings down his history to within a year of his death, but he had previously, on arriving at the year 540 A. H, made a pause to declare that, in spite of hindrances during the previous five years, he had settled his narrative thus far, with blanks in that part of the narrative for the insertion of further facts when ascertained. And he then proceeds to reflect on the multiplication of « laqabs », and how their increase had been wholly in excess of the power and importance of their bearers, — reflections which will be found to correspond in spirit with those uttered before him by al-Birûni in 'al-Athâr al-Bâqiyya ; (transl. Sachau pp. 129-131, and by Hilâl al-Sâbi in his « Kitâb al-Wuzarâ » (pp. 148-152), and which represent, perhaps, a late protest against a firmly rooted evil (2).

(1) In Derenbourg's « Vie d'Ousama » pp. 196 and 267, this title is translated by « Chef de la Municipalité ».

(2) Dhahabi in the « Târikh al-Islâm » — B. M. Or. 49, fol. 10v — Says of Jalâl al-Daula. in 415 A. H.

خلف على شرف الملك ابي سعد ابن ماكولا وزيره ولقّبه عالم الدين سعد الدولة امين الملّة شرف الملك وهو اوّل من لُقب بالالقاب الكثيرة ولعله اول من لُقب باسم مضاف الى الدين.

Again on pp. 64-6 is a notice of the defeat and death of Abu-Rakwa. Ibn Khallikân referring to his career in the life of Hâkim — de Sl. Eng. III. 453, (the passage does not appear in the Bûlâq text II. 167) — says tha a full account of his proceedings was given by Ibn al-Sâbi. The notice in this text purports to be an abridged one ; only the final scene, after Abu Rakwa's surrender to Hakim's General, is dwelt on ; whereas in the 'Kâmil of Ibn al-Athîr (IX. 143-4) whilst the earlier part of his career is given in greater detail, the conclusion appears to be an abridgment of Ibn al-Qalânisi. The two accounts combined may therefore form a tolerably complete reproduction of Hilâl's narrative. No authority is quoted by name in Ibn al-Qalânisi's history excepting al-Khatib al-Baghdâdi, for the revolt of al-Basâsiri at Baghdad in 450 A. H. — text pp. 87 and 89.

Of Ibn al-Qalânisi himself the following notice is given by Dhahabi in the Târikh al-Islâm — Bodl. Laud. 304, fol. 203^{r}, sub. 555 A. H., the year of his death.

حمزة بن اسد بن علي بن محمد ابو يعلي التميمي الدمشقي العميد بن القلانسي الكاتب حدث عن سهل بن بشر وحامد بن يوسف التنيسي قال الحافظ ابن عساكر : سمع منه بعض اصحابنا ولم اسمع منه (قال) وكان اديباً كاتباً تولّى رئاسة دمشق مرّتين . وكان يكتب له في سماعه : ابو العلاء المسلم بن القلانسي . فذكر انه هو وانه كذلك كان يُسمّى وقد صنف تاريخاً للحوادث من بعد سنة اربعين واربعمائة الى حين وفاته . وقرأت من شعره :

يا نفسي لا تجزعي من شدّة عرضتْ وايقني من الٰله الخلق بالفرجِ
كم شدّة عظمت ثم انجلت ومضتْ من بعد تاثيرها فى المال والمهجِ

---

found in Ibn Khall. II. 163, l. 17, Eng. III. 444 ; again on fol. 201^{r}, sub. 405 A. H., the story how a woman evaded Hâkim's order on the sex to remain indoors. (see de Sacy, « Religion des Druzes », Introd. p. 371), by pretending to the Qâdi Malik b. Sa'id al-Fâriqi that she was hurrying to the side of a dying brother : and, after a statement on fol. 207^{v} that Hilâl together with al-Musabbihi and al-Qudâ'i were the chief authorities for Hâkim's scandalous doings, on fols. 207^{v} — 209^{r}, Hilâl is quoted for one account of Hâkim's death, and another by al-Qudâ'i follows, both of which are given by de Sacy, op. cit, introd. 406-13, quoted from the history of Abu-l-Mahâsin. The possibility that undiscovered portions of Hilâl's history may yet exist is the justification of this note.

Marfat.com

Quotations from Ibn al-Qalānisi's history are equally to be found in historical works which, as yet, exist only in Mss., e. g. in Yaqūt's Irshād al-Arīb Ila Ma'rifat al-Adīb (for the life of Usāma b. Murshid). — Ms. Dodl. Or. 778. fol. 1a, and in various Mss. of Dhahabī's Tārīkh al-Islām. — such as B. M. Or. 9428 and Or. 3. Munich Ar. 875 and Berlin Landb. Ar. Sprenger 1764. Fāt. Ms. Ahmed Salāh. No. 3. In his introduction to the Ta'rīkh al-Wafayāt — Ms. Vienna Flügel 1017 — includes the work in his general list of authorities.

The [illegible] Ibn al-Qalānisi's history is interesting, being [illegible] — The [illegible] in Ibn [illegible] — E. M. [illegible] at least; — the [illegible] Ibn [illegible] as given [illegible] Mss. [illegible] Ms. [illegible] — [illegible] Ms. [illegible] — [illegible] Ms. [illegible] —

This coincidence of date puts Ibn Khallikân's statement beyond doubt, although a not unnatural confusion, caused by the title given to the work — « Dhail al-Târîkh al-Dimashqi » — has at times led to its having been regarded as a continuation of the wide renowned history of Ibn 'Asâkir — the Târîkh Dimashqi. But he was Ibn al-Qalânisi's junior by many years, and in fact, notices him in his history, as will be found stated by Dhahabi, infra (1).

For the full period of a century covered by the « Dhail », during most of which, according to Dhahabi's statement, the author was living, the work is a source of Moslem history, amply drawn on by later historians. As such it seemed worthy of publication in spite of the fact that its contents are, to a large extent, already accessible in printed books. Ibn al-Athir, in the « Kâmil », used the work throughout, although once only does he quote the author by his name, Hamza (2) ; again, in the extracts from the Mir'ât al-Zamân of the Sibt ibn al-Jauzi, printed in the Recueil Hist. Crois. Or. III. (from the Mss. Paris Ar. 1506, and Leyden, old Cat. N° 757, revised Cat. F° 835), his name is of constant occurrence ; it occurs also in the extracts from other historians given in this Volume of the Recueil ; and in another Ms. of the 'Mir'ât al-Zamân' — Yale 136 — reproduced in facsimile at the University of Chicago Press, 1907, under the editorship of Professor J. R. Jewett, the references to Ibn al-Qalânisi's history by name for the latter part of its contents are frequent and continuous. That part is copied also to a large extent verbatim in the Kitâb al-Raudatain of Abu Shâma — Ed. Cairo, 1287 A. H., 2 Vols, in part edited, with French translation, by M. C. Barbier de Meynard in Hist. Crois. Or. Vol. IV.

---

tement in another Ms. of the Mir'ât al-Zamân, — Munich. Ar. 378 c. fol. 135v. sub. 434 A. H., — that the copy of Hilâl's history to which he had access in the Waqf of at Malik al-Ashraf at Damascus extended only to that year.

(1) Abu Shâma in the « Kitâb al-Raudatain » Ed. Cairo. 1287. I. 4 (Hist. Crois. Or. IV. 13) mentions among previous historians, first, Ibn 'Asâkir whom he calls Abu-l-Qâsim al-Dimashqi, and his fine biography of Nûr al-Dîn for whom his work was composed. and next Ibn al-Qalânisi's « Dhail al-Târîkh al-Dimashqi », and this Röhricht understands to mean « Anhänge zur Geschichte des eben genannten ». — See « Arab. Quellenbeiträge zur Gesch. d. Kreuzzüge », Berlin, 1879. p. XII. And the notice of Ibn al-Qalânisi's history in Hâji Khalîfa, N° 2218 (Vol. II. 130-1) seems to imply this view also.

(2) For the opening in 513 A. H. of the tombs of the Patriarchs, Abraham, Isaac and Jacob ; — Vol. X, p. 394 — see p. 202 of this text.

Marfat.com

PREFACE

The history of Ibn al-Qalânisi, which is declared by its author to be a continuation, — « Dhail » — to a previous history, covers a period of nearly two centuries, and terminates in the year of the author's death, 555 A. H. It is concerned, primarily, with Damascus and Syria, with occasional reference to events in Baghdad, and in Egypt, with which during the earlier moiety of the history Syria was politically united. The edition is prepared from the ancient and apparently unique Ms. at Oxford, — Bodl. Hunt. 125, (Cat. Uri. 718), which is dated in 629 A. H. and contains 188 folios of 32 lines a side. The point at which the narrative, as preserved in this Ms., begins, is 363 A. H., but the opening folios — to the number of 11 as would appear from the quirez, vis : one eighteenth part of the whole — are wanting. The year 448 A. H. is indicated by the author as the date when his « Dhail » opens.

By the good offices of Mr E. W. Nicholson, Bodley's Librarian, the Ms. was placed at my disposal for a lengthy period at the British Museum : the extent of the obligation thus placed upon me I desire gratefully to acknowledge. The happy conjunction at the « Bodleian » of a power to lend Mss., and of a generous exercise of that power, is a piece of good fortune for which students can but express, — in this case reiterate, — gratitude, cherishing the well founded expectation that such conjunction may be perpetual there, whilst indulging the hope that it may eventually exist elsewhere in this land.

The history of Ibn al-Qalânisi is described by Ibn Khallikân, when quoting it in his life of Saladin in the Wafayât al-A'yân (1), as a continuation of the history of Hilâl al-Sâbi' which terminated in 448 A. H. (2) the point at which the « Dhail » commences.

---

(1) It is quoted Ed. Bûlâq. II, 198 l. 19. de Slane, Eng. IV, 484, and Recueil Hist. Crois. Or. III. 402, where the year 532 A. H. should be 533 — see p. 269 of this text.

(2) Sibt ibn al-Jauzi hesitates between 447 and 448, saying that the latter was that fixed by Hilâl's son, Ghars al Ni'ma Muhammed, who continued his history : — Paris, Ar. 1506. 11v. His uncertainty is explained by his sta-

Marfat.com

HISTORY OF DAMASCUS

363-555 a. h.

BY

Ibn al-Qalânisi

from the Bodleian Ms.

Hunt. 125.

being a continuation of the history

OF

Hilâl al-Sâbi

Edited

With Extracts from other histories

and

Summary of Contents

BY

H. F. AMEDROZ

LEYDEN — Late E. J. BRILL.

1908.

Marfat.com